فهرست الجزء الأول من كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

تمت

كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى

معاهد التنصيص للعالم العلامة الحبر

الصدر الفهامة عبد الرحيم بن

عبد الرحمن بن أحمد

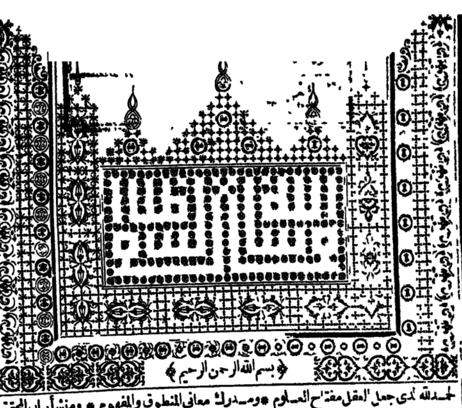
العباسي رحمه

الله تعالى

آمين

وبهامشه كتاب بدائع البدائه للأديب الفاضل اللوذعي
الكامل العلامة علي بن ظافر الأزدي رحمه الله





﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل العقل مفتاح العلوم * ومدرك معاني المنطوق والمفهوم * ومنشأ بيان المحقق او الموهوم * ومظهر بديع المنثور والمنظوم * أحمده حمد من بجزيل نعمه اعترف * وأشكره شكر من ورد منهل فضله واغترف * وأشهد أنه الرب الرحمن * الذي خلق الانسان وعلمه البيان * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * الذي تلخص الدين بارشاده أحسن تلخيص * وتخلص متبعو هديه من الجحيم أعظم تخليص * فكانت بعثته مفتاح باب الخيرات * والطريق الموصل الى منهج المبرات * صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام * وصحبه الائمة الاعلام * ما أغرب مبتدئ ببديع النظام * وعجب منشئ بحسن الختام ﴿وبعد﴾ فان الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * نظر الله اليه بعين العفو والغفران * ورضي عنه أتم الرضوان * لما كان متحليا بحلية العلماء * مستشعرا شعار الفضلاء * وبرد الشبيبة قشيب * وغصن الصبا رطيب * ومربع الاماني خصيب * والسعادة تلحظه عيونها * وتتوارد عليه أبكارها وعونها * لم يزل في خدمة العلم وتأليفه * وترتيبه وتصنيفه * بقدر ما يصل اليه علمه القاصر * وحسب ما ينفذ فيه فهمه الفاتر * وكان من جملة ما حفظه من المتون * وعلق بخاطره من الفنون * كتاب تلخيص المفتاح * الذي هو في بابه راحة الارواح * تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه * وأسكنه بحابح جنانه * وفيه من الشواهد الشعرية ما يعزى للاقدمين * وما ينسب للمولدين * الا أن أكثرها مجهول الانساب * مغفول الاحساب * وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائليه * ونسبه الى غير أبيه * اما لاشتباه في الاوزان * أو تماثل في المعاني * ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحا يشفي العليل * ويروي الغليل * غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي سقى الله من صوب الرحمة ثراه * وأكرم منزله ومثواه * عمل على بعضها تعليقا لطيفا لم يكمله ولم يخرج عن مسودته وكثيرا ما كانت نفسي تزعجني للتصدي لذلك * وأقول لها لست هنالك * وأعللها بالمواعيد * وهي تقرب الي البعيد * وتسول لي أنه أقرب الي من حبل الوريد * فيقوى العزم * ويستعمل الجزم * ويهمل الاخذ بالحزم * الى أن آن أوانه * وحان زمانه * فشمرت عن ساعد الاجتهاد * واستعملت الجد في تحصيل ذلك المراد * وسلكت فيه منهج الاختصار * ومدرج الاقتصار * ونصصت على أبحر تلك الشواهد العروضيه * ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الادبيه * وذكرت ترجمة قائله ان اطلع عليه بعد التفتيش في

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اللهم أسبل علينا سترك الجميل * وأسبغ علينا عطاءك الجزيل * وأفض علينا رضاك الذي هو غاية التأميل * وكنفك الذي هو نهاية في التكميل * واحرسنا بعينك * وأيدنا بعونك * وكنفنا ببرك * وصنا بحرزك * ووفقنا لذكرك * وأعنا على حمدك وشكرك * فانه لا توفيق الا منك * ولا عون الا بك * ولا اصابة الا من عندك * ولا حراسة الا لمن شملته عنايتك * ولا [illegible] الامل و[illegible] رحمتك * اللهم بك [illegible] فصل [illegible] في [illegible] وصلت في [illegible] * و[illegible] * وبك [illegible] لي القرب منك فانك [illegible] رؤوف رحيم * و[illegible] الي آلك [illegible] و[illegible] أنك عطوف كريم * فلا تخيب فيك ظنا * ولا تكذب فيك الامل ولا تقطع أسباب الرجاء ولا تكلنا الى [illegible] ولا الى [illegible] فانها [illegible] وشفع فينا تم أنبيائك الذي هو سيدهم [illegible] وآخرهم [illegible] خلقا * محمد الذي شرفت قدره * و[illegible] صدره * و[illegible]

كتب

كتب الادب * والتحري والاستقصاء في الطلب * ومزجت فيه الجد بالهزل * والحزن بالسهل ﴿وسميته بمعاهد التنصيص * على شواهد التلخيص﴾ فجاء بحمد الله غريب الابتداع * عجيب الاختراع * بديع الترتيب * رائع التركيب * مفردا في فن الادب * كفيلا لمن تأمله بالعجب * وهو وان كان من جنس الفضول الذي ربما يستمل * أوهو بقول الحسود داخل في قسم المهمل * فهو أمنية كان الخاطر يتمناها * وحاجة في نفس يعقوب قضاها * على انه لا يخلو من فائدة فريده * ونكتة عن مواطنها شريده * ودرة مستخرجة من قاع البحور * وشذرة تزين بها قلائد النحور * وعجائب تحل لها الحبا * وغرائب يقول لها العقل السليم مرحبا مرحبا * ولئن خالط هذا القول هوى النفس * أوظن المغالاة به صادق الحدس

فالمرء مفتون بتأليفه * ونفسه في مدحه غاويه
والفضل من ناظره أن يرى * ما قد حوى بالمقلة الراضيه
وان يجد عيبا يكن ساترا * عواره بالمنة الوافيه

ومن تأمله بعين الانصاف والرضى * شهد بصدق هذا الوصف وبصحته قضى * وحين سهل الله الوصول ثانيا الى الممالك الروميه * لازالت من المكاره محميه * استوطن منها قسطنطينية العظمى * لازالت من الله في وقاية وحمى * اذ هي محل الكرم * وموطن النسم * ومحط الرحال * ومنتهى الآمال * ومشرق السعاده * وأفق السياده * وموسم الادباء * وحلبة الخطباء * ودار الاسلام * ومقر العلماء الاعلام * وتخت الملك العظيم الشان * ومحل الدولة والسلطان * لازالت دار الاسلام والايمان * ومستقر الامر والامان * ما تعاقب الملوان * بدوام حياة سلطان العالم * وخير ملوك بني آدم * سليمان الزمان * وخاقان العصر والاوان * ومفخر آل عثمان * لابرحت دولته مخلدة خلود الابرار * في دار القرار * وسعادته مؤبدة مسلسلة الادوار * ما دار الفلك المدار * بتعاقب الليل والنهار * وكان من أعظم خبايا السعد * وعطايا الجد * أن شملته العنايه * وحفته الرعايه * بنظر فرد الدهر * وواحد العصر * وبكر عطارد * ونادرة الفلك * وتاريخ المجد * وغرة الزمان * وينبوع الخير والاحسان * العالم العلامه * والحبر البحر الفهامه * جامع أشتات المفاخر * والمتفرد بغايات المآثر * سيدنا ومولانا سعدي قاضي القضاة بتخت الملك قسطنطينية العظمى * فهو مولى تنخفض همم الاقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه * ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه * حضرته مطلع الجود * ومقصد الوفود * وقبلة الآمال * ومحط الرحال * ومجمع الادباء * وحلبة الشعراء * ذو همة مقصورة على مجد يشيده * وانعام يجدده * وفاضل يصطنعه * وخامل وضعه الدهر فيرفعه * فاق الاقران * وساد الاعيان * فلا يدانيه مدان * ولو كان من بني عبد المدان * وليس يجاريه في مضمار الجود جواد * ولا يباريه في ارتياد السيادة مرتاد

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

لازالت آي مجده بألسن الاقلام متلوه * وأبكار الافكار بديع معاليه مجلوه * وحين أناخ مطايا قصده * بأفناء سعده * صادف مولى حفيا * وظلا ضفيا * ومرتعا رحيبا * ومربعا خصيبا * وبشاشة وجه تسر القلوب * وطلاقة محيا تفرج الكروب * وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب * مع ما يضاف لذلك من منظر وسيم * ومخبر كريم * وخلائق رقت وراقت * وطرائف علت وفاقت * وفضائل صفت مداركها * وشمائل صفت مشاربها * وسودد تثنى به عقود الخناصر * وتثني عليه طيب العناصر * فحمد من صباح قصده السرى * وعلم أن كل الصيد في جوف الفرا

ان الكريم اذا قصدت جنابه * تلقاه طلق الوجه رحب المنزل

وها هو في ظل عزه رخي البال * متميز الحال * آمن من صرفان الدهر * وحدثان القهر * يرتع في رياض فضله * ويجرع من طل جوده ووبله * قد عجز عن الشكر لسانه * وكل عن رقم الحمد بنانه * لم يفقد من مغنى رأفته ظلالا * ولم يغل لصبح آماله انتجى دلالا * وبه حقق قول القائل * من الاوائل

عمره * وأثبت يسره * وملأت بالنور سره وجهره * وصلى عليه صلاة تزيده نورا على نور * وتهدي لروحه الروح والسرور * واجعلها لنا تجارة لن تبور * وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى * ورجوم الردى * وسلم تسليما ﴿وبعد﴾ فقد كنت في صدر عمري * وبدء أمري * نشطت لجمع أخبار الشعراء في البداهة والارتجال * ومحاسن أشعارهم في مضايق الاسراع والاعجال * وسمعت منها حكايات لم يرقها في الطرس بنان * ولم يطمثهن قبلي انس ولا جان * فاوقفت عليها صدر ذلك الزمان * وسيد فضلاء ذلك الاوان * السيد الاجل الفاضل أبا علي عبد الرحيم ابن الحسن البيساني رحمه الله تعالى فحثني على الازدياد منها * والتطلب لها والبحث عنها * فاجتمع من ذلك جزء أحكمت ترتيبه * وهذبت تبويبه ﴿وسميته بدائع البداهة﴾ ورتبت الاخبار في كل باب منه على ترتيب الاعصار * وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها * وناثر جوهرها * ومؤلف كلامها * ومثقف قوامها * كانت مسندة مسلسله * أومهملة مرسله * بأن قلت بما هذا معناه وكل حكاية لي فيها عمل شعر أواشتراك مع بعض الشعراء اقتصرت في

ولما انتجعنا لائذين بظله * أعان وما عنى ومن وما منا

وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وجملة ما يقوله في العجز عن حمده وشكره * والثناء على جوده وبره

أما وجميل الصنع منه وانها * اليه بر مثلها لا يكفر

لو اصبحت حولت البرية ألسنا * وكنت بها أثني عليه وأشكر

ولست أوفي حق ذلك وانما * قياما بحق الشكر جهدي أشمر

وكان من جملة دواعي السعد * وبواعث الجد * أن شمل هذا التأليف * نظره الشريف * حين وصل الى حضرة مجده المنيف * فاظهر به اعجابا رفع من مقامه * ونصب فوق متن المجرة خوافق أعلامه * جريا على عادته النفيسة في جبر القلوب * وستر العيوب * فحين طرق السمع * خبر استحسانه لذلك الجمع * أحب الفقير أن يخدم حضرته العليه * وسدته السنيه * بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير ما دام في قيد الحياة * وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الممات * وعساه يكون وسيلة للانتظام في سلكه * وذريعة الى الانحياز الى ملكه * والا فهو أقل من أن يشاع ذكره * أو يشاد قصره * وكيف يهدى الوشل الى البحر * أو تنقل الى القصر * غير أن هواجس الفكر وخواطر الامل * متمسكة في قوله بأذيال عسى ولعل * وادي قوى في الحق بشيمه الزاكيه * تلقيه بالبشر وتحفه بالمقلة الراضيه * وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب * ويؤمل أن يسبل ستر العفو عما فيه من العيوب * وها هو يرفع أكف التضرع والابتهال * الى ذي العظمة والجلال * أن يبلغه من ذلك أقصى غاية الآمال * بمنه ويمنه

﴿شواهد المقدمة﴾

﴿غدائره مستشزرات الى العلا﴾

قائله امرؤ القيس وتمامه * تضل العقاص في مثنى ومرسل * وهو من البحر الطويل من القصيدة المشهورة التي هي احدى المعلقات السبع أولها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا اليها ومعشرا * على حراصا لو يسرون مقتلي

اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله ما لك حيلة * وما ان أرى عنك الغواية تنجلي

خرجت بها أمشي تجر وراءنا * على اثرنا أذيال مرط مرحل

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

هصرت بفودي رأسها فتمايلت * علي هضيم الكشح ريا المخلخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي * بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل

وفرع يزين المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وبعد البيت والقصيدة طويلة وسيأتي طرف منها في شواهد الانشاء ان شاء الله تعالى والغدائر جمع غديرة الذوائب والاستشزار الرفع والارتفاع جميعا والفعل منه لازم ان كسرت زايه ومتعد ان فتحت والعلا

اعلامها على ذكرا سمى فقط وان كانت مصبوغة فصبغها مما وشى خاطري وشاعه * وأبدى بدائعه * فلما رأى ما اجتمع منه سر به واغتبط * وأكرم نزله فارتبط * وشرفني على صغر سني * ونضارة غصني * بأن نسخه لخزانته * وحباه بحفظه وصيانته * ولم يزل ذلك الجزء عني منسي الذكر * وعندي خامل القدر * حتى مثلت بالجناب العالي الملكي لا شرفي أعز الله سلطانه في سنة ثلاث وستمائة وذلك قبل أن أغمت بعبد * وآوى لي ظله * فجرى في مجلسه ذكر هذا الجزء فحسن من خاطره موضعه * وجل عنده موقعه * فرسم لي نقله وقد كنت في زمن فترتي جمعت أخبارا كثيرة قارب حجم الجزء الاول مجموعها * وفاق على كثير منه مسموعها * فجمعت شمل الطارف بالتليد * والقديم بالجديد * وأنفذت به اليه * وأوفدته عليه * ثم اني بعد ذلك التقطت فرائد لم تسفر بمثلها الاسماط * ووشائع لم تفز بشبهها الاسفاط * وبدائع لم يلق بقدرها الاغفال * وغرائب لم يعز بجمعها الاهمال * فدعتني النفس الطموح الى أن أنثر ذلك النظام * وأهصر ذلك التوام * وأصم شمل هذه الفرائد الجنية

جمع علياء تأنيث الاعلى وأراد الجهات العلا والعقاص جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها والمثنى من الشعر وغيره ماثنى والمرسل ضده (ومعنى البيت) أن حبيبته لكثرة شعرها بعضه مرفوع وبعضه مثنى وبعضه مرسل وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل (والشاهد فى البيت التنافر) وهو لفظة مستشزرات لثقلها على اللسان وعسر النطق بها (وامرؤ القيس) اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور سمى بذلك لانه اقتصر به على ملك أبيه حندج والحندج فى اللغة رملة طيبة تنبت ألوانا وأمه فاطمة وقيل تملك بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومهلهل وكنية امرئ القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله

وبدلت قرحا داميا بعد صحة * لعل منايانا تحولن أبؤسا

ويلقب الذائد أيضا لقوله أذود القوافى عنى ذيادا ويقال له الملك الضليل ومعنى امرئ القيس رجل الشدة والقيس فى اللغة الشدة وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الاصمعى يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل ويرويه يا امرأ الله فانزل وهو الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار وقيل فى تأويله ان المراد شعراء الجاهلية والمشركين وهو أول من لطف المعانى ومن استوقف على الطلول وشبه النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وماسواه من القصيد وأجاد الاستعارة والتشبيه (وكان من حديثه) أن أباه طرده لما قال الشعر وانما طرده من أجل زوجته هر وهى أم الحويرث التى كان امرؤ القيس يشبب بها فى شعره وكان ينتقل فى أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم وذؤبانهم والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيها بالذئاب وكان يغير بهم وكان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالؤا على قتله فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال ضيعنى صغيرا وحملنى ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا أمر فأرسلها مثلا وقيل بل قال اليوم قحاف وغدا نقاف والقحاف من القحف وهو شدة الشرب والنقاف من نقف الهام اذا قطعها ثم انه جمع جمعا من بنى بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب وخرج يريد بنى أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه اليهم فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس فأوقع ببنى كنانة وكان بنو أسد قد لجأوا اليهم ثم ارتحلوا عنهم فقتلهم قتلا ذريعا وأقبل أصحابه يقولون يالثارات الهمام فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك مانحن بثارك وانما ثارك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع القتل عنهم وقال

ألا يالهف نفسى اثر قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببنى على * وبالاشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

وقيل ان أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببنى كنانة وقالوا له أوقعت بقوم برآء وظلمتهم فخرج الى اليمن الى بعض مقاولة حمير واسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل فذلك حيث يقول

وكنا أناسا قبل غزوة قرمل * ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

ثم خرج الى قيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءل بن عاديا فذلك حيث يقول

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر وهو من بنى قيس بن ثعلبة وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب فلما وصل الى قيصر استغاث به فوعده أن يرفده بجيش وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس فى دخوله الى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته الى ماسأل فذلك حيث يقول لما وصل اليها

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

القطاف * المقومة الثقاف * الى تلك الفرائد المنتظمة العقود * المنمنمة البرود * فجعلت أفكر فى ضعف الغرائز البشرية * والجبلات الانسانية * ورغبتها أبدا فى الزياده * وحرصها على بلوغ الغايه * واغتباطها بالشئ حتى اذا حصلته وظفرت به وأنشبت مخالبها فيه مالت الى الملل * وحلقت لسآمته العلل * وطلبت ما يرتفع عنه * وسخطت ما كانت رضيته منه * ونفسى تهون خطب التنقل * وصعب التبدل والتحول * وترغب فى تتميم الناقص وجمع المتفرق وضم المنتشر المتبدد وتقول لابد لكل ثانية من ثالثه * وتعد بأنها لا تعود فى عقد هذه العزيمة نافثه * وتنشد قول القائل ولربما نثر الجمان تعمدا * ليعود أحسن فى النظام وأجملا وتقيم العذر بأن تلك النسخة وقعت بين سمع الارض وبصرها * حيث لم يوقف على أثرها ولم يسمع بخبرها * وضاعت بين الباب والطاق * ولم تظفر بقبول ولا نفاق * ولو كانت حصلت فى الخزائن المولوية السلطانيه * الملكية الكاملية الناصريه * شرفها الله لتوشحت صدور مجالسه بعقودها * وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها * ولدارت كؤسها * وجليت عروسها * ولأشرقت

وقيل ان أباه أوجه اياه وقد كان سبق الى قيصر رجل من بنى أسد يقال له الطماح فوشى به الى قيصر فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا معه حلة مسمومة وقال له اقرأ عليه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فألبسه اياها فلما فعل تنفط بدنه وكان يحمل فى محفة وذلك حيث يقول لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

وكان الطماح قبل ذلك قد عبث بامرأة من قومه فسعى به فهرب فأراد كما سعى به أن يسعى به ثم ان امرأ القيس لما بلغ أنقرة طعن فى ابطه واقام عنده أصحابه وكان نزوله الى جانب جبل والى جانبه قبر لابنة بعض الملوك فسأل عنه فأخبر فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينى تسعدى بمودتى * وان تقطعينى فالغريب غريب

ثم مات هناك فدفن بأنقرة وكان آخر ما تكلم به

رب طعنة مثعنجره * وخطبة مستحضره * وجفنة مدعثره * وقصيدة محبره * تبقى غدا بأنقره

﴿وفاحما ومرسنا مسرجا﴾

قائله رؤبة بن العجاج وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة أولها

ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمى أنهجا

أمسى لها فى الراسسات مدرجا * واتخذته النائحات منأجا

منازل هيجن من تهيجا * من آل ليلى قد عفون حججا

ولم نخط قطاع رجاء من رجا * أزمان أبدت واضحا مفلجا

أغر براقا وطرفا أبرجا * ومقلة وحاجبا مزججا

وبعده البيت وبعده وكفلا وعثا اذا ترجرجا

الفاحم الاسود وأراد شعرا فاحما فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه والمرسن بفتح السين وكسرها الانف الذى يشد بالرسن ثم استعير لانف الانسان ومسرجا مختلف فى تخريجه فقيل من سرجه تسريجا بهجه وحسنه وقيل من قولهم سيوف سريجية منسوبة الى قين يقال له سريج شبه بها الانف فى الدقة والاستواء وقيل من السراج وهو قريب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء أى حسن والزجج دقة الحاجبين والمعنى ان لهذه المرأة الموصوفة مقلة سوداء وحاجبا مدققا مقوسا وشعرا أسود وأنفا كالسيف السريجى فى دقته واستوائه أو كالسراج فى بريقه وضيائه (والشاهد فيه) الغرابة فى مسرجا للاختلاف فى تخريجه (ورؤبة) قائل هذا البيت هو أبو محمد بن العجاج واسمه عبد الله البصرى التميمى السعدى سمى باسم قطعة من الخشب يشعب بها الاناء وهى بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الاراجيز وهما مجيدان وكان رؤبة هذا بصيرا باللغة قيما بحوشيها وغريبها (حكى) يونس بن حبيب النحوى قال كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه شبيل بن عروة الضبعى فقام اليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه يعنى رؤبة قال يونس فلم أملك نفسى عند ذكره فقلت لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة والروبة والروبة والروبة والروبة وأنا غلام رؤبة فلم يحر جوابا وقام مغضبا فأقبل على أبو عمرو وقال هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به فقلت لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو أوسلطت على تقويم الناس ثم فسر يونس ما قاله فقال الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل والروبة الحاجة يقال فلان ما يقوم بروبة أهله أى بما أسندوا اليه من حوائجهم والروبة

رونقها وعبقت أزهارها * وسارت شواردها * وطارت أوابدها * كيف لا والفضل تبسم وقد طاب ختامه * وشق كمامه * وأسكب غمامه * وأقمر بإنشائه * وأفعم حياضه * وهو دام الله أيامه ولى العهد ووارث الملك * وواسطة السلك * وهو الذى سارت قصائدك اليه * وحثتك آمالك فيما لديه * فلى بابه تفرجت * ومنه تدرجت * واليه لما نبت بى البلاد عرجت * فرجعت فى الجناب الذى طلع هلالك حتى صار بدرا * وجرى جدولك حتى عاد بحرا * ورثت منه ملكا الا أنه بشر * وأسدا الا أنه قمر * ويعرابيه أنه يسطو وبرستيه ببر * ولقيت منه بحرا لعطاء الذى يزخر مده * وليث لسطاه الذى يتمرشده * فحين نظرت حررهما الحق وأوصحه * وأنرمصباحه بل أصباحه * ضم لمملوك جميع ما حصله من بدائع البسد أولا وأخرا * وأخرا ووسطا * ورتب جميع على الشرط الاول من ترتيب الحكايات والأخبار * على ترتيب الاعصار * الا ما قنضى سبيه فرط تشابهه وتشاكله * وزيادة مقاربته وتماثله * وهو ولم يحمه قبلى أحد * ولا سطرته قبل يدى يد * ولديه من المملوك منه الغنى

جمام ماء الفحل والروبة بالهمز القطعة التي يشعب بها الاناء والجميع بضم الراء وسكون الواو الا رؤبة فانه بالهمز وقيل ليونس من أشعر الناس فقال العجاج ورؤبة فقيل له لم نعن الرجاز قال هما أشعر أهل القصيد وانما الشعر كلام وأجوده أشعره قال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * فهي نحو

من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كلها لكانت منصوبة وكذلك عامة أراجيزهما وعن ابن قتيبة قال كان رؤبة يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة وهل يأكل الفأر الا نقي البر ولباب الطعام وحدث أبو زيد الانصاري النحوي قال دخل رؤبة ابن العجاج السوق وعليه برنكاني أخضر فجعل الصبيان يعبثون به و يغرزون شوك النخل في برنكانه و يصيحون به يا مردوم يا مردوم فجاء الى الوالي فقال أرسل معي الوزعة فان الصبيان قد حالوا بيني وبين السوق فأرسل معه أعوانا فشد على الصبيان وهو يقول

انحى على أمك بالمردوم * أعور جعد من بني تميم * شراب ألبان خلايا كوم

قال فجعلوا يعدون بين يديه حتى دخلوا دارا في الصيارفة فقال له الشرطي أين هم قال دخلوا دار الظالمين فسميت الى الآن دار الظالمين لقول رؤبة وهي في صيارفة سوق البصرة

(وعن المدائني) قال قدم البصرة راجز من رجاز المدينة فجلس الى حلقة فيها الشعراء فقال أنا أرجز العرب أنا الذي أقول مروان يعطي وسعيد يمنع * مروان نبع وسعيد خروع

وددت اني راهنت من أحب في الرجز يدا بيد والله لأنا أرجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينه قال والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه فأقبل رؤبة على أبيه فقال قد أنصفك الرجل فأقبل عليه العجاج فقال ها أنا ذا العجاج فهلم وزحف اليه فقال وأي العجاجين أنت قال ما خلتك تعني غيري أنا أبو عبد الله الطويل وكان يكنى بذلك فقال له المدني ما عنيتك ولا أردتك قال كيف وقد هتفت باسمي قال أو ما في الدنيا عجاج سواك قال ما علمت قال ولكني أعلم واياه عنيت قال فهذا ابني رؤبة قال اللهم غفرا ما بيني وبينكما عمل وانما مرادي غيركما قال فضحك أهل الحلقة وكفا عنه (وعن) عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال أخرج شاهين ابن عبد الله الثقفي رؤبة معه الى أرضه فقعدوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤبة فيه

يا اخوتي جاء الخوان فارفعوا * حنانة كعابها تقعقع * لم أدر ما ثلاثها والاربع

قال فضحكنا ورفعناها وقدم الطعام وكان رؤبة مقيما بالبصرة فلما ظهر بها ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج الى البادية ليجتنب الفتنة فلما وصل الى الناحية التي قصدها أدركه أجله بها فتوفي في سنة خمس وأربعين ومائة وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود قال لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم فقلت له كيف ذلك قال حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج وكان قد أسن رحمه الله وقد سمع أباه وأبوه سمع أبا هريرة رضي الله عنه (وقال النسائي) وليس هو بالقوي وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وحاد يحدو طاف الخيالان فهاجا سقما * خيال لبنى وخيال تكتما

قامت تريك خشية أن تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر وحدث أبو عبيدة الحداد قال حدثنا رؤبة بن العجاج قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول السواك يذهب وضر الطعام وهذا الخبر يدل على انه سمع من أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم ومن شعره أيها الشامت المعير بالشيب * أقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضا طريا * فوجدت الشباب ثوبا معارا

(الحمد لله العلي الاجلل)

قائله أبو النجم وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة و بعده

في قده * الى الفذ في سلطانه * والغريب في حسنه * الى الغريب في احسانه * وجملة ما في هذا الكتاب * لا تعدو ما في خمسة أبواب

(الباب الاول) في بدائع بدائه الاجوبة

(الباب الثاني) في بدائع بدائه الاجازة

(الباب الثالث) في بدائع بدائه التمليط

(الباب الرابع) في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد

(الباب الخامس) في بقية بدائع البدائه

ولا بد من تقدمة فصلين قبل سياقة الابواب أحدهما في اشتقاق البديهة والارتجال * والثاني في الفرق بينهما

(الفصل الاول في الارتجال)

الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة ومنه قيل شعر رجل اذا كان سبطا غير جعد ومسترسلا غير منقبض وقيل من ارتجال البئر وهو أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة * والبديهة مشتقة من بده يبده بمعنى بدأ يبدأ أبدلوا الهمزة هاء لقرب مخرجهما كما قالوا لهنك بمعنى لانك وكما أبدلوا الهاء

الواهب الفضل الوهوب المجزل * أعطى فلم يبخل ولم يبخل

(والشاهد فيه) مخالفة القياس اللغوى فى قوله الأجلل اذ القياس الأجل بالادغام وأبو النجم اسمه الفضل ابن قدامة بن عبيد الله العجلى وهو من رجاز الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الاولى منهم وفد على هشام بن عبد الملك وقد طعن فى السن فقال يا أبا النجم حدثنى قال أعنى أو عن غيرى قال بل عنك قال انى لما كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيأ أبول فيه فقمت من الليل أبول فخرج منى صوت فتشددت ثم عدت فخرج منى صوت آخر فأويت الى فراشى وقلت يا أم الخيار هل سمعت شيأ قالت لا والله ولا واحدة منهما فضحك هشام (وعن أبى عبيدة) قال مازالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم

الحمد لله العلى الاجلل وقال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * وقال رؤبة وقاتم الاعماق خاوى المخترق

فانتصفوا منهم وعن أبى عمرو الشيبانى قال قال فتيان من عجل لابى النجم هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان بنى تميم قال أو تحبون ذلك قالوا نعم قال فائتونى بشئ من نبيذ فأتوه به فشربه ثم انتفض فقال

اذا اصطبحت أربعا عرفتنى * ثم تجشمت الذى جشمتنى

فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال هذا رجاز العرب وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم

الحمد لله العلى الاجلل * وكان من أحسن الناس انشادا فلما فرغ منها قال له رؤبة هذه أم الرجز ثم قال يا أبا النجم قربت مرعاها اذ جعلتها بين رجل وابنه يوهم عليه انه حيث قال

تبقلت من أول التبقل * بين رماحى مالك ونهشل

انه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة فقال له أبو النجم هيهات الكمر تتشابه أى انما أريد مالك ابن ضبيعة بن قيس ونهشل قبيلة من ربيعة وعن أبى برزة المربدى قال خرج العجاج مختالا عليه جبة من خز وعمامة من خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه وأنشدهم

قد جبر الدين الاله فجبر * وذكر فيها ربيعة فهجاهم فجاء رجل من بنى بكر بن وائل الى أبى النجم وهو فى بيته فقال أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد قد اجتمع عليه الناس فقال صف لى حاله وزيه الذى هو فيه فوصف له فقال ابغنى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهناء فجاء بالجمل فأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فى السراويل واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد فلما دنا من العجاج قال اخلع خطامه فخلعه وأنشد * تذكر القلب وجهلا ما ذكر * فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى بلغ قوله

شيطانه أنثى وشيطانى ذكر * فعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج منه وورد أبو النجم على هشام ابن عبد الملك فى الشعراء فقال لهم هشام صفوا الابل فقيدوها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر اليها فأنشدوه وأنشده أبو النجم * الحمد لله العلى الاجلل * حتى بلغ الى ذكر الشمس فقال فهى على الافق كعين فأراد أن يقول الاحول ثم ذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه فقال هشام أجز فقال كعين الأحول وأتم القصيدة فأمر هشام بوجء عنقه واخراجه من الرصافة وقال لصاحب شرطته يا ربيع اياك وأن أرى هذا فكلم وجوه الناس صاحب شرطته أن يقره ففعل فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى المساجد قال أبو النجم ولم يكن بالرصافة أحد يضيف الا سليم بن كيسان الكلبى وعمرو بن بسطام التغلبى فكنت آتى سليما فأتغدى عنده وآتى عمروا فأتعشى عنده وآتى المسجد فأبيت قال فاغتم هشام ليلة وأمسى لقس النفس وأراد محدثا يحدثه فقال لخادم ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر فخرج الخادم الى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه برجله وقال قم أجب أمير المؤمنين فقال انى رجل أعرابى غريب فقال اياك أبغى هل تروى الشعر قال نعم وأقوله فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب قال فأيقن أبو النجم بالشر ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع بين يديه يزهر فلما دخل قال له هشام أبو النجم قال نعم يا أمير المؤمنين طريدك قال اجلس فسأله

أيضا بالهاء لقربها منها فقالوا مدح ومده واشتقاق الارتجال والبديهة وان كان متقاربين الا أن أهل هذه الصناعة ميزوا كل واحد منهما عن الآخر بما سنذكره فى الفصل الثانى

﴿الفصل الثانى﴾ الارتجال هو أن ينظم الشعر ما ينظم فى أوحى من خطف البارق وانقض الشارق وأسرع من لفتة العاشق ونفوذ السهم المارق حتى يجعل ما يعمل محفوظا أو مرتبا مطبوعا من غير حاجة الى كتابة ولا تعلل بتقفيه وتفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع اليهم ولا يجوز عنهم العدول بشهادة على استطاعته وأن ذلك المنظوم ابن ساعته * والبديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلا ويفكر فكرا قصيرا لا طويلا فان أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية وخرجت من حد البديهة الى حد الروية وعند ذلك تقصر نهضة الاقتدار عن بلوغ ذلك المضمار اذ المرتجل والبادهة يقنع منهما بالردىء اليسير ولا يقنع من المروى الا بالجيد الكثير وكفاك فى ذكرهما قول ابن المعتز

وقال له أين كنت تأوى وأين منزلك فأخبره قال وكيف اجتماعك قال كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند الآخر قال وأين كنت تبيت قال فى المسجد حيث وجدنى رسولك قال ومالك من الولد والمال قال أما المال فلا مال لى وأما الولد فلى ثلاث بنات وبنى يقال له شيبان فقال هل أخرجت من بناتك أحدا قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز فى أبياتنا كأنها نعامة قال وما أوصيت به الاولى وكانت تسمى برة بالراء فقال

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا

لا تسأمى ضربا لها وجرا * حتى ترى حلو الحياة مرا

وان كستك ذهبا ودرا * والحى عمهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للاخرى قال قلت

سبى الحماة وابهتى عليها * وان دنت فازدلفى اليها * وأوجعى بالنهز ركبتيها

ومرفقيها واضربى جنبيها * وظاهرى البدى لها عليها * لا تخبرى الدهر به ابنتيها

قال فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه وقال ويحك ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده فقال ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين قال فما قلت للثالثة قال قلت

أوصيك يا بنتى فانى ذاهب * أوصيك أن تحمدك الاقارب * والجار والضيف الكريم الساغب

ويرجع المسكين وهو خائب * ولا تنى أظفارك السلاهب * لهن فى وجه الحماة كاتب

* والزوج ان الزوج بئس الصاحب *

قال فكيف قلت هذا ولم تتزوج وأى شئ قلت فى تأخر تزويجها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان

الرأس قمل كله وصيبان * وليس فى الساقين الا خيطان

* تلك التى يفزع منها الشيطان *

قال فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصى كم بقى من نفقتك قال ثلثمائة دينار قال أعطه اياها ليجعلها فى رجل ظلامة مكان الخيطين ﴿ودخل﴾ أبو النجم يوما على هشام وقد مضت له سبعون سنة فقال له هشام ما رأيك فى النساء قال انى لا أنظر اليهن شزرا وينظرن الى حذرا فوهب له جارية وقال له اغد على فأخبرنى ما كان منك فلما أصبح غدا عليه فقال له ما صنعت شيأ ولا قدرت على شئ وقلت فى ذلك أبياتا

نظرت فأعجبها الذى فى درعها * من حسنه ونظرت فى سرباليا

ضيفا يعض بكل عرد ناله * كالصدغ أو صدع يرى متجافيا

فرأت لها كفلا ينوء بخصرها * وعثار وادفه وأجثم نابيا

ورأيت منتشر العجان مقلصا * رخوا مفاصله وجلدا باليا

أدنى له الركب الحليق كأنما * ادنى اليه عقاربا وأفاعيا

ان الندامة والسدامة فاعلمن * لو قد خبرتك للمواتى حاليا

ما بال رأسك من ورائى طالما * أظننت أن حر الفتاة ورائيا

فاذهب فانك ميت لا ترتجى * أبد الابيد ولو عمرت لياليا

أنت الغرور اذا خبرت وربما * كان الغرور لمن رجاه شافيا

لكن ايرى لا يرجى نفعه * حتى أعود أخا فتاه ناشيا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى ﴿وحدث﴾ أبو الازهر ابن بنت أبى النجم عن أبى أمه أنه كان عند عبد الملك بن مروان ويقال عند سليمان بن عبد الملك يوما وعنده جماعة من الشعراء وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذب عنه فقال من صبحنى بقصيدة يفتخر فيها وصدق فى فخره وهبته هذه الجارية قال فقاموا على ذلك ثم قالوا ان أبا النجم يغلبنا بقطعاته يعنون الرجز

والفكر قبل القول يؤمن زيغه

شتان بين روية وبديه

(وقول ابن جريج)

نار الروية نار جد منضجة

وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها

لكنه عاجل يمضى مع الريح

وحسبك بهروب امام الشعراء وفاتكهم من البديهة فما ظنك بالارتجال واذا كان عبد الله بن وهب الراسى رئيس الخوارج فى يوم النهروان يقول وهو البدوى الفصيح والعربى الصريح اياكم والرأى الفطير والكلام القضيب يقول هذا فى مطلق الكلام وهو غير مقيد بوزن ولا قافية فكيف الظن بالمقيد بهما العمرى انه لمقام يجبن فيه الشجاع ويكذب فيه رائد الفكر فى طلب الانتجاع

﴿الباب الاول فى بدائع بدائه الاجوبة﴾

فمن ذلك ما أخبرنى به الشيخ الفقيه الاجل أبو محمد عبد الخالق بن صالح بن زيدان المسكى وكتب لى بخطه قال أملى على الشيخ العلامة أبو محمد بن برى رحمه الله قال لقى عبيد بن الابرص امرأ القيس فقال له عبيد كيف معرفتك بالاوابد فقال ألق ما أحببت فقال عبيد

ما حبة ميتة أحيت بميتتها

درداء ما أنبتت سنا وأضراسا

(فقال امرؤ القيس)

فقال ألا لا أقول الا قصيدا فقال من ليلته قصيدته التي نخر فيها وهي علق الفؤاد حبائل الشعثاء ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده حتى بلغ الى قوله

منا الذي ربع الجيوش لصلبه * عشرون وهو يعد في الاحياء

قال له عبد الملك أو سليمان قف ان كنت صدقت في هذا البيت فلا تزد ما وراءه فقال الفرزدق أنا أعرف منهم ستة عشر ومن ولده وولد ولده أربعة كلهم قد ربع فقال عبد الملك أو سليمان ولد ولده هم ولده ادفع اليه الجارية ياغلام قال فقلبهم يومئذ (وحدث) الاصمعي قال قال أبو النجم للعديل بن الفرخ أرأيت قولك

فان تك من شيبان أمي فانني * لأبيض عجلي عريض المفارق

أكنت شاكا في نسبك حتى قلت مثل هذا فقال العديل أشككت في نفسك أو في شعرك حين قلت

أنا أبو النجم وشعري شعري * لله دري ما يجن صدري

فأمسك أبو النجم واستحيي وكانت وفاته آخر دولة بني أمية

﴿كريم الجرشي شريف النسب﴾

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من بحر المتقارب وكان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب قد أنفذ اليه كتابا بخطه الى الكوفة بأمان وسأله المسير اليه فأجابه بهذه القصيدة

فهمت الكتاب أبر الكتب * فسمعا لأمر أمير العرب
وطوعا له وابتهاجا به * وان قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة * فان الوشاة طريق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم * وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه * وينصرني قلبه والحسب
وما قلت للبدر أنت اللجين * ولا قلت للشمس أنت الذهب
فيقلق منه البعيد الاناة * ويغضب منه البطيء الغضب
وما لاقني بعدكم بلدة * ولا اعتضت من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والغبب
وما قست كل ملوك البلاد * فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم باسمه * لكان الحديد وكانوا الخشب
أفي الرأي يشبه أم في السخا * ء أم في الشجاعة أم في الادب
مبارك الاسم أغر اللقب * كريم الجرشي شريف النسب
أخو الحرب يخدم مما سبى * قناه ويخلع مما سلب
اذا حاز مالا فقد حازه * فتى لا يسر بما لا يهب

وهي طويلة والجرشي بكسر الجيم والراء مقصورا النفس وأشار بقوله مبارك الاسم الى أن اسم الممدوح علي وهو اسم مبارك يتبرك به لمكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولانه مشتق من العلو والعلو مبارك ومعنى أغر اللقب مشهوره لانه سيف الدولة والاغر من الخيل الذي في وجهه غرة وهي البياض استعير لكل واضح معروف (والشاهد فيه) كراهة السمع للفظة تكون في البيت كالجرشي هنا (وأبو الطيب) اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي أخطار امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده ولما أطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ومدح كافورا الاخشيدي وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم يلحق وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث
أكداسا
(فقال عبيد)
ما السود والبيض والاسماء
واحدة
لا يستطيع لهن الناس
تمساسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك السحاب اذا الرحمن
أرسلها
روى بها من محول الارض
أيباسا
(فقال عبيد)
ما مرتجاة على هول مراكبها
يقطعن طول المدى سيرا
وامراسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك النجوم اذا حانت مطالعها
شبهتها في سواد الليل اقباسا
(فقال عبيد)
ما القاطعات لارض لا أنيس
بها
تأتي سراعا وما يرجعن انكاسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الرياح اذا هبت عواصفها
كفى بأذيالها للترب كناسا
(فقال عبيد)
ما الفاجعات جهارا في علانية
أشد من فيلق مملوءة باسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك المنايا فما يبقين من أحد
يكفتن حيا وما يبقين أكياسا
(فقال عبيد)
ما السابقات سراع الطير في
مهل
لا تشتكين ولو ألجمتها فاسا
(فقال امرؤ القيس)

ابن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدي في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد ويقال انه قال شيأ في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب مفتخرة ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف وسيف الدولة كان يعطي طبعا فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديدا ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل فقتل ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسير وامعه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ومولده كان في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعيدان ثم انتقل الى الشام ولده والى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ * ـل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع في الكوفة المـا * ء وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسدا له على فضله وتمكنه من الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج فقال جاريا على عادته في السخف والمجون

يا ديمة الصفع صبي * على قفا المتنبي ويا قفاه تقدم * حتى تصير بجنبي

وأنت يا ريح بطني * على سباليه هبي ويقول فيها ان كنت أنت نبيا * فالقرد لا شك ربي

وقال فيه أيضا من قصيدة قل لي وطرطورك هذا الذي * في غاية الحسن شوابيره

ماضره اذ جاء فصل الشتا * لو أن شعرا سقي سموره

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شئ الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى وظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة وقال أبو الفتح بن جني قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الى قوله في كافور الاخشيدي

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة * فلا أشتكي فيها ولا أتعتب

وبي ما يذود الشعر عني أقله * ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع ألست القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذي أعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه والناس في شعره على طبقات فنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له ما يزيد على أربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل به بيتان وهما أبعين مفتقر اليك نظرتني * فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القسم المظفر بن علي الطبسي بقوله

لارعى الله سرب هذا الزمان * اذ دهانا في مثل ذاك اللسان * ما رأى الناس ثاني المتنبي

أي ثان يرى لبكر الزمان * كان من نفسه الكبيرة في جيـ * ـش وفي كبرياء ذي سلطان

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا
كانوا لهن غداة الروع أحلاسا
(فقال عبيد)
ما القاطعات لارض الجو في طلق
قبل الصباح وما يسرين قرطاسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الاماني يتركن الفتى ملكا
دون السماء ولم ترفع به راسا
(فقال عبيد)
ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر
ولا لسان فصيح يعجب الناسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الموازين والرحمن أنزلها
رب البرية بين الناس مقياسا
ومثل هذا وان تفاوت ما بين الاعصار ولم يكن من باب الالغاز ما ذكر أن الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسي وهو من ولد العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ويعرف بالبياضي كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور وتعرف بجارية بنت الملك وفيها يقول
شكا القلب ظلمته في الحشى
الي فأسكنت فيه بدورا
وكانت تنزل ببغداد في القطيعة فاجتمع يوما هو وأبو تراب هبة الله بن السري وكان شاعرا فقال بديها يخاطب الشريف
أسلوت حب بدور أم تتجلد
وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

هو في شعره نبيّ ولكن * ظهرت معجزاته في المعاني

﴿ويحكى﴾ أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوماً في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيي المطي ورازمه

وجعل يردده استحساناً له وفي مجالسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي فانشد ارتجالاً

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى * بأنك تروى شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيى

لابن يحيى مآثر * بلغت بي الى السها جاد شعري بجوده * واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ورثاه أيضاً محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضي قدمه ومريقي دمه فمنها

قرت عيون الاعادي يوم مصرعه * وطالما سخنت فيه من الحسد

ومنها

أبا شجاع فتى الهيجاء وفارسها * ومشترى الشكر بالانفاق والصفد
هذي بنو أسد جاءت بمؤيدة * صماء ناجمة هدت ذرى أحد
سطت على المتنبي من فوارسها * سبعون جاءته في موج من الزرد
حتى أتت وهو في أمن وفي دعة * يسير في ستة ان تحص لم تزد
كرّت عليه سراعاً غير وانية * فغادرته قرين الترب والثأد
من بعد ما أعملت فيهم أسنته * طعناً يفرق بين الروح والجسد
فاطلب بثار فتى مازلت تعضده * لله درك من كهف ومن عضد
أرتك العيون عليهم أية سلكوا * وضيق الارض والاقطار بالرصد
شردهم بجيوش لا قوام لها * تاتي على سبد الاقوام واللبد

ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرقي النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبني أسد يقول في أولها

الدهر أنكى والليالي أنكد * من أن تعيش لاهلها يا أحمد
قصدتك لما أن رأتك نفيسها * بخلا بمثلك والنفائس تقصد
ذقت الكريهة بغتة وفقدتها * وكريه فقدك في الورى لا يفقد
قل لي ان اسطعت الجواب فانني * صب الفؤاد الى خطابك مكمد

ومنها

أتركت بعدك شاعراً والله لا * لم يبق بعدك في الزمان مقصد
أما العلوم فانها يا ربها * تبكى عليك بأدمع لا تجمد
يا أيها الملك المؤيد دعوة * ممن حشاه بالاسى يتوقد
هذي بنو أسد بضيفك أوقعت * وحوت عطاءك اذ حواه الفرقد
وله عليك بقصده ياذا العلا * حق التحرم والذمام الاوكد
فارع الذمام وكن لضيفك طالباً * ان الذمام على الكريم مؤبد

وأخبار المتنبي وما جرى له كثيرة وسيأتي طرف منها ومن شعره في أثناء هذا الكتاب

﴿وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر﴾

والبيت من الرجز ولا يعرف قائله ويقال انه من شعر الجن قالوه في حرب بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حية منهم قتلها الغفل الذي كان فيه ودفن ببادية بعيدة وكان حرب المذكور مصافياً لمرداس السلمي أبي العباس الصحابي فقتلهما الجن جميعاً وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها والعرب في أشعارها (ذكر) أبو

(فقال الشريف بديهاً)
لا بل هم ألفوا القطيعة مثل ما
ألفوا زوطهم اقتبعدوا
(فقال أبو تراب)
فلام تصبر والنوى متيم
ولظى اشتياقك في الحشا يتوقد
(فقال الشريف)
مادام لي جلد فلست بجازع
اذ كان صبري في العواقب يحمد
(فقال أبو تراب)
أحسنت كتمان الهوى متحسن
لو كان ماء العين عنه يجمد
(فقال الشريف)
ان كان جفني فاضحي بدموعه
أطهرت للجلساء أني أرمد
(فقال أبو تراب)
فهب الدموع اذا جرت موهتها
فيقال لم أنفاسه تتصعد
(فقال الشريف)
أمشي وأسرع كي يظنوا أنها
من ذلك المشي السريع تولد
(فقال أبو تراب)
هذا يجوز ومثله مستعمل
لكن وجهك بالمحبة يشهد
(فقال الشريف)
ان كان وجهي شاهداً بهوى فما
يدري لي من بالمحبة أقصد
(فقال أبو تراب)
قد رجم الناس الظنون وأجمعوا

عبيدة وأبو عمرو الشيباني أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مر بالقرية وهي اذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فقال له مرداس بن أبي عامر أما ترى هذا الموضع قال بلى فما له قال نعم المزدرع هو فهل لك أن تكون شريكي فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك قال نعم فأضرما النار في الغيضة فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها فقال مرداس في ذلك

انى انتخبت لها حربا واخوته ❊ انى بحبل وثيق العهد دساس

انى أقوم قبل الامر حجته ❊ كيما يقال ولي الامر مرداس

قال فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة

ويل لحرب فارسا ❊ مطاعنا مخالسا ❊ ويل لحرب فارسا ❊ اذ لبسوا القوانسا

لنقتلن بقتله ❊ جحاجحا عنابسا

ولم يلبس حرب بن أمية ومرداس أن ماتا فأما مرداس فدفن بالقرية ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن عمرو السلمي ثم الظفري فقال في ذلك عباس بن مرداس

أكليب مالك كل يوم ظالما ❊ والظلم أنكد وجهه ملعون

عجبا لقومك يحسبونك سيدا ❊ وأخال انك سيد مغبون

فاذا رجعت الى نسائك فادهن ❊ ان المسالم رأسه مدهون

وافعل بقومك ما أراد بوائل ❊ يوم الغدير سميك المطعون

وأخال أنك سوف تلقى مثلها ❊ في جانبيك سنانها المسنون

ان القرية قد تبين أمرها ❊ ان كان ينفع عندك التبيين

حين انطلقت تخطها لى ظالما ❊ وأبو يزيد بجوها مدفون

وقد روى البيت بلفظ وما بقرب قبر حرب قبر ❊ ويقال انه لا يتهيأ لاحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتتعتع وقرب وقع خبر الليس وكان من حقه أن يقول قرب قبره فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع (والشاهد فيه التنافر) لما في هذه الالفاظ من ثقل النطق بها ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين الى الادغام لانتقال اللسان فيه اليهما انتقالة واحدة وشبهوا النطق بالمتقاربين بمشي المقيد

(كريم متى أمدحه أمدحه والورى)

قائله أبو تمام الطائي وتمامه ❊ معي واذا ما لمته لمته وحدي ❊ وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا المغيث موسى بن ابراهيم ويعتذر اليه وأولها

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ❊ ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد اتهام داركم ❊ فيادمع أنجدني على ساكني نجد

لعمري لقد أخلقتم جدة البكا ❊ بكاء وجددتم على بلى الوجد

الى أن قال في مديحها

أتاني مع الركبان ظن ظننته ❊ نكست له رأسي حياء من المجد

لقد نكب الغدر الوفاء بساحتي ❊ اذا وسرحت الذم في مسرح الحمد

وهتكت بالقول الخنا حرمة العلا ❊ وأسلكت حر الشعر في مسلك العبد

نسيت اذا كم من يد لك شاكلت ❊ يد القرب أعدت مستهاما على البعد

ومن زمن ألبستنيه كأنه ❊ اذا ذكرت أيامه زمن الورد

وانك أحكمت الذي بين فكرتي ❊ وبين القوافي من زمام ومن عهد

أن التي ذكرت اليها المقصد

(فقال الشريف)

لو يجمعون كما زعمت لما رووا

لي في سواها ما نظمت وأنشدوا

(فقال أبو تراب)

قد كان حبك غيرها متحققا

والامر يحدث والهوى يتجدد

(فقال الشريف)

حققت حبي غيرها وجعلتها

مظنونة ذا كله لي جيد

(فقال أبو تراب)

لو لم تقل ألفوا القطيعة جاز أن

تنفي به بدر التمام وتجحد

(فقال الشريف)

ما قلت لي جلد نفيت به الهوى

عني ولكن قلت في تجلد

(فقال أبو تراب)

فالى متى هذا وطرف رقيبها

مغض وطيف خيالها متردد

(فقال الشريف)

أنا دائبا أبغي الوصال فان أبت

منه على عاداتها فسأجهد

(فقال أبو تراب)

اخضع وذل لمن تحب فليس في

حكم الهوى أنف يشال ويعقد

(فقال الشريف)

ذا لا يكون مع الحبيب وانما

مع ساقط متحيل يتعمد

(أنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد

وأصابت شعري فاعتلى رونق الضحى * ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد
وكيف وما أخللت بعدك بالحجا * وأنت فلم تخلل بمكرمة بعدي
أسربل هجر القول من لو هجوته * اذا لهجاني عنه معروفه عندي

وبعده البيت وبعده

ولو لم يزعني عنك غيرك وازع * لأعديتني بالحلم ان العلا تعدي

(ومعنى البيت) هو كريم اذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه لاسداء احسانه اليهم كاسدائه الي ولا أمدحه بشيء الا صدقني الناس فيه وأن الناس وافقوني على وجود ما يوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه واذا لمته لا يوافقني أحد على لومه لعدم وجود المقتضي له فيه وفي معناه قول الآخر

واذا شكوت للمته أجد لي مسعدا * ورميت فيما قلت بالبهتان

وقد ناقض هذا المعنى ابن أبي طاهر بقوله

يشركني العالم في ذمه * لكنني أمدحه وحدي

وطاهر العتابي المعروف بالمعتمد البغدادي بقوله

مدحتهمو وحدي فلما هجوتهم * هجوتهمو والناس كلهمو معي

(والشاهد فيه التنافر أيضا) لما في قوله أمدحه من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء لان المخارج كلما قربت كانت الالفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة في أماكنها واذا بعدت كانت بعكس الاول ولهذا لم يوجد في كلام العرب العين مع الغين ولا مع الحاء ولا مع الخاء ولا الطاء مع التاء حذرا مما مر وأيضا فيه ثقل من جهة التكرار في أمدحه ولمته ومن قبيح التكرار قول الشاعر

وازور من كان له زائرا * وعاف عافي العرف عرفانه

(وأبو تمام) اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الاشج بن يحيى بن مروان ينتهي الى طيئ قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور من أعمال دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوسا وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وسبعين ونشأ بمصر وقيل انه كان يسقي الماء بالجرة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده ثم اشتغل وتنقل الى أن صار واحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وله كتاب الحماسة الذي دل على غزارة فضله واتقان معرفته وحسن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وكان في لسانه حبسة وفي ذلك يقول ابن المعذل أو أبو العميثل

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى ابن مريم * أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء في معرض المدح ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سنا الملك في قواد

لي صاحب أفديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه انه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

ومنه قول ابن أبي الاصبع يهجو فقيها ذا أبنة

ابن فلان أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه * وهو فقيه ذو اجتهاد وقد
نص على التقليد في درسه * يستحسن البحث على وجهه * ويوجب الفعل على نفسه

ووفد أبو تمام الى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله وكان في جماعة من أتباعه

وغلمانه

ابن أبي الفضل الانصاري المعروف بابن الحرستاني قاضي دمشق الآن أيدهما الله تعالى اجازة قالا أخبرنا الشيخ الفقيه الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي قراءة عليه ونحن نسمع قال أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلي أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو عبد الله ابن أبي الفتح الفارسي حدثنا محمد بن حميد الخزاز أخبرنا الصولي حدثني أبو الفضل بن شيخه بن ابان حدثنا اسحق الموصلي قال حدثنا الاصمعي قال أول ما تكلم به النابغة يعني الذبياني من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل وكان عمه يهاب أن يشاعر به الناس ويخاف أن يكون عييا فوضع الرجل كاسا في يده وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها * ونحتمل الجليس على أذاها

(فقال النابغة)

قذاها أن صاحبها بخيل * يحاسب نفسه بكم اشتراها

(ومن ذلك) ما روي أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي ولم يكن جرير رآه قبل فقال الوليد أتعرف هذا يا جرير فقال لا يا أمير المؤمنين فقال هو ابن الرقاع فقال جرير شر الثياب الرقاع قال ممن هو قال هو رجل من

وعلما انه خاف من قدومه أن عيل الناس اليه و يعرضوا عنه فكتب اليه قبل دخوله البلد

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وتلقاهمو بوجه مذال * لست تنفك راجيا لوصال

من حبيب أو راغبا في نوال * أى ماء يبقى لوجهك هذا * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الابيات أعرض عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه وقد تبعه الامير مجير الدين بن تميم بقوله

أنت بين اثنتين يا نجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده * لست تنفك راكبا ايرعبد

مسبطرا أو حاملا خف غاده * أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلى قصيدته البائية التى أولها

على مثلها من أربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال والله انها لدون شعرك ثم قال والله ما مثل هذا القول فى الحسن الا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسى فقال أبو تمام وأى ذلك أراد الامير قال قصيدتك الرائية التى أولها

لذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت والله انها لك فى فقال بل أفدى الامير بنفسى وأهلى وأكون المقدم قبله فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر ﴿وحدث﴾ الرياشى قال كان خالد الكاتب مغرما بالغلمان المرد ينفق عليهم كل ما يفيد فهوى غلاما يقال له عبد الله وكان أبو تمام الطائى يهواه أيضا فقال فيه خالد

قضيب بان جناه ورد * يحمله وجنة وخد   لم أثن طرفى اليه الا * مات عزاء وعاش وجد

ملك طوع النفوس حتى * عله الزهو حين يبدو   فاجتمع الصد فيه حتى * ليس لخلق سواه صد

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا تامنها قوله

شعرك هذا كله مفرط * فى برده يا خالد البارد

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به يا خالد يا بارد حتى وسوس وقد هجا أبا تمام فى هذه القصة فقال فيه

يا معشر المرد انى ناصح لكم * والمرء فى القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيبا منكم أحد * فداء وجعائه أعدى من الجرب

لا تأمنوا أن تحولوا بعد ثالثة * فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التى أولها

* أهن عوادى يوسف وصواحبه * أنكر عليه أبو العميثل وقال له لم لا تقول ما يفهم فقال له لم لا تفهم ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة وذكر الصولى انه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينية فلما انتهى الى قوله فيها

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى الفيلسوف وكان حاضرا الامير فوق ما وصفت فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وأنشد

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة فطنته وما ذكر من أنه أنشد القصيدة للخليفة وأن الوزير قال أى شئ طلبه فاعطه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لانه قد ظهر فى عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهى فقال أريد الموصل فأعطاه اياها فتوجه اليها وبقى هذه المدة ومات فشئ لا صحة له أصلا والصحيح ما ذكرناه وان الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين وتوفى بها سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل ثمان وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسى قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق ورثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم

عاملة فقال جرير هو من الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة تصلى نارا حامية قال ويلك يا مأمون فأنشأ جرير يقول

يقصر باع العاملى عن الندى

ولكن اير العاملى طويل

(فابتدر عدى فقال)

أأمك باذا أخبرتك بطوله

أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير ام لم أدر كيف أقول فوثب عدى فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول أجرنى منه يا أمير المؤمنين فالتفت الوليد الى جرير وقال وتربة عبد الملك لئن هجوته لالجمنك ولاسرجنك ولاطيفنك بدمشق فخرج جرير فصنع قصيدته التى أولها

حى الهدملة من ذات الاواعيس

فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم وهجا قحطان وعرض بعدى ولم يسمه فقال

اقصر فان نزارا لا يفاخرهم

فرع لئيم وأصل غير مغروس

وابن اللبون اذا مالز فى قرن

لم يستطع صولة البزل القناعيس

(ومن ذلك) ما رواه عوانة ابن الحكم ويحيى بن عيينة القرشى قالا اجتمع جرير والفرزدق عنده بشر بن

بقوله وهو يومئذ وزير وقيل انه للاي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية

نبأ أتى من أعظم الانباء * لما ألم مقلقل الاحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم * ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

وحكى ابن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت ابن عنين عن معنى قوله

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت * من الموصل الحدباء الا قبورها

ولم حرّمها وخص القبور قال لاجل أبي تمام ومن محكم شعره قوله من قصيدة

أخرست اذ عاينتني حتى اذا * ماغبت عن بصري ظللت تشدّق
عيرٌ رأى أسد العرين فهاله * حتى اذا ولى تولى ينهق
هيهات غالك أن تنال مآثري * است بها سعة وباع ضيق
قل ما بدا لك يا ابن برما فالصدى * بهذب العقبان لا يتعلق
أأنعشت حتى عبتهم قبلي متى * فرزنت سرعة ما أرى يا بيدق
ايك يعني القائلون بقولهم * ان الشقي بكل حبل يخنق
فلتعلمن حريم من واهاب من * وقديم من وحديث من يتمزق

وقوله من قصيدة أخرى

أعوام وصل كاد ينسي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت * نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وقد اختصر معنى هذه الابيات المتنبي في قوله

قصرت مدة الليالي المواضي * فأطالت بها الليالي البواقي

ولابن النارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المعجز وهو

أعوام اقباله كاليوم في قصر * ويوم اعراضه في الطول كالحجج

وديوانه نظمه مشهور وقد نثرت من لآلئه في أثناء هذا المؤلف ما فيه غنى ان شاء الله تعالى

﴿ وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه ﴾

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يمدح بها ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان (والشاهد فيه التعقيد) وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد اما لخلل في نظم الكلام فلا يتوصل منه الى معناه أولا نتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا والاول هو الشاهد في البيت (والمعنى فيه) وما مثله يعني الممدوح في الناس حي يقاربه أي أحد يشبهه في الفضائل الا مملكا يعني هشاما أبو أمه أي أبو أم هشام أبوه أي أبو الممدوح فالضمير في أمه للملك وفي أبوه للممدوح ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره بأجنبي وهو حي وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعته بأجنبي وهو أبوه وقدم المستثنى على المستثنى منه فهو كما تراه في غاية التعقيد وكان من حق الناظم أن يقول وما مثله في الناس أحد يقاربه الا مملك أبو أمه أبوه ومن التعقيد قول الفرزدق أيضا

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

أي الى ملك أبوه ما أمه من محارب أي ما أمه منهم ومثله قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

ومثله قول الشاعر

فما من فتى كنا من الناس واحدا * به نبتغي منهم عديلا نبادله

أي فما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدا منهم عديلا نبادله به وقول الآخر

وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم * من الناس دينا جاءه وهو مسلم

أي وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو أي جاءه معا ومثله قول أبي تمام

مروان فقال لهما انكما قد تعارضتما بالاشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما فاما التهاجي فلا حاجة لي فيه ولكن جدّدا بين يدي فخرا ودعا ما مضى فقال الفرزدق

نحن السنام والمناسم غيرنا * ومن ذا يسوّي بالسنام المناسما

(فقال جرير)

على معقد الاسناد أثبت عزمهم * وكل سنام تابع للغلاصم

(فقال الفرزدق)

على محرض الفرس أثبت عزمهم * الا ان فوق الغلصمات الجماجم

(فقال جرير)

وأنباؤنا نكم هم وقومكم * ولا هام الا تابع للعراطم

(فقال الفرزدق)

فنحن لرءوم لقدتم يقتدى به * من الناس مرتان المنسنا الحازم

(فقال جرير)

فنحن بنو زيد قطعنا زمامه * فتاهت كساراطش الرأس عارم

فقال بشر يا جرير غلبته بقطعك زمامه وذهابك بالناقة ثم أحسن جائزتهما وفضل جريرا (ومن ذلك) ما ذكره ابن سلام في طبقات الشعراء قال اجتمع جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك فاحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه فمن غلب فله الكيس فبدر

كاثنين في كبدا اسماء ولم يكن * كاثنين ثان اذهما في الغار

(والفرزدق) رحمه الله اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمي أبو فراس صاحب جرير وكان أبوه غالب من جلة قومه ومن سراتهم وكنيته أبو الاخطل لولد كان له اسمه الاخطل وهو شاعر أيضا وهم بعضهم فيه فظنه الاخطل التغلبي النصراني وجعله أخا للفرزدق وهذا من أعجب العجب اذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابي رضي الله تعالى عنه فكيف يتصور أن يكون الاخطل النصراني أخاله وصعصعة رضي الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر وهو الذي أحيى الوئيدة وبه افتخر الفرزدق في قوله

وجدي الذي منع الوائدات * فأحيى الوئيد ولم يوئد

قيل انه رضي الله عنه أحيى ألف موؤدة وحمل على ألف فرس وأم الفرزدق ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس رضي الله عنه روى الفرزدق رحمه الله عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة والحسين وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ووفد على الوليد وسليمان ابني عبد الملك ومدحهما قال ابن النجار ولم أر له وفادة على عبد الملك بن مروان وقال الكلبي رضي الله عنه وفد على معاوية ولم يصح روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فاذا في رجليه قيد فقلت ما هذا يا أبا فراس قال حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن وكان كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا قام معه وساعده على بلوغ غرضه وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة بينهما والاكثرون على أن جريرا أشعر منه وقد أنصف الاصفهاني فقال أما من كان يميل الى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح الغزل فيقدم جريرا وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قصة يطول شرحها وملخص الامر أنه راودها عن نفسها بعد ان كانت أضافته وأحسنت اليه فامتنعت عليه وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو يومئذ والي المدينة المنورة فأمر باخراجه منها فأركب على ناقة لينفى فقال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كأنه شاهد هذا الحال حين قال وذكر البيت السابق ومن شعره لما كان في المدينة المنورة

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فقال جرير لما بلغه ذلك لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزواز قصير القوادم

يوصل حبليه اذا جن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم

تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها

وان حراما أن أسب مقاعسا * بآبائي الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الاول جاؤا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة من قبل معاوية فقالوا ما يصلح هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان

الفرزدق فقال

أنا القطران والشعراء جربى * وفي القطران للجربى شفاء

فقال الاخطل

فان تك زق زاملة فاني * أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير

أنا الموت الذي آتي عليكم * فليس لهارب مني نجاء

فقال خذ الكيس فلعمري * ان الموت يأتي على كل شئ

(ومن ذلك) ماروى أن جريرا اجتمع مع الفرزدق في مجلس عبد الملك فقال الفرزدق النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدا ولا يجد في الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو فقال

فاني أنا الموت الذي هو واقع * بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

وما أحد يا ابن الاتان بوائل * من الموت ان الموت لاشك نائله

فأطرق جرير قليلا ثم قال أم حرزة طالق منه ثلاثا ان لم أكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس * بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد

لست أحده ولكن أكتب الى من يحده وآمره بأن يخرج من المدينة وأجله ثلاثة أيام لذلك فقال الفرزدق

توعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله كتابا يأمره أن يحده ويسجنه وأوهمه انه كتب له بجائزة ثم ندم مروان على ما فعل فوجه سفيرا وقال للفرزدق اني قد قلت شعرا فاسمعه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة انها مرهوبة * واقصد لمكة أو لبيت المقدس

وان اجتنبت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالعظيم الاكيس

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يا مروان ان مطيتي محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس

وحبوتني بصحيفة مختومة * يخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكداء مثل صحيفة المتلمس

وأتى سعيد بن العاص الاموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم فأخبرهم خبره فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة وتوجه الى البصرة فقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه اليه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه ونزل يوما في منقر والحي خلوف فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها فصاحت فاحتال الفرزدق فيها حتى سلبت ثم ضم الجارية اليه فزبرته ونحته عنها فقال

وأهون عيب المنقرية انها * شديد ببطن الحنظلي لصوقها

رأت منقرا سودا قصارا وأبصرت * فتى دارميا كالهلال بروقها

وما أبهجت المنقرية للصبا * ولكنها استعصت علي عروقها

ثم هجاه فاستعدت عليه زيادا فهرب الى مكة المشرفة فأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق

دعاني زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا

وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهم فقرا

واني لأخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

قال ابن قتيبة سودا يعني السياط والمحدرجة القيود وهذه الجارية يقال لها ظمياء وهي عمة اللعين الشاعر المنقري ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ومعهم ابن أبي علقمة الماجن فجعل يتعنت الى الفرزدق ويقول دعوني أنكحه فلا يهجونا أبدا وكان الفرزدق من أجبن الناس فجعل يستغيث ويقول لا يمس جلده جلدي فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علي انه قد كان منه الي الذي يقول فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه وركب يوما بغلته ومر بنسوة فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضراطا فضحكن منه فالتفت اليهن وقال لا تضحكن فما حملتني أنثى الا ضرطت فقالت احداهن ما حملك أكثر من أمك فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما فحرك بغلته وهرب ويقال انه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليهم فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول

فما رد السلام شيوخ قوم * مررت بهم على سكك البريد

ولا سيما الذي كانت عليه * قطيفة أرجوان في القعود

وقال ما أعييت في جواب قط الا جواب دهقان مرة قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال ان هجوتني تخرب ضيعتي قلت لا قال فتموت عيشونة ابنتي قلت لا قال فرجلي الى عنقي في حر أمك قلت ويحك لم تركت رأسك قال حتى أنظر أي شئ تصنع يا ابن الزانية وكان الفرزدق يقول خير السرقة ما لا يقطع فيه يعني بذلك سرقة الشعر وقال قد علم الناس أني أفحل الشعراء وربما أتت علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من قول بيت ومن جيد شعره قوله

يخشى بمثل الدهر شيأ يطاوله
فقال عبد الملك فضلك والله
يا أبا فراس وطبق ثم فقال
الفرزدق فأين [illegible]
[illegible] فقال ويحك والله
لا ترى [illegible] حتى تكتب الى
[illegible] فتأتي [illegible]
[illegible] فكتب
[illegible] وقال في ذلك
ندمت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضرار
[illegible]
[illegible]
[illegible] فذكر
خبر الكسعي الذي تمثل به
الفرزدق [illegible]
الحديث [illegible]
[illegible] وهو أنه خرج
يرعى ابلا له في واد فيه حجر
وشوحط فرأى قضيب
شوحط نابتا في صخرة
[illegible] فقال ينبغي أن
يكون هذا قوسا فتعهده
[illegible] ما كان فيه
من ماء في [illegible] فشربه
[illegible] وجعل يتعهده
[illegible] حتى سبط العود
[illegible] فقطعه
وجعل يقومه ويقوم أوده
حتى [illegible] براه قوسا وهو
يرتجز ويقول
[illegible] لي جرمي
يا رب سددني لنحت قوسي
[illegible] ولدي وعرسي
[illegible]
[illegible]

قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم وقار
والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

وقيل للعين المنقري اقض بين جرير والفرزدق فقال

سأقضي بين كلب بني كليب * وبين القين قين بني عقال
فان الكلب مطعمه خبيث * وان القين يعمل في سفال
فما بقياعلى تركتماني * ولكن خفتما صرد النبال

وقال أبو عمرو بن العلاء حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى توفي سنة عشر ومائة وقيل سنة اثنتي عشرة وقيل سنة أربع عشرة ورثاه جرير بأبيات منها قوله

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل * ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون والراتق الثأى * اذا النعل يوما بالعشيرة زلت

ورثاه أيضا بغير ذلك وقال ابنه لبطة رأيت أبي في المنام فقلت ما فعل الله بك قال نفعتني الكلمة التي نازعت فيها الحسن عند القبر وذلك أن الحسن البصري لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق والفرزدق واقف معه والناس ينظرون فقال الحسن ما للناس فقال الفرزدق ينظرون خير الناس وشر الناس فقال اني لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا المضجع فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة وروي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي باخلاصي يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبتك بالنار وقصته في تزوجه بالنوار ابنة عمه شهيرة ورزق منها أولادا وهم لبطة وسبطة وكلطة وليس لواحد منهم عقب

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا)

البيت للعباس بن الاحنف من أبيات من الطويل (والشاهد فيه السبب الثاني) الحاصل به التعقيد وهو الانتقال فان معنى البيت أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا اذ من عادة الزمان الاتيان بضد المراد فاذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب وأريد وأطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور عاهو من عادة الزمان فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر وأخطأ في مراده اذ الجمود هو خلو العين من البكاء حالة ارادة البكاء منها كقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود

وقول كثير عزة

ولم أدر أن العين قبل فراقها * غداة الشبا من لاعج الوجد تجمد

فلا يكون الجمود كناية عن السرور بل عن البخل فيكون الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع لا الى ما قصده من السرور ولو كان في الجمود صلاحية لان يراد به عدم البكاء حال المسرة لجاز أن يقال في الدعاء لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك وهذا غير مشكوك في بطلانه وعليه قول أهل اللغة سنة جماد أي لا مطر فيها وناقة جماد أي لا لبن فيها وقد فسر المبرد في الكامل هذا البيت بغير هذا فقال هذا رجل فقير يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب وتسكب عيناه الدموع في بعده عنهم لتجمدا عند وصوله اليهم وأنشد

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا * ولم تدر أني للمقام أطوف

ومنه قول الربيع بن خيثم وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب (ومثله) قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور في الشمس فقال له الرجل قد طال وقوفك في الشمس فقال روح ليطول قعودي في الظل (وقال الزجاج في أماليه) أخبرنا أبو الحسن الاخفش قال كنت يوما بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال لي الى أين ما أراك تصبر عن مجلس الخلدي يعني المبرد فقلت له لي حاجة فقال لي اني أراه يقدم البحتري على أبي تمام فاذا أتيته فقل له ما معنى قول أبي تمام

أآلفة النحيب كم افتراق * أظل فكان داعية اجتماع

صلداء ليست كقسي النكس
ثم برى بقية خمسة أسهم
وهو يرتجز ويقول
هن لعمري خمسة حسان
يلذ للرمي بها البنان
كأنما قوامها ميزان
فأبشروا يا الحصب باصبيان
ان لم يعقني الشوم والحرمان
أو يرمني بكيده الشيطان
ثم أخذ قوسه وأسهمه وخرج الى مكمن كان مورد الحمر في الوادي فوارى شخصه حتى اذا وردت رمى عيرا منها بسهم فمرق منه بعد أن أنفذه وضرب صخرة فقدح منها نارا فظن انه قد أخطأ فقال
أعوذ بالله العزيز الرحمن
من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم فوق الصفوان
يرمي شرارا مثل لون العقيان
فاخلف اليوم رجاء الصبيان
ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا فصنع سهمه كالاول فظنه أخطأ فقال
أعوذ بالرحمن من شر القدر
أأخطأ السهم لارهاف الوتر
أم ذاك من سوء احتيال ونظر
وانني عهدي برام ذو ظفر
مطعم بالصيد في طول الدهر
ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا منها بسهم ففعل سهمه كالاول وظنه أخطأ فقال
يا حسرتا للشوم والجد النكد
قد شفني القوت لاهلي والولد
والله ما خلفت في ذاك العمد

قال أبو الحسن فلما صرت الى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال معنى هذا أن المحابين والمتعاشقين قد
تصارمان ويتهاجران دلالا لا عزما على القطيعة فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق تراجعا الى الوداد
والتلاقي خوف الفراق وأن يطول العهد بالالتقاء بعده فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر

متعنا بالفراق يوم الفراق * مستجيرين بالبكا والعناق

وقطعنا الفراق في التقيا فيه * فراق أتاهما باتفاق

كيف أدعو على الفراق بحتف * وغداة الفراق كان التلاقي

قال فلما عدت الى مجلس ثعلب سألني عنه فأعدت عليه الجواب والابيات فقال ما أشد تمويهه ما صنع شيأ
انما معنى البيت أن الانسان قد فارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره فيعود الى محبوبه مستغنيا عن
التصرف في فصول جمع عمره معه ألا تراه يقول في البيت الثاني

وليست فرحة الأوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وهذا نظير قول الآخر ومنه أخذ أبو تمام

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا كلامه بعينه وذكر تبعا تقدم آنفا من أن عدة الزمان الاتيان بضد المراد أي وان كان على وفق الارادة
لا لمحبة وقول الباخرزي ولطالما اخترت الفراق مغالطا * واحتلت في استثمار غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لانها * تبني الامور على خلاف مرادي

والعباس بن الاحنف) هو خال ابراهيم بن العباس الصولي وهو حنفي يمامي وكان رقيق الحاشية لطيف
الطباع وله مع الرشيد أخبار قال بشار مازال الغلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال

أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوني منهم قعدوا

لأخرجن من الدنيا وحبهم * بين الجوانح لم يشعر به أحد

وكان في العباس آلات الظرف كان جميل المنظر نظيف الثوب فاره المركب حسن الالفاظ كثير النوادر
شديد الاحتمال طويل المساعدة طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال ان مارية هي الغالبة على أمير
المؤمنين وانه جرى بينهما عتب فهي بعزة دالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك
يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعياني وهو أحرى أن تستفزه الصبابة فقل شعرا تسهل
به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا طلبه الرشيد فتوجه اليه ونظم العباس قوله

العاشقان كلاهما متغضب * وكلاهما متوجد متجنب

صدت مغاضبة وصد مغاضبا * وكلاهما مما يعالج متعب

راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب

ان التجنب ان تطاول منكما * دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لاحد رسل الوزير اني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها اليه فعاد الرسول وقال
هاتم ففي أقل منها مقنع فكتب الابيات وكتب تحتها أيضا

لابد للعاشق من وقفة * تكون بين الوصل والصرم

حتى اذا الهجر تمادى به * راجع من يهوى على رغم

فدفعه يحيى الرقعة الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر والله لكأني
قصدت بهذا فقال والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به فقال الرشيد يا غلام هات نعلي فانني والله أراجعها
على رغم فنهض وأذهله السرور وأمر للعباس بشيء ثم ان مارية لما علمت بمجيء الرشيد اليها تلقته وقالت
كيف ذلك يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذي جاء بي اليك قالت فمن قاله قال العباس بن

الاحنف قالت فبم كوفئ قال مافعلت بعد شيأ فقالت والله لا أجلس حتى يكافأ فأمر له بمال كثير وأمرت هي له بدون ذلك وأمر له يحيى بدون ما أمرت به وحمل على برذون ثم قال له الوزير من تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع اليه بقيته ﴿وحدث﴾ أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال حدثني رجل من قريش قال خرجت حاجا مع رفقة لي فعرجنا عن الطريق لنصلي فجاء ناغلام فقال لنا هل فيكم أحد من أهل البصرة فقلنا كلنا من أهل البصرة فقال ان مولاى من أهلها ويدعوكم اليه فقمنا اليه فاذا هو نازل على غدير ماء فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعالي شجرة كان تحتها وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول

ولقد زاد الفؤاد شجا * طائر يبكي على فننه * شفه ماشفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس نفسا فاضت معه نفسه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل سنة اثنتين وماذكر من انه مات هو والكسائي وابراهيم الموصلي وهشيمة الخمارة في يوم واحد وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلي عليهم وانه قدم العباس بن الاحنف رحمه الله لقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها * لهي التي تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * اني ليعجبني المحب الجاحد

ففيه نظر لان الكسائي مات سنة تسع وثمانين ومائة على خلاف فيه وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائي وأيضا فقد روى الصولي أنه رأى العباس بن الاحنف بعد موت الرشيد بعتزله بباب الشام والله أعلم أي ذلك كان ومن شعره

وحدثتني ياسعد عنهم فزدتني * جنونا فزدني من حديثك ياسعد

هواها هوى لم يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

ومنه أيضا

اذا أنت لم تعطفك الا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

وأقسم ما تركي عتابك عن قلى * ولكن لعلمي أنه غير نافع

واني ان لم ألزم الصبر طائعا * فلابد منه مكرها غير طائع

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة

يا أيها الرجل المعذب نفسه * أقصر فان شفاءك الاقصار

نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عينا لعينك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها * أرأيت عينا للبكاء تعار

وشعره كله جيد وجميعه في الغزل لا يكاد يوجد فيه مدح رحمه الله تعالى

﴿سبوح لها منها عليها شواهد﴾

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها

عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخود مني لماجد

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا * محب لها في قربه متباعد

اذا كنت تخشى العار في كل خلوة * فلم تتصباك الحسان الخرائد

ألح على السقم حتى ألفته * ومل طبيبي جانبي والعوائد

(وقد روى في طلاق الفرزدق النوار غير هذا) وليس هذا موضع ذكره (وروى) الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة وغيره قال خرج جرير والفرزدق من العراق طالبي الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد دعاهما فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول فتلفتت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال

علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي * من الانساع والدبر الدوامي

ثم قال لرواتهما الساعة يجيء ابن المراغة فأنشده البيتين فينقضهما بأن يقول

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفاس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون فقال ما الخبر فقال أحد الرواة يا أباحزرة أن أخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت وأنشده البيتين الاولين فارتجل البيتين الآخرين فعجب القوم من ذلك الاتفاق وقالوا والله يا أبا حزرة لهكذا زعم انك تقول فقال أوما علمتم أن شيطاننا واحد ﴿وروى﴾ أن معن بن أوس المزني كان قد قدم البصرة وجلس

أهم بشيء والليالي كأنها * تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
وتسعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد
ومنها قوله في المديح
خليلي اني لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهي طويلة والسبوح الفرس الحسن الجري يقال فرس سابح وسبوح وخيل سوابح لسبحها بيديها في سيرها وسبوح اسم فرس لربيعة بن جشم وهو مرفوع على أنه فاعل تسعدني (والمعنى) وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها (والشاهد فيه) كثرة التكرار وتتابع الاضافات وهي قوله لها منها عليها والله تعالى أعلم

(حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي)

قاله ابن بابك الشاعر المشهور من قصيدة من الطويل وتمامه

* فأنت بمرأى من سعاد ومسمع *

والجرعاء هي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها أو الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لا ينبت أو الكثيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال معظمه وكذلك من الماء والرمل وغيره والجندل الحجارة والسجع هدير الحمام ونحوه (والمعنى) يا حمامة جرعا هذا الموضع اسجعي وترنمي طربا فأنت بمرأى من حبيبة ومسمع بحيث يمكنك أن تطربي اذ لا مانع لك منه (والشاهد فيه) تتابع الاضافات فانه أضاف حمامة الى جرعا وحومة الى الجندل وهو من عيوب الكلام قال القزويني وفيه نظر لان ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم أي بقوله من تنافر الكلمات مع فصاحتها والا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد جاء في التنزيل مثل دأب قوم نوح وقد قال صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قيل لا نسلم وجود تتابع الاضافات في الحديث الشريف اذ لفظة الابن صفة لما قبلها وليس ما قبلها مضافا اليها وعن الصاحب بن عباد اياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن وذكر الشيخ عبد القاهر انها تستعمل في الهجاء كقول القائل

يا علي بن حمزة بن عماره * أنت والله ثلجة في خياره

قال ولا شك في ثقل ذلك لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ومما حسن فيه قول ابن المعتز

وظلت تدير الراح أيدي جآذر * عتاق دنانير الوجوه ملاح

وقول الخالدي

ويعرف الشعر مثل معرفتي * وهو على أن يزيد مجتهد
وصيرفي القريض وزان ديـ * ـنار المعاني الدقاق منتقد

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدي الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاما له وهي بديعة فأحببت ذكرها وهي

ما هو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن خدمته * فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد
في سن بدر الدجى وصورته * فمثله يصطفى ويعتقد
معشوق الطرف كحله كحل * معطل الجيد حليه الجيد
وورد خديه والشقائق والتـ * ـفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمري بانة غرد
مبارك الوجه مذ حظيت به * بالي رخي وعيشتي رغد

وكان المربد ينشد الناس فوقف عليه الفرزدق فوقف يسمع من ينشد قول
لعمرك ما مصر بمصر وانما ... من
... ولا ...
وقال من هو الذي يقول
لعمرك ما قيم أهل فلج
أرى ... ولا كرم
فقال الفرزدق حسبك فانه حرتك ... قد جربت
... ثم انصرف عنه
الفرزدق (وروى) في مثل
هذا أن خلف بن خليفة
... قد سرق قطعة
من ... صانع من
جلود ... ان مر
الفرزدق في نفس لا ...
... فقال يا أبا
فراس من القائل
... ولا ...
منه
... أو الجندل
لا ... ذام
فقال الفرزدق هو الذي
يقول
هو ... لا لص
... له
... واصدر هم
فانصرف مخزيا (وروي لنا
عن عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه أنه قال) كنت في
مجلس عبد الملك والاخطل
ينشده اذ دخل الحجاف بن
حكيم السلمي فقطع
الاخطل انشاده والتفت
اليه وقال
الا سائل الحجاف هل هو ثائر

أنسى وهوى وكل ما ربى * تجمع فيه لى ومنفرد
مسامرى ان دجى الظلام فلى * منه حديث كأنه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة * جوهر حسن شراره يقد
خازن مافى دارى وحافظه * فليس شئ لدى مفتقد
ومنفق مشفق اذا أنا أسرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبى فكلها حسن * يطوى ثيابى فكلها جدد
وأكثر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت * عروس بكر نقابها الزبد
يمنح كأسى يدا أناملها * تحمل من لينها وتنعقد
نفقه كيسه فلا عوج * فى بعض أخلاقه ولا أود
وبعده البيتان وبعدهما أيضا
وكاتب توجد البلاغة فى * ألفاظه والصواب والرشد
وواجد بى من المحبة والرأفة أضعاف ما به أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تمردت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها أحد
وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاما له وهى
ماهو عبد كلا ولا ولد * الا عناء تضنى به الكبد
وفرط سقم أعيى الأساة فلا * جلد عليه يبقى ولا جلد
أقبح مافيه كله ولقد * تساوت الروح منه والجسد
أشبه شئ بالقرد فهو له * ان كان للقرد فى الورى ولد
ذو مقلة حشو جفنها عمص * تسيل دمعا وما بها رمد
ووجنة مثل صبغة الورس لكن ذاك صاف ولونها كمد
كأنما الخد فى نظافته * قد أكلت فوق صحنه غدد
يقطر سما فضحكه أبدا * شر بكاء وبشره سود
يجمع كفيه من مهانته * كأنه فى الهجير مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل * كأنه للتراب منتقد
ألكن الا فى الشتم ينبح كالكلب ولو أن خصمه الأسد
يشتمنى الناس حين يشتمهم * اذ ليس يرضى بشتمه أحد
كسلان الا فى الأكل فهو اذا * ما حضر الأكل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح فى الحطب اليابس تأتى على الذى تجد
برفل فى حلة منبتة * من قمله رقم طرزها طرد
أجل أوصافه النميمة والكذب ونقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت * وهو بأضعاف ذاك منفرد
ان قلت لم يدر ما أقول وان * قال كلا نافى الفهم متحد
كأن مالى اذا تسلمه * ماء قراح وكفه سرد
جاءته لى دوية حسنت * كنت عليها فى الظرف أعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت * عينى لها مشبها ولا تجد

بقتلى أصيبت من سليم وعامر
قال فنفض الجفاف يده فى وجهه وقال
ثم سوف ننكيهم بكل مهند
ونبكى عميرا بالرماح الشواجر
وكان ذلك عقب مقتل عمير ابن الحباب ثم قال لقد ظننت يا ابن النصرانية أنك لا تجسر على بهذا القول ولو وجدتنى أسيرا فى يدك فما برح الأخطل حتى حم فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال هبك أجرتنى منه يقظة فمن يجيرنى منه مناما فضحك عبد الملك قال على ابن ظافر وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب
(ومن ذلك) ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر بن أبى ربيعة المخزومى عن مناقضته للفضل بن عباس اللهبى وغلبة الفضل عليه فقال عمر بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب فوافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت
وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام
فأقبل على وقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تبحج بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة بأن لا تقشعر

فمر يوما بها على رجل * لديه علم اللصوص يستند
أودعها عنده فقربها * وما حواه من بعدها البلد
فجاء يبكى فظلت أضحك من * فعلى وقلبى بالغيظ يتقد
وقال لى لا تخف فليتنه * مشهورة الشكل حين يفتقد
عليه ثوب وعمة وله * ذقن ووجه وساعد ويد
وقائل بمه قلت خذه ولا * وزن تجازى به ولا عدد
ففى الذى قد أضاعه عوض * وهو على أن يزيد مجتهد

ومنه قول راشد الكاتب فى ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول لى ما تحت مئزره * دعاء من فى استه النيران تتقد

وقال فيه أيضا

عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيى بيعه كل دلال
وما بات فى قوم يحبون قربه * فأصبح الا والمحب له قالى
فما فى يديه خدمة يشتهى لها * ولا عنده معنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا فى ذروة الشرف العالى
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهم * ببعض عيوب الناس فى الزمن الخالى
ويحتال فى استخراج ما فى بيوتهم * بما قصرت عنه يدا كل محتال
وان جاءوه سر أمر أذاعه * وكادهم وفيه كيادة مغتال
ويبعث بالجيران حتى عليهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
تريهم صروف الدهر من حمقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
أقول وقد مروا به يعرضونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبدا له اسمه بهادر

بهادر عبد لا بهاء ولا در * فما أنا حر يوم قولى له حر

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين المكثرين وهو بغدادى وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر طاف البلاد ومدح الاكابر كعضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما وأجزلوا له الجوائز وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يشتو فى حضرة الصاحب بن عباد ويصيف فى وطنه وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده قال وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحته وهو وأما ابن بابك وكثرة غشيانه بابك فانما يغشى منازل الكرام والمنهل العذب كثير الزحام ومن شعره فى وصف الخمر قصيدة

عقار عليها من دم الصب نقطة * ومن عبرات المستهام فواقع
معودة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع
تحير دمع المزن فى كأسها كما * تحير فى ورد الخدود المدامع

وله من أخرى فى وصف اضرام النار فى بعض غياض طريقه الى الصاحب

ومقلة فى حجر الشمس منصبها * أرعينها فى شباب السدفة الشهبا
حتى أرتنى وعين الشمس فاترة * وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلة بت ساهرا لهم أولها * وعدت آخرها أستجد الطربا

لهشام وان أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول
[illegible] فى جوهر
[illegible] بجوهر [illegible]
[illegible] بنى هاشم وان أشعر من [illegible] الذى يقول
[illegible] على الخيرات أجمعهم
[illegible] مخزوم
فقال أشعر والله من صاحبك الذى يقول
[illegible] الخيرات أجمعه
[illegible] مخزوم
فقلت [illegible] ثم جثى على [illegible] فقلت بل أشعر [illegible] الذى يقول
[illegible] مخزوم [illegible]
[illegible] ترى صرمه [illegible] من [illegible] فقد [illegible] فوالله [illegible] فقبل بوجهه وقال أشعر من صاحبك يا أخا بنى مخزوم الذى يقول
هاشم بحر [illegible] وطمى [illegible] وأعطى [illegible] صدقه [illegible] هاشم [illegible] أمير المؤمنين [illegible] والله أن الارض [illegible] ثم تجلدت وقلت [illegible] هاشم أشعر من [illegible] الذى يقول

في غيضة من غياض الحسن دانية * مدّ الظلام على أوراقها طنبا
يهدي اليها مجاج الخرسا كنها * وكلما دبّ فيها أثمرن لهبا
حتى اذا النار طاشت في ذوائبها * عاد الزمرّذ من عيدانها ذهبا
مرقت منها وثغر الصبح مبتسم * الى أغر يرى المذخور ما وهبا

وله أيضا
أحببته أسود العينين والشعره * في عينه عدة للوصل منتظره
لدن المقلد مخطوف الحشا ثملا * رخص العظام أشم الانف والقصره
للظبي لفتته والغصن قتلته * والروض ما بثه والرمل ما ستره
تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشرب من رقة البشره
حتى اذا قلت قد أمللتها شرهت * شوقا اليه وفي عين المحب شره

ومنه
زمر الغروب وأصوات النواعير * والشرب في ظل أكواخ المناظير
وصرعة بين ابريق وباطية * ونقرة بين مزمار وطنبور
أشهى اليّ من البيداء أعسفها * ومن طلوع الثنايا الشهب والقور
يارب يوم على القاطول جاذبني * صبح الزجاجة فيه فضلة النور
صدعت طرته والشمس قاصدة * في يلمق من ضباب الدجن مزرور
كأن ما انهل من أهداب مزنته * دمع تساقط من أجفان مهجور
فمن رشاش على الريحان مقتحم * ومن رذاذ على المنثور منثور

ومن شعره أيضا وغدير ماء أفعمت أطرافه * كالدمع لما ضاق عنه مجال
قمر الرياض اذا الغصون تعدّلت * واذا الغصون تهدّلت فهلال

ومنه وهو غريب التشبيه
وافى الشتاء فبز النور بهجته * فعل المشيب بشعر اللمة الرجل
ورد تفتح ثم ارتدّ مجتمعا * كما تجمعت الافواه للقبل

وقد أخذه الامير مجير الدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال
سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وهذا التضمين من بيت المتنبي في وصف الناقة وهو
ويغيرني جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فنقله ابن تميم الى وصف ذرّ الورد فأحسن غاية الاحسان وهو من قول مسلم بن الوليد
والعيس عاطفة الرؤس كأنما * يطلبن سرّ محدّث في المجلس

وفي مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدي دو بيت
ووردة تحكي بسبق الورد * طليعة تسرّعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص يصف بها كورة ورد حملت الى أبي عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور أتتك أبا عامر وردة * يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فاستحسن المنصور ما جاء به فحسده الحسين بن العريف فقال هي لعباس بن الاحنف فنا كره صاعد فقام ابن العريف الى منزله ووضع أبياتا وأثبتها في صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي عشوت الى قصر عباسة * وقد جدّل النوم حرّاسها

أبناء مخزوم أنجم طلعت * للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله * جودا هنيأ وتضرب البهما
فأقبل عليّ أسرع من البرق وقال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول
هاشم شمس بالسعد مطلعها * اذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبيّ فمن * قارعنا بعده أحد قرعا
فاسودّت الدنيا في عيني وأدبر بي فانقطعت فلم أحر جوابا فقلت يا أخا بني هاشم ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك فقال كيف لا أم لك والله لو كان منك لفخرت به عليّ فقلت صدقت وأستغفر الله والله انه لموضع الفخار صلى الله عليه وسلم وداخلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالني عجز عن اجابته فأفتضح ثم انه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال قد قلت فلم أجد بدّا من الاستماع فقلت هات فقال
نحن الذين اذا سما لفخارهم * ذو الفخر أقعده الزمان القعدد
فافخر بنا ان كنت يوما فاخرا * تلق الالى فخروا بفخرك أفردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر * منا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم

فألفيتها وهي في خدرها * وقد صدع السكر ايناسها فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت الى وردة كفها * يحكي لك المسك أنفاسها كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * في ابنة عمك عباسها فوليت عنها على غفلة * ولا خنت ناسي ولا ناسها
بن نخيل صاعد وحلف فلم يقبل منه وافترق المجلس على انه سرقها وتمكنت في صاعد لانه كان يصف
بغير الثقة فيما ينقله ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد

ولقد أتيت اليك تحمل بزتي * حرف يسكن طيشها الذألان
يثني الزمام خطامها فكأنه * غار يحاول نقبه ثعبان

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل

تجاذب فيها للصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهو من قول ذي الرمة رجيعة أسفار كأن زمامها * شجاع على يسرى الذراعين مطرق
على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيأ والمتنبي أتى به في عرض بيته وزاد مقصدا آخر وهو أن الخيل
لا تترك الاعنة تستقر في أيدي فرسانها لما فيها من سورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى فكأنها
الاعنة أفاعي تلدغ عند قبضها بأيديهم فيجاذبهم الفرسان الاعنة وهي تجاذبهم اياها وهذا لم يقصده ذو الرمة
ولا يؤخذ من بيته ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة وهو

ويزيد النسيم فرقة حتى * كأني قد شكوت اليه ما بي

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين
وذكر أنه منتحل وانه ينشد قصائد قالها ابن نباتة السعدي فأراد الصاحب بن عباد أن يمتحنه فاقترح
عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدي كرب

أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندا (فقال) قسما لقد نشر الحيا * بمناكب العلمين بردا
وتنفست بمنية * تستضحك الزهر المندى * وجرت عة اللبات تنثر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشؤ * ن وقلما استعبرت وجدا * ومساجل لي قد شققت لداته في في الحدا
لا ترم بي فأنا الذي * صيرت حر الشعر عبدا * بشوارد شمس القيا * د يزدن عند القرب بعدا
ومسلك البردين في * شبه النقاشية وقدا * وكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وكأن لوثة صفاته * أعطاك نسج الروم نقدا * فكأن معصم غادة * في ما ضغيه اذا تصدى
وكأن عودا مطلا * في صفحتيه اذا تبدى * يحدو قوائم أربعا * يتركن بالتلعات وهدا
جاب لمطوق قد تفرد بالكراهة واستبدا * فاذا تجلل هضبة * فكأن ظل الليل مدا
واذا هوى فكأن ركنا من عمان قد تردى * واذا استقل رأيت في * أعطافه هزلا وجدا
متقرط أذناه مي * زجر العسوف اذا تعدى * خرقاء لا يجد السرا * واذا تولجها امردا
أوطأته صرعي بسبقي واجتنيت وصال سعدى * ملك رأى الاحسان من * عدد النوائب فاستعدا
كافي الكفاة اذا انثنت * مقل القنا الخطار رمدا * تكسوه نشر العرف كف من جفون الطل أندى
لا زلت يا أمل المنا * ة لفارط الاملاق وردا * فالق الليالي لابسا * عيشا برود الظل رغدا
فاستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه انه انتحل شعر غيره فقال يا مولانا هذا والله معه
ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه وكان الصاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من
الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن فمن قصيدة لابي الحسن الجوهري

يزهو بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا * متمدد كالافعوا * ن تمده الرمضاء مدا
أو كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا * وكأنه بوق يحركه لينفخ فيه جدا
يسطو بصارمتي لحى * يحطمان الصخر هدا * أذناه مروحتان أسندتا الى الفودين غمدا

هيهات ذلك هل ينال الفرقد
فحصرت وتبلدت وقلت لك عندي جواب فاذا رني فأذكرت منه ثم أنشدت أقول
لا فخر الا فوق ما فخرتم * فاذا فخرت به فاني أشهد
ان قد فخرت وفقت كل مفاخر *
واليك في الشرف الرفيع المعمد
ولنا اثم فيه هول * في المكرمات جرى ثاني الاولى
مر رده الشي النبي وعند *
بالقصر بخطه خليج المزبد
دع ذا وصح لنا باخود بيضة *
طلعت به وغنى مع ممعن فنية تبدي بطون أكفهم *
جود ذرع الخضروات الانكد
والون سلافة نية *
لذت الشرسها وطاب المقعد
فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر فقال يا أخا بني مخزوم أريك السهى وتريني القمر قال أبو عبد الله اليزيدي يريد أدلك على الامر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الامر الواضح وهو مثل ثم قال تخرج من المفاخرة الى شرب الخمر المحرمة فقلت له أما علمت أصلحك الله

عيناه فاترتان ضـــيقتا لجمع الضوء ممدا
وكأنما خرطومه * راووق خمر مدمـدا
واذا التوى فكأنه الـشعبان من جبل تردى

ومن قصيدة لابى محمد الخازن
أو منـشل كم مسبل * أرخته للتوديع سعدى
وكأنما انقلبت عصا * موسى غداة بها تحدى

وكانت وفاته فى سنة عشر وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى

(شواهد الفن الاول وهو علم البيان)

(جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح)

البيت لحجل بن نضلة من السريع وبعده

هل أحدث الدهر لنا ذلة * أم هل رمت أم شقيق سلاح

شقيق هنا اسم رجل (والمعنى) جاء هذا الرجل واضعا رمحه عرضا مفتخرا بتصريف الرماح مدلا بشجاعته دالا ذلك على اعجاب شديد منه واعتقاد بأنه لا يقوم اليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح فقيل له تنكب وخل لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحهم وتتراكم عليك أسنتها ان بنى عمك فيهم رماح كثيرة (والشاهد فيه) تنزيل غير المنكر للشئ منزلة المنكر له اذا ظهر عليه شئ من أمارات الانكار وقد تقدم معناه وما أحسن قول ابن جابر الاندلسى مشيرا الى شطر البيت الاول

سامح بالوصل على بخله * وقال لى أنت بوصلى حقيق
فقلت ما رأيك فى نزهة * ما بين كاسات وروض أنيق
فقال يعنى خده واللما * هذا هو الروض وهذا الرحيق
فبت من دمعى ومن خده * ما بين نعمان وبين العقيق
واذ تدللت على حبه * فقال ما تخشى أما تستفيق
قدى وخدى خفه ما يا فتى * هذا هو الرمح وهذا شقيق

وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسى أيضا فقال

أبدت لنا الصدغ على خدها * فأطلع الليل لنا صبحه
نخدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقد ضمنه ابن الوردى أيضا فقال

لما رأى الزهر الشقيق انثنى * منهزما لم يستطع لمحه
وقال من جاء فقلنا له * جاء شقيق عارضا رمحه

وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

(أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشى)

البيت للصلتان العبدى الحماسى من قصيدة من المتقارب ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الابيات للصلتان السعدى وقال هو غير الصلتان العبدى وبعد البيت

اذا ليلة أهرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى
اذا قلت يوما لمن قد ترى * أرونى السرى أروك الغنى
بنى بدا خب نجوى الرجال * فكن عند سرك خب النجى
فسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى
فكن كابن ليل على اسود * اذا ما سواد بليل ختى
فكل سواد وان هبته * من الليل يخشى كما تختشى
أرد محكم الشعر ان قلته * فان الكلام كثير الروى
كما الصمت أدنى لبعض اللسا * ن وبعض التكلم أدنى لعى

ان الله تعالى يقول فى الشعراء وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال قد صدقت وقد استثنى الله عز وجل قوما منهم فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فان كنت منهم فقد دخلت فى الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك اليها وان لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من الخمر فقلت أصلحك الله لا أرى للمستجدى شيأ أعظم من السكوت فضحك وقال استغفر الله ثم قام عنى فضحك عبد الملك حتى كاد يموت ثم قال يا ابن أبى ربيعة أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنة لا تطاق ثم قضى حوائج عمر وصرفه (قال على بن ظافر) وأحسب الحكاية مصنوعة لان أشعارها ضعيفة (وروى) ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الاخيلية لما وفدت عليه ان شبابك قد هرم فولى واضمحل أمرك وأمر توبة بن الحمير فأقسم عليك الا ما صدقتنى هل كان بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الامير الا انه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه *

(ومعنى البيت) أن كرور الايام ومرور الليالي يجعل الصغير كبيرا والطفل شابا والشيخ فانيا (والشاهد فيه) حمل اسناد الافناء الى كرور الايام ومرور الليالي على الحقيقة لكون اسناده الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر والصلتان العبدي هو قثم بن خبية بن عبد القيس وهو شاعر مشهور قيل له اقض بين جرير والفرزدق فقال

أنا الصلتان الذي قد علمتموا * متى ما يحكم فهو بالحق صادع
أتتني تميم حين هابت قضاتها * واني لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الاعشى قضية عامر * وما لتميم في قضائي رواجع
سأقضي قضاء بينهم غير جائر * فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقي الشتم منهم * وليس له في المدح منهم منافع
فان كنتما حكمتماني فأنصتا * ولا تجزعا وليرض بالحق قانع
فان يك بحر الحنظليين واحدا * فما تستوي حيتانه والضفادع
وما يستوي صدر القناة وزجها * وما يستوي شم الذرى والاكارع
وليس الذنابى كالقدامى وريشه * وما تستوي في الكف منك الاصابع
ألا انما تحظى كليب بشعرها * وبالمجد تحظى دارم والاقارع
أرى الخطفى بذ الفرزدق شأوه * ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن في كليب تواضع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه * له باذخ لذي الخسيسة رافع
وقد يحمد السيف الردي بغمده * وتلقاه رثا جفنه وهو قاطع
يناشدني النصر الفرزدق بعدما * ألاحت عليه من جرير صواقع
فقلت له اني ونصرك كالذي * يثبت أنفا كشمته الجوادع

وفي ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى

أقول ولم أملك سوابق عبرة * متى كان حكم الله في كرب النخل

(ميز عنه قنزعا عن قنزع * جذب الليالي أبطئي أو أسرعي * أفناه قيل الله للشمس اطلعي)

هذه الابيات لابي النجم العجلي من قصيدة من الرجز أولها

قد أصبحت أم الخيار تدعي * على ذنبا كله لم أصنع * من أن رأت رأسي كرأس الاصلع

وبعده الابيات وبعدها حتى اذا وارك افق فارجعي والقنزعة الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي أو هي ما ارتفع من الشعر وطال أو الشعر حوالي الرأس وجمعها قنازع وقنزعات وجذب الليالي هو مضيها واختلافها يقال جذب الشهر اذا مضى عامته وأبطئي أو أسرعي صفة الليالي أي المقول فيها أبطئي أو أسرعي وقيل حال منها أي الليالي مقولا فيها أبطئي أو أسرعي والصلع انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها ولتطامن الدماغ عما سامته من القحف فلا يسقيه سقيه اياه وهو ملاقه والمواراة الستر (ومعنى الابيات) أن هذه الحبيبة تعني أم الخيار زوجته أصبحت تدعي على ذنوبا لم أرتكب شيأ منها وذنبها رأسي كرأس الاصلع الكبرى وشيئو خي ميز وفصل مر الايام ومضي الليالي الشعر الذي بقي حوالي الرأس وجوانبه ثم قال أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب (والشاهد فيها) هو أن حمل اسناد تمييز الشعر الى جذب الليالي مجاز بقرينة قوله أفناه الى آخره (وأبو النجم) تقدم التعريف به في شواهد المقدمة

(يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا)

البيت لابي نواس من قصيدة من الوافر يهجو فيها الاعراب والاعرابيات ويذم عيشهم وأولها

وأنت لا تزى صاحب وخليل فلا والله ما سمعت بعدها منه نغمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا فقال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك فقالت وجه صاحبا له الى حاضرنا فقال اذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسري الي خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه * عزيز علينا حاجة لا ينالها

(ومن ذلك) ما روى أبو صالح الفزاري قال أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره فلقيه ابن ميادة الرماح بن أبرد فقال له ما هذا الذي معك قال تمر مترته لاهلي فقال له زب رباح فقال ابن ميادة

كأنك لم تنقل لاهلك مرة * اذا أنت لم تنقل بزب رباح

(فقال شقران)

فان كان هذا زبه فانطلق به * الى نسوة سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة وانحنى عليه بالسوط يضربه ثم انصرف مغضبا * وكان المغيرة بن حبناء بهجو زياد الاعجم لمبغض وكان بالمغيرة

دع الرسم الذى دثرا * يقاسى الريح والمطرا * وكن رجلا أضاع العمر * ض فى اللذات والخطرا
ألم تر ما بنى كسرى * وسابور لمن غبرا * منازل بين دجلة والفـ * ـفرات احفها شجرا
بأرض باعد الرحمـ * ـن عنها الطلح والعشرا * ولم يجعل مصايدها * يرابيعا ولا وجرا
ولكن حور غزلان * تراعى بالملا بقرا * وان شئنا احتسنا الطيـ * ـر من حافاتها زمرا

الى أن قال

أما والله لا أشرا * حلفت به ولا بطرا
لوان مرقشا حى * تعلق قلبه ذكرا * كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا
ومر به بديوان الـ * ـخراج مضمخا عطرا * بوجه سابرى لو * تصوب ماؤه قطرا
وقد خطت حواضنه * له من عنبر طررا * بعين خالط التفتيـ * ـر فى أجفانها حورا
يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا * لأيقن أن حب المر * د يلقى سهله وعرا
ولا سيما وبعضهم * اذا حييته انتهرا

(والمعنى فى البيت) أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء مع أن تكرار النظر الى الشئ قلما يحلو وفى معناه قول الآخر

كلما زدت اليه نظرا * زاد حسنا عند تكرار النظر

وقول ابن الرومى

لا شئ الا وفيه أحسنه * فالعين منه اليه تنتقل
فوائد العين فيه طارفة * كأنما آخرياتها أول

وقول المتنبى وهو المضاعف حسنه ان كررا وقول عبدوس المغربى

يا غزالا وهلالا * خلقا خلقا عجيبا * وقضيبا وكثيبا * جمعا قدا غريبا
قد غضضنا دونك الالـ * ـحاظ خوفا أن تذوبا * كلما زدناك لحظا * زدتنا حسنا وطيبا

وقول ابن الحلبى ما ينتهى نظرى منهم الى رتب * فى الحسن الا ولاحت فوقها رتب

وقول قوام الدين المعروف بابن الطراح

وعدك لا ينقضى له أمد * ولا لليل المطال منك غد * علقتنى بالمنى غدا فغدا * ان غد اسرمد اهو الابد
تضحك عن واضح مقبله * عذب برود كأنه البرد * أحوم من حوله وبى ظمأ * الى جنى ريقه ولا أرد
وكلما زدت وجهه نظرا * بدت عليه محاسن جدد

وقريب منه قول ابن المطرز

ياحبيبا كله حسن * لمحب كله نظر * وجهه من كل ناحية * حيثما قابلته قمر

ومن ظريف ما نذكره هنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحب الاصمعى قال كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد وكنت أعلاهم صوتا اذ صاح بى صائح من ورائى يا منتوف فتغافلت كأنى لم أسمع شيأ فقال ويلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم فقلت من هذا فقالوا أبو دانق الموسوس فالتفت اليه فقال ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله وهو

ما تنظر العين منه ناحية * الا أقامت منه على حسن

فقلت كالمحاور له لا فقال لا أم لك هلا قلت نعم قوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

ثم وثب وثبة فجلس الى جانبى وأقبل على وقال لى يا أعمى صف لى صورتك الساعة والا أخرجتك من برتك ثم أقبل على من كان حاضرا فقال ظلمناه ظلمناه هو ضرير لم ير وجهه فمن أحسن منا أن يصفه فليصفه وكان على الحقيقة أقبح الناس وجها وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن قال فلم يتكلم أحد فقال اكتبوا صفته فى رأسه وأنشد

أشبه رأسه لولا وجار * بعينيه ونضنضة اللسان * بأضخم قرعة عظمت وتمت * فليس لها ادى التمييز ثان

وضح فقال فيه زياد يصف بياضه

عجبت لابيض الخصيين عبد * كأن عجانه الشعرى العبور

فقيل له يا أبا امامة لقد شرفته ورفعت من قدره اذ تقول كان عجانه الشعرى فقال أوهكذا ظننتكم لأزيدنه شرفا ورفعة ثم صنع فيه من قطعة فقال

لا تبصر الدهر منهم خاريا أبدا * الا وجدت على باب استه قمرا

واتفق انهما اجتمعا يوما بمجلس المهلب فجرى بينهما مهاترة فقال المغيرة لزياد

أقول له وأنكر بعض مابى * ألم تعرف رقاب بنى تميم

(فقال زياد)

بلى لعرفتهن مقصرات * جباه مذلة وسبال لوم

فانقطع المغيرة (ومن ذلك) ماذكره المدائنى قال كان أرطاة بن سهية المرى يهاجى الربيع بن قعنب فاجتمعا يوما للمهاترة والمناقضة فقال أرطاة للربيع

لقد رأيتك عريانا ومؤتزرا * فما دريت أأنثى أنت أم ذكر

(فقال الربيع)

لكن سهية تدرى اذ أتينكم * على عريجاء لما ابتلت الازر

فانقطع ابن سهية (ويروى) ان صح وجود مجنون بنى عامر انه لما تزوجت ليلى

اذا علبت أساطها أمالت * دعائم رأسها نحو اللبان
فكان لها مكان الجيد منها * اذا اتصلت بمسكة الجران
لها في كل شارقة وبيص * كأن بريقها لمع الدهان
فلا سلمت من حذري وخوفي * متى سلمت صفاتك من بنان

ونب الى «خالت الايدي بيني وبينه (والشاهد في البيت) معرفة حقيقة المجاز العقلي الخفية التي لا تظهر الا بعد تفكر وتأمل ومثله قول محمد الزيدي

أتنسك عاذ ابك منك لما ضاقت الحيل * وصيرني هواك وبي * لحيني يضرب المثل
فان سلمت لكم نفسي * فما لاقيته جلل * وان قتل الهوى رجلا * فاني ذلك الرجل

أي صيرني الله هواك وحالي هذه وهي أن يضرب المثل بي لحيني أي أهلكني الله ابتلاء بسبب هواك والبيت الاخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

متى ما تسمعي بقتيل أرض * أصيب فانني ذاك القتيل

(وأبو نواس) هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح الحكمي الشاعر المشهور وكان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته اليه قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار الى بغداد وقيل انه ولد بالاهواز وقيل انه ولد بكورة من كور خوزستان في سنة احدى وأربعين ومائة ونقل الى البصرة فنشأ بها ثم انتقل الى بغداد وقد زاد سنه على ثلاثين ولم يلحق بها أحدا من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي قوله

حامل الهوى تعب * يستخفه الطرب * ان بكى يحق له * ليس ما به لعب
تضحكين لاهية * والمحب ينتحب * كلما انقضى سبب * منك جاءني سبب
تعجبين من سقمي * صحتي هي العجب   وهي أبيات مشهورة

(وروى) أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال أغناني أدبي عن نسبي وما زال العلماء والاشراف يروون شعر أبي نواس ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء (قال محمد بن داود الجراح) كان أبو نواس من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية لسانا بالشعر يقوله في كل حال والردىء من شعره ما حفظ عنه في سكره (قال الجاحظ) لا أعرف بعد بشار مولدا أشعر من أبي نواس (وقال الاصمعي) ما أروي لاحد من أهل الزمان ما أرويه لابي نواس (وقال أبو عبيدة) أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للاولين لانه الذي فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعاني وقال ذهبت اليمن بجيد الشعر وهزله فامرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله (وقال أبو الحسن الطوسي) شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان وأبو نواس وكان خلف الاحمر ولاء في اليمن في الاشاعرة وكان عصبيا وكان من أميل خلق الله الى أبي نواس وهو الذي كناه بهذه الكنية لانه قال له أنت من أهل اليمن فتكن باسم من أسامي الذوين ثم أحصى له أسماءهم وخيره فقال ذو جدن وذو كلال وذو يزن وذو كلاع وذو نواس فاختار ذو نواس فكناه أبا نواس فصارت له وغلبت على أبي علي كنيته الاولى وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ويفضله على زهير تفضيلا شديدا ثم يقول الاعشى ليس مثلهما وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ويقول هو أشعر وبأثم ببشار ويقول هو غزير الشعر كثير الافتنان ويقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدته قشعريرة ثم قرأت شعر الخزيمي فتشققت على حمى مبردة ثم قال وما شعري أشبه بشعر جرير فقيل له فما تقول في الاخطل قال أمامي في الخمر فقيل الفرزدق قال ذاك الاب الاكبر (وقال ابن الاعرابي) قد ختمت بشعر أبي نواس فما رويت لشاعر بعده (وقال أبو عمرو الشيباني) لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره لانه كان محكم القول لا يخطئ (وقال ابن دريد) سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال ان جد حسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقي الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه (وقال أبو

ـدم ذلك عليه واشتد همه وحزنه وأراد ابن عمه له سفرا وكان طريقه على منزل ليلى فاتى المجنون وقال له [illegible] منزل ليلى [illegible] صوت بهذا البيت [illegible]
* [illegible] لولا الله لولا تذكرني *
[illegible]
فلما بلغ منزلها صنع ما سأله [illegible] خرجت اليه ليلى [illegible]
* بلى والله لولا الله تذكر [illegible] *
[illegible]
(روى) الحسن بن [illegible] [illegible]
* ما [illegible] أن تفترق *
[illegible]

الغيث بن البحترى) سألت أبى لما حضرته الوفاة من أشعر الناس فقال أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين فقلت عن المحدثين فقال يابنى لو قسم احسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم وان لاشجع السلمى لاحسانا وماعلم الشعراء أكل الخبز بالشعر الا أبو تمام فقلت له أنت أشعر أم أبو تمام فقال سألت عما لا يزال يسأل عنه جيد أبى تمام خير من جيدى وردىّ خير من رديئه (وقال ابن الاعرابى) بعث الىّ المأمون فسرت اليه وهو ومع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما فجلست فلما أقبلا لاقت فقال المأمون يا محمد بن زياد من أشعر الشعراء فى نعت الخمر فجعلت أنشده للاعشى وقلت هو الذى يقول تريك القذى من دونها وهى فوقه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ثم أنشدته للاخطل فلم يحفل بشئ مما أنشدته ثم قال يا ابن زياد أشعر الناس فى نعتها الذى يقول

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم * فعلت فى اللب اذ مزجت * مثل فعل النار فى الظلم

فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

(وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى) قال جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس يوما الى أبى فأنشده أبو العتاهية

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت * وأرتك قبرك فى القبو * روأنت حىّ لم تمت

وتكلمت عن أعين * تبلى وعن صور شتت * وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

وأنشده شعرا آخر يقول فيه على سرعة الشمس فى مرّها * دبيب الخلاوقة فى الجذة

قال فانصرفوا فلما كان بعد أيام عاد اليه مسلم وأبو نواس فأنشده مسلم

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل حتى بلغ قوله

ينال بالرفق ماتعيى الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

فقال أبو عمرو أحسنت الا أنك أخذت قول أبى العتاهية

وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

قال ثم أنشده أبو نواس قوله ياشقيق النفس من حكم الى أن بلغ الى قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

قال له أحسنت الا انك أخذته أيضا من قول أبى العتاهية

على سرعة الشمس فى مرّها * دبيب الخلاوقة فى الجذة اه

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هذا مأخوذ من قول بعض الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الضرم

ويقال ان أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له أما كفاك أن سرقت حتى احلت فقال ومن أين سرقت فأنشده بيت الهذلى فقال كيف احلت قال بقولك كتمشى البرء فى السقم وهما جميعا عرضان والعرض لا يدخل على العرض فانقطع أبو نواس ثم غير بيته بعد ذلك بأن قال كتمشى النار فى الفحم وهذا بيت الهذلى بعينه ومعناه وعن الاصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

وهو أخذه من قول عمرو بن ربيعة حيث يقول

لقد دبّ الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العروق

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها ومشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب

ودبّ هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى الملسوع سمّ العقارب

وهو أخذه من اسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى * وطلوعها حمراء صافية

صغير يصلح شيأ فقالت

لقد كان فى عيش رخى لوانه * حوى حاجة فى نفسه فقضى

فقال أحوها الصغير

أما سمع المفتى لادرّ دره * رسالة صب بالسلام نحاها

(فقال الكبير)

لحى الله من يلحى المحب على الهوى * ومن يمنع النفس اللجوج هواها

ثم دعا بالرجل فزوجه اياها (وحدث المدائنى) قال كان بين يحيى بن زياد الحارثى وحماد الراوية ومطيع بن هبيرة مايكون مثله بين الشعراء والرواة من المنافسة وكان مطيع يحب أن يطرح حمادا فى لسان بعض الشعراء قال حماد فقال لى يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لابى عطاء السندى قل زج وجرادة ومسجد بنى شيطان قال على بن ظافر وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة سندية يجعل فيها الجيم زايا والشين سينا والطاء والضاد دالا والعين همزة والحاء هاء قال حماد فقلت ما تجعل لى على ذلك قال بغلتى بسرجها ولجامها قلت وعدلها على يحيى بن زياد ففعل وأخذت عليه بالوفاء موثقا وجاء أبو عطاء فجلس الينا وقال مرحبا هياكم الله فرحبنا به وعرضنا عليه العشاء فأبى وقال هل من نبيذ فأحضرناه فشرب

وغروبها صفراء كالورس * تجرى على كبد السماء كما * يجرى حِمام الموت فى النفس اهـ

وذكرت بهذه الابيات ما قال الاعشى وهو أعشى قيس فى سكران

فراح مليسا كأن الذباب * يدبّ على كل عضو دبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن ربيعة فقال

لقد جرى الحب منى * مجرى دمى فى عروق

وأخذه أبو الطيب فقال جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فأصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن عبدو فمشت فى قلبى الهموم * كمشى الدرياق فى المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

فبت اسقاها سلافا مدامة * لها فى عظام الشاربين دبيب

وما أحسن قول بعضهم

وفى الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو بأعطاف كسلان الخطا ثمل

ظبى مشى الورد من خطى وجنته * مشى اللواحظ من عينيه فى أجلى

وقال أبو حاتم لولا أن العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لابى نواس لكتبتهما بالذهب وهما قوله

ولو أنى استزدتك فوق مابى * من البلوى لأعوزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة * بعيش مثل عيشى لم يريدوا

وكان المأمون يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبى نواس

ألا كل حى هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

والبيت الاول ينظر الى قول امرئ القيس

فبعض اللوم عاذلتى فانى * سيكفينى التجارب وانتسابى

الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهذا الموت يسلبنى شبابى

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة أنشدنى لابى نواس كم فأنشده

ماهو الا اله سبب * يبتدى منه ويشتعب

فقال سفيان آمنت بالله الذى خلقه واجتمع أبو نواس مع العباس بن الاحنف فى مجلس فقام العباس فى حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفى شعره فقال لهو أرق من الوهم وأنفذ من الفهم وأمضى من السهم ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفى شعره فقال انه لاقر للعين من وصل بعد هجر ووفاء بعد غدر وانجاز وعد بعد يأس فلما صار الى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه فقال أبو نواس

اذ ارتدت فتى الكاس * فلا تعدل بعباس * فنعم المرء ان أرضعت يوما درة الكاس

فقال العباس اذا نازعت صفو الكاس يوما * أخا ثقة فمثل أبى نواس

فتى يشتد حبل الود منه * اذا ما خلة رثت لناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال أبا الفضل اشرب كاسك * فانى شارب كاسى

فقال العباس نعم يا أوحد الناس * على العينين والراس

فقال أبو نواس فقد حف لنا المجلس * بالنسرين والآس

فقال العباس واخوان بها ليل * سراة سادة الناس

فقال أبو نواس وخود لذة المسمو * ع مثل الغض للكاس

فقال العباس وقد ألبسها الرحمن * من أحسن الباس

حتى احمرت عيناه فقلت له يا أبا عطاء طرح علينا رجل أبياتا فيها الغز ولست أقدر على اجابته فتفرج عنى فقال هات فقلت

أبن لى ان سئلت أبا عطاء * يقينا كيف علمك بالمعانى

فقال مسرعا

خبير عالم فاسألنى تجدنى * بها طبا وآيات المثانى

(فقلت)

فما اسم حديدة فى رأس رمح * دوين الكعب ليست بالسنان

(فقال)

هو الزج الذى ان بات ضيفا * لقلبك لم تزل لك عولتان

(فقلت)

فما صفراء تدعى أم عوف * كأن رجيلتيها منجلان

(فقال)

أردت زرادة وأظن ظنا * بأنك ما قصدت سوى لسانى

(فقلت)

أتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

(فقال)

بنو شيطان دون بنى أبان * كقرب أبيك من عبد المدان

قال حماد ورأيت عينيه قد احمرتا وعرف الغضب فى وجهه فتخوفته فقلت يا أبا عطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذت قال فاصدقنى فأخبرته الخبر فقال أولى لك سلمت وسلم شيخنا وانقسم بهمو على رهبة وأفحش

فقال أبو نواس وقد زينت باكليل * يواقيت على الراس

فقال العباس فلا تحبس أخى كاسى * فانى غير حباس

فكان مانسى من معارضتهما فى ذلك المجلس أكثر مما حفظ الا انه انصرف العباس وبقى أبو نواس فسئل عن العتابى والعباس فقال العتابى يتكلف والعباس يتدفق طبعا وكلام هذا سهل عذب وكلام ذاك متدفق كز وفى شعر هذا ماء ورقة وحلاوة وفى شعر ذاك جساوة وفظاظة وكان لابى نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها فنورد منها ماخف ذكره حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر وكان سليمان بن أبى سهل فى عينه سوء فقام أبو نواس بازائه ثم قال ياأباأيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لاترانى من قرب فقال له سليمان قد رأيتك تمشى القهقرى حتى تدخل فى رحم جلبان يعنى أمه فأحفظ ذلك أبانواس فقال فى سليمان

قل لسليمان وماشيمتى * ان أهدى النصح له مخلصا
ماأنت بالحر فألحى ولا * بالعبد أستعتبه بالعصا
فرحمة الله على آدم * رحمة من عم ومن خصصا
لوكان يدرى انه خارج * مثلك من احليله لاختصى

فأجابه سليمان فقال ان ابن هانى سلقه خالص * ماوحد الله ولا أخلصا
أغلى بذكرى شعره فاغتدى * بالعرض فى أشباهه مرخصا
وكان فى شعرى وتغريره * للعوف من ثوبيه قد قلصا
كالكلب هز الليث حتى اذا * أهدى اليه مخلبا بصبصا

وكان لابى الشمقمق ضريبة على الشعراء فجاء يوما الى أبى نواس فقال هات ضريبتك فدخل المنزل وأخرج اليه رقعة فيها أخذت بايربغل حين أدلى * قوى الباع كالجذع المطوق
فمازلت أمرسه بكفى * الى أن صار كالسهم المفوق
فلماأن طمى وغما وأندى * جلدت به حرام أبى الشمقمق

فوقعت هذه الابيات فى أفواه الصبيان وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم تسرله وحدث الجماز قال اجتمعت أناوأبو نواس والرقاشى فى بعض منتزهات البصرة فنفد شرابنا فقلنا هلم فليقل كل واحد منابيتافى السقيا لنبعث به الى عبد الملك بن ابراهيم فابتدأ أبو نواس فقال

ياابن ابراهيم ياعبد الملك * واتقا أقبلت بالله وبك * أنت للمال اذا أصلحته * فاذا أنفقته فالمال لك

وقال الرقاشى اسقنى الخروع من لامنى * فى هوى نفسى فغيرى من نسك

قال الجماز وقلت أناوكان عبد الملك يعرف بالابنة

ونك المرد فما من لذة * نلتهاان لم تنكهم وتنك

فوقع البيت الرابع بموافقته وبعث الينابما كفانا واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشى فى مجلس فتذاكرا الشعر فقال له أبو نواس لقد سبقتنى الى أبيات وددت أنها لى بجميع شعرى قال وماهى قال قولك

نبهت ندمانى الموفى بذمته * من بعد اتعاب طاسات وأقداح
فقال خذواسقنى واشرب وغن لنا * يادارمثواى بالقاعين فالساحى
فماحسانانيا أو بعض ثالثة * حتى استدار ورد الراح بالراح

فقال له الرقاشى لكنك أنت سبقتنى ببيتين وددت أنهمالى بكل شعرى فقال أبو نواس وماهما قال قولك

ومستطيل على الصهباء باكرها * فى فتية باصطباح الراح حذاق
فكل شئ رآه ظنه قدحا * وكل شخص رآه قال ذاساقى

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان فأقبل عليها وقال

وروى العسكرى هذه الحكاية على غيرهذا السياق فذكر أن حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر ابن مصعب الزهرى اجتمعوا فقالوا لو بعثنا الى عطاء السندى ولم يذكر السبب الذى من أجله اقترح حماد على أبى عطاء مااقترح وذكر البيت الثانى

تزدنى والقران بهاعليما بصيرا بالمقاطع والمبانى

وذكر البيت الثالث

فماسم حديدة فى الرمح ترسا دون الصدر ليست بالسنان

وذكر البيت الثامن

وذلك مسرد أأنساه قدما

شويسطان مأروف المكان

(مدح) بشار بن برد يعقوب ابن داود وزير المهدى فلم يعبأ به وحرمه فوفد عليه وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن فأحس به فى بعض الايام فرفع بشار صوته فأنشد

طال الوقوف على رسوم المنزل

فأجابه يعقوب مسرعا وقال

فاذا تشاء أبامعاذ فارحل

فرحل بشار فهجاه بقوله فيه وفى المهدى

بنى أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الناى والعود

وهجا أخاه صالح بن داود وكان قد ولى ولاية فسقط به المنبر فقال فيه من قطعة

ان لى ايرا خبيثا * عادم الرأس فاوتا * لو رأى فى الجو فرجا * لنزى حتى يموتا
أو رأى فى السقف دبرا * لتحول عنكبوتا * أو رآه جوف بحر * صار للانعاظ حوتا

فقالت عنان
زوجوا هذا بألف * وأظن الالف قوتا
انى أخشى عليه * داء سوء أن يموتا * قبل أن ينقلب الدا * فلا يأتى و يوتى

فقال أبو نواس
ألم ترقى لصب * يكفيه منك قطيره

فقالت عنان
اياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميره

فقال أبو نواس
أخاف ان رمت هذا * على يدى منك غيره

فقالت عنان
عليك أمك نكها * فانها كندفيره

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى وعنان جالسة تبكى وخدها على رزة باب فقال

بكت عنان فجرى دمعها * كاللؤلؤ المرفض من خيطه

فقالت عنان والعبرة تخنقها

فليت من يضربها ظالما * تجف يمناه على سوطه

وكان الرشيد قد هم بشراء عنان جارية الناطفى فقيل له ان أبا نواس قد هجاها بقوله

ان عنان النطاف جارية * قد صار حرها للايرميدانا
لا يشتريها الا ابن زانية * أو قلطبان يكون من كانا

فقال لعنه الله لا حاجة لنا فيها فاجابته عنان عن هذين البيتين فقالت

عجبا من حلقى * يدعى أصل اللواط * فاذا صار الى البيت وخسف عن تواطى
فالذى يعلم يدرى * من بلى وجه البساط

فقال أبو نواس فحبت حرها عنان * ثم نادت من ينيك * ثم أبدت عن مشق * مثل صحراء العتيك
فيه دراج وبط * ودجاجات وديك

فقالت عنان
ان ابن هانى بدائه كلف * يبيت عن نفسه يخادعها
أمسى بروس الحملان يعرف فى الناس ومضماره كوارعها

ووجهت عنان مرة الى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها

زرنا لتأكل معنا * ولا تغيبن عنا * فقد عزمنا على الشرب * بصبحة واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ثم كتب فى جواب الرقعة نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا * فكان خبزا بلحم * قبل الشواء أكلنا
جذبتها فتجافت * كالغصن لما انثنى * فقلت لبس على ذا الفعال كنا افترقنا
قالت فكم تتجنى * طولت نكا ودعنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت ان كان صادقا فقد زنى وهجرته ولقد ظرف ابن الابار بمتابعته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال

زارنى خيفة الرقيب مريبا * ينشكى القضيب منه الكثيبا
رشأ راشى لى سهام المنايا * من جفون يصمى بهن القلوبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما نام الرقيب سريعا * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد أن تدب اليه * قلت أبغى رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد دفعت قريبا

هم حلوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجت من أخيك المنابر

فلما شتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا المشرك هجاك بما لا أستطيع أن أذكره فلم يزل المهدى به حتى كتب له قوله

خليفة يزنى بعماته * ... بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك الى قتل بشار بن برد (وذكر) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب القيان والمغنين قال كانت بالكوفة جارية مغنية يقال لها سعاد جارية السكونى وكان مولاها من الظرفاء وقيان طبقته مروءة وحسن عشرة ومساعدة فحضرت سعاد فى مجلس فيه مطيع بن اياس وحماد عجرد فقال مطيع

قد بلينى سعاد بالله قبله
وأسأليني بها فديتك نحله
فورب السماء لو قلت صل
لوجهى جعلت وجهك قبله

فقالت الجارية لحماد اكفنيه فقال

ان خلا لها سواك وفيا
لا غدور بها ولا فيه ملة
لا يباع التقبيل بيعا ولا يرنى ولا يجعل التعاشق علة

فقال له مطيع هذا هجاء وما أرادت الجارية هذا كله ولعذا سمعت منى على لسان غيرك فقالت الجارية وكانت

فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

قال ابن بسام ولقد ظرف ابن الابار واستهتر ما شاء وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له تعلم هذا المسلك لدب اليه ووثب أيضا عليه ثم قال وأبو نواس سهل للناس هذا السبيل حيث يقول وذكر الابيات انتهى

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى لبعضهم * صار همى به عريضا طويلا

نام اذ زارنى الحبيب عنادا * والمهدى به يبعث الرسولا

حسبت زورة لشقوة جدى * فافترقنا وما شفينا غليلا

(رجع الى أخبار أبى نواس) وأشرف يوما أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان جارية عبد الوهاب واقفة مع النساء تلطم وفى يديها خضاب وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة وكان أبو نواس يهواها فقال

ياقمرا أبرزه مأتم * يندب شجوا بين أتراب * يبكى فيذرى الدمع من نرجس * ويلطم الورد بعناب

لا تبك ميتا حل فى حفرة * وابك قتيلا لك بالباب * أبرزه المأتم لى كارها * برغم دايات وحجاب

لا زال دابا موت أصحابه * وداب أن أبصره دابى

وذكرت بالبيت الاول والثانى ما عكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور وهو

يا أعورا أبرزه مأتم * يندب شجوا بمخاليط * يبكى فيذرى الدمع من كوة * ويلطم الشوك ببلوط

وحدث أبو نواس قال رأيت النابغة الذبيانى فى منامى فقال لى بماذا حبسك الرشيد فقلت له بقولى

اهج نزارا وأفر جلدتها * وهتك الستر عن مثالبها

فقال لى أهل ذاك أنت يا ابن الزانية فقد استوجبت من كل نزارى عقوبة مثلها بما ارتكبت منها فقلت وأنت بماذا حبسك النعمان قال ببيت قلته ستره النعمان عن الناس قلت بقولك

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فقال أو هذا مستور قلت فبقولك واذا لمست لمست أضخم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

قال اللهم غفرا قلت فبماذا قال بقولى فلكت علياها وأسفلها معا * وأخذتها قسرا وقلت لها اقعدى

فحذا تتميم هذا الحديث اليزيدى فألحق البيت بقصيدة النابغة وحكى الاصمعى قال رأيت أبا نواس بعد موته فى المنام فقلت له هل نسى من خمر يا تك شئ قال أجودها قلت فاذكره فقال

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها * فلاح فى البيت كالمصباح مصباح

كدنا على علمنا بالشك نسأله * أراحنا نارنا أم نارنا الراح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال رأيت أبا نواس فى المنام فقلت له لقد أحسنت فى قولك

جاءت بابريقها من بيت تاجرها * روحا من الخمر فى جسم من النار

فقال لا بل أحسنت فى قولى

ياقابض الروح من جسم أسى زمنا * وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول

تكثر ما استطعت من الخطايا * فانك بالغ ربا غفورا * ستبصر ان وردت عليه عفوا

وتلقى سيدا ملكا كبيرا * تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا

ومن شعره سبحان ذى الملكوت أية ليلة * مخضت صبيحتها بيوم الموقف

لو أن عينا وهمتها نفسها * ما فى المعاد محصلا لم تطرف

ومنه خل جنبيك لرامى * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

انما العاقل من ألجم * فاه بلجام * شبت يا هذا وما تتـرك أخلاق الغلام

ظريفة بارعة صدق ما أرنا أن نسبه فقال حماد أنا والله اشتهى مثلها امنك ببذل والبذل فى ذاك حله فأجيبى وانعمى وخذى البذل وأطفى لعاشق منك غله قال فرضى مطيع ونجحت الجارية وقالت أنا عائذة بكما من شر كافا كفيانيه وخذا فيما جئتماله (حدث) المداينى قال كان عثمان بن شيبة مصلا وكان حماد يجرد يهجوه فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له أعنى من غناك ببيت شعر على فقرى لعثمان بن شيبه فقال حماد مسرعا

فانك ان رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبه

فقال له الرجل جزاك الله خيرا فقد عرفتنى من أخلاقه ما قطعنى عنه وصنت ماء وجهى عن بذله له (وروى) اسمعيل بن يحيى اليزيدى عن أبيه قال كنت جالسا أكتب كتابا فنظر فيه سلم الخاسر فقال

ابن يحيى أخط من كف يحيى ان يحيى بابره لخطوط

قال فقلت مسرعا

أم سلم أدرى بذلك منه انها تحت ابره لضروط

ولها تحته اذا ما علاها أزمل من ودا قها وأطيط

ليت شعرى ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يذكر لوط

لا يصلى عليه حين نصلى بل له عنده كره تثبيط

من بنى نهشل فتبسمت وقلت أنت اذن ممن عناه الفرزدق بقوله وذكرت الابيات السابقة قال فقلت نعم جعلت فداك وأعجبنى ما سمعت منها فضحكت وقالت ان ابن الخطفى تعنى جريرا قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى قد فخرتم به حيث يقول

أخزى الذى رفع السماء مجاشعا * وبنى بناءك بالحضيض الاسفل
بيتا تحمم قينكم بفنائه * دنسا مقاعده خبيث المدخل

قال فوجمت فلما رأت ذلك فى وجهى قالت لا بأس عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ثم قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت ها هى تيك أمامك ثم أنشأت تقول

تذكرنى بلادا خير أهلى * بها أهل المروءة والكرامه * ألا فسقى الاله أجش صوب
يسح بدره بلد اليمامه * وحى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنست بها ثم قلت أذات خدر أم ذات بعل فأنشأت تقول

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم الى الصباح * تقطع قلبه الذكرى وقلبى
فلا هو بالخلى ولا بصاح * سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

قال فقلت لها من عمرو هذا فأنشأت تقول

سألت ولو علمت كففت عنه * ومن لك بالجواب سوى الخبير * فان تك ذا قبول ان عمرا
لكالقمر المضىء المستنير * وما لى بالتبعل مستراح * ولو رد التبعل لى أسيرى

قال ثم سكتت سكتة كأنها تسمع الى كلامه ثم تهافتت وأنشأت تقول

يخيل لى أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير * يسير بك الهوينا القوم لما
رماك الحب بالعلق اليسير * فان تك هكذا أبا عمرو انى * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فقلت لهم من هذه فقالوا هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء فقلت لهم فمن عمرو هذا فقالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق فارتحلت من عندهم فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت والفرزدق قد تقدم ذكره فى شواهد المقدمة

﴿هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه﴾

قائله ابن الرومى وتمامه * من نسل شيبان بين الضال والسلم * وهذا البيت من قصيدة من البسيط وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان والضال والسلم شجرتان من شجر البادية وفردا منصوب على المدح أو الحال (والمعنى) هذا المشار اليه صاحب الاسم المشهور اذا ذكر رجلا فردا فى محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية والاقامة بها مما تتمدح به العرب لان فقد العز فى الحضر (والشاهد فيه) تعريف المسند اليه بايراده اسم اشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض وصلاحيته بأن يصح احضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة اليه حسا ثم الغرض الموجب له أو المرجح تفصيل يأتى ضمن الشواهد ان شاء الله تعالى وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز وذلك فى قوله هذا أبو الصقر لصحة احضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة حسا ومثله قول المتنبى

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

وقول مادح حاتم الطائى واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل سربال ليل أغبر

أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

(وابن الرومى) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج وقيل هو أبو جريس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها فى أحسن قالب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصى فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ومعانيه غريبة جيدة ﴿حكى ابن درستويه وغيره﴾ أن لائما لامه فقال له لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه فقال له أنشدنى

فقال
بلى وان شئت قلت فيشلة
تسكن لهاتيك من حككات
قال على بن ظافر عندى لم يدرك به بشرو غير كن يشبه أبو نواس والحمافى
مثل هذا أخبار كثيرة وهذه له فيه مما يعتنى به وعلى ذكرها كان بمصر رجل زجلى كثير الوسخ قذر الجلدة والثوب لا تكاد تفارقه قنفه اكوارس
يعرف المعنى الى ويلقب أديب الفقه وكان يصنع مقامات مضحكة فيها غرائب وعجائب يزعم أنه يضاهى بها مقامات الحريرى وكان يقول أنا أوازنه فى كل شئ حتى فى اسمه ولقبه هو أبو القاسم محمد وأنا أبو القاسم محمد وهو بن على وأنا ابن على وهو الحريرى وأنا الحريرى وهو البصرى وأنا المصرى ويجعل هذا من أوضح البراهين وأقوى الادلة على مساواته فى كل قصيدة ومما أنشدنيه لنفسه فى الزيادة على هذه القافية وما ذكرته على سبيل الاطراف فقد كان عجيب الشأن قوله
يا من بعاقى بركك
وصائدا فى شبكك
لا تحقرن ككتى
فككتى ككككك
والككة مركب من
[illegible] مصرايس
فيها [illegible] (وروى)

شيأ من قوله الذي استعجزتني عن مثله فأنشده قوله في الهلال

انظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له زدني فأنشده قوله في الاذريون وهو زهر أصفر في وسطه خمل أسود وليس بطيب الرائحة والفرس تعظمه بالنظر اليه وفرشه في المنزل

كأن آذريونها * والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب * فيه بقايا غاليه

فصاح واغوثاه تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن خليفة وأنا أي شئ أصف ولكن انظروا اذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولي من الناس هل لاحد قط قول مثل قولي في قوس الغمام وأنشد وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض علينا ومنفض

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشي على الارض

يطرزها قوس السحاب بأخضر * على أحمر في أصفر اثر مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان منهم صاحب اليتيمة وقوله في صانع الرقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة * في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

وقوله في قالي الزلابية ومستقر على كرسيه تعب * روحي الفداء له من منصب نصب

رأيته سحرا يقلي زلابية * في رقة القشر والتجويف كالقصب

كأنما زيته المقلي حين بدا * كالكيمياء التي قالوا ولم تصب

يلقي العجين لجينا من أنامله * فيستحيل شبابيكا من الذهب

ومن معانيه البديعة قوله واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وقد كرر ابن الرومي هذا المعنى في نظمه فقال

اذا عز رفد لمسترفد * أطال المديح له المادح * وقدما اذا استبعد المستقى * أطال الرشاء له الماتح

وقد أخذه السراج الوراق فقال

سامح بفضلك عبدا * مقصرا في الثناء * رأى قليبا قريبا * فلم يطل في الرشاء

وعلى ذكر أبياته المارة في صانع الرقاق ذكرت ما حكي عن الاديب أبي عمرو التميري أن هذه الابيات أنشدت في حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن أن يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقالوا البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم * فبدلوا محوه أو فالعقوه طري

ومن معاني ابن الرومي البديعة قوله يهجو

لهالد شاعر ناز وجة * لها حر يبلغ مثليها * قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

وقوله فيها هذا المعنى أيضا مرفوعة تحت الدجا رجلاها * كأنما يستغفران الله

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد البصري فقال من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فللسودان عندهم مراح * بأرجلهن يستغفرن دأبا * فأرجلهن للدعوات راح

رجع الى شعر ابن الرومي فمنه قوله

أن أبا نواس خرج يوما وهو مخمور الى الكناسة فاستقبله اعرابي ومعه غنم فقال له أبو نواس

أيا صاحب الذود اللواتي نسوقها * بكم ذلك الكبش الذي قد تقدما

(فقال الاعرابي)

أبيعكه ان كنت تبغي شراءه * ولم تك مزاحا بعشرين درهما

(فقال أبو نواس)

أحسنت هداك الله رجعي جوابنا * فأحسن الينا ان أردت تكرما

(فقال الاعرابي)

أحط من العشرين خمسا لانني * أراك ظريفا فاخرجنها مسلما

فقيل للاعرابي أتدري من يكلمك منذ اليوم فقال لا فقيل أبو نواس فرجع فلحقه فحلف بصدقة غنمه ان لم يقبله (وروى) انه مر به أعرابي معه نعجة وكبش وجمل صغير فقال أبو نواس لمن معه ما رأيكم في تخجيله فقالوا له افعل فقال

بكم النعجة التي * خلفها الكبش والجمل

(فقال الاعرابي)

بثلاثين درهما * جد أيها الاجل

(وروى) أنه دخل على عنان فكتب رقعة وناولها اياها فاذا فيها

ماذا تقولين فيمن * يريد منك نظيره

فكتبت تحتها بعجلة

اياي تعني بهذا

طامن حاشاك فلا محالة واقع * بك ما تحب من الامور وتكره

واذا أتاك من الامور مقدر * وهربت منه فنحوه تتوجه

ومنه قوله يهجو غضبت وظلت من سفه وطيش * تهزهز لحية فى قدر رقش

فما افترقت لغضبتك الثريا * ولا اجتمعت لذاك بنات نعش

ومنه قوله أيضا ان كنت من جهل حقى غير معتذر * وكنت عن رد مدحى غير منقلب

فأعطنى ثمن الطرس الذى كتبت * فيه القصيدة أو كفارة الكذب

وقد تبعه الفاضل على بن مليك الحموى وأخذ غالب ألفاظه فقال

مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حظ الاثم والوصب

ان لم تكن صلة منكم لذى أدب * فأجرة الخط أو كفارة الكذب

ولابن الرومى فى مثله ردوا على صحائفا سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق

وقد سبق الى هذا المعنى أبو تمام بقوله فى المطلب الخزاعى

أقول عدلا فيك فيما أرى * انك لا تقبل قول الكذب

مدحتكم كذبا فجازيتنى * بخلا لقد أنصفت يا مطلب

ولابن زيدون قول للوزير وقد قطعت بمدحه * عمرى فكان السجن منه ثوابى

لا تخش لا شئ بما قد جئته * من ذاك فى ولا ترق عتابى

لم تخط فى أمرى الصواب موفقا * هذا جزاء الشاعر الكذاب

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان

قالوا قصيدك بالحرمان لم رجعت * بالله بالله خبرنا عن السبب

فقلت ما قوبلت بالمنع عن خطا * الا لكثرة ما فيها من الكذب

ومن شعر ابن الرومى يهجو ابراهيم بن المهدى وهو قريب من هذا المعنى

رددت الى شعرى بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا

وقلت امدح به من شئت بعدى * ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولا سيما وقد أعلقت فيه * مخازيك اللواتى لن تبيدا

وهل للحى فى أثواب ميت * لبوس بعد ما امتلأت صديدا

وقال أبو جعفر بن وصاح فى أبى الوليد بن مالك وقد قعد عن بره

أبلغ لديك المالكى رسالة * منضوذة مثل السنان اللهذم

ألبست امداحى كأزهار الربا * وجزيتنى بقطيعة وتجهم

فاردد على مدائحى موفورة * هذا السوار لغير ذاك المعصم

﴿ولطيف قول أبى المظفر الابيوردى﴾

ومدائح تحكى الرياض أضعتها * فى باخل أعيت به الاحساب

واذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ * ممدوح قالوا ساحر كذاب

﴿وقول أبى بكر بن مجبر الاندلسى﴾

وقائلة تقول وقد رأتنى * أقاسى الجدب فى المرعى الخصيب

أمعصف لفتيه وأنت تشكو * له شكوى العليل الى الطبيب

وقدم الثناء بعطفيه * كما مر النسيم على القضيب

فقلت على سكر وامتداح * وليس على تقليب القلوب

وما أحسن قول بشار وكان قد مدح المهدى بقصيدة فحرمه الثواب فقيل له حرمك أمير المؤمنين فقال

والله

عليك فأجاد عميره

ثم ناولته رقعة فكتب

تحتها الا

فقالت فى عمى من يغر عليك

(وروى) ...

فأنشد

(وروى) أن ذلك جعفر

يونس وسعيد بن نوبخت

وأوتعشق فى بيت

على بن طاهر وهو

والعتاهيه

والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما خشي صرفه على أحد ولكنني كذبت في العمل فكذبت في الامل ولطيف قول ابن حكينا البغدادي

تفضلوا واعذروه في مماطلتي * أنا أحق وحق الله من عتبا
ولا تلوموه في وعد يردده * في وقت مدحي له علمته الكذبا

ولابن حكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له

قد بان لي عذر الكرام فصدهم * عن أكثر الشعراء ليس بعار
لم ييأسوا بذل النوال وانما * جحد الندى لبرودة الاشعار

وقال بعضهم في تمهيد عذر الهجائين تدانت طرق الياس * فطالت طرق النجح
وأجدى مكسب الغش * فأكدى مكسب النصح * وكان الاثم في الهجو * فصار الاثم في المدح

ومن هذا المعنى قول ابن حظة

تساوى الناس في فعل المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح * وصار الجود عندهم جنونا
فما يستثقلون سوى الشحيح * وكانوا يهربون من الاهاجي * فصاروا يهربون من المديح

ومنه قول الآخر كان الكرام وأبناء الكرام اذا * تسامعوا بكريم مسه عدم
تسابقوا فيواسيه أخو كرم * منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
واليوم لاشك قد صار الندى سفها * وينكرون على المعطي اذا علموا

ومدح أبو الحسين بن الفضل أحد الوزراء براكش وكان أقرع فلم يثبه فقال

أهديت مدحي للوزير الذي * دعا به المجد فلم يسمع * فحامل الشعر اليه كمن * يهدي به مشطا الى أقرع

وما أحذق قول أبي رياش في الوزير المهلبي وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردده اليه

وقائلة قد مدحت الوزير * وهو المؤمل والمستماح * فماذا أفادك ذاك المديح
وهذا الغدو وهذا الرواح * فقلت لها ليس يدري امرؤ * بأي الامور يكون الصلاح
على التقلب والاضطراب * بجهدي وليس على النجاح

وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريبا ولابن الرومي في ذم الخضاب وهو من معانيه المخترعة

اذا رأيت المرء الشباب وأخلقت * شبيبته ظن السواد خضابا
وكيف يظن الشيخ أن خضابه * يظن سوادا أو يخال شبابا

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزي عن الخضاب وهو أحسن شيء رأيته في معناه

في مشيبي شماتة لعداتي * وهو ناع منغص لحياتي * ويعيب الخضاب قوم وفيه
لي انس الى حضور وفاتي * لا ومن يعلم السرائر مني * ما به رمت خلة الغانيات
انما رمت أن أغيب عني * ما تريني ه كل يوم مراتي
هو ناع الي نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيف الحال متكاتف المعيشة فاعد اتعت قول أبي الشيص ليس المقل عن الزمان براض وهو القائل

قلت للدهر من فصول قولا * وحداني عليه طيب الاماني * أتراني بخلة انا احي
ذات يوم وفاخر الخلان * قال هيهات أنت والنحس تربا * ن وقد كنتما رضيعي لبان
لا تؤمل ركوب شيء سوى النعش ولا خلعة سوى الاكفان

وله من أبيات يكلفني التصبر والتسلي * وهل يستطاع الا المستطاع
وقالوا نعمة نزلت بعدل * فقلنا ليته جور مشاع

وكان أبو العلاء الاسدي معرضة لاهاجيه فمن ملحه فيه قوله

بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه فقال قربيا يا أبا اسحق نقل فيها شيأ فمد أبو العتاهية يده الى الغلام وقال

مددت كفي نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلا

نرد في كفك ذا فيشة * تشفي جوى في استك من داخل

فقام أبو العتاهية مغضبا وهو يطلب الباب ويقول شمقمق والله وضحك القوم حتى كادوا يهلكون (وذكر الخالديان) في كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكراها فكتبناها بلفظ الاكثر

(قال دعبل بن علي الخزاعي) بينما أنا بباب الكرخ اذ أنا بقتاة تسمى قرة معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء وقد اجتازت فتعرضت لها وقلت

دموع عيني لها انبساط
ونوم عيني به انقباض

فقالت

وذا قليل لمن دهته
بسحرها الاعين المراض

فقلت

فهل لمولاي عطف قلب
أو للذي في الحشى انقراض

فقالت مسرعة من غير

أبا العلاء اسكت ولا تؤذنا * بشين هذا النسب البارد * وتدعى من أسد نسبة
لا تثبت الدعوى بلا شاهد * أقم لنا والدة أولا * وأنت في حل من الوالد

وقوله أيضا
قابل هديت أبا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وأنت لا تدرى

وقوله
أضحى الملوم أبا العلاء يسبني * وأنا أبوه يعقني ويعادى
والمنتمون اليه من أولاده * الله يعلم انهم أولادى

(ولنرجع الى شعر ابن الرومي) قال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره وهو معنى جيد
بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

ومحاسنه كثيرة وديوان شعره رتبه الصولي على الحروف وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار غريبة وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون اليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا ويمتنع من التصرف سائر يومه وأرسل اليه بعض أصحابه يوما غلاما حسن الصورة اسمه حسن فطرق الباب عليه فقال من قال حسن فتفاءل به وخرج واذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ورأى تحتها نوى تمر فتطير وقال هذا يشير بأن لا تمر ورجع ولم يذهب معه وكان الاخفش على بن سليمان قد تولع به فكان يقرع عليه الباب اذا أصبح فاذا قال من القارع قال مرة بن حنظلة ونحو ذلك من الاسماء التي يتطير بذكرها فيحبس نفسه في بيته ولا يخرج يومه أجمع فكتب اليه ينهاه ويتوعده بالهجاء فقال
قولوا لنحوينا أبي حسن * ان حسامي متى ضربت مضى * وان نبلي اذا هممت به
ارمى غدا نصلها بجمر غضا * لا تحسبن الهجاء يحمده الـ * ـرفع ولا الخفض خافض خفضا

ومنها
عندي له السوط ان تلاءم في الـ * ـسير وعندى اللجام ان ركضا

وكان الوزير القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد يخاف هجوه وفلتات لسانه فدس عليه ابن فراس فأطعمه خشكنانجة مسمومة فلما أكلها أحس بالسم فقام فقال له الوزير الى أين تذهب فقال الى الموضع الذي بعثتني اليه فقال له سلم على والدى فقال ليس طريقي على النار وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات وكان الطبيب يتردد اليه ويعالجه بالادوية النافعة للسم فزعم انه غلط عليه في بعض العقاقير قال نفطويه النحوي رأيت ابن الرومي وهو يجود بنفسه فقلت ما حالك فأنشد
غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة الاقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال
أبا عثمان أنت حميد قومك * وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فلا أراه * يراك ولا تراه بعد يومك

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع الفجر يوم الاربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين وتوفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقيل أربع وثمانين وقيل وسبعين ومائتين ودفن في مقبرة باب البستان رحمه الله

(أولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع)

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يفتخر فيها على جرير وأولها
منا الذي اختير الرجال سماحة * وخيرا اذا هب الرياح الزعازع * ومنا الذي أعطى الرسول عطية
أسارى تميم والعيون دوامع * ومنا الذي يعطي المئين ويشترى الـ * ـغوالي ويعلو فضله من يدافع
ومنا خطيب لا يعاب وحامل * أغر اذا التفت عليه المجامع * ومنا الذي أحيى الوئيد وغالب

قلت
ان كنت تبغى الوصال منا
فالوصل في دبنة قراض
قال دعبل فلا أعلم أنى
خاطبت جارية تقطع
الانفاس بعذوبة ألفاظها
وتختلس الارواح بلاغة
منطقها وتدهل الالباب
برخيم نغمتها مع بلاغة
جيدة ورشاقة وتمام عقل
وبراعة شكل واعتدال
خلق قبلها فخار والله البصر
وذهل اللب وجل الخطب
وتعثر اللسان وتعقلت
الرجلان ومالت بالحلفاء
دنت من النيرين ثم ثاب
الى عقلي ورجع حلمي
وذكرت قول بشار
لا ييئسنك من مخبأة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى ميسرة
والصعب يمكن بعدما جمحا
هذا ان حول مادون
المطمع فيه اليأس منه
فكيف بن وعددون المستفز
وبذل وبن لطبعة فتلقتها
من تلك القافية وقلت
أترى الزمان يسرنا بتلاق
ويضم مشتاقا الى مشتاق
فقالت مسرعة
ما للزمان تقول فيه وانما
أنت الزمان فسرنا بتلاق
قال دعبل فبعتها وذلك
في زمن ملاقي فقالت ليس
لى لابيت مسلم بن الوليد
صريع الغواني فصرت
اليه متوقعنا وبادته
خرج فتنت على لبيت

وعمرو ومنا حاجب والاقارع * ومنا غداة الروع فتيان غارة * اذا امتنعت بعد الزجاج الاجاشع
ومنا الذى قاد الجياد على الوجى * لنجران حتى صبحته النزائع

وبعده البيت وهى طويلة (ومعنى البيت) التعجيز لانه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه (والشاهد فيه) ايراد المسند اليه اسم اشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس وذلك ظاهر فى البيت

(هواى مع الركب اليمانين مصعد)

قاله جعفر بن علبة من أبيات من الطويل قالها وهو مسجون وتمامه * جنيب وجثمانى بمكة موثق والابيات

عجبت لمسراها وأنى تخلصت * الى وباب السجن بالقفل مغلق
ألمت فحيت ثم ولت فودعت * فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم * لشئ ولا أنى من الموت أفرق
ولا أن قلبى يزدهيه وعيدكم * ولا أننى بالمشى فى القيد أخرق
ولكن عرتنى من هواك ضمانة * كما كنت ألقى منك اذ أنا مطلق

والركب ركبان الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وقد يكون للخيل ويجمع على اركب وركوب والاركوب بالضم أكثر من الركب والركبة محركة اقل ومصعد من اصعد أى ذهب فى الارض وأبعد وجنيب أى مجنوب مستتبع والجثمان الجسم والشخص والجسمان جماعة البدن والاعضاء من الناس وسائر الانواع العظيمة الخلق وذكر الخليل انهما بمعنى واحد والموثق المقيد (والمعنى فيه) هواى منضم الى ركبان الابل القاصدين الى اليمن لكون الحبيب معهم وبدنى مأسور مقيد بمكة (والشاهد فيه) تعريف المسند اليه باضافته الى شئ من المعارف اذ هى أخصر طريق الى احضاره فى ذهن السامع وهو فى البيت قوله هواى أى مهويى وهو أخصر من قولهم الذى أهواه أو غير ذلك والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن وحبيبه على الرحيل (وجعفر بن علبة) هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية ابن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب ويكنى أبا عارم وعارم ابن له وقد ذكره فى شعره وهو من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور فى فوارس قومه وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا ومات جعفر هذا مقتولا فى قصاص اختلف فى سببه فقيل ان جعفر بن علبة وعلى بن جندب الحارثى العيانى والنضر بن مضارب المعاوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل وان بنى عقيل خرجوا فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطرق ووضعوا عليهم الارصاد فى المضايق فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى انتهوا الى بلاد بنى نمر فرجعت عنهم بنو عقيل وقد كانوا قتلوا فيهم فاستعدت عليهم بنو عقيل السرى بن عبد الله الهاشمى عامل مكة لابى جعفر المنصور فأرسل الى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم اليه فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على بن جندب فأفلت من السجن وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة انه قتل صاحبهم فقتل به وذكر ابن الكلبى أن الذى أثار الحرب بين جعفر بن علبة وبنى عقيل أن اياس بن يزيد الحارثى واسمعيل بن أحمد العقيلى اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثى وهى فى ابل لمولاها فى موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث فتحدثا عندها فمالت الى العقيلى فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم فانقطعت عمامة الحارثى وخنقه العقيلى حتى صرعه ثم تفرقا وجاء العقيليون الى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم ثم بلغهم بيت قيل وهو

ألم تسأل العبد الزيادى ما رأى * بصمعر والعبد الزيادى قائم

فغضب اياس من ذلك فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلى وهو اسماعيل بن أحمد فشجه شجتين وخنقه فصار الحارثيون الى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم ثم لقى العقيليون جعفر بن علبة الحارثى فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه فبلغ ذلك اياس بن يزيد فقال يتوجع بجعفر

أباعارم كيف اغتررت ولم تكن * تغر اذا ما كان أمر تحاذره

الطير معى ووجه مليح تقل له الدنيا بما فيها مع ما أنا فيه من ضيقة وعسر فقال والله لقد شكوت ما كدت أبادرك بشكواه اثت بها فلما دخلت قال والله ما أملك سوى هذا المنديل فقلت هو البغية ناولنيه فقال خذه لا بارك الرحمن فيه فأخذته فبعته بدينار وكسر واشتريت به لحما وخبزا ونبيذا ثم صرت اليهما فاذا هما يتساقطان حديثا كأنه الدر فقال ما صنعت فأخبرته فقال كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه مليح بغير نقل ولا ريحان ولا طيب اذهب فألطف بتمام ما كنت أوله قال فخرجت فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به فألفيت باب الدار مفتوحا فدخلت فلم أرهما ولا الشئ مما كنت جئت به أثرا فأسقطت فى يدى وقلت أرى صاحب الربع أخذهما وبقيت متلهفا حائرا أرجم الظن وأجيل الفكر سائر يومى فلما أمسيت قلت فى نفسى أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقفنى على أثر ففعلت فوقفت فى سرداب واذا بهما قد نزلا فيه وأنزلا معهما ما احتاجا اليه فلما أحسست بهما دليت رأسى ثم صحت مسلم ثلاثا فكان من اجابته أن غرد بصوته وقال

لاابي" والبيابي" الذكي المتوقد ذكاه وسئل الاصمعي عن معنى الالمعي فأنشد البيت ولم يزد عليه وهو اما مرفوع خبر ان أو منصوب صفة لاسمها أو بتقدير أعني وخبرها في قوله بعد أبيات

أودى فما تنفع الاشاحة من * أمر لمن قد يحاول البدعا

(والشاهد فيه) كون جملة قوله الذي يظن بك الظن وصفا كاشفا عن معنى الالمعي لا كونه وصفا للمسند إليه وبيت أوس هذا تداول معناه الشعراء قال أبو تمام

وكذاك قيل من الظنون جبلة * علم وفي بعض القلوب عيون

وقال المتنبي ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد * بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

وقال أيضا ذكي تظنيه طليعة عينه * يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

وقال أيضا ويعرف الامر قبل موقعه * فما له بعد فعله ندم

وقال أيضا مستنبط من علمه ما في غد * فكأن ما سيكون فيه دونا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبي نواس

ما تنطوي عنه القلوب بفجوة * الا اتحدته به العينان

وقول علي بن الخليل كلمتني لحظك عن كل ما * أضمره قلبك من غدر

وقول الخليع أما تقر رأى عيني عنوان الذي عندي

وقد سبق إليه المتقدمون قال الثقفي تخبرني العينان ما القلب كاتم * ولا حب بالبغضاء والنظر الشزر

وقال يزيد بن الحكم الثقفي تكاشرني كرها كأنك ناصح * وعينك تبدي أن قلبك لي دوي

وما أحسن قوله بعده عدوي يخشى صولتي ان لقيته * وأنت عدوي ليس هذا بمستوي

تصافح من لاقيته ذا عداوة * صفاحا وعيني بين عينيك منزوي

وقال المتنبي في معناه تخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال غيره عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وللمؤلف من أبيات ويظهر ودا تشهد العين زوره * ويقضي بذاك القلب والقلب أخبر

وله في معناه من كان في لقياه لا يتودد * فأنا الذي في وده أتردد

فالقلب عما قد أجن ضميره * لصديقه عند التلاقي يرشد

واذا خفي حال وأشكل أمره * فالعين تخبر بالخفي وتشهد

وما أحسن قول أبي نصر بن نباتة ألا ان عين المرء عنوان قلبه * تخبر عن أسراره شاء أم أبى

وبديع قول عمارة بن عقيل تبدي لك العين ما في نفس صاحبها * من الشناءة والود الذي كانا

ان البغيض له عين يصدقها * لا يستطيع لما في القلب كتمانا

وعين ذي الود لا تنفك مقبلة * ترى لها محجرا بشا وانسانا

والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقول الآخر تريك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدي غيبها البصر

وقول المعتمد بن عباد صاحب الاندلس

تميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * وتعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

وقول الآخر ستبدي لك العينان في اللحظ ما الذي * يجن ضمير المرء والعين تصدق

وقول محمد بن ايدمر صاحب كتاب الدر الفريد

صديقك من عدوك ليس يخفى * وعنوان الدعاوى في العيون

تخبرك العيون بما أجنت * ضمائرها من السر المصون

وقول

و... شبه عليه فقال له المأمون أنا أعرف الناس به انه لا يزل بخير ما لم يكن ... شيء وقد رزق فوق القوت بدرة ... سده ... ولكن قد أمرنا له نشفاعتك بأربعة آلاف درهم فقدم ابن يزداد بالاحول فعرفه بسرور وتم ... عن الانشاد وأمر له بالمال فلما قبضه ... الا ما بعانة دينار واشترى سيفا ومتاعا وسرف فيه معه حتى لم يبق معه شيء فلما رأى الاولاد ذلك أخذ كل ما كان في بيته وهرب فبقي عريانا بأسوء ... فجاء الى أبي هرون خديمة محمد بن يزداد فأخبره فأخذ وهرون نصف طومار فكتب في آخره

فتى ... لاه ... قب الاحول

وأنا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له مش الى محمد بن يزداد فخفي وأوصله ... فلما رآه محمد قال له ... ك ... لا أدري ... لو هذا من عملك تحمل ... بالاتسري ما فيه ثم فضه فلم ير شيأ فحمل ينشره وهو يضحك حتى انتهى الى آخره فوقف على البيت فكتب تحته

لولا تعبث أحول بعلامه ذي ... في طه في المنزل ثم ختمه ودفعه ابنه وأمر

وقول محمد بن شبل من قصيدة فالعين تقرأ من لحاظ جليسها * ما خط منه فى ضمير الخاطر
ولكم قطوب عن وداد خالص * وتبسم عن غل صدر واغر
وما أحسن قوله فيها ما ان أريد بصدق قولى شاهدا * حسبى بسرك عالما بسرائرى
واذا تعارفت القلوب تألفت * ويصد منها نافر عن نافر
فتسوق من يأباه قلبك انه * سيبين باطنه بأمر ظاهر
وقول العينى كأنك مطلع فى القلوب * اذا ما تناجت باسرارها
فكرات طرفك مرتدة * اليك بغامض أخبارها
ومثله قول المتنبى كأنك ناظر فى كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش
وقد قال مضرس بن ربعى فى عكس ذلك
كأن على ذى الظن عينا بصيرة * بمنطقه أو منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره
وبديع قول المتنبى فى معنى ما سبق
ووكل الظن بالاسرار فانكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل
وهذا المعنى هو الاول وانما فرق بينهما أن ذلك فى العواقب وهذا فى الاسرار والضمائر والمراد منهما صحة الحدس وجودة الظن وبديع قول الآخر فى معناه
كأنما رأيه فى كل مشكلة * عين على كل ما يخفى ويستتر
(وأوس بن حجر هذا) هو ابن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير ينتهى نسبه لتميم بن مرة مع اختلاف فيه وكان من شعراء الجاهلية وفحولها وعن أبى عمرو قال كان أوس بن حجر شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وقال الاصمعى أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه قال أوس ترى الارض منا بالفضاء مريضة * معضلة منا بجمع عرمرم
وقال النابغة جيش يظل به الفضاء معضلا * يدع الاكام كأنهن صحارى
فجاء بمعناه وزاد وقالت الشعراء فى نفار الناقة وفزعها فاكثرت ولم تعد ذكر الهر المقرون بها وابن آوى وقال أوس كأن هرا جنيبا عند غرضتها * والتف ديك برجليها وخنزير
قالوا وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية فى بيت واحد فقال
وفارقت وهى لم تجرب وباع لها * من الفصافص بالنمى سفسير
الفصافص الرطب وهى بالفارسية اسبست والنمى الفلوس بالرومية والسفسير السمسار وعن أبى عبيدة قال كان أوس بن حجر غزلا مغرما بالنساء فخرج فى سفر حتى اذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة فبيناهو يسير ظلاما اذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه فبات مكانه حتى اذا أصبح غدت جوارى الحى يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الارض والناس فى ربيع فبيناهن كذلك اذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة وأبصرنه ملقى ففزعن منه وهربن فدعا بجارية منهن فقال لها من أنت قالت أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة وكانت أصغرهن فأعطاها حجرا وقال لها اذهبى الى أبيك فقولى ان ابن هذا يقرئك السلام فأتته فأخبرته فقال يابنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع وقال لا أتحول أبدا حتى تبرأ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل فقال أوس فى ذلك خذلت على ليلة ساهره * بصحراء شرج الى ناظره * تزاد ليالى من طولها
فليست بطلق ولا ساكره * أنوء برجل بها وهيها * وأعيت بها اختها العاثره
وقال فى حليمة لعمرك ما ملت ثواء ثويها * حليمة اذ ألقت فراشى ومقعدى
ولكن تلقت باليدين ضمانتى * وحل بشرج مالقبائل عودى

أن يرده الى خليفته فقال الله الله فى جعلنى الله فداك ارحمنى من الحالة التى قد صرت اليها فرق له ووعده أن يكلم المأمون فكلمه وشرح له الحال ووصف له ضعف عقل الاحول ووهى عقدته فامر المأمون باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا عدو الله تأخذ مالى وتشترى به غلاما حتى يفتر منك فارتاع لذلك وتلجلج لسانه فقال جعلنى الله فداك ما فعلت فقال ضع يدك على رأسى واحلف أنك لم تفعل فارتاع وجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك والمأمون يضحك ويشير اليه أن ينحيها ثم أمر باجراء رزق واسع له كل شهر ووصله مرة بعد مرة حتى أغناه الله لانه كان يعجبه خطه (أنبأنا الفقيه) الحافظ التقى أبو محمد عبد الخالق المسكى اجازة أنبأنا الحافظ السلفى اجازة أنبأنا أبو محمد جعفر ابن أحمد السراج اللغوى وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنا النخيرمى أبو يعقوب حدثنا المهلبى قال لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان بها مشغوفا وقد أخذته غشية فجعلت تبكيه وأنشأت تقول
يا ملكا لست بناسيه

ولم تلههـا تلك التكاليف انها * كما شئت من اكرومـة وتخرد
سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وقصرك أن يثنى عليك وتحمدى

ثم مات فضالة بن كلدة وكان يكنى أبا دليجة فقال فيه أوس يرثيه

يا عين لابد من سكب وتهمال * على فضالة جل الرزء والعالى

وهي طويلة وله فيه عدة قصائد ومما يستجاد من شعره قوله

وقد رأيت الناس الا أقلهم * خفاف العهود يكثرون التنقلا
بنى أم ذى المال الكثير يرونه * وان كان عبدا سيد الامر جحفلا
وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا فى العمومة مخولا
وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يسوءك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النا ما كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

ويستجاد له من هذه القصيدة قوله فى السيف

كأن مدب النمل تتبع الربا * ومدرج ذر خاف بردا فاسهلا

(والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد)

البيت لابى العلاء المعرى من قصيدة من الخفيف يرثى بها فقيها حنفيا أولها

غير مجد فى ملتى واعتقادى * نوح باك ولا ترنم شادى
وشبيه صوت النعى اذا قيـ * ـس بصوت البشير فى كل نادى
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ * ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ * ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن اديم الارض * الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ * ـد هوان الآباء والاجداد
سران اسطعت فى الهواء رويدا * لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين * فى طويل الازمان والاباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا * من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار * وأنارا لمدلج فى سواد
تعب كلها الحياة وما أعـ * ـجب الامن راغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت أضعا * ف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

وهي طويلة ومنها

بان أمر الاله واختلف النا * س فداع الى ضلال وهادى

وبعده البيت وبعده

فاللبيب اللبيب من ليس يغتر * بكون مصيره للفساد

يقول تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى والنشور الذى ليس بنفسانى وفى أن أبدان الاموات كيف تحيى من الرفات وبعضهم يقول به وبعضهم ينكره وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ولا ناقة صالح ولا ثعبان موسى عليهما السلام اذ لا يناسب السياق وقال الامام أبو محمد بن السيد البطليوسى حين شرح سقط الزند فى هذا البيت يريد أن الجسم موات بطبعه وانما يصير حساسا متحركا باتصال النفس به فاذا فارقته عند الموت عاد الى طبعه فالحياة للنفس جوهرية وللجسم عرضية فلذلك يعدم الجسم الحياة اذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس (والشاهد فيه) تقديم المسند اليه على المسند ليتمكن الخبر فى ذهن السامع لان فى المبتدا تشويقا اليه (وأبو العلاء) هو أحمد بن عبد الله

ابن

وأوذى بالنفس أفديه فأفاق من غشيته وتطير [illegible] قول [illegible] (ومن حسن التخلص بالشعر بديهيا ما روى [illegible] [illegible] محمد بن عبد الملك [illegible] وقد كان [illegible] فدخل [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] الكتب

[illegible] الكتاب [illegible] [illegible] على [illegible] محمد بن عبد الملك [illegible] (وذكر [illegible] فى كتب [illegible] محمد بن [illegible] على محمد [illegible] غلام لمحمد بن عبد الملك [illegible] [illegible] الغلام الذى [illegible] فى المطبع [illegible] جعفر [illegible] [illegible]

ابن سليمان المعرى التنوخى من أهل معرة النعمان العالم المشهور وصاحب التصانيف المشهورة ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وجدر فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه وكان يقول لا أعرف من الالوان الا الاحمر لانى ألبست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعقل غير ذلك وعن ابن غريب الايادى انه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره فوجده قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ فان قال فدعا لى ومسح على رأسى قال وكأنى أنظر اليه الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا وهو مجدور الوجه نحيف الجسم وعن المصيصى الشاعر قال لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل فى كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر وهو من بيت علم وفضل ورياسة له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة أو اثنتى عشرة سنة ورحل الى بغداد ثم رجع الى المعرة وكان رحيله اليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وأقام بها سنة وسبعة أشهر ودخل على المرتضى أبى القاسم فعثر برجل فقال من هذا الكلب فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه اقبالا كثيرا وله معه نكتة تأتى فى التلميح ان شاء الله تعالى ولما رجع المعرى الى بلده لزم بيته وسمى نفسه رهين الحبسين يعنى حبس نفسه فى منزله وحبس بصره بالعمى وكان عجيبا فى الذكاء المفرط والحافظة ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى أنه كان قاعدا فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ شيأ من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدى فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح فقال لى أبو العلاء أى شئ أصابك فحكيت له انى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدى سنين فقال لى قم فكلمه فقلت حتى أتمم النسق فقال لى قم وأنا أنتظرك فقمت وكلمته بلسان الاذربيجانية شيأ كثيرا الى أن سألت عن كل ما أردت فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى أى لسان هذا قلت هذا لسان اذربيجان فقال لى ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنى حفظت ما قلتما ثم أعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ما قلت وما قال جارى فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ ما لم يفهمه وللناس حكايات يضعونها فى عجائب ذكائه وهى مشهورة وغالبها مستحيل وكان قد رحل أولا الى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له شكوك وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا والناس مختلفون فى أمره والاكثرون على الحاده واكفاره وأورد له الرازى فى الاربعين قوله

قلتم لنا صانع قديم * قلنا صدقتم كذا نقول
ثم زعمتم بلا مكان * ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبئ * معناه ليست لنا عقول

ثم قال الرازى وقد هذى هذا فى شعره وقال ياقوت كان متهما فى دينه يرى رأى البراهمة لا يرى افساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور اه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا ولا ما تولد من الحيوان رحمة له وخوفا من ازهاق النفوس والى ذلك أشار على بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة

ان كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من عينى دما
سيرت ذكرك فى البلاد كأنه * مسك فسامعه يضمخ أو فما
وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولقيه رجل فقال له لم لم تأكل اللحم فقال أرحم الحيوان قال فما تقول فى السباع التى لا طعام لها الا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن فسكت وقال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى قال لى المعرى لم أهج أحدا قط قلت له صدقت الا الانبياء عليهم السلام فتغير لونه أو قال وجهه ودخل عليه القاضى المنازى فذكر له ما يسمعه

فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضرا
أتيت بها والله جملة
وخيمة المربع والمرتع
فقال الحسن يعترض بأبى الجهم
اذا ما حامت العقبان يوما
تسترت الجوارح بالغياض
فقال أبو الجهم يجيبه
ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب
لذكرى دون رميك فى عراضى
وهل ثبتت عقاب فى مكان
اذا نسر تحامل فى انقضاض
فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا وأقبل يردد بيت الحسن الذى أوله لا تسألنى
فقال الحسن
نعم وان أحببت يا سيدى
فسرت ما أجملته فاسمع
فقال محمد
ان كنت تهواه نخذه فقد
جدت لك الآن به فاقطع
فقال الحسن
ان كنت تهوى الصدق فأذن له
يخرج اذا حان خروجى معى
قال اخرج معه يا غلام فأنت له (وروى) على بن الجهم قال كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة رابتها فقالت
يارب رام حسن تعرضه
يرمى ولا أشعر أنى غرضه
فقلت
أى فتى لحظك ليس يمرضه
وأى عهد محكم لا ينقضه
فضحكت وقالت خذ فى

عن الناس من الطعن عليه ثم قال مالى وللناس وقد تركت دنياهم فقال له القاضى وأخراهم فقال يا قاضى وأخراهم وجعل يكررها وعن أبى زكريا الرازى قال قال لى المعرى ما الذى تعتقد فقلت فى نفسى اليوم يتبين لى اعتقاده فقلت له ما أنا الا شاك فقال لى وهكذا شيخك وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة جاءت الى الوجود وذهبت وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه هو فى حيرة قال الصلاح الصفدى وهذا أحسن ما يقال فى أمره لانه قال

خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

ثم قال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وهذه الاشياء كثيرة فى كلامه وهو تناقض منه والى الله ترجع الامور قال السلفى ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الحافظ الخطيب حامد بن بختيار النميرى يحدث بالسمسمانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول دخلت على أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه فسمعته ينشد من قبله

كم بودرت غادة كعوب * وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا * والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا * والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال سبحان من تكلم بهذا فى القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد على وقال متى أتيت فقلت الساعة ثم قلت يا سيدى أرى فى وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيأ من كلام المخلوق وتلوت شيأ من كلام الخالق فلحقنى ما ترى فتحققت صحة دينه وقوة يقينه وقال السلفى أيضا سمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب قال لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة وعن أبى اليسر المعرى ان أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصد الهلاكه وايثار الاتلاف نفسه وفى ذلك يقول

حاول اهوانى قوم فما * واجهتهم الا باهوانى
يحرشونى بسعاياتهم * فغيروا نية اخوانى
لو استطاعوا لوشوا بى الى الـ * ـمريخ والشهب وكيوان

قال الصلاح الصفدى أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على ذى لب وأما الاشياء التى دونها وقالها فى لزوم ما لا يلزم وفى استغفر واستغفرى فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ويحتمل انه ارعوى وتاب بعد ذلك كله وكان أكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه اللباد وحصيره برديه وتصانيفه كثيرة جدا وشعره كثير الى الغاية وأحسنه سقط الزند ومن نظمه فى الغزل

يا طيبة علقتنى فى تصيدها * أشراكها وهى لم تعلق باشراكى
رعيت قلبى وما راعيت حرمته * فلم رعيت وما راعيت مرعاك
أتحرقين فؤادا قد حللت به * بنار حبك عمدا وهو مأواك
أسكنته حيث لم يسكن به سكن * وليس يحسن أن تقضى بسكناك
ما بال داعى غرامى حين يأمرنى * بأن أكابد حر الوجد ينهاك
وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع * يرجوك أن ترحميه وهو يخشاك

ومن شعره قوله

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

ومنه قوله

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم

غير هذا الحديث وكان أبو الفضل بن المضا أحد أمراء بنى الاغلب يخضب فأنشده يوما أبو شراحيل شريح بن عبد الله بن تميم بن عاص يعرض به

لعمرك ما الخضاب اذا ولى شباب المرء الا كالسراب
فقل لى ما الذى يجنيه بديها
ولا تعجل رويدك عن قريب
كأنك بالمشيب وبالخضاب

(وذكر الصولى) فى كتاب الوزراء حدثنى محمد بن العلاء السيرى قال دخل أبو ناضرة الى عبيد الله بن سليمان فقال

أيذهب فى جملة الذاهبين
غلام ويقيم أبو ناضره

فقال الوزير

يقيم يقيم على رغمه
وتحلق لحيته الوافره

فقال عبيد الله بن الفرج كاتب عبد الله بن سرايا

ويصفع من غير ما حشمة
وتوقى حليلته الفاجره

(وذكر) أبو على التنوخى فى كتاب نشوان المحاضرة قال حدثنى محمد بن الحسن البصرى قال حدثنى الهمدانى الشاعر قال قصدت ابن الشلمغانى فى مادرايا فأنشدته قصيدة قد مدحته بها وتأنقت فيها وجودتها فلم يحفل بها فكنت أغاديه كل يوم وأحضر مجلسه الى أن تقوض الناس فلا أرى مطلوب طريقا لحضرته

فرب شق برأس جرّ منفصمة * وقس على شق رأس السهم والقلم

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه

قبول الهدايا سنة مستحبة * اذا هي لم تسلك طريق تحابي
وما أنا الا قطرة من سحابة * ولو انني صنفت ألف كتاب

ومن شعره المؤاخذ به قوله اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر * وأن جميع الخلق من عنصر الزنا

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن اليمني بقوله

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا
كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

ومنه قوله يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار
تحكم ما لنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه علم الدين السخاوي بقوله

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

ومنه قوله هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت * ومجوس حارت واليهود مضلله
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا * دين وآخر دين لا عقل له

فقال ذو الفضائل الاخسيكتي رادّا عليه

الدين آخذه وتاركه * لم يخف رشدهما وغيهما
اثنان أهل الارض قلت فقل * ياشيخ سوء أنت أيهما

ومنه أيضا قوله دين وكفر وأنباء تقال وفر * قان ينص وتوراة وانجيل
في كل جيل أباطيل يدان بها * فهل تفرد يوما بالهدى جيل

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبي بقوله

نعم أبو القاسم الهادي وأمّته * فزادك الله ذلا يادجيجيل

ومنه أيضا قوله وهو الطامة الكبرى

قران المشترى زحلا يرجى * لايقاظ النواظر من كراها * تقضى الناس جيلا بعد جيل
وخافت النجوم كما تراها * تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي أتاه * وقال الآخرون بل افتراها * وما حجى الى أحجار بيت
كؤس الخمر تشرب في ذراها * اذا رجع الحكيم الى حجاه * تهاون بالشرائع وازدراها

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم اني أستغفرك من نظير هذه الاباطيل التي تشمئز منها القلوب وتنفر عنها الخواطر وأسألك التوفيق لي ولسائر المسلمين ومن جيد شعره قوله

وددت الى مليك الخلق أمري * فلم أسأل متى يقع الكسوف
وكم سلم الجهول من المنايا * وعوجل بالحمام الفيلسوف

وهو أخذه من قول أبي الطيب المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره * وزاد في الامن على سربه

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ومن هجاه أبو جعفر الجياني الزوزني بقصيدة أولها

كلب عوى بمعرة النعمان * لما خلا عن ربقة الايمان
أمعرة النعمان ما أنجبت اذ * أخرجت منك معرة العميان

يوما وقد احتشد مجلسه فقام شاعر فأنشد نونية الى أن بلغ فيها الى بيت وهو

فليت الارض كانت ما درا با
وليت الناس آل الشيلماني

فعنّ لي في الوقت هذا البيت فقمت وقلت مسرعا

اذا كانت بطون الارض كنفا
وكل الناس أولاد الزواني

فضحك وأمرني بالجلوس وقال نحن أحوجناك الى هذا وأمر لي بجائزة سنية فأخذتها وانصرفت (وكان) أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقا لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ثم فسد ما بينهما وتهاجيا وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مرّ به يوما وكان في مشيته اضطراب فقال يا أبا عمر ما علمت أنك آدر الا اليوم لما رأيت مشيتك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحد اني من مع سفر
فودعيني سرّا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان أطلس لا لحية له ويسمي كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف

وقصـته مع وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلا حاجة الى التطويل بذكرها وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الاول وقيل ثالث عشره سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال ابن غرس النعمة وذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا الحادثة ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والنعمة فلما كان من الغد حكى لنا قال رأيت في منامي البارحة شيخا ضريرا وعلى عاتقه أفعيان متدليان الى فخذيه وكل منهما يرفع فاه الى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده وهو يستغيث فقلت وقد هالني من هذا فقيل لى هـذا المعرى الملحد وقال القفطى أتيت قبره سنة خمسين وستمائة فاذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت عليه خبازى يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قال الذهبي وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سـنة من رؤية القفطى فرأيت نحوا مما حكى اه ويقال انه أوصى أن يكتب على قبره هذا جناه أبي علـيّ وما جنيت على أحد وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء فانهـم يقولون ايجاد الولد واخراجـه الى العالم جناية عليـه لانه يتعرض للحوادث والآفات والله تعالى أعلم بأمره

﴿ ما كل ما يتمنى المرء يدركه ﴾

قائله المتنبي من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها اياه وكان اتصل به أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة وأولهـا

بم التعلل لا أهـل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سـكن
أريد من زمـنى ذا أن يبلغـنى * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
مما أضرّ بأهـل العشق أنهـم * هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم * فى اثر كل قبيح وجهـه حسـن
تحملوا حملتكم كل ناجيـة * فكل بين علىّ اليوم مؤتمن
ما فى هوادجكم من مهجتى عوض * ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن
يا من نعيت على بعد بمجلسه * كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم * ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفنى قبـل قولهـم * جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمـنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهـى السفن

وهى طويلة بديعة (والشاهد فى البيت) أن كل اذا تأخرت عن أداة النفى سواء كانت معمولة لها أولا وسواء كان الخبر فعلا كما فى البيت أو غير فعل توجه النفى الى الشمول خاصة لا الى أصل الفعل وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف اليه كل ان كانت فى المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذى حمل عليها أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض ان كانت كل فى المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها ومعنى شعر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكرى

فيالك من ذى حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

وقد أخذه بعضهم وضمنه فى قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج اليه وهو بمصر ليأخـذ جائزته فوجده قد مات فقال

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى * وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فيالك من ذى حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائل
وما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغـنى الا ليـال قلائل

وهذا البيت بعينه للحطيئة فى علقمة بن علاثة والظاهر انه ضمنه أيضا وقد تقدم ذكر أبى الطيب المتنبى فى شواهد المقدمة

﴿ قد أصبحت أم الخيار تدعى * علىّ ذنبا كلـه لم أصـنع ﴾

البيت لابى النجم العجلى المتقدم ذكره وهو أول أرجوزته السابقة وأم الخيار هذه زوجته (والشاهد فيه) أن كل اذا تقدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى عمّ النفى كل فرد مما أضيف اليه كل وأفاد

جلست اليوم مع أبي عمر
فقال لي من تجولا
... طلاس لي من رثه
وكنت في قعدد أبيته
ف... عبد ... فقال
... كنت في قعدد بنيه
... من رثه
فانقطع انقطاط خجلا
(أخبار) الشيخ الفقيه
أبو الحسن علي بن الفضل
المقدسي عن الفقيه أبي
القاسم مخلوف بن علي
القيرواني عن أبي عبد الله
محمد بن أبي نصر بن عبد الله
الحميدي قال أخبرني أبو محمد
علي بن أحمد الفقيه ابن حزم
قال أخبرني الحسن علي بن
محمد بن أبي الحسن قال
وجدت بخط أبي قال أمرنا
الحكم المستنصر بالله بمقابلة
كتاب العين للخليل بن أحمد
مع أبي علي اسمعيل بن القاسم
البغدادي وأبي سعيد في
دار الملك التي بقصر قرطبة
وأحضر من الكتاب نسخا
كثيرة في جملتها نسخة
القاضي منذر بن سعيد التي
رواها بمصر عن ابن ولاد فتر
لما صدر من الكتاب بالمقابلة
فدخل علينا المستنصر في
بعض الايام فسألنا عن
النسخ فقلنا له ان نسخة
القاضي التي كتبها بخطه
محرفة وأريناه مواضع
مغيرة وأبياتا مكسورة
وأحضرناه لغات مصحفة
ولغات مبدلة فعجب من ذلك
وسأل أبا علي فقال له نحو

نفى أصل الفعل عن كل فرد ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج الى تقدير ضمير لانه لا يفيد نفى عموم ما ادّعته أمّ الخيار عليه والله أعلم

(كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا)
(هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا)

البيتان لابن الراوندى من البسيط وقبلهما

سبحان من وضع الاشياء موضعها * وفرّق العز والاذلال تفريقا

وعاقل الثانى صفة لعاقل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال مررت برجل رجل أى كامل فى الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه والنحرير بكسر النون الحاذق الماهر العاقل المجرّب المتقن الفطن البصير بكل شئ لانه ينحر العلم نحرا والزنديق بكسر الزاى من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرّب زن دين أى دين المرأة (والشاهد فيه) وضع المظهر الذى هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز المسند اليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشان وهو هنا جعل الاوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين

كم عالم لم يلج بالقرع باب منى * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروى السرخسى وهو كالرد على قول ابن الراوندى

عجبت من ربى وربى حكيم * أن يحرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم البارى ولكنه * أراد أن يظهر عجز الحكيم

وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب وهو

وما الجمع بين الماء والنار فى يد * بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما

وهو ينظر الى قول أبى تمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وما أحسن قول أبى تمام أيضا

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتى على الحجا * اذن هلكت من جهلهن البهائم

ومثله قول أبى الخير المروزى الضرير تنافى العقل والمال * فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس * لا يحويهما فصل فعقل حيث لا مال * ومال حيث لا عقل

ومنه قول أبى اسحق الصابى اذا جمعت بين امرئين صناعة * فأحببت أن تدرى الذى هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرّق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

ومثله قول عبد الجليل بن وهبون المرسى

يعزّ على العلياء أنى خامل * وان أبصرت منى خمود شهابى
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابى

ولطيف قول بعضهم أيضا كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وبديع قول أبى بكر بن محمد المازنى

ثنتان من سير الزمان تحيرت * لهما عقول ذوى التفلسف والنهى
مثر من الاموال مبخوس الحجا * وموفر الآداب منقوص الغنى

ذلك واتصل المجلس بالقاضى فكتب الى المستنصر رقعة فيها

جزى الله الخليل الخير عنا
بأفضل ما جزى فهو المجازى
وما خطأ الخليل سوى المغيلى
وحضر وطين فى دار الطراز
فصار القوم زرية كل زار
وسخرية وهزأة كل هاز

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا أما القاضى فقد هجا كم وناولنا الرقعة بخط القاضى وكانت تحت شئ بين يديه فقرأناها وقلنا يا مولانا نحن نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه لاسيما مثل القاضى فى سنه ومنصبه فان أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضر الاستاذ أبا على ثم نتكلم على كل كلمة استدركناها عليه فقال قد ابتدأكم والبادى أظلم وليس على من انتصر لوم قال أبى فمددت يدى الى الدواة وكتبت بين يديه

هلم فقد دعوت الى البراز
وقد ناجزت قرنا ذا انجاز
ولا تمش الضراء فقد أثرت الـ
أسود الغلب تخطو باحتفاز
وأحضر للقاء تكن صريعا
بماضى الحد مصقول جراز
رويت عن الخليل الوهم جهرا
لجهلك بالحقيقة والمجاز
دعوت له بخير ثم أخنت
يداك على مفاخره العزاز
تهدّمها وتجعل ماعلاها
أسافلها استجز يك الجوازى

وما أحسن قول ابن المكاك فعاقل ماتبل أعله * وجاهل باليدين يغترف

وقول الآخر زمان تحيرت فى أمره * كثير التعدى على حره

فلو غدا ماشئت من نفعه * وللحر ماشئت من ضره

وأعجب مافى نصاريمه * صيال البعوض على صقره

وقول الآخر وغدله نعمة مؤثلة * وسيد لايزال يقترض

ومدار ذلك جميعه على الحظ وعدمه وما أحسن قول ابن الخياط الدمشقى فيه أيضا

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتدانى

وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتوانى

وقول الآخر قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذى الحيلة الداهى

وقول الآخر أيضا ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

وما أحسن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يامحنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى

ما آن أن ترحمنا * من طول هذا التشفى * فلا علاوى تجدى * ولا صناعة كفى

ثور ينال الثريا * وعالم متخفى * ذهبت أطلب بختى * فقيل لى قد توفى

ومن الغايات فى هذا الباب قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى

لو أن بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أفلاك السماء تعلق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق

فاذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق

أو أن محظوظا غدا فى كفه * عود فأورق فى يديه فحقق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وا بعضهم فى معناه لو وردت البحار أطلب ماء * جف عند الورود ماء البحار

أورمى باسمى النجوم الدرارى * لا تزوى ضوءها عن الابصار

أو لمست العود النضير بكفى * لذوى بعد نعمة واخضرار

ولو انى بعت القناديل يوما * أدغم الليل فى بياض النهار

ومثله قول بعضهم ولما التمست الرزق فانجذ حبله * ولم يصف لى من بحره العذب مشرب

خطبت الى الاعدام احدى بناته * فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب

فأولدتها الحزن الشقى فحاله * على الارض غيرى والدجى ينسب

فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب

ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب

ولو جاد انسان على بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب

ولو يمطر الناس الدنانير لم يكن * بشئ سوى الحصباء رأسى يحصب

وان يقترف ذنبا ببرقة مذنب * فان برأسى ذلك الذنب يعصب

وان أر خيرا فى المنام فنازح * وان أر شرا فهو منى مقترب

أمامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه وراءى جحفل حين أركب

وقول الآخر لو ركبت البحار صارت فجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا

ولو انى وضعت ياقوتة حمراء فى راحتى لصارت زجاجا

ولو انى وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا

وما أحسن قول أبى الاسود الدئلى

جزى الله الامام العدل عنا
جزاء الخير فهو له مجازى
به وريت زناد العلم قدما
وشرف طالبيه باعتزاز
وجلى عن كتاب الله دجنه
وظلام بنور ذى امتياز
بامناء ذوى امانات أبى على
وأخدان بناحية الطراز
به صح الكتاب وصيروه
من التصحيف فى ظل احتراز
قال الحميدى وأسقطنا من
مهما بيتا تجاوز الحذق فيها
قال ثم أنشد لهم المستنصر
بالله فصحت وقال قد انتصرت
وزدت وأمر بهم الخدمة ثم
وجههم الى القاضى فلم تسمع
له بعد كلمة (أنبأنا) الفقيه أبو
محمد عبد الخالق المسكى قال
نزلت من قرافة مصر لوداع
الشيخ الاجل أبى الحسين بن
جبير فقال لى كنت على
الحيء أبيت فقلت وهمة
سيدنا هى التى أتت بى فسالنى
عن القرافة فقلت هى موضع
يصلح للخير والشر من طلب
شيأ وجده فقال خذ هذه
الحكاية قال لى بعض مشايخنا
عن ابن الفرضى كنت فى
موضع يتفرج فيه وبت به
ثم أقبلت باكرا فلقينى
بعض من يقرأ على فقال
من أين أقبلت يا من لا نظير له
ومن هو الشمس والدنيا له فلك
فأجبته مرتجلا
من موضع تعجب النساك
خلوته
وفيه ستر على الفتاك ان
فتكوا

يحمد المرء سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وبديع قول أبى العلاء المعرى

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته * لما زاد والدنيا حظوظ واقبال
اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تكرى وان كذب الخال

الجد هنا الحظ والعم الجماعة وتكرى من كرى الراد اذا نقص وافترى كذب والخال المخيلة (وظريف هنا)
قول ابن شرف القيروانى اذا صحب الفتى سعد وجد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال لو لحن الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا وهو

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقد أخذ أبو اسحق الغزى هذا المعنى فقال

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا
ظبا المخارف أقلام مكسرة * ورؤس أقلام السعيد ظبا

وله أيضا لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه
فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدى جداه عن علا رجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى فقال

لئن رحت مع فضلى من الحظ خاليا * وغيرى على نقص به قد غدا حالى
فانى كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العيد وهى فى شوال

وقال ابن قلاقس أيضا لولا الجدود لما غدت لمسافر * كف الغنى وتعلقت بمقيم
والحظ حتى فى الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى لا تحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أيسر ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى وأعظم ما بى أننى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يزد فى موردى غير علة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل ماضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال ابن دانيال قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

وقال ابن عنين كان فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * وملغى الحظ فيه كراء واصل

(قال بديع الزمان الهمذانى) كنت عند الصاحب كافى الكفاة أبى القاسم اسمعيل ابن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب وهى

غنينا بالطبول عن الطلول
وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار
ففى است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى
لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب
بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب
حراشا بالغداة وبالاصيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد
وان نحروا ففى عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس الا
نجار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر
وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل الى هذا الموضع من انشاده قال له الصاحب فذلك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالسا فى زاوية من البهو فلم يرنى فقال ابن أبى الفضل فقمت وقبلت الارض وقلت أمرك قال أجب عن ثلاثتك قلت وماهى قال أدبك ونسبك ومذهبك فأقبلت على الشاعر فقلت لا فسحة للقول ولا راحة للطبع الا السرد كما تسمع ثم أنشدت أقول

وقال السراج الوراق

يمنعني باخل وسمح * وليس لي منهما نصير
وغايتي أن ألوم حظي * وحظي الحائط القصير

وقال ابن سنا الملك

ورب مليح لا يحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وما أرشق قول ابن رشيق

أشق لعقلك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنا ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وما ألطف قول السراج الوراق

الباء والخاء من بختي قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرماني

وهذا الباب واسع جدا والاختصار فيه أولى (وابن الراوندى) هو أحمد بن يحيى بن اسحق أبو الحسين من أهل مرو الروذ وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة قرية من قرى قاسان بالسين المهملة بنواحي أصبهان وهي غير قاشان التي بالمعجمة المجاورة لقم سكن المذكور بغداد وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا زنديقا وقال القاضي أبو علي التنوخي كان أبو الحسين بن الراوندى يلازم أهل الالحاد فاذا عوتب في ذلك قال انما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم انه كاشف وناظر ويقال ان أباه كان يهوديا فأسلم وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ويقال أن أبا الحسين قال لليهود قولوا ان موسى قال لا نبي بعدي وذكر أبو العباس الطبري أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لاربعمائة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرا فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض وحكى البلخي في كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندى هذا كان من المتكلمين ولم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله وكان في أول أمره حسن السيرة حميد المذهب كثير الحياء ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له وكان علمه أكثر من عقله فكان مثله كما قال الشاعر

ومن يطيق مزكى عند صبوته * ومن يقوم لمستور اذا خلعا

قال وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم واعترف بأنه انما صار اليه حمية وأنفة من جفاء أصحابه له وتنحيتهم اياه من مجالسهم وأكثر كتبه الكفريات ألفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم وكتاب الزمرذة يحتج فيه على الرسل ويبرهن على ابطال الرسالة وكتاب الفريد في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب اللؤلؤة في تناهي الحركات وقد نقض هو أكثرها وغيره ولابي علي الجبائي وغيره ردود عليه كثيرة فمما قاله في كتاب الزمرذة انه انما سماه بالزمرذة لان من خاصية الزمرذ أن الحيات اذا نظرت اليه ذابت وسالت أعينها فكذلك هذا الكتاب اذا طالعه الخصم ذاب وهذا الكتاب يشتمل على ابطال الشريعة الشريفة والازدراء على النبوات المنيفة فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده انا نجد في كلام أكثم بن صيفي شيأ أحسن من انا أعطيناك الكوثر وان الانبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم وقال قوله يعني نبينا عليه الصلاة والسلام لعمار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية كل المنجمين يقولون مثل هذا ولقد كذب لعنه الله وأخزاه وجعل النار مستقره ومثواه فان المنجم ان لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ويعرف طالعه لا يقدر أن يتكلم على أحواله ولا يخبره بشئ من متجددانه وخطاؤه أكثر من صوابه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعا أو يسأل عن اسم أو نسب ولم يعهد عنه غير ما ذكر صلى الله عليه وسلم

فان

أراك على شفا خطر مهول
بما أودعت اقتك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا
متى [illegible] [illegible] دليل
[illegible] يحوي عليكم
[illegible] الجزى ولى [illegible]
متى فرع المنابر فارسي
متى عرف الاغر من الحجول
متى عرفت و[illegible] عيم
[illegible] أعراق الخيول
[illegible] على [illegible] هجير
على قحطان والبيت الاصيل
[illegible] كولا [illegible]
[illegible] الحجول
[illegible] في خد سيل
[illegible] رسيل
[illegible] ذا ريا
عرة كالليوث على الخيول
قال فلما تممت انشادي
[illegible] الصاحب وقال
[illegible]
[illegible] فاذن
[illegible]
[illegible] ضربت عنقه ثم
قال لا أدري أحدا يفضل
[illegible] على العرب الا وفيه
[illegible] من المجوسية ينزع
اليه قال العميد أبو الحسن
علي بن الحسن بن أبي الطيب
الباخرزي في كتابه المعروف
بدمية القصر وعصرة أهل
العصر جرى بين القاضي
أبي سعيد علي بن عبد الله
[illegible] الحاكم أبي
[illegible] مباهاة قال
[illegible]
[illegible] الكتب [illegible]
[illegible]

فبان الفرق وقال في كتاب الدامغ ان الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء الا القتل فعل العدو الحنق الغضوب فما حاجته الى كتاب ورسول قال ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول وما تسقط من ورقة الا يعلمها ثم يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم وقال في وصف الجنة فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه وهو الحليب ولا يكاد يشتهيه الا الجائع وذكر العسل ولا يطلب صرفا والزنجبيل وليس من لذيذ الاشربة والسندس يفترش ولا يلبس وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ومن تخايل انه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الاكراد والنبط ولعمري لقد أعمى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وعن قوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون ومع ذلك ففيها اللبن والعسل وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها وغليظ الحرير يريد به الصفيق المتصم النسج وهو أفخر ما يلبس ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا الملعون ونفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر والاشتغال بغيره أولى والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علوا كبيرا وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم ولقد سرد ابن الجوزي من زندقته أكثر من ثلاث ورقات وأنا أعوذ بالله من هذا القول وأستغفره مما جرى بقلمي مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم واجتمع ابن الراوندي هو وأبو علي الجبائي يوما على جسر بغداد فقال له يا أبا علي ألا تسمع شيئا من معارضتي للقرآن ونقضي له فقال له أنا أعلم بمخازي علومك وعلوم أهل دهرك ولكن أحاكمك الى نفسك فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما ونظما كنظمه وحلاوة كحلاوته قال لا والله قال قد كفيتني فانصرف حيث شئت ومن شعره

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

ومنه وقيل أنشده لغيره أليس عجيبا بأن امرأ * لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه * سوى علمه انه ما علم

(وذكر أبو علي الجبائي) أن السلطان طلب ابن الراوندي وأبا عيسى الوراق فأما أبو عيسى فحبس حتى مات وأما ابن الراوندي فهرب الى ابن لاوي اليهودي ووضع له كتاب الدامغ في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن الكريم ثم لم يلبث الا أياما يسيرة حتى مرض ومات وذكر أبو الوفاء بن عقيل أن بعض السلاطين طلبه وانه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى اليه من المخازي وذكر ابن خلكان أنه هلك في سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة ويقال انه عاش أكثر من ثمانين سنة وقيل انه هلك سنة خمسين ومائتين وقال ابن النجار بلغني أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين لعنه الله وأخزاه ان كان مات على اعتقاده هذا

(تعالت كي أشجى وما بك علة * تريدين قتلي قد ظفرت بذلك)

البيت لابن الدمينة من قصيدة من الطويل أولها

قفي يا أميم القلب نقض لبانة * ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك
سلي البانة الغناء بالاجرع الذي * به الماء هل حييت اطلال دارك
وهل قمت في اطلالهن عشية * مقام أخي البأساء واخترت ذلك
وهل كفكفت عيناي بالدار عبرة * فرادى كنظم اللؤلؤ المتسالك

ويروى أن أولها قفي قبل وشك البين يا ابنة مالك * ولا تحرمينا نظرة من جمالك

بعده البيت وبعده وقولك للعواد كيف ترونه * فقالوا قتيلا قلت أيسر هالك
لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك
ليهنك امساكي بكفي على الحشا * ورقراق دمعي رهبة من مطالك

(فقال أبو سعد)
جزاك الله عن مولاك خيرا
وخفف ثقل هذا الشكر عني
(فقال القاضي)
وأولى الشيخ عزا مستفادا
وحقق فيه ما أمول وظني
(فقال أبو سعد)
وكم لك نعمة من غير ذكر
وكم لك منة من غير من

(وكان) حسان بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة أعور وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبي الحسن بن الاعرج وكان له طبع في قول الشعر فقال له عرقلة يوما يداعبه

ألا قل للرقيع أبي الحسين
أراني الله عينك مثل عيني

فقال الاعرج مجاوبا له

ألا قل لابن كلب لا ابن عجل
أراني الله رجلك مثل رجلي

فخجل عرقلة من قوله وانصرف

(الباب الثالث في بدائع بدائه الاجازة)

الاجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين وهي مشتقة من الاجازة في السقي يقال أجاز فلان فلانا اذا سقاه أو سقى له فكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز بعمل الشاعر المجاز شعره بسقي المتنفس للمتنفس (قال) يعقوب بن السكيت يقال للذي يرد الماء مستقى وأنشد

فلو قلت طأ فى النار أعلم أنه * رضا لك أو مدن لنا من وصالك

لقدمت رجلى نحوها فوطئتها * هدى منك لى أو ضلة من ضلالك

أرى الناس يرجون الربيع وانما * رجائى الذى أرجوه خير نوالك

بينى أفى يمنى يديك جعلتنى * فأفرح أم صيرتنى فى شمالك

والمعنى أنى أخرج من شئ ... ومتعد وانما قال قد ظفرت بذلك ولم يقل بقتلى لأنه أراد أن قتله ظهر ظهور المحسوس بالبصر المشار اليه باسم الاشارة (والشاهد فيه) وضع اسم الاشارة موضع الضمير ... وان كان من غير باب المسند اليه (وابن الدمينة) اسمه عبد الله بن عبيد الله ... بن عامر بن تيم الله ... والدمينة أمه وهى ... ويكنى ابن الدمينة أبا السرى وهو شاعر مشهور له مذهب رقيق فى الغزل دقيق المعانى وكان الناس فى الصدر الأول يستحلون شعره ويتغنون به (حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كان العباس بن الأحنف اذا سمع شيأ يستحسنه أطرفنى به وأنا أفعل مثل ذلك فجاءنى يوما فوقف بين الناس وأنشدنى لابن الدمينة

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكى الوليد ولم أكن * جزوعا وأبديت الذى لم تكن تبدى

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

ثم ترنح ساعة ترنح النشوان ومال نحوى ثم قال أنطح العمود برأسى من حسن هذا فقلت لا ارفق بنفسك (وحدث) ابن جرير ... بن هرمة قال لقى ابن هرمة بعض أصحابه بالبلاط فقال له من أين أقبلت قال من المسجد فقال له أى شئ صنعت هناك قال كنت جالسا مع ابراهيم بن الوليد المخزومى قال فأى شئ قال لك قال أمرنى أن أطلق امرأتى قال فأى شئ قلت له قال ما قلت له شيأ قال فوالله ما قال لك هذا الا لأمر أظهرته ... فرأيت ... بطلاق امرأته أكان يطلقها قال لا والله قال فابن الدمينة كان أنصف منك كان يهوى امرأة من قومه فأرسلت اليه ان أهلى قد نهونى عن لقائك ومراسلتك فأرسل اليها يقول

أطعت لآمريك بقطع حبلى * مريهم فى أحبتهم بذاك

فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصى من عصاك

أما والراقصات بكل فج * ومن صلى بنعمان الاراك

لقد أضمرت حبك فى فؤادى * وما أضمرت حبا من سواك

(وحكى) ... الأصمعى قال مررت بالكوفة واذا أنا بجارية تطلع من جدار الى الطريق وفتى واقف وبازائها ... وهو يقول أسهر فيك وتنامين عنى وتضحكين منى وأبكى وتستريحين وأتعب ... وأصحو ... ويأمرك ... فتطيعينه ويأمرنى نصيحى ... فقالت له ان أهلى يمنعونى منك وينهونى عنك فكيف أصنع فقال ...

أطعت لآمريك بقطع حبلى * مريهم فى أحبتهم بذاك

فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصى من عصاك

ثم ... فرأى ... تقول ... فقبلته والله لو عاش ابن أبى ليلى ما حكم الا بمثل حكمك وحدث ... أبى السرى عن هشام ... قال هوى ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهاج بها مدة ... ثم تقطع عنها ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها

وأنت الذى ... * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وابرزتنى

وأبرزتني للناس ثم تركتني * لهم غرضا أرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

قال فأجابها ابن الدمينة فقال وأنت التي كلفتني دلج السرى * وجون القطا بالجلهتين جثوم
وأنت التي قطعت قلبي حرارة * ومزقت جرح القلب فهو كليم
وأنت التي أحفظت قومي فكلهم * بعيد الرضى داني الصدود كظيم

قال ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده كما سيأتي (وحدث) أبو الحسن الينبعي قال بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلا فاذا بظل نسوة في القمر فلتقينا فاذا بجماعة نسوة فسمعت واحدة منهن تقول أهو أهو فقالت الاخرى نعم والله انه لهو هو فدنت مني ثم قالت يا كهل قل لهذا الذي معك

ليست ليالبك في خاخ بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت له أجب فقد سمعت فقال قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني فالتفت اليها ثم قلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

فقالت المرأة أوّاه ثم مضت ومضينا حتى اذا كنا بفرق طريقين مضى الفتى الى منزله ومضيت الى منزلي فاذا بجارية تجذب طرف ردائي فالتفت اليها فقالت المرأة التي كلمتك تدعوك فمضيت معها حتى دخلت دارا ثم صرت الى بيت فيه حصير وثنيت لي وسادة فجلست ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لي أأنت المجيب قلت نعم قالت ما كان أفظ جوابك وأغلظه قلت والله ما حضرني غيره فبكت ثم قالت لي والله ما خلق الله خلقا أحب الي من انسان كان معك قلت وأنا الضامن عنه لك ما تحبين قالت أوتفعل قلت نعم فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة وانصرفت فاذا الفتى ببابي فقلت ما جاء بك قال علمت انها سترسل اليك وسألت عنك فلم أجدك فعلمت انك عندها فجلست أنتظرك فقلت له قد كان كل ما ظننت ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا وأورحنا فاذا الجارية تنتظرنا فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار فاذا برائحة الطيب وجاءت فجلست مليا ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلا ثم ذكرت الابيات التي أنشدتها امرأة ابن الدمينة ثم سكتت فسكت الفتى هنيهة ثم قال

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفي دون هذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي اليك اداء

فالتفتت الي وقالت ألا تسمع ما يقول قد أخبرتك قال فغمزته فكف ثم قالت

تجاهلت وصلي حين لجت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ أنا مبصر
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب واذ رأيي جميع موفر
ولكنما آذنت بالصبر بغتة * ولست على مثل الذي جئت أقدر

فقال الفتى مجيبا لها لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته * وكنت أحب الناس عنك تطيب

فبكت ثم قالت أوقد طابت نفسك لا والله ما فيك خير بعدها فعليك السلام ثم التفتت الي وقالت قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه وانصرفنا (وكان السبب) في قتل ابن الدمينة أن رجلا من سلول يقال له مزاحم ابن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة وكان اسمها حماء وقيل حمادة فكان يأتيها وتحدث الناس بها حتى اشتهر ذلك فسمعه ابن الدمينة من أبياتها واشتهاه فقال مزاحم يذكر ذلك

يا ابن الدمينة والأخبار يرفعها * وخد النجائب والمحقور يخفيها
يا ابن الدمينة ان تغضب لما فعلت * فطال خزيك أو تغضب مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنة نفذت * منه وخلال اخلاج الجوف غاديها
جاهدت فيها لكم اني لكم أبدا * أبغي مصايبكم عمدا فآتيها
فذاك عندي لكم حتى تغيبني * غبراء مظلمة هار نواحيها

ابن أبي ربيعة شبب بزينب بنت موسى أخت قدامة ابن موسى الجمحي وكان سبب تشبيبه بها أن ابن أبي عتيق ذكرها له فأطنب في وصفها بالحسن والجمال فصنع فيها قصيدته التي أولها

يا خليلي من ملام دعاني * وألما الغداة بالاظعان

فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه في ذكرها فقال له

لا تلمني في ذكرها ابن عتيق * ان عندي عتيق ما قد كفاني
لا تلمني فأنت زينتها لي

فبدره ابن عتيق فقال أنت مثل الشيطان للانسان فقال عمر وهكذا ورب الكعبة قلته فقال ابن عتيق ان شيطانك ورب العزة ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب منك وأصيب منه (ومن ذلك) ما روى أبو عبيدة أن راكبا أقبل من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس فقال له من أين أقبلت قال من اليمامة فقال هل أحدث ابن المراغة بعدي من شيء قال نعم قال هات فأنشد

هاج الهوى بفؤادك المهتاج

(فقال الفرزدق)

فانظر بتوضح باكر الاحداج

(فأنشد الرجل)

هذا هوى شغف الفؤاد مبرّح

(فقال الفرزدق)

أغشى نساء بني تيم اذا هجعت * عني العيون ولا أبغي مقاريها
كم كاعب من بني تيم قعدت لها * وعانس حين ذاق النوم حاميها
كقعدة الاعسر الحاصوق منتحيا * متينة من متين النبل يرميها
علامة كية ما بين عانتها * وبين سبتها لا تسل كاويها
وشهقة عند حس الماء تشهقها * وقول ركبتها قض حين تثنيها
وتعدل الاير ان زاغت فتبعثه * حتى يقيم برفق صدره فيها
بين الصفوقين في مستهدف ومد * ذي حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى يا عبيد الله في امرأة * ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها * وصادف القوس في الغرات باريها
ترى عجوز بني تيم ملفعة * شمطا عوارضها ربدا دواهيها
اذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها * قشارة من أديم الارض تفريها
حتى يظل هدان القوم يحسبها * بكرا وقبل هوى في الدار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها قد قال فيك هذا الرجل ما قال وقد بلغك قالت والله ما رأى مني ذلك قط قال فمن أين له العلامات قالت وصفتهن له النساء قال هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسي القصة ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء فقال لها والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك فبعثت اليه وواعدته ليلا وقعد له ابن الدمينة وصاحب له فجاء هاللموعد فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه فقال لها يا حماء ما هذا الجفاء الليلة قال فتقول له هي بصوت ضعيف ادخل فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصاة في ثوب فضرب به كبده حتى قتله وأخرجه فطرحه ميتا فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك

قالوا هجتك سلول اليوم مخفية * فاليوم أهجو سلولا لا أخافيها
قد لو اهجاك سلولي فقلت لهم * قد أنصف الصخرة الصماء راميها
رجالهم شر من يمشي ونسوتهم * شر البرية استاذل حاميها
يحككن بالصخر استاها الهانقب * كما يحك نقاب الجرب طاليها

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه

لك الخيران واعدت جماء فالقها * نهارا ولا تدلج اذا الليل أظلما
فانك لا تدري أبيضاء طفلة * تعانق أم ليثا من القوم قشعما
فلما سرى عن ساعدي ولحيتي * وأيقن اني لست جماء جمجما

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال

اذا قعدت على عرنين جارية * فوق القطيفة فادعوا لي بحفار

وبكت بنت له منها فضرب بها الارض فقتلها أيضا وقال متمثلا لا تغذوا من كلب سوء جروا فخرج جناح أخو المقتول الى أحمد بن اسمعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث اليه فحبسه وقالت أم أبان والدة مزاحم تقول وهي من بني خثعم ترثي ابنها وتحرض مصعبا وجناحا أخويه

اهلي ومالي بل بحل عشيرتي * قتيل بني تيم بغير سلاح
فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم * فتظهر فيه للشهود جراح
فلا تطمعوا في الصلح مادمت حية * ومادام حيا مصعب وجناح
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا * تدور وأن الطالبين شحاح

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن اسمعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول من خثعم

وبوى تقاذف غير ذات خداج
(فأنشد الرجل)
ان الغراب بما كرهت لمولع
(فقال الفرزدق)
بنوى الاحبة دائما اسعاج
فقال الرجل هكذا والله قال
أفسمعتها من غيري قال لا
ولكن هكذا ينبغي أن يقال
أوما علمت أن شيطاننا واحد
ثم قال امدح بها الحجاج قال
ثم قال بما أراد (ومن ذلك)
ما أخبرنا الفقيه أبو محمد
عبد الخالق المسكي أخبرنا
أبو طاهر السلفي اجازة أنبانا
أبو صادق مرشد بن يحيى بن
القاسم المديني في كتب
الي القاضي أبو الحسين
علي بن محمد بن صخر الازدي
أن أبا القاسم عمر بن محمد بن
سيف أذن لهم في الرواية
عنه أخبرنا أبو خليفة عن
ابن سلام قال قال عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه
لابن عبد الاعلى تمم هذا
البيت وأنت أشعر العرب
بروح ونغدو كل يوم وليلة
(فقال مجيبا)
وعما قليل لا نروح ولا نغدو
(ومن ذلك) ما روى سلمة
العمري قال حضرت مجالس
هشام بن عبد الملك وبين
يديه جرير والفرزدق
والاخطل فأحضرت بين
يدي هشام ادم فقال
انعتوها ولم يدم ثم ارحلها
أكم عمه كأن ريده في له
فمد رجيرو فقال
كأنها معنق تعدو بمصراء

رجلا مكان المقتول وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ولهم قصص وأخبار كثيرة ثم ان ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وكانت أمه حرضته وقالت له اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أحتك وقد كنت أعذرك قبل هذا لانك كنت صغيرا والآن قد كبرت فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفا ينشد ناسا فعدا الى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جراحتين فقيل انه مات لوقته وقيل بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو فى سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها عليه فجاءه رجل من قومه فصاح به يا مصعب ان لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا فى ذمتك حتى تسلمنى الى السلطان فقذفه السلطان فى سجن تبالة قال ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات فى غد وقال فى تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

هتفت بأكلب ودعوت قيسا * فلا خذلا دعوت ولا فتالا
ثأرت مزاحما وسررت قيسا * وكنت لما هممت به فعولا
فلا تشلل يداك ولا تزالا * تفيدان الغنائم والجزيلا
فلو كان ابن عبد الله حيا * لصبح فى منازلها سلولا

وبلغ مصعبا أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه فقال يحرض قومه

لقيت أبا السرى وقد تكالا * له حق العداوة فى فؤادى
فكاد الغيظ يفرطنى اليه * بطعن دونه طعن الشداد
اذا بحت كلاب السجن حولى * طمعت شماتة وهفا فؤادى
طماعا أن يدق السجن قومى * وخوفا أن تمنينى الاعادى
فخاطنى بقومى شر ظن * ولا أن يسلمونى فى البلاد
وقد جدلت قاتلهم فأمسى * يمج دم الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل اليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه فهرب الى صنعاء ومن شعر ابن الدمينة الابيات المشهورة

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل شاقتنى اليك المضاجع
لقد ثبتت فى القلب منك محبة * كما ثبتت فى الراحتين الاصابع

وهى من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى لانها توافقها فى الوزن والقافية

(الهى عبدك العاصى أتاكا)

هو من الوافر ولا أعلم قائله وتمامه

مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل * وان تطرد فمن يرحم سواكا

والطرد الابعاد (والشاهد فيه) وضع المظهر وهو عبدك موضع المضمر وهو أنا للاستعطاف وهو طلب العطف والرحمة اذ ليس فيه ما فى المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة وان كان من غير باب المسند اليه أيضا

(تطاول ليلك بالاثمد)

قائله امرؤ القيس الكندى الصحابى رضى الله تعالى عنه وهو أول قصيدة من المتقارب وتمامه

ونام الخلى ولم ترقد

وبعده

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبا جاءنى * وأنبئته عن أبى الاسود
ولو عن نثا غيره جاءنى * وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزا * ل يؤثر عنى يد المسند
بأى علاقتنا ترغبو * ن أعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الداء لا نقعد
وان تقتلونا نقاتلكمو * وان تقصدوا الدم نقصد
متى عهدنا بطعان الكماة * والمجد والحمد والسودد
وبنى القباب وملء الجفا * ن والنار والحطب الموقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم وروى بكسرهما اسم موضع والعائر بالمهملة هو القذى يقع فى العين وقيل

فقال لم تصنع شيأ فقال الفرزدق

كأنها كاسر بالدو فتخاء

قال ولا أنت فقال الاخطل

ترخى المشافر واللحيين ارخاء

فقال اركبها لا حملك الله

(ومن ذلك) ما روى أن بعض الشعراء قال لابى العتاهية أجز

برد الماء وطابا

(فقال أبو العتاهية)

حبذا الماء شرابا

(ومن ذلك) ما روى عن دعبل بن على الخزاعى أنه قال كنت أنا ومحمد بن وهب نسمر عند معقل بن عيسى ابن ادريس العجلى أخى أبى دلف فطلعت الثريا ليلة فقال معقل أجيزوا أما ترون الثريا فبدر محمد بن وهب فقال كأنها عقد ريا (ومن ذلك) ما روى حماد بن اسحق عن أبيه قال قلت

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم احبلت فكنت عدة ليال لا أقدر على تمامه فدخل على عبد الله بن عمار فرآنى مفكرا فقال لى ما قصتك فأخبرته فقال فى الحال

وبدا يمزح بالهجر فجد

قال اسحق ثم تممت أنا بعد فقلت

ماله يعدل عنى وجد

وهو لا يعلم ما عندى أحد

(ومن ذلك) ما روى محمد ابن داود بن الجراح قال كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائى عند الحسن بن وهب

هو نفس الرمد (والشاهد فيه) الالتفات وهو في قوله ليلك لانه خطاب لنفسه ومقتضى الظاهر ليلى بالتكلم (وامرؤ القيس) هو ابن عانس بنون وسين مهملة ابن المنذر بن امرئ القيس بن السمط بن عمرو ابن معاوية بن الحرث ينتهي نسبه لكندة الكندي الشاعر له صحبة وشهد رضي الله عنه فتح النجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت ثم حضر الكنديين حين ارتدوا فثبت على اسلامه ولم يكن فيمن ارتد ثم نزل الكوفة ولما خرجوا ليقتلوا وثب على عمه فقال له ويحك يا امرأ القيس أتقتل عمك فقال له أنت عمي والله عز وجل ربي وهو الذي خاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عيدان بكسر العين والياء التحتية ويقال فيه عبدان بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال ويقال بفتح العين وسكون الباء وكانت المخاصمة في أرض فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينتك قال ليس لي بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه وهو القائل رضي الله عنه

قف بالديار وقوف حابس * وتأن انك غير آيس
لعبت بهن العاصفا * ت الرائحات الى الروامس
ماذا عليك من الوقو * ف بهامد الطللين دارس
يارب باكية علي * ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارسا * ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا أن تسمعوا * هلك امرؤ القيس بن عانس

وفي الصحابة أيضا امرؤ القيس بن أبي الاصبع الكلابي وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولاني

﴿طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب﴾
﴿يكلفني ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب﴾

البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل من قصيدة من الطويل يمدح بها الحرث بن جبلة بن أبي شمر الغساني وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب فكه وبعد البيتين

منعمة لا يستطاع كلامها * على بابها من أن تزار رقيب
اذا غاب عنها البعل لم تفش سره * وترضى اياب البعل حين يؤوب
فلا تعدلي بيني وبين مغمر * سقتك روايا المزن حين تصوب
سقاك يمان ذو حبي وعارض * تروح به جنح العشي جنوب
وما أنت أم ما ذكرها ربعية * يخط لها من ثرمداء قليب
فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ شباب عندهن عجيب

وهي طويلة يقول في غرضه منها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

فلما سمع الحرث هذا البيت قال نعم وأذنبة ولما سمع قوله في وصف النساء قال صدق فوك الله أبوك أنت طبيبهن والخبير بأدوائهن وقد أخذه من قول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

ومن لطيف ما ذكر من كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومي

قالت أحبك قلت كاذبة * غري بذا من ليس ينتقد
لو قلت لي أسلاك قلت نعم * الشيب ليس يحبه أحد

(ومعنى) طحا بك أي اتسع وذهب بك كل مذهب وطروب مأخوذ من الطرب وهو استخفاف القلب في الفرح أي له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن ومعنى بعيد الشباب حين ولى وكاد ينصرم ومعنى عصر حان مشيب أي زمان قرب الشيب واقباله على الهجوم ومعنى شط بعد والولي القرب والعوادي الصوارف وعوادي الدهر عوائقه والخطوب جمع خطب وهو الامر العظيم (والشاهد فيه)

فدخل عليهما أبو نهشل بن حميد فلما رآه أبو تمام قال اضحك الله أبا نهشل ثم قال يحسن أجز فقال

بخد تريم أبيض أكحل

ثم قال أجز أبا نهشل فقال

تطمع في الوصل فان رمته * صار مع العيوق في منزل

وهذا فيه اجازة بيت ببيت (ومن ذلك) ما روى النميري قال دخل أبي على المعتز بالله وكان من جلسائه فوقع بين الجلساء تنازع فيما بينهم حتى أضجروه فقال النميري فقال له أبي عد لك الصفح والذنوب لنا ... المعتز ... ذلك ... (وذكر) عبيد الله بن أحمد ابن أبي طاهر في تاريخه الذي ذيل به كتاب أبيه قال حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن المنجم ... أول ... الشعر حضر أبو الصقر اسمعيل بن بلبل عند أبيه في مجلس فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن وولد أحمد بن أبي طاهر وجماعة من أهل الادب فانشد في أبو الصقر شيئا من شعري فانشدته فاستنكره ... المعتز ثم قال أريد أن أمتحنك في شيء تجيزه فقلت له ذلك فتفكر ثم قال أتيت ... (قتلته ... غير ...) ... ولا يريث ... الحديث فقال أبو عبد الله بن أبي فنن

الالتفات من الخطاب في طحابك الى التكلم في يكلفني وفاعله ضمير القلب وليلى مفعوله الثاني وروى بالتاء الفوقانية على انه مسند الى ليلى والمفعول محذوف أي تكلفني شدائد فراقها أو على انه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة الى الخطاب وفي طحا بك التفات آخر عند السكاكي لا عند الجمهور وأشار علقمة بصدر البيت الذي قبل الاخير هنا الى أن المال يستر شين الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب * فقلت مشيبي ما ينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة وهي انهما أنشدا في مجلس كان فيه بعض ظرفاء الادباء فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الا بحرف الراء فقال له المنشد كيف فقال وعصر الشبيبة مني سرى فقال وكيف تصنع في البيت الثاني فقال فقالت بلى ينطلي بالخرا فاستحيي المنشد وانصرف من المجلس خجلا (وعلقمة) بن عبدة بن عبد النعم النعماني ينتهي نسبه الى نزار وكان يقال له الفحل لانه حلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال كان تحت امرئ القيس امرأة من طيئ تزوجها حين جاور فيهم فنزل بهم علقمة الفحل التميمي فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك فتحاكما اليها فأنشدها امرؤ القيس قوله

خليلي مرا بي على ام جندب * لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

حتى مر بقوله منها فللسوط ألهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع أهوج متعب

وأنشدها علقمة قوله ذهبت من الهجران في غير مذهب حتى انتهى الى قوله

فأدركهن ثانيا من عنانه * يمر كغيث رائح متحلب

فقالت له علقمة أشعر منك قال وكيف قالت لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وانه جاء هذا الصيد ثانيا من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك فسمي علقمة الفحل وما زالت العرب تسميه بذلك قال الفرزدق

والفحل علقمة الذي كانت له * حلل الملوك كلامه تتنحل

وعن حماد الراوية قال كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردودا فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي أولها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذا سمط الدهر ثم عاد اليهم في العام القابل فأنشدهم قوله

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هذان سمطا الدهر وعن حماد بن اسحق قال سمعت أبي يقول سرق ذو الرمة قوله

يطفو اذا ما تلقته الجراثيم من قول العجاج اذا تلقته العساقيل طفا وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول * يطفو اذا ما تلقته العرانين (وحدث) العمري عن لقيط قال تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان بن بدر السعدي والمخبل وعمرو بن الاهتم الى ربيعة بن حذار الاسدي فقال أما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص وأما أنت يا مخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام وأما أنت يا علقمة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شئ

(ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه)

البيت لرؤبة العجاج من الرجز والمهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر الجمع مهامه والمغبرة المتلونة بالغبرة والارجاء الاطراف والنواحي جمع رجا مقصورا (والشاهد فيه) القلب وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه وهو هنا في المصراع الثاني ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه وفيه

اذهب يا غلام فأنت أشعر الاولين والآخرين ثم حضرت المائدة وحضر عليها كباب رشيدي فقال ابن أبي فنن كباب رشيدي اذا ما رأيته ثم قال أجز فقلت وان كنت شبعانا قرمت الى الاكل ثم قال ابن أبي فنن ما سمعت أحسن من هذا ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا وهذه الحكاية صدرها من باب الاجوبة وآخرها من هذا الباب (وذكر) الرئيس هلال بن المحسن ابن الصابي في كتاب الوزراء والكتاب قال حدثت أبو الفرج الاصبهاني قال سكر الوزير المهلبي ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي يا أبا الفرج أنا أعلم أنك تهجوني سرا فاهجني الساعة جهرا فقلت الله الله في أيها الوزير ان كنت قد ثقلت عليك فرني فلا أعود أجيبك أبدا وان كنت تريد قتلي فبالسيف أهون فقال دع هذا فلابد والله أن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت

ابر بغل مكوكب

فبدر فقال في حرام المهلبي هات مصراعا آخر فقلت الطلاق لازم لي ان زدت على هذا كلمة (وروى) عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأتينا

من الاستعارة ما ليس في تركه لاشعار بأن لون السماء قد بلغ من الغبرة الى حيث يشبه به لون الارض فيها ومن القلب قول الشاعر كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم

ومنه قول أبي تمام يصف قلم الممدوح

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وقول الآخر فديت بنفسه نفسي ومالي وقول الآخر يمشي فيقعس أو يكب فيعثر ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره في شواهد المقدمة

(كما طينت بالفدن السياعا)

قائله القطامي من قصيدة من الوافر يمدح بها زفر بن الحرث الكلابي حين أحاطت به قيس بنواحي الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه وبينهم وحماه ومنعه وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلى سبيله فقال يمدحه وأول القصيدة

قفي قبل التفرق ياضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا

قفي فادي أسيرك ان قومي * وقومك لا أرى لهم اجتماعا

الى أن قال يمدح زفر بن الحرث

ومن يكن استلام الى ثوى * فقد أحسنت يا زفر المتاعا

أكفرا بعد رد الموت عني * وبعد عطائك المائة الرتاعا

فلما أن جرى سمن عليها * كما طينت بالفدن السياعا

أمرت بها الرجال ليأخذوها * ونحن نظن أن لن تستطاعا

فلأيا بعد لأي أدركوها * على ما كان اذ طرحوا الرقاعا

فلو بيدي سواك غداة زلت * بي القدمان لم أرج اطلاعا

اذن لهلكت لو كانت صغارا * من الاخلاق تبتدع ابتداعا

فلم أر منعمين أقل منا * وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا

من البيض الوجوه بني نفيل * أبت أخلاقهم الا اتساعا

وهي طويلة والفدن محركة القصر المشيد والسياع بفتح السين المهملة الطين بالتبن يطين به (والشاهد فيه) قلب الاسناد ومعناه كما طينت الفدن بالسياع وهذا من قبيل القلب المردود لان العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال (والقطامي) بفتح القاف وضمها اسمه عمير بن شييم والقطامي لقب غلب عليه وكان نصرانيا فأسلم قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق وهو شاعر اسلامي مقل فحل مجيد (وعن الشعبي رحمه الله) قال قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل يا أبا مالك تحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا الا شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن ان يكن في أحد خير فسيكون فيه ولوددت أني سبقته الى قوله

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادي

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وحدث محمد بن صالح بن النطاح قال القطامي أول من لقب صريع الغواني بقوله

صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وقيل نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها فقالت أنا من قوم يشتوون القد من الجوع قال ومن هؤلاء ويحك قالت محارب ولم تقره فبات عندها بأسوأ ليلة فقال فيها قصيدة أولها

نأتك بليلى نية لم تقارب * وما حب ليلى من فؤادي بذاهب

الى أن قال فيها

ولا بد أن الضيف يخبر ما رأى * مخبر أهل أو مخبر صاحب

سأخبرك الأنباء عن أم منزل * تضيفتها بين العذيب فراسب

تلفعت في طل وريح تلفني * وفي طرمساء غير ذات كواكب

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب

تصلي بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدو لراكب

فيه يومئذ الملساء دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غض [illegible] فقمت للوضوء [illegible]

[illegible] وأجزت [illegible] أبو تمام حبيب بن رباح النجم كيف قمت [illegible] فأنشدت [illegible]

أي درع لقتيل لو جهد [illegible] وسمي ما عد * (قال علي بن ظافر) وقد أنبأني [illegible] أبو محمد [illegible] اجازة [illegible] الحافظ [illegible] أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن [illegible] الصنهاجي بالاسكندرية [illegible] أخبرني [illegible] [illegible]

أي درع [illegible] فاستحسن [illegible] وقت الانشاد [illegible] (قال علي بن ظافر [illegible]) الاهل منسوجة في [illegible] [illegible]

فما راعها الا بغام مطيـة * تريح بمحسور من الصوت لاغب
تقول وقد قربت كوري وناقتي * اليك فلا تذعر علي ركائبي
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحي قالت معشر من محارب
من المشتوين القد مما تراهم * جياعا وريف الناس ليس بعازب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علي مناخ السوء ضربة لازب
ألا انما نيران قيس اذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل في هجاء أخيه أحمد اذ يقول

ليت لي منك يا أخي * جارة من محارب   نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

وسيأتي ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عند ترجمة أبيهما المعذل في شواهد الاطناب ان شاء الله تعالى
قال أبو عمرو رحمه الله أول ما حركني من القطامي فرفع ذكره انه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق
ليمدحه فقيل له انه بخيل لا يعطي الشعراء وقيل بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له ان الشعر
لا ينفق عند هذا ولا يعطي عليه شيأ وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه فمدحه بقصيدته التي أولها

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فقال له كم أملت من أمير المؤمنين قال أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة قال قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة
برا وتمرا وثيابا ثم أمر بدفع ذلك اليه وقال أبو عمرو الشيباني لو قال القطامي بيته

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

في صفة النساء لكان أشعر الناس ولو قال كثير عزة

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

في مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس (وقال) رجل كان يديم الاسفار سافرت مرة الى الشام على طريق
البر فجعلت أتمثل بقول القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي فقال ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم فهلا قال
بعد قوله هذا وربما ضر بعض الناس حزمهم * وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا
والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدي بن زيد العبادي

قد يدرك المبطئ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وعدي نظر الى قول جانة الجعفي

ومستعجل والمكث أدنى لرشده * ولم يدر في استعجاله ما يبادر

وما أحسن قول ابن هندو رحمه الله

تأن فالمرء ان تأنى * أدرك لا شك ما تمنى
وما المستوفز العجول * حظ سوى انه تعنى

ومن أحسن ما قيل في عيب الاناة قول ابن الرومي

عيب الاناة وان سرت عواقبها * أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا

وللقطامي عدة قصائد في مدح زفر بن الحرث الكلابي سيأتي منها شيء في أثناء الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿شواهد المسند﴾

﴿فاني وقيار بها لغريب﴾

قائله ضابئ بن الحرث البرجمي وهو من قصيدة من الطويل قالها وهو محبوس في المدينة المنورة في

الموصوف فقال
نثر الجو على الترب برد
أي در لنحور لو جمد
فتناقض المعنى بقوله البرد
وقوله لو جمد اذ ليس البرد
الا ما جمده البرد اللهم الا أن
يريد بقوله لو جمد لو دام
جموده فيصح وبعد عن
التحقيق * ومثل هذا قول
المعتمد بن عباد يصف فوارة
ولربما سلت لنا من مائها *
سيفا وكان عن النواظر
مغمدا
طبعته لجيا فذابت صفحة *
منه ولو جمدت لكان مهندا
(قال علي بن ظافر) وقد
أخذت أنا هذا المعنى فقلت
أصف روضا
فلو دام ذاك النبت كان
زبرجدا
ولو جمدت أنهاره كن بلورا
وهذا المعنى مأخوذ من قول
علي بن التونسي الايادي
من قصيدته الطائية
المشهورة
ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط *
ما كان أحسنه لو كان يلتقط
وهذا المعنى كثير للقدماء
(قال علي بن الرومي) من قطعة
في العنب الرازقي
لو أنه يبقى على الدهور
قرط آذان الحسان الحور
(أنبأنا) الشيخان الاجل
العلامة أبو اليمن تاج الدين
الكندي والشيخ الفقيه
جمال الدين بن الحرستاني
اجازة عن الامام الحافظ أبي
القاسم علي بن الحسن بن

زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى

ومن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب
ورب أمور لاتضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب
وماعاجلات الطير تدنى من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
وفى الشك تفريط وفى الحزم قترة * ويخطئ فى الحدس الفتى ويصيب
ولست بمستبق صديقا ولا أخا * اذا لم تعد الشئ وهو مريب

ومعنى البيت التحسر على الغربة والرحل السكن ومايستصحبه من الاثاث وقيار جمل ضابئ أوفرسه (والشاهد فيه) ترك المسند وهو غريب والمعنى انى لغريب وقيار أيضا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن ولا يجوز أن يكون غريب خبرا عنهما بانفراده لامتناع العطف على محل اسم ان قبل مضى الخبر وقيار مرفوع اما عطفا على محل اسم ان أو بالابتداء والمحذوف خبره والسر فى تقديم قيار على خبر ان قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضا اذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه فى التأثر عن الغربة لان ثبوت الحكم أولا أقوى (وضابئ) بالضاد المعجمة وبعد الالف باء موحدة ثم همزة ابن الحرث البرجمى ينتهى نسبه الى تميم ذكر فيمن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ثم انه جنى جناية فى زمن عثمان رضى الله عنه فحبسه فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه ثم جبن عنه وفى ذلك يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ويقول فيها أيضا
وقائلة لا يبعد الله ضابئا * ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

الى أن يقول فيها أيضا

ولا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله
فلا الفتك ما أمرت فيه ولا الذى * تحدث من لاقيت انك فاعله
وما الفتك الا لامرئ ذى حفيظة * اذا هم لم ترعد عليه مفاصله

ثم لما قتل عثمان رضى الله عنه وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه ثم ان الحجاج قتله كما سيأتى مشروحا فى شواهد الايجاز عند قوله أنا ابن جلا ان شاء الله تعالى * وكان السبب فى حبس عثمان لضابئ انه كان استعار من بعض بنى حنظلة كلبا يصيد به فطالبوه به فامتنع من اعطائه فأخذوه منه قهرا فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله

تجشم نحوى وفد قرحان سربخا * تظل به الوجناء وهى حسير
فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما * حباهم بتاج الهرمزان أمير
وقلدتهم مالو رميت متالعا * به وهو مغبر لكاد يطير
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * أمامة عنى والامور تدور
فأمكم لاتتركوها وكلبكم * فان عقوق الوالدين كبير
فانك كلب قد ضريت بما ترى * سميع بما فوق الفراش بصير
اذا عبقت من آخر الليل دخنة * يبيت له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه فحبسه وقال والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حيا لنزلت فيك آية ومارأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك (وحدث) أبو بكر بن عياش قال كان عثمان رضى الله عنه يحبس فى الهجاء فهجا ضابئ قوما فحبسه عثمان رضى الله عنه ثم استعرضه فأخذ سكينا فجعلها فى أسفل نعله فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده الى الحبس

هبة الله بن عساكر سماعا قال أنبأنا أبو الفرج غيث ابن على الصورى حدثنى أبى قال سمعت بكار بن على الرياحى بدمشق يقول لما وصل عبد المحسن الصورى الى هنا جاء فى المجدى الشاعر فعرفنى به وقال هل لك فى أن نمضى اليه ونسلم عليه فأجبت وقمت معه حتى أتينا الى منزله وكان ينزل دائما اذا قدم فى سوق القمح وكان بين يديه دكان قطان وفيها رجل أعمى فوقفت به عجوز كبيرة فكلمها بشئ وهى منصتة له فقال المجدى فى الحال

منصتة تسمع مايقول

فقال عبد المحسن فى الحال

كأنها لما قابلته الغول

فقال له المجدى أحسنت والله يا أبا محمد أتيت بتشبيهين فى نصف بيت أعيذك بالله (قال) على بن ظافر وأخبرنى من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد ابن على الحصى القرموفى الزجال عما معناه قال ركب المعتمد على أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر اشبيلية فى جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ فى المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت فى يده فأصابها وثبتت

(نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف)

البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح أولها

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا * ماذا عليهم لو انهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم * ريث يضحى جماله السلف

فيهم لعوب لعساء آنسة الـ * ـدل عروب يسوءها الخلف

بين شكول النساء خلقتها * خدوا فلا جبلة ولا قضف

تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنعطف

الى أن قال منها أيضا

أبلغ بنى مذحج وقومهم * خطيم أنا وراءهم انف

انا وان قل نصرنا لهم * أكبادنا من ورائهم تجف

واننا دون ما يسومهم ا * لاعداء من ضيم خطة نكف

الحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائنا وكف

يامال والسيد المعمم قد * يطرأ فى بعض رأيه السرف

نحن المكيثون حيث يحمد بالـ * ـمكث ونحن المصالت الانف

يامال والحق ان قنعت به * فالحق فيه لامرنا نصف

خالفت فى الرأى كل ذى نفر * والبغى يامال غير ما نصف

ان بجيرا مولى لقومكم * والحق نوفى به ونعترف

والرأى الاعتقاد ويجمع على آراء وأرآء (والشاهد فيه) ترك المسند وهو راضون فقوله راض خبر المبتدا الثانى وخبر الاول محذوف على عكس البيت السابق ومثله قول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريأ ومن أجل الغوى رمانى

وقول المتنبى

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

أى المتنهد هو المطالب به (وقيس بن الخطيم) بالخاء المعجمة شاعر جاهلى وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم وشهد مع على كرّم الله وجهه صفين والجمل والنهروان وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج فى خبر يطول ذكره وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينها برقا ما رأته حليلة رجل قط الا ذهب عقلها وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء اهجى قيس بن الخطيم فقالت لا أهجو أحدا حتى أراه فجاءته يوما فرأته فى مشربة ملتفا بكساء له فنخسته برجلها وقالت قم فقام فقالت أقبل فأقبل ثم قالت أدبر فأدبر ثم قالت أقبل فأقبل قال والله لكأنها والية تعترض عبدا تشتريه ثم عاد الى حاله نائما فولت وقالت والله لا أهجو هذا أبدا وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه قدم النابغة السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول

عرفت منازلا بعرنتات * فأعلى الجزع للحى المبين

فقلت هلك الشيخ ورأيته تبع قافية منكرة قال ويقال انه قالها فى موضعه فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ثم قال ألا رجل ينشد فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد

أتعرف رسما كاطراد المذاهب

حتى فرغ منها فقال له أنت أشعر الناس يا ابن أخى قال حسان رضى الله عنه فدخلنى منه من ذلك وانى مع ذلك لاجد القوة فى نفسى عليهما ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال أنشد فوالله انك لشاعر قبل أن تتكلم قال وكان يعرفنى قبل ذلك فأنشدته فقال أنت أشعر الناس * وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الا خزرجى فاستنشدهم

فى أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه فرأى ابن حاج الصباغ أول لاحق به فقال أجز

كأنها فوق العصا

فأجابه مسرعا

هامة زنجى عصى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية (قال على بن ظافر) وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن حاج هذا أن الوزير أبا بكر ابن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلاد ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن حاج هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ فى صباغته والنيل قد جرّ على يده ذيلا وأعادنهارها ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده فقال

كم بين زند وزند

فقال

ما بين وصل وصد

فعجب من سرعة ارتجاله مع مضـيه فى عمله واستجهاله وجذب بضبعه وبالغ فى الاحسان اليه غاية وسعه (وأخبرنى) أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال

صلى الله عليه وسلم قصيدة قيس بن الخطيم وهى

أتعرف رسما كاطراد المذاهب * لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم اياها فلما وصل الى قوله منها

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان كما ذكر فشهد ثابت بن قيس بن شماس وقال والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج الينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورّسة فجالدنا كما ذكر هذا فى هذه الرواية وهذه القصيدة من غرر القصائد وبيتها هو قوله

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وعن المفضل أن حرب الاوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا على قتله فخرج عشية من منزله بين ملاءتين يريد مالا له بالشوط قلت وهو حائط عند جبل أحد فلما مر بأطم بنى حارثة رمى من الاطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها فى صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤه فحملوه الى منزله فلم يروا له كفؤا الا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مبذول النجارى فاندس اليه رجل حتى اغتاله فى منزله فقتله بأن ضرب عنقه واحتمل رأسه وأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال يا قيس قد أدركت بثأرك فقال عضضت بأير أبيك ان كان غير أبى صعصعة قال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وكان موته على كفره قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة

ومن شعره من قصيدة وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الا عناء

وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الموت ليس له دواء

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يشاء

وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتى بعد شدتها رخاء

ولا يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى على الجود الثراء

غناء النفس ما عمرت غناء * وفقر النفس ما عمرت شقاء

وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء

وبعض القول ليس له عياج * كمخض الماء ليس له اتاء

وبعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له دواء

﴿ انّ محلا وانّ مرتحلا ﴾

قائله الاعشى الاكبر من قصيدة من المنسرح يمدح بها سلامة ذا فايش واسمه سلامة بن يزيد اليحصبي وكان يظهر للناس فى العام مرة مبرقعا (حدث) سماك بن حرب قال قال الاعشى أتيت سلامة ذا فايش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه بعد مدة طويلة فأنشدته

ان محلا وان مرتحلا * وان فى شعر من مضى مثلا

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وأولى الملامة الرجلا

والارض حمالة لما حمل الله * وما ان ترد ما فعلا

يوما تراها كشبه أردية الـ * ـعصب ويوما أديمها نغلا

الشعر قلدته سلامة ذا * فايش والشئ حيثما جعلا

فقال صدقت الشئ حيثما جعل وأمر لى بمائة من الابل وكسانى حللا وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا وقال لى اياك أن تخدع عن فيها قال فأتيت الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء والمحل بفتح الحاء المهملة المنزل والمرتحل بالفتح أيضا المكان المرتحل عنه (والشاهد فيه) حذف المسند الذى هو هنا ظرف والمعنى ان لنا فى

الدنيا

سلم سباط الحرفان مهزول فقل
يقول الدليس مهزولوا
(وأخبرنى) الشيخ الاجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبى أيده الله قال قال أبو محمد عبد المؤمن ابن على صاحب قرطبة والمغرب يوما فى مجلسه وقد عوفى من مرض
الحمد لله رب العالمين على
ثم طلب اجازته من أهل المجلس فلم يجبه أحد فقال أبو العباس بن حيوس
بره لامام الذى فى الامين علا
قال لى الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية صنع شيخنا قاضى الجماعة أبو العباس بن مضاء اجازته
بره الامام الذى فى الناس قد عدلا
ثم عمل فيها أبياتا (وأخبرنى) الاجل شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير الملك العزيز رحمهما الله تعالى قال أخبرنى البهاء الحسن على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى قال سايرت الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازى رحمه الله تعالى فجرى من الحديث ما أوجب أن قال
ان هذى النفوس تموت تسعى
فاستجازنى فقلت
فاذا قيل مات لم تك بدعا
(وأخبرنى) القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى

الدنيا حاولا ولناعها الى الآخرة ارتحالا وقد اختلف فى حذف خبر ان فأجازه سيبويه اذا علم سواء كان الاسم معرفة أو نكرة وهو الصحيح وأجازه الكوفيون ان كان الاسم نكرة وقال الفراء لا يجوز معرفة كان أو نكرة الا اذا كان بالتكرير كهذا البيت (والاعشى) اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ينتهى نسبه لنزار وكان يقال لابيه قتيل الجوع سمى بذلك لانه دخل غارا ليستظل فيه من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وفيه يقول جهنام واسمه عمرو وكان يتهاجى هو والاعشى

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل * وخالك عبد من خماعة راضع

وكان الاعشى يكنى أبا بصير وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وسئل يونس النحوى من أشعر الناس فقال لا أومئ الى رجل بعينه ولكنى أقول امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وقال أبو عبيدة من قدم الاعشى احتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ويقول هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب (وحدث) يحيى بن سليم الكاتب قال بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة الى حماد الراوية أسأله عن أشعر الناس قال فأتيت حمادا فاستأذنت وقلت يا غلام فأجابنى انسان من أقصى بيت فى الدار فقال من أنت فقلت يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين فقال ادخل رحمك الله فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت فاذا حماد عريان وعلى سوءته شاهشفرم قلت وهو الريحان فقلت له ان أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس قال نعم ذلك الاعشى صناجها (وحدث) رجل من أهل البصرة انه حج فقال انى لأسير فى ليلة اضحيانة اذ نظرت الى رجل شاب راكب على ظليم قد زمه وخطمه وهو يذهب عليه ويجىء قال وهو مع ذلك يرتجز ويقول

هل يبلغنيهم الى الصباح * هقل كأن رأسه جماح

فعلمت أنه ليس بانسى فاستوحشت منه فتردد على ذاهبا وراجعا حتى أنست به فقلت من أشعر الناس قال الذى يقول

وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فقلت ومن هو قال امرؤ القيس قلت ومن الثانى قال الذى يقول

تطرد القر بحر ساخن * وعكيك القيظ ان جاء بقر

قلت ومن يقوله قال الاعشى ثم ذهب (وقال الشعبى رحمه الله) الاعشى أغزل الناس فى بيت واحد وأخنث الناس فى بيت واحد وأشجع الناس فى بيت واحد فأما أغزل بيت فقوله

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

وأما أخنث بيت فقوله

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل

وأما أشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وهذه الابيات من قصيدة للاعشى طنانة مطلعها

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق مداعبا الشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الاول

ذابت زبيدة من شوق لسيدها * عثمان والنجم بالنيران مشتعل * وما الام ونسل الفخر يجمعها
وبالزيارة لم يبرح لها شغل * فقل لطائر عقل قد أتاه بها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لو كنت يا سطل ذا أذن تصيخ الى * عذل عذلتك لو يجدى لك العذل * تقود ظبية آرام الى أسد
لو التقى لمضت أنيابه العصل * ومن يرى ذلك الوجه الجميل ولا * يود من فحطك المشهور ينفصل

الكاتب قال أنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله تعالى

اذا مت مهجورا فلا عاش عاشق

وقد أعيانى اتمامه على هذا النمط من الجناس فقلت

ولا طار للاحباب بعدى طارق

فقال اتمام ارادى أن يكون الجناس منه لا مثل الاول فقلت

وبعدى للاحباب لا طار طارق

(قال) على بن ظافر سايرت فى بعض أسفارى سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن البونى وأنا عائد من ميافارقين الى ماردين وكان الشتاء كلبا والبرد قويا والوحل شديدا فلقينا فى تلك العقاب عشا فقال

عقاب فى ثناياها عقاب

واستجازنى فقلت للوقت

فما هى بالعذاب بل العذاب

(قال على بن ظافر) وبتنا ليلة بالقرافة فرأى بعض أصحابنا الزهرة وقد قارنت المشترى وهما مشرقان فى حندس الظلماء فأفرط فى استحسانهما فقال أبو الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الهوى

تقارن الزهرة والمشترى

فقلت

كالزج والهذم فى السمهرى

فأفرط الجماعة فى استحسانه ثم وقع لى أن أشبههما بالهذم

هذى بثينة والمجنون قائدها * الى جميـــل أجاد الهم باجل * وهبــه عف أما تبقى محاسنها
فى قلبه بالبكاع الوقت يازحل * أف لعقلك يا ستبوع أنت ذو * رأس خفيف وذاك الطود والجبل
والويل ويلك ان ذاقت عسيلته * وبات يجمعان الزبد والعسـل * لا أنشـدنك ان ودعتهـا سفها
ودع هريرة ان الركب مرتحل * وان يكن ذاك أعشى كنت أنت اذا * أعمى فلا أفلحت يوما لك السبل

(رجع الى أخبار الاعشى) قدم الاخطل الكوفة فأتاه الشعبى يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى فدعانى الى الغداء فأبيت فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدنى * صرمت أمامة حبلها ورعوم فلما انتهى الى قوله واذا تعاورت لا كف ختامها * نفحت فنال رياحها المزكوم
قال لى ياشعبى ناك الاخطل أمهات الشعراء بهذا البيت فقلت الاعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك قال وكيف قلت لانه قال من خمر عانة قد أتى لختامه * حول تسل غمامة المزكوم
فقال وضرب بالكأس الارض هو والمسيح أشعر منى ناك والله الاعشى أمهات الشعراء الا أنا (وحدث) هشام بن القسم الغزى وكان علامة بأمر الاعشى انه وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها

ألم تكتحل عيناك ليلة أرمدا * وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

(وفيها أيضا يقول لناقته)

فآليت لا أرثى لهـا من كلالة * ولا من حفى حتى تزور محمدا * نبى يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا * متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندا

فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما يمدح أحدا قط الا رفع من قدره فلما ورد عليهم قالوا أين أردت يا أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وما هن قال أبو سفيان بن حرب الزنا قال لقد تركنى الزنا وما تركته قال ثم ماذا قال القمار قال لعلى ان لقيته أصبت منه عوضا من القمار قال ثم ماذا قال الربا قال ما دنت وما أدنت قط قال ثم ماذا قال الخمر قال أوه أرجع الى صبابة بقيت لى فى المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان فهل لك فى شئ خير لك مما همت به قال وما هو قال نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وان ظهر علينا أتيته قال ما أكره ذلك قال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله (وحدث) محمد بن ادريس بن سليمان بن أبى حفصة قال قبر الاعشى بمنفوحة وأنا رأيته فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح انتهى والله أعلم

(ليبك يزيد ضارع لخصومة)

قائله ضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيد من قصيدة من الطويل أولها

لعمرى لئن أمسى يزيد بن نهشل * حشا جدث تسفى عليه الروائح
لقد كان ممن يبسط الكف بالندى * اذا ضن بالخير الاكف الشحائح
فبعدك أبدى ذو الضغينة ضغنه * وشدلى الطرف العيون الكواشح
ذكرت الذى مات الندى عند موته * بعافية اذ صالح القوم صالح
اذا أرقى أفنى من الليل ما مضى * تمطى به ثنى من الليـــل راجح
ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح
عرى بعد ما جف الثرى عن نقابه * بعصماء تندى كيف تمشى المنائح

والضارع

من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشترى فقلت

أما ترى المشترى وقد قارن الـ * ـزهرة يبغى دنوا مقترب
كصعدة زجها وهذمها * ذاك لجين وذا من الذهب

(قال على بن ظافر) اجتمعت أنا والقاضى الاعز أبو الحسن على بن المؤيد الغسانى رحمه الله يوما بالرصد فرأينا شعاع الاصيل فوق بياض الماء فقلت له أجز

أذكت الشمس على الماء لهب

فقال

وكست فضته منها ذهب

وقلت له يوما أجز

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال

وجاء مبلول الجناح بالمطر

(وذكر) أبو على حسن بن رشيق فى كتاب الانموذج حكاية مطبوعة قال جلست فى دكان أبى لقمان الصفار وكان يتهم فى شعره مع جماعة من الشعراء وأبو لقمان والدركادو يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجرى بينهما من غريب المهاترة فقال الدركادو أجز يا أبا لقمان

حيتان حبك فى طنجير باوانى

فقال أبو لقمان

ولحم وجهك فى كانون أحشائى

فقال له أحمد بن ابراهيم الكمونى أحسنت يا أبا لقمان

والضلوع الخاضع المستكن من الضراعة وهي الخضوع والتذلل والجار والمجرور متعلق بضارع وان لم يعتمد على شئ لان الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل أي يبكيه من يذل لاجل خصومة لانه كان ملجأ وظهيرا للاذلاء والضعفاء وتعليقه بيبكي ليس بقوي والمختبط الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة وأصله من الخبط وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل والطوائح جمع مطيحة وهي القواذف على غير قياس كلواقح جمع ملقحة يقال طوحته الطوائح أي نزلت به المهالك ولا يقال المطوحات وهو نادر (والشاهد فيه) وقوع الكلام جوابا لسؤال مقدر مشتمل على المسند وعدل عن بنائه للفاعل الى بنائه للمفعول لتكرير الاسناد اجمالا وتفصيلا اذ هو أوكد وأقوى وأوقع في النفس والله أعلم

﴿أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم﴾

البيت لطريف بن تميم العنبري من أبيات من الكامل وبعده

فتوسموني انني أنا ذلكم * شاكي سلاحي في الحوادث معلم
تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولي أسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتي خضم

وعكاظ سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظي والقبيلة بنو أب واحد والعريف رئيس القوم لانه عرف بذلك أو النقيب وهو دون الرئيس والتوسم التخيل والتفرس (والمعنى) ان لي على كل قبيلة جناية فمتى وردوا عكاظ طلبني القيم بأمرهم وكانت فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا حتى لا يعرفوا وذكر عن طريف هذا وكان من الشجعان أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ سنة وقد حشدت بكر بن وائل وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيباني فقال حصيصة بن شراحيل أروني طريفا فأروه اياه فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر اليه حتى فطن له طريف فقال له مالك تنظر الي مرة بعد مرة فقال أتوسمك لأعرفك فلله علي لئن لقيتك في حرب لأقتلنك أو لتقتلني فقال طريف عند ذلك الابيات المارة (والشاهد فيه) مجيء المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال وهو هنا يتوسم أي يتفرس الوجوه ويتصفحها يحدث منه ذلك شيأ فشيأ ولحظة فلحظة ثم ان بني عائذة حلفاء بني ربيعة من ذهل بن شيبان خرج منها رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بني شيبان فذعرعليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانئ بن مسعود وهو رئيسهم يا بني ربيعة ان اخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحاز واعنهم ففارقوهم فساروا حتى نزلوا بمنابض ماء لهم فأبق عبد لرجل من بني ربيعة وسار الى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جديدا من بني بكر بن وائل نزل على منابض وهم بنو ربيعة والحي الجريد المنتقل من قومه فقال طريف بن العنبري هؤلاء ثاري يا آل تميم انما هم أكلة رأس وأقبل في بني عمرو بن تميم فأنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانئ بن مسعود رئيسهم الى علم منابض وأقاموا عليه وسرحوا بالاموال والسرح وصبحتهم تميم فقال لهم طريف افرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم فقال له بعض رؤساء قومه أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ما هذا برأي وأبوا عليه وقال هانئ لاصحابه لا يقاتل رجل منكم فلحقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانئ لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتل يومئذ طريف بن العنبري قتله حصيصة الشيباني ابن شراحيل وقال في ذلك

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وأنت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا ابني ربيعة شمروا * بكتائب دون النساء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم

قسمك خير من قسيمه فزهي أبو لقمان وقال أدافع في بديع الشعر وهذا شعري في الهتف والغالم أو رد هذه الحكاية في الحكايات المتقدمة على ترتيب الاعصار والازمنة اذ كان حقها أن تكون بين الحكايات المنسوبة الى أبي الفرج والمهلبي والمنسوبة الى ابن حديس لانها ليست من بدائع البداهة ولم أراخلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة (ومن الاجازة اجازة قسيم بقسيم وبيت ببيت) كما روي لنا من أن الرشيد هرون رحمه الله تعالى صنع قسما وهو الملك لله وحده ثم ارتج عليه فقال استدعوا من بالباب من الشعراء فدخل عليه جماعة منهم الجماز فقال أجيزوا وأنشدهم القسيم فبدرهم الجماز فقال

وللخليفة بعده

فقال له الرشيد زد فقال

وللمحب اذا ما حبيبه بات عنده

فقال له الرشيد أحسنت ولم تعد ما في نفسي وأجازه بعشرة آلاف درهم (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبي طاهر في تاريخ بغداد قال حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال استزارني أحمد بن سعيد الدمشقي وأناصبي وسأل أبي أبا الحسن الاذن لي في المصير اليه وأخبره أن أحمد

وحمو اذمار أبيهم أن يشتموا * سلبوك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق)

البيت للنضر بن جؤية بن النضر من أبيات من البسيط وقبله

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

وبعده البيت وبعده حتى يصير الى نذل يخلده * يكاد من صره اياه يمزق

ونسبه صاحب المغرب للملك افريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي (والشاهد فيه) مجيء المسند اسما لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد يعني أن الاطلاق ثابت له من غير اعتبار تجدد وفي معنى البيت قول المتنبي

وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

(وما أحسن قول ابن النقيب في معناه)

وما بين كفي والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل

وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

(وما ألطف قول السراج الوراق)

ان الدراهم مسها * ألم يشق على الكرام * الضرب أول أمرها * والحبس في أيدي اللئام

ماذا على شؤم الدرا * هم من مقاساة الانام * ولخوفها من ذا وذا * لا تغتر من أيدي الكرام

ولطيف قول بعضهم رأيت الدراهم أبغضنني * كأني قتلت أبا الدرهم

(له همم لا منتهى لكبارها)

قائله حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة من الطويل وتمامه * وهمته الصغرى أجل من الدهر * وذكر بعضهم انه لبكر بن النطاح في أبي دلف العجلي ولعل الحامل له على هذا ما حكي أن أبا دلف لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد أردف فارس منهم رفيقا له خلفه فطعنهما جميعا فأنفذهما فتحدث الناس انه أنفذ بطعنة واحدة فارسين فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده قوله فيه

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذن نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال بكر فيه أيضا

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

ولو أن خلق الله في جسم فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

أبا دلف بوركت في كل بلدة * كما بوركت في شهرها ليلة القدر

فلما كانت هذه الابيات موافقة لذلك البيت في الوزن والقافية نسب لبكر بن النطاح المذكور والذي يقوى انه ليس لبكر بن النطاح انه لم يوجد في أخباره الا الابيات الثلاثة المذكورة وهذا البيت جليل بالنسبة اليه فلو كان منه النص عليه بالذكر ونقل بعضهم أن أعرابيا دخل على أمير فقال يمدحه

فتى تهرب الاموال من جود كفه * كما يهرب الشيطان من ليلة القدر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

فقال له الامير احتكم أو نفوض الى الحكم فقال الاعرابي بل أحتكم كل بيت ألف درهم فقال الممدوح

ابن أبي طاهر وأبا الحسن بن مسلمة وعلي بن مهدي وجماعة من أهل الادب عنده فأذن لي فصرت اليه فصادفت عنده أبا الحسن جحظة فلما أردنا القيام الى صنة في داره الا كل الناس الجماعة له ... وبقي جحظة بغير نعل ... يقول يا قوم من لي بنعل فقمت في بيت ... فضحكت الجماعة وغضب الدمشقي فقمت

وليس ذا قول جد

لكنه قول هزل

... ومن بديهي (... على ...) صنعة المتوكل على الله عمر بن الافطس صاحب بطليوس من بلاد الاندلس ... وهو ... وارتج عليه ... محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته وخواص حضرته ... لكل طالب عرف للشيخ ... ومن ظرف ظرف (وأقد أبياتي) الشيخ الاجل الحافظ ... ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن ... الامام ... أبي بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبي القاسم خلف بن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش عن أبي الحسن ... في ...

لو فوضت الينا الحكم لكان خيرا لك فقال لم يكن فى الدنيا ما يسع حكمك فقال أنت فى كلامك أشعر من شعرك وأمر له مكان كل ألف بأربعة آلاف والهمم واحدها همة بالكسر وتفتح وهى ماهم به من أمر ليفعل (والشاهد فيه) تقديم المسند وهو له للتنبيه من أول وهلة على انه خبر لهمم لا نعت له اذ لو أخر لتوهم انه نعت له لا خبر (وحسان) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجى رضى الله عنه وأمه الفريعة ويكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المدن وكان أحد المعمرين المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة منها ستون فى الجاهلية وستون فى الاسلام وعن سليمان بن يسار قال رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه وله ناصية قد سدلها بين عينيه وعن محمد النوفلى رحمه الله قال كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل هذا قال لأكون كأنى أسد ولغ فى دم وعن أبى عبيدة قال فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة وشاعر اليمن كلها فى الاسلام وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال جاء حسان رضى الله عنه الى نفر فيهم أبو هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عنى ثم قال اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة اللهم نعم (وحدث) سماك بن حرب قال قام حسان فقال يا رسول الله ائذن لى فيه يعنى أبا سفيان بن حرب وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج له لسانا أسود وقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد ائذن لى فيه قال اذهب الى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك فأتى أبا بكر فأعلمه بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقال كف عن فلانة واذكر فلانة وكف عن فلان واذكر فلانا فقال

هجوت محمدا فأجبت عنه ❊ وعند الله فى ذاك الجزاء ❊ فان أبى ووالدتى وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء ❊ أتهجوه ولست له بند ❊ فشركما لخيركما الفداء

(وحدث) جويرية ابن أسماء قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى وعن جابر رضى الله عنه قال لما كان عام الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبى صلى الله عليه وسلم من يحمى أعراض المسلمين فقال كعب رضى الله عنه أنا يا رسول الله وقال عبد الله بن رواحة أنا يا رسول الله وقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله قال عليه السلام نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال جاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال قد جاء اللعين حسان من الشام فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه وعن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يقول

حصان رزان ما تزن بريبة ❊ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة رضى الله عنها لكن أنت لست كذلك فقلت لها أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره (وحدث) مالك بن عامر قال بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجع مسند رجليه الى فارع قد رفعهما عليه اذ قال مه ما رأيتم ما مر بكم الساعة قال مالك فقلنا لا والله وما هو فقال حسان فاختة مرت بكم الساعة بينى وبين فارع فصدمتنى أو قال فزحمتنى قال فقلنا وما هى قال ستأتيكم غدا أحاديث جمة فأصغوا لها آذانكم وتسمعوا قال مالك بن عامر فصبحنا من الغد حديث صفين (وحدث) العلاء بن جزء العنبرى قال بينا حسان ابن ثابت بالخيف وهو مكفوف اذ فرز فرة ثم قال

وكأن حافرها بكل خميلة ❊ صاع يكيل به شحيح معدم
عارى الاشاجع من ثقيف أصله ❊ عبد ويزعم انه من يقدم

قال والمغيرة بن شعبة الثقفى جالس قريبا فسمع ما يقول فبعث اليه بخمسة آلاف درهم فقال من بعث الى

أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة (وبهذا الاسناد) قال ابن بسام ذكر أبو على الحسين بن الغليظ المالقى قال قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شربنا على ماء كأن خريره

فقال مبادرا

بكاء محب بان عنه حبيبه
فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه
فانى مشغوف به وكئيبه

(وبه أيضا) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال اجتمع ابن عبادة وعبد الله بن القابلة السبتى بالمرية فنظر الى غلام وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لك

فقال ابن القابلة

فى وسط اللجة تحت الحلك
فجعل الماء سماء له
وصير الفلك مكان الفلك

(قال على بن ظافر) وكل ما أسنده الى ابن بسام فبهذا الاسناد (ومنها اجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيت) أنبأنى الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندى وجمال الدين بن الخراسانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم على ابن الحسن بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو بكر بن المرزوقى أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن

بهذه فقالوا المغيرة بن شعبة سمع ماقلت فقال واسوء تاه وقبلها (وحدث) الاصمعي قال جاء الحرث بن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أجرني من شعر حسان فلو مزج البحر بشعره لمزجه وكان السبب فى ذلك أن الحرث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابعث معي من يدعو الى دينك فانى له جار فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الانصار فغدرت بالحرث عشيرته فقتلوا الانصاري فقدم الحرث على النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب أحدا فى وجهه فقال ادعوا الى حسان فلما رأى الحرث أنشده

يا جار من يغدر بذمة جاره * منكم فان محمدا لم يغدر

ان تغدروا فالغدر منكم شيمة * والغدر ينبت فى أصول السخبر

فقال الحرث اكففه عني يا محمد وأؤدي اليك دية الخفارة فأدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء وكذلك كانت دية الخفارة وقال يا محمد انى عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه (وحدث) يوسف ابن ماهك عن أمه قالت كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها فذكرت حسان فسببته فقالت بئس ماقلت تسبينه وهو الذى يقول

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

فقالت أليس ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه الذى قال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فان كان ماقد جاء عني قلته * فلا رفعت سوطي الى أناملي

وكان حسان رضي الله عنه جبانا حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحو وعدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالى الى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد غدوت أمام القوم منتطقا * بصارم مثل لون الملح قطاع

تحفز عنى نجاد السيف سابغة * فضفاضة مثل لون النهي بالقاع

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطن حسان انه ضحك من صفته نفسه مع جبنه وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة رضي الله عنه

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر)

البيت لمحمد بن وهيب من البسيط يمدح المعتصم وأبو اسحق كنيته واسمه محمد (حدث) أبو محلم قال اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث اليهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال لهم ان أمير المؤمنين يقول لكم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميري فى الرشيد

خليفة الله ان الجود أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بنى العباس معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان أخلف القطر لم تخلف مخايله * أوضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل والا فلينصرف فقام محمد بن وهيب فقال فينا من يقول مثله قال وأى شيء قلت فقال

الحسين بن عبد العزيز العسكري أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المجبر حدثنا أبو الفرج على بن الحسين الاصبهاني أخبرني جعفر بن قدامة حدثني أحمد بن أبي طاهر قال دخلت يوما على بنت جارية مخفرانه وكانت حسنة الوجه والغناء فقلت لها قد قلت مصراعا فأجيزيه فقالت لى قل فقلت

يابدر حسنك يغشى بهجة القمر

فقالت

وقد كاد حسنك أن يبتز لي بصري

ثم وقفت أفكر فسبقتني فقالت

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت

رياالرياض عليه فى دجى السحر

فزاد فكري فبادرتني فقالت

فهل لنا منك حظ فى مواصلة

أولا فانى راض منك بالنظر

فقمت عنها ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد فاشتراها بعشورة على بن يحيى بثلاثين ألفا وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد فامتحنها فى الغناء والكتابة فرضي بما ظهر منها وكان أول ماغنته لحنا غريبا والشعر فى المعتمد فقالت

سنة وشهر قابلا بسعود

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها ثم قال لاحمد بن حمدون

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

فالشمس تحكيه فى الاشراق طالعة * اذا تقطع عن ادراكها النظر

والبدر يحكيه فى الظلماء منبلجا * اذا استنارت لياليه به الغرر

يحكى أفاعيله فى كل نائبة * الغيث والليث والصمصامة الذكر

فالغيث يحكى ندى كفيه منهمرا * اذا استهل بصوب الديمة المطر

ورب صال أحيانا على حنق * شبيه صولته الضرغامة الهصر

والهندوانى يحكى من عزائمه * صريمة الرأى منه النقض والمرر

وكلها مشبه شيأ على حدة * وقد تخالف فيها الفعل والصور

وأنت جامع مافيهن من حسن * فقد تكامل فيك النفع والضرر

فالناس لق جسم له رأس يدبره * وأنت جارحتاه السمع والبصر

فأمر بادخاله وأحسن جائزته ومما يشبه ذلك قول القاسم بن هانئ يمدح جعفرا صاحب المسيلة

المدنفان من البرية كلها * جسمى وطرف بابلى أحور

والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الفتى يهواه قلبى والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ويقرب منه قول ابن مطروح فى الناصر داود

ثلاثة ليس لهم رابع * عليهم معتمد الجود الغيث والبحر وعز زهما * بالملك الناصر داود

وقول أبى محمد الباقى ثلاثة ما اجتمعن فى رجل * الا وأسلمنه الى الاجل

ذل اغتراب وفاقة وهوى * وكلها سائق على عجل

ياعاذل العاشقين انك لو * عذرتهم كنت تبت من عذل

وقول ابن سكرة فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد

الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وما أصدق قول السراج الوراق

ثلاثة ان صحبت ثلاثة * أعيت علاج بدوها والحضر

عداوة مع حسد وفاقة * مع كسل وعلة مع كبر

وبديع قول ابن نباتة المصرى

تناسبت فيمن تعشقته * ثلاثة تعجب كل البشر

من مقلة سهم ومن حاجب * قوس ومن نغمة صوت وتر

ومما يناسب هذا المقام ماحكاه المدائنى قال بينا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما تسير ذات ليلة اذ سمعت حاديا يحدو ويقول * لولا ثلاث هن عيش الدهر * فقالت لقائد قطارها الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ماهذه الثلاثة فطال طلبه لذلك حتى أتعبها فقالت لغلام لها سر أنت حتى تسمع منه فرجع اليها فقال سمعته يقول الماء والنوم وأم عمرو * فقالت قبحه الله أتعبنى منذ الليلة ومما يجرى من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل فى كتاب العين وهو

ان فى دارنا ثلاث حبالى * فوددنا لو قد وضعن جميعا

جارتى ثم هرتى ثم شاتى * فاذا ما ولدن كن ربيعا

جارتى للرضاع والهر للفا * ر وشاتى اذا اشتهينا مجيعا

قارضها فقال
وهبت نفسى للهوى
فقالت فخار لما أن ملك
فقال فصرت عبدا خاضعا
فقالت بسلك بى حيث سلك
فأمر المعتمد بابتياعها
فاشتريت بثلاثين ألفا
(وبالاسناد المتقدم عن ابن
بسام) قال روى أبو عامر
ابن شهيد قال لما قدم زهير
الصقلى حضرة قرطبة من
المرية وجه أبو جعفر بن
عباس وزيره الى لمة من
أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر
المروانى وابن الخياط والطبنى
فحضروا فسألهم عنى وقال
وجهوا اليه فوافانى رسوله
مع دابة بسرج محلى فسرت
اليه ودخلت المجلس وأبو
جعفر غائب فتحرك المجلس
لدخولى وقاموا جميعا الى
حتى طلع أبو جعفر علينا
ساحبا ذيلا لم أر أحدا
سحبه قبله وهو يترنم
فسلمت عليه سلام من
يعرف قدر الرجال فرد ردا
لطيفا فعلمت أن فى أنفه
نعرة لاتخرج الابسعوط
الكلام ولاتراض الا
بمستحصد النظام ورأيت
أصحابى يصبون الى ترغمه
فقال لى ابن الخياط وكان
كثير الانحاء على جالباقى
المحافل مايسوء الاولياء الى
الوزير حضره قسيم وهو
يسألنا اجازته فعلمت أنى
المراد فاستنشدته فأنشد
مرض الجفون ولثغة فى
المنطق

ومن هذا الباب قول جرجيس بن بختيشوع طبيبا

عليله المسكين من شؤمه * في بحره الك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة * طلعته والنعش والغاسل

وقول الآخر

ثلاثة طاب بها المجلس * الورد والتفاح والنرجس

وقول الآخر

ثلاثة طاب بها العمر * وجهك والبستان والخمر

وقول الآخر

ثلاثة عن غيرها كافيه * هي المنا والأمن والعافيه

وقول أبي بكر البلخي

ثلاثة فقدها كبير * الخبز واللحم والشعير
والبيت من كلها خلاء * فجدبها أيها الامير

وقول الآخر

ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك

وقول أبي الحسن العلوي

ثلاثة موصوفة تجلو البصر * الماء والوجه الجميل والخضر

وقول الآخر

ثلاثة تذهب عن قلبي الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

وقول ابن لنكك بديع هنا

أعد الورى البرد جندا من البلا * ولاقيته من بينهم بجنود
ثلاثة نيران فنار مدامة * ونار صبابات ونار وقود

وفي معناه قول الصنوبري

نار راح ونار خد ونار * لحشا الصب بينهن استعار
ما أبالي ما كان ذا الصيف عندي * كيف كان الشتاء والامطار

وظريف قول بعضهم

ثلاثة يمنة تدور * الطست والكاس والبخور

وقول غانم المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در وياقوت

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي

ما العيش الا خمسة لا سادس * لهم وان قصرت بها الاعمار
زمن الربيع وشرخ أيام الصبا * والكاس والمعشوق والدينار

وأنشد ثعلب النحوي

ثلاث خلال للصديق جعلتها * مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة * وترك ابتذال السر في الخلوات

(والشاهد في البيت) تقديم المسند وهو ثلاثة للتشويق الى ذكر المسند اليه وهو شمس الضحى وما عطف عليه ومثله قول أبي العلاء المعري

وكالنار الحياة فمن رماد * أواخرها وأولها دخان

فتقديم كالنار ومن رماد كلاهما للتشويق (ومحمد بن وهيب) حميري شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وكان يستميح الناس بشعره و يتكسب بالمديح ثم توصل الى الحسن بن سهل برجاء بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله اليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه اليه وأوصله الى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ثم لم يزل منقطعا اليه حتى مات وكان يتشيع وله مراث في أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته (حدث عن نفسه) قال لما ولى الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن علي الخزاعي وأبا سعيد المخزومي وأبا تمام الطائي فاستحسنوا الشعر وقالوا هذا لعمري من الاشعار التي تلقى بها الملوك فخرجت الى الجبل فلما صرت الى همذان

فقلت لمن حضر لا تجهدوا
نفوسكم فلستم المراتم
أخذت الدواة وكتبت
سبحان جبار عشق من لم يعشق
من لي بأن نع لا يزال حديثه
يذكي على الاكباد جمرة محرق
يثني فينبو في الكلام لسانه
فكأنه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها
ولوانها كتبت له في مهرق
ثم قمت عنهم فلم ألبث أن
وردوا علي وأخبروني أن أبا
جعفر لم يرض بما جئت به
من البديهة وسألوني أن
أجمل مكاوي الهجاء على
حماره وزعموا أن ادريس
بن يماني هجاء فأفحش فقمت
أبو جعفر كاتب شاعر
مليح سيئ الخط حلو الخطابه
ثم لا تصلحوا لما
يلوي ترقوة لكتابه
له عرق ليس ماء الجباه
ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جرى لين
فأحدث في العلو منه صلابه
(قال علي بن ظافر) وأحسب
أن الذي هجاه به ادريس
وأفحش فيه قوله وقد كان
وفد عليه بالمرية وامتدحه
بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ
اليه عند خروجه منها يقول
ايه أبا جعفر المرجى
ما بال طيري خلاف طيرك
أهديت رقراقة المعاني
لم أهدها مثلها لغيرك
فلم تمرها ولم تمرني
ولم تمرها بفضل ميرك
فصار شعري لديك بكرا
قد نسست من فلاح ايرك

أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى

أجارتنا ان التعفف باليأس * وصبرا على استدرار دنياى بالباس * حريان أن لا يقذفا بمذلة

كريما وأن لا يحوجاه الى الناس * أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

فأمر حاجبه باضافتى فأقمت بحضرته كلما دخلت اليه لم أنصرف الا بحملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لى يا محمد ان الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فقلت خدمة الامير أحب الى فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لى هذا يوم الوداع فأنشد فى الثلاثة الابيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته

أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

قال صدقت ثم قال عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحسنه قولى

دماء المحبين ما تعقل * أمافى الهوى حكم يعدل تعبدنى حور الغانيات * ودان الشباب له الاخضل

ونظرة عين تعللتها * غرارا كما ينظر الاحول مقسمة بين وجه الحبيب * وطرف الرقيب متى يغفل

(وحدث) خال أبى هفان قال كنت عند أبى دلف فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جدا فلما انصرف قال معقل أخوه يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ما هو فى بيت من الشرف ولا فى كمال من الادب ولا بموضع من السلطان فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك أو لا يستحقه وهو القائل

يدل على انه عاشق * من الدمع مستشهد ناطق ولى ما لك أنا عبده * مقر بأنى له وامق

اذا ما سموت الى وصله * تعرض لى دونه عائق وحار بنى فيه ريب الزمان * كأن الزمان له عاشق

(وحدث) الحسن بن رجاء قال كان محمد بن وهيب الحميرى لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير فلما هدأت الامور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوما منفردا بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من انسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله اليه مع الشعراء فلما انتهى اليه القول استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشد قصيدته التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر * وباحت بمكتوماتهن النواظر * تمكن فى طى الضمير وتحته

شبا لوعة عضب الغرار بن باتر * فأعجم عنها ناطق وهو معرب * وأعربت العجم الجفون النواظر

الى أن قال فيها تعظمه الاوهام قبل عيانه * ويصدر عنه الطرف والطرف حاسر

به تجتدى النعما ويستدرك المنى * وتستكمل الحسنى وترعى الاواصر

أصات بنا داعى نوالك مؤذنا * بجود ولك الا أنه لا يحاور

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

الى أن قال فى آخرها ولو لم تكن الا بنفسك فاخرا * لما انتسبت الا اليك المفاخر

قال فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الارض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا قلت فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى كنفه أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ما تصدى لغيره (وحدث) ميمون بن هرون قال كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح على بن هشام وتردد الى بابه دفعات فحجبه ولقيه يوما فى طريق فسلم عليه فلم يرجع اليه طرفه وكان فيه تيه شديد فكتب اليه رقعة يعاتبه فيها فلما وصلت اليه مزقها وقال أى شئ يريد هذا الثقيل السيئ الادب فقيل له ذلك فانصرف مغضبا وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوسل بجاهه وسيغنى الله عنه والله لتذوقن مغبة فعله وقال يهجوه

أزرت عليه بجود خيفة العدم * فصد منهزما عن شأو ذوى الهمم

لو كان من فارس فى بيت مكرمة * أو كان من ولد الاملاك والعجم

(وذكر) العميد أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى فى كتابه دمية القصر وعصرة العصر قال حدثنى الاديب يعقوب ابن أحمد قال أنشدت بحضرة أبى كامل مفرج بن دغفل الطائى

صهل الكميت فقلت مالك تصهل

فغيره بعض الحاضرين فقال

نعب الغراب فقلت مالك تنعب

(فقال أبو كامل بديها)

أبأى ألفك أم لحال ترهب * أم بت تخبرنا بفرقة جيرة

قد آن فى شعب ان أن يتشعبوا * عزموا على ترك النفوس وراءهم

ماء يسيل على لظى يتلهب

(وأنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن المفضل المقدسى قال أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف ابن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن عمر الاشبونى قال قصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد فلما وصل اليه ودخل عليه قال أجز

اذا مررت بركب العيس حيبها

فقال ابن جاخ فى الحال

يا ناقتى فعسى أحبابنا فيها

(ثم زاد فقال)

أوكان أوله أهـل البطاح أوالـ * ركب الملبين اهـ لالا الى الحرم

أيام تتخـذ الاصنام آلهة * فلا ترى عاكفا الا على صنم

لشعبته على فعـل الملوك لهم * طبائع لم ترعها خيفة العدم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم ينـد سيفك مذقلدته بدم

كنت امرأ ارفعته فتنة فعلا * أيامها غادرا بالعهـد والذمم

حتى اذا انكشفت عنا عمايتها * ورتب الناس بالاحساب والقدم

مات التخلق وارتادتك من تجعا * طبيعة نذلة الاخلاق والشيم

كذاك من كان لا رأس ولا ذنب * كذا اليدين حديث العهد بالنعم

هيهات ليس بحمال الديات ولا * معطي الجزيل ولا الموهوب ذي النعم

فلما بلغت الابيات علي بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها وقال لعن الله الحجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة وعلي السيف وأنا مستحى منه أذكر قول محمد بن وهيب فى

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم ينـد سيفك مذقلدته بدم

وسمع ابن الاعرابى وهو يقول أشجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب وأنشد البيت (وحدث) الحسن ابن رجاء عن أبيه قال لما قدم المأمون ولقيه أبو محمد الحسن دخلا جميعا فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جددت النعماء والمنن * فالحمد لله حل المعقد الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها * للناس لما التقى المأمون والحسن

قال فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال هذا رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا الى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشد قوله

طللان طال عليهما الامد * دثرا فلا علم ولا نضد * لبسا البلا فكأنما وجدا

بعد الاحبة مثل ما أجد * حييتما طللين حالهما * بعـد الاحبة غير ما عهدوا

ان ما طلوك سلو غانية * فهواك لا ملل ولا فند * ان كنت صادقة الهوى فردى

فى الحب منهله الذى أرد * أودى أرقت وأنت آمنة * أن ليس لى عقـل ولا قود

ان كنت فت وخانني نشب * فلربما لم يحتط مجتهد حتى انتهى الى مدح المأمون فقال

يا خير منتسب لمكرمة * فى المجد حيث تضخ المدد * فى كل أنملة لراحته * نوء يسح وعارض حشد

واذا القنا رعفت أسنتها * علقا وصم كعوبها قصد * فكأن ضوء جبينه قمر * وكأنه فى صولة أسد

وكأنه روح تدبرنا * حركاته وكأننا جسد

فاستحسنها المأمون وقال لابى محمد احتكم له فقال أمير المؤمنين أولى بالحكم ولكن ان أذن لى فى المسئلة سألت فأما الحكم فلا فقال سل فقال تلحقه بجوائز مروان بن أبى حفصة فقال ذلك والله أردت وأمر أن تعد الابيات فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم وعن أحمد بن أبى كامل قال كان محمد بن وهيب تياها شديد الزهاء بنفسه فلما قدم الافشين وقد قتل بابك مدحه بقصيدته التى أولها

طلول ومغانيها * تناجيها وتبكيها (يقول فيها) بعثت الخيل والخير * عقيد بنواصيها

وهى من جيد شعره فأنشدنا اياها ثم قال ما بها عيب سوى أنها لا أخت لها قال وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الافشين بثلثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبى دواد فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف قال ابن أبى كامل فقلت لعلي بن يحيى بن المنجم أولا تعجب من هذا الحظ يعطى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والارض فقال لذلك علة لا تعرفها كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصل الى هذا الحال (وحدث) أحمد بن أبى كامل

ايضا

يا ناق عوجي على الاطلال علّ بها
منهم قريبا برا فى كيف أبكيها
أم كيف أرفض طيب العيش بعدهم
أم كيف أسكب دمعا فى مغانيها
انى لأكتم أشواقي وأسترها
جهدي ولكن دموع العين تبديها

(وذكر) الوزير أبو لبابة الدانى فى كتاب سقط الدرر ولقط الزهر قال صنع المعتمد على الله بن عباد رحمه الله تعالى قسيما فى القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى وهو

سعد السعود يتيه فوق الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبيد الله الرشيد

وكلاهما فى حسنه متناه

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد
قد جل فى العليا عن الاشباه
لا زال يخلد فيهما ما شاءه
ودهت عداه من الخطوب دواهي

وكذلك ما روى أن القاضى الفقيه أبا الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط تنزه مع جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضى أبو الحسن مداعبا له

أيضا قال كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال هو متكلف حسود اذا أنشد شعر النفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا انه مظلوم منحوس الحظ وانه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال واذا أنشد شعر غيره حسد وان كان على نبيذ عربد عليه وان كان صاحيا عاداه واعتقد فيه كل مكروه فقلت له كلا كان لى صديق وما أمتنع من وصفكما جميعا بالتقدم وحسن الشعر فأخبرني عما أسألك عنه اخبار منصف أيعدمتكلفا من يقول

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقيني أن لا عسر الا مفرج

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * فيظهر ما بين الاسنة مخرج

أو يعد متكلفا من يقول

رأت وضحا في مفرق الرأس راعها * شريجين مبيض به وبهيم

فأمسك ابن أبي فنن واندفع الكندي فقال كان ابن وهيب ثنويا فقلت له من أين علمت ذلك أكلمك على مذهب الثنوية قط قال لا ولكني استدللت من شعره على مذهبه فقلت ماذا قال حيث يقول

طللان طال عليهما الامد * وحيث يقول * تفترّ عن سمطين من ذهب * الى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الاثنين فشغلني والله الضحك عن جوابه وقلت له يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه فرأى بين يديه غلمانا روقة مرداوخدما بيضا فترها في غاية الحسن والجمال والنظافة فدهش لما رأى وبقي متحيرا متبلبلا لا ينطق حرفا فضحك أحمد منه وقال له مالك ويحك تكلم بما تريد فقال

قد كانت الاصنام وهى قديمة * كسرت وجذّهن ابراهيم

ولديك أصنام سلمن من الاذى * وصفت لهن نضارة ونعيم

وبنا الى صنم نلوذ بركنه * فقر وأنت اذا هززت كريم

فقال له اختر من شئت فاختار واحدا منهم فأعطاه اياه وقال يمدحه

فضلت مكارمه على الاقوام * وعلا فحاز مكارم الايام

وعلته أبهة الجمال كأنه * قمر بدالك من خلال غمام

ان الامير على البرية كلها * بعد الخليفة أحمد بن هشام

(وحدّث) محمد بن وهيب قال جلست بالبصرة الى عطار فاذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقا فقلت له تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها الا خنفساء فالتفتت الىّ متضاحكة وقالت لا والله الامهاة جيداء ان قامت فقناة وان قعدت فحصاة وان مشت فقطاة أسفلها كثيب وأعلاها قضيب لا كفتياتكم اللواتى تسمنونهن بالقتوت ثم انصرفت وهى تقول

ان القتوت للفتاة مضرطه * يكربها في البطن حتى تثلطه

فلا أعلم انى ذكرتها الا أضحكني ذكرها وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعى قال أنا ابن قولى

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال أنا ابن قولى

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاوّل

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاوّل منزل

فقال محمد بن وهيب وأنا ابن قولى

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادى طرف من رمقا

لك أن تبدى لنا حسنا * ولنا أن نعمل الحدقا

(وحدّث) أبو ذكوان قال حدّثني من دخل الى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال

نفوس المنايا بالنفوس تشعبت * وكل له من مذهب الموت مذهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

وشاعر أثقل من جسمه
ثم استجاز ابن سوار فقال
تأتى معانيه على حكمه
يهجو ولا يهجى فهل عندكم
ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه في هجوه حية
منية الحية في سمه
أما أبو موسى ففي كفه
عصا ابنه والسحر في نظمه
يصيب سر المرء في رميه
كأنما العالم في علمه
(وأخبرني) القاضي الاعز
ابن المؤيد المقدّم ذكره
رحمه الله قال أخبرني الشيخ
أبو الحسن على بن عمر
المستقر الاندلسى قال كتب
أبو بكر البلنسى الى الاديب
أبي بحر صفوان بن ادريس
هذين البيتين يستجيزه
القسيم الاخير منهما وهما
خليلى أبا بحر وما قرقف اللمى
بأعذب من قولى خليلى أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته
تأمل على بحر المياه حلى الزهر
فأجازه بقوله
كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم
سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع
لتسمع ما تتلوه من سور الشعر
(قال) وهذان الرجلان من
الفضلاء في عصرنا هذا
(ومنها الاجازة بيت ببيت)
فمن ذلك ما روى يونس بن
حبيب قال لما بنى يوسف
ابن زياد داره بالساحة صنع
طعاما ودعا أصحابه فدخلوا

وآجالنا في كل يوم وليلة * الينا على غراتنا تتقرب
أأيقن أن الشيب ينفي حياته * وهو لا خلاق الخطيئة يذهب
يقين كأن الشك أغلب أمره * عليه وعرفان الى الجهل ينسب
وقد ذمت الدنيا الى نعيمها * وخاطبني اعجامها وهو معرب
ولكنني منها خلقت لغيرها * وما كنت منه فهو عندي محبب

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها فوقف عليه ثم قال له

طبع الكريم على وفائه * وعلى التفضل في أخائه
تغني عنايته الصديق عن التعرض لاقتضائه
حسب الكريم حياؤه * فكل الكريم الى حيائه

فقال له حسبك فقد بلغت الى ما أحببت والحاجة تسبقك الى منزلك ومن شعره الجيد قوله

أي خير يرجو بنو الدهر في الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاحبا * ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر من يتمنى العمر فليدرع * صبرا على فقد أحبائه
ومن يعمر يلق في نفسه * ما يتمناه لاعدائه

﴿شواهد أحوال متعلقات الفعل﴾

(شجو حساده وغيظ عداه * أن يرى مبصر ويسمع واعي)

البيت للبحتري من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ويعرض بالمستعين بالله أحمد ابن المعتصم أولها

لك عهد لدي غير مضاع * بات شوقي طوعا له وبراعي
وهوى كلما جرى منه دمع * أيس العاذلون من اقلاعي
لو توليت عنه خيف رجوعي * أو تجوزت فيه خيف ارتجاعي

الى أن يقول في مديحها

يهب الوفد في أسرة وجه * ساطع الضوء مستنير الشعاع
من جهير الخطاب يضعف فضلا * عند حالي تأمل واستماع

وبعده البيت وهي طويلة (والشاهد فيه) جعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص وهو هنا يرى ويسمع فانه كما قال التفتازاني رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع بل لا يبصر الرائي الا آثاره ولا يسمع الواعي الا أخباره فذكر الملزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره لما في التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الايذان بأن فضائله يكفي فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم انه المنفرد بالفضل ومثله قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلو ان قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

يريد أن يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس للالسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهي انها اجرته أي شقت لسانه ومثله قول طفيل الغنوي

جزى الله خيرا جيرة حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت * أبوا أن يملونا ولو أن أمنا

الطعام المعروف فقدم اليهم فيل ثم خرجوا فافتقدوا عنده وركبوا تلك المهاريج والمقاريف والبغال والجياد والبحارثة ابن بدر الغداني وأبي الاسود وهما جالسان فقال أبو الاسود لعمر أبيك ما حمام كسرى على الثلثين من جام فيل (فقال حارثة)
ولا يحرافنا خلف الموالي
بسنتنا على عهد الرسول
(وروى) حبيب بن نصر المهلبي قال حج يزيد بن معاوية بالاخطل فاشتاق يزيد أهله فقال
بكى كل ذي شجو من الشام شاقه
تهامة فأني يلتقي الشجنان
وقال أجز يا أخطل فقال
يغور الذي بالشام أو ينجد الذي
بغور تهامات فيلتقيان
(وروى) عمر بن عبد الله العتكي عن الرقاشي عن أبي عبيدة قال كان حارثة ابن بدر يدير كوارا يتنزه فقال
ألم تر أن حارثة بن بدر
أقام بدير أبلق من كوارا
ثم قال للجند الذين كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه فقال رجل منهم على أن تجعل لي الامان من غضبك وتجعلني رسولك الى البصرة وتطلب لي النقل من الامير قال فذلك لك ثم رد عليه البيت فقال
مقيم يشرب الصهباء صرفا
اذا ما فلت تصرعه استدارا
فقال له حارثة لك شرطك

تلاقى الذى يلقون منا لمالت * هم خلطونا بالنفوس وألجأوا * الى حجرات أدفأت وأظلت

أراد لملتنا وأدفأتنا وأظلتنا الا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية

(والبحترى) هو الوليد بن عبيد بن يحيى ينتهى نسبه الى طيئ ويكنى أبا عبادة وهو شاعر فصيح فاضل حسن المشرب والمذهب نقى الكلام مطبوع وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن انه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شئ قلته فى الهجاء ففعل فأمره باحراقه وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو حذو مذهبه وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها ويراه صاحبا واماما ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا هو حكم لنفسه وسئل أبو العلاء المعرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى فقال هما حكيمان والشاعر البحترى وقد شرح المعرى دواوين الثلاثة فسمى شرح ديوان أبى تمام ذكرى حبيب وشرح ديوان البحترى عبث الوليد وشرح ديوان المتنبى معجز أحمد (وحدث) محمد بن يحيى قال سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترى وقد اجتمعا فى دار عبد الله بن خالد وعنده المبرد وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين وقد أنشد شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر قال كلا والله ان أبا تمام الرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به فقال له المبرد لله درك يا أبا الحسن وكان يكنى به أيضا فانك تأبى الا شرفا من جميع جوانبك (وحدث) البحترى قال كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت الى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فأقبل على وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت اليه خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وشفع لى اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا الى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته (وحدث) البحترى قال أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها

أأفاق صب من هوى فأفيقا * أو خان عهدا أو أطاع شفيقا

فسر بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه تكاد تمس ركبته ركبته فأقبل على وقال يا فتى أما تستحى منى هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علقه منى فسبقنى به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فأقبل على أبو سعيد فقال لى يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الأيمان ان الشعر لى وما سبقنى اليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت انى سخت فى الارض فقمت منكسر البال أجر رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردونى فأقبل على الرجل فقال الشعر لك يا بنى والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت انك تهاونت بموضعى فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى حتى عرفنى الامير نسبك وموضعك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك وجعل أبو سعيد يضحك فدعانى أبو تمام فضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ثم ان البحترى اختص بأبى سعيد وكان مداحا له طول أيامه ولابنه من بعده ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد ومراثيه فيهما أجود من مدائحه وروى أنه قيل له فى ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء وبينهما بعد وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شئ وكان له أخ وغلام معه فى داره فكان يقتلهما جوعا فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال اجتهادكما

ولو كنت قلت لنا قولا تسرنا لسرورنا لك (وروى) أبو روح الراسبى قال لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مالك بن المنذر شرطة البصرة قال الفرزدق

يبغض فينا شرطة المصر أننى * رأيت عليها مالكا اثر الكلبى

قال فقال مالك على به فبلغه فقال

أقول لنفسى اذ تغص بريقها * ألا ليت شعرى ما لها عند مالك

فسمع مالك على طرازه وقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها * اليها وتنجو من عظيم المهالك

قال الفرزدق هذا أشعر الناس أو ليعودن مجنونا يصيح به الصبيان فكان كما قال (وروى) أن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه خرج وهو أمير المدينة ومعه عبد الله ابن الحسن فنزلوا تحت سرحة وتغدوا وأخذ عبد الله حجرا وكتب به على ساق السرحة يقول

خبرينا خصصت بالغيث يا سرح بصدق فالصدق فيه شفاء

فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته

هل يموت المحب من ألم الحب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم ركبوا دوابهم ومضوا غير بعيد فاذا السماء قد أقبلت عليهم فرجعوا مسرعين الى السرحة فأصابوا تحت ما كتبوا

ان جهلا سؤالك السرح عما * ليس يوما به عليك خفاء

(وحدث) محمد بن بحر الاصبهانى الكاتب قال دخلت على البحترى يوما فاحتبسنى عنده ودعا بطعام له ودعانى اليه فامتنعت من أكله وعنده شيخ شامى لا أعرفه فدعاه الى الطعام فتقدم فأكل معه أكلا عنيفا فغاظه ذلك ثم انه التفت الى فقال لى أتعرف هذا الشيخ قلت لا قال هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة * حمر اللحى متناسبو الالوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة * بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك ومن شعره يهجو انسانا فى لسانه حبسة

أنت كما قد علمت مضطرب الـ * ـهيئة والقد ظاهر الخلف
ورنة تحت غنة قدرت * من هالك الراء دامر الالف
كأن فى فيه لقمة عقلت * لسانه فالتوى على حنف
محرك رأسه توهمه * قد قام من عطسة على شرف

وهو بليغ التشبيه فى معناه وأنشد البحترى شيأ من شعر أبى سهل بن نوبخت فجعل يحرك رأسه فقيل له ما تقول فيه فقال هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى وقد نظمت هذا الغرض عرض لى فقلت

ورب خل الشعر من زمر * أسمعونا منه ما أضنى
مثل طعم الماء ليس له * فى فم طعم ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتا آخر فى المعنى وهو

حديث مثل لعق الماء بحتا * وليس للعق بحت الماء طعم

والبحت بالمثناة فوق الصرف وذكرت بأبيات البحترى فى الحبسة ما نظمته قديما وهو

ان قال شعرا خلته * علكا قويا يعلك
وان شدا فصوته * صوت دجاج يمسك

واجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال ما اسمك قالت برهان قال ولمن هذا الماء قالت لستى قبيحة قال صبيه فى حلقى فشربه عن آخره ثم قال للبحترى قل فى هذا شيأ فقال

ما قهوة من رحيق كأسها ذهب * جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوما بأطيب من ماء بلا عطش * شربته عبثا من كف برهان

(وحدث) أبو الغوث ابن البحترى قال كتبت الى أبى يوما أطلب منه نبيذا فبعث الى بنصف قنينة دردى وكتب الى دونكها يا بنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط (وحدث) جحظة قال سمعت البحترى يقول كنت أتعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى فقلت فيه وكان أول شعر قلته

نبتت لحية شقرا * ن شقيق النفس بعدى
حلقت كيف أتته * قبل أن ينجز وعدى

(وحدث) جحظة قال كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد * أظن نسيما فارق الهجر من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه * فواعجبا للدهر فقدا على فقد

غلاما روميا ليس بحسن الوجه وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد أن يصير الى ملك بعض أهل المروآت ومن ينفق عنده الأدب فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره وقد قال ابن نباتة المصرى مشيرا الى ذلك

وغانية توافقنى اذا ما * صبوت لها بذا العقل السليم
وأعذر ان بكيت على رياض * بكاء البحترى على نسيم

(وحدث) الاخفش قال كتب البحترى الى محمد بن القاسم البقمى يستهديه نبيذا فبعث اليه نبيذا مع غلام له أمرد فخمشه البحترى فغضب الغلام غضبا شديدا فظن البحترى انه سيخبر مولاه بما جرى فكتب اليه

أبا جعفر كان تخميشنا * غلامك احدى الهنات الدنيه

ليس للعاشق المحب من العشـ * ـق سوى لذة الوصال دواء

(حدث) المدائنى قال وهب نصر بن سيار لابى عطاء السندى جارية فبات معها فلما أصبح غدا على نصر فقال له كيف كانت ليلتك معها قال كان بينى وبينها ما شرد منامى وقضى مرامى قال فهل قلت فى ذلك شعرا قال نعم وأنشد

ان النكاح وان هزلت لصالح * خلل العيني من لذيذ المرقد

(فقال نصر)

ذاك الشفاء فلا تعدن غيره * ليس المجرب مثل من لم يشهد

(وروى) زحر بن حصن قال خرجنا من مكة مع المنصور فى زمان صائف فلما كان بزبالة ركب نجيبا والشمس تلعب بين عينيه وعليه جبة وشى فالتفت الينا وقال انى قائل بيتا فمن أجازه فله جبتى هذه قلنا يقول أمير المؤمنين فأنشد

وهاجرة نصبت لها جبينى * يقطع حرها ظهر العظايه

(فبدر بشار فقال)

وقفت لها القلوص فماض دمعى * على خدى وأسعد واعظايه

فخرج له عن الجبة ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسمائة دينار وقد ذكرها لصولى فى كتاب الاوراق على غير هذا السياق (وروى) أن رسول علية بنت المهدى أو عائشة بنت الرشيد خرج يوما الى الشعراء فقال تقرئكم

بعثت الينا بشمس المدام * تضيء لنا مع شمس البريه
فليت الهدية كان الرسول * وليت الرسول الينا الهديه

فبعث محمد بن القاسم بالغلام اليه هدية فانقطع البحتري بعد ذلك عنه مدة بخلام ما جرى فكتب اليه محمد ابن القاسم
هجرت كأن البر أعقب حشمة * ولم أر برا قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه

انى هجرتك اذ هجرتك حشمة * لا العود يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندا يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالبر حتى انني * متوهم أن لا يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجب وبر راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر * يرويك فيه لحسنه الاعداء
حتى يتم لك الثناء مخلدا * أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيدبى * وأظل تحسدنى بك الشعراء

(وحدث) البحتري قال أنشدت أبا تمام شيأ من شعرى فتمثل ببيت أوس بن حجر
اذا مقدم منا ذوى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

ثم قال لى نعيت والله الى نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال ان عمرى لن يطول وقد نشأ فى طىء مثلك أما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم فقال يا بنى لقد نعى الى نفسي احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات الذى من قبله قلت بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك قال ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة (وحدث) أبو عنبس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحتري ينشده قوله
عن أى ثغر تبتسم * وبأى طرف تحتكم
حتى بلغ الى قوله فيه
قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم
والمجتدى ابن المجتدى * والمنعم بن المنتقم
أسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

قال وكان البحتري من أبغض الناس انشادا يتشادق ويتزاور فى مشيته مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لا تقولون لى أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ما يقول يا صيمرى فقلت بلى يا سيدى فمرنى فيه بما أحببت فقال بحياتى أهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة
أدخلت رأسك فى الحرم * وعلمت انك تنهزم
يا بحترى حذار ويحك من قضاقضة ضغم * فلقد أسلت بوادى يك من الهجا سيل العرم
فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق * وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما * م ابن الامام المعتصم
لأصيرنك شهرة * بين المسيل الى العلم

فى أبيات أخر من هذا النمط قال فخرج مغضبا يعدو وجعلت أصيح به
أدخلت رأسك فى الحرم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه وأمر لى بالصلة التى أعدت للبحتري وقال أحمد بن يزيد حدثنى أبى قال جاءنى البحتري فقال لى يا أبا خالد أنت عشيرى وابن عمى وصديقى وقد رأيت ما جرى على أفترى انى أخرج الى منبج بغير اذن فقد ضاع العلم وهلك الادب فقلت له لا تفعل من هذا شيأ فان لى علما بأن الملوك تمزح بأكثر من هذا ومضيت معه الى الفتح بن خاقان فشكا اليه ذلك فقال له نحوا من قولى ووصله

سيدى فى السلام وتقول من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار فقالوا وما هو فأنشد
أنيلى نوالا وجودى لنا *
فقد بلغت نفسى الترقوه
فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال
وانى لكالدلو فى حبكم
هويت اذا انقطعت عرقوه
فخرجت له المائة دينار (وروى) محمد بن حسن الحاتمى عن أبى العيناء عن العتبى قال دخل يحيى بن خالد بستان داره ومعه جاريته دنانير فرأى بهجة الورد على شجره فقال أجيزى
الورد أحسن منظرا
فتمتعوا بالحظ منه
(فقالت مسرعة)
فاذا انقضت أيامه
ورد الخدود ينوب عنه
فاستحسن ذلك منها وأمر لها بمال جزيل بعد أن قبل خدها (وروى) الحسن ابن الضحاك قال كنت أمشى مع أبى العتاهية فمررنا بمقبرة فاذا امرأة تبكى ولدا لها فقال أبو العتاهية
فما تنفك باكية بعين
غزير دمعها كمد حشاها
أجز يا حسن فقلت
تنادى حفرة أعيت جوابا
فقد ولهت وصم بها صداها
(وروى) أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفى فى بعض أيام الربيع فقال أجيزى

وخلع عليه وسكن منه فسكن الى ذلك وقد ذكرت بحال البحترى فى انشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن النجم الشاعر فأحببت اثباته وهو لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه

يا وحشة الدنيا على جعفر * على الهمام الملك الازهر
على قتيل من بنى هاشم * بين سرير الملك والمنبر
والله رب البيت والمشعر * والله لو أن قتل البحترى
لثار بالشام له ثائر * فى ألف بغل من بنى عصفر
يقدمهم كل أخى ذلة * على حمار دبر أعور

فشاعت الابيات حتى بلغت البحترى فضحك ثم قال هذا الاحمق الاعور يرى انى أجيبه عن مثل هذا ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل هذا القول لم أجبه وقال أبو العباس بن طومار كنت أنادم المتوكل ومعنا البحترى وبين يديه غلام اسمه راح حسن الوجه فقال المتوكل يا فتح ان البحترى يعشق راحا فانظر اليه الفتح وأدمن النظر فلم يره ينظر اليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين أرى البحترى فى شغل عنه فقال ذلك دليل عليه يا راح خذ قدحا بلورا واملأه شرابا وناوله اياه فلما ناوله بهت البحترى ينظر اليه فقال المتوكل كيف ترى ثم قال يا بحترى قل فى راح شعرا ولا تصرح باسمه فقال

جاز بالود فتى أمسى رهينا بك مدنف * اسم من أهواه فى شعرى مقلوب مصحف

وقال الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى الا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته فى وصف البركة لكان أشعر الناس فى زمانه والقصيدة السينية أولها

صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جبس

الى أن قال فيها

وكأن الايوان من عجب الصنـ * ـعة جوب فى جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة أن يبـ * ـدو لعينى مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق عن انس الف * عز أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وبات الـ * ـمشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا وعليه * كلكل من كلاكل الدهر مرسى
لم يعبه ان بز من بسط الديـ * ـباج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رؤس رضوى وقدس
ليس تدرى أصنع انس لجن * سكنوه أم صنع جن لانس
غير أنى أراه يشهد أن لم * يك بانيه فى الملوك بنكس

(وحدث) الاخفش قال سألنى القاسم بن عبيد الله عن خبر البحترى وقد كان اسكت ومات بتلك العلة فأخبرته بوفاته وانه مات بالسكتة فقال ويحه رمى فى أحسنه * وقد جمع الصولى ديوانه ورتبه على الحروف وجمعه ابن حمزة ورتبه على الانواع وقد جمع البحترى كتاب الحماسة كما فعل أبو تمام وله كتاب معانى الشعر وعاش ثمانين سنة وانتقل فى آخر عمره الى الشام وتوفى بمنبج سنة ثلاث وقيل سنة أربع وقيل خمس وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى

(ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع)

البيت للخريمى من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام وأولها

قضى وطرا منك الحبيب المودع * وحل الذى لا يستطاع فيدفع

الى أن قال فيها

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم الرزايا بالذخائر مولع
وانى وان أظهرت منى جلادة * وصانعت أعدائى عليه لموجع

كل يوم عن الفسوان جديد
تضحك الارض من بكاء السماء

(فقالت مسرعة)

فهو كالوشى من ثياب عروس
جلبتها التجار من صنعاء

(قال على بن ظافر) والبيت الاول أظنه لابن مطير من قصيدة الا أنه منسوب فى الموضع الذى نقلت منه الى أبى نواس فأوردته كما وجدته (وروى) أنه دخل عليها يوما وهى تبكى وقد كان مولاها ضربها فقال

بكت عنان فجرى دمعها
كلؤلؤ ينسل من خيطه

(فقالت)

فليت من ضربها ظالما
تجف يمناه على سوطه

(وقد روى) أبو الفرج الاصبهانى هذه الحكاية عن مروان بن أبى حفصة وانه الذى استجازها البيت الاول (وروى) محمد بن الاشعث قال قال دعبل بن على الخزاعى مررت أنا ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم فلم يقرونا فقلت فيهم

عصابة من بنى مخزوم بت بهم
بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين

ثم قلت لرزين أجز فقال

فى مضغ أعراضهم من خبزهم عوض
بنو النفاق وآباء الملاعين

قال ابن الاشعث وكان هذا أقوى الاسباب فى مهاجاته

ملكت دموع العين حتى رددتها * الى ناظرى اذا عين القلب تدمع

و بعده البيت والساحة الفضاء بين الدور (والشاهد فيه) ذكر المفعول وهو دما لكون تعلق فعل المشيئة به غريبا وقد تفنن الشعراء فى بكاء الدم وتشعبت مسالكهم فى ايراده فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس

بكيت دما حتى بقيت بلا دم * بكاء فتى فرد على سكن فرد

أأبكى الذى أهواه بالدمع وحده * لقد جل قدر الدمع فيه اذا عندى

(وقول الشريف الرضى)

ويوم وقفنا للوداع فكلنا * يعد مطيع الشوق من كان أحزما

فصرت بقلب لا يعنف فى الهوى * وعين متى استمطرتها أمطرت دما

(ومثله قول مهيار الديلمى)

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء أكثره دم

(وقول أبى الحسين الباخرزى)

عجبت من دمعتى وعينى * من قبل بين وبعد بين

قد كان عينى بغير دمع * فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة

أواه من دمع بلا عين * يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم

ولما التقينا للوداع عشية * وقد راعها صبرى لدى موقف البين

أتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

ولابى الفتح البكتمرى قالوا بكيت دما فقلت مصت من خدى خلوقا

أبصرت لؤلؤ ثغره * فنثرت من جفنى عقيقا

لولا التمسك بالهوى * لجلت من دمعى غريقا

ولابن حمديس غشيت عبرها دموعى حمرا * وهى من لوعة الهوى تتحدر

فاتزرت بالشهيق خوفا وظنت * حب رمان صدرها قد تنثر

قلت عند اختبارها بيديها * ثمرا صانه جيب مزور

لم يكن ماظننت حقا ولكن * صبغة الوجد صبغ دمعى أحمر

وهو ينظر الى قول المنازى يصف واديا

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا * أرق من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

أوردت البيت الاخير وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الابيات هجوا فى حمام فقال

وحمام قليل الماء داج * وفيه ألف شيطان رجيم

ولا غير المدافع من جحيم * ولا غير المزاحم من رفيق

وليس له سوى دلو رشيق * طلبنا ماءه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم

ونقطنا برشح بعد رشح * كمص من أباريق النديم * يصد الحر عنا فى شتاء

فيحجبه ويأذن للنسيم * يروع بهوله من حل فيه * فيحسب انه هول الجحيم

رجع الى وصف الدمع ولابى بكر الخالدى فيه

لابى سعيد المخزومى (وروى) لنا أن العباس بن الاحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان فقال لها أجيزى أهدى له أحبابه اترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر (فقالت ارتجالا)

خاف التلون فى الوداد لانها لونان باطنها خلاف الظاهر

فجن استحسانا وحلف لها وكانت تعرزه ان ادعته ما دخل دارها فتركته له فاستلحقه (وذكر) ابن القسمى فى كتاب النباهة قال دخل أبو السمراء على نخاس فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة

وكنا كزوج من قطاف مفازة لدى خفض عيش مونق معجب رغد

أصابهما ريب الزمان فأفردا ولم نر شيأ قط أوحش من فرد

فقال للنخاس أخرجها فقال ان صاحبها مات وهى شعثة مغبرة قال فخرجت فقال لها قولى فى معنى هذا قالت أى معنى قال فى معنى هذين البيتين اللذين تمثلت بهما فقالت

وكنا كغصنى بانة وسط روضة نشم جنى الجنات فى عيشة رغد

فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردة باتت تحن الى فرد

فكتب الى عبد الله بن طاهر بخبرها فكتب ان أجازت هذا البيت فاشترها وهو

بكى الى غداة البين حين رأى * دمعى يفيض وحالى حال مبهوت

فدمعتى ذوب ياقوت على ذهب * ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وللوأواء الدمشقى فى معناه

كل دمع فبالتكلف يجرى * غير دمع المحب والمهجور

ورد البين دمع عينى فأضحى * كعقيق أذيب فى بلور

وله أيضا فى مثل ذلك

فامزج بمائك نار كاسك واسقنى * فلقد مزجت مدامعى بدمائى

ولابن نباتة المصرى باغزالا رنا وغصنا تثنى * وهلالا سما وصبا أنارا

كان دمعى على هواك لجينا * فأحالته نار قلبى نضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين

حليته لا أعيرها لمحب * شغل الحلى أهله أن يعارا

ولابن قلاقس مضى معهم قلبى فلله دره * لقد سرنى اذ مر مع من يسره

وأطول من هجر الحبيب وصبوتى * ويوم النوى ليلى وهمى وشعره

وليس دما ماء الجفون وانما * فؤادى بماء الدمع قد ذاب جمره

وما أحسن قول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة

ظلت به والدموع جارية * أقبل الخد منه واللبتا

تقطر درا حتى اذا وردت * روضة خديه عدن ياقوتا

وقوله أيضا ليس ليوم البين عندى سوى * مدامع تجيبها سكب

كأنما فض بأجفانها * رمانة فانتثر الحب

وللطوعى أيضا لما استقلت بهم عير النوى أصلا * وشتتهم صروف البين تشتيتا

جعلت أنظم فى وصف النوى دررا * والعين تنثر من دمعى يواقيتا

وما أحسن قول المسعودى

قالت عهدتك تبكى * دما حذار التنائى
فلعينك جادت * بعد الدماء بماء

فقلت ماذاك منى * لسلوة وعزاء
لكن دموعى شابت * من طول عمر بكائى

وهو يشبه قول القائل أيضا

قالوا ودمعى قد صفا لفراقهم * انا عهدنا منك دمعا أحمرا

فأجبتهم ان الصبابة عمرت * فيكم وشاب الدمع لما عمرا

وأحسن منه قول الآخر

وقائلة ما بال دمعك أبيضا * فقلت لها يا مى هذا الذى بقى

ألم تعلمى أن النوى طال عمره * فشابت دموعى مثل ما شاب مفرقى

ومثله أيضا قول ابن النوبرة

كانت دموعى حمرا قبل بينهم * لما نأوا قصرتها لوعة الحرق

قطفت لحظا وردا من خدودهم * فاستقطر البعد ماء الورد من حدقى

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبى دلف الكاتب ويروى لعبد الكافى اليهودى الهارونى

يا من يقرب وصلى منه موعده * ولا عوائق من خلف تباعده

لا تحسبن دموعى البيض غير دمى * وانما نفسى الحامى يصعده

وقول أبى القاسم بن العطار بديع وهو

هذا
بعيد وصل بديع صد
جعلته فى الهوى ملاذا
(فقالت مسرعة)
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا
فاشتراها أبو السمراء فماتت
من الغد (وروى) ابراهيم
ابن محمد اليزيدى قال كنت
عند المأمون يوما وبحضرته
غريب فقال لى على سبيل
الولع والعبث يا سعاوس
وكانت جوارى المأمون
يلقبنه بها عبثا فقلت
قل لغريب لا تكونى
مشعلسه
وكونى كتنزيف وكونى
كمونسه
قال فبدرنى المأمون فارتجل
فان كثرت منك الاقاويل
لم يكن
هنالك شك أن ذا منك
وسوسه
فقلت له كذا والله يا أمير
المؤمنين أردت أن أقول
وعجبت من ذهن المأمون
وجودة طبعه (وأنبأنا الفقيه)
أبو محمد عبد الخالق المسكى
عن السلفى قال أنبأنا أبو محمد
جعفر بن أحمد بن السراج
اللغوى وابن بعلان الكبير
قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله
ابن سعيد السجستانى الحافظ
قال أخبرنا أبو يعقوب
النجيرمى حدثنا ابن سيف
قال حدثنا محمد بن العباس
اليزيدى قال حدثنى عمى أبى
أحمد بن محمد اليزيدى قال
واللفظ من رواية أخرى

ماأدمعي تهمل تصا انما ٭ هي مهجتي سالت من الآماق

وهذا الباب واسع جدا وفيما أوردناه مقنع (وأبو الهيذام المرثي هنا) هو عامر بن عمارة بن خزيم وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوي كتبه وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي ليس لهذا الامر الا أنا وأنت فاما أن تتوجه أو أتوجه أنا فمضى جعفر الى الشام وأخمد الفتن وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه فظفر به وحمل اليه مقيدا فلما مثل بين يديه أنشده أبياتا يستعطفه بها منها

فأحسن أمير المؤمنين فانه ٭ أبى الله الا أن يكون لك الفضل

فمن عليه وعفا عنه ومن شعره في أخيه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ٭ فان بها ما يطلب الماجد الوترا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ٭ يعصرها في جفن مقلته عصرا

وانا أناس ماتفيض دموعنا ٭ على هالك منا وان قصم الظهرا

وقيل انه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (والخزيمي) هو اسحق بن حسان ويكنى بأبي يعقوب وهو من العجم وكان مولى ابن خزيم الذي يقال لابيه خزيم الناعم وهو خزيم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان وكان لخزيم ابن يقال له عمارة ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام وفي عثمان هذا يقول الخزيمي

جزى الله عثمان الخزيمي خيرما ٭ جزى صاحبا جزل المواهب مفضلا

كفى جفوة الاخوان طول حياته ٭ وأورث مما كان أعطى وأخولا

وكان عظيم القدر وأحد القواد وعمي الخزيمي بعد ما أسن وكان يقول في ذلك فمنه قوله

فان تك عيني خبا نورها ٭ فكم قبلها نور عيني خبا ٭ فلم يعم قلبي ولكنما

أرى نور عيني اليه سرى ٭ فأسرج فيه الى نوره ٭ سراجا من العلم يشفي العمى

وأخذ هذا من قول حبر الامة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عمي فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما ٭ ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ٭ وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكان أبو يعقوب الخزيمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة وله فيه مدائح جياد ثم رثاه بعد موته فقيل له يا أبا يعقوب مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن الآن نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد وهو القائل في عمى عينيه

أصغي الى قائدي ليخبرني ٭ اذا التقينا عمن يحييني ٭ أريد أن أعدل السلام وان

أفصل بين الشريف والدون ٭ أسمع ما لا أرى فأكره أن ٭ أخطئ والسمع غير مأمون

لله عيني التي فجعت بها ٭ لو أن دهرا بها يواتيني ٭ لو كنت خيرت ما أخذت بها

تعمير نوح في ملك قارون ٭ حق أخلاي أن يعودوني ٭ وأن يعزوا عيني ويبكوني

وهو القائل أيضا اذا مامات بعضك فابك بعضا ٭ فان البعض من بعض قريب

يمنيني الطبيب شفاء عيني ٭ وهل غير الاله لها طبيب

ومن جيد شعره قوله

الناس أحلامهم شتى وان جبلوا ٭ على تشابه أرواح وأجساد ٭ للخير والشر أهل وكل ابهما

كل له من دواعي نفسه هادي ٭ منهم خليل صفاء ذو محافظة ٭ أرسى الوفاء أواخيه بأوتاد

ومشعر الغدر محني أضالعه ٭ على سريرة غمر غلها بادي ٭ مشاكس خدع جم غوائله

يبدي الصفاء ويخفي ضربة الهادي ٭ يأتيك بالبغي في أهل الصفاء ولا ٭ ينفك يسعى باصلاح لافساد

قريب من لفظ هذا الاسناد قال دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم الى داره فأتاه فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم وكان أحسن تركي على وجه الارض وكان المعتصم أوجد خلق الله به فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيما أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت

قد طلعت شمس على شمس ٭ فزالت الوحشة بالانس

فأجز فقال أحمد

قد كنت أشنى الشمس من قبل ذا ٭ فصرت أرتاح الى الشمس

ففطن المعتصم فعض شفته لاحمد فقال أحمد للمأمون والله يا أمير المؤمنين ان لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لاوقعن معه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله يا أخي في غلمانك مثله انما استحسنت شيأ يجري ما سمعت لا غير ٭ وقد وقعت لنا هذه الحكاية باسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو مذكور في اجازة قسيم بقسيم (وحكى) صاحب كتاب المقتبس أن الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس خرج في بعض

ومن جيد شعره أيضا قوله

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وهو القائل

وان أشد الناس فى الحشر حسرة * لمورث مال غيره وهو كاسبه
كفى سفها بالكهل أن يتبع الصبا * وأن يأتى الامر الذى هو عائبه

وهو القائل أيضا

ما أحسن الغيرة فى حينها * وأقبح الغيرة فى كل حين
من لم يزل متهما عرسه * مناصبا فيها لريب الظنون
أوشك أن يغريها بالذى * يخاف أن يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها وضعها * منك الى عرض صحيح ودين
لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

(ولم يبق منى الشوق غير تفكرى * فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا)

البيت لابى الحسن على بن أحمد الجوهرى من قصيدة من الطويل والشوق نزاع النفس وحركة الهوى (والشاهد فيه) أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول لان المراد بالبكاء الاول فى البيت البكاء الحقيقى لا الفكرى فكأنه يقول أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكر فلو شئت البكاء وعصرت عينى ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر فالبكاء الذى أراد ايقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدى الى الفكر البتة والبكاء الثانى مقيد معدى الى التفكر فلا يصلح تفسير اللاول و بيانا كذا قاله التفتازانى نقلا عن دلائل الاعجاز (والجوهرى) هو ٣ بياض بالاصل

(وكم ذدت عنى من تحامل حادث * وسورة أيام حززن الى العظم)

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الصقر وأولها

أعن سفه يوم الابيرق أم حلم * وقوف بربع أو بكاء على رسم
وما يعذر الموسوم بالشيب أن يرى * معار لباس للتصابى ولا وسم
تخبر أيامى الحديثات اننى * تركت السرور عند أيامى القدم
وأولعت بالكتمان حتى كأننى * طويت على ضغن من الدين أو وغم
فان تلقنى نضو العظام فانها * جريرة قلبى منذ كنت على جسمى

وهى طويلة فمنها فى المديح

كأنك من جذم من الناس مفرد * وسائر من يأتى الدنيات من جذم
كأنا عدوا ملتقى ماتقاربت * بنا الدار الا ازداد غرمك فى غنمى

وبعده البيت وبعده

أحارب قوما لا أسر بسوءهم * ولكننى أرمى من الناس من ترمى

والذود الطرد والدفع والتحامل تكليف الامر المشق يقال تحامل على فلان اذا كلفه ما لا يطاق وسورة الايام شدتها وصولتها واعتداؤها والحز القطع (والشاهد فيه) حذف المفعول لدفع توهم ارادة غير المراد من الكلام ابتداء وهو هنا اللحم اذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته اليه فترك دفعا لهذا الوهم وتقدم ذكر البحترى قريبا

(قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ * دد والمجد والمكارم مثلا)

البيت للبحترى من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله وأولها

ان سير الخليط حين استقلا * كان عونا للدمع لما استهلا
فالنوى خطة من الهجر ما ينـ * ـفك يشجى بها المحب ويبلى

أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بحبها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى
فى الليل لم يدر به الدارى

ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خيالا فى ظلام الدجى
أحبب به من زائر سارى

(وذكر) الصولى فى كتاب الاوراق برواية تنتهى الى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال دخلت على المتوكل على الله لما توفيت أمه معزيا فقال يا جعفر انى ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته توقفت وقد قلت

تذكرت لما فرق الدهر بيننا
فعزيت نفسى بالنبى محمد

قال فأجازه بعض من حضر المجلس فقال

وقلنا لها ان المنايا سبيلنا
فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

قال الصولى فظننا أن جعفر ابن محمد بن عبد الواحد قائل البيت (قال) مروان بن الحبوب دخلت على المتوكل فرمى الى برقعة فيها بيت شعر وهو

أدرت الهوى حتى اذا صار كالرحى
جعلت محل القلب فى موضع القلب

وتحت البيت أجز يا مروان فكتبت تحته

فأقلا في غـــلوة اللوم انى * زائد في الغـــرام أن [illegible]

وهى طويلة فنها فى المديح لم يزل حقك المقدم يمحو * باطل المستعار حتى اضمحلا

وبعده البيت وبعده أنت أندى كفا وأشرف أخلا * قا وأزكى قولا وأكرم فعلا

يعرض بذم المستعين والسؤدد بالهمز السيادة والمجد نيل الشرف والكرم أو لا يكون الا بالآباء والمكارم فعل الكرم والمثل الشبه (والشاهد فيه) حذف المفعول لارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظ المفـعول اظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن ايقاعه على ضمـيره وان كان كناية عنه لانه لو قال قد طلبنا لك مثلا لناسب أن يقول فلم نجده وفيه تفويت غرض ايقاع نفى الوجـدان على صريح لفظ المثل لكمال العناية بعدم وجدانه ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله

ولم أمدح لأرضيه بشعرى * لئيمـا أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفـعل الاول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم لا الثانى الذى هو أرضى اذ كان غرضه ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول ترك مواجهـة الممدوح بطلب مثل له مبالغة فى التأدب اذ التصريح بطلب المثل يجوّز وجوده لان طلب العاقل مبنىّ عليه

﴿شواهـــــد القصر﴾

﴿أنا الذائد الحامى الذمار وانمـا * يدافع عن احسابهم انا أو مثلى﴾

البيت للفـرزدق من قصـيدة من الطويل وسببها أن نسـاء بنى مجاشـع بلغهن فحش جرير بهن فأتين الفرزدق وهو مقيـد وقد تقدم فى ترجمتـه أنه قيد نفسه لحفظ القرآن فقلن قبح الله قيدك وقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم فاحفظنه ففك القيد وقال

ألا استهزأت منى سويدة اذ رأت * أسيرا يدانى خطوه حلق الحجـل

ولو علمت أن الوثاق أشـــده * الى النار قالت لى مقالة ذى عقل

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالمـا * سعيت وأوضعت المطية فى الجهل

ثلاثين عاما ما أرى من عمـاية * اذا برقت الا أشـد لهـا رحـلى

أتتـنى أحاديث البعيث ودونه * زرود فشامات العقيق من الرمل

فقلت أظن ابن الخبيثـة أننى * غفلت عن الرامى الكنانة بالنبل

فان يك قيـدى كان نذرا نذرته * فمالى عن أحساب قومى من شغل

وبعده البيت وبعده

ولو ضاع ما قالوا ارع منا وجدتهـم * شحاحا على الغالى من الحسب الجزل

وهى طويلة والذمار بكسر المعجـمة ما يلزمك حفظه وحمايته والاحسـاب جمع حسب وهو ما يعد من مفاخر الآباء أو هو المـال أو الدين أو الكرم أو الشرف فى الفـعل أو الشرف الثـابت فى الآباء وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاء بخلاف المجـد كما تقدم ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب

قد علمت سلمى وجاراتهـا * ما قطر الفـارس الا أنا

(والشاهد فيه) صحـة انفصال الضمير مع انمـا الا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصـل الضمـير وهو أنا وأخره اذ لو قال وانمـا أدافع عن أحسابهم لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهـم دون غيرها وليس هذا معناه بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره

﴿شـــــواهد الانشاء﴾

﴿ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى﴾

قائله امرؤ القيس بن حجر الكندى من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة وقبله

فلمـا جعلت القلب تحت رحى الهوى * ندمت وصـار القلب فى موضع صعب

(وذكر) يزيد بن محمد المهلبى قال كان ابن المعتز يشرب يوما فى بستان مملوء بالثمام وشقائق النعمان فدخل عليه يونس بن بغا وعليه قباء أخضر فقال ابن المعتز لما رآه ارتجالا

شبهت حمرة خده فى ثوبه * بشقائق النعمان فى الثمام

ثم قال أجيزوا فبدر بنـان المغنى وكان ربمـا عبث بالبيت بعد البيت فقال

والقد منه وقد بدا فى قرطق * بالغصن فى لين وحسن قوام

فطرب ابن المعتز وقال له غنّ فيه الآن فصنع فيـه لحنا (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبى طاهر فى تاريخـه قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم قال صرت الى أبى زيد عمر بن شبة فقال لى قد قلت بيتا تعذر علىّ ثانيه فأحب أن تجيزه فقلت وما هو فقال

كبرت وغالتـنى خطوب تتابعت * ومن يصحب الايام لا بد يهرم

(فقلت)

ومن يصحب الايام تنقص خطوبها * قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به وحـدث النـاس بما بيننا فكتبوه عنه (وأنبأنى) الفقيه النبيه أبو الحسـن

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والاصباح الصبح وهو الفجر أو أول النهار والانجلاء الانكشاف ومعناه انه تمنى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ثم قال وليس الصبح بأمثل منك عندي لاستوائهما في مقاساة الهموم أو لان نهاره يظلم في عينه لتوارد الهموم فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل لانه لا يقدر عليه لكنه يتمناه تخلصا مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه فلهذا يحمل على التمني دون الترجي (والشاهد فيه) استعمال صيغة الامر للتمني وقد أخذ الطرماح هذا البيت وغير قافيته فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح منك بأروح

وما أحسن قول أبي العلاء المعري في طول الليل

وليلين حال بالكواكب جوزه * وآخر من حلي الكواكب عاطل * كأن دجاه الهجر والفجر موعد
بوصل وضوء الصبح حب مماطل * قطعت به بحرا يعب عبابه * وليس له الا التبلج ساحل

وللوأواء الدمشقي فيه أيضا

أطال ليل الصدود حتى * أيست من غرة الصباح كأنه اذ دجا غراب * قد حضن الارض بالجناح

وما أحسن قول الخطيري

شابت ذوائب صبري يامعذبتي * في ليلتي وعذار الليل لم يشب
ودون صبحي ستر من زمردة * مسمر بمسامير من الذهب

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ماشاء

تراه كملك الزنج من فرط كفره * اذا رام مشيا في تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء في أذنه قرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضا

ورب ليل تاه فيه نجمه * فقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الصباح بليل * أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

ولابن منقذ أيضا

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وللوأواء الدمشقي

وليل مثل يوم البين طولا * اذا أفلت كواكبه تعود
بدائع نومها فيه انتباه * وأعينها مفضضة رقود

وله أيضا

وليل مثل يوم الحشر طولا * كأن ظلامه لون الصدود
بياض هلاله فيه سواد * كأثر اللطم في يقق الخدود

وما أحسن اعتذار الارجاني عن طول الليل

لا أدعي جور الزمان ولا أرى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وقد أخذه من قول علي بن هشام

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور

ابن المقدسي عن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر ابن عبد الله الحميدي قال حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضي المعروف بابن الغليظ أن صهيب بن منيع قال على ابن ظافر وكان قاضيا ببعض بلاد الاندلس ومات بها في أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلثمائة كان نقش خاتمه

يا عليما كل غيب
كن رؤفا بصهيب

وانه كان يشرب النبيذ لعله كان يذهب مذهب أهل العراق فشرب مرة عند الحاجب موسى ابن جدير وكان من عظماء الدولة الاموية فسكر ونام فأمر موسى باختلاس خاتمه وأحضر نقاشا فنقش تحت البيت المذكور

واستر العيب عليه
ان فيه كل عيب

ورد الخاتم عليه وختم به زمانا حتى فطن له (وأنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والفقيه جمال الدين بن الحرستاني عن الشيخ الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر سماعا أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجي أخبرنا أبو بكر

ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلى قصير

وهو من قول على بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى كما شاءت قصيرا اذا * جادت فان صدّت فليلى يطول

وأورد ابن الصولى لابن الخليل أيضا قوله

يقولون طال الليل والليل لم يطل * ولكن من يهوى من الشوق يسهر

أنام اذا ما الليل مهد مضجعى * وأفقد نومى حين أجفى وأهجر

فكم ليلة طالت على لصدّها * وأخرى ألاقيها بوصل فتقصر

وفى معناه قول الاديب الحزانى

جاءت تسائل عن ليلى فقلت لها * وسورة الهم تمحو سيرة الجذل

ليلى بكفيك فاغنى عن سؤالك لى * ان بنت طال وان واصلت لم يطل

وقول بعض المتأخرين

ليلى وليلى نفى نومى خلافهما * حتى لقد صيرانى فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقول ابن أبى حصينة ياليل ما طلت عما كنت أعرفه * وانما طال بى فيك الذى أجد

وما أحسن قول بعضهم فيه

سهرت لليلات وصلى فرحة بهم * وليلة الهجر كم قضيتها سهرا

اذا انقضى زمانى كله سهرا * فما أبالى أطال الليل أم قصرا

﴿ومثله قول الآخر﴾

فى الهجر والوصل ما تذوق كرى * عينى فما ينقضى تسهدها

فليلة الهجر لا رقاد بها * وليلة الوصل كيف أرقدها

وقول أبى الحسن البصرى

ولما تعترض لى زائرا * وما كان عندى له موعد * سهرت اغتناما الليل الوصال

لعلمى به انه ينفد * فقال وقد رق لى قلبه * وأيقن انى به مكمد

اذا كنت تسهر ليل الوصال * وليل النوى فتى ترقد

وقد أكثر الشعراء فى هذا المعنى وفيما أوردته مقنع

﴿شواهد الوصل والفصل﴾

﴿لا والذى هو عالم أن النوى * مرّ وأن أبا الحسين كريم﴾

البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأولها

أسقى طلولهم أجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

جادت معاهدهم عهاد سحابة * ما عهدها عند الديار ذميم

سفه الفراق عليك يوم تحملوا * ربما أراه وهو عنك حليم

ظلمتك ظالمة البرىء ظلوم * والظلم من ذى قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا * منها طلول باللوى ورسوم

لا والذى هو عالم البيت وبعده

ماحلت عن سنن الوفاء ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

الخطيب أنبأنا على بن أبى على المعدل حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز بن أبى بكر المعروف العلاف الشاعر وكان أحد ندماء المعتضد قال كنت ليلة فى دار المعتضد وقد أطلنا الجلوس بحضرته ثم نهضنا الى مجلسنا فى حجرة كانت مرسومة بالندماء فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون أحسسنا بفتح الابواب وتفتيح الاقفال بسرعة فارتاعت الجماعة لذلك وجلسنا فى فرشنا فدخل الينا خادم من خدم المعتضد فقال لنا ان أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة بعد انصرافكم فعملت هذا البيت

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى * اذا الدار قفرى والمزار بعيد

وقد ارتج على تمامه فأجيزوه ومن أجازه بما يوافق غرضى أجزلت عطيته وفى الجماعة كل شاعر مجيد مذكور وأديب فاضل مشهور فأفحمت الجماعة وأطالوا الفكر فقلت مبتدرا

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى * لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم اليه بهذا الجواب ثم عاد فقال أمير المؤمنين يقول لك أحسنت وما قصرت وقد وقع بيتك الموقع الذى أريده وقد أمرت لك بجائزة وها هى فأخذتها فازداد غيظ الجماعة

والنوى الفراق (والشاهد فيه) أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة ولا كذلك في هذا البيت اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى سواء كان نواه أو نوى غيره فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولي العلم لان وجود الجامع شرط فيهما ولهذا عيب على أبي تمام كما سيأتي في حسن التخلص ان شاء الله تعالى

(وقال رائدهم أرسوا نزاولها)

هو من البسيط وقائله الاخطل كذا ذكره سيبويه وليس هو في ديوانه وتمامه

وكل حتف امرئ يجرى بمقدار * وبعده

اما نموت كراما أو نفوز بها * فواحد الدهر من كدّ وأسفار

والرائد المرسل في طلب الكلا وأرسوا بقطع الهمزة من رست السفينة ترسو رسوا ورسوّا اذا وقفت على الانجر معرّب لنكر وهو مرساة السفينة وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست رست السفينة أو هو من رست أقدامهم في الحرب أي ثبتت ونزاولها من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشئ والضمير للسفينة وقيل للحرب وقيل للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده (والشاهد في قوله نزاولها) فانه فصله عن قوله أرسوا لان الاول أمر والثاني خبر فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا لفظا ومعنى ومن هذا الضرب قول اليزيدي أو ابراهيم المدايني

ملكته حبلي ولكنه * ألقاه من زهد على غارب وقال اني في الهوى كاذب * انتقم الله من الكاذب

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت قال الشيرازي وهو أنسب بالمقام (والاخطل) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ينتهي نسبه لتغلب ويكنى أبا مالك والاخطل لقبه عن أبي عبيدة أن السبب فيه انه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام انك لاخطل والاخطل السفيه وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ولم يقع اجماع على أحدهم انه أفضلهم ولكل واحد منهم عصبية تفضله على الجماعة وقال أبو عمرو لو أدرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا وقال الاصمعي انما أدرك جرير الاخطل وهو شيخ قد تحطم وكان الاخطل أسن من جرير وكان أبو عبيدة يشبه الاخطل بالنابغة لصحة شعره وكان حماد يفضل الاخطل على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك وقال الاخطل لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة يعني جريرا انه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة فما بلغت ما أردت فقال عبد الملك أسمعناها يا أخطل فلما أنشدها قال له عبد الملك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق انك أشعر العرب قال أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت له دراهم وألقيت عليه خلع وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه

فما تركوها عنوة عن مودّة * ولكن بحد المشرفيّ استقالها

فأعجب به فقال له الاخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه قال وما قلت قال قلت

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا * موالي ملك لا طريف ولا غصب

جعلته لك حقا وجعله لك غصبا قال صدقت وأصبح عبد الملك يوما في غداة باردة فتمثل بقول الاخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لا شك فيها * وأرخى من مآزره فضولا

ثم قال كأني أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبلا للشمس في حانوت من حوانيت دمشق ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كذلك وقدم الاخطل مرة على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرجون كاتبه فقال له على

منى (وقال) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في كتابه الامثال دخل رحمون الفارسي على أبي وهو مريض فقال له كيف أصبحت فقال

يكاد جسمي من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوّادي

فقال رحمون هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر فقال نعم فقال رحمون

لم يبق الا الروح في مهجة * يروح أو يغدو بها الغادي

(أنبأني) القاضي الفقيه الامام نبيه الدين أبو الحسن ابن علي بن المفضل المقدسي رحمه الله قال أخبرني الشيخ الفقيه أبو القاسم علي بن مهدي بن قلنبا الاسكندري قال أخبرنا أبو الحسن علي ابن عبد الجبار بن سلامة الهذلي قال أخبرنا أبو القاسم علي بن جعفر بن علي الصقلي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي ابن الحسن التميمي قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابوري قال أخبرنا أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة أن الصاحب ابن عباد اتهم بعض المردفي مجلسه بسرقة بعض كتبه فقال

سرقت يا ظبي كتبي * ألحقت كتبي بقلبي

وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردي باجازته فقال

فلو فعلت جميلا * رددت قلبي وكتبي

وكل ما أسنده الى اليتيمة فبهذا الاسناد (وذكر)

من نزلت فأخبره فقال له قاتلك الله ما أخبرك بصالح المنازل فما تريد أن ننزلك قال فى درمك من درمكم هذا ولحم وخمر من بيت رأس فضحك عبد الملك وقال ويلك وعلى أى شىء اقتتلنا الا على هذا ثم قال له ألا تسلم فنفرض لك ألفين فى عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر قال وما تصنع بها وان أولها لمر وان آخرها السكر قال أما ان قلت ذاك فان بينهما المنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة من ماء الفرات بالاصبع فضحك عبد الملك ثم قال ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك فقال أطائع أم كاره قال بل طائع قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك انى اذا لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حمارا * يغيره من الفرس الكريم

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره أن يمدح الحجاج فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب ورعوم * وبدا المجمجم منهما المكتوم

ووجه بالقصيدة مع ابنه اليه ودخل الاخطل على بشر بن مروان وعنده الراعى الشاعر فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا قال أنا أشعر منه وأكرم فقال للراعى ما تقول فقال أما أشعر منى فعسى وأما أكرم منى فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الامير فنعم فلما خرج الاخطل قال له رجل أتقول لخال الامير أنا أكرم منك فقال ويحك ان أبا نسطوس قد وضع فى رأسى أكؤسا ثلاثا والله لا أعقل معها (وحدث) قعافة المرى قال دخل الاخطل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقى فمر من يسقينى فقال اسقوه ماء فقال هو شراب الحمار وهو عندنا كثير قال فاسقوه لبنا قال عن اللبن فطمت قال فاسقوه عسلا قال شراب المريض قال فتريد ماذا قال خمرا يا أمير المؤمنين قال أوعهدتنى أسقى الخمر لا أم لك لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت فخرج فلقى فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل صوتى فاسقنى شربة خمر فسقاه رطلا فقال اعدله بآخر فسقاه رطلا آخر فقال تركتهما يعتركان فى بطنى فاسقنى ثالثا فسقاه ثالثا فقال تركتنى أمشى على واحدة اعدل ميلى برابع فسقاه رابعا فدخل على عبد الملك فأنشده

خف القطين فراحوا منك أو بكروا * فقال لا بل منك وتطير من قوله قال ومر فى القصيدة حتى بلغ الى قوله

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته ثم قال ان لكل قوم شاعرا وان شاعر بنى أمية الاخطل وقال أبو عبد الملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت فى شىء رضيت بالاخطل وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ورأيته بالجزيرة وقد شكا الى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصىء كما يصىء الفرخ فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة فقال يا ابن أخى اذا جاء الدين ذللنا (وحدث) اسحق بن عبد الله المطلبى قال قدمت الشام وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق فاذا الاخطل فيها محبوس فسأل عنى فأخبر بنسبى فقال يا فتى انك رجل شريف وأنا أسألك حاجة فقلت له حاجتك مقضية فقال ان القس قد حبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى فأتيت القس فانتسبت له فرحب بى وعظم فقلت ان لى اليك حاجة قال وما حاجتك فقلت الاخطل تخلى عنه فقال أعيذك بالله من هذا فان مثلك لا يتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم فلم أزل أطلب اليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات وهو يقول لست بعائد ولا أفعل ويستخذى له فقلت يا أبا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك فى الناس رفيع وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذى له قال فجعل يقول لى انه الدين (وحدث) الهيثم قال كانت امرأة الاخطل حاملا وكان متمسكا بدينه فمر به الاسقف يوما فقال لها الحقيه فتمسحى به فعدت وراءه فلم تلحق الا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت فأخبرته فقال لها هو وذنب حماره سواء وسمع هشام الاخطل وهو يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

الرئيس هلال بن الصابى أن الصاحب بن عباد قال أرسل الى الاستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعينى فى وقت لم تجر عادته باستدعائى فى مثله فتهيأت للمضى فجاءنى رسول ثان فركبت فلقينى ثالث يستحثنى فارتبت وارتعت فلما دخلت عليه قال انى قلت بيتا ثم أعييت عن اتمامه وهو

وجاءوا بظبى كمثل الغزال
يناك على الرسم فى مثله

(فقلت فى الحال)

فأدخلت بعضى فى بعضه
فيالبت كلى فى كله

فجعل يكثر التعجب منى ثم انصرفت (وأنبأنا) العماد أبو حامد الاصفهانى قال ذكر السمعانى فى تاريخه قال سمعت أبا المظفر منصور ابن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودى المروزى فى مذاكرتى اياه يقول دخلت على العزيز الشاب وشبل الدولة عنده حاضر فقال العزيز قلت اليوم بيتا وأنشده

صفو دنّ العمر فى عصر الصبا
وزمان الشيب دردىّ محيل

وقال لشبل الدولة أجز فقال مبادرا

والذى يطلب صفوا بعده
انما يطلب شيأ مستحيل

(أخبرنى) الشيخ أبو عبد الله ابن على البصى القرمونى قال سمعت أبا بكر البكىّ الشاعر وهو بجامع عدوة القرويين بفاس يحكى لابى

فقال له هنيأ لك يا أبا مالك هذا الاسلام فقال له يا أمير المؤمنين مازلت مسلما فى دينى (وحدث) أبو محمد البزيدى قال خرج الفرزدق يوما مع بعض ملوك بنى أمية فرفع له فى طريقه بيت أحمر من أدم فدنا منه وسأل فقيل له الاخطل فاستقرى فقيل له انزل فقام اليه الاخطل وهو لا يعرف الا انه ضيف فجلسا يتحادثان فقال له الاخطل ممن الرجل قال من تميم قال فأنت اذن من رهط أخى الفرزدق فهل تحفظ من شعره شيأ قلت نعم كثيرا فما زالا يتناشدان ويتعجب الاخطل من حفظه شعر الفرزدق الى أن عمل فيه الشراب وقد كان الاخطل قال له قبل ذلك أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا فقال الفرزدق

خفض عليك قليلا * وهات لى من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال والله أنا الذى أقول فى جرير وأنشده فقام الاخطل وقبل رأسه وقال لا جزاك الله عنى خيرا لم كتمتنى نفسك منذ اليوم وأخذا فى شرابهما وتناشدا الى أن قال له الاخطل والله انك واياى لأشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر مالم نؤته قلت أنا بيتا ما أعلم أحدا قال أهجى منه قلت وما هو قال الاخطل قلت

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فلم يروه الا حكماء أهل الشعر وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم تبق سفلة ولا أمثالها الا رووه قال فقضوا له انه أسير شعرا منهما وعن محمد بن سلام قال قيل انه لما حضرت الاخطل الوفاة قيل له يا أبا مالك ألا توصى قال بلى ثم قال

أوصى الفرزدق عند الممات * بأم جرير وأعيارها
وزار القبور أبو مالك * برغم العداة وأوتارها

(أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن فى السر والجهر مسلما)

البيت من الطويل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العينى فى شواهده (ومعناه) ان لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين فى السر والجهر (والشاهد فيه) كون الجملتين بينهما كمال الاتصال لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الاولى فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها وهما ههنا قوله ارحل وقوله لا تقيمن عندنا لان فى قوله ارحل كمال اظهار الكراهة لاقامة المخاطب وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأدية المراد لدلالته على اظهار الكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

هو من الرجز وقائله أعرابى وبعده

ما ان بها من نقب ولا دبر * اغفر له اللهم ان كان فجر

يروى أن هذا الاعرابى جاء الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ان أهلى ببادية بعيدة وانى على ناقة دبراء عجفاء نقباء واستحمله فظنه كاذبا فلم يحمله فانطلق الاعرابى فحمل ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الابيات وعمر رضى الله عنه مقبل من أعلى الوادى فجعل اذا قال اغفر له اللهم ان كان فجر قال اللهم صدق حتى التقيا فأخذ بيده وقال له ضع عن راحلتك فوضع فاذا هى كما وصف فحمله على بعير وزوده وكساه والنقب رقة الاخفاف والدبر قرحة الدابة (والشاهد فيه) جعل عمر بيانا وتوضيحا لابى حفص

(وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العينى أيضا والضلال ضد الهدى (والشاهد فيه) عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهما له على غيرها لان بين الجملتين الخبريتين وهما وتظن سلمى وأراها مناسبة ظاهرة لاتحادهما فى المسند لان معنى أراها أظنها والمسند اليه فى الاولى محبوب وفى الثانية محب فلو عطف أراها على تظن لتوهم انه عطف على أبغى وهو أقرب اليه فيكون من مظنونات سلمى وليس كذلك

والجملة معه قال خرجت من فاس قاصدا تلمسان فدخلت فى بعض الخانات وكانت ليلة مطيرة جدا فأنزلنى صاحب الخان فى بيت مفرد وأوقد لى قنديلا فبينما أنا جالس واذا برجل قد فتح الباب ودخل على وعلى وجهه سلهامة قد سترته فجلس وقد عرفنى ولم أعرفه فسألته عن صناعته فقال أنا شاعر فقلت له كالمستهزئ به أجز وضربت بعينى الى شئ أصفه فلم أجد غير القنديل فقلت

وقنديل كأن الضوء فيه * محيا من أحب اذا تجلى

(فقال فى الحال)

أشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله هربا وولى

فجننت استحسانا لما أتى فكشف السلهامة عن وجهه فاذا هو أبو العباس الجنى الشاعر فقال كيف ترى هذا الكهن وما خفى منه وبتنا بأطيب ليلة فلما قام الركب للسفر سار هو الى فاس وسرت أنا الى تلمسان (وأخبرنى) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سنا الملك رحمه الله قال أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال اجتمعت فى بعض الايام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد قال على بن ظافر هو المعروف بابن التلميذ وانما أمه من بنات التلميذ فعرف

قال

(قال لى كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل)

البيت من الخفيف وتقدم فى شواهد المسند اليه والشاهد فيه هنا وقوع الجملة الثانية مستأنفة جوابا عن الجملة الاولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق أى ما بال علتك فقال سهر وذلك لان العادة جرت بأنه اذا قيل فلان عليل أن يسأل عن سبب علته لا أن يقال هل سبب علته كذا أو كذا لاسيما السهر والحزن فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن لانه أبعد أسبابه فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص وعدم التوكيد يشعر به ومثله قول أبى العلاء المعرى

وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى * معط حياتى لغر بعد ما غرضا
جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

أى لم تقول هذا وما ألجأك اليه فقال جربت الخ

(زعم العواذل أننى فى غمرة * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله والعواذل جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة لا امرأة عاذلة بدليل قوله صدقوا وغمرة الشئ شدته ومزدحمه (والشاهد فيه) وقوع الجملة المستأنفة جوابا للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص كأنه قيل أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا فقال صدقوا وفصله عما قبله لكونه استئنافا ومنه قول جندب بن عمار زعم العواذل أن ناقة جندب * بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل لو رأين مناخنا * بالقادسية قلن لج وذلت

ومثله قول لبيد عرفت المنزل الخالى * عفا من بعد أحوال
عفاه كل هتان * عسوف الوبل هطال

وقول أبى الطيب المتنبى وما عفت الرياح لهم محلا * عفاه من حدا بهم وساقا

(زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف)

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير من الوافر يهجو بنى أسد وبعده

أولئك أومنوا جوعا وخوفا * وقد جاعت بنو أسد وخافوا

والزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح رحمه الله لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا لكن سيبويه رحمه الله يكثر فى كتابه من قول زعم الخليل لا يريد بذلك ابطال قوله وقال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقريش هى القبيلة المشهورة سموا بذلك لتجمعهم فى الحرم أو لانهم كانوا يتقرشون المبياعات فيشترونها أو لان النضر بن كنانة اجتمع فى ثوبه فقيل تقرش أو لانه جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أى شديد أو سموا بمصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها والالف والايلاف العهد وشبه الاجازة بالخفارة وأول من أخذها هاشم من ملك الشام فكان هاشم يولف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة فلا يتعرض لهم أحد وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له (والشاهد فيه) حذف الاستئناف وقيام شئ مقامه فكأنهم قالوا أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا فقيل كذبتم فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله لهم الف وليس لكم الاف مقامه لدلالته عليه (ومساور) بن هند بن قيس بن زهير العبسى شاعر وكان جده قيس مشهورا فى الجاهلية ولاسيما فى حرب داحس والغبراء وذكر الاصمعى ما يدل على أنه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قال وكان نحو أبى عمرو بن العلاء رحمهما الله فى السن وقال حدثنى من رأى مساور بن هند أنه ولد فى حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان وفى حكاية الاصمعى انه لما عمر صغرت

بذلك قال فأخذنا فى ذم الدهر وانحنائه على أهل الفضل واذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال الوشى والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى ذم الدهر فقلت

من كان يكسو الكلاب وشـ
ـيا ثم يقنع لى بجلدى

(واستجزته فقال)

الكلب خير عنده
منى وخير منه عندى

(وأخبرنى) الاجل بهاء الدين ابن الساعاتى المقدم ذكره قال حضرت مجلس سماع عند بعض الرؤساء فغنى مغن قبيح النغمة سيئ الضرب فقال بعض الحاضرين

من منصفى ممن اذا
ما ناح تحت لقبح نغمه

(واستجازنى فقلت)

هو خارج وقت الغنا
ء وداخل فى رحم أمه

(وأخبرنى) الفقيه أبو ثابت ابن حسن الكرونى بالاسكندرية قال حضرت أنا والاديب عبد المنعم بن صالح الحسرى صاحبنا ببعض الاماكن ورجل يقرأ المقامات التى صنفها الحريرى على رجل آخر وهما يصحفان فيها فقال عبد المنعم

يا أيها النور البهيم الذى
يقرأ المقامات على الثور

(ثم استجازنى فقلت)

دع المقامات لاربابها
وعد الى الناقات والدور

(قال) على بن ظافر حضر

عيناه وكبرت أذناه فجعلوه فى بيت صغير ووكلوا به امرأة فرأى ذات يوم غفلة فخرج فجلس فى وسط البيت وكوم كومة من ترابى ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة وهذه فلانة لفرسين كان يعرفهما ثم أرسلهما من رأس الكومة ثم تطر فقال سبقت فلانة ثم أحس بالمرأة فقام وهرب وقال الاصمعى بلغنى انه أتى به الى الحجاج فقال له ما تصنع بقول الشعر وقد كبرت فقال أسقى به الماء وأرعى به الكلأ وتقضى لى به الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته وقال المرزبانى كان أعور وهو من المتقدمين فى الاسلام وهو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس شعراء فرسان وهو القائل

جزى الله خيرا غالبا من قبيلة * اذا حدثان الدهر نابت نوائبه
اذا أخذت بزل المخاض سلاحها * تجرد فيهم متلف المال كاسبه

يقال أخذت الابل سلاحها اذا أسمنها صاحبها فلم ينحها

((ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها))

هو من البسيط وتمامه شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
وقد تقدم الكلام عليه فى شواهد المسند (والشاهد فيه هنا) بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمى وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال فى اجتماعها فى المفكرة وابرازها فى معرض الامثال متوهما انها من نوع واحد وانما اختلفت بالعوارض والمشخصات بخلاف العقل فانه اذا خلى ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع آخر وانما اشتركت فى عارض هو اشراق الدنيا ببهجتها على أن ذلك فى أبى اسحق مجاز ونظيره قول الآخر

اذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع * فذو التاج والسقاء والذر واحد

((فلما خشيت أظافيرهم * نجوت وأرهنهم مالكا))

البيت لعبدالله بن همام السلولى من المتقارب وبعده

عريضا عقيما بدار الهوان * أهون على به هالكا

وهذان البيتان من جملة أبيات منها

فقلت أجرنى أبا خالد * والا تجدنى امرأ هالكا

يريد بأبى خالد هنا يزيد بن معاوية والذى خشيه عبيدالله بن زياد وكان قد توعده فهرب الى الشام واستجار بيزيد فأمنه وكتب الى عبيدالله يأمره بالصفح عنه ومالك المذكور هو عريفه والاظافير جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضا على أظفار والمعنى لما خشيت حملته وانشاب أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك (والشاهد فيه) دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه فى الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه اذ قد قيل انه على حذف المبتدأ أى وأنا أرهنهم فتكون اسمية فيصح دخولها وعليه قوله تعالى لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم أى وأنتم قد تعلمون وقيل ضرورة وقال عبد القاهر هى فيه للعطف والاصل ورهنتهم عدل الى المضارع لحكاية حال ماضية ومعناه انه يفرض ما كان فى الزمن الماضى واقعا فى هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع كما فى قول الشاعر ولقد أمر على اللئيم يسبنى أى مررت وروى وأرهنتهم والاول رواية الاصمعى واستحسنه ثعلب (وعبدالله) هو أبو عبد الرحمن السلولى الكوفى من بنى مرة بن صعصعة من قيس عيلان وبنو مرة يعرفون ببنى سلول وهى أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة وهم رهط أبى مريم السلولى وكانت له صحبة وعبدالله هو القائل فى الفلافس

أقلى على اللوم يا ابنة مالك * وذمى زمانا ساد فيه الفلافس
وساع من السلطان ليس بناصح * ومحترس من مثله وهو حارس

وهو القائل ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضى الله عنه

ليلة عندى وأنا برأس العين فى خدمة الملك الاشرف أدام الله أيامه الاديب الموفق على بن محمد البغدادى الساكن بها والفقيه بهاء الدين بن كساء الشاعر ان وعندنا رجل يعرف بالضياء ابن الزراد مصرى معروف وكانوا يمجنون معه فعمل ابن كساء بديهة وقال

رأيت الضياء وفى دبره
قد كرنبد البعير الشديد

ثم استجاز الموفق فقال فى الحال

كأن جهنم فى دبره
تقول لآتيه هل من مزيد

(ثم صنع الموفق فيه بديها)

زمان الضياء وعاء الالـ
ـه عيد ولكن به يرتزق
فطورا بأعلاه رى القبق
وطورا بأدناه طعن الحلق
بناو به أعظم الحالتين
فنه البغاء ومنا النسبق
فلو جمعتا به خاوة
لقد قيل وافق شن طبق

وهذا المعنى الذى ذكر فيه الحلق والتبق معنى مطبوع الا أنه لم يحسن نظمه وقد نظمته على سبيل التجريب للخاطر فقلت

لقد عبد الترك فى ذا الرقيع
وعاطوه بالعب أكواسه
بنيك بقطع أعفاجه
وصفع يزعزع أضراسه
فكم جعلوا حلقة دبره
وكم جعلوا قبقا راسه

(وقلت أيضا فى المعنى)

اصبح عبد الترك من هو كالـ
ـماتم فى عين من رأى خلقه

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك ردّاكا
لا رزء أعظم بالاقوام اذ علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الدين كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

(خرجت مع البازي عليّ سواد)

قائله بشار بن برد من أبيات من الطويل قالها في خالد بن برمك وكان قد وفد عليه وهو بفارس فأنشده قوله

أخالد لم أهبط عليك بذمة * سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد انّ الاجر والحمد حاجتي * فأيهما يأتي فأنت عماد
فان تعطني أفرغ عليك مدائحي * وان تأب لم تضرب عليّ سداد
ركابي على حرف وقلبي مشيع * ومالي بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازي عليّ سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف في أربعة أكياس فوضع واحدا منها عن يمينه وآخر عن شماله وآخر بين يديه وآخر من ورائه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد فلمس الاكياس بيده ثم قال استقل والله أيها الامير ومعنى البيت اذا لم يعرف قدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكرا مصاحبا للبازي الذي هو أبكر الطيور مشتملا على شئ من ظلمة الليل غير منتظر لاسفار الصبح فقوله عليّ سواد أي بقية من الليل (والشاهد فيه) كونه حالا ترك فيه الواو ومثله قول أبي الصلت يمدح ابن ذي يزن

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك محلالا

والشاهد في قوله عليك التاج وغمدان اسم قصر باليمن مبنيّ على أربعة أوجه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وفي داخله قصر مبني بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا ويرى ظله اذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال والمحلال بمعنى المنزل صيغة مبالغة ومثله قول الآخر يهجو خطيبا

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها في يديك قضيب

(وبشار) بن برد بن يرجوخ ينتهي نسبه للهراسف وكان يرجوخ من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ويكنى بشار أبا معاذ ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه والاطالة بذكره وهو من شعراء مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سنيّ الجوائز مع الشعراء وعن يحيى بن الجون راوية العبدي راوية بشار بن برد قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فقلت أما على اللسان والرأي فعربي وأما على الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهلا * ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر * فروعي وأصلي قريش العجم
واني لاغني مقام الفتى * وأصبي الفتاة فما تعتصم

قال وكان أبو دلامة حاضرا فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك فقلت كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله اني لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح اسجح الخدين مسترخي المذروين للعين منه مراد ومثلك قد جلس من الفتاة حجزة وجلست منها حيث أريد فأنت مثلي يا مرقعان قال فسكت عني ثم قال لي المهدي فمن أيّ العجم أصلك قلت من أكثرها في الفرسان وأشدها على الاقران أهل طخارستان فقال بعض القوم أولئك السند فقلت لا السند تجار فلم يزل يردد ذلك

وفوه بالنيك تارة وبـ
ـتر الصفع أخرى من لعبهم حقه
ان قرفا طعن بالايور وان
قرّ أجادت نعالهم رشقه
فالسرامين رأسه قبق
وللفياشي خناره حلقه
(وكان) يصحبني وأنا في خدمة
الاشرف أبقاه الله رجل
كاتب حسن الخط من أهل
العلم والخير هاجر الى دمشق
يقال له جمال الدين علي بن أبي
طالب فلما رأيت ما عليه
الاحوال من الاختلال
وقويت في نفسي شهوة
الانفصال كنت ليلي ونهاري
مكبا على الدعاء بتسهيل ذلك
وتعجيله وتيسير ما أرجوه
منه وأقمت على هذا مدة
طويلة بحيث كان الامر
مشهورا عند كل أحد من
الحاشية فأخبرني أنه بات
مشغول القلب بما يسمعه
مني في ذلك فرأى كأنه في
جامع دمشق تحت النسر
والى جانبه شيخ وكأنهم
ينتظرون الصلاة واذا
برجل شاب قد أقبل من
الباب الغربي فقال له الشيخ
يا أبا العباس أجز
آن ابن ظافر سوف يظـ
ـفر بالذي يرجوه عاجل
(فقال)
ظفرت عداه بخيبة
وغدا لما قد شاء نائل
فسررت بذلك فلم يكن شئ
أسرع من عود الملك
الاشرف أبقاه الله من دمشق
وانفصالي من خدمته على
الوجه الجميل وكان ذلك والله

المهدى وكان يلقب بالمرعث لقوله

قال ريم مرعث * ساحر الطرف والنظر * لست والله نائلى

قلت أو يغلب القدر * أنت ان رمت وصلنا * فانج هل يدرك القمر

وقيل لقب به لانه كان لقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه واذا أراد نزعه حل أزراره وخرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها وقال أبو عبيدة لقب بالمرعث لانه كانت فى آذانه وهو صغير رعاث واحدها رعثة وهى القرط ورعثة الديك اللحم المتدلى تحت حنكه وقال الاصمعى كان بشار ضخما عظيم الخلق والوجه مجدورا طويلا جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظرا وكان اذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب وقال ولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الاشياء فى شعره بعضها ببعض فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله وقال أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرة اللسان قال وكان بشار يقول هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس وكان بشار وهو صغير اذا هجا قوما جاؤا الى أبيه فشكوه اليه فيضربه ضربا مبرحا فكانت أمه تقول كم تضرب هذا الصبى الصغير الضرير أما ترحمه فيقول بلى والله انى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الى فسمعه بشار فطمع فيه فقال يا أبت ان هذا الذى يشكونه اليك منى هو قولى الشعر وانى ان أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى فاذا شكونى فقل لهم أليس الله عز وجل يقول ليس على الاعمى حرج فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار وحكى الاصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ قال لئلا أرى من أبغض وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط فاتخذ جاما لانسان وكان بشار عنده فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير فاتخذه له وجاء به اليه فقال له ما فى هذا الجام قال صورة طير يطير فقال له قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده فانه كان أحسن قال لم أعلم قال بلى قد علمت ولكنك قد علمت اننى أعمى لا أبصر شيأ وتهدده بالهجاء فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددنى أيضا قال نعم قال وأى شئ تصنع بى ان هجوتك قال أصورك على باب دارى فى صورتك هذه وأجعل من خلفك قردا ينكحك حتى يراك الصادر والوارد فقال بشار اللهم أخزه أنا أمازحه وهو يأبى الا الجد (وحدث) محمد بن الحجاج السوادى قال كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذ أذن المؤذن فقال له بشار رويدا نفهم قوله فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير فسكت الرجل (وحدث) حماد عن أبيه قال كان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن فقال بعض موالى المهدى لمن حضر ما عندكم فى قول الله عز وجل وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا فقال له بشار النحل التى يعرفها الناس قال هيهات يا أبا معاذ النحل بنو هاشم وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس يعنى العلم فقال له بشار أرانى الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا غثاثة فغضب وشتم بشارا فبلغ المهدى الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة فحدثه بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه ثم قال للرجل أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فقال له يا شيخ ما صناعتك فقال له أثقب اللؤلؤ فضحك المهدى ثم قال لبشار اعزب ويلك أتتنادب على خالى قال وما أصنع به يرى شيخا أعمى قائما ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته ووقف بعض المجان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك فصفق بشار بيديه وغضب وقال له من أنت ويلك قال أنا أعزك الله رجل

أعظم ظفر وأرفق قدر ولو لم يكن فيه الا الرجوع الى الباب الذى منه درجت وفى خدمته تخرجت والوطن الذى هو أول أرض مس ترابها جلدى وعلقت فيه تمائمى فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الامل بمنه وطوله (وكنت) أنا وابن المؤيد وما عائدين الى مصر فثار قتام شديد ترب وجه الارض وأقذى عين الشمس فقال

وقتام اذا رآه بصير عاد منه قذيه مثل الضرير

(ثم استجازنى فقلت)

ردنى بى مصندلا بعدما كا ن شديد النقاء كالكافور

(واجتمعت) يوما بالاجل شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين العزيزى رحمه الله فأنشدنى لنفسه فى غلام رآه فى الحمام مؤتزرا بازار أخضر

ومرتج ردف أزروه بأخضر كما بج ما قد تردى بطحلب

(واستجازنى فقلت)

يخيل لى مرآه نعمان أطلعت قضيبا على حقف لبس بن معشب

(قال على بن ظافر) وهذه حكاية قرأتها فى بعض المجاميع ولا أعرف من حاكيها فلذلك أخرتها ولم أوردها على ترتيب الاعصار خيفة من انتقاد منتقد وهى (قال) أبو على اجتمعنا فى بعض الايام جماعة من أهل الادب وخرجنا الى منتزه

من باهلة وأخوالى من ساول وأصهارى من عكل واسمى كلب ومولدى بأحاح ومنزلى بنهر بلال فضحك بشار وقال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله انك استترت منى بحصون من حديد (وحدث) رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات قال تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها فى علو بيت وبشار تحتنا أو كنا فى أسفل بيت وبشار فى علوه مع امرأة فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار فارتجت الناحية بنهيقها وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الارض وجعل يدقها بها دقا شديدا فسمعت بشارا يقول للمرأة نفخ يعلم الله فى الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ولم نلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا من نحاس فيه غضارة الى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق وبكى من ذلك صبى فى الدار فقال بشار صح يعلم الله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت يشهد الله الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها فعجبت من كلامه وغاظنى فسألت من المتكلم فقيل لى بشار فقلت قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول الحمد لله شكرا فقال له بشار استزده يزدك ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال ما لهم مسرعين أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم ورفع غلامه اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح به بشار وقال والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى بقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم وعن خلاد قال قلت لبشار انك لتجىء بالشىء المهجر المتفاوت قال وماذاك قلت له تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعدنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى أن تقول ربابة ربة البيت * تصب الخل فى الزيت لها عشر دجاجات * وديك حسن الصوت فقال لكل شىء وجه وموضع فالقول الاول جد وهذا قلته فى جاريتى ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع البيض وتحفظه فهذا عندها أحسن من قول قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل عندك وقال هلال لبشار وكان صديقه يمازحه ان الله عز وجل لم يذهب بصر أحد الا عوضه منه شيأ فما الذى عوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال له يا هلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وعن أبى دهمان العلائى قال مررت ببشار يوما وهو جالس على باب داره وحده وليس معه أحد وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى الى أن أسرق مما بين يديه فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كاف يده حتى مددت يدى لأتناول منه فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له قطع الله يدك يا ابن الفاعلة أنت الآن أعمى فقال يا أحمق فأين الحس وقعد الى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه بشار ضرطة فظن الرجل أنها أفلتت منه ثم ضرط أخرى فقال أفلتت ثم ضرط ثالثة فقال له يا أبا معاذ ما هذا فقال مه أرأيت أم سمعت قال لا بل سمعت صوتا قبيحا فقال له لا تصدق حتى ترى (وحدث) محمد بن الحجاج قال جاءنا بشار يوما وهو مغتم فقلنا له ما لك مغتما فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك فقال

سيدى خذلى أتانا * عند باب الاصبهانى تيمتنى ببنان * وبدل قد شجانى

تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى

ولها خد أسيل * مثل خد الشنفرانى فلذا مت ولو عشت * اذا طال هوانى

فقلت له ما الشنفرانى قال ما يدرينى هذا من غريب الحمار فاذا لقيته فاسأله عنه (وقال الجاحظ) كان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامم ويصوب رأى ابليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين وذكر ذلك

فوقفنا فى ظل قصر لنستريح فوقعت علينا منه رقعة فيها أجيزوا هذا البيت

ولى مقلة عهدها بالكرا
بعيد وبالدمع عهد قريب

(فكتبت تحته)

تحار اذا مر فيها الكرا
كما حار فى الحى ضيف غريب

ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر فأخرج الينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها عون لنا على نزهتنا (قال على بن ظافر) وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى فان صح الحديث فينبغى أن تكون بعد حكايتى الصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى

(ومن اجازة بيت ببيت) ما يكون الشاعر قد عمل بيتا واستجازه أولا أو عمل بيتين وأراد ابدال أحدهما أو الاختبار فيه مثل ما أنبأنا به العماد أبو جعفر الاصبهانى قال أخبرنى الامير الاجل نجم الدين بن مصال أن شابا يعرف بأحمد الالى من أهل الاسكندرية سافر الى الشيخ الاجل أبى بكر أحمد بن محمد العيذى التميمى الكاتب فاضل اليمن ورئيسه وانتفع من جانبه وان أحمد ذكر عنه أنه عمل أبياتا يهنى فيها الداعى بطهور أولاده من جملتها قوله

كذبالة المصباح يقضى قطعها
عند الخمود لها بقوة ناره

قال فقال الاديب العيذى يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله فقال

فى شعره فقال   الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
وكان الشعر قد نشب بين بشار وحماد عجرد لامور يطول ذكرها فكانا يتقارضان الهجاء فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار شئ جيد الا أربعين بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد وكل واحد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فسقط حماد عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه و بقى بشار على حاله لم يسقط وعرف مذهبه فى الزندقة فقتل به وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما و رضى بأن ينقل الى كل واحد منهما مايقول الآخر من الشعر فدخل يوما على بشار فقال له بشار ايه يافلان ماقال ابن الزانية فىّ من الشعر فأنشده   ان تاه بشار عليكم فقد * أمكنت بشارا من التيه   فقال بشار بأى شئ ويحك فقال   وذاك اذ سميته باسمه * ولم يكن حر يسميه
فقال سخنت عينه فبأى شئ كنت أعرف ايه فقال
فصار انسانا بذكرى له * ماينبغى من بعد ذكريه
فقال ماصنع شيأ ايه ويحك فقال
لم أهج بشارا ولكننى * هجوت نفسى بهجائيه
فقال على هذا المعنى دار وحوله حام ايه أيضا وأى شئ قال فأنشده
أنت ابن برد مثل بر * د فى النذالة والرذاله   من كان مثل أبيك يا * أعمى أبوه فلا أباله
(وحدّث) خالد الارقط قال أنشد بشارا راويته قول حماد عجرد فيه
دعيت الى برد وأنت لغيره * فهبك لبرد نكت أمك من برد
فقال بشار لراويته ههنا أحد قال لا فقال أحسن والله ماشاء ابن الزانية وقال بشار يوما لراوية حماد ماهجانى به اليوم حماد فأنشده ألا من مبلغ عنى الـ * ـذى والده برد
قال صدق ابن الفاعلة فما قال بعده فأنشده
اذا مانسب الناس * فلا قبل ولا بعد
فقال كذب ابن الفاعلة وأين هذه العرصات من عقيل فما قال فأنشده
وأعمى قاطبان ما * على قاذفه حدّ
فقال كذب ابن الفاعلة بل ثمانون جلدة عليه هيه فقال
وأعمى يشبه القرد * اذا ماعمى القرد
فقال والله ماأخطأ ابن الزانية حين شبهنى بقرد حسبك حسبك ثم صفق بيديه وقال ماحيلتى يرانى فيشبهنى ولا أراه فأشبهه وفى حماد عجرد يقول بشار
مالمت حمادا على فسقه * يلومه الجاهل والمائق * وماهما من ايره واسته
ملكه اياهما الخالق * مابات الافوقه فاسق * ينيكه أو تحته فاسق
قال ابن أبى سعيد وأبلغ ماهجا به حماد عجرد بشارا قوله
نهاره أخبث من ليله * ويومه أخبث من أمسه وليس بالمقلع عن غيه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
قال وكان أغنظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه
لو طليت جلدته عنبرا * لأفسدت جلدته العنبرا أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحوّل المسك عليه خرا
قال وكان حماد عجرد قد اتصل بالربيع يؤدّب ولده فكتب اليه بشار رقعة فأوصلت الى الربيع فاذا فيها مكتوب
ياأبا الفضل لاتنم * وقع الذئب فى الغنم   ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الادم   ان خلا البيت ساعة * مجمج الميم بالقلم
فلما قرأها الربيع قال صيرنى حماد دريئة الشعراء أخرجوا عنى حمادا فأخرج وقد فعل مثل هذا بعينه حماد

أخذه من العضو الشريف فقيل له الشيب تأثير فيه بمقتضى آثاره (قال العماد) ونقلت من مجموع أبى المعالى الكتبى لابى القاسم الهمدانى
تعيرنى وخط المشيب بعارضى * ولولا الحجول البيض لم تحسن الدهم
حنى الشيب ظهرى واستمرت عزيمتى * ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم
(قال فنظمت المعنى وقلت)
فيد اله اقل اليقظ التغابى * ليدرك فى الغنى حظ الغنى
فلم تصب السهام على اعتدال * بها لولا اعوجاج فى القسىّ
قال وأنشدتها للامير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فصنع فى الحال بدل الاول من البيتين وهو
أرى حلم الحليم به افتقار * الى جهل الفتى الغر الغبى
(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن أبى الحسن على ابن بسام الشنتريني مما أورده فى كتاب الذخيرة ماهذا معناه واللفظ لى أن المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد صاحب اشبيلية وغرب الاندلس جلس يوما للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من ازهر جوهرا و بين يديه ساقية تخجل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس فى راحة

عجرد بقطرب حين اتخذ مؤدبا لبعض ولد المهدى وكان هو يطمع فى ذلك فلم يتم له لشهرته فى الناس بما قاله فيه بشار فلما تمكن قطرب فى موضعه صار حماد كالملقى على الرصد فجعل يقوم ويقعد بقطرب فى الناس ثم أخذ رقعة فكتب فيها قل للامام جزاك الله صالحة * لا تجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غر وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم ما فى السخل من طيب

فلما قرأ المهدى هذين البيتين قال انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم قال انفوه عن الدار فأخرج عنها وجىء بمؤدب غيره ووكل بولده تسعون خادما يتناوبون يحفظونه فخرج قطرب هاربا ما اشتهر به الى الكرخ فأقام هنالك الى أن مات وكان بشار بلغه أن حمادا عليل المأنة ثم نعى اليه قبل موته فقال بشار

لو عاش حماد لهونا به * لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل موته وهو فى السياق فقال يرد عليه

نبئت بشارا نعانى وللـ‍ * ـموت برانى الخالق البارى يا ليتنى مت ولم أهجه * نعم ولو صرت الى النار

وأى خزى هو أخزى من أن * يقال لى يا سب بشار

وكان حماد قد نزل بالاهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستترا من محمد بن سليمان ثم خرج من عنده يريد البصرة فمر بشيراز اذ أن فى طريقه فمرض بها فاضطر الى المقام بها بسبب علته واشتد مرضه فمات هنالك ودفن على تلعة ثم ان المهدى لما قتل بشارا بالبطيحة اتفق انه حمل الى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فمر بهما أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا فوقف على قبريهما وقال

قد تبع الاعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين فى دار * قالت بقاع الارض لا مرحبا بقرب حماد وبشار * تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

وكان السبب فى قتل المهدى بشارا انه كان نهاه عن التشبيب فمدحه بقصيدة فلم يحظ منه بشىء فهجاه فقال من قصيدة خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدابوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى فسعى به الى يعقوب بن داود الوزير وكان بشار قد هجاه بقوله

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود

فدخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك قال بأى شىء قال بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى فقال بحياتى أنشدنى اياه فقال والله لو خيرتنى بين انشادى اياه وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى فحلف عليه المهدى بالايمان التى لا فسحة له فيها فقال أما لفظا فلا ولكنى أكتب ذلك فكتبه ودفعه اليه فكاد ينشق غيظا وعمل على الانحدار الى البصرة لينظر فى أمره وما فى فكره غير بشار فانحدر فلما بلغ الى البطيحة سمع أذانا فى وقت اضحاء النهار فقال انظروا ما هذا الاذان فاذا بشار سكران فقال له يا زنديق يا عاض بظر أمه عجبت أن يكون هذا من غيرك أتلهو بالاذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا أتلفه فيها فكان اذا أصابه السوط يقول حس وهى كلمة تقولها العرب للشىء اذا أوجع فقال بعضهم انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين يقول حس ولا يقول بسم الله فقال ويلك أطعام هو فأسمى عليه فقال له آخر أفلا قلت الحمد لله فقال أو نعمة هى فأحمد الله عليها فلما استوفى السبعين بان الموت فيه فألقى فى سفينة حتى مات ثم رمى به فى البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدفنوه الى جانب حماد عجرد كما قدمناه وقال أبو هشام الباهلى فيه يا بؤس ميت لم يبكه أحد * أجل ولم يفتقده مفتقد

لا أم أولاده بكته ولم * يبك عليه لفرقة أحد

الثريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال بديها

روعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع

عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

وحين صنعهما أطربه معناهما وهزه وحركه استحسانهما واستفزه فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول فقال عبد الجليل

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى (وأخبرنا) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذا معناه قال تذاكرنا فى بعض الايام بديوان الانشاء فأفضى بنا الحديث الى ذكر الناشى الاصغر وقوله فى وردة

ووردة فى بنان معطار * حبابها فى خفى أسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فقلت تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير وعليه نقد خفى لا يدركه الا الناقد البصير وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار ولو قال كمثل وجنة خود قد نقطت بر باع لكان أخصر وأحسن

(والحرث) بن حلزة هو من بنى يشكر من بكر بن وائل وكان أبرص وهو القائل

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

ويقال انه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا فى شئ كان بين بكر وتغلب فى الصلح وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به فأمر برفع السجف بينه وبينه استحسانا لها وكان الحرث متوكئا على عنزة فأثرت فى جسده وهو لا يشعر وكان له ابن يقال له مذعور ولمذعور ابن يقال له شهاب بن مذعور وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمى

هلم الى ابن مذعور شهاب * ينبئ بالسفال وبالمعالى

قال الاصمعى قد أقوى الحرث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها

فملكنا بذلك الناس اذما * ملك المنذر ابن ماء السماء

قال أبو محمد ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة لانه ارتجلها فكانت كالخطبة

(وألفى قولها كذبا ومينا)

هو من الوافر وصدره وقددت الاديم لراهشيه وقائله عدى بن زيد العبادى من قصيدة طويلة أولها

أبدلت المنازل أم عنينا * بقادم عهدهن فقد بلينا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر ابن ماء السماء

ألا أيها المثرى المرجى * ألم تسمع بخطب الاولينا

ومنها يذكر غدر الزباء بجذيمة الابرش

دعا بالبقة الامراء يوما * جذيمة عصر ينجوهم ثبينا * فطاوع أمرهم وعصى قصيرا

وكان يقول لو تبع اليقينا * ودست فى صحيفتها اليه * ليملك بضعها ولان تدينا

فخاجأها وقد جمعت فيوجا * على أبواب حصن مصلتينا * فأردته ورغب النفس يردى

ويبدى للفتى الحين المبينا * وحدثت العصا الانباء عنه * ولم أر مثل فارسها هجينا

(وبعده البيت المستشهد بعجزه وبعده)

ومن حذر الملاوم والمخازى * وهن المنديات لمن منينا * أطف لانفه الموسى قصير

ليجدعه وكان به ضنينا * فأهواه لمارنه فأضحى * طلاب الوتر مجدوعا مشينا

وصادفت امرأ لم تخش منه * غوائله وما أمنت أمينا * فلما ارتدنها ارتدصلبا

يجز المال والصدر الضغينا * أتتها العيس تحمل ما دهاها * وقنع فى المسوح الدارعينا

ودس لها على الانفاق عمرا * بشكته وما خشيت كمينا * فجللها قديم الاثر عضبا

يصك به الحواجب والجبينا * فأضحت من خزائنها كأن لم * تكن زباء حاملة جنينا

وأبرزها الحوادث والمنايا * وأى معمر لا يبتلينا * اذا أمهلن ذا جد عظيم

عطفن له ولو فرطن حينا * ولم أجد الفتى يلهو بشئ * ولو أثرى ولو ولد البنينا

وكان من خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الاولى من بنى اياد كما ذكره ابن الكلبى وكنيته أبو مالك وكان فى أيام ملوك الطوائف وقال أبو عبيدة كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطئ الفرات الى ما والى ذلك الى السواد ستين سنة وكان به برص فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا الابرش والوضاح وقيل سمى بذلك لانه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سودا وحمرا وكان الملك قبله أباه وهو أول من ملك الحيرة وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما فى أيديهم وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء الى أطراف مملكتها وكانت عاقلة أديبة فبعثت اليه تخطبه لنفسه ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك وقيل انه هو الذى بعث اليها يخطبها فكتبت اليه انى فاعلة

ما على قومك أو ماضر هم لو وقفنا ساعة فى سكتك

وقد تقدم قريب منها فى باب المجاوبة قال برية بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه فى الامثال سمعت سيبويه يقول دخل عبد الله بن طاهر الرى مصرا فسمع قرية تنوح فقال لله در الهلالى حيث يقول

ألا يا حمام الايك الفك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح

وكان معه عوف بن محلم الشاعر فقال له أجز هذا البيت فقال

وأرقنى بالليل صوت حمامة فبحت وذو الشوق القديم يبوح

على أنها ناحت ولم تذر دمعة ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفراخى مهامه فيح

(أنبأنا الشيخان) لاجل العلامة تاج الدين الكندى وابن الجرستانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر سماعا منه أخبرنا أبو بكر المرزقى أنبأنا أبو منصور العكبرى أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المحبر حدثنا أبو الفرج على بن الحسين الاصبهانى حدثنى على بن صالح عن أحمد بن أبى طاهر حدثه أنه ألقى على فضل الشاعرة

علم الجمال تركتنى فى الحب أشهر من علم

(فقالت)

ومثلك

ومثلك يرغب فيه فاذا اشتت فاشخص الى فشاور وزراءه فكل أشار عليه أن يفعل الا قصير بن سعد فانه قال له أيها الملك لاتفعل فان هذه خديعة ومكر فعصاه وأجابها الى ماسألت فقال قصير عند ذلك لا يطاع لقصير رأى وقيل أمر فأرسلها مثلا ولم يكن قصيرا ولكن كان اسمه ثم انه قال له أيها الملك أما اذ عصيتني فاذا رأيت جندها قد أقبلوا اليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني وان رأيتهم اذا حيوك طافوا بك فاني معرض لك العصا وهى فرس لجذيمة لاتدرك فاركبها وانج فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير اليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا فنظر جذيمة الى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال ماذل من جرت به العصا فأرسلها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى ياجذيمة فقال بل متاع أمة بظراء فقالت انه ليس من عدم المواسى ولا من قلة الاواسى ولكنها شيمة ماأقاسى وأمرت فأجلس على نطع ثم أمرت برواهشه فقطعت وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فانه ان أصاب الارض قطرة من دمه طلب بثاره فقطرت قطرة من دمه فى الارض فقالت لاتضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فلم يزل الدم يسيل الى أن مات ثم ان قصيرا أتى عمرو ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر وحرضه على أخذ الثار واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ولحق بالزباء وزعم أن عمرا فعل به ذلك وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله الى العراق بمال فيأتى الى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ماتطلبه ويأتى اليها به الى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمرا فانتخب من عسكره فرسانا وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى اذا كان الليل اعتزل عن الطريق فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا وعرف انه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم وقال هذه العير تأتيك الساعة بمال لم يأتك قط مثله فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهى تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول

مالل‍جمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

فلما وافت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا فى الحديد وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها اذا خشيت خرجت منه فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتمها وفيه سم وتقول بيدى لابيد عمرو وفارقت الدنيا والراهشان عرقان فى باطن الذراعين (والشاهد فيه) التطويل وهو أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد لالفائدة واللفظ الزائد غير متعين اذ جمعه بين الكذب والمين فى البيت لافائدة فيه لانهما بمعنى واحد (وعدى) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب ينتهى نسبه لنزار وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الانبارى أول من سمى من العرب أيوب وكان عدى شاعرا فصيحا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأهله وليس ممن يعد فى الفحول اذ هو قروى وقد أخذ عنه أشياء عيب بها وكان أبو عبيدة والاصمعى يقولان عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلت الثقفى ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطرماح وقال ابن قتيبة كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا وعلماؤنا لايرون شعره حجة وله أربع قصائد غرر احداهن أولها

أرواح مودع أم بكور * لك فاعمد لاى حال تصير

وفيها يقول

أيها الشامت المعير بالدهـر أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الايام أم أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

وأبعتنى ياسيدى
سقما يزيد على السقم
وتركتنى غرضا فدى
تلك العواذل والتهم
(وذكر أبو العباس المروزى) قال صنع المتوكل فى شاوطالب فضل الشاعرة أن تجيزه وهو
لاذ بها يشتكى اليها
فلم يجد عندها ملاذا
(فصنعت بديهة)
ولم يزل ضارعا اليها
تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا
فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتى يافضل وأمر لها بمائتى دينار وأمر عريب فغنت به (قال على بن ظافر) وقد ذكرنا البيت الاخير من بيتى فضل فى حكاية أبى السمراء فى اجازة بيت ببيت الا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك وهى من رواية أبى الفرج فى الاغانى (وبالاسناد المتقدم) ذكر الثعالبى فى كتاب اليتيمة قال جلس سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان يوما مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه فقال أيكم يجيز قولى
لك جسمى تعله * فدمى لم تحله
وليس لها الاسيدى يعنى ابن عمه أبا فراس بن أبى العلاء ابن حمدان فارتجل أبو فراس
لك من قلبى المكا * ن فلم لا تحله
ولئن كنت مالكا
فلك الامر كله
فاستحسنهما ووهب له ضيعة بمنبج تغل ألفى دينار فى كل

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر اذبناه واذدجلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور

وتبين رب الخورنق اذأشرف يوما وللهدى تفكير

سره حاله وكثرة مايملك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال وماغبطة حى الى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور

ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

والثانية أولها

أتعرف رسم الدار من أم معبد * نعم فرماك الشوق قبل التجلد

أعاذل مايدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أوفى ضحى غد

ذرينى فانى انمالى مامضى * أمامى من مالى اذا خف عودى

وحمت لميقات الى منيتى * وغودرت قدوسدت أولم أوسد

وللوارث الباقى من المال فاتركى * عتابى فانى مصلح غير مفسد

والثالثة أولها

لم أرمثل الفتيان فى غبن الا * يام ينسون ماعواقبها

والرابعة أولها

طال ليلى أراقب التنويرا * أرقب الليل بالصباح بصيرا

انتهى ماقاله ابن قتيبة وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس بن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها وعرفوا حقه وحق بنيه ولما ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى اذا حذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد فبينما هما واقفان بين يديه اذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرة شديدة فقال للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما واحدا من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ومن أخطأ منكما عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا منهما ورميا فقتلاهما جميعا فبعثهما الى بيت المال فملئت أفواههما جوهرا وأثبت شاهان مردوسائر أولاد المرزبان فى صحابته فقال عند ذلك الملك ان عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل فقال ادعه فأرسل الى عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة الى عدى ورهبوه فلم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة وهو معجب له قريب منه وأبوه زيد بن حماد حى الا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه فكان عدى اذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدى فعلا له بذلك صيت عظيم وكان اذا أراد المقام فى الحيرة فى منزله مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ثم ان كسرى أرسله الى ملك الروم بهدية من طرف ماعنده فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله الى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذكر

رب دار بأسفل الجذع من دو * مة أشهى الى من جيرون

سنة (وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوان) قال أنشدنى أبو القاسم عبد الله بن محمد الضروى لنفسه بالاهواز يقول

اذا أحمد الناس الزمن ذممته
ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا

وزعم أنه حاول أن يضيف اليه شيأ فتعذر عليه مدة طويلة وضجر منه وتركه مفردا وكان عنده أبو القسم المصيصى المؤدب فسمع القول فعمل فى الحال اجازة له وأنشدها لنفسه

وان أوسعتنى النائبات مكارها
ثبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا
اذا الليل خطب سد طرق مذاهبى
جلاب الى عزمى فأطلع لى فجرا

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد جلس يوما فى بعض دور الحرم فترعليه بعض حظاياه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تبدى آيات الشمس فى مثلها مها فسكب عليها اناء ورد كان بين يديه فامتزج الكل لينا واسترسالا وطيبا وجمالا وأدركت المعتمد أريحية لطرب ومادت بعطفيه راح الادب فقال وهو بت سالبة النفوس عزيزة

تختال بين أسنة وبواتر

وتعذر عليه المقال فقال بعض الخدم القائمين على رأسه سرالى الوليد النحلى

وندامى لايفـــــرحون بما نا * لواولا يتقون صرف المنــون
قدسقيت الشمول فى داربشر * قهــوة مزة بمــاء سخـــين

ثم ان عدياقدم المدائن على كسرى بهـدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قدهلكا جميعا فاستأذن كسرى فى المقام بالحيرة فتوجه اليها وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه ورجع معـه وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ولو أراد أن يملكوه لملكوه ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة فيقيم فى البر صيفا ويشتو بالحيرة ويأتى المدائن فى خلال ذلك فيخدم كسرى فمكث بذلك سنين ثم ان المنذر هلك وقام ابنه النعمان مقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه وبين عدى الى أن حبسه فقال فى ذلك أشعارا كثيرة منها

طال ذا الليل علينا واعتكر * وكأن بادر الصبح سمـــر
من نجى الهم عندى ثاويا * فوق ماأعلن منـه وأسر
وكأن الليــــل فيه مثله * ولقـدأبطن بالليـل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى * أتمـنى لوأرى الصبح جشر
غيرماعشق ولكن طارق * خلس النوم وأجدانى السهر

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضا

أبلغ النعمان عـنى مألكا * انه قدطال حبسى وانتظار
لو بغيرالماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
ليت شعرى من دخيل يعترى * حيث ماأدرك ليـلى ونهـار
قاعدا يكرب نفسى بثها * وحرام كان سجنى واحتصار

فى قصائد كثيرة كان يقولهـا ويكتب بها اليه فلاتجدى عنده شيأ ولقد تداول الشـعراء معنى بيت عدى لو بغير الماء حلقى شرق الخ بعد عدى فقال أبو نواس

غصصت منك بمالايدفع الماء * وصح حبـك حتى مابه داء

وقال الآخر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قدغص بالماء

وقال الخبزارزى

بالماء أدفع شيأ ان غصصت به * فما احتيالى وغصى منك بالماء

ثم لما طال سجن عدى كتب الى أخيه أبى وهو مع كسرى يعلمه بحاله فلماقرأ كتابه قام الى كسرى فكلمه فى أمره وعرفه بخبره فكتب الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معه رجلا وكتب خليفة النعمان اليه أنه قدكتب اليك فى أمره فأتى النعمان أعداء عدى وقالوا اقتله الساعة فأبى عليهـم وجاء الرسول وقدكان أخو عدى تقدم اليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين فقال له ادخل عليه وانظر ماذا يأمرك به فامتثله فدخل الرسول على عدى فقال له انى قدجئت بارسالك فما عندك قال عندى الذى تحب ووعده عدة سنية وقال له لاتخرجن من عندى وأعطنى الكتاب حتى أرسله اليه فانك والله لئن خرجت من عندى لاقتلن فقال لاأستطيع الا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله اليـه فانطلق بعض من كان هنالك من أعداء عدى فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخـل على عدى وهو ذاهب به وان فعل والله لم يستبق منا أحدا أنت ولاغيرك فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه ودخـل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه فقال حبا وكرامة وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهب وجارية حسناء وقال له اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه فلما أصبح ركب فدخل السجن فأخبره الحارس انه قد مات منذ أيام ولم نجترئ على اخبار الملك بذلك خوفا منه وقد عرفنا كراهيته لموته فرجع الى النعمان فقال انى قدكنت أمس دخلت على عدى وهو حى وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى وذكر لى انه قدمات منذ أيام فقال له النعمان أيبعث بك الملك الى فتدخل اليه قبلى كذبت ولكنك أردت الرشوة والخبث

ويخده باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ فأضاف اليه لاول وقوع الرقعة بين يديه

رأقت محاسنها ورق أديمها
فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن بلله الندى
تختال فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد مسبل شعرها
كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن جمالها
زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره
وعناله صرف الزمان الجائر
واذا المحت جبينه ويمينه
أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلماقرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أوكدت معناه فأجابه الفضلى بكلام معناه ياقاتل المحل أوماتلوت وأوحى ربك الى النحل (ومن ذلك) بالاسناد المتقدم أيضا لكتاب الذخيرة ماروى ابن بسام أن المعتمد أيضا أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد فوقع له أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال
وللشمس المنيرة بالهلال

واصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن مرزقان فحكى لهم المعتمد البيت وأمر باجازته فبدر

وتهدده ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى الا أنه قدمات قبل أن يقدم عليه فرجع الرسول الى كسرى وقال انى قد وجدته قد مات قبل أن أدخل عليه وندم النعمان على قتله وعلم انه قد احتيل عليه فى قتله واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة وكان لعدى ولد اسمه زيد فسيره النعمان الى كسرى ووصفه بأوصاف جميلة فوقع من كسرى الموقع فما زال يعمل الحيلة الى أن غير كسرى على النعمان وأرسل اليه أن أقبل علينا فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبل طيئ ثم بعث الى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف فقبلها كسرى وأظهر له الرضا وأمره بالقدوم فعاد الرسول وأخبره بذلك وانه لم ير له عند كسرى سوءا فمضى اليه حتى اذا وصل الى ساباط لقيه زيد بن عدى عند قنطرة ساباط فقال له انج نعيم ان استطعت النجاة فقال له أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ولألحقنك بأبيك فقال له زيد امض لشأنك نعيم فقد والله أخبيت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه وقال ابن الكلبى ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين وقالوا لم يزل محبوسا مدة طويلة وانما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام وغضبت له العرب حينئذ وكان قتله سبب وقعة ذى قار وكان عدى يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول

علق الاحشاء من هند علق * مستسر فيه نصب وأرق

وفيها يقول أيضا

من لقلب دنف أو معتمد * قد عصى كل نصيح ومفند

وفيها يقول أيضا

ياخليلى يسرا التعسيرا * ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا بى على ديار لهند * ليس أن عجتما المطى كبيرا

وقد تزوجها عدى فى خبر طويل فمكثت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردته وقالت والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال وشباب رغبتك فى لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال اى والله قالت فلا سبيل اليه

(ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وصبر الفتى لولا لقاء شعوب)

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويعزيه بغلامه يماك التركى وأولها وفيه الخرم وهو حذف الحرف الاول من الوتد المجموع

لا يحزن الله الامير فاننى * لآخذ من حالاته بنصيب
ومن سر أهل الارض ثم بكى أسى * بكى بعيون سرها وقلوب
وانى وان كان الدفين حبيبه * حبيب الى قلبى حبيب حبيبى
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيى دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب * وفارقها الماضى فراق سليب

وبعده البيت وبعده

وأوفى حياة الغابرين لصاحب * حياة امرئ خانته بعد مشيب
لابقى يماك فى حشاى صبابة * الى كل تركى النجار جليب
وما كل وجه أبيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
لئن ظهرت فينا عليه كآبة * لقد ظهرت فى حد كل قضيب
وفى كل قوس كل يوم تناضل * وفى كل طرف كل يوم ركوب

ابن عمرو قائل فقال
فذا سكنى أسكنه فؤادى
وذا نجلى أقلده المعالى
شغلت بذا وذا خلدى ونفسى
ولكنى بذا أرخى بالى
زففت اليه زمام ملكى
محلى بالصوارم والعوالى
فقام يقر عينى فى مضاء
ويسلك مسلكى فى كل حال
فدم للعلاء ودم فينا
فدنا السماح والنزال
(وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد) قال خرجت من اشبيلية لوداع كبير من المرابطين فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك فلما انصرفنا اعدنا منسايرين فمررنا بمرج حسن النبات بديع النوار فبادر غلام من غلمان مليكه وضىء الوجه الى زهرة بديعة فقطفها وأتاه بها التعجبه من حسنها فاقترح على أن أصفه فقلت
وبدر بدا والطرف مطلع حسنه
وفى كفه من رائق النور كوكب
(فقال مجيزا له)
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى
ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أى مهفهف
يجىء على مثل الكثيب ويذهب
(قال على بن ظافر) ومن هذا القسم ما تكون الاجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله كما أنبانى العماد

يعز عليه أن يخل بعادة * وتدعو لامر وهو غير مجيب
وكنت اذا أبصرته لك قائما * نظرت الى ذى لبدتين أريب
فان يكن العلق النفيس فقدته * فمن كف متلاف أغر وهوب
لان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوّذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

وهى طويلة وشعوب اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث وصرفه للضرورة سميت المنية بذلك لانها تشعب أى تفرق (والشاهد فيه) الحشو الزائد المفسد وهو هنا لفظة الندى لان المعنى ان الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا انما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فان الشجاع اذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل وكذلك الصابر اذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه بل مجرد طول العمر يهوّن على النفوس الصبر على المكاره ولهذا يقال هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح بخلاف الباذل ماله فانه اذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه اليه فيكون بذله حينئذ أفضل وأما اذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ولهذا قال طرفة

فان كنت لا أستطيع دفع منيتى * فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

ومثله قول مهيار الديلمى

فكل ان أكلت وأطعم أخاك * فلا الزاد يبقى ولا الآكل

وقيل المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة والاقرب ما ذكره ابن جنى وهو أن فى الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

(وأعلم علم اليوم والامس قبله)

هو من البحر الطويل وتمامه ولكننى عن علم ما فى غد عمى وقائله زهير بن أبى سلمى وهو من آخر قصيدة قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان وأولها

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(ومعنى البيت) ان علمى قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ولكننى عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظر متوقع يريد لا أدرى ماذا يكون غدا (والشاهد فيه) الحشو الغير مفسد للمعنى وهو لفظة قبله ومثله قول عدى المتقدم

نحن الرؤس وما الرؤس اذا سمت * فى المجد للاقوام كالاذناب

فقوله للاقوام حشو وفيه نظر لان استعمال الرأس فى المقدم والرئيس مجاز وذكر الاقوام كالقرينة وقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فلفظة الرأس حشو فان الصداع لا يستعمل الا فى الرأس ومن الحشو المفسد قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا اللهب
كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكره المزاج يغنى والماء فضل لا يحتاج اليه وقد قصر عن قول أبى نواس

سلوا قناع الطين عن رمق * حى الحياة مشارف الحتف
فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

أبو حامد قال قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن ان الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الابى حدثه قال أذكر ليلة وأنا أمشى مع الاديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فقال لى فى أى شئ أنت تفكر فقلت فى بيت عملته وهو

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته
لعل طرف الذى أهواه ينظره

فقال لمن هذا البيت فقلت لى فأنشد مرتجلا

يا راقد الليل بالاسكندرية لى
من يسهر الليل وجدا حين أسهره
ألاحظ النجم تذكارا لطلعته
وان جرى دمع أجفانى تذكره

(قال على بن ظافر) اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل فرأيت فى الموكب رجلا أسود اللون وعليه جبة حمراء فأنكرته ولم أعرفه ولقيت القاضى الاسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير فقلت له من هذا الاسود الذى كأنه فحمة فى دم حجامة فقال لى كأنه ناظر طرف أرمد فقلت له يصلح أن يكون قبله

واسود فى ثوبه المورد

وبعده

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك رحمه الله تعالى فأنشدته اياهما وكتمته الاول وقلت قد صنعت لهما أولا فاصنع أنت أيضا

(وزهير بن أبي سلمى) هو أبو كعب وبجير واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة ينتهي نسبه لنزار وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وانما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني وعن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في مسيره الى الجابية أين ابن عباس قال فأتيته فشكا الي تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت أولم يعتذر اليك قال بلى قلت هو ما اعتذر به ثم قال ان أول من ريثكم عن هذا الامر أبو بكر رضي الله عنه ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ثم ذكر رضي الله عنه قصة طويلة قال ثم قال لي هل تروي لشاعر الشعراء قلت ومن هو قال الذي يقول

ولو أن حمدا يخلد الناس خلدوا ❊ ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير بن أبي سلمى قال هو شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء قال لانه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه وفي رواية انه قال له أنشدني له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت وما أقرأ قال الواقعة فقرأتها ونزل فأذن وصلى ❊ وسأل معاوية الاحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال زهير قال وكيف ذاك قال كف عن المادحين فضول الكلام قال بماذا قال بقوله

فما يك من خير أتوه فانما ❊ توارثه آباء آبائهم قبل

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال اللهم أعذني من شيطانه فما لاك بيتا حتى مات وعن الاصمعي قال قال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدني مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر ان كان ليحسن القول فيكم فقال ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء فقال ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم قال وبلغني أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله الا أعطاه ولا يسلم عليه الا أعطاه غرة عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيى زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملا قال أنعموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وعن عمر بن شبة قال قال عمر رضي الله عنه لابن زهير ما فعلت بالحلل التي كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر وقال أبو زيد الطائي أنشد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ❊ وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقال أحسن زهير وصدق ولو أن الرجل دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناس به عنك ومنه قول عمرو بن الاهتم

اذا المرء لم يحببك الا تكرها ❊ بدا لك من أخلاقه ما يغالب

وقول أبي الطيب المتنبي

وللنفس أخلاق تدل على الفتى ❊ أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وعن المدائني أن عروة بن الزبير رضي الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله رضي الله عنهما فكان اذا دخل عليه منفردا أكرمه واذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به فقال له يوما يا أمير المؤمنين بئس المزور أنت تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا ثم قال لله در زهير حيث يقول

فحلي من ديارك ان قوما ❊ متى يدعو ديارهم يهونوا

ثم استأذنه في الرجوع الى المدينة المنورة فقضى حوائجه وأذن له وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه كعب وبجير شاعران وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه

وما يغني توقي المرء شيأ ❊ ولا عقد التميم ولا الغضار ❊ اذا لاقى منيته فأمسى
يساق به وقد حق الحذار ❊ ولاقاه من الايام يوم ❊ كما من قبل لم يخلد قدار

وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها اذ كل خاطر انما يبادر اليه فقال

وأسود في ملبس مورد

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة الا أن قوله في ملبس أحسن من قولي في ثوبه (قال علي بن ظافر) وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب بن أخت ابن المجاور ونحن بالاسكندرية أيام حلول الملك العزيز رحمه الله بها الى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضي الاعز أبي الحسن علي بن المؤيد المتقدم ذكره في هذا الكتاب وقد كان توفي أغبط ما كان بالحياة وأبعد ما كان من توقع الوفاة

غصن شباب رطيب والزمان ❊ على منبر فصنه لخطير خطيب

فلما بركنا بفناء قبره وأسبلنا سيل المدامع لذكره أنشدني شهاب الدين بيتين صنعهما في الطريق وهما

أيا قبر الاعز سقيت غيثا ❊ بجود يديه أو دمعي عليه
فلولا اخاؤه الصافي ودادا ❊ وددت الموت من شوقي اليه

فقال ان بين الاول والثاني فرجة تريد بيتا يسدها فسألته أن يسعدني فقلت

وحنت نحوك مروج زهر ❊ تحكي طيب أوقاتي لديه

(ومنه اجازة بيت وقسيم بقسيم) كما روى أبو اسحق الحصري صنع زهير بن

وكان زهير يضرب به المثل فى التنقيح فيقال حوليات زهير لانه كان يعمل القصيدة فى ليلة ثم يبقى حولا ينقحها ومما يعد من محاسنه قوله

وأبيض فياض نداه غمامة * على معتفيه ماتغب فواضله
تراه اذا ماجئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضا

كم زرته وظلام الليل منسدل * مسهم راق اعجابا بأنجمه
وأبت والصبح منصور بكوكبه * وسائق الشفق المحمر من دمه

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة وغرتها قصيدة كعب وهى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول المشرفة بن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم

(فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع)

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأولها

عفاذو حسامن فرتنى فالفوارع * فجنبا أريك فالتلاع الروافع
فمجتمع الاشراج غير رسمها * مصايف قدمرت بنا ومرابع
توهمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

الى أن قال فيها

وقد حال هم دون ذلك شاغل * مكان الثقاف تبتغيه الاصابع
وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع
تبادرها الراقون من سوء سمها * مطلقة طورا وطورا تراجع
أتانى أبيت اللعن انك لمتنى * وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

الى أن قال فيها

فان كنت لاذو الضغن عنى مكذب * ولا حالف على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشئ أقوله * وأنت بأمر لامحالة واقع

وبعده البيت وبعده

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع
ستبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ * الى ربه رب البرية راكع
أتوعد عبدا لم يخنك أمانة * ويترك عبد ظالم وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله الا عدله ووفاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى اذا ماشئت غير مصرد * بزوراء فى حافاتها المسك كانع

والمنتأى اسم موضع من انتأى عنه أى بعد وشبهه بالليل لانه وصفه فى حال سخطه وهوله (والمعنى) انه لا يفوت الممدوح وان أبعد فى الهرب وصار الى أقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولان له فى جميع الآفاق مطيعا لامره يرد الهارب اليه وقد اعترض الاصمعى على النابغة فقال أما تشبيهه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتى بما لاقسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد فلو قال قائل ان قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول

فلو كنت كالعنقاء أو كسموها * لخلتك الا أن تصد ترانى

(والشاهد فيه) مساواة اللفظ للمعنى المراد وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة

وما لامرئ حاولته منك مهرب * ولو رفعته فى السماء المطالع
بلى هارب لايهتدى لمكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

أبى سلمى بيتا وقسماه ها
تراك الارض اما مت خفا
وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العزمنها
(ثم أكدى) فقربه النابغة الذبيانى وقال له أجز يا أبا امامة وأنشده فأكدى النابغة وأقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال له أبوه أجز يابنى فقال وما أجيز فأنشده فقال

وتمنع جانبيها أن يزولا

فضمه زهير اليه وقال له أنت ابنى حقا (ومن ذلك) ما رواه اسحق الموصلى قال ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود فدخل عليه أبو النصر عمر بن عبد الملك ولم يكن علم الخبر فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنونه نثراو نظما وقف وأنشد ارتجالا

ونفرح بالمولود من آل برمك
بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله

ثم أرتج عليه فلم يدر مايقول فقال الفضل يلقنه

ولاسيما ان كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهته وأمر لابى المنصور بصلة (أنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف ابن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى

وأكثر الادباء يرجحه على بيت النابغة وفي هذا المعنى أيضا قول سلم الخاسر

فأنت كالدهر مبثوثا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرفها * في كل ناحية ما فاتك الطلب

وتناوله البحتري أيضا فقال

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن * ينجيهم من خوف بأسك مهرب

وما أبدع قول أبي القاسم بن هاني فيه

أين المفر ولا مفر لهارب * ولك البسيطان الثرى والماء

وقول الآخر

فلو كنت فوق الريح ثم طلبتني * لكنت كمن ضاقت عليه المذاهب

وبديع قول أبي العرب الصقلي

كأن بلاد الله كفاك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل
وأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان تطوى في يديك المراحل

(والنابغة) اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ينتهي نسبه الى ذبيان ثم لمضر ويكنى أبا أمامة وانما سمي النابغة لقوله وقد نبغت لهم منا شؤون وهو أحد الاشراف الذين غض منهم الشعر وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء * عن ربعي بن خراش قال قال لنا عمر رضي الله عنه يا معشر غطفان من الذي يقول

أتيتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون

قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم وعن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله

فانك كالليل الذي هو مدركي البيت

فقال شيخ من بني مرة وما الذي رأى في النعمان حتى يقول مثل هذا وهل كان النعمان الاعلى مظرة من مناظر الحيرة وقالت ذلك القيسية أيضا فأكثر فنظر الى الجنيد فقال يا أبا خالد لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا اسمع وهم آمنون * وقال عمر بن المنتشر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر اليه من أمر وحلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروي من اعتذار النابغة الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي فقال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب * وعن أبي عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصا بالنعمان وكان من ندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال قصيدته التي أولها

من آل مية رائح أو مغتدي * عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا * وبذاك تنعاب الغراب الاسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد
أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد
في اثر غانية رمتك بسهمها * فأصاب قلبك غير أن لم تقصد
بالدر والياقوت زين نحرها * ومفصل من لؤلؤ وزبرجد
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه * عنم على أغصانه لم يعقد
وبفاحم رجل أثيث نبته * كالكرم مال على الدعام المسند

قال أخبرني أبو زكريا يحيى ابن علي الانصاري فيما أظن وقد كتبت منه قال أخبرني عمر بن الصبير في المقري قال أخبرنا محمد بن عبد الله عن أبيه أنه سمع أبا عمر والكاتبي قال كنت جالسا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه فأتاه من بعض اخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر وكتاب معه فقال ابن عبد ربه الكتاب وجاوبه بديهة وكتب في الجواب

بعثت يا سيدي حلو الانابيب * عذب المذاقة مخضر الجلابيب
كأنما العسل الماذي شيب به

(قال الكاتبي) ثم توقف فقال يا كلبي أجز هذا البيت فاني لا أجد له تماما فقلت

لا بل يزيد على الماذي في الطيب

فقال أحسنت يا كلبي ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ما قلت ثم كره الاستعارة فأطرق قليلا ثم قال

أو ريق محبوبة جادت لمحبوب

(قال الكاتبي) فقمنا وقبلنا رأسه سرورا منا بقوله (وأخبرني) القاضي السعيد ابن سناء الملك قال صنعت

قد كان لي منديل كم ساذج * ما جاز مسح يدي به في مذهبي
فاعتضت عنه بخمس أحببته

وأرتج علي فلم أستطع أكمل البيت فاستجزت القاضي تاج الدين بن الجراح فقال

فمسحت في منديل كم مذهب

(ومنه اجازة بيتين ببيت) فمن ذلك ما روى لنا أن

تطلرت اليك لحاجة لم تقضها * تطر السقيم الى وجوه العوّد

وهي طويلة وأنشدها النابغة مرّة بن سعد القريعي فأنشدها مرّة النعمان فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده فهرب فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسان بالشام فامتدحهم وقد اعترض الاصمعي على البيت الأخير من هذه الابيات فقال أما تشبيهه مرض الطرف فحسن الا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله سقط النصيف البيت فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه أتعلمون أن النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أوما سمعتم قوله يعني هذا البيت والله ما عرف هذه الاشارة الا مخنث وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميري فقال

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

ثم أخذه الشماخ فقال

اذا امترمن تحشي اتقته بكفها * وسب بنضح الزعفران مضرج

وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضي التنوخي لنفسه

لم أنس شمس الضحى تطالعني * ونحن في روضة على فرق
وجفن عيني بمائه شرق * وقد بدت في معصفر شرق
كأنه دمعتي ووجنتها * حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلا * كالشمس غابت في حمرة الشفق

(رجع الى أخبار النابغة) عن المفضل أن مرّة الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته فذكره النابغة للنعمان فاضطغن من ذلك مرة حتى وشى به الى النعمان وحرضه عليه وقيل ان الذي من أجله هرب النابغة من النعمان انه كان هو والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر وكان المنخل من أجمل العرب وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان وتحدّث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل فقال النعمان للنابغة يا أبا أمامة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها فلحق المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر الا من جرّب فوقر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار الى غسان فنزل بعمرو بن الحرث الاصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه الى أن استعطفه النعمان فعاد اليه وعن أبي بكر الهذلي قال قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست اليه فقال اني أرى عربيا أفمن الحجاز أنت قلت نعم قال فكن قحطانيا قلت فاني قحطاني قال فكن يثربيا قلت فاني يثربي قال فكن خزرجيا قلت فاني خزرجي قال فكن حسان بن ثابت قلت فأنا هو قال أجئت بمدحة الملك قلت نعم قال فاني سأرشدك اذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه فاياك أن تساعده على ذلك ولكن أمرّ ذكره امرارا لا توافق فيه ولا تخالف وقل ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه فان دعاك الى الطعام فلا تؤاكله فان أقسم عليك فأصب منه اليسير اصابة مبرّ قسمه متشرف بمؤاكلته لا أكل جائع سغب ولا تبدأه باخبار عن شئ حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه فقلت أحسن الله رفدك قد أوصيت وأبلغت ودخل ثم خرج الي فقال ادخل فدخلت وحييت بتحية الملك فجاراني في أمر جبلة ما قاله لي عصام كأنه كان حاضرا فأجبت بما أمرني ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي فأنشدته ثم دعا بالطعام ففعلت مثل ذلك فأمر لي بجائزة سنية وخرجت فقال

أبا دلامة دعا السيد الحميري الى منزله فبكت ابنة له فحملها على عاتقه فبالت عليه فوضعها غضبا وقال

بلت علي لا حييت ثوبي * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميري فقال

ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فضحك أبو دلامة وقال عليك لعنة الله ما دعاك الى هذا كله ثم حلف لا ينازعه بيتا بعدها فقال له السيد يكون الهرب من جهتك لا من جهتي وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية باسناد ينتهي الى علي بن اسمعيل قال كنت أسقي أبا دلامة والسيد ولم يذكر سوى البيت الثاني من بيتي أبي دلامة ورواها أبو الفرج أيضا باسناد ينتهي الى الهيثم بن عدي وانها كانت بين أبي دلامة وأبي عطاء السندي وأن أبا عطاء أجاز بيته بأن قال

صدقت أبا دلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

وعلى هذه الرواية تدخل في باب المحاوبة (وذكر ابن رشيق في كتاب الانموذج) قال اجتمعت بأبي حديدة الشاعر يوما وأنا سكران فسألني عن حال المكان الذي كنت فيه فوصفته

لى عصام بقيت عليك واحدة لم أوصك بها بلغنى أن النابغة الذبيانى قادم عليه واذا قدم عليه فليس لاحد منه حظ سواه فاستأذن حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مجفوا قال فأقمت ببابه شهرا ثم قدم عليه خارجة بن سنان ومنظور بن زياد الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أى خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسئلة النعمان أن يرضى عنه فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما فدس النابغة قينة تغنيه بشعره * يادارمية فالعلياء فالسند * فلما سمع الشعر قال أقسم بالله انه لشعر النابغة وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين وكلماه فيه فأمنه ثم خرج فى غب سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه فلما رآه النعمان قال هى بدم كانت أحرى أن تخضب فقال الفزاريان أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل قال فأمنه واستنشده أشعاره فعند ذلك قال حسان ابن ثابت فحسدته على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أشد له حسدا على ادناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له واصغائه اليه أم على جودة شعره أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها قال وكان النابغة يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده لا يستعمل غير ذلك وقيل ان السبب فى رجوع النابغة اليه بعد هربه منه أنه بلغه انه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به فسار اليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين الغمر ان وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه

ألم أقسم عليك لتخبرنى * أمحمول على النعش الهمام

فانى لا ألام على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام

ونمسك بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ولم يدرك الاسلام

﴿أنا ابن جلا﴾

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى ولفظه

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وهذا البيت من قصيدة من الوافر أولها

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كأن تبينى

يقول فيها أيضا

فان علالتى وجراء حولى * لذو شق على الضرع الظنون

أنا ابن العز من سلفى رياح * كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده البيت وبعده

وان مكاننا من حميرى * مكان الليث من وسط العرين

وان قناتنا مشظ شظاها * شديد مدها عنق القرين

وانى لا يعود الى قرنى * غداة الغب الا فى قرين

بذى لبد يصد الركب عنه * ولا تؤتى فريسته لحين

عذرت البزل اذ هى صاولتنى * فما بالى وبال ابنى لبون

وماذا يبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

أخو الخمسين مجتمع أشدى * ونجذنى مداورة الشؤون

سأحيى ما حييت وان ظهرى * لذو سند الى نضد أمين

وكان السبب فى قوله هذه الابيات أن رجلا أتى الابيرد الرياحى وابن عمه الاحوص وهما من ردف الملوك من بنى رياح يطلب منهما قطرانا لابله فقالا له ان أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطرانا فقال قولا فقالا اذهب فقل له

وأنشدنى صفته الى ذكر غلام كان ساقيا فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن

فشمر بتهامن راحتيه كأنها من وجنتيه
وكأنها فى فعلها
تحكى الذى فى ناظريه

(وقال له أجز فقال)

وشممت وردة خده
نظرا ونرجس مقلتيه

فقلت له أحسنت فى شمك بالنظر كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول

كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوما بأبى على بن رشيق فوصف له منزلا ضيقا كان فيه ثم صنع فى صفته فقال

ومنزل قبح من منزل
النتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطه فيشة
ألوطه والعرق الريق

(وكان) ابن شرف أعور أصلع فقال ابن رشيق يداعبه على طريق الاجازة

وأنت أيضا أعور أصلع
فوافق التشبيه تحقيق

ولو قال ابن شرف كأننى فى وسطه فيشة فى فقحة لكان أوضح فى تشبيه المنزل

(قال على بن ظافر) وأخبرنى القاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله بما هذا معناه أنه كان عند أبى المعالى ابن الشماس كاتب القاضى الاسعد بن مماتى فى ليلة

فان بداهتى وجراء حولى * لذو شق على الحطم الحرون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما وأنشد الابيات قال فأتيناه فاعتذرا فقال ان أحدنا لا يرى انه صنع شيأ حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الازب فقالا له فهل الى النزع من سبيل فقال انا لم نبلغ أنسابنا وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ونسبها للمثقب العبدى وقال لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه وصورة ما أورده ابن قتيبة

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كأن تبينى
ولا تبدى مواعد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دونى
فانى لو تخالفنى شمالى * بنصر لم تصاحبها يمينى
اذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى
فاما أن تكون أخى بحق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى
وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

والابيات المارة تقوى أنها للسحيم المذكور فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر والله أعلم وجلا هنا غير منون لانه أراد الفعل فحكاه مقدرا فيه الضمير الذى هو فاعل والفعل اذا سمى به غير منتزع عنه الفاعل لم يكن الا حكاية كقول تأبط شرا

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وكقول الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه * ولا مخالط الليان جانبه

وانما أراد أنا ابن الذى يقال له جلا وبنى التى يقال لها شاب قرناها ووالله ما زيد بالذى يقال فيه نام صاحبه وابن جلا يقال للرجل المشهور أى ابن رجل قد انكشف أمره أو جلا الامور أى كشفها والثنايا جمع ثنية وهى العقبة يقال فلان طلاع الثنايا أى ركاب لصعاب الامور (والشاهد فيه) ايجاز الحذف والمحذوف موصوف وهو هنا رجل من قوله أنا ابن جلا * وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميرا (حدث) عبد الملك بن عمير الليثى قال بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق واذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فمال الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال بعض الناس لبعض قبح الله بنى أمية كيف تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور اليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال أنا ابن جلا وأنشد البيت وقال يا أهل الكوفة انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى * معاود للطعن بالخطى

ثم قال أيضا

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

انى والله يا أهل العراق لا يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن

اصطلى فيها بالجمر من كؤس الخمر واجتلى بها النجوم الزهر من مجتنى نجوم الزهر قال فأفضت فى ذمها وذكر عظيم اثمها ثم ندمت على ما فرط واعتذرت اعتذار من فرط فقلت

شربتم قهوة وشربت ماء
فأغنانى اللجين عن النضار
ومن بانت أحبته وساروا
تعلل بالتشاغل بالديار

(ثم استجزته فقال)

وكنت تطيركم بالشم منها
ولكنى سلمت من الخمار

(قال على بن ظافر) بتنا ليلة على المقياس عند مبالغة النيل فى نقصه واحتراقه وانفراجه عما لم يزل مستورا من أرضه وانفراقه والمراكب قد انتظمت فى لبته وركدت بالارساء فوق لجته وأحاطت به احاطة المحيط بنقطته وسفهاء الرياح تعبث بها حتى كادت تذهب بوقارها وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهى فى أوكارها من المراسى مزمومه وأجنحة قلوعها بالعارض الليل مضمومه فقلت بديها

أوما ترى المقياس قد حفت به
سود المراكب فوق ظهر اللجة
يسمو وقد حفت به كقلادة
سبجية فى لبة فضية

واستجزت القاضى الاعز ابن المؤيد رحمه الله فقال

تجربة وان أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا
وأبعدها مرمى فرماكم بي لانكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم
السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من
كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت
ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وأن أجهزكم الى
عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام الا ضربت
عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين
الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس
فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن سمية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب
أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد الا قال وعلى
أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها
الامير اني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الاسفار مني أفتقبله مني بدلا فقال له الحجاج نفعل أيها
الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي يقول أبوه

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه يوم الدار وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه
وهو يقول أين تركت ضابئا يا نعثل فقال ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين
عثمان بدلا يوم الدار ان في قتلك لصلاحا للمسلمين يا حرسي اضرب عنقه فسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا
قالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت فقال أتحفوهم برأسه فرموهم برأسه فولوا هاربين وجعل
الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده وازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب
ابن أبي صفرة وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي

أقول لابراهيم لما رأيته * أرى الامر أمسى داهيا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

(وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار)

البيت للخنساء من مرثية في أخيها صخر وهي قصيدة من البسيط أولها

قذى بعينك أم بالعين عوار * أم ذرفت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب أستار
لا بد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر وارد ماء قد تبادره * أهل الموارد ما في ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت * فانما هي تحنان وتسجار
يوما بأوجد مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار

وكأنه حصن عليه عسكر
للزنج اف بنوده المحمرة

(ومنه اجازة بيتين بأكثر من بيت) كما روى العباس ابن الفضل بن الربيع قال غضب الرشيد على جارية له فحلف لا يدخل اليها ثم ندم فقال

صد عني اذ رآني مفتتن
وأطال الصد لما أن فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي
ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم قال لجعفر بن يحيى اطلب لي من يزيد في هذين البيتين فقال ليس لهما الا أبو العتاهية وكان محبوسا فبعثوا اليه فكتب الى الرشيد

يا ابن عم النبي سمعا وطاعه
قد خلعنا الكساء والدراعه
ورجعنا الى الصناعة لما
كان سخط الامام ترك الصناعه

فأمر باطلاقه وصلته فقال الآن طاب القول ثم قال يجيزهما

عزة الحب أرته ذلتي
في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكا له
ولهذا شاع ما بي وعلن

فقال الرشيد أحسنت والله وأصبت ما في نفسي وأضعف صلته وذكرها الصولي في كتاب الاوراق بقريب من هذا وأنه كتب اليه لما أمر بالاجازة يقول

ضعف المسكين عن تلك المحن
هلك الروح منه والبدن

ون

وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار

وبعده البيت وبعده ولم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه * في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

والعلم الجبل الطويل وقيل هو عام في كل جبل (والشاهد فيه) زيادة المبالغة في الايغال وهو قولها في رأسه نار فان قولها علم واف بالمقصود وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية لكنها أتت بالتتمة ايغالا وزيادة للمبالغة وقد ضمن عز الدين الموصلي عجز البيت في ساهري اسمه نجم فقال

وساهري أعار البدر فضل سنا * سموه نجما وذاك النجم غرار

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

(والخنساء) اسمها تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد ينتهي نسبها الى مضر والخنساء لقب غلب عليها وفيها يقول دريد بن الصمة وكان خطبها فردته وكان رآها تهنأ بعيرا

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه تبل من الحب

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالي أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت خادما لها وقالت انظري اليه اذا بال فان كان بوله يخرق الارض ويخد فيها ففيه بقية وان كان بوله يسيح على الارض فلا بقية فيه فرجعت اليها وأخبرتها أن بوله ساح على وجه الارض فقالت لا بقية في هذا وأرسلت اليه ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا فقال

وقاك الله يا ابنة آل عمرو * من الفتيان أشباهي ونفسي

وقالت انني شيخ كبير * وما نبأتها أني ابن أمس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا * يباشر بالعشية كل كرس

فقالت الخنساء معاذ الله ينكحني حبركى * يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا * اذا أصبحت في دنس وفقر

وكانت الخنساء في أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخواها معاوية وصخر وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها لانه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة (وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة) قال غزا صخر بن عمرو وأنس بن عباس الرعلي بني أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبيا وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بني أسد وأصابته يومئذ طعنة طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته وروي أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريبا من حول حتى مله أهله فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته كيف بعلك فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فيسلى وقد لقينا منه الامرين فقال صخر في ذلك

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني وما كنت أخشى أن أكون جنازة

عليك ومن يغتر بالحدثان * أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان * وللموت خير من حياة كأنها

محلة يعسوب برأس سنان * وأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان

ولقد كلفت شيأ عجيبا زاد في النكبة واستوفى المحن قيل فرحنا وبأبي فرح أن يوافيني في بيت الحزن ولم يذكر العينية وأما يزيد ابن محمد المهلبي فانه روى البيتين اللذين هما على قافية العين الموصلين بالهاء لاسحق الموصلي وذلك انه كتب بهما الى المأمون وكان قد ترك الغناء والمنادمة فسجنه (وذكر) محمد بن جرير الطبري في تاريخه الكبير قال خرج كوثر خادم الامين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد فأصابه سهم غرب فجرحه فدخل على الامين وهو يبكي لالم الجراحة فلم يتمالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول

ضربوا قرة عيني * ومن أجلي ضربوه

أخذ الله لقلبي * من أناس أوجعوه

ثم أرتج عليه فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره باحضار شاعر يجيز البيتين فاستدعى لذلك عبد الله ابن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال

ما لمن أهوى شبيه * فبه الدنيا تتيه

وصله حلو ولكن * هجره مر كريه

من رأى الناس له الفضـ * ـل عليهم حسدوه

وزعم قوم أن التي قالت هذه المقالة بديلة الاسدية التي كان سباها من بني أسد واتخذها لنفسه وأنشد مكان البيت الاول   ألا تلكمو عرسي بديلة أوجست * فـراقي وملت مضجعي ومكاني

قال أبو عبيدة فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد في جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال شأنكم وهي فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى صخر وقال الموت أهون علي مما أنا فيه فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه قال وسمع صخر أخته الخنساء وهي تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك

أجارتنا ان الخطوب تنوب * على الناس كل المخطئين تصيب
فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان أريب
كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الصبر دامي الصفحتين ركوب
أجارتنا لست الغداة بظاعن * ولكن مقيم ما أقام عسيب

قالت فدفن هناك فقبره قريب من عسيب وهو جبل بأرض بني سليم الى جنب المدينة المنورة وقد روى انه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضجر منها زمانا وبعث الى ربيعة الاسدي الذي طعنه انك أخذت حلقا من درعي بسنانك فقال له ربيعة اطلبها في جوفك فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه فلتسه امرأته وكان يكرمها ويعينها على أهله فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها أيباع هذا الكفل فقالت عما قليل وصخر يسمع ذلك فقال لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته اليه فاذا هو لا يقله فعندها أنشد الابيات السابقة ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا وكان صخر قد أخذ بثاره وقتل قاتله ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وان العرب عرفت ذلك لها فقالت هند بل أنا أعظم العرب مصيبة فأمرت بهودجها فسوم براية أيضا وشهدت الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيها العرب فقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية فقالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظميهم قالت بأبي عمرو ابن الشريد وأخوي صخر ومعاوية فبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد قالت الخنساء أسواء هم عندك ثم أنشأت تقول

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة * قليل اذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى معاوية الذي * له من سراة الحرتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا * بسلهبة الأبطال قب يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي * ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند بنت عتبة تجيبها

أبكي عميد الابطحين كليهما * وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي * وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب * وفي العز منها حين ينمي عديدها

وقالت الخنساء أيضا يومئذ

من حس لي الاخوين كالغصنين أو من راهما * قرمين لا يتظالما ن ولا يرام حماهما
ويلي على الاخوين والقبر الذي واراهما * لا مثل كهلي في الكهو ل ولا فتى كفتاهما
رمحين خطيين في * كبد السماء سناهما * ماخلفا اذ ودعا * في سودد شرواهما

مثل ما قد حسد القا
ئم بالملك أخوه

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم فلما ولي المأمون الخلافة واستقر الامر له توسل اليه عبد الله بالحسن بن سهل فلما دخل عليه قال ألست القائل

ما لمن أهوى شبيه

فقال بل أنا القائل

نصر المأمون عبـ
ـد الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا
نوا قديما أكدوه
لم يعامله أخوه
بالذي أوصى أبوه

وأنشده في مدحه قصيدة أولها

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب
وبان شباب والشباب حبيب

فأمر له بعشرة آلاف درهم (وذكر) أبو الفرج الاصفهاني في كتاب القيان والمغنين أن المأمون قال بريما الهاشمية جارية علي بن هشام أجيزي

تعالى تكون الكتب بيني وبينكم
ملاحظة نومي بها ونشير
فعندي من الكتب المشومة حيرة
وعندي من شؤم الرسول أمور

(فقالت)

جعلت كتابي عبرة مستهلة
ففي الخد من ماء الجفون سطور

سا ابغير تكلف * عفـو ابفيض نداهما

ولقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم وعن أبي وجزة عن أبيه قال حضرت الخنساء بنت عمرو السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال رضي الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية لقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى مساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامه في دار الخلد والمقامه فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا اخوتي ان العجوز الناصحه * قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه * بمقالة ذات بيان واضحه
فباكروا الحرب الضروس الكالحه * وانما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتم بين حياة صالحه * وميتة تورث غنما رابحه

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني وهو يقول

ان العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الاوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب كماة في العدد * اما بفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم غنم الابد * في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثالث أيضا وهو يقول

والله لا نعصي العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو تكشفوهم عن حماكم كشفا
أما تروا التقصير منكم ضعفنا * والقتل فيكم نجدة وعرفا

وقاتل أيضا حتى استشهد رحمه الله ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للأخرم * ولا لعمرو في السناء الاقدم * ان لم أرد في الجيش جيش الاعجم
ماض على هول خضم خضرم * اما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاة في السبيل الاكرم

وقاتل حتى قتل أيضا رحمة الله عليه وعلى اخوته فبلغها الخبر رضي الله عنها فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني معهم في مستقر رحمته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد منهم مائتي درهم الى أن قبض رحمه الله ورضي عنه وكانت وفاتها

(كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

خليلي مرا بي على أم جندب * لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فانكما ان تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ورسلي لحاجاتي وهي كثيرة
اليك اشارات بها وزفير

(أنبأني) الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والشيخ الاجل الفقيه جمال الدين ابن الحرستاني اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أخبرنا أبو منصور محمد ابن محمد بن أحمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني أخبرني جعفر بن قدامة قال اشترى أبو عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكي قدم بها عليه فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها فأنشد

من لمحب أحب في صغره
فصار أحدوثة على كبره
من نظر شفه فأرقه
وكان مبدأ هواه من نظره

(ثم) قال لها أجيزي فقالت مجيبة غير متوقفة

لولا التمني لمات من كمد
مر الليالي يزيد في فكره
ما ان له مسعد فيسعده
بالليل في طوله وفي قصره
الجسم يبلى فلا حراك به
والروح فيما أرى على أثره

(أنبأني) الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي عن الحافظ السلفي اجازة قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوي وابن

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
عقيلة أخدان لها لا ذميمة * ولا ذات خلق إن تأملت جانب
إلى أن يقول فيها وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا * فقالوا علينا فضل برد مطنب
فقمنا إلى بيت بعلياء مردح * سماوته من أتحمي معصب
وأوتاده عادية وعماده * ردينية فيها أسنة قعضب
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا * إلى كل عادي حديد مشطب
فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل في مقيل نحسه متغيب
وبعده البيت وبعده نمس بأعراف الجياد أكفنا * إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهي طويلة قال الأصمعي الظبي والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضها وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا كذا في شرح ديوان امرئ القيس وبه يتبين بطلان ما قيل إن المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم (والشاهد فيه) تحقيق التشبيه في الإيغال لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه أتى بقوله لم يثقب إيغالا وتحقيقا للتشبيه لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ويسمى الإيغال أيضا وهو أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية فيأتي بما يتم به المعنى ويزيد في فائدة الكلام لأن للقافية محلا من الاستماع والخواطر واعتناء الشاعر بها آكد ولا شيء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذي لا يفيد ومن الشواهد عليه قول ذي الرمة أيضا
قف العيس في أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء
فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال المسلسل فزاده شيئا ثم قال
أظن الذي يجدي عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان
فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال المفصل فزاده شيئا قيل وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد
إذا ما علت منا ذؤابة شارب * تمشت به مشي المقيد في الوحل
وكان يقول قاتله الله أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله في وحل ومنه قول ابن الرومي
لها مربح كأنه ذهب * ورغوة كاللآلي الفلق
فزاد بقوله الفلق تمكينا في التشبيه ومن أبدع ما وقع فيه لمتأخر قول أبي بكر بن مجير
وخليفة ابن خليفة ابن خليفة ومستفعل
فقوله ومستفعل تبليغ بديع أفاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه وحكي أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا أني نظمت قصيدة مقصورة الروي وأعجزني منها روي بيت واحد فما أدري كيف أتممه فقال له أبو بكر أنشدنيه فأنشده قوله
سليل الإمام وصنو الإمام * وعم الإمام فقال له من غير تفكر ولا روية قل ولا منتهى فوضعه في قصيدته على ما تممه له وكان أمكن قوافيه وأقواها وللسيد أبي القاسم شارح مقصورة حازم في هذا النوع قوله
لم يبرح المجد يسمو ذاهبا بهم * حتى أجاز الثريا وهو ما قنعا
فقوله وهو ما قنعا من التبليغ الذي أفاد زيادة في المعنى ظاهرة

(ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب)

البيت للنابغة الذبياني من قصيدة من الطويل يخاطب بها النعمان أولها
أرسما جديدا من سعاد تجنب * عفت روضة الأجداد منها فيثقب

سلان الكبير قال حدثنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا أبو الحسين المهلبي عن أبي الفوارس عن يعقوب ابن السكيت قال عزم محمد ابن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت إليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد ابن عبد الله
دمعة كاللؤلؤ الرطـ
ـب من الطرف الكحيل
هطلت في ساعة البيـ
ـن على الخد الأسيل
(فقالت الجارية)
حين هم القمر الزا
هر عنا بالأفول
إنما يفتضح العشـ
ـاق في وقت الرحيل
(قال علي بن ظافر) ذكر ابن رشيق في كتاب الأنموذج ما معناه قال خرج أبو العباس بن حديدة القيرواني في جماعة من رفقائه طالبا للتنزه فحلوا بروضة قد سفرت عن وجنات الشقيق وأطلعت في زبرجد الأرض الخضراء نجوما من عقيق والجو قد أفرط في تعبيسه ونثر لفيظه جميع ما كان من لؤلؤ القطر في كيسه فقال ابن حديدة
أوما ترى الغيث المعرس باكيا
يذري الدموع على رياض شقيق

عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان مزنه متصوّب

يقول فيها أيضا

فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وبعده البيت وبعده

فان أك مظلوما فعبد ظلمته * وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب

أتاني أبيت اللعن انك لمتني * وتلك التي أهتم منها وأنصب

والشعث انتشار الامر والمهذب المنقح الفعال المرضي الخصال والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال ذكرت هنا قول الشاعر معارضا للنابغة في هذا البيت وهو

ألوم زيادا في ركاكة عقله * وفي قوله أي الرجال المهذب

وهل يحسن التهذيب منك خلائقا * أرق من الماء الزلال وأطيب

تكلم والنعمان شمس سمائه * وكل مليك عند نعمان كوكب

ولو أبصرت عيناه شخصك مرة * لأبصر منه شمسه وهو غيهب

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث ان شاء الله تعالى (والشاهد فيه) التذييل لتأكيد مفهوم فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه انكاري أي لا مهذب في الرجال وفي معنى البيت قول أبي الحسن محمد الموقت المكي

اذا المرء لم يبرح يماري صديقه * ولم يحتمل منه فكيف يعايشه

وأني يدوم الود والعهد بينه * وبين أخ في كل وقت يناقشه

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائي

أخاك أخاك فهو أجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان * فان رابت اساءته فهبها

لما فيه من الشيم الحسان * تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وبديع قول ابن الحداد أيضا

واصل أخاك وان أتاك بمنكر * فخلوص شيء قلما يتمكن

ولكل حسن آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وما أحسن قول ابن شرف أيضا

لا تسأل الناس والايام عن خبر * هما يبثانك الاخبار تفصيلا

ولا تعاتب على نقص الطباع أخا * فان بدر السما لم يعط تكميلا

ومن النفيس قول ابن حمديس

أكرم صديقك عن سؤا * لك عنه واحفظ منه ذمه فلربما استخبرت عنـ * ـه عدوه فسمعت ذمه

وقول عمر الخراط وهو رجل من القيروان

لا تسألن عن الصديـ * ـق وسل فؤادك عن فؤاده فلربما بحث السؤا * ل على فسادك أو فساده

ولمؤلفه في معناه

لست عن ود صديقي سائلا * غير قلبي فهو يدري وده

فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم ما لي عنده

وما أحسن قول بعضهم

عتبي عليك مقارن العذر * قد ردّ عنك حفيظتي صبري

فمتى هفوت فأنت في سعة * ومتى جفوت فأنت في عذر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

وقول بعضهم

اذا أنت لم تغفر ذنوبا كثيرة * تريبك لم يسلم لك الدهر صاحب

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

فكأن نقط دموعه من فوقها * در تبدد في بساط عقيق

قال وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت

فاجمع الى شكاييهما بزجاجة * شكلين من حبب وصفو رحيق

فكأنما انتصر العبرة عاشق * مهراقة في وجنتي معشوق

(وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام قال في كتاب الذخيرة ورواه الفتح بن خاقان في كتاب قلائد العقيان قال ذكر أبو اسحق بن خفاجة الحريري الاندلسي قال اجتمعت مع عبد الجليل ابن وهبون المرسي ونحن نريد المرية أيام مقام العدو بحصن بليط فبتنا بلزوه نتجاذب أذيال المذاكرة الى أن قام السفر في السحر للسرى والسفر وقد شهروا سلاحهم وأظهروا اعددهم لقربهم من العدو فظهر من عبد الجليل من الجزع والارتياع والهلع ما ألجأني الى تسكينه بانشاد عجائب الاشعار وايراد غرائب الاخبار وهو لا يفهم ما أورده ولا يعقل معاني ما أسرده فمررنا في الطريق بمشهدين متقابلين وعليهما رأسان منصوبان فقلت

ألا رب رأس لا تزاور بينه * وبين أخيه والمزار قريب

أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه فهو خطيب

(ثم استجزته باستطالة فقال)

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى * اذا ابتزعن أكفالهن الملابس
ومنهن تقريط الجواد عنانه * اذا استبق الشخص القوى الفوارس

وقد ناوض عبد الحميد بن أبى الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال

لولا ثلاث لم أخف صرعتى * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل فى * كل مكان باذلا جهدى
وأن أناجى الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وأن أتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذى منعة نهد

ومما سبق اليه أيضا وكان يتمثل به النبى صلى الله عليه وسلم قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقال غيره ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

ومما يستجاد من قصيدته التى منها البيت السابق على هذا قوله

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى * فذرنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض أهداب الازر

ذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط ذلك فى صحوهم كما قال عنترة

واذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

قالوا والجيد هو قول زهير بن أبى سلمى

أخو ثقة لا يتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال بعض المحدثين فتى لا يلوك الخمر شحمة ماله * ولكن عطاياه ندى وبوادى

وما ألطف قول ابن حمديس فى معنى قول عنترة

يعيد عطايا سكره عند صحوه * ليعلم أن الجود منه على علم
ويسلم فى الانعام من قول قائل * تكرم لما خامرته ابنة الكرم

(ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان)

البيت لعوف بن محلم الشيبانى من قصيدة من السريع قالها لعبد الله بن طاهر وكان قد دخل عليه فسلم فلم يسمع فأعلم بذلك فدنا منه ثم ارتجل هذه القصيدة وأولها

يا ابن الذى دان له المشرقان * طرا وقد دان له المغربان

وبعده البيت وبعده وبدلتنى بالشطاط انحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان

وعوضتنى من زماع الفتى * وهمتى هم الجبان الهدان
وقاربت منى خطا لم تكن * مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى وبين الورى * سحابة ليست كنسج العنان

ولم

فاخترنا موضعا نجلس فيه على غدير هناك فقال ابن الخياط بديها
أوما ترى قلق الغدير كأنه
يبدو لعينك منه حلى مناطق
مترقرق لعب الشعاع بمائه
فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فاذا انظرت اليه راقك لمعه
وعلت طرفك من سراب صادق
ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة فقال العطار
قد كنت أرجو أن تكون مصليا
حتى رأيتك سابقا للسابق
فاستحسنا ما أتى به العطار وجعلناه من مأثور الاخبار
قال أبو عبد الله وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتا واحدا وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله الى أن مات (وهو منه اجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت) فمن ذلك ما ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة من حكاية أبى الفرج البيغا فى دير مران ووصفها بأن قال وهى وان كان فيها بعض طول فالبديع غير مملول وكل ما أرويه وأسنده الى اليتيمة فى هذا الكتاب فهو مما أجازه لى القاضى الفقيه نبيه الدين أبو الحسن على ابن المفضل المقدسى رحمه الله تعالى قال أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى الاسكندرى قال أخبرنا أبو الحسن على ابن عبد الله الجبار بن سلامة

ولم تدع فيّ لمستمتع * الالسانى وبحسبى لسان
أدعو به الله وأثنى به * على الامير المصعبي الهجان
وهمت بالاوطان وجدا بها * وبالغوانى أين منى الغوان
فقربانى بأبى أنتما * من وطنى قبل اصفرار البنان
وقبل منعاى الى نسوة * مسكنها حرّان والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا * من بعد عهدى وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لى بها * أن تتخطاها صروف الزمان

والترجمان يقال بضم تائه وجيمه وفتحهما وفتح التاء وضم الجيم وهو المفسر للسان يقال ترجمه وعنه والفعل يدل على أصالة التاء ولقد أجاد الغزى فى تضمينه صدر البيت بقوله

طول حياة ما لها طائل * تنغص عندى كل ما يشتهى * أصبحت مثل الطفل فى ضعفه
تشابه المبدأ والمنتهى * فلا تسلم سمعى اذا خاننى * ان الثمانين وبلغتها

ولطيف قول الشهاب المنصورى رحمه الله

نحو ثمانين من العمر قد * قطعتها مثل عقود الجمان
ما أحوجت يوما يمينى الى * عصا ولا سمعى الى ترجمان

(والشاهد فيه) الاعتراض ويسمى الالتفات وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام وهو هنا الدعاء فى قوله وبلغتها لانها جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والواو فيه اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

وهو معترض اذ لا بد فيه من ذكر موفق لانه لا يتم المعنى بدونه ومنه قول كثير أيضا

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

ومن مليح ما سمع فيه قول نصيب وكان أسود

فكدت ولم أخلق من الطير ان بدا * سنا بارق نحو الحجاز أطير

(يروى) أن التى قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديدا فصاح ابن أبى عتيق أوّه قد والله أجابته باحسن من شعره والله لو سمعك النعق وطار لجعله غرابا لسواده ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب
ان تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تم فمالى فى العيش من أرب

وما أحسن قول أبى الفتح البستى

أراح الله قلبى من زمان * محت يده سرورى بالاساءه
فان حمد الكريم صباح يوم * وأنى ذاك لم يحمد مساءه

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزنيج وما أبدع قول ابن الساعاتى فيه

حال من دونك يا أخت الكلل * مقل الحى وقربان الاسل
ومواض مرهفات فتكت * بى وحاشاك ولا مثل الكحل

وقول أبى الحسين الجزار

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتى فانه قال

يهزه المدح هز الجود سائله * أولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وما أحسن قول الفقيه عمارة اليمنى

المثلى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على بن الحسن التميمى قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابورى قال أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبى وقد تقدم ذكر هذا الاسناد قال الثعالبى قال أبو الفرج واللفظ له تأخرت عن سيف الدولة بدمشق بكرها وقد سار عنها فى بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحوق به من أصحابه حتى ان ذلك كان يؤدى الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعى منهم الى أبى بكر على بن صالح الروذبارى لتقدمه فى الرياسة ومكانه من الفضل فأحسن تقبلى وبالغ فى الاحسان الىّ فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموقع فى الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلحنا وتوجهت نحوه فلما حصلنا تحته أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة

له راحة يهل جود ابنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوار حتى كأنه * عليهم وحاشا قدره يتطفل

والكل أخذوا اللفظة حاشا من أبي الطيب المتنبي حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وما أحسن أيضا قوله فيه

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لوجدت فيه جهنما

وللقاضي مهذب الدين الغساني

ومالي الى ماسوى النيل غلة * ولو أنه أستغفر الله زمزم

وبديع قول أبي الوليد محمد بن يحيى بن حزم

أتجزع من دمعي وأنت أسلته * ومن نار أحشائي ومنك لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا من عليك حبيبها

ومن الحشو الذي زاد حلاوة قول الجمال بن نباتة

لوذقت برد رضاب من مقبله * ياجار مالمت أعطافي التي غلت

وقول السراج الوراق ان عيني وهي عضو دنف * ماعلى ماكابدته جلد

ماكفاها بعدها عنك الى * أن دهاها وكفيت الرمد

وما أحسن قول ابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة

وغمرت بالاحسان أهل ميورقة * وبنيت فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغداد أنت رشيدها * ووزيرها وله السلامة جعفر

قوله وله السلامة من أملح الحشو وأحلاه قالوا وهو أملح وأوضح من قول المتنبي ويحتقر الدنيا البيت المار

ومن المضحك فيه قول الجزار

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتي * وحاشاك قبقابي وجوختي الدار
وان قيل لي لاتخش فهي عبورة * خشيت علي بأني جزار

وما ألطف قوله في معنى رقة الحال وان لم يكن من هذا الباب

لي من الشمس حلة صفراء * لاأبالي اذا أتاني الشتاء
ومن الزمهرير ان حدث الغيم ثيابي وطيلساني الهواء
بيتي الارض والفضا فيه سور * لي مدار وسقف بيتي السماء
شنع الناس انني جاهلي * ثاوي ومالهم أهواء
أخذوني بظاهري اذ رأوني * عبد شمس تسوء في الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير في هذا المعنى

أدركوني فبي من البرد هم * ليس ينسى وفي حشاي التهاب
كلما ازرق لون جسمي من البرد تخيلت انه سنجاب

(رجع الى الاعتراض) ومنه قول أبي محمد الميطراني وكتب به الى صديق له رأى عنده غلاما استخدمه

رأيت ظبيا يطوف في حرمك * أغر مستأنسا الى كرمك * أطمعني فيه انه رشأ
يرشي ليخشي وليس من خدمك * فاشغله بي ساعة اذا فرغت * دواته ان رأيت من قلمك

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قول رسم بن شادلو به صاحب اذربيجان

سعاد تسبني ذكرت بخير * وتزعم أنني ملق خبيث
وأن مودتي كذب ومين * وأني بالذي أهوى بثوث

النفس حسبما جرت به الرسم والعادة في غشيان الاغمار وطروق الديرة من التطرف بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى أن فض اللهو ختامه ولوح السكر لعيني أعلامه فحانت مني التفاتة الى بعض الرهبان فوجدته الي خطاني متوثبا ولنظري اليه مترقبا فلما أخذته عيني أخذ يجني بخفي الرمز ووحي الايماء فاستوحشت لذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأدرج لي رقعة مختومة وقال لي قد لزمك فرض الامانة فيما تتضمنه هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني ففضضتها فاذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة ياسولانا بين حزم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة فرفعت سجف الحشمة وأطعت في الانبساط أوامر الانسة وانتهزت في التوصل الى مودتك فائت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من

ولبس كذا ولا ردّ عليها * ولكنّ الملوك هم النكوث

رأت شغفى بها ونحول جسمى * فصدّت هكذا كان الحديث

وما ألطف قول البهاء زهير رحمه الله

صديق لى سأذكره بخير * وان عرّفت باطنه الخبيثا

وحاشا السامعين يقال عنهم * وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتى بقوله تودّ نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤساً ذوابل ملده

ولو ان تلك الحكم الا هلة لم تكن * وبانحرها الا انعالا لجرده

(وعوف بن محلم الخزاعى أبو المناهل) هو أحد العلماء الادباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته فلا يسافر الا وهو معه فيكون زميله وعديله ويعجب به وقال محمد بن داود ان سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الابيات أيام الفتنة ببغداد وطاهر منصرف فى حراقة له بدجلة فأدخله معه وأنشده اياها وهى

عجبت لحراقة ابن الحسين * كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد * وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها * وقد مسها كيف لا تورق

وأصله من حرّان وبقى مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه وكلما استأذنه فى الانصراف الى أهله ووطنه لا يأذن له فلما مات ظنّ انه تخلص وأنه يلحق بأهله فقرّبه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله وتلطف بجهده أن يأذن له فى العود الى أهله فاتفق انه خرج عبد الله من بغداد الى خراسان فجعل عوفا عديله فلما شارف الرىّ سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد فأعجب ذلك عبد الله والتفت الى عوف وقال يا ابن محلم هل سمعت بأشجى من هذا فقال لا والله فقال عبد الله قاتل الله أبا كبير حيث يقول ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير بين فاننى * بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكى والفؤاد قريح

فقال عوف أحسن والله وأجاد أبو كبير انه كان فى الهذليين مائة وثلاثون شاعرا ما فيهم الا مفلق وما كان فيهم مثل أبى كبير وأخذ يصفه فقال له عبد الله أقسمت عليك الا أجزت قوله فقال له قد كبر سنى وفنى ذهنى وأنكرت كل ما كنت أعرفه فقال عبد الله بحق طاهر الا فعلت فابتدر عوف فقال

أفى كل عام غربة ونزوح * أما للنوى من ونية فتريح

لقد طلح البين المشت ركائبى * فهل أرين البين وهو طليح

وأرّقنى بالرىّ نوح حمامة * فنحت وذو اللب الغريب ينوح

على انها ناحت ولم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون أفراخى مهامه فيح

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى * فتلقى عصا التطواف وهى طريح

فان الغنى يدنى الفتى من صديقه * وعدم الفتى بالمعتر بين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه وقال والله انى لضنين بمفارقتك شحيح على النائت من محاضرتك ولكن والله لا أعملت معى خفا ولا حافرا الا راجعا الى أهلك وأمر له بثلاثين ألف درهم فقال عوف الابيات المشهورة وسار راجعا الى أهله فلم يصل اليهم ومات فى حدود العشرين والمائتين ومن شعره رحمه الله تعالى قوله وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم ونيتى الوفاء

المسرّة مهنأة بالانفراد الا من غلامك الذى هو مادة مسرّتك وماذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لاخذى باحتياط على حالى فان صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فلنية غفل الدهر عنها اذ فارق مذهبه فيما أهداه الىّ منها وان جرى على رسمه فى المضايقة فيما أوثره وأهواه وأرقبه من قربك وأتمناه فذمام المروءة يلزمك ردّ هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها ان شاء الله تعالى واذا أبيات تتلو الخطاب وهى

ياعامر العمر بالفتوة وال * قصف وحث الكؤس والطرب

هل لك فى صاحب تناسب فى ال * غربة أخلاقه وفى الادب

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك مستنصرا على النوب

فان تقبلت ما أتاك به * لم تشب الظن فيك بالكذب

وان أبى الدهر دون رغبته * فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فوردعلىّ ما حيرنى واسترد ما أخذه الشراب من تمييزى وحصل لى فى الجملة أن الغالب على أوصاف صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما وشاهدته بالفراسة من ألفاظه وجدت أخلاقه تبسل

فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
وأبصر ما يريبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء

ومنه قوله
وصغيرة علقتها * كانت من الفتن الكبار
بلهاء لم تعرف لغشرتها اليمين من اليسار * كالبدر الا انها * تبقى على ضوء النهار

(واعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كل ما قدرا)

البيت من السريع وأنشده أبو علي الفارسي ولم يعزه الى أحد وأن هنا مخففة من مثقلة وضمير الشان محذوف يعني ان المقدور آت لا محالة وان وقع فيه تأخير وفي هذا تسلية وتسهيل للامر (والشاهد فيه) الاعتراض بالتنبيه وهو قوله فعلم المرء ينفعه وهو جملة معترضة بين اعلم ومفعوليه والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية

(يصدّ عن الدنيا اذا عنّ سودد)

هو من الطويل وتمامه ولو برزت في زيّ عذراء ناهد وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأولها فقواجد دوا من عهدكم بالمعاهد * وان لم تكن تسمع لنشدان ناشد
لقد أطرق الربع المحيل لفقدهم * وبين اطراق نكلان فاقد
وأبقوا الضيف الشوق مني بعدهم * قرى من جوى سار وطيف معاود
سقته ذعافا غارة الدهر فيهم * وسم الليالي فوق سم الاساود
بعلة صماء البين لم تصخ * لبرء ولم توجب عيادة عائد
وفي الكلة الوردية اللون جوذر * من العين وردي الخدود المجاسد
رمته بخلف بعد ماعاش حقبة * له رسفان في قيود المواعد
غدت مغتدى الغضبى وأوصت خيالها * بجران نضو العيش نضو الخرائد
وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

وهي طويلة يقول في مديحها
هم حسدوه لا ملومين مجده * وما حاسد في المكرمات بحاسد * قرانى اللهى والودّ حتى كأنما
أفاد الغنى من نائلي وفوائدي * فأصبحت يلقاني الزمان من أجله * باعظام مولود واشفاق والد

وبعده البيت وبعده اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد
فواكبدي الحرّا وواكبد النوى * لأيامه لوكنّ غير بوائد
وهيهات ماريب الزمان بمخلد * غريبا ولا ريب الزمان بخالد

والزيّ بكسر الزاي الهيئة والعذراء البكر والناهد التي نهد ثديها أي ارتفع (والشاهد فيه) وصفه بالايجاز بالنسبة الى كلام آخر مساوله في أصل المعنى وهو البيت الآتي بعده وهو اذا المرء لم يزهد الخ

(ولست بميال الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء في جانب الفقر)

البيت من الطويل وهكذا رويناه وان كان في التلخيص بلفظ نظار بدل ميال وقائله المعذل بن غيلان أبو عبد الصمد أحد الشاعرين المشهورين روى ذلك عنه الاخفش عن المبرّد ومحمد بن خلف بن المرزبان عن الربعي وبعد البيت وأني لصبار على ما ينوبني * وحسبك أن الله أثنى على الصبر
ورواه صاحب الدرّ الفريد لابي سعيد المخزومي يخاطب به امرأته وأوّل الابيات
تقي بجميل الصبر مني على الهجر * ولا تثقي بالصبر مني على الهجر

وأراد بالغنى مسببه أعني الراحة وبالفقر المحنة يعني ان السيادة مع التعب والمشقة أحب اليه من الراحة والدعة بدونها (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى مصراع أبي تمام لانه مساوله في أصل المعنى مع قلة حروفه ومثل ذلك قول الشيخ

الاختيار من رقعته فقلت الراهب و يحك من هذا وكيف السبيل الى لقائه فقال أما ذكرحاله فاليه اذا اجتمعتما وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دلني قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك منصرفا فاذا صرت بباب الدير عدلت بك الى باب صغير تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت ادفعها اليه ليتمكن أنسه بي وسكونه الى ثم عرفته أن التوفر على اعمال الحيلة في التوصل الى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب يضيع وقت بكتابته ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به فأنكروا ذلك مني فاعتذرت اليهم بشئ عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كما عوّلنا على المبيت فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي صبيّ صغير كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكري بردّ الدابة وستر خبري ومباكرتي وتلقاني الراهب فعدل بي الى طريق في مضيق وأدخلني الدير من طريق غامض وصار بي الى باب ولا يميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنا

إذا ما راية رفعت لمجد ❊ تلقاها عرابة باليمين

وقول بشر بن أبي حازم
إذا ما المكرمات رفعن يوما ❊ وقصر مبتغوها عن مداها
وضاقت أذرع المثرين فيها ❊ سما أوس إليها فاحتواها

(والمعذل) هو ابن غيلان بن الحكم بن البختري وكان أبوه غيلان شاعرا أيضا حدث عمارة قال من المعذل ابن غيلان بعبيد الله بن سوار العنبري القاضي في منزله عبد الله وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده فأبى وأنشده

أمن حق المودة أن نقضي ❊ ذمامكم ولا تقضوا ذماما
وقد قال الأديب مقال صدق ❊ رآه الآخرون لهم إماما
إذا أكرمتكم وأهنتموني ❊ ولم أغضب لذلكم فداما

قال وانصرف فبكر اليه عبد الله بن سوار فقال له رأيتك أبا عبد الله مغضبا فقال أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني قال ما علمت ذلك قال ذنبك أشد من مرورك بمنزلي وأنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقي فاز ال عبد الله يعتذر اليه حتى رضي عنه وحدث الجماز قال هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان فقال

كنت أمشي مع المعذل يوما ❊ ففسا فسوة فكدت أطير
فتلفت هل أرى جحر ضب ❊ من ورائي والأرض بي تستدير
فإذا ليس غيره وإذا إعصار ذاك الفساء منه يفور
فتعجبت ثم قلت لقد أعصر في دافيها أرى خنزير

فأجابه المعذل بقوله
صحفت أمك إذ سمتك في المهد أبانا ❊ قد علمنا ما أرادت ❊ لم ترد إلا أتانا
صيرت باء مكان التاء فالله أعانا ❊ قطع الله وشيكا من مسميك اللسانا

وقد روى عن المعذل وأبيه شيء من الأخبار والحديث والعلم ليس بالكثير ومن شعره
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ❊ أرى صالح الأعمال لا أستطيعها ❊ أرى خلة في إخوة وقرابة
وذي رحم ما كان مثلي يضيعها ❊ فلو ساعدتني في المكارم قدرة ❊ لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وأما أبو القاسم عبد الصمد فكان شاعرا فصيحا من شعراء الدولة العباسية وكان هجاء خبيث اللسان شديد المعارضة وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم عند المعتزلة وجاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه وعبد الصمد أشعرهما ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله وهو في غاية الأذى مع ما فيه من اللطافة

قال لي أنت أخو الكلب في [illegible] ❊ [illegible] بجانبي واجتهد
[illegible] الله [illegible] ❊ ما أدري أني هو عبد الصمد

﴿ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ❊ ولا ينكرون القول حين نقول﴾

البيت للسموأل بن عاديا اليهودي من قصيدة من الطويل أولها

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ❊ فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ❊ فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا ❊ فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا ❊ شباب تسامى للعلا وكهول
وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ❊ إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ❊ وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه ❊ ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا ❊ وليس على غير السيوف تسيل

إلى أن يقول فيها
نحن كماء المزن ما في نصابنا ❊ كهام ولا فينا يعد بخيل

فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما تستره وتظهر مع رقتها ما تضمره وعلى رأسه مخلسية مصمت فبهر عقلي واستوقف نظري ثم أجفل كالظبي المذعور وتلوته والراهب إلى صحن القلاية فإذا أنا بيت فضي الحيطان رخامي الأركان يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعملة فوثب إلينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة متر من اللباس بزي غلامه فلقيني حافيا يعثر في سراويله واعتنقني ثم قال إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من صورته مصانعا لما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي وارتياحه للمبادرة على نفسه حرصا على تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة إلى امتثال أمره وأمانى خلال ذلك أواصل المبالغة في الاعتداد به ثم قال يا سيدي أنت مكدود عن كان معك والتمكن من الأنس بك لا يتم إلا براحتك وقد كان الأمر على ما ذكر فاستلقيت

وبعده البيت وبعده
اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر معروفة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معوّدة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

ومعنى البيت انا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقياد الهوانا واقتداء بحزمنا يصف رياستهم ونفاذ حكمهم ورجوع الناس في المهمات الى رأيهم (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة اليه وفي قوله من القصيدة وانا القوم لا نرى القتل سبة البيت نوع من البديع يسمى الاستطراد وهو أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شئ وهو انما يريد غيره ومنه قول الفرزدق

كأن فقاح الازد حول ابن مسمع * اذا اجتمعوا أفواه بكر بن وائل

وقول جرير
لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

(ويروى) أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا فيها الراعي فلما بلغ الى قوله بها برص بأسفل اسكتيها وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال جرير كعنفقة الفرزدق حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم أخزه والله لقد علمت حين بدأ بالبيت انه لا يقول غير هذا ولكني طمعت أن لا يأتي به فغطيت وجهي فما أغنى ذلك شيأ ويقال ان يونس كان يقول ما أرى جريرا قال هذا المصراع الا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته اياها ومن الاستطراد قول أبي تمام في وصف فرس

فلو تراه مشيحا والحصى فلق * تحت السنابك من مثنى ووحدان
حلفت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول أبي بكر النطاح في مالك بن طوق

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئني بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يشتهي من لحم عنقاء مغرب
سلي كل أمر يستقيم طلابه * ولا تذهبي يا درّ بي كل مذهب
فأقسم لو أصبحت في عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبي
فتى شقيت أموال بعفاته * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبي

بأبي من اذا أراد سراري * عبرت لي أنفاسه عن عبير * وسبانى ثغر كدرّ نظيم
تحته منطق كدرّ نثير * وله طلعة كنيل الاماني * أو كشعر المهلبي الوزير

وقول أبي الطاهر الخزاعي

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
قطعت دياجيه بنوم مشرّد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وقول اسحق بن ابراهيم يهجو أحمد بن هشام

وصافية يغشى العيون صفاؤها * رهينة عام في الدنان وعام * أدرنا بها الكاس الروية موهنا
من الليل حتى انجاب كل ظلام * فما ذر قرن الشمس حتى رأيتنا * من العي نحكي أحمد بن هشام

وقول

يسيرا ثم نهضت لخدمت
في حالتي النوم واليقظة
الخدمة التي عهدتها في
دار الملوك وجلة الرؤساء
ثم جاءنا خادم لم أر أحسن
وجها ولا أتم سوادا منه يضم
ما يتخذ للعشاء فقال يا سيدي
العشاء مني للحاجة ومنك
للمؤانسة فتناولنا شيأ وأقبل الليل
وطلع القمر ففتحت مناظر
ذلك البيت الى فضاء أدى
الينا محاسن الغوطة وحبانا
بنضارة رياضها من المنظر
الجناني والنسيم العطري
وجاءنا الراهب من الاشربة
بما وقع اتفاقنا عليه واقتعدنا
غارب اللذة وجرينا في ميدان
المفاوضة وأخذنا بنا في
نوادر الاخبار ويخلط ذلك
من المزح بأظرفه ومن
التودد بألطفه فلما توسطنا
الشرب التفت الى غلامه
وقال يا مسترف ان مولاك
لم يدخر عنا ممكنا من السرور
بحضرته فينبغي لنا أن لا ندخر
ممكنا من تمام مسرته فامتقع
وجه الغلام حياء وخفرا
فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم
ما يريد فمضى ثم عاد يحمل
طنبورا وجلس وقال لي
تأذن يا سيدي في خدمتك
فهممت بتقبيل يديه لما
داخلني من عظم المسرة
بذلك وأصلح الغلام الطنبور
وضرب وغنى يقول
يا ما لسكي وهو ما لكي
وسالبي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى فيـ
ك عن تعرض شك

وقول الحسين بن علي القمي

جاوزت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذي الحياء البارد
والشوك يعمل في ثيابي مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

وقول أبي الفرج الببغاء

لنار وضة في الدار صيغ لزهرها * قلائد من حل الندى وشنوف
يطيف بنامنها اذاما تنفست * نسيم كعقل الخالدي ضعيف

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم

اكشفي وجهك الذي أوحلتني * فيه من قبل كشفه عيناك
غلطي في هواك يشبه عندي * غلطي في أبي علي بن زاكي

وقول أبي بكر الخوارزمي

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر مجرّم
مسرّة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم
ممات لأحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم
يدور بها ظبي تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن اكثم
يتزهنا من ثغره ومدامه * وخديه في شمس وبدر وأنجم
نهضت اليها والظلام كأنه * معاش فقير أو فؤاد معلم

(وقوله)

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا * دمعي يحاكي لسلك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكى * قلبي فؤاد حسودك المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به الى بعض الرؤساء

اني لقيت مشقه * فابعث الي بشقه * كمثل وجهك حسنا * ومثل ديني رقه

فقال له الرئيس أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة ولشرف الدين بن عنين الشاعر على هذا الاسلوب في فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس في جدليهما * قد أصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان مالهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ومنه قول ابن جابر الاندلسي

تطول به المجد أشرف همة * فباعه عن غاية بقصير
سما لاقتناص المكرمات كما سما * بعمرو الى الزباء سعي قصير

وقوله أيضا

سراة كرام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
ويفعل في فقر المقلين جودهم * كفعل علي يوم حارب مرحبا

﴿والسموأل﴾ هو ابن عريض بن عادياء ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وأبي حبيب وذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب وينسبونه الى عادياء جده وقال عمرو بن شيبة هو السموأل بن عادياء ولم يذكر عريضا وقد قيل ان أمه كانت من غسان وكلهم قال انه صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماء وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هرون بن عمران وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئرا عذبة روية وقد ذكرته الشعراء في أشعارها قال السموأل

لولاك ما بت أبكي
الى الصباح وأبكي

فنظر الي الغلام وتبسم فعلمت أن الشعر له وكدت والله أن أطير طربا وفرحا لملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة منطقه وتكامل حسنه فاستدعيت كبيرا فاحضر الغلام عدة قطع من البلور وجيد الجام المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت به ثم قال أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن حيث عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تسم ليلتنا هذه بشئ يكون لها طرازا ولذكرها علما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا

وقد أخذ الشراب مني
وليلة أوسعتني
لهوا وحسنا وأنسا
ما زلت ألثم بدرا
بها وأشرب شمسا
اذا أطلع الدير سعدا
لم يبق مذ آب نحسا
فصار للروح مني
روحا وللنفس نفسا

فطرب لقولي ألثم بدرا وأشرب شمسا ثم جذب غلامه فقبله وقال لم أجهل يا سيدي ما يجب لك من التوقير ولكني اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فحياتي الا ما فعلت ذلك بغلامك كما فعلت فأجبته خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة

فبالابلق الفـرد بيتى به * وبيت النضير سوى الابلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه ويقيم هناك سوقا وبه يضرب المثل فى الوفاء لانه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الابلق بعد ايقاعه ببنى كنانة على انهم بنو أسد وكراهة من معه لفعله وتفرقهم عنه حتى بقى وحده واحتاج الى الهرب وطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه الى طلبه جيوشا وخذلته حمير وتفرقت عنه فلجأ الى السموأل بن عاديا وكان معه خمسة أدراع الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذيول وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك ومعه ابنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال وكان بقى مما كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع وهو الذى قال فيه امرؤ القيس

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصـرا

فقلت له لا تبـك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعـذرا

فقال له الفزارى قل فى السموأل شعرا تمدحه به فان الشعر يعجبه فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها

طرقتك هند بعد طول تجنب * وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

فقال له الفزارى ان السموأل يمنع منك وهو فى حصن حصين ومال كثير فقدم به على السموأل وعرفه اياه وأنشده الشعر فعرف لهما حقهما وضرب على هند قبة من أدم وأنزل القوم فى مجلس له فأقاموا عنده ماشاء الله ثم ان امرأ القيس سأله أن يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغسانى أن يوصله الى قيصر ففعل واستصحب رجلا يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ورحل الى الشأم وخلف ابن عمه مع ابنته هند قال ونزل الحرث بن ظالم فى بعض غاراته بالابلق ويقال بل كان المنذر وجهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل فلما نزل به تحصن منه وكان له ابن قد يفع وخرج الى قنص له فلما رجع أخذه الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل أتعرف هذا قال نعم هذا ابنى فقال أفتسلم ما قبلك أو أقتله قال شأنك به فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى فضرب الحرث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم أقـوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم ياسموأل مابنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كلبى قد هجاه ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ومر بالاسرى فناداه الاعشى من جملة أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى عسكر كسواد الليـل جرار

اذ سامه خطتى خسف فقال له * قـل ماتشاء فانى سامع جارى

فقال غدر وثكل أنت بينهـما * فاختر ومافيهـما حظ لمختار

فشك غـيـر طويل ثم قال له * اقتـل أسيرك انى مانع جارى

وسـوف يعقبنيه ان ظفرت به * رب كريم وبيض ذات أطهار

لاتشرهن لدنيا ذاهب أبدا * وحافظات اذا استودعن أسرارى

فاختار أدراعه كيلا يسب بها * ولم يكن وعده فيها بختار

فجاء شريح الى الكلبى فقال له هب لى هذا الاسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندى حتى أكرمك وأجيزك فقال له الاعشى ان تمام صنيعك أن تعطينى ناقة نجيبة فأعطاه ناقة ناجية فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبى أن الذى وهب لشريح هو الاعشى فأرسل الى شريح ابعث الى الاسير الذى وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبى وراءه فلم يلحقه وسعيد بن عريض أخو السموأل

وكتب اجازة لها
ولم أكن لغريمى
والله أبذل فلسا
لو ارتضى لى غريمى
بدير مران حبسا

فقلت له اذا والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه فقال لى ياسيدى قد خرج لك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك القصة فآثرت مراده فى كتمان أمره فقلت ياسيدى كل مالا يعترف بك نكرة وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب وينتخب من غير اكراه ولا ابطاء الى أن رأيت الشراب قد دب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبته الى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببرذعة ففرشها بازاء برذعته فنهضت اليها فقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت أن لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت فى ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه فى هذه الحال فتبسم وقال لى جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه وغلبنى عيناى الى

شاعر أيضا ومن شعره انا اذا مالت دواعي الهوى * وأنصت السامع للقائل

لا نجعل الباطل حقا ولا * نلط دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أحلامنا * فنخمل الدهر مع الخامل

عن العتبي قال كان معاوية رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل اذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر وعن يوسف ابن الماجشون قال كان عبد الملك بن مروان اذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الابيات ثم يجتهد في الحق بين الخصمين

﴿شواهد الفن الثاني وهو علم البيان﴾

﴿وكأن محمر الشقيـ * ـق اذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد﴾

البيتان من الكامل المجزو المرفل ولم أقف على اسم قائلهما ورأيت بعض أهل العصر نسبهما في مصنف له الى الصنوبري الشاعر والشقيق أراد به شقائق النعمان وهو النور المعروف ويطلق على الواحد والجمع وسمي بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق وأضيف الى النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة لانه خرج الى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير فقال ما أحسنها احموها فكان أول من حماها فنسبت اليه وكان أبو العميثل يقول النعمان اسم من أسماء الدم ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت الى الدم لحمرتها قال وقولهم انها منسوبة الى النعمان بن المنذر ليس بشيء قال وحدثت الاصمعي بهذا فنقله عني انتهى والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة (والشاهد فيهما) التشبيه الخيالي وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس فان الاعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس انما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة لكن مادته التي تركب منها كالاعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر وقريب من هذا النوع قول بعضهم

كلنا باسط اليد * نحو نيلوفر ندي كدبابيس عسجد * قضبها من زبرجد

ومثله قول أبي الغنائم الحمصي

خود كأن بنانها * في خضرة النقش المزرد سمك من البلور في * شبك تكون من زبرجد

وقد تفنن الشعراء في وصف الشقائق فمما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو الاخيطل الاهوازي

هذي الشقائق قد أبصرت حمرتها * مع السواد على قضبانها الذبل

كأنها أدمع قد غسلت كحلا * جادت بها وقفة في وجنتي خجل

وقول سيدوك الواسطي انظر الى مقل العقيق تضمنت حدق السبج

من فوق قامات حسن وما سجن من العوج

وقول الخباز البلدي من أبيات

الى الروض الذي قد أضحكته * شآبيب السحائب بالبكاء

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

وقول ولد القاضي عياض رحمهما الله تعالى

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ولت أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

وقول الخالدي أيضا وممبغ شقائق النعمان يحكي * يواقيتا نظمن بلا افتراق

وأحيانا نشبهها خدودا * كساها الرجح ثوبا أرجوانى

شقائق مثل أقداح ملاء * وخمر ما في كفارغة الاغاني

أن أيقظني هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان وما عليهما من اللباس فأردت توديعه وكرهت انباهه وازعاجه فخرجت فلقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه انصرافي فأقسمت عليه أن لا يفعل ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعازما على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ومتوهما أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب آخره من أوله واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك

ويوم كأن الدهر سامحنا به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مرتان المعظم والعمر بحيث هواء الغوطة بن معطر النسيم بأنفاس الرياحين والزهر فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر وفي الهيكل المعمور منه اقترحتها وجيء بها لا بعد توفية المهر برد بها عن غير الدنانير قدرها فازلت بهما أشرب الماء بالتبر وحسب الذنا ما كان منها محرما ودل بحظر المحظور في بلد الكفر

ولما غازلتنا الريح خلنا * بها جيشي وغى يتقاتلان

وقول الصنوبري

وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا
تراها كالعذارى مسبلات * عليها من حميم الشعر سجفا
اذا طلعت أرتك السرج تذكى * وان غربت أرتك السرج تطفا
تخال اذا هي اعتدلت قواما * زجاجات ملئن الراح صرفا
تنازعت الخدود الحمر حسنا * فما قدأخطأت منهن وصفا

وقول ابن الدويده

كأن الشقائق والأقحوان * خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك أخجلهن الحياء * وهاتيك أضحكهن السرور

وقول أبي الحسن بن وكيع من أرجوزة

يضحك فيها زهر الشقيق * كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعا من السبج * فأشرفت بين احمرار ودعج
كأنما الحمرة في المسود * منه اذا لاح عيون الرمد

وقول أبي الفضل الميكالي

تصوغ لنا أيدي الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت * خدود عذارى نقطت بغوالى

وقول الخبزارزي أيضا

وروضة راضها الندى فغدت * لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا * ثوبا من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها * على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق * أجفانها من دمائها حمر

(ومسنونة زرق كأنياب أغوال)

هو من الطويل وصدره أيقتلني والمشرفي مضاجعي وقائله امرؤ القيس الكندي من قصيدة أولها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان آخر عهده * ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذي الخال * ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا * بوادي الخزامى أو على رأس أوعال
ألا زعمت بسباسة اليوم أنني * كبرت وأن لا يشهد اللهو أمثالي
بلى رب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال
يضئ الفراش وجهها لضجيعها * كمصباح زيت في قناديل ذبال
اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها * تميل عليه هونة غير معطال
كدعص النقا يمشي الوليدان فوقه * بما احتسبا من لين مس وتسهال
اذا ما استحمت كان فيض حميمها * على متنتيها كالجمان لدى الحالي
تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي
نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال
سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فقال

ثم أهدت لي الأيام منها مودة
دعتني الى ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة
يخاطبني من معدن النظم والنثر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة
محلى السجايا بالطلاقة والبشر
فكان جوابي طاعة لا مقالة
ومن ذا الذي لا يستجيب الى السحر
وأحشمني بالود حتى ظننته
يريد اختلاسي عن حياتي ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا
فكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء سرور أن يلينا بثالث
فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
يمتع عيونا ما اشتهت من جماله
ومضن قلوبا بالتجنب والهجر
جنينا جني الورد في غير وقته
وزهر الربا من ورد خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه
بشمسين في جنحي دجا الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا
بأوفر حظ من محاسنه الزهر
ومتعنا من وجنتيه بمثل ما
تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو اذ دعا
اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي غرن عنه فعندما
تنبهن بدلن الوفاء الى الغدر
مضى فكأني كنت منه موهما

فقلت سباك الله انك فاضحى * ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله لا أنا بارح * ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالى
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * عصرت بغصن ذى شماريخ ميال
فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أى اذلال
حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولا صالى
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها * عليه قتام كاسف اللون والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه * ليقتلنى والمرء ليس بقتال وبعده البيت
وبعده وليس بذى سيف فيقتلنى به * وليس بذى رمح وليس بنبال
أيقتلنى وقد قطرت فؤادها * كما قطر المهنوءة الرجل الطالى
وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال
وماذا عليه ان ذكرت أوانسا * كغزلان رمل فى محاريب أقوال

وهى طويلة والمشرفى بفتح الميم والراء نسبة الى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية والمسنون المحدد المصقول ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها مجلوة وأراد بقوله أنياب أغوال أى شياطين وانما أراد أن يهول قال أبو نصر سألت الاصمعى عن الغول فقال هو رجة من هورجة الجن (والشاهد فيه) التشبيه الوهمى وهو الغير المدرك باحدى الحواس ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركا بها فان أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك الا بحس البصر وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحرانى الواعظ البديهى وكان يلقب به لقوله الشعر بديها قال قصدت ديار بكر متكسبا بالوعظ فلما نزلت قلعة ماردين دعانى بها صاحبها تمرداش ابن المغان بن أرتق للافطار عنده فى شهر رمضان فحضرت اليه فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى وقال بعد الافطار لغلام عنده ائتنا بكتاب فجاء به فقال له ادفعه الى الشيخ ليقرأ فيه فازداد غيظى لذلك وفتحت الكتاب فاذا هو ديوان امرئ القيس واذا أول ما فيه

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

فقلت فى نفسى أنا ضيف وغريب وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألا عم صباحا فقلت ألا عم مساء أيها الملك العالى * ولا زلت فى عز يدوم واقبال
ثم أتممت القصيدة فتهلل وجه السلطان لذلك ورفع مجلسى وأدنانى اليه وكان ذلك سبب حظوتى عنده

(وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع)

البيت للقاضى التنوخى من أبيات من الخفيف أولها

رب ليل قطعته بصدود * أو فراق ما كان فيه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العين وتأبى حديثه الاسماع
وبعده البيت وبعده مشرقات كأنهن حجاج * تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمة وشى * وكأن الجوزاء فيها شراع

والدجى جمع دجية وهى الظلمة والضمير راجع الى الليالى أو النجوم والابتداع الحدث فى الدين بعد الكمال أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال (والشاهد فيه) التشبيه التخييلى وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أو فى كليهما الا على سبيل التخييل والتأويل ووجهه فى هذا البيت هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شئ مظلم أسود فتلك الهيئة غيره وجودة فى المشبه به الا على طريق التخييل وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا

يحدث عن طيف الخيال الذى يسرى
وهل يحصل الانسان من كل ما به
تسامحه الايام الا على الذكر
ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ما سلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا نص خبر يؤديانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فما بدأت بشئ قبل مصيرى الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا وهو لا يعلم ما السبب فلما رآنى استطار فرحا وأقسم لا يكلمنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك فلما جلسنا للمحادثة قال لى مالى أراك لا تسألنى عن صاحبك قلت والله مالى فكر ينصرف عنه ولا أسف يخبو ونار حزنه منه ولا سررت بعودى الى هذا البلد الامن أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من الماردانيين جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال عظيم فخاس به ضمانه لقعود السعر عنه وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن له به ارتباط

يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال بمكروه أشبهت بالظلمة ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور لان السنة والعلم تقابل البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة ﴿والقاضى التنوخى﴾ هو على ابن محمد بن داود أبو القاسم التنوخى قدم بغداد وتفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى وكان حافظا للشعر ذكيا وله عروض بديع ولى القضاء بعدة بلدان وهو والد أبى على الحسن التنوخى صاحب نشوان المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة وغيرهما وكان أبو القاسم هذا بصيرا بعلم النجوم قرأ على الكسائى المنجم ويقال انه كان يقوم بعشرة علوم وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم وكان يحفظ من النحو واللغة شيأ كثيرا وكان فى الفقه والفرائض والشروط غاية واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة وكان فى الهيئة قدوة وقال الثعالبى فى حقه رحمهما الله تعالى هو كما قرأته فى فصل الصاحب ان أردت فانى سبحة ناسك أو أحببت فانى تفاحة فاتك أو اقترحت فانى مدرعة راهب أو آثرت فانى نخبة شارب وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتسير أشعاره حاشيتى البر والبحر وناحيتى الشرق والغرب (ويحكى) انه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والايذجى وغيرهم وما منهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا أثواب الوقار للعقار وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شرابا قطربليا أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم واياهم عنى السرى الرفاء بقوله

مجالس ترقص القضاة بها * اذا انتشوا فى مخانق البرم

وصاحب يخلط المجون لنا * بشيمة حلوة من الشيم

تخضب بالراح شيبه عبثا * أنامل مثل حمرة العنم

حتى تخال العيون شيبته * شيبة عثمان ضرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم فى التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما فكتب الى القاضى التنوخى بعض أصحابه

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الوزن فى ميم نسيم

فوقع تحته نعم ولم لا وقال منصور الخالدى كنت ليلة عند التنوخى فى ضيافة فأغفى اغفاءة فخرج منه ريح فضحك بعض القوم فانتبه بضحكه وقال لعل ريحا فسكتنا من هيبته فمكث ساعة ثم قال

اذا نامت العينان من متيقظ * تراخت بلا شك تشاريج فقحته

فمن كان ذا عقل فيعذر نائما * ومن كان ذا جهل ففى جوف لحيته

وهذه نبذة من شعره قال من قصيدة كثيرة العيون وكان الصاحب بن عباد يتصلها على سائر شعره وهى

أحبب الى بنهر معقل الذى * فيه لقلبى من همومى معقل

عذب اذا ما عب فيه ناهل * فكأنه فى ريق حب ينهل

متسلسل وكأنه لصفائه * دمع بخدى كاعب يتسلسل

واذا الرياح جرين فوق متونه * فكأنه درع جلاها صيقل

وكأن دجلة اذ تغطغط موجها * ملك يعظم خيفة ويبجل

وكأنه ياقوتة أو أعين * زرق يلاحظها أو يوصل

عذبت فما ندرى أماء ماؤها * عند المذاقة أم رحيق سلسل

وقول

قال كنت عنده يوما فظهر لى وقال لصديقه انى أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا على فذكر له صديقه مذهبى وأظهرت له السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفه غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته فلما حصل فى قلايتى واصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد لحقا به ومعهما اسفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب الى الغلام فاعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكى ثم وقف على السفاتج فأنفذها مع رقعة الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألف دينار وما يحتاج اليه من فرش وملبوس ولم يزل مكبا على ما رأيت الى أن وردت عليه البغال والآلات السنية الحسنة من مصر وكتب اليه أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم اياه الحال فى بعده عن وطنه اضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال فلما أعمل المسير قال لغلامه سلم ما بقى معك من النفقة الى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير الى أن نواصل تفقده فى مستقرنا وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك بقطع الاوقات بذكرك ولا سيما الاعلى سابقته

ولما بعد بعد جزر ذاهب * جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
واذا نظرت الى الابلة خلتها * من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل فى نهرها آلى السرو * ر بأنه فى غيرها لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس * والروض حلى فهى فيه ترفل
غنت قيان الورق فى أرجائها * هزجا يقل له الثقيل الاول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت * يوم الوداع وعيرهم تترحل
ربع الربيع بها فحاكت كفه * حللا بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشح ومدثر * ومعمد ومحبر ومهلهل
فيخال ذا عينا وذا ثغرا وذا * خدا يعضض مرة ويقبل
ومن شعره أيضا قوله كأنما المريخ والمشترى * أمامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أوقدت قدامه شمعه
ومثله قول أبى عتيق السفار وكان البدر والمريخ اذ وافى اليه ملك توقد ليلا * شمعة بين يديه
رجع الى شعر القاضى التنوخى رحمه الله قال
وليلة مشتاق كأن نجومها * قد اغتصبت عينى الكرى فهى نوم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك * يلوح ويخفى أسود يتبسم
وله أيضا فى غور الكواكب عند الصباح
عهدى بها وضياء الصبح يطفئها * كالسرج نطفأ أو كالاعين العور
أعجب بها حين وافى وهى نيرة * تطامن دط مس منها النور بالنور
وكتب الى الوزير المهلبى وقد منعه المطر من خدمته
سحاب أتى كالامن بعد تخوف * له فى الثرى فعل السفاء بدنف
أكب على الآفاق اطراق مطرق * بفكر أو كالناثم المتاهف
ومد جناحيه على الارض جانحا * فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البر بحرا زاخرا وانثنى الضحى * بظلمته فى ثوب ليل مسجف
يعبس عن برق به متبسم * عبوس بخيل فى تبسم معتفى
تحاول منه الشمس فى الجو مخرجا * كما حاول المغلوب تجريد مرهف
أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر
فأفرغ ماء قال وارد حوضه * أسلسال ماء أم سلافة قرقف
أتى رحمة للناس غيرى فانه * على عذاب ماله من تكشف
سحاب عدانى عن سحاب وعارض * منعت به من عارض متكفكف
أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات
لست أدرى ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
ومن شعر القاضى التنوخى أيضا
أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فالارض تحت ضريب الثلج تحسبها * قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما * فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * برد فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجملها ما يخل بتفقدى ولا يغب برى (قال أبو الفرج) فتجلت بعد السلو بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد به (قال على بن ظافر) أقسم بالله ان هذه الحكاية وان طالت لحقيقة أن تكتب بالمقل السود على صفحات الخدود ولقد أزرت برأى العقود بين الترائب والنهود فرحم الله أبا الفرج وصاحبه ولقد استفدنا بهذه الحكاية حمدا وشكرا وأبقيا لهما فى الظرفاء ذكرا ولقد بلغ من طربى بها وارتياحى عند قراءتها ما انى أوسع هذا الفتى الماردانى دعاء وترحما وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليما حتى انى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعا أملا أن يكون فى جملتهم وطمعا وما أنا واياهم الا كما قال خالد بن يزيد
أحب بنى العوام من أجل حبها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
وهذه غاية جهدى مع تربة داثرة ورمة بالية فرحمه الله كلما غرب نجم وطلع ونبت نجم وأينع بحرمة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم (أنبأنى) العماد أبو حامد أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل

ومنه أيضا رضاك شباب لا يليه مشيب * وسخطك داء ليس منه طبيب

كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل النفوس حبيب

وله في معذر قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودادي قفوا * كي تبصروا كيف زوال النعم

ومحاسنه رحمه الله كثيرة وهذا الانموذج كاف فيها وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

(وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا)

البيت لابي القيس بن الاسلت من الطويل والملاحي بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد عنب أبيض في حبه طول ومعنى نور تفتح نوره والثريا مصغرة قيل تصغير تعظيم وقيل تصغير تقريب اعلاما بأن نجومها قريب بعضها من بعض ومكبرها ثروى وهي الكثرة وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها وقيل لكثرة نجومها مع صغر مرآها فكأنها كثيرة العدد بالاضافة الى ضيق المحل وعدد نجومها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحد خفي يختبر به الناس أبصارهم وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجما (والشاهد فيه) المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مفردان الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير في المرأى وان كانت كبارا في الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة الى المقدار المخصوص والمراد بالكيفية المخصوصة انها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ولا هي شديدة الافتراق بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده في رأي العين بين تلك الانجم والطرفان المفردان هما الثريا والعنقود ومما جاء في وصف الثريا أيضا قول امرئ القيس اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أبدع المتأخرون في وصفها فمن ذلك قول ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

ومثله قوله أيضا زارني والدجى أحم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود

وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقول ابن بابك وليلة جوزاؤها * مثل الخباء المنهتك * قطعتها والبدر عن سمت الثريا منفرك * كأنها في عرضه * باز على كف ملك

وقول سهل بن المرزبان كم ليلة أحييتها ومؤانسي * طرف الحديث وطيب حث الاكؤس

شبهت بدر سمائها لما دنت * منه الثريا في قميص سندس

ملكا مهيبا قاعدا في روضة * حياه بعض الزائرين بنرجس

وقول ابن المعتز أيضا أتاني والاصباح يرفل في الدجى * بصفراء لم تنسب لطبخ واحراق

فناولنيها والثريا كأنها * جنى نرجس حيا الندامى به الساقي

ومثله قول الناشي الاصغر

وليل توارى النجم من طول مكثه * كما ازور محبوب لخوف رقيبه

كأن الثريا فيه باقة نرجس * يحيي بها ذو صبوة لحبيبه

وقول أبي الفرج الببغاء من أبيات

ترى الثريا والبدر في قرن * كما يحيي بنرجس ملك

وقول الوزير أبي العباس أحمد الضبي

خلت الثريا اذ بدت * طالعة في الحندس مرسلة من لؤلؤ * أو باقة من نرجس

وقوله أيضا اذا الثريا اعترضت * عند طلوع الفجر حسبتها لامعة * سبيكة من درّ

ونقبس

دخل الى شاب من أهل بغداد فأنشدني هذه الابيات في نهر عيسى والهواء معتبر والماء فضي القميص صقيل والطير اما هاتف بقرينه أو نادب يشكو الفراق ثكول والدهر كالليل البهيم وأنتم غرر تضيء ظلامه وحجول (واستجاز في فقلت) والغصن مهزوز القوام كأنما هبت عليه من الشمال شمول وكأنما السرو والتصفن بسندس ورقص فارتفعت لهن ذيول (قال علي بن ظافر) واتفقت لي وللقاضي الاجل شهاب الدين يعقوب سفرة الى البيت المقدس للتبرك بما هنالك من البقاع المقدسة والمشاهد المعظمة وأجداث الانبياء المباركة الطيبة فلما جد بنا السير وسهل من فراق الاهل والاوطان العسير وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد ولم يسمع الاهيد وهاد صنع الشهاب

يا رب سير كالشهاب المحرق * قدحته من زند عود اورق

يسير في الخرق مسير الاخرق * فهل رأت عيناك عدو النقنق

حتى اذا ما افتر ثغر المشرق

(ثم استجاز في فقلت)

ولاح في الجو احمرار الشفق * كالخمر صبت في زجاج أزرق

بدا على الآل قطار الاينق * كمثل سطر في بياض مهرق

أو كالمداري في مشيب المفرق * كم بازل في بحره كالزورق

أو كهلال مشرق في زبرق

(وهذه) أيضا حكاية بديعة

ونفيس قول ابن حمديس أيضا من قصيدة

فاسقني عن اذن سلطان الهوى * ليس يشفي الروح الا كاس راح

وانتظر الحلم مني سكرة * كم فساد كان عقباه صلاح

فالقضيب اهتز والبدر بدا * والكثيب ارتج والعنبر فاح

والثريا زج الجو بها * كابن ماء ضم للوكر جناح

وكأن الغرب منها ناشق * باقة من ياسمين أو اقاح

وقول الصاحب بن عباد تنير الثريا وهي قرط مسلسل * ويعقل منها الطرف در مبدد

وما ألطف قول ابن حصن على أن أتذلل * له وأن يتدلل خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقول أبي الفرج الببغاء

خذوا من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرف والعيش منقرض

في حامل الكاس من بدر الدجى خلف * وفي المدامة من شمس الضحى عوض

كأن نجم الثريا كف ذي كرم * مبسوطة للعطايا ليس تنقبض

وقول ابن سكرة الهاشمي ترى الثريا والغرب يجذبها * والبدر يسري والفجر ينفجر

كف عروس لاحت خواتمها * أو عقد در في الجو ينتثر

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات

وخلت الثريا كف عذراء طفلة * مختمة بالدر منها الانامل

تخيلتها في الافق طرة جعبة * مكوكبة لم تمتلقها حبائل

وقول أبي القاسم ابن هانئ الاندلسي وولت نجوم الثريا كأنها * خواتم تبدو في بنان يد تخفي

وما أحسن قول محيي الدين بن عبد الظاهر

ملأت الليالي من علا وختمتها * فقد أصبحت محشوة من مكارمك

ختمت عليها بالثريا فقل لنا * أهذا الذي في كفها من خواتمك

وقد أحسن الصنوبري في تشبيهه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من أبيات

قم فاسقني والظلام منهزم * والصبح باد كأنه علم

والطير قد طربت فأفصحت الا لحان طرا وكلها عجم

وميلت رأسها الثريا الاسرار الى الغرب وهي تحتشم

في الشرق كاس وفي مغاربها * قرط وفي أوسط السما قدم

وقد وصفها الواوا الدمشقي في حالتي الشروق والغروب فقط فقال

قد تأملت الثريا * في شروق وغروب فهي كاس في شروق * وهي قرط في غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضا وكأنما نجم الثريا * اذ تعرض كالوشاح

كاس بكف خريدة * تسقي المسايبد الصباح

وقول الواوا الدمشقي وجلا الثريا في ملا * ءة نوره بدر التمام

فكأنها كاس ليشربها * الدجى والبدر جام

وكأن زرق نجومها * حدق مفتحة نيام

وبديع قول عبد الوهاب الازدي المشهور بالمنقال

ياساقي الكاس اسق صحبي * واسقني انني أواسي وانظر الى حيرة الثريا * والليل قد سد بالدماس

مابين بهرامها الملاحي * وبين مريخها المواسي كأنها راحة أشارت * لاخذ تفاحة وكاس

وقوله أيضا رأيت بهرام والثريا * والمشتري في القران كره

تشتمل على نوعي الاجازة القديم والعصري قصدت بايرادها في هذا الموضع أن تكون دهليزا للخروج من القسم الاول والدخول في القسم الثاني لما بينهما من الاشتراك فيها (روى) من طرق مختلفة كتبت أكلها وأتمها أن الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ارتاح الى منادمة من بعد عهده بمنادمته أو من لم يره وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث تطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره وأمعن نظره وقال أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذاك قال ماني الموسوس قال أحسنت والله فتقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فصار به الى باب الامير فأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام ياماني ألم يأن أن تزورنا على حين توقان منا

فقال مانى الشوق شديد
والمزار بعيد والحجاب عتيد
والبواب فظ عنيد ولو سهل
الاذن لسهلت علينا الزيارة
قال لقد ألطفت فى الاستئذان
فلا تمتنع فى أى وقت جئت
من ليل أو نهار ثم أذن له
فجلس ثم دعا له بالطعام
فأكل ثم غسل يده وأخذ
مجلسه وكان محمد قد تشوق
الى السماع من تنوسة جارية
ابنة المهدى فأحضرت
فكان أول ما غنت
ولست بناس اذ غدوا فتحملوا
دموعى على الاحباب من
شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم
وا كبدى تحدى لا يكن آخر
العهد
فقال مانى أحسنت والله ألا
زدت فيه
أقمت أناجى الفكر والدمع
حائر
بمقلة موقوف على الجهد
والصد
ولم يعدنى هذا الامير بعزه
على ظالم قد لج فى الهجر والبعد
فاندفعت تغنيه فرق محمد
ابن عبد الله له وقال أعاشق
أنت يامانى قال فاستحيا وغمزه
ابن طالوت لئلا يبوح له
بشئ فسقط من عينه فقال
بل هلع وطرب أعز الله الامير
وشوق كان كامنا فظهر
وهل بعد المشيب من صبوة
ثم اقترح محمد على تنوسة
هذا الصوت من شعر أبى
العتاهية

كراحة حبرت بداها * ما بين ياقوتة ودره

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله

والثريا قبالة البدر تحكى * باسطا كفه ليأخذ جاما

وللواواء الدمشقى

ورب ليل ما زلت ألثم فيه * قمرا لا يساغ الا له ورد
والثريا كأنها كف خود * داخلتها للبين رعدة وجد

ومثله قول بعضهم

كأن الثريا بين شرق ومغرب * وقد سمت للصبح طوعا عنانها
مروعة بالبين نحو أليفها * تقلب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر

والليل قد ولى بقاص برده * كذا ويسحب ذيله فى المغرب
وكأنما نجم الثريا محرة * كف تمسح عن معاطف أشهب

ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال

وليلة من ليالى الانس بت بها * والروض ما بين منظوم ومنضود
والنسر قد حام فى الظلماء من ظما * وللمجرة نهر غير مورود
وابن الغزالة فوق النجم منعطف * كما تأود عرجون بعنقود

ولابى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة

رأيت الهلال وقد أحدقته * نجوم السماء لكى تسبقه * فشبهته وهو فى اثرها
وبينهما الزهرة المشرقه * بقوس لرام رمى طائرا * فأتبع فى اثره بندقه

ولابى الحسن الكرخى فى مثله

كأن الهلال المستنير وقد بدا * ونجم الثريا واقف فوق هالته
مليك على أعلاه تاج مرصع * ويزهى على من دونه بجلالته

وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشيا وغادرت * دلالا لديناقرطها وسوارها

وقول أبى على الحاتمى

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا * الى أن بدا للصبح فى الليل عسكر
ونجم الثريا فى السماء كأنه * على حلة زرقاء جيب مدنر

ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب

وصافية بات الغلام يديرها * على الشرب فى جنح من الليل أدعج
كأن حباب الماء فى وجناتها * فرائد در فى عقيق مدحرج
ولاضوء الا من هلال كأنما * تفرق عنه الغيم عن نصف دملج
وقد حال دون المشترى من شعاعه * وميض كمثل الزئبق المترجرج
كأن الثريا فى أواخر ليلها * نجيسة ورد فوق زهر بنفسج

وما أحسن قول ابن فضال

كأن بهرام وقد عارضت * فيه الثريا نظر المبصر
ياقوتة يعرضها بائع * فى كفه والمشترى المشترى

وبديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا تمامها
حباب طفا من فوق زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقد أغرب ابن عون بقوله

رب ليل لم أغمه * ونجوم الليل تشهد
والثريا فى مداها * حين تنحط وتصعد
عقرب يسعى من الد * ر على صحن زبرجد

خلفها طالب نار * وشهاب ليس يخمد فهى حيرى ما أراها * من سبيل الغى ترشد

وبديع قول ظافر الحداد

كأن الثريا تقدم الفجر والدجى * يضم حواشى سجفه للمغارب
مقدم جيش الروم أومى بكفه * لتبديد جيش من بنى الزنج هارب

وقوله أيضا

كأن نجوم الليل لما تخلت * توقد جمر فى سواد رماد
حكى فوق ممتد المجرة شكلها * فواقع تطفو فوق لجة واد
وقد سجحت فيه الثريا كأنها * بقية وشى فى قميص حداد
ولاحت بنو نعش كتنقيط كاتب * بيسراه للتعليم هيئة صاد
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * رداء عروس فيه صبغ مداد

وقوله أيضا

وليلة مثل عين الظبى داجية * عسفتها ونجوم الليل لم تقد
كأن أنجمها فى الليل زاهرة * دراهم والثريا كف منتقد

وظريف قول بعضهم فى شكاية طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم لى تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

ولبعضهم

والثريا كأنها رأس طرف * أدهم زين باللجام المحلى

ومثله قول ابن المعتز ألا فاسقنيها والظلام مقوض * ونجم الدجى فى لجة الليل يركض
كأن الثريا فى أواخر ليلها * مفتح نور أو لجام مفضض

والاطلاع على تفنن الادباء فى أوصاف الثريا يغتفر الاطالة هنا (وأبو قيس) لم يقع لى الى الآن اسمه والاسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل ينتهى نسبه للاوس وهو شاعر من شعراء الجاهلية وأسلم ابنه عقبة ابن أبى قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية وكان يزيد بن مرداس السلمى أخو عباس بن مرداس السلمى الشاعر قتل قيس بن أبى قيس فى بعض حروبهم فطلب بثاره هرون بن النعمان بن الاسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس ابن عمه والقيس يقول أبوه أبو قيس بن الاسلت المذكور

أقيس ان هلكت وأنت حى * فلا تعدم مواصلة الفقير

وقال هشام الكلبى كانت الاوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث الى أبى قيس بن الاسلت الوائلى فقام بحربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ثم انه جاء ليلة فدق على امرأته وهى كبشة بنت ضمرة بن مالك من بنى عمرو بن عوف ففتحت له فأهوى بيده اليها فأنكرته ودفعته فقال أنا أبو قيس فقالت والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال فى ذلك أبو قيس

قالت ولم تقصد مقال الخنا * مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
لا نألم القتل ونجزى به الاعداء كيل الصاع بالصاع

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضى الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال فى خطبته أيها الناس دعوا الاهواء المضلة والآراء المتشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها فقد جاريتمونا الى السيف فرأيتم كيف صنع بكم ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة فانى لا أزداد بعدها الا عقوبة وما مثلى ومثلكم الا كما قال أبو قيس بن الاسلت

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة * يصلى بنار كريم غير غوار
أنا النذير لكم منى مجاهرة * كيلا ألام على نهى واعذار

حجبوها عن الرياح لانى
قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن
منعوها يوم الرحيل الكلاما
فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنفست ثم قالت لطيفى

آه لو زرت طيفها الماما
خصها بالسلام سرا والا
منعوها الشقوق أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يا مانى ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس

يا خليلى ساعة لا تريما
وعلى ذى صبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب الا
فضح الدمع سرها المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لأضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب الا صدر استحسانه لهما فقال محمد الرغبة فيما تأتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخـ
ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما تبـ
ـدى من الثغر لؤلؤا منظوما

فقال محمد أحسنت والله فأجز

فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار

لتتركن أحاديثا وملعبة * عند المقيم وعند المدلج السارى

وصاحب الوتر ليس الدهر يدركه * عندى وانى لطلاب لاوتار

أقيم نخوته ان كان ذا عوج * كما يقيم لقدح النبعة البارى

وعن الهيثم بن عدى قال كنا جلوسا عند صالح بن حسان فقال لنا أنشدونى بيتا خفرا فى امرأة خفرة فقلنا قول حاتم

يضىء بها البيت الظليل حصاصة * اذا هى يوما حاولت أن تبسما

فقال هذه من الاصنام أريد أحسن من هذا فقلنا قول الاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف فقلنا ما عند ناشئ فقال قول أبى قيس بن الاسلت

ويكرمها جاراتها فيزرنها * وتعتل عن اتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة * ولكنها منهن تحيى وتخفر

ثم قال أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا فقلنا بيت الزبير الاسدى وهو

وقد لاح فى الغور الثريا كأنما * به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال أريد أحسن من هذا قلنا بيت امرئ القيس

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

قال أريد أحسن من هذا قلنا بيت ابن الطثرية

اذا ما الثريا فى السماء كأنها * جمان وهى من سلكه فتسرعا

قال أريد أحسن من هذا قلنا ما عند ناشئ قال قول أبى قيس بن الاسلت

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا

قال فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين والله أعلم

(كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

البيت لبشار بن برد من قصيدة من الطويل يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفاوده فازور أو مل صاحبه * وأزرى به أن لا يزال يعاتبه

خليلى لا تستكثرا لوعة الهوى * ولا سلوة المحزون شطت حبائبه

يقول فيها

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

رويدا نصاهل بالعراق جيادنا * كأنك بالضحاك قد قام نادبه

ومنها

وسام لمروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه

أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيافنا انا ردى من نحاربه

وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل مثقف * وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

ومنها

غدونا له والشمس فى خدر أمها * تطالعنا والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتدرك من نجا الفرار مثالبه

وبعده البيت وبعده

بعثنا لهم موت الفجاءة اننا * بنو الموت خفاق علينا سبائبه

فراحوا فريق فى الاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

فى مطلب اللذات الاثنى

طابت له لذة تنوسه

غنت بصوت أطلقت عبرة

كانت بحسن الصبر محبوسه

(فقال مانى)

وكيف صبر النفس عن غادة

تظلمها ان قلت طاووسه

وجرت ان شبهتها بانة

فى جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد فأعدلى

وصفك لها فقال

وغير عدل ان قرنا بها

جوهرة فى التاج ملبوسه

جلت عن الوصف فما فكرة

تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسة وجب علينا

يامانى شكرك فساعدك

دهرك وعطف عليك الفلك

وقارنك سرورك وفارقك

محذورك والله تعالى يديم

لنا السرور ببقاء من ببقائه

اجتمع شملنا فأنشأ يقول

ليس لى الف فيقطعنى

فارقت نفسى الاباطيل

أنا موصول بنعمة من

حبله بالجد موصول

أنا مشمول بمنة من

منه فى الخلق مبذول

أنا مغبوط بزورة من

ربعه بالجد مأهول

فأومأ اليه ابن طالوت

بالقيام فنهض وهو يقول

ملك عز النظير له

زانه الغر البهاليل

ظاهرى فى مركبه

عرفه للناس مبذول

ممن يشفى بصارمه

مع هبوب الريح مطاول

فقال محمد وجب جزاؤك

اذا الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

وهى طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره والنقع الغبار ومعنى تهاوى كواكبه يتساقط بعضها فى اثر بعض والاصل تتهاوى فحذفت احدى التاءين (والشاهد فيه) المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شئ مظلم فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه كما فى أسرار البلاغة يروى انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ما قيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيأ منها فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته وأنشدهم قوله

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا * لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

(وحدث) أبو يعقوب الخزيمى الشاعر أن بشارا قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وقد كرره بشار فقال

خلقت سماء فوقنا بنجومها * سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

وقد أخذ هذا المعنى منصور النميرى فقال وأحسن

ليل من النقع لا شمس ولا قمر * الا جبينك والمذروبة الشرع

ومسلم بن الوليد أيضا حيث يقول

فى عسكر تشرق الارض الفضاء به * كالليل أنجمه القضبان والاسل

وللمؤلف رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية

والنقع ليل سماء لا نجوم له * الا الأسنة والهندية البتر

وله فى معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن

يعقد النقع فوقها سحبا كالليـ * ـل فيه السيوف أضحت نجوما
فمتى مارأت سواد شياطيـ * ـن بغاة الحروب عادت رجوما

وابن المعتز حيث قال اذا شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسارت ورائى هاشم ونزار

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وبعضهم أيضا حيث قال نسجت حوافرها سماء فوقها * جعلت أسنتها نجوم سمائها

وأبو الطيب المتنبى حيث قال

فكأنما كسى النهار بها دجى * ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقد نقله الى مثال آخر فقال

تزور الاعادى فى سماء عجاجة * أسنتها فى جانبيها الكواكب

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال

كأن دخان العود والند بيننا * وأقداحنا ليل تهاوى كواكبه
ولاحت لنا شمس العقار فزرقت * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

والبرهان القيراطى ضمن المصراع الاخير وان كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد

ولما بدا والليل أسود فاحم * قد انتشرت فى الخافقين ذوائبه

لشكرك على غير نعمة سلفت منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا ليست خساسة ثوب المرء واتساع المنظر ونبو العين بمذهبة جوهر الادب المركب فيه (ولله در) صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

(قال ابن طالوت) فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الف فينفيها بقوله ليس لى الف فيقطعنى البيت قال ولم يزل محمد مجريا عليه رزقا سنيا الى أن مات

(القسم الثالث ما تكون الاجازة فيه لشعر قديم)

(فمنه) اجازة بيت ببيت كما روى اسحق الموصلى قال قال أبو المجيب شداد بن عقبة دعا رجل يقال له أبو سفيان رجلا من حيه اسمه القتال الكلابى الى وليمة فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عند امرأته فقرة من حوار فقالت له امرأته هلم الى هذه الفقرة فقال كلا والاله انى لعلى دعوة أبى سفيان فلما يئس قال

أظن أبا سفيان ليس بموقكم بخير فهاتى فقرة من حوارك

قال اسحق فقلت له ثم ماذا قال لم يأت بعده بشئ انما أرسله .

أضاء ببدر الثغر عند ابتسامه * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(والشمس كالمرآة في كف الاشل)

هو من الرجز واختلف في قائله فقيل الشماخ وقيل ابن أخيه وقيل أبو النجم وقيل ابن المعتز والاشل هو الذى يبست يده أو ذهبت (والشاهد فيه) مجيء المركب الحسى في الهيآت التي تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها التركيب ويكون ما يجيء في تلك الهيآت على وجهين أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون والثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فالاول كما في البيت ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الى الانقباض فالشمس اذا أحد الانسان النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية الى هذه الهيئة وكذلك المرآة اذا كانت في كف الاشل ومن أجمل قول المعوج الشاعر في معناه

كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

وألقى الشرق منها في ثيابي * دنانيرا تفر من البنان

وأخذه أيضا القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا في يد رعشاء

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى

أفدى الذى زارنى في الليل مستترا * أحلى من الامن عند الخائف الدهش
ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها * مرآة تبر بدت في كف مرتعش

وبديع قول ادريس بن اليمانى العبدى

قبلة كانت على دهش * أذهبت ما بى من العطش
ولها في القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجى لبس * خلعاه من جلدة الحبش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وقول الناهي

سماء غصون تحجب الشمس أن ترى * على الارض الا مثل نثر الدراهم

(وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا)

البيت لابن المعتز من قصيدة من الرمل وأولها

عرف الدار فحيا وناحا * بعدما كان صحا واستراحا
ظل يلحاه العذول ويأبى * في عنان العذل الا جماحا
علمونى كيف أسلو والا * فخذوا من مقلتى الملاحا
من رأى برقا يضيء التماحا * ثقب الليل سناه فلاحا

(وبعده البيت وبعده)

لم يزل يلمع بالليل حتى * خلته نبه فيه صباحا
وكأن الرعد فحل لقاح * كلما يعجبه البرق صاحا

والبرق واحد بروق السحاب أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه اياه لينساق فترى النيران (والشاهد فيه) الوجه الثانى وهو تجرد الحركة عن غيرها من الاوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ليتحقق التركيب والا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة لا مركبا كحركة المصحف الشريف في انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لان المصحف يتحرك في الحالتين الى جهتين في كل حالة الى جهة ومثله قول القلعى المغربى

والسحب تلعب بالبروق كأنها * قار على عجل يقلب مصحفا
تدفقت بالنور أجياد الربا * حليا وألبست الخمائل مطرفا

يثما انقلت أقلا أزيدك اليه بيتا آخر ليس بدونه قال بلى فقلت

فبيتك خير من بيوت كثيرة * وقدرك خير من ولية جارك

فقال بأبى أنت وأمى والله لقد أرسلته مثلا وانك لبن طراز ما رأيت في العراق مثله وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك باحدى يدى وبعيني على أن فيك بحمد الله منه بقية تسر الودود وترغم الحسود هذا من رواية الاصبهانى يتصل بعمر بن شبة وحماد عن اسحق (وفي رواية) تتصل بالاخفش ويزيد المهلبى أن اسحق قال أخبرنى أبو زياد الكلابى قال أولم جار لى وذكر الحكاية والبيت الاول فيها لابى زياد فعلى هذه الرواية تكون من اجازة بيت عصرى ببيت (ومن ذلك) ما روى أحمد بن أبى فنن قال دخل أبو نواس على الذلفاء جارية ابن طرخان ودخل على أثره مروان بن أبى حفصة فرفعه مولاها عنه فغضب وقال أجيزى لجرير

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقالت تشبب بالرشيد

قد هجت بالبيت الذى أنشدتنى * حبا بقلبى للامام دفينا

فقام أبو نواس عند ذلك وخرج وهو ينشد

وما أحسن قول بعضهم في وصف البرق

عارض أقبل في جنح الدجى * يتهادى كتهادى ذى الوجى
أتلفت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا
وكأن الرعد حادى مصعب * كلما صال عليه وشجا
وكأن البرق كأس سكبت * في لهاه المزن حتى لهجا
وكأن الجو ميدان وغى * رفعت فيه المذاكى رهجا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا

رأيت فيها برقها منذ بدت * كمثل طرف العين أو قلب وجب
ثم حدابها الصبا حتى بدا * فيها لى البرق كأمثال الشهب
تحسبه فيها اذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب
وتارة تحسبه كأنه * أبلق مال جله حين وثب
حتى اذا ما رفع اليوم الضحى * حسبته سلاسلا من الذهب

وقد ولد أبو العباس بن أبى طالب العربى من تشبيه البرق بالسلاسل توليدا بديعا فقال يصف ممدوحه بسرعة البديهة اذا كتب

له قلم لو يجارى البروق * تخلت السلاسل فيه قيودا

وللأديب أبى حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق

ويوم تفنن في طيبه * وجاءت مواقيته بالعجب
تجلى الصباح به عن حيا * قد اسقى وعن زهرة تشرب
ومازلت أحسب فيه السحاب * ونار بوارقه تلتهب
بخاتى توضع في سيرها * وقد فزعت بسياط الذهب

ولأبى عثمان الخالدى في مثله

ادن من الدن لى فداك أبى * واشرب واسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل وهو يلمع في * عيون نور تدعو الى الطرب
والصبح قد جردت صوارمه * والليل قد هم منه بالهرب
والجو في حلة ممسكة * قد كتبتها البروق بالذهب

وللسرى الرفاء في مثله

غيوم تمسك أفق السماء * وبرق يكتبها بالذهب

وله أيضا وينسب للخالدى

وبرق مثل حاشيتى رداء * جديد مذهب في يوم ريح

وللخالدى فيه أيضا وأجاد

ألا فاسقنى والليل قد غاب نوره * لغيبة بدر في الظلام غريق
وقد فضح الظلماء برق كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز

أمنك سرى يا بشر طيف كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وسرقه السرى الرفاء أيضا فقال من قصيدة

أما ترى الصبح قد قامت عساكره * في الشرق تنشر أعلاما من الذهب
والجو يختال في حجب ممسكة * كأنما البرق فيها قلب ذى رعب

وما أحسن قوله فيه أيضا

وحدائق يسبيك وشى برودها * حتى تشبهها سبائب عبقرى
يجرى النسيم خلالها فكأنما * غمست فضول ردائه في عنبر

عجبا من حماقة الذلفاء
تشتهى فياشل الخلفاء
فقال ابن أبى فنن فأجزت أنا قول أبى نواس وأكثر الناس يروونه له
لو تشهيت غيره كان أولى
من أيور الدناة والضعفاء
ان أدنى الأمور عندى منالا
شهوات الأكفاء للأكفاء
(وروى) أحمد بن معاوية قال قال لى رجل تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت جهدى أن أجد من يجيزه فلم أجد فقال لى صديق عليك بعنان جارية الناطفى فجئتها فقلت أجيزى
فما زال يشكو الحب حتى رأيته
تنفس في احشائه وتكلما
فلم تلبث أن قالت
ويبكى فأبكى رحمة لبكائه
اذا ما بكى دمعا بكيت له دما
(روى العباس بن رستم) قال دخلت مع أبان اللاحقى على عنان في خيشها فقال أبان
العيش في الصيف خيش
(فقالت مسرعة)
اذ لا قتال وجيش
قال فأنشدتها لجرير
ظللت أوارى صاحبى صبابتى
وقد علقتنى من هواك علوق
(فقالت)
اذا عقل الخوف اللسان تكلمت
بأسراره عين عليه نطوق
(وذكر الجهشيارى) في كتاب الوزراء والكتاب حدث محمد بن الفضل الهاشمى قال حدثت أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال لعباس بن

باتت قلوب المحل تخفق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل ناءى الحجرتين مولع * بالبرق دانى الظلتين مشهر
تحدى بألسنة الرعود عشاره * فتسير بين مغرّد ومزمجر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صدعت بمسك غيمه بمعصفر

ولابى القاسم الزاهى فيه أيضا

الريح تعصف والاغصان تعتنق * والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له * عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

ولبعضهم

برق أطار القلب لما استطار * أنار جنح الليل لما استنار
ذاب لجين المزن لما رمى * معدنه منه بمقباس نار

(وابن المعتز) هو عبدالله بن محمد وقيل الزبير المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى الامير الاديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق أخذ الادب والعربية عن المبرّد وثعلب ومؤدّبه أحمد بن سعيد الدمشقى ومولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وهو أوّل من صنف فى صنعة الشعر ووضع كتاب البديع وهو أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأشعر الناس فى الاوصاف والتشبيهات وكان يقول اذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه فغض الله فاى (وحدّث) جعفر بن قدامة قال كنت عند ابن المعتز يوما وعنده سرّيّة وكان يحبها ويهيم بها فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة وفى يدها جنابى من باكورة باقلاء والجنابى لعبة للصبيان فقالت له ياسيدى تلعب معى جنابى فالتفت الينا وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف

فديت من مرّ يمشى فى معصفرة * عشية فسقانى ثم حيانى
وقال تلعب جنابى فقلت له * من جدّ بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به (وحدّث) جعفر قال كان لعبدالله بن المعتز غلام يحبه وكان يغنى غناء صالحا وكان يدعى بنشوان فجدر فجزع عبدالله لذلك جزعا شديدا ثم عوفى ولم يؤثر الجدرى فى وجهه أثرا قبيحا فدخلت عليه ذات يوم فقال لى يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان وقلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما انشادا الى أن تسمعهما غناء فقلت يتفضل الامير أيده الله بانشادى اياهما فأنشدنى

بى غرجدّر لما استوى * فزاده حسنا وزالت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم

فقلت أحسنت والله أيها الامير فقال لو سمعته من زرياب كنت أشد استحسانا له وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامّة يومنا قال وغضب هذا الغلام عليه فجهد أن يترضاه فلم تكن له فيه حيلة ودخلت عليه فأنشدنى فيه

بأبى أنت قد تما * ديت فى الهجر والغضب واصطبارى على صدو * دك يوما من العجب
ليس لى ان فقدت وجـ * ـهك فى العيش من أرب رحم الله من أعا * ن على الصلح واحتسب

قال فمضيت الى الغلام ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به فزرانا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب فى هذا الشعر رملا عجيبا (وحدّث) عبدالله بن موسى الكاتب قال دخلت على عبدالله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع وهو يبنيها ويبيضها فقلت له ما هذه الغرامة الجادّة والكلفة فقال السيل الذى جاء من ليال أحدث فى دارى ما أحوج الى هذه الغرامة الجادّة والكلفة فقلت

ألا من لنفس وأحزانها * ودار تداعى بحيطانها * أظل نهارى فى شمسها
شقيا معنى ببنيانها * أسوّد وجهى بتبييضها * وأهدم كيسى بعمرانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله

القاسم اجتمعت مع عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فيه قينة فغنت

أناس مضوا كانوا اذا ذكر الالى
مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال عمرو هو والله حسن الا أنه مفرد فأضيفوا اليه بيتا آخر فانه أحسن له وأطول للقافية وأطوع للغناء فيه فقال أحمد بديها

وما نحن الا مثلهم غير أننا
أقمنا قليلا بعدهم وتقدّموا

فغنت بهما المغنية فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم (وروى) على بن الحسن الباخرزى فى كتاب دمية القصر أن أبا جعفر محمد بن ابراهيم المعدنى معدن زوزن رأى على جدار بيتا مكتوبا

لكل شئ فقدته عوض
وما لفقد الشباب من عوض

(فقال)

وليس فى الدهر من شدائده
أشدّ من فاقة على مرض

(وذكر) أحمد بن أبى طاهر قال ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة

ومستفتح باب البلاء بنظرة
تزوّد منها قلبه حسرة الدهر

فقالت مسرعة

فوالله ما تدرى أتدرى بما جنت
على قلبه أم أهلكته ولا تدرى

(وروى) الفضل بن العباس الهاشمى عنها وعن بنان الشاعرة قالت توكأ المتوكل على يدى ويد فضل وقال أجيزا قول الشاعر

أكلف نفسي كل يوم وليلة * شرورا على من لا أفوز بخيره
كما سود القصار في الشمس وجهه * ليجهد في تبييض أثواب غيره

(وحدث) جعفر بن قدامة قال كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري فحضرت الصلاة فقام النميري فصلى صلاة خفيفة جدا ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها وعبد الله ينظر متعجبا ثم قال

صلاتك بين الملا نقرة * كما اختلس الجرعة الوالغ
وتسجد من بعدها سجدة * كما ختم المزود الفارغ

وقال كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ومعنا النميري وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه وكانت محسنة الا أنها كانت في غاية القبح فجعل عبد الله يجمشها ويتعاشق فلما قامت قال له النميري أيها الامير سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها فقال وهو يضحك

قلبي وثاب الى ذا وذا * ليس يرى شيأ فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي * ويرحم القبح فيهواه

وقال كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله

حبذا آذار شهرا * فيه للنور انتشار
ينقص الليل اذا حل * ويمتد النهار
وعلى الارض اصفرار * واخضرار واحمرار
فكأن الروض وشي * بالغت فيه التجار
نقشه آس ونسرين * وورد وبهار

وكتب ابن المعتز الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد

فرحت بما أضعافه دون قدركم * وقلت عسى قد هب من نومه الدهر
فترجع فينا دولة طاهرية * كما بدأت والامر من بعده الامر
عسى الله ان الله ليس بغافل * ولا بد من يسر اذا ما انتهى العسر

فكتب اليه عبيد الله قصيدة منها

ونحن لكم ان نالنا مس جفوة * فمنا على لأوائها الصبر والعذر
فان رجعت من نعمة الله دولة * الينا فمنا عندها الحمد والشكر

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور يعقب هذا شاكرا لتهنئته ولم يعد اليه مدة طويلة فكتب اليه ابن المعتز يقول

قد جئتنا مرة ولم تكد * ولم تزر بعدها ولم تعد
لست ترى واجدا بنا عوضا * فاطلب وجرب واستقص واجتهد
ناولني حبل وصله بيد * وهجره جاذب له بيد
فلم يكن بين ذا وذا أمد * الا كما بين ليلة وغد

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان الى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه وأقاموا ابن المعتز فقال بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضى بالله وقيل المنصف وقيل الغالب وقيل الراضي (فحدث) المعافى بن زكريا الجريري قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله فقال ما الخبر فقيل له بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة فقيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل الحسن بن المثنى فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم قيل وكيف قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه على الرتبة والدنيا مولية والزمان مدبر وما أرى هذا الا الى اضمحلال وما أرى لمدته طولا وبعث ابن المعتز الى المقتدر يأمره بالتحول الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل هو الى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقي معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار الى الموصل ثم قال الذين عند المقتدر يا قوم نسلم هذا الامر ولا نجرب أنفسنا في دفع ما نزل بنا فنزلوا في الزوارق وألبسوا جماعة منهم السلاح وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز فلما رآهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطه
وعلمه حبي له كيف يغضب

فقالت فضل

يصد وأدنو بالمودة جاهدا
ويبعد عني بالوصال وأقرب

فقلت أنا

وعندي له العتبى على كل حالة
فما منه لي بد ولا عنه مذهب

(قال علي بن ظافر) أنشدني أبو القاسم الصير في قول عبد الله بن السمط

حار طرفي تأملك
ملك أنت أم ملك

فقلت بديها

بل تعاليت رتبة
فلك الارض والفلك

(وأخبرني) بهاء الدين بن الساعاتي المقدم ذكره قال غنى مغن في مجلس كنت به حاضرا

يا بدر عذالي عليك كثيرة
والمسعدون على هواك قليل

فأجزته بديها فقلت

في الصبر عن هذا القوام ولينه
قصر وفي شرح الصبابة طول

(وأخبرني) الاديب أبو القاسم العداس المنبوز بالرواية قال قصد الشيخ أبو الخير سلامة الانباري الضرير النحوي تبريزي بين يدي الشيخ العلامة أبي محمد بن بري أشعر كان بيني وبينه فقال لي ان كنت شاعرا كما تزعم فأجز

أدرجت في أثناء نسيانكم
حتى كأني ألف الوصل

فقلت بديها

وكنت عين الفعل في قربكم
فصرت لام الجزم في الفعل

منهزمين بلا حرب وخرج ابن المعتز فركب فرساومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن وقد شهر سيفه وهو ينادى معاشر العامة ادعوا لخليفتكم وأشار والى الجيش ليتبعوهم الى سامرّ اليثبتوا أمرهم فلم يتبعهم أحد فنزل ابن المعتز عن دابته و دخل دار ابن الجصاص الجوهرى واختفى الوزير ابن داود والقاضى الحسن ابن المثنى ونهبت دورهم ووقع النهب والقتل فى بغداد وقبض المقتدر على الامراء والقضاة الذين خلعوه وسلمهم الى مؤنس الخازن فقتلهم واستقام الامر للمقتدر واستوزر ابن الفرات ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص فصودر ابن الجصاص وحبس ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتا ورثاه على بن محمد بن بسام بقوله

لله درّك من ملك بمضيعة * ناهيك فى العقل والآداب والحسب
مافيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطائى

مازلت أرمى بآمالى مطالبها * لم يخلق العرض منى سوء مطلبى
اذا قصدت لشأو خلت أنى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى فقال ابن الساعاتى

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت أن أرويه فى الكتب
هجرت تطمى له لامن مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال ابن قلاقس لاأقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث أن يأتى بلا طلب

عيون جاهك عنى غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسليا حين قعدت الاحوال وقامت الاهوال وهو الشهاب ابن محمود النابلسى رحمه الله تعالى

عبد الرحيم أضاعوا * بدولة ضيعته مافيه لولا وليت * وانما أدركته

رجع الى أخبار ابن المعتز رحمه الله قال بعض من كان يخدمه انه خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد و بستان الناعورة وكان ذلك آخر أيامه فأخذ خزفة وكتب على الجص

سقيا لظل زمانى * ودهرى المحمود ولى كليلة وصل * قدام يوم صدود

قال وضرب الدهر ضربانه ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه خفيا وتحته مكتوب

أف لظل زمانى * وعيشى المنكود فارقت أهلى والفى * وصاحبى وودودى
ومن هو يت جفانى * مطاوعا لحسودى يارب موتا والا * فراحة من صدود

ويقال انه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد

يانفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك من بعد طول الامن دنياك
مرّت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك ياليتنى اياك طوباك
ان كان قصدك شوقا بالسلام على * شاطى الفرات ابلغى ان كان مثواك
من موثق بالمنايا لافكاك له * يبكى الدماء على الف له باكى
أظنه آخر الايام من عمرى * وأوشك اليوم أن يبكى له الباكى

الى أن قال

ومن نثره الجارى مجرى الحكم والامثال من تجاوز الكفاف لم يغنه الاكثار * ربما أورد الطمع ولم يصدر * من ارتحل الحرص أضناه الطلب * الحظ يأتى من لا يأتيه * أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الاشياء الى النار أسرعها الى الاحتراق * من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة * يكفيك للحاسد غمه بسرورك (ومن شعره)

وانى لمعذور على طول حبها * لان لها وجها يدل على عذرى

(قال على بن ظافر) أنشدنى بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير وسألنى اجازته

يجل عن التشبيه فى الحسن وجهه * فبدر الدجا من حسنه يتعجب

فقلت فى قضية اقتضاها سؤاله

ومن كان بدر التم يعجب ان رأى * محاسنه بالبدر كيف يلقب

ومنه ماتكون الاجازة فيه لبيت بأكثر من بيت (روى) أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أن بذلا الكبيرة جارية عبدالله بن موسى الهادى غنت بين يدى المأمون

ألالا أرى شيأ ألذ من الوعد * ومن أمل فيه وان كان لا يجدى

وأبدلت مكان الوعد السحق فقال لها المأمون يابذل أخطأت النسك ألذ من السحق ثم صنع المأمون بديها وقال زد بديهها فيه

ومن غفلة الواشى اذا ماالقيته * ومن زورك فى ابياتها خاليا وحدى
ومن ضحكة فى الملتقى ثم سكتة * وكلتاهما عذرى ألذ من الشهد

(وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال غنى يوما بين يدى المعالى الادريسى بحمالقة بيت لعبدالله بن المعتز

هل ترين البدر يختال * ان غدت للسير أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

اذا مابدت والبدر ليلة تمه * رأيت لها فضلا مبينا على البدر
وتهتز من تحت الثياب كأنها * قضيب من الريحان في الورق الخضر
أبى الله الا أن أموت صبابة * بساحرة العينين طيبة النشر

ومنه
من لي بقلب صيغ من صخرة * في جسد من لؤلؤ رطب
جرحت خديه بلحظي فما * برحت حتى اقتص من قلبي

ومنه ويعزى لغيره
تفقد مساقط لحظ المريب * فان العيون وجوه القلوب
وطالع بوادره في الكلام * فانك تجني ثمار الغيوب

ومنه
سابق الى مالك ورّاثه * ما المرء في الدنيا بلباث
كم صامت يخنق اكياسه * قد صاح في ميزان ميراث

ومنه
ياطارقي في الدجى والليل منبسط * على البلاد بهيم ثابت الدعم
طرقت باب غنى طابت موارده * ونائلا كانهمال العارض السجم
حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من * حكم الخلائف آبائي على الامم
فكل ما فيه مبذول لطارقه * ولا زمام له الا على الحرم

ومنه قوله في القلم
قلم ما أراه أم فلك يجـ * ـري بما شاء قاسم ويسير
راكع ساجد يقبل قرطا * سا كما قبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا
قلم يدور بكمه فكأنه * فلك يدور بنحسه وسعوده

وقوله فيه أيضا وأجاد
أقسمت بالقلم الحسام فلم يزل * يردي به حي وينتاش الردى
واذا رضيت فريقه أري وان * أضمرت سخطا فسم الاسود
فكأنه فلك بكفك دائر * يجري النجوم بأنحس وبأسعد

وما أحسن قول الاشرف فيه
قلم يقل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

وقول التهامي فيه أيضا
قلم يقلم ظفر كل ملمة * ويكف كف حوادث الايام

وقول أبي سعيد بن بوقه
قلم يجي على العداة حمامه * لكنه للمرتجين سماء
كم قد أسلت به لعبدك ريقة * سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة وكان قتله في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله وسامحه

(يقفي جلوس البدوي المصطلي)

قائله المتنبي من أرجوزة قالها ارتجالا في مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر وأولها

ومنزل ليس لنا بمنزل * ولا لغير الغاديات الهطل
ندى الخزامى ذفر القرنفل * محلل ملوحش لم يحلل
عن لنا فيه مراعي مغزل * محين النفس بعيد الموئل
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلي * وعادة العرى عن التفضل
كأنه مضمخ بصندل * معترضا بمثل قرن الايل
يحول بين الكلب والتأمل * فحل كلابي وثاق الاحبل
عن أشدق مسوجر مسلسل * أقب ساط شرس شمردل
منها اذا يثغ له لا يعزل * موجد الفقرة رخو المفصل

جليت في عصره الحال
ملك اقبال دولته
لذوي الافهام اقبال
قل لمن أكدت مطالبه
واحتاه الجاه والمال
(وأخبرني) أبو الحسن بن الساعاتي المقدم ذكره قال غنى مغن في بعض المجالس
أسفي على بان القدود
وبان أثمر بالنهود
وكان عندنا بالمجلس رجل كبير الانف متطايب وكان ينعت بالسديد فأردت العبث به فقلت بديها
ياماني صفو الوصا
ل وماتحي كدر الصدود
ماضاقت الدنيا علـ
ـي وقد حوت أنف السديد
(وغنى) بعض القوالين يوما
سلام على من لست أرجو وصاله
وغير الصبا مالي اليه رسول
(فأجابه) الشهاب بن المجاور بديها بقوله
تراجعني عن خده وهو عاطر
وترجع عن عطفيه وهي بليل
وما كنت لولا هجره بجزوع
ولو صدني عنه قنا ونصول
أناه فاني لا أصيخ للائم
ولو أن حد المشرفي عذول
سأصبر لا يدري هواي فينثني
ولا أنا أرجو عطفه فأقول
(وأخبرني) القاضي الموفق بهاء الدين أبو علي بن الديباجي كاتب الدست الشريف قال أنشدنا مولانا السلطان الملك الكامل خلد الله ملكه قول الشاعر
ترحل من حياتي في يديه

له اذا أدبر لحظ المقبل * يعدو اذا أحزن عدو المسهل

اذا تلاجاء المدى وقد تلى

وبعده البيت وبعده بأربع مجدولة لم تجدل * فتل الايادى ربذات الارجل

آثارها أمثالها فى الجندل * يكاد فى الوثب من التفتل

يجمع بين متنه والكلكل * وبين أعلاه وبين الاسفل

وهى طويلة والاقعاء الجلوس على الاليتين والمصطلى المتدفئ بالنار (والشاهد فيه) وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى اقعائه فانه يكون لكل عضو منه موقع خاص والمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الارض وفى مثل ذلك قول الاخيطل الاهوازى يصف مصلوبا

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الفراق الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فنظر الى الجهات الثلاث فلطف بحسب التركيب والتفصيل بخلاف تشبيهه بالمتمطى فانه قريب التناول يقع فى نفس الرائى للمصلوب لكونه أمرا جليا وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب بقوله

كأن له فى الجو حبلا يبوعه * اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

يعانق أنفاس الرياح مودعا * وداع رحيل لا يحط له رحل

وللبحترى فيه فتراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء

مستشرفا للشمس منتصبا لها * فى أخريات الجذع كالحرباء

ولابن المعتز فيه أرأيت الا اله قرين جذع * يضمك غير ضم الالتزام

كلوطى له ايرطويل * يغض ذلوا جرمن قيام

ولابراهيم بن المهدى فيه كأنه شلوكبش والجذع له * تنور شاوية والجذع سفود

ولابن حمديس فيه ومرتفع فى الجذع اذ حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن

كذى غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن

وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حورا لا تراهن أعين

وما أحسن قول ابن الانبارى فى ابن بقية الوزير لما صلب من أبيات

كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة

وقد أخذ معنى البيت الاول من قول ابن المعتز

وصلوا عليه خاشعين كأنهم * وفود وقوف للسلام عليه

ولعمر الخراط فيه انظر اليه كأنه فى وصفه * متظلم لحظ السماء بطرفه

بسط اليدين كأنه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه والفقيه

عمارة اليمنى فيه ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى شمال

ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

ومن العجيب انه صلب بعد قوله هذا بقليل صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فكانت هذه الكلمات كالفال عليه وله فى معناه أيضا

ورأت يداه عظيم ما جنتا * ففررن ذى شرقا وذى غربا

وأمال نحو الصدر منه فما * ليلومه فى أفعاله القلبا

فيا أسفى ويا شوقى اليه

واستجاز الجماعة فقلت

ومن هذا يكون عليه مثلى

وهذى الريح أخشاها عليه

وقال الامير الاجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه الايالبته ان كان يأتى

حياتى ثم موتى فى يديه

ومنه ما تكون الاجازة فيه لاكثر من بيت (ذكر) أبو العتاهية قال حبسنى الرشيد لترك الشعر وغلقت على الابواب فبقيت دهشا كما يدهش مثلى لتلك الحال فاذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة فتمثل بقوله

تعودت حسن الصبر حتى ألفته

فأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

وصيرنى يأسى من الناس واجيا

لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت على الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضيلة فيك سواه لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسئلتك عنهما عذرا لنفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت من هذه الحال فلا تعذلنى واعذرنى

﴿كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت﴾

البيت من الطويل ولا أعرف قائله (والمعنى) أبرقت الغمامة للقوم فحذف الجار وأوصل الفعل ومعنى أقشعت وتجلت تفرقت وانكشفت (والشاهد فيه) المركب العقلي من وجه الشبه وانه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر كما اذا انتزع وجه الشبه من الشطر الاول من البيت فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه فان المراد تشبيه الحالة المذكورة في الابيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها وانقطاعها واسطة اتصال مطمع بانتهاء موئس لان البيت مثل في أن يظهر للمضطر الى الشئ الشديد الحاجة اليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه وفي معناه قول مسلم بن الوليد

وشمتك اذ أقبلت في عارض الغنى * فأقلعت لم تنبض بري ولا محل

وقول بشار بن برد أظلت علينا منك يوماً سحابة * أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها

وقوله لمروان مواعد كاذبات * كما برق الحياء وما استهلا

والاصل فيه قول الاحوص

وكنت وما أملت منك كبارق * لوى قطره من بعد ما كان غيما

وما أحسن قول بعضهم ألا انما الدنيا كظل غمامة * اذا ما رجاها المستظل اضمحلت

فلا تك مفراحاً اذا هي أقبلت * ولا تك محزاناً اذا ما تولت

ولابن الطراوة النحوي في معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على اثر قحط في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * بحرية قمن بها السح

حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لأعينهم بها نضح

كشف الغمام اجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا

وقد سبقه الى ذلك أبو علي المحسن التنوخي فقال

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدب الغيم أن يلبس الارضا

فلما بدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد ارفضا

ومنه قول بعضهم لما بدا وجه السماء لهم * متجهماً لم يبد أنواء

قاموا ليستسقوا الاله لهم * غيثاً فلم يسقيهم الماء

﴿فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال﴾

البيت لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يرثي بها والدة سيف الدولة بن حمدان أولها

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالي

وهي طويلة وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة

رأيتك في الذين أرى ملوكاً * كأنك مستقيم في محال

وحكي أن المتنبي قيل له ان المحال ما يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك فلو فرض أنك قلت كأنك مستقيم في اعوجاج كيف كنت تصنع في الثاني فقال ولم يتوقف فان البيض بعض دم الدجاج فاستحسن هذا من بديهته (والشاهد فيه) بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فانه أراد أن يقول ان الممدوح قد فاق الناس بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه بل صار أصلاً برأسه وجنساً بمفرده وهذا في الظاهر كالممتنع لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع في

متفضلاً فقال أنا والله بالدهش والحيرة أولى منك لانك حبست على أن تقول الشعر الذي به ارتفعت وبلغت ما بلغت واذا قلته أمنت وأنا حبست على أن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبداً والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال اذا لا أبخل عليك ثم أعاد علي البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولي

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد قال فلم نلبث الا قليلاً حتى سمعنا صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء من جرة كانت عنده ولبس ثوباً نظيفاً ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعاً وقدم قبلي الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه وافعل ما بدا لك فلو أنه تحت ثوبي ما كشفت عنه فأمر به فضربت عنقه ثم قال لي أظنك يا اسمعيل ارتعت فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردوه الى محبسه فردوني (وذكر) ابن عبد ربه في كتاب العقد قال صنع أبو دلف القاسم بن

الفضائل الخاصة بذلك النوع الى أن دصير كأنه ليس منها فاحتيج لهذه الدعوى و بين امكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم انه لا يعد منها لما فيه من الاوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم و يسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه لدلالة البيت عليه ضمنا وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله

وأصيد ظل يدرك يوم صيد * طرائده بجرد كالسعالى
فان عبقت لنا عنا ه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

والشهاب ابن بنت الاعز بقوله

وقالوا بالعذار تسل عنه * وما أنا عن غزال الحسن سالى
وان أبدت لنا خداه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

ويشبه قول أبى الطيب المتنبى هذا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هذاء كالكلام بلا معانى

ومثله قول يحيى بن بقى

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

والغزى فى مثله فلا غرو ان كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومنه قول خلف بن عبد العزيز النحوى

ما أنت بعض الناس الامثل ما * بعض الحصا الياقوتة الحمراء

والمعرى فيه أبا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

ومثله قول ابن قلاقس وأجاد

أنشرت من آبائك الصيد الاولى * ذكر السان الدهر ناشر نشره
كرموا فزدت عليهم فكأنهم * شهر الصيام وأنت ليلة قدره

ومثله قول التهامى

لقد شرف الرحمن قدرك فى الورى * كما فى الليالى شرفت ليلة القدر
وان كنت من جنس البرايا وفقتهم * فللمسك نشر ليس يوجد فى العطر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله

فاقت بيوسفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك من نشر لها أرج
فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومثله قول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فأجموا * وخيل المعالى غير خيل المواكب
فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى

سلك الورى آثار فضلك فانثنى * متكلف عن مسلك مطبوع
أبناء جنسك فى الحلى لا فى العلا * وأقول قولا ليس بالمدفوع
أبدا ترى البيتين يختلفان فى الـ * معنى ويتفقان فى التقطيع

وفى مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يهجو

أبوك أبو على ذو اعتلاء * اذا عد الكرام وأنت نجله
وان أباك اذ تعزى اليه * لكالطاوس تقبح منه رجله

(ولازوردية تزهو بزرقتها * وسط الرياض على حمر اليواقيت)
(كأنها وضعاف القضب تحملها * أوائل النار فى أطراف كبريت)

غيث الهطل

أنا أبو دلف البادى بقافية
جوابها يعجز الداهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى وراحلتى
وخاتمى والمدى فيها الى القيظ
قال فقطع أنه لا نالث لهاتين القافيتين فصنعت
قد زدت فيها ولو أمسى أبو دلف
والنفس قد أشرفت منه على الغيظ
قال على بن ظافر تذاكرنا بهذه الرقعة فقال بعض الحاضرين لم يبق رابعة فصنعت
أزيد فيها اولوما نا بغيظهما
ما ألقت النمل أحيا نامن البيظ
وذلك أن كل بيض لطائر أو حيوان فبالضاد الا بيظ النمل فانه بالظاء وكل ما يفيض من اناء وغيره فبالضاد الا فيظ النفس فانه بالظاء ثم صنع القاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله بعد ذلك بديها
ذو الحزم لا يتعدى فى فعائله
ما دام للناس تكوين من البيظ
والبيظ ههنا ماء الرجل ثم صنع شهاب الدين بن أخت الوزير نجم الدين رحمه الله
يا سادتى فى القوافى قل ما تركوا
كأنه البر لم يترك سوى البيظ
حازت قوافيكم الظاآت أجمعها
كمثل ما حيز مع البيظ بالبيظ
لكن مواعيد باديكم أبى دلف
لا صدق فيها كمثل الآل والبيظ

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج وقبلهما

بنفسج جمعت أوراقه فحكى * كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت

وهى من قصيدة من البسيط (والشاهد فيهما) كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ينـدر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فانه أراك شبها النبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار استولى عليه اليبس ومبنى الطباع على أن الشئ اذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس اليه أكثر وهى بالشغف به أجدر وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه وليس بعدهما الا قول النميرى

بنفسج بذكى المسك مخصوص * مافى زمانك ان وافاك تنغيص

كأنما شعل الكبريت منظره * أوخد أغيد بالتخميش مقروص

وقول الآخر

مازلت من شغفى ألثم كفها * وذراعها بالقرص والآثار

حتى جعلت أديمها وكأنما * غرس البنفسج فى نقا الجمار

وقد لطف ابن كيغلغ فى استعارة المعنى فقال

لما التقينا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

واستعاره أبو تمام فى قوله لها من لوعة البين التدام * يعيد بنفسجا ورد الخدود

وقوله التدام مما أخذ عليه به فى جملة ما أخذ

(وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح)

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى من قصيدة من الكامل يمدح بها المأمون أولها

العذر ان أنصفت متضح * وشهود حبك أدمع سفح

واذا تكاتمت العيون على * اعجامها فالسر متضح

فضحت ضميرك عن ودائعه * ان الجفون نواطق فصح

مهما أبيت معانقى قمر * للحسن فيه مخايل تضح

نشر الجمال على محاسنه * بدعا وأذهب همه الفرح

يختال فى حلل الشباب به * مرح وداؤك أنه مرح

مازال يلثمنى مراشفه * ويعلنى الابريق والقدح

حتى استرد الليل خلعته * ونشا خلال سواده وضح

وبعده البيت ثم انه يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها * وتزينت بصفاتك المدح

وكأنما مذغاب عنك له * بازاء طرفك عارض سمح

واذا سلمت فكل حادثة * جلل فلا بؤس ولا ترح

(والشاهد فى البيت) ايهام أن المشبه به أتم من المشبه ويسمى التشبيه المقلوب فانه قصد ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء وفى قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء اليه والارتياح له وعلى كونه كاملا فى الكرم يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح وفى معناه قول البحترى

كأن سناها بالعشى لصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند

البيظ فى القافية الاولى بقية الماء فى نقرة البئر وهى الحفرة التى يبقى فيها الماء بعد نزحها وفى القافية الثانية قشرة البيض الرقيقة فوق المح وهو الغرقىء قال زهير

كأن البيظ لفقه قناعا * على الهامات كرات الدهور

وفى القافية الثالثة خيال وجه الانسان فى السيف قال عبيد

كأن وجوه نسل بنى غير * مثال البيظ فى السيف اليمانى

قالوا وجميعها بالظاء ولست على يقين من صحة ذلك وأظن أن صاحب العقد وهم فى كون قائل البيتين أبا دلف العجلى فان أبا دلف أفضل وأفصح وأعلم وأشرف من أن يقع فى مثل هذا وأظن قائلهما أبا دلف هاشم ابن محمد الخزاعى الشاعر الوالى كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلثمائة (وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر صاحب اليتيمة أن الصاحب أمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى باجازة هذين البيتين

يانسيم الريح من بلدى * خبرى بالله كيف هم

ليس لى صبر ولا جلد * ليت شعرى كيف صبرهم

(فقال)

واساب الدمع يشهد لى * وهو ممن ليس يتهم

(وأنبأنى) الفقيه أبو الحسن ابن المقدسى اجازة قال

﴿تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي * فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب﴾
﴿فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت * جفوني أم من عبرتي كنت أشرب﴾

البيتان لابي اسحق الصابي من الطويل ورأيت في اليتيمة البيت الاول بلفظ نورّد بدل تشابه (والشاهد فيهما) ترك التشبيه والعدول الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه فان الشاعر لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه وفي معناه قول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وقوله أيضا من أبيات

متغايرات قد جمعن وكلها * متشاكل أشباحها أرواح
واذا أردت مصرّحا تفسيرها * فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقي وقد جمعن لي * من أيّ هذي تملأ الاقداح

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية مع تفاح أهداه اليه

يا من تزينت السيا * دة حين ألبس ثوبها جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وهو مأخوذ من قول الخليع

الراح تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح راح جمد فاشرب على جامده ذوبه * ولا تدع لذة يوم لغد

وللسري الرفاء في معناه

وقد أضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسى غرة وأوضاحا
لو جمدت راحنا اغتدت ذهبا * أو ذاب تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابي في هذا المعنى

وليلة قد بت أهزم بردها * بجيشين من خمر عتيق ومن جمر
فطورا أظن الخمر من ذوب جمرها * وطورا أظن الجمر من جمد الخمر

والصابي هو ابراهيم بن هلال بن هرون الحراني قال في حقه أبو منصور الثعالبي هو أوحد العراق في البلاغة ومن به تثنى الخناصر في الكتابه وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعه وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء وتقلد الأعمال الجلائل مع ديوان الرسائل وحلب الدهر أشطره وذاق حلوه ومره ولابس خيره ومارس شرّه ورئس ورأس وخدم وخدم ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وشاع ذكره في الآفاق ودوّن له من الكلام البهي النقي العلوي ما تناثرت درره وتكاثرت غرره وفيه يقول بعض أهل العصر

أصبحت مشتاقا حليف صبابة * برسائل الصابي أبي اسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى * ذوب البراعة سلوة العشاق
طورا كما رق النسيم ونارة * يحكي لنا الاطواق في الاعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرّز * كتبت بدائعه على الاحداق

ويقول أيضا

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم * يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكاس مدامة * ورسائل الصابي وشعر كشاجم

(ويحكى) أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه كثيرا على الاسلام وأداروه بكل حيله وتمنية جميله حتى ان السلطان بختيار عرض عليه الوزارة ان أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشره ويخدم الاكابر أرفع خدمه ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسنّ قلمه وكان في أيام شبابه واقتباله أحسن حالا وأرخى بالا

أنبأني الشيخ أبو القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي قال أخبرني أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفتراء قال حضرت عند عمي وعنده أبو عمر القسطلي يعني ابن دراج وأبو عبد الله المعيطي فغني المعيطي

مروع منك كل يوم
محتمل فيك كل لوم
يا غايتي في المنى وسؤلي
ملكت رقي بغير سوم

فأعجبنا هذين البيتين فقال أبو عمر أنا أضيف اليهما ثالثا لا يتأخر عنهما ثم قال

تركت قلبي بغير صبر
فيك وعيني بغير نوم

(وذكر) ابن بسام في كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غني بين يديه بقول ابن المعتز

وتخارة من بنات المجوس
ترى الزق في بيتها سائلا
وزنا لها ذهبا جامدا
فكالت لنا ذهبا سائلا

(فأجازهما بقوله)

وقلنا خذي جوهرا ثابتا
فقالت خذوا عرضا زائلا

(ونقلت) من خط عبد الجليل ابن عبد المحسن الكاتبي الشاعر الاسيوطي قال غنى لنا يوما بعض القوالين هذين البيتين وهما لابي

منه في أيام استكماله وفي زمن اكتهاله أورى زندا وأسعد جدا منه حين مسه الكبر وأخذ منه الهرم وفي ذلك يقول من قصيدة في نهاية فريده كتب بها الى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومزنه بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الا كاف

عجبا لحظي اذ أراه مصالحي * عصر الشباب وفي المشيب مغاضبي
أمن الغواني كان حتى خانني * شيخا وكان لدى الشبيبة صاحبي
أمع التضعضع مال عني متجنبا * ومع الترعرع كان غير مجانبي
ياليت صبوته الي تأخرت * حتى تكون ذخيرة لعواقبي

وكان المهلبي لا يرى الدنيا الا به ويحن على براعته وتقدم قدمه ويصطنعه لنفسه ويستدعيه في أوقات أنسه فلما مات المهلبي وأبو اسحق يلي ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل في جملة عمال المهلبي وأصحابه فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة

يا أيها الرؤساء دعوة خادم * أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم * حبسي وطول تهددي ووعيدي
أنسيتم كتبا شحنت فصولها * بفصول در عنكم منضود
ورسائلا نفذت الى أطرافكم * عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما * هز النديم سماع صوت العود

منها

قصرت خطاه خلاخل من قيده * فتراه فيها كالفتاة الرود
يمشي الهوينى ذلة لا عزة * مشي النزيف انطائف المزؤد

ولما خلي عنه وأعيد الى عمله لم يزل يطير ويقع ويخفض ويرتفع الى أن دفع في أيام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى اذ كان في صدره حزازات كثيرة من انشاآت له عن الخليفة وعن بختيار نقمها منه واحتقدها عليه قيل كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبي اسحق بعد ميله اليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار وهو وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق والمعالي السوامق التي يلزم كل دان وقاص وعام وخاص أن يعرف له حق ما أكرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد انكار ولم يشك في التعريض به وأسرها في نفسه الى أن ملك بغداد وسائر العراق وأمر أبا اسحق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه وشرح سيره وحروبه وفتوحه فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي واشتغل به في منزله وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه فرفع الى عضد الدولة أن صديقا للصابي دخل اليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض فسأله عما يعمل من ذلك فقال أباطيل أغفقها وأكاذيب ألفقها فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة الى ما كان في نفسه من أبي اسحق وتحرك من ضغنه الساكن وثار من سخطه الكامن فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة فأكب جماعة من أرباب الدولة على الارض يقبلونها بين يديه ويشفعون اليه في أمره ويتلطفون في استيهابه الى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه واستصفاء أمواله فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين الى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة وقد زحت حاله وتهتك ستره وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح والصابي يخدم حضرته بالمدح وكان الصاحب يتمنى انحيازه اليه وقدومه عليه ويضمن له الرغائب على ذلك اما تشوقا أو تشرفا وكان هو يتحمل ثقل الخلة وسوء أثر العطلة ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه وكان الصاحب كثيرا ما يقول كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة الاستاذ ابن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو اسحق الصابي ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه فأما الترجيح بين هذين الصادين أعني الصاحب

العلاء الاسدي من شعراء اليتيمة

لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا
حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالي
جمع الله شملهم أين كانوا

قال فأجزتهما بقولي بديها

أنا ممن يدين في الرجعة الآ
ن تراهم بمذهب الصب دانوا

(قال علي بن ظافر) ومما هو من هذا الباب الآن الاجازة فيه لسد فرجة بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريابا المغني مولى المهدي المرواني غنى يوما بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ملك الاندلس بهذين البيتين

قالت ظلوم سمية الظلم
مالي رأيتك ناحل الجسم
يامن رمى قلبي فأقصده
أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فقال عبد الرحمن بن قزمان

فأجبتها والدمع منحدر
مثل الجمان هوى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة (ومما) يجري مجرى الطرف ما أخبرني به الاديب أبو القاسم بن نفطويه أنه جلس أيام اشتغاله على الشيخ الاستاذ العلامة محمد بن بري مع جماعة من

والصابئ فقد خاض فيه الخائضون وأطنب المخلصون ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد والصابئ يكتب كما يؤمر أى كما يراد وبين الحالين بون بعيد وكيف جرى الامر فهما هما ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما ولنذكر نبذا من نثره ونظامه لتكون كالعنوان على محاسنه فمن ذلك فصل له من كتاب الى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة * أسأل الله مبتهلا لديه ماداً يدى اليه أن يجعل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات والزيادات الغامرات ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موافيا على المتقدم له قاصرا على المتأخر عنه ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ومن العيش أعذبه وأرغده عزيزا منصورا محميا موفورا باسطا يده لا يقبضها الا على نواصى أعداء وحساد ساميا طرفه فلا يغضه الا على لذة غمض ورقاد مستريحة ركابه فلا يعملها الا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا يجليها الا لحيازة مال وملك حتى ينال أقصى ما تتوجه اليه أمنية صالحه وتسمو له همة طامحه ﴿فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد﴾ وخيلنا كالامواج المتدفقه والاطواد الموثقه متشوفة عاطيه متشنفة جاريه تشتاق الصيد وهى لا تطعمه وتحن اليه كأنه قضيم تقضمه وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر مذربة النصال والخناجر طامحة الالحاظ والمناظر بعيدة المرامى والمطارح ذكية القلوب والنفوس قليلة القطوب والعبوس سابغة الاذناب كريمة الانساب صلبة الاعواد قوية الاوصال تزيد اذا ألحمت شرها وقرما وتتضاعف اذا اشبعت كلباً ونهما فبينا نحن سائرون وفى الطلب ممعنون اذ وردنا ماء أزرق جمامه طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه وتلوح فى قراره حصباؤه وأفانين الطير به محدقه وغرائبه عليه واقعه متغايرة الالوان والصفات مختلفات الاصوات واللغات فمن صريح خالص وتهذب نوعه ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح اليها كأنها رسل المنايا أو سهام القضايا فلم نسمع الا صميا ولم نر الا مذكيا ثم عدنا الشانئنا دفعات وأطلقنا مرات ﴿ومن فصل منها﴾ ثم عدلنا عن مطارح الحمام الى مسارح الآرام نستقرى ملاعبها ونؤم مجامعها حتى أفضينا الى أسراب لاهيه بأطلائها راتعة بأكلائها ومعنا فهود أخطف من البروق وأثقف من الليوث وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب وأنزى من الجنادب خمص الخصور قب البطون رقش المتون حمر الآماق خزر الاحداق هرت الاشداق عراض الجباه غلب الرقاب كاشرة عن أنياب كالحراب ﴿وله فصل فى ذكر الاقدار الله تعالى﴾ أقدار ترد فى أوقاتها وقضايا تجرى الى غاياتها لا يرد شئ منها عن شأوه ومداه ولا يصد دون مطلبه ومنحاه فهى كالسهام التى لا تنبت الا فى الاغراض ولا ترجع الا بالاعتراض والناس فيها بين عطية يجب الشكر عليها ورزية يوثق بالعوض عنها ﴿وله من فصل عن بختيار الى سبكتكين المعزى﴾ ليت شعرى بأى قدم تواقفنا ورايا تنا خافقة على رأسك وعمالها كاعن يمينك وشمالك وخيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك وسلاحنا المشحوذ لاعدائنا فى يدك ﴿ومن فصل فى ذكره﴾ هو أرق دينا وأمانه وأخفض قدرا ومكانه وأتم ذلا ومهانه وأظهر عجزا وزمانه من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشوده وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردوده ومن ملح شعره قوله فى الغزل وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما

جرت الدموع دما وكأسى فى يدى * شوقا الى من لج فى هجرانى
فتخالف الفعلان شارب قهوة * يبكى دما وتشابه اللونان
فكأن ما فى الجفن من كأسى جرى * وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال

لست أشكو هواك يا من هواه * كل يوم يروعنى منه خطب
مر ما مر بى من أجلك حلو * وعذابى فى مثل حبك عذب

وقال

ان نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد * حفنا عليك به ظلما وعدوانا

تلامذته فتذاكروا ما يعانيه الشيخ من بلادة بعض طلبته وهو رجل كرهت ذكره مع فرط اعتنائه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد

أقسم بالمبتسم العذب
ومشتكى الصب الى الصب
لو قرأ النحو على الرب
ما زاده الا عمى القلب

(قال فقلت ارتجالا)

قد عذب الله به شيخنا
فى هذه الدنيا بلا ذنب

فضحك الجماعة واستظرفوا البيت (ومنه ما تكون الاجازة فيه بأكثر من بيت لاكثر (فمن ذلك) ما ذكره اسحق الموصلى قال أنشدنى شداد بن عقبة لجميل

بثين سليني بعض مالى فانه
يبين عند المال كل خليل
وانى وتكرار الزيارة نحوكم
لبين يدى هجر بثين طويل

قال فقلت لشداد أفلا أزيدك فيهما قال بلى فقلت مسرعا

ألا ليت شعرى هل تقولين بعدنا
اذا نحن أجمعنا غدا الرحيل
ألا ليت أياما مضين رواجع
وليت النوى قد ساعفت بجميل

فقال أحسنت والله ان هذا هو الشعر الضائع فقلت وكيف قال نفيته عن نفسك بتسميتك جميلا فيه ولم يلحق برتبة شعر جميل فضاع بينكما جميعا (أنبأنى) الشيخان

الغصن أحسن ما تلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ما تلقاك عريانا

وقال
مرضت من الهوى حتى اذا ما * بدا ما بي لاخوانى الحضور
تكنفني ذوو الاشفاق منهم * ولاذوا بالدعا وبالنـذور
وقالوا للطبيب أشـر فانا * نعـدّك للمهمّ من الامور
فقال شفاؤه الرمّان مما * تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير عمد * ولكن ذاك رمّان الصدور

وقال
ما أنس لا أنس ليلة الاحد * والبدر ضيفي وأمره بيدى
قبلت منـه فما بجاجته * تجمع بين المدام والشهد
كأن مجرى سواكه برد * وريقه ذوب ذلك البرد

وقال في شمامة كافور
وشمامة كالبدر عند اعتراضه * وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
بردّ سواد العين من شغفبها * لواعتاضها مستبدلا ببياضه

وقال
ومحرورة الاحشاء تحسب أنها * متيمة تشكو من الحب تبريحا
تناجيك نجوى يسمع الانف وحيها * وتجهله الأذن السميعة اذ توحى
تحرق فيها النـدّ عودا وبدأة * فتأخـذه جسما وتنفثه روحا

وقال في غلام له أسود اسمه رشد
أبصرت في رشـد وقد أحببته * رشدى ولم أحفل بعين قد ينكر
يا لائمي أعلى السـواد تلومني * من لونه وبه عليك المفخـر
دع لى السواد وخذ بياضك انني * أدرى بما آتى وما أتخـير
منوى البصيرة في الفؤاد سواده * والعين بالمسودّ منها تبصر
فالدين أنت مناظر فيـه بذا * وكذاك في الدنيا بهذي تنظر
بسواد ذينك تستضيء ولوهما ابـ * ـيضا تغشاك الظـلام الاكدر
فغدا بياضك وهو ليل دامس * وغـدا سوادى وهو فجر أنور

وقال فيه أيضا
قد قال رشـد وهو أسود للذى * ببياضـه يعـلو علـوا لحـائن
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن
لو أن منى فيـه خالا زانه * ولوان منـه فيّ خالا شانني

ولقد تفنن الشعراء في مدح السودان وأكثروا فى ذلك قول ابن الرومى من قصيدة طويلة
أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وقول ابن خفاجة الاندلسي أيضا
وأسود يسبح في لجـة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * زرقاء والأسود انسانها

وقول الآخر
يا أسود يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لحسن الخدّ خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

وقول شرف الدين بن عنين
وماذا عليهم ان كلفت بأسود * محلته بالقلب والعين منهم * وقد عابنى قوم بتقبيل خدّه
وماذاك عيب أسود الركن يلثم * وماشانه ذاك السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم

وقال ابن رياح الملقب بالجام

الاجل العلامة تاج الدين الكندى والفقيه جمال الدين بن الحرستاني اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعا عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى عن أبى القاسم التنوخى أخبرنى أبو عبد الله محمد ابن عثمان الخرقي الفارقى الحنبلى التميمى قال كنت بالرملة سنة ثلثمائة وخمس وستين وقد ورد اليها القرمطى أبو على القصير الثياب فاستدنانى منه وقربنى الى خدمته فكنت ليلة عنده اذ حضر الفراشون بالشموع فقال لابى نصر ابن كشاجم وكان كاتبه يا أبا نصر ما يحضرك فى صفة هذه الشموع فقال انما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه فقال أبو على فى الحال بديها
ومجدولة مثل صدر القناة * تعرّت وباطنها مكتسى
لها مقلة هى روح لها * وتاج على الرأس كالبرنس
اذا غازلتها الصبا حركت * لسانا من الذهب الاملس
وان رنقت لنعاس عرا * وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج فى وقت تلقيحها * ضياء يجلى دجا الحندس
فنحن من النور فى أسعد * وتلك من النار فى أنحس
تكيد الظلام وما كادها * فتفنى وتفنيه فى مجلس

بالعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال ان كان الليل بدرا * فأنت للصبح خال

وقال الوزير المغربى يارب سوداء تيمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب منه قول ابن أبى الجهم
غصن من الابنوس أهدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى نهارا

وما أحسن قول بعضهم مضمنا
وسوداء الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر
وجارية من بنات الحبوش * ذات جفون صحاح مراض * تعشقتها للتصابى فشبت
غراما ولم آل بالشيب راضى * وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض

وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله
ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * فى الارض فالسود نجوم النهار

رجع الى شعر الصابى قال يرثى ابنه سنانا
أسعدانى بالدمعة الحمراء * حل ما حل بى عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقد ولا مثـ * ـل افتقاد الآباء للابناء
كنت منى وكنت منك اتفاقا * والتئاما مثل العصا واللحاء
كنت للسيتم فى أجل منى * فيك للثكل فى أوان فنائى
ولئن كان من أخيك وأولا * دك ما ما يغض من برحائى
ولعمرى لربما هيج الشو * ق فزادوا فى لوعتى وبكائى

ألم فيه بقول ابن الرومى ولم يحسن احسانه
وانى وان متعت بابنى بعده * لذاكره ما حنت النيب فى نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيما * فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله * مكان أخيه من جزوع ومن جلد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه * أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

وقال الصابى مفتخرا من قصيدة
وقد علم السلطان انى أمينه * وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما عرى وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق
يجدد بى نهج العلا وهو دارس * ويفتح بى باب الهدى وهو مغلق
فيمناى يمناه ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق
ولى قلم تضحى الملوك فقيرة * اليه الذى احداثها حين تطرق
أرد به رأس الجموح فينثنى * وأجعله سوط الحرون فيعنق
فان حاولت لطفا فماء مروق * وان حاولت عنفا فنار تألق

فقام أبو نصر بن كشاجم
وقبل الارض بين يديه وسأله
أن يأذن له فى اجازة الابيات
فأذن له فقال
وليلتنا هذه ليلة
تشاكل اشكال اقليدس
فيا ربة العود غنى لنا
ويا حامل الكاس لا تجلس
فتقدم بأن يخلع عليه
وحملت اليه صلة سنية والى
كل من الحاضرين
(وأخبرنى) الامير شمس
الدولة عبد الرحمن بن محمد
ابن مرشد بن على بن منقذ
ابن نصر بن منقذ رحمه الله
تعالى قال جرت بينى وبين
القاضى المهذب أبى محمد
الحسن بن على بن الزبير
مفاوضة فى قول الشعر
بديها وذلك فى سنة اثنتين
وخمسين وخمسمائة بدار
الوزارة بالقاهرة قال كنت
فى مبدا عمرى أملى الشعر
املاء كالمحفوظ على من
يكتبه فربما سبقته بالاملاء
ولا أتوقف فجعلت أتعجب
من قوله تعجبا ظاهرا منه
الاستبعاد فقال وكأنك
تستصعب هذا انما الصعب
أن تقترح على الشاعر العمل
فى معنى مخصوص على
قافية شاذة فى وزن معين وان
أردت أن تقف على حقيقة
ما قلته ليزول عنك الشك
وتدركه بالرؤية لا بالرواية
فأنشدنى ما أعمل لك عليه
قال فأنشدته من شعر الحماسة
فان يحجبوها أو يحل دون

يسلم

يسمو الى قس وسحبان وائل * ويرضى جرير مذهبي والفرزدق
فيقضي لنثري خاطب وهو مصقع * ويعنو لنظمي شاعر وهو مفلق
مقال لو الاعشى رآهن لم يقل * وبات على النار الندى والمحلق

وقال في المهلبي الوزير قل للوزير أبي محمد الذي * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك في المحافل منطق يشفي الجوى * ويسوغ في أذن الاديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل * وكأنما آذاننا أصدافه

وقال أيضا تلاوح تواجدي والكأس شربي * وأشربها كأني مستطيب
وفوق السر لي جهر ضحوك * وتحت الجهر لي سر كئيب
سأثبت اذ يصادمني زماني * بركنيه كما ثبت الكثيب
وأرقب ماتجيء به الليالي * ففي أثنائه فرج قريب

وقال أيضا في عضد الدولة
لا تحسب الملك الذي أوتيته * يفضي وان طال الزمان الى مدى
كالدوح في أفق السماء فروعه * وعروقه متولجات في الندى
في كل عام يستجد شبيبة * فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة * فلكية في منتهاها المبتدا

وكتب الى عضد الدولة في يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه اليه
أهدى اليك بنو الاموال واختلفوا * في مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * علو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالارض مهداة اليك فقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

ومن لطيف شعره قوله
دفتري مؤنسي وفكري سميري * ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطشي قريضي * ودواتي عيني ودرجي ربيعي

ومثله قول أبي محمد الخازن فدفتري روضتي ومحبرتي * غدير علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرار صومعتي * تعلمني كيف موقع النعم

وقال أبو اسحق الصابي وهو في الحبس
اذا لم يكن للمرء بد من الردى * فأسهله ماجاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو راتع * تطيف به اللذات والحظ مسعد
فان أتعس العيشتين أعيشها * فاني الى خير المماتين أقصد
وسيان يوما شقوة وسعادة * اذا كان غبا واحد الهما الغد

وقال لقد أخلقت جدتي الحادثات * ومن عاش في ريبها يخلق
وبدلني صلعا شاملا * من الصلع الفاحم الاغسق
وقد كنت أمرد من عارضي * فقد صرت أمرد من مفرقي

وكتب الى قاضي القضاة ابن معروف وكان قد زاره في معتقله رقعة نسختها
قوي دخول قاضي القضاة الى نفسي وجدد أنسي وأغرب نحسي ووسع حبسي فدعوت الله له عاقدا ارتفع اليه وسمعه فان لم أكن أهلا لان يستجاب مني فهو أيده الله تعالى أهل لان يستجاب منه وأقول مع ذلك
دخلت حاكم حكام الزمان الى * صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها * حتى توفاه طول الهم والحزن

وصلها
لقاء عدو أو وعيد أمير
فان يمنعوا عيني من دائم البكا
ولن يظهروا ماقد أجن ضميري
فأنشد مبادرا كأنه يحفظ ماينشده
صبرت على جور الزمان وصرفه
وان كنت يوم البين غير صبور
وان الذي يبغي اعتلاقا بودها
لمستمسك منها بحبل غرور
أرى الناس قد فكوا العناة تحرجا
فهل لك يوما في فكاك أسير
اذا أظلمت أيامنا من صدودكم
جلوتم بدورا في ظلام شعور
ولم أر فيمن أستعين به سوى
عذول فمن لي فيكم بعذير
وان ظباء الوحش تحسب منكم
بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادرا
عليه ولكن ذاك فعل قدير
قال الامير فجننت استحسانا لما أتى به وتعجبا من سرعته فقال أنشدني غير هذا الثلا تقول انه محفوظ لي فامتنعت تحرجا من ذلك فأبى الا أن أنشد فأنشدته
وما فارقت لبني عن تقال
ولكن شقوة بلغت مداها
فاسترسل مع آخر انشادي قائلا
وكل منى النفوس الى انقطاع
اذا بلغت لعمرك منتهاها
أناديها وليس تجيب قولي

فعاش عن كلمات منك كن له * كالروح عائدة منه الى البدن

وكتب الى بعض الرؤساء عرفت ان سيدنا الاستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكى التياثا

فلو استطعت أخذت علة جسمه * فقرنتها منى بعلة حالى

وجعلت صحتى التى لم تصف لى * صفوا له مع صحة الاقبال

فتكون عندى العلتان كلاهما * والصحتان له بغير زوال

وقال

عهدى بشعرى وكله غزل * يضحك عنه السرور والجذل

أيام هى أحبة بهم القلب عن النائبات يشتغل

والآن شعرى فى كل داهية * نيرانها فى الضلوع تشتعل

أخرج من نكبة وأدخل فى * أخرى فمنى بهن متصل

كأنها سنة مؤكدة * لابد من أن تقيمها الدول

فالعيش مر كأنه صبر * والموت حلو كأنه عسل

وقال يهجو

أيها النابح الذى يتصدى * بقبيح بقوله لجوابى

لا تؤمل انى أقول لك اخسأ * لست أسخو بها لكل الكلاب

وحكى أبو القاسم بن برهان قال دخلت على أبى اسحق الصابى وكان قد لحقه وجع المفاصل وقد أبل والمجلس عنده حافل وأراد أن يريهم انه قادر على الكتابة ففتح الدواة ليكتب فتطاولوا بالنظر الى كتابته فوضع القلم

وقال بديها

وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى

جعل الذى استحسنته * والناس من حظى كذا

والعمر مثل الكاس ير * سب فى أواخره القذى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال

فمن شبه العمر كاسا يقر * قذاه ويرسب فى أسفله

فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

والامير سيف الدين بن المشد بقوله

أن ترقى الى المعالى أولو الفضل وساخت تحت الثرى السفهاء

فحباب المدام يعلو على الكا * س محلا وترسب الاقذاء

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكدا فاذا حر * ك ثارت من قعره الاقذاء

وقول الآخر

بادر الى العيش فالايام راقدة * ولا تكن لصروف الدهر تنتظر

فالعمر كالكاس يبدو فى أوائله * صفوا وآخره فى قعره كدر

ولما مات أبو اسحق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله

أعلمت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى * من وقعه متتابع الازباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى * ان الثرى يعلو على الاطواد

ومنها

بعدا ليومك فى الزمان فانه * أقذى العيون وفت فى الاعضاد

لا تطلبى يا نفس خلا بعده * فلمثله أعيى على المرتاد

فقدت ملاءمة الشكول بفقده * وبقيت بين تباين الاضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده * أبدا وما ماء الحياة ببادى

كأنى قد دعوت بها سواها
سألقى دونها نبل الاعادى
وأرمى منهم من قد رماها
وأصبر للتجنى كل يوم
وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها
ولم يعلق سواها هل سلاها
ومن هذا الذى عنى حماها
على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلا
وقد ضمنت لطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما
أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الاعراض حظ مؤمليها
وأمسى اليأس غاية من رجاها
أود مهجتى فى راحتيها
مدى الايام لو جعلت فداها
قال الامير وحين انتهى الى هذا الحد وزأيت شدة تجمعه وفرط تحفزه وما يعانيه فى احضار ذهنه قطعته اشفاقا عليه (ومما وقع من هذا الباب) وكانت الاجازة فى وسط الشعر صلة لمعنى منقطع ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد ابن على القرموني قال أنشد والدى الشيخ أبو الحسن على بن محمد اليحصبي القرموني قول ابن الرومى
شهر الصيام مبارك
ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب
فقال هذان البيتان منقطعان ويحتاجان الى ما يصل بينهما فقال بديها

لك فى المشتاق صبروان لم تأوه * ومن الدموع روائح وغوادى
ساوامن الابرادجسمك فانثنى * جسمى يسيل عليك فى الابراد

ومنها
الفضل ناسب بيننا اذلم يكن * شرفى مناسبة ولا ميلادى
ان لم تكن من أسرتى وعشيرتى * فلأنت أعلقهم يدا بفؤادى
أولا تكن عالى الاصول فقدوفى * عظم الجدودبسوددالاجداد

وهى طويلة ورثاه بغير ذلك أيضا وقال وقدلم على رثائه له انى رثيت علمه وكان سنه أربعا وثمانين سنة ومات ابنه المحسن على كفره أيضا وابن ابنه هلال أسلم بآخر وتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

﴿ ياصاحبى تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور ﴾
﴿ تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر ﴾

البيتان لابى تمام الطائى من قصيدة من الكامل يمدح بها المعتصم أولها

رقت حواشى الدهر فهى تمرمر * وغدا الثرى فى حليه يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لاتكفر
لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائما لاتثمر
كم ليلة آسى البلاد بنفسه * فيها ويوم وبله متفجر
مطريذوب الصحو منه وبعده * صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالانواء غيث ظاهر * لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى * خلت السحاب أتاه وهو معذر
أربيعنا فى تسع عشرة حجة * حقا لهنك للربيع الازهر
ما كانت الايام تسلب بهجة * لوأن حسن الروض كان يعمر
أولا ترى الاشياء ان هى غيرت * سمجت وحسن الارض حين تغير

وبعده البيتان وبعدهما

دنيا معاش للورى حتى اذا * حل الربيع فانما هى منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها * نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى * فكأنها عين لديك تحدر

وهى طويلة ومعنى تقصيا نظريكما أبلغا أقصى نظريكما وغاية ماتبلغانه واجتهدا فى النظر وتصور أصلها تتصور بحذف احدى التاءين (والشاهد فيهما) تشبيه المركب بالمفرد فانه شبه الشمس الذى اختلط به ازهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب الى السواد بالليل المقمر فالمشبه مركب والمشبه به مفرد قيل ولا يخلو هذا من تسامح

﴿ كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى ﴾

البيت من الطويل وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة فى أول هذا الفن وقبله

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة * على عجل منها أطاطئ شملالى
تخطف خزان الانيعم بالضحى * وقد حجرت منها ثعالب أورال

وبعده البيت وبعده فلوأن ماأسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء مادامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

والحشف أردأ التمر والضعيف الذى لا نوى له أو اليابس الفاسد (والشاهد فيه) التشبيه المكفوف وهو أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبه بها فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير

اليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

﴿ الباب الثالث فى بدائع بدائه التمليط ﴾

التمليط هو أن يجتمع شاعران فصاعدا على تجريد أفكارهم وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين اما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام فى مرد الكتفين قال جرير
ظللن حوالى خدر أسماء وانتحى
بأسماء موار الملاطين أروح
فكأن كل قسيم أو بيت ملاط أى جانب من البيت أو القطعة والآخر أن يكون من الملاط وهو الطين يدخل فى البناء ويملط به الحائط تمليطا أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيأ واحدا وأما الملط وهو الذى لايبالى ماصنع والامليط وهو الذى لاشعر له فى جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه (قال على بن ظافر) فمن التمليط مايكون بين شاعرين ومنه مايكون بين شعراء ومنه مايكون بقسيم لقسيم ومنه مايكون ببيت لبيت ومنه مايكون ببيتين لبيتين والفرق بينه وبين الاجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل

بالعناب والبادس العتيق منها بالحشف البالى اذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا أن للجمع فائدة فى عين التشبيه وذكرت بهذا البيت ما ضمنه الجمال ابن نباتة مجونا وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فـوا خجلتى لما دنوت واذلالى

وقالت امكيـه بالأنامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم)

البيت لمرقش الاكبر من قصيدة من السريع قالها فى مرثية عم له أولها

هل بالديار أن تجيب صمم * لو أن حيا ناطقا كلم

الدار وحش والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

ديار سلمى التى سلبت * قلبى فعينى ماؤها يسجم

أضحت خلاء نبتها تشد * نور فيها زهره فاعتم

بل هل شجتك الظعن باكرة * كأنهن النخل من ملهم

وبعده البيت ومنها لسنا كأقوام خلائقهم * نث الحديث ونكهة المحرم

ان يخصبوا يبغوا بخصبهم * أو يجدبوا فهم به ألأم

وهى قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ولا حسنة الروى ولا متخيرة اللفظ ولا لطيفة المعنى قال ابن قتيبة ولا أعلم فيها شيأ يستحسن الا قوله النشر مسك البيت ويستجاد منها أيضا قوله

ليس على طول الحياة ندم * ومن وراء المرء ما يعلم

النشر الريح الطيبة أو أعم أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم والعنم شجر لين الاغصان يشبه بنان الجوارى وقيل هى أطراف الخروب الشامى عن أبى عبيدة وقيل هو شجر له أغصان حمر وقيل هو ثمر العوسج يكون أحمر ثم يسود اذا عقد ونضج (والشاهد فيه) التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر وهو واضح فى البيت ونظيره قول المتنبى

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وأطلعن فى الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وممن نسج على هذا المنوال اسمعيل الشاشى فانه قال من قصيدة

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ما يبقى من المال مغرما

ندوم أسيافا ونعلو قواضبا * وننقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر الا أنه ثلث التشبيه

يقولون بغداد التى اشتقت نزهة * تبا كرها والعبقرى المقيرا

اذا فض عنه الختم فاح بنفسجا * وأشرق مصباحا ونور عصفرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغن

فديتك يا أتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا

فوجهك نزهة الابصار حسنا * وشدوك متعة الاسماع طيبا

وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا

رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

ولابن الاثير الجزرى

أو ينذرون لذلك وتنكر منهم المناوبة وهذان ليسا من شروط الاجازة (فما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم) وهذا النوع يسمى المماتنة ما أنبأنى به الشيخان تاج الدين الكندى وجمال الدين الخرستانى اجازة عن الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى قال أخبرنا محمد بن طاوس أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا الحسن بن صفوان حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى أبو عدنان البصرى حدثنى الصامت بن مخبل اليشكرى سنة احدى وتسعين ومائة وأخبرنى به أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال أقبل امرؤ القيس حتى لقى التوأم اليشكرى وكان اسمه الحرث ويكنى أبا شريح فقال امرؤ القيس أحار ترى بريقا هب وهنا فقال التوأم

كنار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس

أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوأم

اذا ما قلت قد هدأ استطارا

فقال امرؤ القيس

كأن حنينه والرعد فيه

فقال التوأم

عشار وله لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس

فلم يترك ببطن الارض ظبيا

منوّع الحسن يبدى من محاسنه * لأعين الناس أوصافا وأشكالا
فلاح بدرا ووافى دمية وذكا * مسكا وعلّ طلا وازورّ رئبالا
وافترّ درّا وغنى بلبلا وسطا * عضبا وماس نقا واهتز عسالا

وما أحسن قوله أيضا

ان التى ملكتنى فى الهوى ملكت * مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا
رنت غزالا وفاحت روضة وبدت * بدرا وماجت غديرا وانثنت غصنا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخدّ ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

والمرقش اسمه عمرو وقيل عوف بن سعد بن مالك ينتهى نسبه لبكر بن وائل وهو أحد من قال شعرا فلقب به وهو أحد المتيمين كان يهوى ابنة عمّ له وهى أسماء بنت عوف بن مالك وكان المرقش الاصغر ابن أخى المرقش الاكبر واسمه ربيعة وقيل عمرو وهو عمّ طرفة بن العبد وهو أيضا أحد المتيمين كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويشبب بها وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدوّ وحسن أثر (وكان) من خبر المرقش الاكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف وهو غلام فخطبها الى أبيها فقال لا أزوّجك اياها حتى تعرف بالبأس وكان يعده فيها المواعيد الكاذبة ثم انطلق مرقش الى ملك من الملوك وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه وأصاب عوفا زمان شديد فأتاه رجل من مراد فأرغبه فى المال فزوّجه أسماء على مائة من الابل ثم تنحى عن بنى سعد بن مالك ورجع مرقش فقال اخوته لا تخبروه الا أنها ماتت فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت وأتوا به موضع القبر فنظر اليه وصار بعد ذلك يعتاده ويتردد اليه ويزوره فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما اذا اختصما فى كعب فقال أحدهما هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضنى ضنى شديدا فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوج المرادىّ أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته وكان له رواحل فأمره باحضارها ليطلب المرادى فأحضره اياها فركبها ومضى فى طلبه فمرض فى الطريق حتى ما يحمل الا معروضا ثم انهما نزلا كهفا بأسفل نجران وهى أرض مراد ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرّا وجوعا فجعلت الوليدة تبكى من ذلك فقال لها زوجها أطيعينى والا فانى تاركك وذاهب قال وكان مرقش يكتب كان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكان أحب ولده اليه الى نصرانىّ من أهل الحيرة فعلمهما الخط فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الابيات

ياصاحبىّ تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا
فلعل لبثكما يفرّط سيئا * أو يحدث الاسراع سيئا مثقلا
يا راكبا اما وصلت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله درّكما ودرّ أبيكما * أن يفلت العقلىّ حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام أن مرقشا * أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

قال فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا الى أهليهما فقالا مات المرقش ونظر حرملة الى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الابيات فدعاهما وخوفهما وأمرهما أن يصدقاه فأخبراه الخبر فقتلهما وكان العقيلى قد وصف له الموضع فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان فسأل عن خبره وعرف ان مرقشا كان فى الكهف * ولم يزل فيه حتى اذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها اليها فلما أبصر به قال له من أنت وما شأنك

فقال التوأم
ولم يترك بجهلتها حمارا
فقال امرؤ القيس
فلما أن دنا القفا أضاخ
فقال التوأم
وهت اعجاز ريقه فحارا
فقال امرؤ القيس لا أتعنت على أحد بعد ذلك (وروى) ابن الكلبى عن أبيه قال حدّثنى شيخ من بنى زياد بن عبد المدان وكان عالما بقومه قال نشأ غلام من بنى جنب يقال له رفاعة ويقال له المحترش فنبغ فى الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبرّ عليهم فلما وثق من نفسه بذلك قال لابيه لأخرجن فى قبائل اليمن فان وجدت أحدا يماتننى رجعت الى بلادى وان لم أصادف من يماتننى تقريت قبائل العرب فنزل بصرم من بنى فهد والحى خلوف فأتى حجرة عن جنب الحواء فاذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن فقالت عم ظلاما فقال نعم ظلامك فقالت ممن الرجل قال فقلت من مذحج قالت من أيهم قلت من جنب قالت أضيف أنت فقلت نعم قالت فلا حملك الله ماعدوت أن بخلتنا وأسأت أحدوتنا ثم أثارت ناقتى وكنتها فى خبائها وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يمرح فى اهابه سمنا ومدية وقالت اذبح أيها الرجل واعتجنت

فقال له مرقش أنا رجل من مراد وقال له فراعى من أنت قال راعى فلان فاذا هو راعى زوج أسماء فقال له مرقش أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك قال لا ولا أدنو منها ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها فقال له خذ خاتمي هذا فاذا حلبت فألقه في اللبن فانها ستعرفه وانك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط ان أنت فعلت ذلك فأخذ الراعي الخاتم وفعل ذلك ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع فقرع الخاتم ثنيتها فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته فقالت للجارية ما هذا الخاتم قالت مالى به علم فأرسلتها الى مولاها وهو في شرف بنجران فأقبل فزعا فقال لها لم دعوتني فقالت له أدع عبدك راعى غنمك فدعاه فقالت سله أين وجد هذا الخاتم فقال وجدته مع رجل في كهف خبار وقال لى اطرحه في اللبن الذى تشربه أسماء فانك تصيب به خيرا وما أخبرنى من هو ولقد تركته بآخر رمق فقال لها زوجها وما هذا الخاتم قالت خاتم مرقش فأعجل الساعة في طلبه فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه الى أهليهما فمات عند أسماء فدفن في أرض مراد (وحدث التوزري) قال كان مساور الوراق وجماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين على شراب وكان حفص مرميا بالزندقة وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه فجعل حفص يعيب شعر المرقش ويلحنه فأقبل عليه مساور فقال

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل * وأنف كثيل العود عما تتبع * تتبعت لحنا في كلام مرقش
ووجهك مبنى على اللحن أجمع * فأذناك اقواء وأنفك مكفأ * وعيناك أيطاء فأنت المرقع

فقام حفص من المجلس خجلا وهجره مدة

﴿ صدغ الحبيب وحالى * كلاهما كالليالى ﴾

هو من المجتث ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) تشبيه التسوية وهو تعدد طرف المشبه وهو هنا الصدغ والحال دون المشبه به وهو الليالى ومثله قول أبي محمد المطرانى

مهفهفة لها نصف قضيف * كخوط البان في نصف رداح
حكت لونا ولينا واعتدالا * ولحظا قاتلا سمر الرماح

﴿ كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح ﴾

البيت للبحترى من قصيدة من السريع يمدح بها أبا نوح عيسى بن ابراهيم أولها

بات نديما لى حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يضحك عن لؤلؤ * منظم أو برد أو أقاح

هكذا وجدت البيت في ديوانه

تحسبه نشوان أني رنا * للفتر من أجفانه وهو صاح * بت أفديه ولا أرعوى
لنهى ناه عنه أو لحى لاح * أمزج كاسى بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح
يساقط الورد علينا وقد * تبلج الصبح نسيم الرياح * أغضيت عن بعض الذى يتقى
من حرج في حبه أو جناح * سحر العيون النجل مستهلك * لبي وتوريد الخدود الملاح

والمنضد المنظم والبرد حب الغمام والاقاح جمع اقحوان وهو ورد له نور (والشاهد فيه) تعدد طرف المشبه به وهو هنا اللؤلؤ والبرد والاقاح دون المشبه وهو الثغر وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريرى

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

ومثل البيت المستشهد به قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر * يعل به برد أنيابها * اذا غرد الطائر المستحر

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب بن عباد في وصف أبيات أهديت اليه

وامتلت وطبخت وقربت طعاما وجلست أنا وهي والوليدة فلما تعشينا قالت ما رمى بك الى هذه البلاد فأخبرتها خبرى فضحكت وقالت بت فسأجيئك غدا بعشر خرائد تماثيل دون الرجال فان غلبت فارجع الى بلادك واعلم انك ترمى من مرام قبت فلما أصبحنا اذا العجوز قد أقبلت ومعها ثلاث فتيات كالمهرات فابتدرن الى الحجرة وأقبلت العجوز فحيتني وسألتني عن مبيتي ثم أومأت الى احداهن فأقبلت كالعيدانة يميلها الصبا فقالت أنت المتحدى بالمماتنة فقلت نعم فقالت قل أسمع فقلت

سوام تداعت سومها وعجافها

فقالت

حوامل أثقال تنوء فترزح

فقلت

اذا أيهمت في حجرتيها رعاؤها

فقالت

سمت فرق منها شوامز لقح

فقلت

نواء تداعى بالحنين عشارها

فقالت

فتبرح نارا أو تبيت فتسنح

فقلت

اذا وصلت أرضا سقتها بدرها

فقالت

أفاويق رسل محضه لا النضيح

فقلت

اذا انسحت أخلافها خلت

ماجرى فقالت

أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان * كبرد الشباب وبرد الشراب
وظل الامان ونيل الامانى * وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الدنان ورجع القيان

وقول الثعالبى فى الامير أبى الفضل الميكالى

لك فى المحاسن معجزات جمة * أبدا لغيرك فى الورى لم تجمع * بحران بحر فى البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعى * كالنور أو كالسحر أو كالدر أو * كالوشى فى برد عليه موشع

(صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب)
(كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج فى الطلب)

البيتان لابى تمام من قصيدة من البسيط يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك أولها

أبدت أسى ان رأتنى مخلس القصب * وآل ما كان من عجب الى عجب
ست وعشرون تدعونى فاتبعها * الى المشيب ولم تظلم ولم تحب
يومى من الدهر مثل الدهر تجربة * حزما وعزما وساعى منه كالحقب
وأصغرى أن شيبا لاح بى حدثا * وأكبرى أننى فى المهد لم أشب
ولا يورقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

يقول فى مديحها

ستصبح العيس بى والليل عند فتى * كثير ذكر الرضى فى ساعة الغضب

و بعده البيتان ومعنى صدفت أعرضت وريق كل شئ أوله وأصله والرواية فى ديوان أبى تمام مروءته بدل مواهبه وكان بدل لج وذكرت بقوله فان ذاك ابتسام الرأى والادب قول أبى الحسن على بن طاهر بن منصور

أعرضت حين أبصرت شعرات * فى عذارى كأنهن الثغام
قلت هذا تبسم الدهر قالت * قد سعى فى صدودك الابتسام

(والشاهد فى البيتين) التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أولم يعرض وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه

(وثغره فى صفاء * وأدمعى كاللآلى)

البيت من المجتث وهو كالبيت السابق (والشاهد فيه) التشبيه المفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه وهو هنا الصفاء

(حملت ردينيا كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدخان)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

لمن طلل أبصرته فشجانى * كخط زبور فى عسيب يمانى * ديار لهند والرباب وفرتنى
ليالينا بالنعف من بدلان * ليالى يدعونى الصبا فأجيبه * وأعين من أهوى الى روانى
فان أمس مكروبا فيارب بهمة * كشفت اذا ما اسود وجه جبان * وان أمس مكروبا فيارب قينة
منعمة أعملتها بكران * لها مزهر يعلوا الخميس بصوته * أجش اذا ما حركته يدان

وهى طويلة والردينى الرمح نسبة الى امرأة كانت تعمل الرماح اسمها ردينة (والشاهد فيه) تفصيل التشبيه وهو على وجوه أعرفها أن يأخذ بعضا من الاوصاف ويدع بعضا كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرده وذكرت بأبيات امرئ القيس هذه تضمين أبى الحسين الاشبيلى لبعضها وكان قد تناول من يد معذر الاشعار الستة فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرئ القيس هذه قال

وذى صلف خط العذار بخده * كخط زبور فى عسيب يمانى

على الارض منه لجة تتضحضح فقلت
أمطلقة أم ذات بعل فقالت
عقال لعمر والله لو شئت بته
شرادى ولكن التكرم أجدر
فقمت الى راحلتى فقالت
العجوز و بيت أم أحاب
لك أخرى فقلت أروتنى
الاولى فقالت الحق الآن
بأرضك فخرجت أريد
الرجوع الى قومى فأبى بى
اللجاج الاقصد ما خرجت
اليه فدفعت الى صرم من
جرم فاذا صبيان على غدير
يرتجزون فدعوت غلاما
منهم من أبشرهم فقلت
ياغلام هل فى صرمكم من
يماتننى فانى قد برزت على
شعراء العرب فقال
أنا فقلت أنت أيها القصيعل
فقال
قل ودع عنك ما لا يجدى
فقلت
أو ابد كالجزع الظفارى أربع
فقال
جماهن جون الطرتين مولع
فقلت
يرودبهن الروض فى الامن
جاره فقال
وأحلى لهن المستفى والمودع
فقلت
فلما اشتكت امات قردانه السفا
فقال
وخب على البيد السفير المقدع
فقلت

فقلت له مستفهما كنه حاله * لمن طلل أبصرته فشجانى
فقال ولم علك عزاء لنفسه * تمتع من الدنيا فانك فانى
فما كان الابرهة اذرأيته * كنيس ظباء الحلب والعدوان

(لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء)

البيت للمتنبى من قصيدة من الكامل يمدح بها هرون بن عبد العزيز الأوارجى وأولها
أمن ازديارك فى الدجى الرقباء * اذ حيث كنت من الظلام ضياء
قلق المليحة وهى مسك هتكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء
أسفى على أسفى الذى دلهتنى * عن علمه فبه على خفاء
وشكيتى فقد السقام لانه * قد كان لما كان لى أعضاء
مثلت عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء
نفذت على السابرى وربما * تندق فيه الصعدة السمراء
انا صخرة الوادى اذا مازوحمت * فاذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * أن لا ترانى مقلة عمياء

ومنها
فاذا سئلت فلا لانك محوج * واذا كتمت وشت بك الالاء
واذا مدحت فلا لتكسب رفعة * للشاكرين على الاله ثناء
واذا مطرت فلا لانك مجدب * يسقى الخصيب وتمطر الدأماء

(والشاهد فى البيت) التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال الى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ثم ان كان قوله لم تلق من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح وان كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبئ عن التشبيه أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء الا بوجه ليس فيه حياء ومثله قول الآخر
ان السحاب لتستحى اذا نظرت * الى نداك فقاسته بما فيها

(عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول)

البيت لرشيد الدين الوطواط من قصيدة من الكامل والثواقب جمع ثاقب وهو النجم المرتفع على النجوم والأفول الغيبة (والشاهد فيه) كما فى البيت الذى قبله فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل لكن الشرط المذكور أخرجه الى الغرابة ويسمى هذا التشبيه المشروط وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق ان شاء الله تعالى

(والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله وعبث الريح بالغصون عبارة عن امالتها اياها والاصيل هو الوقت من بعد العصر الى الغروب يوصف بالصفرة قال الشاعر
ورب نهار للفراق أصيله * ووجهى كلا لونيهما متناسب
وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه
كأن الموج فى عبره ترس * تذهب متنه كف الاصيل

وقوله أيضا
لجدوله فى سرحة الماء منصل * ولكنه فى الجذع عطف سوار
وأمواجه أرداف غيد نواعم * تلفعن بالآصال ريط نضار

وشبت على الاكباد نار من الصدى فقال
تظل لنا بين الحيازيم تسفع فقلت أولى لك وامتطيت راحلتى حتى دفعت الى شيخ يرعى غنيمات له فاستقريته فقام مبادرا الى قعب له فاحتلب ما كان فى ضروعهن ثم جاءنى به فشربت فلما اطمأننت قال مارمى بك الى هذا القطر فاخبرته وكتمت ما لاقيت فكشر وصاح بغلمة يرعون قريبا منه فأقبل غلام منهم فقال ادع عشرقة فالبث أن أقبلت جويرية بجفاء كأنها وبيلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه فقال ان ابن عمك هذا أخرج من بلاده يتحدى بالمانتة فهل عندك شئ فقالت قل أيها المتحدى وانه التقلب عينيها كعينى الارقم فقلت
فما بدمرة زرقاء فى ظل صخرة فقالت
ذخيرة غراء الذرى جونة النضد فقلت
نفى سيلان الريح عن متنها القذى فقالت
وذادت غصون الايك عن متنها الوفد فقلت
سباب مجاج اخلص الدبرار به فقالت
بصهباء صرف جيب عن صفوها الزبد

ومثله لابن الأبار ونهر كما ذابت سبائك فضة * حكى بمحانيه انعطاف الاراقم
اذا الشفق استولى عليه احمراره * تبدّى خضيبا مثل دامي الصوارم
ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الاصيل
والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد
وله أيضا فى معنى ماسبق كأن الشعاع على متنه * فرند بصفحة سيف صدى
وأشبه اذ درّجته الصبا * برادة تبر على مبرد
ومن بديع ماوقع لشاعر فى وصف نهر جعده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى متنزه باشبيلية ومعه جماعة من الادباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد حاكت الريح من الماء زرد واستجاز الحاضرين فأتوا بمالم يرض الى أن قال الشاعر المشهور بالحجام مجيزا له هو درع لقتال لو جمد
ومن الاندلسيين من ينسب هذا البيت الى أبى القاسم بن عباد ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو
نثر الجو على الترب برد * هو درّ لنحور لو جمد لؤلؤ أصدافه السحب التى * أنجز البارق فيها ماوعد
ومن بديع ماوقع له فيهما من التشبيه أيضا قوله
وكأن الصبح كف حلت * من ظلام الليل بالنور عقد
وكأن الشمس تجرى ذهبا * طائرا من جيده فى كل يد
ومن بديع مايذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفتل القرطبى أو ابن الحداد
انى أرى شمس الاصيل عليلة * ترتاد من بين المغارب مغربا
مالت لتحجب شخصها فكأنها * مدّت على الدنيا بساطا مذهبا
وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبى
وماذهبت شمس الاصيل عشية * الى الغرب حتى ذهبت فضة النهر
وما أبدع قول الآخر أيضا
ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * عليه ولاحت فى ملابسها الصفر
رأينا الذى أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كأسا من الخمر
وقول ابراهيم بن خفاجة أيضا
وقد غشى النبت بطحاءه * كبدو العذار بخد أسيل * وقد ولت الشمس محتثة
الى الغرب ترنو بطرف كحيل * كأن سناها على نهره * بقايا نجيع بسيف صقيل
وبديع أيضا قول ابن سارة هنا
النهر قد رقت غلالة صفوه * وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الأعجاز
وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه
عمرى أبا حسن لقد جئت التى * عطفت عليك ملامة الاخوان
لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دانى
والشمس تنفض زعفرانا بالربا * ونفت مسكتها على الغيطان
أطلعتها شمسا وأنت صباحها * وحففتها بكواكب الندمان
وأثبت بدعا فى الانام مخلدا * فيما قرنت ولات حين قران
وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا
لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينحدر

فتركت ماقصدت له ومات الى جهة أخرى ووصفت ناقة فقلت
اذا انشخ الحرباء فى رأس عوده فقالت
وأبجأ أم الحسل فى مائها الصلد فقلت
أثارت تنوفا بين تحت حجاجها فقالت
حواتك أشباه كراثنة الجلد
قال فرحت وآليت أن لاأماتن أحدا ماعشت
(تفسير مافى الكلام والشعر) العتود الجذع من الغنم أو فوق ذلك والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر
واذا مشين مشين غير جوارب * هز الجنوب نواعم العيدان
والشوامر التى قد شالت بأذيالها أى رفعتها والنواء السمان الواحدة ناوية قال الشاعر
ألا ياحمز للشرف النواء * وهن معقلات بالفناء
والبارح الذى يمرّ ومياسره عن مياسرك والسانح الذى يمرّ وميامنه عن ميامنك وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك والأفاويق جمع فواق ويمكن أن يكون جمع فيقة وهى المسكة بين الحلبتين والسكنة بين الحلبتين قال حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت

والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

وبديع أيضا قول أبي العلاء المعري

ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ـر فغطى المشيب بالزعفران

وقول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة

لو كنت شاهدنا عشية أنسها * والمزن يبكينا بعيني مذنب * والشمس قد مدت أديم شعاعها

في الارض تجنح غير ان لم تذهب * خلت الرذاذ برادة من فضة * قد غربلت من فوق نطع مذهب

ولابن حمديس في وصف نهر ألقت الشمس عليه جرتها عند الشروق من أبيات

ومشرق كيمياء الشمس في يده * ففضة الماء من القائها ذهب

ومثله أيضا قول أبي العلاء المعري

يظن به ذوب اللجين فان بدت * له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد

وبديع قول الشريف أبي القاسم شارح مقصورة حازم

وغريبة الانشاء سرنا فوقها * والبحر يسكن تارة ويموج

عجنا نؤم بها معاهد طالما * كرمت فعاج الحسن حين تعوج

وامتد من شمس الاصيل أمامنا * نور له مرءى هناك بهيج

فكأن ماء البحر ذائب فضة * قد سال فيه من النضار خليج

وبديع قول ابن العطار وهو في معنى قول ابن حمديس السابق وهو

مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وقوله أيضا

هبت الريح بالعشي فحاكت * زرد الغدير ناهيك جنه

فانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كفه للقتال فيه أسنه

(والشاهد في البيت) حذف أداة التشبيه ويسمى التشبيه المؤكد وهو هنا تشبيه صفرة الاصيل بالذهب وبياض الماء وصفائه باللجين وهو الفضة ومن محاسن التشبيه من غير أداة قول الواوا الدمشقي

قالت وقد فتكت فينا لواحظها * مهلا أما لقتيل الحب من قود

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قول الحريري

سألتها حين زارت نضو برقعها الـ ـقاني وايداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

وقوله أيضا

وأقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر

وقول الغزي الشاعر

ومانسيت ولا أنسى تبسمها * وملبس الجو غفل غير ذي علم

حتى اذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك في الظلم

تبسمت فأضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم

وقول أبي طالب المأموني

عزماتهم قضب وفيض أكفهم * سحب وبيض وجوههم أقمار

وقول صردر

الباذلي العرف والانواء باخلة * والمانعي الجار والاعمار تخترم

حيث الدجى النقع والفجر الصوارم والاسد الفوارس والخطية الأجم

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة في شبل الدولة ابن صالح لما هزم ملك الروم

جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

والضيح اللبن الذي صب فيه ماء وكذلك المذق قال الراجز

امتضحا وأسقياني ضيحا

فقد كفيت صاحبي الميحا

وانسفحت انصبت وبه سمي السفاح التغلبي لانه سفح ماء أصحابه وقال لا ماء لكم دون الكلاب قال

وأخوهما السفاح ظمأ خيله

حتى وردن جبا الكلاب نهالا

الجبا الماء بعينه والجبا الحوض أيضا والضحضاح الماء القليل يضطرب على وجه الارض والخيسفوج القطوف والخشب اليابس (ومن ذلك) ما رواه أبو عزبة قال أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع فلحق الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت سوقا عظيمة فحاصت بالنابغة ناقته فقال

كادت تهال من الاصوات راحلتي

ثم قال يا ربيع أجز فقال

والنفر منها اذا ما أوجست خلق

فقال ما رأيت كاليوم شعرا

ثم قال أجز

لولا أنهنها بالزجر لاجتذبت

فقال

مني الزمام واني راكب لبق

فقال النابغة

قد ملت الحبس في الآطام واشتقت

لبسوادرو عامن ظبائك تقيهم * كانت عليهم للحتوف شبا كا
نالت بك العرب الغنى من مالهم * وتقاسمت أثرا كك الاترا كا
لولم يذر ترجعلت صفحة خده * نعلا وقوسى حاجبيه شرا كا

أردت البيت الاخير ومنه قول أبى حنص عمر المطوعى

ومعسول الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشودر * ونقلنى بدر فى عقيق

وما أبدع قول أبى الحسن العقيلى

وللاقاحى قصور كلها ذهب * من حولها شرفات كلها در ر

(ولنذكر) هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها وغريب أساليبها واختراعها فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ وهو

عاد الزمان عن هو يت فأعتبا * ياصاحبى فاسقيانى واشربا
كم ليلة ساهرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
قام الغلام يديرها فى كفه * فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وأحسن ما سمع فى هذا المعنى قول التنوخى

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر فى أفق السماء يغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

ولابى فراس فى وصف الجلنار

وجلنار مشرق * على أعالى شجره
كأن فى رؤسه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرق معصفره

ولابى الفرج الببغاء فى وصف كانون نار من أبيات وتعزى الى السرى الرفاء أيضا

وذى أربع لايطيق النهوض * ولا يألف السير فيمن سرى
تحمله سبجا أسودا * فيجعله ذهبا أحمرا

وله فى معناه أيضا

وأحدقنا بأزهرنا * فقات حوله العنب
فما ينفك عن سبج * يعود كأنه ذهب

وله فيه أيضا

والتهبت نارنا فمنظرها * يغنيك عن كل منظر عجب
اذا رمت بالشرار واضطرمت * على ذراها مطارف اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة * تطير منها قراضة الذهب

ولابن محمد الخالدى فى معناه

ومقعد لاحراك ينهضه * وهو على أربع قد انتصبا * مصفر محرق تنفسه
تخاله العين عاشقا وصبا * اذا طعمناه جيده سبجا * صيره بعد ساعة ذهبا

ولابى بكر الخالدى فى وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوى الظلام البنود منصرفا * حين رأى الفجر ينشر العذبا
والليل من فتكة الصباح به * كراهب شق جيبه طربا

وللسرى الرفاء فى مثله

كراهب جن للهوى طربا * فشق جلبابه من الطرب

وله فى معناه أيضا

والفجر كالراهب قد مزقت * من طرب عنه الجلابيب

وما أحسن قول ابن حبان الكاتب أيضا

كأنما الفحم والزناد وما * تفعله النار فيهما الهبا شيخ من الزنج شاب مفرقه * عليه درع منسوجة ذهبا

فقال
الى منازلها الوأنها طلق
فقال النابغة ياربيع أنت
أشعر الناس (ومن ذلك)
مارواه ابراهيم بن المدبر عن
ابراهيم بن العباس الصولى
قال وحدثنى به دعبل أيضا
وكانا متفقين قال كنا نطلب
جميعا بالشعر نخرج نا سنة
وكنا فى محل فابتدأت أقول
فى المطلب بن عبد الله
أمطلب أنت مستعذب
فقال دعبل
لسمر المنايا ومستقتل
فقلت
فان أسف منك تكن سبة
فقال دعبل
وان أعف عنك فما تفعل
(وذكر الصولى فى كتاب
الوزراء) قال حدثنى محمد
ابن يحيى قال قدم أعرابى
اسمه عتبة يقول الشعر
وكان ظريفا من الاعراب
فضمه الحسن بن وهب اليه
فاجتمع الحسن يوما وابراهيم
ابن العباس فقال لهما عتبة
هذا ان كنتما تقولان الشعر
بالجملة فاهجوانى فقال الحسن
لن طلل فى رأس عتبة مقمل
فقال ابراهيم
عفته رياح الصفع تعلو وتسفل
فقال الحسن
شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه
فقال ابراهيم
تناوبه منه جنوب وشمأل
فقال الاعرابى والله لئن لم
تمسكا لأخرجن من البلد
[وذكر الصابى فى كتاب

وقول مجير الدين بن تميم وكأنما النار التى قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها المتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقوله أيضا
كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منشور

وقوله أيضا
كأنما النار فى تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر
كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم
ونحن جن يحاقبيه * والشرر الطائر الرجوم

وبديع أيضا قول ابن مكنسة
ابريقنا عاكف على قدح * كأنه الام ترضع الولدا   أو عابد من بنى المجوس اذا * توهم الكاس شعلة سجدا

وفى معنى البيت الثانى قول القاضى أبى الفتح بن قادوس
وليلة كاغماض الجفن قصرها * وصل الحبيب ولم تقصر عن الامل
وكلما رام نطقا فى معاتبتى * سددت فاه بنظم اللثم والقبل
وبات بدر تمام الحسن معتنقى * والشمس فى فلك الكاسات لم تفل
فبت منها أرى النار التى سجدت * لها المجوس من الابريق تسجد لى

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات
حمراء تشرب بالانوف سلافها * لطفا مع الاسماع والاحداق
بزجاجة صور الفوارس نقشها * فترى لها حربا بكف الساقى
وكأنما سفكت صوارمها دما * لبست به عرفا الى الاعناق
وكأن للكاسات حمر غلائل * ازرارها در على الاطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضا
بتنا نديرالراح فى شاهق * ليلا على نغمة عودين * والنار فى الارض التى دوننا
مثل نجوم الجو فى العين * فياله من منظر مونق * كأننا بين سماءين

وما أحسن قول الخالدى من قصيدة أولها
لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج * لأرتك سالفتى غزال أدعج
أرعى النجوم كأنها فى أفقها * زهر الاقاحى فى رياض بنفسج
والمشترى وسط السماء تخاله * وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبر أصغر ركبته * فى فص خاتم فضة فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكى فى الدجا * ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا التشبيه بديع لم يسبق اليه ومثله قول أبى حفص بن برد
والبدر كالمرآة غير صقلها * حيث الغوانى فيه بالأنفاس

وقول ابن طباطبا العلوى متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة فى كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بأنفاس تزايد فى الصعود

والخالدى فى وصف النجوم كأنما أنجم السماء لمن * يرمقها والظلام منطبق
مال بخيل نظل يجمعه * من كل وجه فليس يفترق

الوزراء والكتاب) قال روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الاصفهانى قال كان أبو القاسم بن أبى العلاء الشاعر من وجوه أهل اصفهان وأعيانهم ورؤسائهم فحدثنى أنه رأى فى منامه قائلا يقول له لم لم ترث الصاحب بن عباد مع فضلك وشعرك فقلت أجتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها فقال أجز ما أقول قلت قل فقال
ثوى الجود والكافى معا فى حفيرة   فقلت
ليأنس كل منهما بأخيه
فقال
هما اصطحبا حيين ثم تعانقا
فقلت
ضجيعين فى قبر بباب دريه
فقال
اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم   فقلت
أقاما الى يوم القيامة فيه
(ومن ذلك) ما أخبر به أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى كتابه المسمى بالحديقة قال أخبرنى محمد بن حبيب القلانسى الشاعر قال حضرنا ليلة بمجلس السلطان أبى يحيى تميم بن المعز بن باديس فالتفت حميد بن سعيد الشاعر الى مملوكين من مماليكه قد جمعا بين رأسيهما متناجيين فقال لى ماط انظر الى اللذين قد حكيا
فقلت

ولأخيه أبي عثمان الخالدي في وصف النجوم أيضا

وليلة ليلاء في اللون كلون المفرق كأنما نجومها * في مغرب ومشرق

دراهم منثورة * على بساط أزرق

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس في وصف خضاب الشيب

وكأن الخضاب دهمة ليل * تحته للمشيب غرة صبح

وقوله أيضا في تشبيه العذار من أبيات

أودب بالحسن فوق عارضه * نمل أصاب المداد أرجلها

وقوله أيضا في وصف الشمعة

كأنها راقصة بيننا * لم تنتقل بالرقص منها ودم قائمة في ملبس أصفر * قد حركت منه لنا فردكم

وبديع قوله أيضا في وصف الشيب

ولى شبابي وراع شيبي * منى سرب المها وفضه كأنما المشط في يميني * يجتز منه خيوط فضه

وللواواء الدمشقي وربّ ليل ضلّ عنه صباحه * وكأنه بك خطرة المتذكر

والبدر أول ما بدا متلثما * يبدي الضياء لنا بخد مسفر

فكأنما هو خودة من فضة * قد ركبت في هامة من عنبر

ولأبي طالب الرفا في وصف اترجة مقنعة

مصفرة الظاهر بيضاء الحشى * أبدع في صنعتها رب السما

كأنها كف محب دنف * مبعد يحسب أيام الجفا

ولابن لنكك البصري وروض عبقري الوشي غض * يشاكل حين زخرف بالشقيق

سماء زبرجد خضراء فيها * نجوم طالعات من عقيق

وللنفري الكاتب في الباقلاء الأخضر

فصوص زبرجد في غلف در * بأقماع حكت تقليم ظفر

وقد صاغ الاله لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

ولعبدان الخوذي في قينة

لنا قينة تحمى من الشرب شربنا * فقد أمنوا سكرا وخوف خمار

تكشر عن أنيابها في غنائها * فتحكي حمارا شم بول حمار

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح في أحدب

وقصير قد جمعت أعضاؤه * ليكون في باب الخلاعة أطمعا * قصرت أخادعه وغاص قذاله

فكأنه متوقع أن يصفعا * وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

وبديع قول السراج الحاريم بحوامر أة سوداء زامرة

ورب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر * شبهت أنملها على صرنابها

وقبيح مبسمها الشنيع الابخر * بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

وهو من قول الاول بحوز امر أسود أيضا

فكأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وقول محمد بن الحسن المصري الكاتب

رأيت يحيى اذا أفاد الغنى * هاج به ذكر ووسواس

كأنه كلب على جيفة * يخاف أن يطرده الناس

وقول البسامي في رجل لبس خامة تطول عليه ويقصر عنها

جفني ظلام على صباحين

فقال

فاعجب لغصنين كلما انعطفا

فقلت

ماسا من اللين في وشاحين

فقال

ظبيان يحمي حماهما أسد

فقلت

لولاه كانا لنا مباحين

فقال

فلو تدانيت منهما لدنت

فقلت

مني في الحين أسهم الحين

(ومن ذلك) ماروي أن المعتمد بن عباد ركب في يوم قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه

فقلت

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقلت

ان كان عقد ضميره كلسانه

(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن خليف بالاسكندرية قال أخبرني الاديب المعروف بابن رزين قال أخبرني عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال أقمت باشبيلية لما قدمتها وافدا على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الي ولا يعبأ بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذ أتاني

كأنه لما بدا طالعا * فى خلعة يقصر عن لبسها   جارية رعناء قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

ولطيف قول ابن قلاقس فى عوّاد اسمه حسن

حسن ملاوى عوده * مهما تناوله مساوى * وكأنه ان جسه
من بعد تحرير الملاوى * كلب تجاذب كفه * أنشوطة والكلب عاوى

ولابى طالب المأمونى فى رمّانة تفت

ورمانة مازلت مستخرجا * فى الجام من حقتها جوهرا   فالجام أرض وبنانى حيا * يمطر منها ذهبا أحمرا

وللصادع بالحق الواثق وأجاد

وليلة شابت بها المفرق * بل جد الناظر والمنطق * كأنما الخم الغضا بيننا
والنار فيه ذهب محرق * أو سبج فى ذهب أحمر * بينهما النيلوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى

يارب كوماء خضبت نحرها * بمدية مثل القضاء السابق
كأنها والدم حبس حولها * سوسنة زرقاء فى شقائق

وله فى وصف الرمان   خذوا صفة الرمان عنى فان لى * لسانا عن الاوصاف غير قصير
حقاق كأمثال الكرات تضمنت * فصوص بلخش فى غشاء حرير

وله فى النرجس   يا نرجسا لم تعد قامته * سهم الزمرذ حين تنتسب
فى رصافه عظم وقدته * قطع اللجين وفوقه ذهب

ولابى منصور البغوى رحمه الله تعالى

تراءت لنا من خدرها بسوالف * كما لاح بدر من خلال سحاب
وهز الصباصدغالها فوق خدها * كما روحت نار بريش غراب

ولنصر بن يسار الهروى فى تفاحة معضوضة

تفاحة قد عضها قمر * عمدا ومسك موضع العضه * وكأن عضته ممسكة
صدغ أحاط بوجنة غضه * وكأنما نونان قد كتبا * بالمسك فى كرة من الفضه

وله أيضا   وبدا لنا بدر الدجى والليل قد * شمل الانام بفاضل الجلباب
غطى الكسوف عليه الالمعة * فكأنه حسناء تحت نقاب

وله فى النرجس   ونرجس غادرنى * ما بين عجب وعجب   كطابق من فضة * عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن ابراهيم بن بليطة

أحبب بنور الاقاح نوارا * عسجده فى لجينه حارا
كأن ما اصفر من موسطه * عليل قوم أتوه زوارا
كأن مبيضه صقالبه * كانوا مجوسا فاستقبلوا نارا
كأنه ثغر من هويت وقد * وضعت فيه بفى دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضا

كأن شمسته من فضة حرست * خوف الوقوع بمسمار من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضا

والاقحوانة تحكى ثغر غانية * تبسمت فيه من عجب ومن عجب * كشمسة من لجين فى زبرجدة
قد شرفت تحت مسمار من الذهب * والشقائق جمر فى جوانبها * بقية الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد

أما ترى شجرات الورد مظهرة * منها بدائع قد ركبن فى قضب * أوراقها حمر أوساطها جمم

غلام ومعه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبته وقال افتح الطاق الذى يليك ففتحته فاذا بكوز زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى ما ط انظرهما فى الظلام قد نجما فقلت

كأرنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت

فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة

فقلت

وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته (وأخبرنى) رجل من التجار يعرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى قال سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة وأشعار مستحسنة السبك ووجدت فى جملتها لما دخلت بجاية عند عبورى اجتزت فى بعض الايام بصديق لى من المعلمين وهو فى مكتبه وصبيانه قد حفوا به فأحضر صبيا منهم وقال لى اختبره فانه يقول الشعر الجيد فقلت له أجز وشادن ذى شطاط

صفر ومن حولها خضر من الشطب * كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب

ولأبي الحكم مالك بن المرحل يصف قصر الليل وأجاد

وعشية سبق الصباح عشاؤها * قصرا فما أمسيت حتى أسفرا * مسكية لبست حلي ذهبية

وجلا تبسمها نقابا أحمرا * وكأن شهب الرجم بعض حليها * عثرت به من سرعة فتكسرا

وما أحسن قول صفوان بن ادريس من أبيات

والورد في شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء

وما ألطف قول بعضهم وشادن أبصرته راكبا * في كفه جوكانه يلعب

كالبدر فوق البرق في كفه * هلاله والأكرة الكوكب

ومثله قول الصفي الحلي ولم أدر أيهما أخذ من الآخر

ملك بروض فوق طرف ضاربا * بعصا الصولجان حذاه ضرابا

فكأن بدرا في سماء راكبا * برقا يزحزح بالهلال شهابا

ومن بديع التشبيه قول الاستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخيري دولاب

لله دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد أينعت أفنانا

قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الألحانا

فكأنه دنف يدور بمعهد * يبكي ويسأل فيه عمن بانا

ضاقت مجاري طرفه عن دمعه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

وباب التشبيه واسع جدا تضيق الطاقة عن حصره وهذا القدر كاف فيه

(شواهد الاستعارة)

﴿لدى أسد شاكي السلاح مقذف﴾

قائله زهير بن أبي سلمى من قصيدته السابقة في شواهد الايجاز وسيأتي كاملا فيما بعد وقبله

لعمري لنعم الحي جر عليهم * بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم

وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم

وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي * عدوي بألف من ورائي ملجم

فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها أيضا

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين عاما لا أبا لك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وشاكي السلاح وشاكه وشائكه حديده والمقذف الذي يقذف به كثيرا الى الوقائع أو الذي رمي باللحم رميا (والشاهد فيه) الاستعارة التحقيقية فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر محقق حسا

﴿قامت تظللني من الشمس * نفس أعز علي من نفسي﴾

﴿قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس﴾

البيتان لابن العميد وهما من الكامل قالهما في غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس وقال ابن النجار في تاريخه قرأت على اسمعيل بن سعد الله أنبأنا أبو بكر بن علي التاجر قال أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الواعظ في ولده أبي العباس لانه كان يقوم اذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال

فقال نجي لهو رباطي

فقلت موكل بضميري

فقال معلق بنياطي

فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه ثم تمادى الأمر فاشتهر بقول الشعر فنمي الى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه وأنه قال فيه

بلد مظلم وملك ظلوم

وهما فيح جنة وجحيم

هو فيها كالك والقيم

نحبها المجرمون وهو الجحيم

فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه فأنكره وقال انما قلت

عز جاني فذا مناخ كريم

هذه جنة وهذا نعيم

هذه الجنة التي وعد الله

وهذا صراطه المستقيم

فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه * قال المخبر بهذه الحكاية ثم تقصيت عن المنزل فقيل لي انه كان منزل أبي الصلت حين قدومه الى مصر (قرأت) في بعض المجاميع أن شاعرا من أهل تنس من بلاد افريقية قصد المعتمد على الله ابن عباد وهو بسبتة أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجاد به فوصف له بخضر فأنشده فقال هذا يصلح لمنادمتنا الليلة وأمر بامساكه فسبق وجرى في المجلس حديث فرس أدهم كان مشهورا بالأندلس وعز بالمحل عند المعتمد واتفق

ألفى أباه بذلك الكسب يكتسب * لان أباه عبد الله الملقب بكاه كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة وكان قد
تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النقرس فى قدميه وفيه
يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه اذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره
ليقوم مقامه

يا ذا الذى ركب المحفة له جامعا فيها جهازه
أترى الاله يغيثنى * حتى يريفيها جنازه

ولم تطل الايام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه وبعد وفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج الى المعالى ويزداد فضلا وبراعة على الايام والليالى حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء وانتجعه الشعراء وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصائد المشهورة التى منها يقول

من مبلغ الاعراب أنى بعدها * شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فأضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الاله نفوسهم والاعصرا

ومنها

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتوا فذلك اذ أتيت مؤخرا
بأبى وأمى ناطق فى لفظه * ثمن تباع له القلوب وتشترى
قطف الرجال القول قبل نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده فمنها قوله فيه

من لقلب يهيم فى كل وادى * وقتيل للحب من غير وادى
انما أذكر الغوانى والمقصد * سعدى تكثرا للسواد
واذا ما صدقت فهى مرامى * ومرادى وروضتى ومرادى
وندى ابن العميد انى حميد * من هواها أليـة الامجاد
لو درى الدهر أنه من بنيه * لازدرى قدر سائر الاولاد
أو رأى الناس كيف يهتز للجود * لما عدوه فى الاطواد

وله أيضا

قالوا ربيعك قد قدم * فلك البشارة بالنعم
قلت الربيع أخو الشتا * ء أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذى بنواله * يغنى المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميد اذا فقالوا لى نعم

ولبعضهم فيه عند انتقاله الى قصر جديد قد بناه وهو مستبدع

لا يعجبنك حسن القصر تنزله * فضيلة الشمس ليست فى منازلها
لو زيدت الشمس فى أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيأ فى فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره (فصل من رسالة كتب بها الى أبى العلاء السروى) كتابى جعلنى الله تعالى فداك وأنا فى جد وتعب منذ فارقت شعبان وفى جهد ونصب من رمضان وفى العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حر لو أن اللحم يصلى ببعضه غريضا أتى أصحابه وهو منضج ومختص بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه الحرباء عن التحنف ويزويه عن التنصر ويقبض يده عن امساك ساق وارسال ساق ويترك الجأب فى شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب ويغادر الوحش قد مالت هواديها

سجود الدى الارطى كأن رؤسها * علاها صداع أو فواق يصورها

اجتمعت به ليلة وكان نديمنا فيها فتى راميا وضىء الوجه فقلت له مستخبرا قريحته وسالكا به من التصنع غير مذهب أجزما أقول

نشبت نشائب حب هذا الناشب

فقال

بحشى حشاه نار وجد غالب

فقلت

تصمى رمايته القلوب كأنما

فقال

يرمى الورى عن قوس ذاك الحاجب

قال الشيخ أبو الفضل فقلت انما تظهر القرائح فى التشبيه ونظرت الى السماء فاذا الجوزاء متوسطة فقلت

وكأنما الجوزاء فى وسط السما

فقال

در تناثر من قلادة كاعب

قال الشيخ أبو الفضل ومررت به يوما وهو مطرق بفكر فقلت

أراك تصنع شعرا

فقال نعم لحبى بدرا

فقلت قد حار وصفى فيه

فقال فتركى الوصف أحرى

فقلت هذا على أن ذهنى

فقال من عاصف الريح أجرى

(وأخبرنى) العماد أبو حامد قال روى السمعانى فى تاريخه عن محمد بن على بن أحمد بن جعفر بن الحسين البندنيجى أنه قال سمعت والدى يقول سمعت عم والدى أبا سعيد عقيل بن الحسين يقول أتانى آت فى المنام فقال هل لك أن تصرع وأتم

كما قال الفرزدق   ليوم أتى دون الظلال شموسه * تظل المها صورا جماجمها تغلي
كما قال مسكين الدارمي   وهاجرة ظلت كأن ظباءها * اذا ما اتقتها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها * كما لاذ من وخز السنان طريد
ويمنو بأيام تحاكي ظل الرمح طولا وليال كابهام القطاة قصرا ونوم كلا ولا قلة وكحسو الطائر من الماء الثماد دقه وكتصفيقة الطائر المستحر خفة
كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت
وكنقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع العنب وأحمد الله تعالى على كل حال وأسأله أن يعرفني بركته ويلقيني الخير في أيامه وخاتمته وأرغب الى الله أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته ويزيل بركة الطول من ساعاته ويرد على غرة شوال فهي أسر سائر الغرر عندي وأقر العين ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر وأظلم من الكفر وأنحف من مجنون بني عامر وأضنى من قيس بن ذريح وأبلى من أسير الهجر ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ويحط من الاجسام نوءها كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويرينيه مغمورا والنور مقمور الظهور قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ويبعث اليه الارضة ويهدي اليه السوس ويغري به الدود ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ويجتنبه بالذر ويجعله من نجوم الرجم ويرى به مسترق السمع ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دوره ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ويفعل به فعله بالتكلان ويصنع به صنيعه بالالوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بضوءه وتهتك بطلوعه ويرحم الله عبدا قال آمينا وأستغفر الله جل وجهه مما قلته ان كرهه وأستعفيه من توفيق لما يذمه وأسأله صفحا يفيضه وعفوا يسبغه وحالي بعد ما شكوت صالحة وعلى من تحب وتهوى جارية ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر * ومن فصوله القصار الجارية مجرى الامثال * قوله متى خلصت الدهر حال من اعتوار أذى وصفا فيه شرب من اعتراض قذى خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب المرء أشبه شيء بزمانه وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه المرء يبذل ماله في اصلاح أعدائه فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه هل السيد الا من تهابه اذا حضر وتغتابه اذا أدبر اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل المرح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر وخلان اذا ألقحا لم ينتجا غير الشر * ومما أخرج له من الشعر قوله

آخ الرجال من الاباعد والاقارب لا تقارب * ان الاقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وكتب الى العلوي   يامن تخلى وولى * وصد عني وملا

وأوسع العهد نكثا * واتبع العقد حلا   ماكان عهدك الا * عهد الشبيبة ولى
أو طائفا من خيال * ألم ثم تولى   أو عارضا لاح حتى * اذا دنا فتدلى
ألوت به نسمات * من الصبا فتخلى   أهلا بما ترتضيه * في كل حال وسهلا
ليجزينك ودي * بمثل فعلك فعلا   ان شئت هجرا فهجرا * أو شئت وصلا فوصلا
صبرت عني فانظر * ظفرت بتصبر أملا   اني اذا الخل ولى * وليته ما تولى

وكتب الى أبي الحسن بن هندو وأرسلها اليه صبيحة عرسه

انعم أبا حسن صباحا * وازدد بزوجتك ارتياحا   قد رضت طرفك خاليا * فهل استلنت له جماحا
وقدحت زندك جاهدا * فهل استبنت له انقداحا   وطرقت منغلقا فهل * سهل الاله له انفتاحا
قد كنت ارسلت العيو * ن صباح يومك والرواحا   وبعثت مصغية تبيـ * ـت لديك ترتقب النجاحا

أو تتمم وأصرع فقلت لا بل أمصرع وتمم فقال لي يا عيار هربت من القافية ولكن قل فقلت
هل عندكم رحمة يرجو عواطفها فقال
صب تشكت الى الشكوى جوارحه فقلت
أغلقتم كل باب في مودته فقال
وفي يدي ظبيكم كانت مفاتحه فقلت
ما أمسكت قلبه اذ لم يطر جزعا فقال
من فرط حر الجوى الا جوانحه
ثم استيقظت (وأخبرني) القاضي الاعز أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى قال أخبرني والدي قال كان الصالح طلائع بن رزيك الوزير لا يزال يحضر مجلسه في ليالي الجمع جلساؤه وبعض أمرائه لسماع قراءة مسلم والبخاري وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذي يقرأ رجلا أبخر فلعهدي وقد حضر المجلس مع الامير علي بن الزبير والقاضي الجليس أبي محمد عبد العزيز ابن الحباب وقد أمال وجهه الى القاضي المهذب ابن الزبير وقال له
وأبخر قلت لا تجلس بجنبي
فقال الامير
اذا قابلت بالليل البخاري
فقال الجليس ولم قال
فقلت وقد سئلت بلا احتشام

فقدت علىّ جملة * لم ترانى الا اقتضابا وشكت الىّ خلاخلا * خرساوأوشحة فصاحا
منعت وساوسها المسا * مع ان تحس لكم صياحا

وللصاحب ابن عباد فى هذا المعنى الاّ انه أقرب فى التصريح

قلبى على الجمرة يا أبا العلا * فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل سككت الختم من كيسه * وهل كحلت الناظر الاكحلا
ان قلت يا هذا نعم صادقا * أبعث نثارا يملأ المنزلا
وان تجبنى من حياء بلا * أبعث اليك القطن والمغزلا

ولابن العميد فى المغنى القرشىّ

اذا غنانى القرشىّ يوما * وعنانى برؤيته وضربه
وددت لو ان أذنى مثل عينى * هنالك وان عينى مثل قلبه

وللوزير المهلبى فيه أيضا اذا غنانى القرشى * دعوت الله بالطرش
وان أبصرت طلعته * فوالهفى على العمش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد هندو وأبو القاسم بن أبى الحسين وأبو الحسين بن فارس وأبو عبد الله الطبرى وأبو الحسن البديهى فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم تعالوا نتجاذب أهداب وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبتدئ فعل فابتدأ وقال وأترجة فيها طبائع أربع فقال أبو محمد وفيها فنون اللهو والشرب أجمع فقال أبو القاسم يشبهها الرائى سبيكة عسجد فقال أبو القاسم ابن أبى الحسين على أنها من فأرة المسك أضوع فقال أبو عبد الله وما اصفر منها اللون للعشق والهوى فقال أبو الحسن ولكن أراها للمحبين تجمع

وكان ابن العميد متفلسفا متهما برأى الاوائل ويقال انه كان مع فنونه لا يدرى الشرع فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخنس ثم قطع على المتكلم فيه وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ولم يكن الكتاب بذاك ولكن جعس الرؤساء خبيص وصنان الاغنياء ند وتوفى فى سنة ثمانية وستين وقام ابنه على أبو الفتح ذو الكفايتين مقامه اذ هو ثمرة تلك الشجره وشبل ذلك القسوره (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق قول الشاعر

ان السرىّ اذا سرا فبنفسه * وابن السرىّ اذا سرا أسراهما

وكان نجيبا ذكيا لطيفا سخيا رفيع الهمة كامل المروءة تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته وخرج حسن الترسل متقدم القدم فى النظم آخذا من محاسن الادب بأوفر الحظ ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال وعلى مدى بعيد من الاكتهال وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ابن بويه لقب بذى الكفايتين وعلا شأنه وارتفع قدره وطاب ذكره وجرى أمره أحسن مجرى الى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبى الفتح الى ماسيذكر قريبا بمشيئة الله تعالى وعونه ومن طرف أخباره ان أباه كان قد قيض جماعة من ثقاته فى السر يشرفون على ولده الاستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وأفعاله وينهون اليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله فرفع اليه بعضهم ان أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الاحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شديدة واحتياط تام وانه فى تلك الحال كتب رقعة الى بعض أصدقائه فى استهداء الشراب فحمل اليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشموم فدس أبوه الى ذلك الانسان من أتاه بالرقعة فاذا فيها بخطه بسم الله الرحمن الرحيم قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاك يا سيدى ومولاى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام فاستطير الاستاذ فرحا واعجابا بهذه الرقعة

لانك دائما من فيك خارى

(قال على بن ظافر) أخبرنى أيضا هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه قالا جلسنا فى بعض الايام لاجتناء زهر المحادثه واقتناء در المنافثه فسمعنا صوت شبابة تذكر الاشيب الهرم زمان الشبيبه وتحرك من الحرف الهم غزله وتشبيبه وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الاشواق وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق الى الفراق فقال شهاب الدين

وشبابة شبت لظى الشوق فى قلبى

فقال الاعز

تذكرنى عهد الصبابة والحب

فقال شهاب الدين

حبتنى على بعد بترجيعها الصبا

فقال الاعز

فأحيت فؤادى المستهام على قرب

(وأخبرنى) الشهاب قال انفردت ببوصير يوما بالفقيه رضى الدين أبى اسحق بن عبد البارى رحمه الله وكنا خرجنا اليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه الله وكان قد مضى اليها متنزها فجاس الينا غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين كانوا فى خدمته حسن الوجه ثم انصرف فقال الرضى

لله يوم مضى ببوصير

فقلت

البديعة وقال الآن ظهر لى أمر براعته ووثقت بجريه فى طريقى ونيابته منابى ووقع له بألفى دينار
﴿وحكى﴾ أبو الحسين بن فارس قال كنت عند الاستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات
الهاجرة فقال لى ما قول الشيخ فى قلبه فلم أحر جوابا لأنى لم أفطن لما أراد ولما كان بعد هنية أقبل رسول
والده الاستاذ يستدعينى الى مجلسه فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكا الىّ وقال ما قول الشيخ فى قلبه فبهت
وسكت ومازلت متفكرا حتى تنبهت انه يريد الخيش وكان من يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه أتاه
بتلك اللفظة فى تلك الساعة فأفرط اهتزازه لها وقرأت صحيفة السرور فى وجهه ثم أخذت أتحفه بنكت
نظمه ونثره فكان مما أعجب به وأستضحك له رقعة له وردت علىّ وصدرها وصلت رقعة الشيخ أصغر من
عنفقة بقة وأقصر من أنملة نملة قال أبو الحسين وجرى فى بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس
الاستاذ وزنها واستحلى رويها وأنشد كلّ من الحاضرين ما حضره على ذلك الروىّ وهو قول القائل

لئن كففت عنى والا * شققت منك ثيابى

فأصغى الاستاذ أبو الفتح ثم أنشد فى الوقت وقال

يامولعا بعذابى * أما رحمت شبابى
تركت قلبى قريحا * نهب الأسى والتصابى
ان كنت تنكر مابى * من ذلتى واكتئابى
فارفع قليلا قليلا * عن العظام ثيابى

وله من نوروزية

ابشر بنوروز أتاك مبشرا * بسعادة وزيادة ودوام
واشرب فقد حلّ الربيع نقابه * عن منظر متهلل بسام
وهديتى شعر عجيب نظمه * ومديحه يبقى على الايام
فاقبله واقبل عذر من لم يستطع * اهداء غير نتيجة الافهام

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة

عودى وماشيبتى فى عودى * لاتعمدى لمقاتل المعمود
وصليه مادامت أصائل عيشه * تثويه فى ظلّ لها ممدود
مادام من ليل الصبا فى فاحم * رجل الذرى متهدّل العنقود
قبل المشيب وطارقات جنوده * يبدلنه يققا بسحم سود

ومن شعره

أبن لى من يفى بشكر الليالى * اذ أضافت خيالها وخيالى
لم يكن لى على الزمان اقتراح * غيرها منية تجاذبها لى

ومنه

اذا أنا بلغت الذى كنت أشتهى * وأضعافه ألفا فكلنى الى الخمر
وقل لنديمى قم الى الدهر واقترح * عليه الذى يهوى وكلنى الى الدهر

يحكى أنه سرّ يوما وطلب الندماء وهيأ مجلسا عظيما بآلات الذهب والفضة والمغانى والفواكه وشرب بقية
يومه وعامّة ليلته ثم عمل شعرا وغنوه به وهو هذا

دعوت الغنا ودعوت المنى * فلما أجاب دعوت القدح
اذا بلغ المرء آماله * فليس له بعدها مقترح

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وابعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره ثم طرب بالشعر
وشرب الى أن سكر وقال غطوا المجلس لأصطبح عليه غدا وقال لندمائه باكرونى ثم نام فدعاه مؤيد الدولة
فى السحر وقبض عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله وكان من خبر ذلك أنه لما توفى ركن الدولة وقام بعده ولده
مؤيد الدولة مقامه خليفة لاخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان الى الرىّ ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد
فخلع على أبى الفتح هذا خلع الوزارة وألقى اليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته فى الكتابة لمؤيد الدولة
والاختصاص به وشدّة الحظ لديه فكره أبو الفتح مكانه وأساء به الظن فبعث الجند على أن يشغبوا عليه
وهموا بايقاع الاهانة فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسرّ فى نفسه الموجدة على أبى الفتح وانضاف
الى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده عليه أشياء كثيرة فى أيام أبيه وبعدها منها ميله الى عز الدولة بختيار ومنها

والعيش صفو بغير تكدير
فقال
تدعنا فيه شادن غنج
فقلت
مكتحل جفنه بتفتير
(قال علىّ بن ظافر) وجلست
مع الشهاب يوما بالجامع
الانور بالقاهرة لانتظار
الجمعة وكان يجلس بالقرب
من مكاننا صبى رضى نهب
وجهه وشعره من البدر نوره
ومن الليل ديجوره
واغتصب طرفه وعطفه
من الظبى كحله ومن
الغصن تميله ينعت بالشمس
فتأخر حضوره يوما فتعاطينا
القول فى غيبته فقلت
فدى الذى غاب فغاب السرور
فقال الشهاب
واتسع الهمّ بضيق الصدور
فقلت
وأظلم الانور من بعده
فقال الشهاب
وليس بعد الشمس للافق نور
(واتفق لى) انى اجتمعت ليلة
مع القاضى أبى الحسن بن
النبيه ومعنا جماعة من
شعراء مصر فأنشدهم قول
مؤيد الدين الطغرائى فى
الهلال
قوموا الى لذاتكم يانيام
وأترعوا الكاس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا
بمنجل يحصد شهر الصيام
فقال المذكور لو شبهه بمنجل
ذهب يحصد نرجس النجوم
لكان أولى ثم قال نظما

ميل الفؤاد اليه بل غلوهم فى موالاته ومحبته ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته واجتمع رأى الآخرين على اعتقاله وأخذ أمواله ولما قبض عليه بدرت منه كلمات أيضا نقلت الى عضد الدولة فزادت فى استيحاشه منه وأنهض من حضرته من طالبه بالاموال وعذبه بأنواع العذاب ويقال انه سمل احدى عينيه وقطع أنفه وجز لحيته وفى تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن فى صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب

بدّل من صورتى المنظر * لكنه ما غير المخبر
ولست ذا حزن على فائت * لكن على من بات يستعبر
ووالله القلب لما مسنى * مستضبر عنى ولا يخبر

(وحدث) أبو جعفر الكاتب قال كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين فى أكثر أوقاته ولست أدرى أهما له أم لغيره وهما

سكن الدنيا أناس قبلنا * رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا * ونخليها القوم بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وانه لا ينجو منهم ببذل المال مد يده الى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها فى كانون كان بين يديه ثم قال للموكل به المأمور بقتله اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالى المستورة الى صاحبك الدرهم الواحد فما زال يعرضه على العذاب ويمثل به حتى تلف وفيه يقول بعض الشعراء المتعصبين له

آل العميد وآل برمك مالكم * قلّ المعين لكم وقلّ الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له * ان الزمان هو المحب الغادر

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

﴿ لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر ﴾

البيت لابى الحسن بن طباطبا العلوىّ من المنسرح وقبله

يا من حكى الماء فرط رقته * وقلبه فى قساوة الحجر
ياليت حظى كحظ ثوبك من * جسمك يا واحدا من البشر

وبعده البيت ورأيته بلفظ قد زرّ كتانها على القمر

ولعله أبلغ فى المراد والغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب (والشاهد فيه) ما فى البيت الذى قبله لانه لو لم يجعله قمرا حقيقيا لما كان للنهى عن التعجب معنى لان الكتان انما يسرع اليه البلى بسبب ملازمته القمر الحقيقى لا بسبب ملابسة انسان كالقمر حسنا ورد كون الاستعارة مجازا عقليا بأن ادّعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له للعلم الضرورىّ بأنها مستعملة فى الرجل الشجاع مثلا والموضوع له هو السبب المخصوص وأما التعجب والنهى عنه فى البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا حتى ان كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا ﴿وأبو الحسن بن طباطبا﴾ اسمه محمد بن حمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو شاعر مفلق وعالم محقق مولده باصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله عقب كثير باصبهان فيهم علماء وأدباء ومشاهير وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد وله من المصنفات كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولم يسبق الى مثله ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ليس فيها راء ولا كاف أولها

يا سيدا دانت له السادات * وتتابعت فى فعله الحسنات

يقول منها فى وصف القصيدة

ميزانها عند الخليل معدّل * متفاعلن متفاعلن فعلات

انظر الى حسن هلال بدا
فقلت
يذهب من أنواره حندسا
فقال
كمنجل قد صيغ من عسجد
فقلت
يحصد من شهب الدجا نرجسا
ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين يدركهما الناقد البصير فقلت
أما ترى الهلال يخفى أنجم الافق بنور وجهه الوسيم
كمنجل من ذهب يحصد من روض الظلام نرجس النجوم

(ومن التمليط الواقع بين شاعرين ببيت لبيت) ويسمى هذا النوع الانقاذ ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بحماد الراوية قال تحرك كعب بن زهير لقول الشعر فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستمكن شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه فى ذلك فيغلبه فلما طال عليه أخذه فحبسه ثم قال والذى أحلف به لا يبلغنى أنك قلت بيتا الا نكلت بك فبلغه أنه يقول فضربه ضربا مبرّحا ثم أطلقه وسرّحه فى بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرعا ثم روّح عشية وهو يرتجز

كأنما أحدو ببهمى عيرا
من القرى موقرة شعيرا

فغضب زهير فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يتعنته ليعلم ما عنده من الشعر فقال

لو واصل ابن عطاء البانى لها * تليت توهم أنها آيات

ومن شعره يهجو أبا على الرستمى و يرميه بالدعوة والبرص

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بهاعلوت الرؤسا

جئت فردا بلا أب و بمنا * لك بياض فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبى المطاع ناصر الدولة ابن حمدان فى معنى البيت المستشهد به

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستى المعروف بالغزال فيه من قصيدة يصف الساقى

ومشى بكأن نخات عنا كبا * تسحبت على الياقوت ثوب قتام

اعجب ببدر سالم كتانه * وبه يحترق أنفس الأقوام

ومثله قول الآخر كيف لا تبلى غلائله * وهو بدر وهى كتان

﴿فان تعافوا العدل والايمانا * فان فى أيماننا نيرانا﴾

قائله بعض العرب من الرجز (والشاهد فيه) ذكر القرينة فى الاستعارة لانها مجاز ولا بد لها من قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوع له وهى اما أمر واحد أو أكثر وهو هنا قوله تعافوا فان تعلقه بكل من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف أى سيوفا تلمع كشعل النيران لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجؤن الى الطاعة بالسيوف

﴿وصاعقة من نصله تنكفى بها * على أرؤس الاقران خمس سحائب﴾

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل أولها

هبيه لمنهل الدموع السواكب * وهبات شوق فى حشاه لواعب

والافرذى نظرة فيه تهبى * لمافيه أولا تحفلى بالعجائب

وهى طويلة والرواية فيه وصاعقة فى كفه كما فى الديوان وبعده

يكاد الندى منها يفيض على العدا * لدى الحرب فى ثنى قنا وقواضب

والصاعقة الموت وكل عذاب مولك وصيحة العذاب والمخراق الذى بيد الملك سائق السحاب ولا يأتى على شئ الا أحرقه أو نار تسقط من السماء والانكفاء الانقلاب والارؤس جمع رأس والاقران جمع قرن وهو الكفؤ (والشاهد فيه) مجىء القرينة معانى ملتئمة مربوطة بعضها ببعض ويكون الجميع قرينة لا كل واحد فهنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب أى يصبها على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها وأراد بأرؤس الاقران جمع الكثرة بقرينة المدح لان كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر فهنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هنالك صاعقة وبين انها من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذى هو عدد الانامل فظهر من جميع ذلك انه أراد بالسحائب الخمس الانامل

﴿واد الحنبى قربوسه بعنانه﴾

قائله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب وانه اذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه وتمامه

علك الشكيم الى انصراف الزائر والقربوس بفتح الراء ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر وهو حنو السرج وهما قربوسان والعنان بكسر العين سير اللجام الذى تمسك به الدابة والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله وهو

زهير حين برز من الحى منشدا

وانى لتعدينى على الهم حسرة تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال أجز لكع فقال

كبنيانة القرئى موضع رحلها وآثار نسعيها من الدم أبلق

فقال زهير

على لاحب مثل المجرة خلته اذا ما علا لانشز امن الارض يهرق

ثم ضربه وقال أجز فقال

منير هداه ليله كنهاره جميع اذا يعلوا الحزونة أفرق

قال فبدا به زهير فى وصف النعام ونزل عن حركة القاف يتعنته بذلك ليعلم ما عنده فقال

وظل بوعساء الكثيب كأنه خباء على صفياء بوان مورق

بوان عود من أعمدة البيت فقال كعب

تراخت به خب الضحى وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير

يحن الى مثل الحبابير جثم لدى منتج من بيضها المتفلق

الحبابير جمع حبارى و يجمع أيضا على حباريات فقال كعب

تحطم عنها بيضها عن خراطم وعن حدق كالنبخ لم يتفلق

النبخ الجدرى شبه عيون أولاد النعام به قال فأخذ زهير بيده وقال قد أذنت

عودته فيما أزور وحبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر

(والشاهد فيه) الاستعارة الخاصة وهي الغريبة والغرابة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا الى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي ممتدا الى جانبي ظهره وساقيه بثوب أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه ومن الاستعارات الغريبة قول طفيل الغنوي

وجعلت كوري فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

وكذا قول الاستاذ ابن المعتز

حتى اذا ما عرف الصيد أنصار * وأذن الصبح لنا بالابصار

وقول جرير

تحيي الروامس ربعها فتجده * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبي نواس

بعثن خد لم يغض ماؤه * ولم تخضه أعين الناس

وقوله أيضا

فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

(وسالت بأعناق المطي الاباطح)

قائله كثير عزة من قصيدة من الطويل وصدره أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا

وقبله

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهاري رحالنا * ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

وقيل الابيات لابن الطثرية وذكر الشريف الرضي في كتابه غرر الفرائد قال أنشدني ابن الاعرابي للضمري وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى

ومازلت أرجو نفع سلمى وودها * وتبعد حتى ابيض مني المسائح

وحتى رأيت الشخص يزداد مثله * اليه وحتى نصف رأسي واضح

علا حاجبي الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح وبارح

وهزة أظعان عليهن بهجة * طلبت وريعان الصبابي جامح

فلما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطح

وشدت على حدب المهاري رحالها * ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت * بهن الصحاري والسناح الصحاصح

والاباطح جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى والمعنى لما فرغنا من أداء مناسك الحج ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع وشددنا الرحال على المطايا وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال أخذنا في الاحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير (والشاهد فيه) حصول الغرابة في الاستعارة العامية بتصرف فيها فانه استعار سيلان السيول الواقعة في الاباطح لسير الابل سيرا عنيفا حثيثا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامي لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو وسالت الى الاباطح دون المطي أو اعناقها حتى أفاد انه امتلأت الاباطح من الابل وأدخل الاعناق في السير لان السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالبا في الاعناق ويتبين أمرهما في الهوادي وسائر الاجزاء يستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون الى نصرته كالسيل وكما أن ادخال الاعناق في السير أكد كلا من الرقة والغرابة في الاول أكده هنا تعدية الفعل الى ضمير الممدوح بعلى لانه يؤكد مقصوده من كونه

لك في قول الشمر يابني
فلما ترك وانتهى الى أهله قال
قصيدته وهو صغير يومئذ
وهي أول شعر روي له
أبيت فلا أهجو الصديق
ومن يبع
لعرض أبيه في المعاشر ينفق
(ومن ذلك) ما أنبأني به
الشيخان الشيخ الاجل
العلامة تاج الدين الكندي
والشيخ الفقيه جمال الدين
الخرستاني قالا أخبرنا الشيخ
الحافظ أبو القاسم بن عساكر
سماعا عليه أخبرنا أبو العز
ابن كادش أخبرنا أبو يعلى
ابن الفراء أنبأنا أبو القاسم
اسمعيل بن سعيد بن المعدل بن
سويد أنبأنا أبو علي الحسين
ابن القاسم بن جعفر الكوكبي
أنبأنا دعبل بن ذكوان أخبرنا
الثوري عن الاصمعي عن
ابن أبي طرفة قال جلس
حسان بن ثابت ليلة ومعه
ابنته ليلى فجعل يريد شعرا
يقوله فقال
متاريك أذناب الامور
اذا اعترت
تركنا الفروع واجتثثنا
أصولها
ثم جعل يريد الزيادة فلم يقدر
فقالت له ابنته كأنك قد
أجبلت قال نعم قالت أفأجيز
عنك قال نعم فقالت
مقاويل بالمعروف خرس
عن الخنا
كرام يعاطون العشيرة سولها
فحمي حسان فقال

مطاعا فى الحى (وكثير عزة) هو عبد الرحمن بن أبى جمعة الاسود بن عامر بن عويمر أبو صخر الخزاعى الشاعر المشهور أحد عشاق العرب وانما صغروه لانه كان شديد القصر * حدث الوقاصى قال رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه وكان اذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له طأطئ رأسك لا يصيبه السقف وكان يلقب زب الذباب وعن أبى عبيدة قال كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر منهم ابن أبى عتيق فجاءه لاخذ درهميه على حمار له أعجف قال وكثير مع ابن أبى عتيق فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق من هذا الذى معك قال أبو صخر كثير بن أبى جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر قال لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ودعا له بهما فأخذهما وقال لا بد لى من هجائه ببيت قال وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين فدعا له بهما فأخذهما أيضا وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه قال وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا فقال له كثير ائذن له وما عسى أن يقول فى بيت واحد قال فأذن له ابن أبى عتيق فقال

قصير القميص فاحش عند بيته * يعض القراد باسته وهو قائم

قال فوثب اليه كثير فلكزه فسقط عن الحمار فخلص ابن أبى عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتسفه عليه فقال كثير وأنا ما ظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله وكان كثير يقول بتناسخ الارواح وكان يدخل على حمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفينى ولا تكرمينى حق كرامتى قالت بلى والله انى لاعرفك قال فمن أنا قالت فلان ابن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه فقال قد علمت أنك لا تعرفينى قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى وكان يقرأ فى أى صورة ما شاء ركبك وكان يؤمن بالرجعة ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال له كثير أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه مالك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك والله لا أعودك ولا أكلمك أبدا وكان شيعيا غاليا فى التشيع وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم اذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ويقول أنا نبى الانبياء الصغار وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى انى لاعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لانه كان خشبيا يؤمن بالرجعة (وحدث) رجل من مزينة قال ضفت كثير الليلة وبت عنده ثم تحدثنا وغنا فلما طلع الفجر تضور ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال يا جارية أنجزى لى ماء أى سخنى قال فقلت تبا لك سائر اليوم وبعده وركبت راحلتى وتركته وكان كثير عاقا لابيه وكان أبوه قد أصابته قرحة فى اصبع من أصابع يديه فقال له كثير أتدرى لم أصابتك القرحة فى اصبعك قال لا أدرى قال مما ترفعها الى الله فى عين كاذبة (وعن) طلحة بن عبيد الله قال ما رأيت أحمق من كثير دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيرا ما نهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا فقلت له كيف تجدك يا أبا صخر وهو مريض فقال أجدنى ذاهبا فقلت كلا فقال هل سمعت الناس يقولون شيأ قلت نعم يتحدثون بأنك الدجال قال أما لئن قلت ذلك فانى لاجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام (وعن) عبد العزيز بن عمر رحمهما الله ان اناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزؤن بكثير فيقولون وهو يسمع ان كثيرا لا يلتفت من تيهه فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضى فى قميص وكان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره قال له يوما كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين قال أراه يسبق السحر ويغلب الشعر وقال عبد الملك له يوما من أشعر الناس يا أبا صخر قال من يروى أمير المؤمنين شعره فقال له عبد الملك انك لمنهم (وحدث كثير) قال ما قلت الشعر حتى قولته قيل له وكيف ذاك قال بينا أنا نصف النهار أسير على بعير لى بالغميم أو بقاع حمران اذ راكب قد دنا الى حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الارض

وقافية مثل السنان وزينة
تناولت من جو السماء نزولها
فقالت
يراها الذى لا ينطق الشعر عنده
ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال والله لا قلت بيت شعر ما دمت حية قالت أوأومنك قال فذاك قالت فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت (وروى) عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم فى حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها والحجاب بينهما وبينها يحدثانها ويسألانها فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع فقال مروان
فمن يشا الرحمن يخفض بقدره
وليس لمن لم يرفع الله رافع
فقال ابن الزبير
ففوض الى الله الامور اذا اعترت
وبالله لا بالاقرب بين أدافع
فقال مروان
وداو ضمير القلب بالبر والتقى
فلا يستوى قلبان قاس وخاشع
فقال ابن الزبير
ولا يستوى عبدان هذا مكذب
عتل لارحام العشيرة قاطع
فقال مروان
وعبد يجافى جنبه عن فراشه
يبيت يناجى ربه وهو راكع
فقال ابن الزبير
وللخير أهل يعرفون بهديهم

جزافقال لى قل الشعر وألقاه على قلت من أنت قال قرينك من الجن فقلت الشعر وكان أول أمره مع عزة التى يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزة وهى صغيرة فقالت له يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه الى أن ترجع فأعطاها كبشا وأعجبته فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه فقال وأين الصبية التى أخذت منى الكبش قالت وما تصنع بها هذه دراهمك قال لا آخذ دراهمى الا ممن دفعت اليه وولى وهو يقول

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أبيت الا عزة وأبرزنها له وهى كارهة ثم انها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها وعن الهيثم ابن عدى أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لاهل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الى وهى لا تعلم أنها خيمتى وكنت أبرى سهما لى فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر اليها ولا أعلم حتى بريت ذراعى وأنا لا أشعر به والدم يجرى فلما تبينت ذلك دخلت الى فأمسكت يدى وجعلت تمسح الدم بثوبها وكان عندى نحى من سمن فحلفت لتأخذنه فجاءت به الى زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمنى فى وجهى فوقفت على وهو معها فقالت لى يا ابن الزانية وهى تبكى ثم انصرفا فذلك حيث أقول

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومنه قوله فيها أيضا ودت وحق الله انك بكرة * وأنى هجان مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدى وأجرب
نكون لذى مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما ننفك نرمى ونضرب

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها أنشدته الابيات وقالت له ويحك لقد أردت بى الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه نخرج من عندها أجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزارى حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت وراعتنى لقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال الآخر تمنيت من حبى بثينة أننا * وثدنا جميعا ثم نحيى ولا أحيا

فترجع دنياها عليها واننى * بساعة ضمّيها رضيت من الدنيا

وكل امرء أماليه تليق بمعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا * وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال دفشا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمنى * قلت له سائلا بصدق * أريد فى صبح كل يوم
فتوح خير يأتى برزق * كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقول الآخر لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدوقا أمينا غير خوان

اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وما أحسن قول ابن سارة فى الامانى

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلا على ظما بردا

اذا اجتمعت عند الخطوب المجامع فقال مروان وللشعر أهل يعرفون بشكلهم تشير اليهم بالفجور الاصابع فسكت ابن الزبير ولم يجب فقالت عائشة رضى الله عنها يا عبد الله مالك لم تجب صاحبك فوالله ما سمعت تجاول رجلين تجاولا فى نحو ما تجاولتما فيه أعجب الى من تجاولكما فقال ابن الزبير انى خفت عوار القول فكففت فقالت عائشة رضى الله عنها أما ان لمروان ارثا فى الشعر ليس لك من قبل صفوان بن محرث الكنانى وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان (وروى) أبو عبد الله الجماز قال كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب عثمان اذ مر بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفى وهو غلام حسن فقال له أبو نواس قبلنى قبلة فقال لا حتى تقول فى شيأ فقال أبو نواس

حبك يا أحمد أضنانى
يا قمرا فى زى انسان

فقبله فقلت وأنا فاشأنى فقال حتى تقول فى فقلت

بذلت للاول ما يشتهى
فجد أبا العباس للثانى

فقبلنى فقال أبو نواس وهذا بيت يكون عندك دينا وأنشد

يا وردة أعجلها قاطف
مرت بنا فى باب عثمان

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائى رحمه الله تعالى

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ماأضيق العيش لولا فسحة الامل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال

وماهذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق

ولم أر عيشا مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعيش ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن

وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن

وقال آخر في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض مالا يكون

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضا

أمانى قلبى فأنت جميعه * ياليتنى أصبحت بعض منالك

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاك

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله

يمثلك الشوق الشديد لناظرى * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة

لأسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير ولآكلنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال علم الدين ايدمر المحيوى

كم لذة لأمانيا * قد حوت محكم العمل فارغات من الدنا * نير ملأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر وأن رجاء كامنا فى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى

ولقد كدت أن أهم بحمل الشهم لولا تعالى بالأمانى

وله أيضا حسب الفتى حسن الامانى انه * لايعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل مانتمنى * ماتعديته ولو بالمنون

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال غيره أعلل بالمنى قلبى لانى * أفرج بالامانى الهم عنى

وأعلم أن وصلك لايرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محياك الجميل

أصير لفرط أشواقى أيورا * لعلى أن أنيكك مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا

اذا صد الحبيب لغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكح عند صلحى * باير الفكر فى ثقب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله

لاتأسن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

(وذكر الاصبهانى فى كتاب الاغانى) قال دخل أبو نواس على عنان جارية الناطفى وهى تبكى وقد كان سيدها ضربها فأومأ اليه الناطفى أن يحركها بشئ فقال

عنان لو جدت لى فانى من * عمرى لا آمر الرسول بها

فقالت مسرعة

فان تمادى ولا تمادى فى * قطعك حبلى أكن كمن حسبها

فقال

عاقت من لو أتى على أنفس الـ * ـسابقين والغابرين ماوجها

فقالت

لو نظرت عينها الى حجر * ولد فيه فتورها سقما

(قال أبو الفرج) وقرأت فى بعض الكتب دخل بعض الشعراء على عنان فقال لها مولاها اعابثيه فقالت

سقيا لبغداد لا أرى بلدا * يسكنه الساكنون يشبهها

فقال

كأنها فضة مموهة * أخلص تمويهها مموهها

فقالت

أمن وخفض ولا كجنتها * أرغد أرض عيشا وأرفهها

فانقطع (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال قال على بن يحيى المنجم كنت عند أبى الصقر اسمعيل بن بلبل فقال

جديقيه علينا * بشكاه وبقده

فقالت

وتابعه الخالدى فقال ولاتكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال الآخر من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الألف

وقال شرف الدين القيروانى أيضا

غلف تمنوا فى البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أمانى

وقال الآخر ألا يا نفس ان ترضى بقوت * فأنت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والأمانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى

لى عجز أراح قلبى من الهم ومن طول فكرتى فى المحال

ما لباس الحرير مما أرجيه فيرجى ولا ركوب البغال

راحة السر فى التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال

وقال بعضهم وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومستفتح يغدو على ويطرق

فقدت المنى لا النفس تلهو عن المنى * لتجربة منها ولا هى تصدق

وقال الصلاح الصفدى

ألا فاطرح عنك التمنى ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق

فان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقد أكثرنا فى طول الامل وضده فلنرجع الى أخبار كثير عزة يحكى أنه خرج فى الحج بجمل يبيعه فمر بسكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ومعها عزة وهو لا يعرفها فقالت لها سكينة هذا كثير سوميه بالجمل فسامته فاستام بمائتى درهم فقالت ضع عنا كذا وكذا الشئ قليل فأبى فدعت له بتمر وزبد فأكل فقالت له ضع عنا كذا وكذا الشئ قليل فأبى أيضا فقالت له قد أكلت يا كثير ما نسألك فقال ما أنا بواضع شيأ فقالت سكينة اكشفوا فكشفوا عنها وعن عزة فلما رآها استحى وانصرف وهو يقول هو لكم هو لكم وحدث محمد بن سلام قال كان كثير يتقول ولم يكن عاشقا وكان جميل صادق الصبابة والعشق وقال أبو عبيدة كان جميل يصدق فى حبه وكان كثير يكذب فى حبه ويروى أنه نظر ذات يوم الى عزة وهى تميس فى مشيتها فلم يعرفها فاتبعها وقال لها يا سيدتى قفى لى أكلمك فانى لم أر مثلك قط فمن أنت قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لاحد فقال بأبى أنت لو أن عزة أمة لوهبتها لك قالت فهل لك فى المخاللة قال وكيف لى بذلك قالت وكيف بما قلته فى عزة قال أقلبه كله وأحوله اليك فكشفت عن وجهها وقالت أغدرا يا فاسق وانك لهكذا فأبلس ولم ينطق وبهت فلما مضت أنشأ يقول

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لى * من السم جرعات بماء الذرارح

فمت ولم تعلم على خيانة * وكم طالب للربح ليس برابح

أبوء بذنبى اننى قد ظلمتها * وانى بباقى سرها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة فاشتاق اليها فسافر ليلقاها فصادفها فى الطريق وهى متوجهة الى مصر فجرى بينهما كلام طويل الشرح ثم انها انفصلت عنه وقدمت مصر ثم عاد كثير الى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته وسكت ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله أقول ونضوى واقف عند قبرها * عليك سلام الله والعين تسفح

وقد كنت أبكى من فراقك حية * فأنت لعمرى الآن أنأى وأنزح

وقال له عبد الملك بن مروان يوما بحق على بن أبى طالب هل رأيت أحدا أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو أنشدتنى بحقك لأخبرتك بينا أنا أسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالته فقلت له ما حبسك

بجزاؤه كلما تما

ان يهان بصدّه

فقال

وقد ملا الارض طرّا

بتيهه وببرده

فقلت

يارب فامنن علينا

قبل الممات بفقده

(وذكر) محمد بن أيوب الغرناطى فى كتاب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعدّه للمجون فقال له اهج عبد الملك بن جهور أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع

لب أبو القاسم ذو لحية

طويلة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت

والعقل مافون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله فى عصرنا

لى لحية أزرى بها الطول

وابن عبير قال قول الذى

مأكوله القرضيل والفول

لولا حياءى من امام الهدى

نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال الناصر هات

ههنا فقال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هنا لأصيب لهم شيأ يكفينا ويعصمنا وها هنا أقمت هذا قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبت صيدا أتجعل لي جزأ منه قال نعم فبينا نحن كذلك وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني اليها فحلها وأطلقها فقلت ما حملك على هذا قال دخلتني لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول

أياشبه ليلى لاتراعي فانني * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ماحييت طليق

(وحدث) عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت فقال له كثير لا تبك فكأني بك بعد أربعين يوما تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعا اليكم وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال مات كثير وعكرمة رحمهما الله تعالى في يوم واحد فقيل مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ولم تتخلف امرأة ولا رجل عن جنازتيهما وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبهن فقال أبو جعفر محمد بن علي افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها قال فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل محمد بن علي رضي الله عنهما يضربهن بكمه ويقول تنحين ياصويحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهن فقالت يا ابن رسول الله لقد صدقت اننا لصويحباته وقد كنا خيرا منكم له فقال أبو جعفر لبعض مواليه احتفظ بها حتى تجيئني بها اذا انصرفنا فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرر النار فقال لها أنت القائلة انكن ليوسف خير منا قالت نعم تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله قال أنت آمنة من غضبي فأبيني قالت نحن يا ابن رسول الله دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والمتمتع والمتنعم وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأينا كان عليه أحن وبه أرأف فقال لها محمد لله درك لن تغالب امرأة الا غلبت ثم قال ألك بعل فقالت لي من الرجال من أنا بعله فقال لها صدقت مثلك من تملك زوجها ولا يملكها فلما انصرفت قال رجل من القوم هذه زينب بنت معيقب الانصارية وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله تعالى

(قتل البخل وأحيى السماحا)

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه وصدره جمع الحق لنا في امام وبعده قوله

ان عفا لم يلغ لله حقا * أو سطا لم يخش منه جناحا
ألف الهيجاء طفلا وكهلا * يحسب السيف عليه وشاحا

(والشاهد فيه) مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والاحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

(نقريهم لهذميات)

قائله القطامي ولفظه نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وهو من قصيدة من البسيط يمدح بها زفر بن الحرث الكلابي أولها

ما اعتاد حب سليمى غير معتاد * ولا تقضى بوافي دينها الصادي
بيضاء محطوطة المتنين بهكنة * ريا الروادف لم تمغل بأولاد
ما للكواعب ودعن الحياة كما * ودعنني واتخذن الشيب ميعادي
أبصارهن الى الشبان مائلة * وقد أراهن عني غير صداد
اذ باطلي لم تقشع جاهليته * عني ولم يترك الخلان تقوادي
كنية الحي من ذي القيظة احتملوا * مستحقبين فؤادا ماله فادي
بانوا وكانت حياتي في اجتماعهم * وفي تفرقهم قتلي واقصادي
يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادي
فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

تمام البيت فامتنع فقال له قله يعني تمام البيت قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابه قله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال ابن يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة

● القرصيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وشوا اسم ذكر الرجل بالرومية وقولوا اسم للاست فكأنه قال لولا حياء من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذكر استه (ذكر علي ابن ظافر) أخبرني من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي القرموني بما معناه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه وأداب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراءفا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

وهي طويلة والهذم القاطع من الاسنة وأراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الاسنة القاطعة أو أراد نفس الاسنة والتشبيه للمبالغة والقد القطع والزرد صانع الدروع (والشاهد فيه) ان مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا فان المفعول الثاني وهو اللهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة وقد تقدم ذكر القطامي في شواهد القلب والله أعلم

(غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا)

هو من الكامل وتمامه غلقت لضحكته رقاب المال وهو من قصيدة لكثير عزة وأراد بغمر الرداء كثير العطاء (والشاهد فيه) الاستعارة المجردة وهي ما قرنت بملائم المستعار له فانه استعار الرداء للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام وهو قوله اذا تبسم ضاحكا أي شارعا في الضحك آخذا فيه غلقت لضحكته رقاب المال يقال غلق الرهن في يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه وهو يريد في البيت أن ممدوحه اذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدي السائلين ومن استعارة الرداء قوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * فدونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء وما أحسن استعارة الرداء في قول أبي الوليد بن الجنان الشاطبي وهو

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وفي معنى عجز البيت قول امرئ القيس

غلقن برهن من حبيب به ادعت * سليمى فأضحى حبلها قد تبترا

وقول زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقول الوليد

ومن يك رهنا للحوادث يغلق

وقول عمر بن أبي ربيعة

وكم من قتيل لا يباء به دم * ومن غلق رهنا اذا ضمه منى

وقول أبي جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات

وهاج مبكاك بيتان ابراهيم للنجدي ذكر القطين
فترجع فساعدني على لوعتي * فان رهني غلق في الرهون

وقول أبي نصر الساجي

تشكو اليك جلتي ما نالها * فيالها ان صبرت ويالها
لانها مرهونة بحبكم * طوبى لها ان غلقت طوبى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدي مع زيادة ابهام وايهام الطباق

سهام لحظك أصمت * قلبي ولم تترفق ما تفتح الجفن الا * ورهن قلبي يغلق

(لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم)

تقدم قريبا أن قائله زهير بن أبي سلمى من قصيدة من الطويل واللبد بالكسر شعر زبرة الأسد وكنيته أبو لبد والتقليم مبالغة القلم وهو قطع الاظفار (والشاهد فيه) اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة فالتجريد قد عرف قبله والترشيح هو ما قرن بملائم المستعار منه فقوله هنا لدى أسد شاكي السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع وباقي البيت ترشيح لانه وصف يلائم المستعار منه وهو الاسد الحقيقي ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر حيث قال

لعمرك انا والأحاليف هؤلا * لفي حجبة أظفارها لم تقلم

أي نحن في حرب وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا

وبنو قعين لا محالة أنهم * آتوك غير مقلمي الاظفار

فقال ابن القبطرنة
من أجل ذلك ذاو عزة هذه
يبكي الغمام وتضحك الازهار
(قال علي بن ظافر) وأخبرني أبو يحيى بن أحمد الستولي بما معناه أخبرني كل من الاديب أبي عبد الله المتيطي وأبي العباس أحمد بن خير سبتة عشية في منار سبتة والشمس قد آذنت بالرواح ونثرت زعفرانها على مسك البطاح فقال ابن خير
عشيتنا وقد لبست رداءي
شحوب للتفرق والوداع
فقال المتيطي
فيا شمس الاصيل أراك تشكو
كشكواي أطبعك من طباعي
فقال ابن خير
فلا تجزع لعل الدهر يوما
يجود على التفرق باجتماع
(قال علي بن ظافر) وقال لي الستولي ما معناه وأخبراني أيضا أنهما مرا على صبي تجار يجر أخشاب سفينة كأن البدر يبسم عن محياه والزهر يبسم عن رياه وهو يبذل من أخشابه ما كان مصونا ويعاقبها قطع لسرقتها حركات أعطافه حين كانت غصونا فتجاريا القول فيه فقال المتيطي
ورب ظبي غرير
يروع بالهجر روعي
فقال ابن خير
ذلت له الخشب طوعا

(ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السما)

البيت لأبي تمام الطائي من قصيدة من المتقارب يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه وأولها

نعاء الى كل حي نعي * فتى العرب اختط ربع الفنا أصبنا جميعا بسهم النضال فهلا أصبنا بسهم العلا

ألا أيها الموت فجعتنا * بماء الحياة وماء الحيا فماذا حضرت به حاضرا * وماذا خبأت لأهل الخبا

نعاء نعاء شقيق الندى * اليه نعيا قليل الجدا وكانا زمانا شريكي عنان * رضيعي لبان خليلي صفا

الى أن قال يخاطب ولده أبا جعفر ليعرك الزمان * ن عزاو يكسك طول البقا

فما مزنك المرتجى بالجهام * ولا ريح نامنك بالجربيا

فلا رجعت فيك تلك الظنون * حيارى ولا انسد شعب الرجا

وقد نكس الثغر فابعث له * صدور القنا في ابتغاء الشفا

فقد مات جدك جد الملوك * ونجم أبيك حديث الضيا

ولم ترض قبضته للحسام * ولا حمل عاتقه للوى

فما زال يقرع تلك العلا * مع النجم مرتديا بالعما

وبعده البيت وهي قصيدة طويلة وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه (والشاهد فيه) أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه حتى ان المرشح يبني على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء الى السماء فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على انكاره فيجعله صاعدا في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ومثله قول بشار

أتتني الشمس زائرة * ولم تك تبرح الفلكا

وقول ابن الرومي يمدح به بني نوبخت

شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى أن بلغتم زحلا

وقول أبي الطيب المتنبي أيضا

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

وقول الآخر ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه * ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها في هذا الباب وانه ليس فوق رتبتها رتبة ولنذكر نبذة منها ومن غيرها فمن محاسن ما ورد فيها قول أبي جعفر الشقري

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق * وأنطق الورق بعيدانه

مرقصة كل قضيب وريق * والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤوس الشقيق

ومثله في الرشاقة قول ابن رشيق

يا كرالى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ولطيف قول بعضهم أيضا شربنا الريق وكاساتنا * شفاهنا والقبل النقل

ويقرب من البيت الاول من قول ابن رشيق قول ابن المعتز

وقد ركضت بناخيل الملاهي * وقد طرنا بأجنحة السرور

وبديع أيضا قول ابن وكيع

غرد الطير فنبه من نعس * وأدر كاسك فالعيش خلس * سل سيف الفجر من غمد الدجى

وتعرى الصبح من ثوب الغلس * وانجلى عن حلل فضية * نالها من ظلم الليل دنس

وقول أبي نواس بعصن خد لم يغض ماؤه * ولم تخضه أعين الناس

وقوله أيضا فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

كذلتي وخضوعي

فقال المتيطي

فقلت حيي ماذا

تبغي بهذا الصنيع

فقال ابن خمير

فقال أنشي سفينا

لرحلتي ونزوعي

فقال المتيطي

فقلت دونك فاجعل

سفينة من ضلوعي

فقال ابن خمير

شراعها من فؤادي

وبحرها من دموعي

(قال علي بن ظافر) وأخبرني القاضي الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه أبي الحسن علي بن الذروي رضي الله تعالى عنه ومعنا رجل سيئ الخلق كثير الضجر والحنق ذو صدر يضيق عن مثقال الذره ويتسع عنه انساع الافق لسم الابره فتراقدنا في ذمه فقال ابن الذروي

لو كان سرمك مثل صدرك ضيقه

طال اشتياق حماره للفيشل

فقلت

ولكنت أول من يقال بأنه

بغاء الا أنه لم يدخل

(وأخبرني) الاديب عبد المنعم بن صالح الجزيري قال اجتمع عندي ابن المنجم والوجيه أبو الحسن بن الذروي والفقيه الاديب أبو الفضل المنبوز بطيري وجلسوا للحديث فدخل

وقوله أيضا وهو عجيب هنا

مازلت أستل روح الزق فى لطف * وأستقى دمه من جفن مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى * والزق منطرح جسم بلا روح

وقول البدر الذهبى وأجاد
مانظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

وقول ابن خفاجة الاندلسى

وقد جال من حول الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقول ابن قرناص
قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

وبديع أيضا قول ابن نباتة السعدى

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لأوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

وفسـتق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا
اذا أبدى مؤامرة التجنى * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا
خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا
كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا
فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقول السرى الرفاء فى وصف يوم بارد من أبيات

متلون يبدى لنا * طرفا بأطراف النهار
فهواه منسكب الردا * ء وغيمه جافى الازار
يبكى فيجمد دمعه * والبرق يكحله بنار

وقول أبى القاسم الدينورى

من عذيرى من بديع الحسن ذى قد رشيق أنبتت فى فه اللؤ * لؤ أرض من عقيق

وما ألطف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

يقول فيها
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الفجر مداما

وقول السلامى وهو بديع

والكأس للسكر التبرى صائغة * والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا فى حجور الروض أيتام

وما أبدع قوله أيضا
تسلطنا على الآثام لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب

قيل كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت وكان يستشهد به كثيرا ويقول ما درى قائله أى درة رمى بها وأى غرة سيرها وخلدها وقول التنوخى وهو من غريب الاستعارات

ورياض حاكت لهن الثريا * حللا كان غزلها للرعود
نثر الغيث در دمع عليها

علينا أبو الربيع سليمان بن تنين الطبجان وذكر أنه رأى رجلا مصلوبا بأعلى الجسر وطعن بعد صلبه فقال لو جيه ابن الذروى يا أصحابنا اصنعوا فى هذا شيأ فقال ابن المنجم انما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر وليس ههنا من يتهم الا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع فليصنعا بيتين على حرف الدال على سبيل المرافدة ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر فصنع طبرى فى الحال

ومقيم تخذ الجذوع مطية * فتقطعت لركوبها أنفاذه

وأطال أبو الربيع التفكر واقتضح فى تمادى التأمل فدس اليه ابن المنجم رقعة صغيرة فيها

وبدا السنان الرمح فيه نفاذه * أخنى على افلاذه فولاذه

وناولهما له بحيث فطنت الجماعة وتغافلوا وخفى الامر على طبرى لسوء بصره فقال بيتى خير من هذا البيت وأكثر الصياح والجلبة فقال له ابن الذروى دع عنك هذا القول ألست القائل فى بيتك تخذ الجذوع فهذا صلب على جذع أو مائة وقلت أنفاذه فله نفذان أو عشرة وأوحى اليه بالقصة فأقصر عن الكلام ثم التفت ابن الذروى الى سليمان وقال له قد ثبت اليوم عملك الشعر فانصرف وقد ألزموه بعمل دعوة

فحلت بمثل در العقود * أقحوان معانق لشقيق * كثغور تعض ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراآ * كعيون موصولة التسهيد * وكأن الشقيق حين تبدى
ظلمة الصدغ في خدود الغيد * وكأن الندى عليها دموع * في عيون مفجوعة بفقيد

وقول السيد أبي الحسن علي بن أبي طالب البلخي من أبيات

وكم قد مضى ليل على أبرق الحمى * مضيء ويوم بالمشرق مشرق
تسرقت فيه اللهو أملس ناعما * وأطيب أنس المرء ما يتسرق
ويا حسن طيف قد تعرض موهنا * وقلب الدجى من صولة الصبح يخفق

وقول ابن الساعاتي ولولا وشاة بل رواة تخرصوا * أحاديث ليست في سماع ولا نقل
لثمت ثغور النور في شنب الندى * خلال جبين النهر في طرر الظل

وقول القاضي كمال الدين ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

وقوله أيضا والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول ابن قرناص أيضا لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم بغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وما أحسن قول الشهاب محمود الوراق

اذا الكرى دب في أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها عن الهدب

وقول ابن نباتة المصري أيضا

ويا من جنى طرفي رياض جمالكم * جعلت سهادي في عقوبة من جنى
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجذع موطنا
فقد خزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسكنتم من ضلوعي منحنى

وقوله أيضا هذي الحمائم في منابر أيكها * تملي الثناء والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهو أحسن من قول الامير مجير الدين بن تميم

اني لأشهد للعمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقول مجد الدين الاربلي

أصغى الى قول العذول بجملتي * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وقول ماني الموسوس دعتني الى وصلها جهرة * ولم تدر أني لها أعشق
فقمت وللسكر من مفرقي * الى قدمي ألسن تنطق

وما أجود قول أبي طاهر البغدادي في نار القرى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمولع بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهو مأخوذ من قول الاول

سرورا بذلك (وأخبرني) الاديب أبو القسم عبد الرحمن العداس قال اجتمع في منزلي أبو الفضل جعفر المنبوز بشلعلع والمهذب وابن سعدان بدمشق فأنشدنا ابن سعدان قصيدته مفسرطاتي الطول وقال صنعتهما وبيضتهما وما انتهما المهد وحبي في يدي هذا وكان الطهر لم يؤذن به بعد فرددنا اليه قوله فأخذ يذهي قوة الارتجال وسرعة البديهة فقال له جعفر هذا مكان يمكن فيه اقامة البينة من كل مدع ثم أطرق وقال

ولقد قطعت اليوم غير مقصص * بهذين محلق ومقصص

وقال له اصنع على هذا البيت والزم الصادين فقال ابن سعدان هذا ينبغي أن يقوله صاحب المنزل وصدق لان جعفرا عنى بقوله محلق نفسه وعنى بقوله مقصص ابن سعدان لانه كان يفرط في قص لحيته فقال له جعفر قل فلم يصنع شيأ فقلت أنا

وطفقت أغتنم السرور كأنما * قد فزت من لذاته بتلصص

ثم استدعينا منه القول فما أمكن وكأنما بس أو اعتراه الخرس فقال المهذب

فكأنما أسقيتها من خاتم * ورقيبه قوت المدام مقصص

ثم استدعيناه فلم يقل شيأ فقلت أنا أصنع عنك وقلت

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعدّلن بقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار في الظلماء ألوية حمرا

وقول صردر فيها قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردّت عليهم ألسن النيران

ومنه قول التهامي نادته نارك وهي غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول ابن سكرة وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء

قيل ما أعددت للبرد * فقد جاء بشدّه   قلت درّاعة عرى * تحتها جبة رعده

وما ألطف قول ابن عمار

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استردّ الليل منا العنبرا

ومن بديع الاستعارة على سخفه ومجونه قول سعيد بن سناء الملك

يا هذه لا تستحي * مني فداك كشف المغطى   ان كان كسك قد تنا * عس ان ايرى قد تمطى

فاستعارة التثاؤب والتمطي هنا من أحسن الاستعارات قال ابن حجة أنشد في هذا ابن سناء الملك وزاد في الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزءا من البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي فوجدت فيه أن بغدادية قالت لاخرى خرجت اليوم الى العيد قالت اي وحياتك قالت لها فما رأيت قالت أحراحا تتثاءب وأيورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عرفت وعثرت على الكنز الذي انتهبته وحكيت له الحكاية قال سيدنا يفتش عن أمرى ومن ظريف الاستعارات قول الامير مجير الدين بن تميم

كيف السبيل لان أقبل خدّ من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور ترمي نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

وبديع قول السلامي أيضا في وصف الحرب

والنقع ثوب بالنسور مطرّز * والارض فرش بالجياد مخيل
وسطور رخيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدماء وتشكل

وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العاني صدا همه   نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

ومن ظريف الاستعارة أيضا قول ابن الغويرة

عاينت حبة خاله * في روضة من جلنار   فغدا فؤادي طائرا * فاصطاده شرك العذار

وما أبدع أيضا قول الشريف الرضي الموسوي

أرسي النسيم بواديكم ولا برحت * حوامل المزن في أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه * على قبوركم العرّاضة الهمع

وقد أخذه ابن أسعد الموصلي فقال من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق

سقى دمشق وأياما مضت فيها * حوامل السحب باديها وعاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في احشا أراضيها

ومحاسن هذا الباب كثيرة والاقتصار على هذه النبذة أولى

(هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا)
(فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا)

وتزلت عن تكرير الصاد أشفي المفقد في المدام فدامة وأحب كل مسامح ومرخص وانقضى المجلس ولم يصنع شيأ (قال علي بن ظافر) وكتب الى القاضي الاعز ابن المؤيد من الاسكندرية وانقطا الخبر له قال تسايرت أنا والقاضي المخلص أبو العباس أحمد بن يحيى بن عوف بشاطئ خليج الاسكندرية من جهة القنطرة المعروفة بقنطرة السواري وقد رقصت أشجاره على غناء أطياره وملأ لها ساقي الغمام كؤس جلناره فبينما نحن نتناشد من نفيس رقيق الاشعار ونتعاطى من كؤس رحيق الاخبار ونتعجب من سماء ذلك الماء كيف خلت من البدور ومن نجوم تلك الازهار مع طلوع شمس النهار كيف لا تغور اذ بجوار هنالك جوار وبدور من قبل السواري سوار فقلت لله أي بدور

من أسوار سواري

فقال المخلص

من كل هيفا بجرى الـ
وشاح خرسى السوار

فقلت

لاحت فحلت وحلت
قلبي وعقد اصطباري

فقال

تنوب فرعا ووجها
عن الدجى والنهار

فقلت

البيتان للعباس بن الاحنف من المتقارب (والشاهد فيهما) جواز البناء على الفرع وهو المشبه به مع بعد الاصل وهو المشبه لانه هنا طوى ذكر الاصل وجعل الكلام خلوا منه ويسمى هذا المجاز المفرد ومنه قول الفرزدق

أبى أحمد الغيثين صعصعة الذى * متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

يتعاوران من الغبار ملاءة * بيضاء محكمة اذا نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا محزنا * واذا السنابك أسهلت نشراها

وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى

قلت زورى فأرسلت * أنا آتيك سحره
قلت فالليل كان أخـ * ـفى وأدنى مسره
فأجابت بحجة * زادت القلب حسره
أنا شمس وانما * تطلع الشمس بكره

وله فى معناه أيضا

وعد البدر بالزيارة ليلا * فاذا ما وفى قضيت نذورى
قلت ياسيدى فلم تؤثر الليـ * ـل على بهجة النهار المنير
قال لى لا أحب تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور

وقال فى معناه أيضا

قلت للبدر حين أعتب زورى * واشمت الوصل بالقلا والتجافى
قال انى مع العشاء سآتى * فانتظرنى ولا تخف من خلاف
قلت ياسيدى فزرنى نهارا * فهو أدنى لقربة الائتلاف
قال لا أستطيع تغيير رسمى * انما البدر فى الظلام يوافى

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله

هى قالت لما رأت شيب رأسى * وأرادت تنكرا وازورارا
أنا بدر وقد بدا الصبح من شيبك والصبح يطرد الاقمارا
قلت لا بل أراك فى الحسن شمسا * لا ترى فى الدجى وتبدو نهارا

(واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع)

البيت لابى ذؤيب الهذلى من قصيدة من الكامل قالها وقد هلك له خمس بنين فى عام واحد وكانوا فى من هاجر الى مصر فرثاهم بهذه القصيدة وأولها

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها ان ما لجسمى انه * أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى فأعقبونى حسرة * عند الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدهم كأن حداقها * كحلت بشوك فهى عور تدمع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب * وأخال أنى لاحق مستتبع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم * فاذا المنية أقبلت لا تدفع

وبعده البيت وبعده

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع
والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السحاب له جدائد أربع

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده فادهن واكتحل وأمر أن يقعد ويسند وقال ائذنوا له وليسلم قائما ولينصرف فلما سلم عليه وولى أنشد معاوية قول الهذلى

فناظراها وقلبى * ما بين راض وضار
فقال
وخداها وفؤادى * من جلنار ونار
فقلت
تحكى الغزالة فى بهـ * ـجة وحسن منار
فقال
والظبى فى حسن جيد * ومقلة ونفار

(قال على بن ظافر) وأخبرنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين المقدم ذكره بما معناه جلسنا على بركة فى منظرة خالى بالجزيرة وقد ألقى عليها ورد أحمر ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها ونقبت حمرة خدوده صفحة مائها وأهدى ومدة الى مقلتها الزرقاء فصح سرورنا بدائها فقال رضى الدين اسحق بن عبد البارى

وبركة صادقة الصفاء
فقلت
بريئة من دنس الاقذاء
فقال
نقب فيها الورد وجه الماء
فقلت
فأبصرت من مقلة رمداء

(وأخبرنى أيضا) هو والشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبى أنهما كانا مجتمعين فمر عليهما صبى من أبناء السوادين بسوق

في هذه القصيدة وتجلدي للشامتين البيت فأجابه ابن عباس على الفور واذا المنية أنشبت البيت ثم ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه (والشاهد فيه) الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فهو هنا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم فأثبت لها الاظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار لها استعارة تخييلية (وأبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالد بن محرث ابن زبيد بن مخزوم ينتهي نسبه لنزار وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ولم تثبت له رؤية (وحدث) أبو ذؤيب قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسي طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيأ أزجر به فعن لي شيهم يعني القنفذ قد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شيء مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أولت أكل الشيهم اياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر فحثثت ناقتي حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة المنورة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا انطووا بالاحرام فقلت مه قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فأويت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر لله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا مال اليه وانقاد له ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكي النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس في عسلانهم * ما بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت الى الهموم ومن يبت * جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتضعضعت آطام بطن الابطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها * ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته * بمصابه وزجرت سعد الاذبح
وزجرت أن نعب المشحج سانحا * متفائلا فيه بفأل أقبح

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى الى باديته فأقام بها وقال محمد بن سلام كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وسئل حسان بن ثابت من أشعر الناس قال أحيا أم رجلا قالوا حيا قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب وقال محمد بن معاذ المعمري في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زوراء فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية وهو كثير ابن اسحق فعجب منه وقال قد بلغني ذلك وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل اليها خالد

يقرا وكان وضيء الوجه حسن القد فتعاطينا القول في صفته فقال الشهاب

بنفسي غزالا يسوق البقر * ويقتل عمدا نفوس البشر

فقال الشريف

بدا فبدا الغصن فوق الكثيب * وبدر الدجى في ظلام الشعر

فقال الشهاب

تقل الغزالة عن وجهه * ويصغر تشبيهه بالقمر

فقال الشريف

شكوت اليه غرامي به * فأعرض عني دلالا ومر

فقال الشهاب

حلا لي لما انثنى قده * ولكنه لحياتي أمر

(قال علي بن ظافر) كنت في بعض العشايا بالقرافة أنا والاعز بن المؤيد المقدم ذكره في منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه والنسيم قد خفت فاعتل وسقط رداؤه في الماء فابتل ووهت قواه فضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع في صفة تلك العشية على هذه القافية فقال الاعز

جاء النسيم الى الغصون رسولا * ومشى يجر على الرياض ذيولا

ابن زهير نفاته فيها وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويمر بن مالك بن عويمر وكان رسوله اليها فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها

تريدين كيما تجمعيني وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت من ذي قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك اليها مقلتاها وجيدها * فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السراب اذا جرى * لقوم وقد بات المطي بهم تخدي
فآليت لا أنفك أحدو قصيدة * تكون واياها بها مثلا بعدي

وقال أبو زيد عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية يعني قصيدته المثبتة قريبا * وعن ابن عياش بالياء المثناة والشين المعجمة قال لما مات جعفر الاكبر ابن المنصور مشى في جنازته من المدينة الى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ثم انصرف الى قصره فأقبل على الربيع فقال يا ربيع انظر من في أهلي ينشدني أمن المنون وريبها تتوجع حتى أتسلى عن مصيبتي قال الربيع فخرجت الى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها فرجعت فأخبرته فقال والله لمصيبتي بأهل بيتي لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني ثم قال انظر هل في القواد والعوام من يعرفها فاني أحب أن أسمعها من انسان ينشدها فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها الا شيخا مؤدبا قد انصرف من تأديبه فسألته هل يحفظ شيأ من الشعر قال نعم شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ بهذه القصيدة العينية فقلت أنت بغيتي فأوصلته الى المنصور فأنشده اياها فلما قال والدهر ليس بمعتب من يجزع قال صدق والله فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع علي فأنشده ثم مر فيها فلما انتهى الى قوله والدهر لا يبقى على حدثانه الخ قال سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمر الشيخ بالانصراف فاتبعته فقلت أمر لك أمير المؤمنين بشيء قال نعم وأراني صرة في يده فيها مائة درهم وعن الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي الى افريقية سنة ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب فتى عبد الله يقول

وصاحب صدق كسيد الغضا * ينهض في الغزو نهضا نجيحا

في قصيدة له فلما قدموا الى مصر مات أبو ذؤيب بها وعن أبي عمرو عبد الله بن الحرث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين قال الايمان بالله ورسوله قال قد فعلت فأيه أفضل بعده قال الجهاد في سبيل الله قال ذلك كان علي ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين فلما قفلوا أخذه الموت فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقة وقال ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول فكلاهما أراد أن يتخلف عليه فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا فطارت القرعة لأبي عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب يا أبا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم أعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ فاغسلني وكفني بكفني ثم اجعلني في حفرتي وانثل علي الجرف برمحك وألق علي الغصون والحجارة ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا أمسيت كأنها جهامة قال فما أخطأ مما قال شيأ ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش وقال وهو يجود بنفسه

أبا عبيد رفع الكتاب * واقترب الموعود والحساب
وعند رحلي جمل نجاب * أحمر في حاركه انصباب

ثم مضيت حتى لحقت بالناس فكان يقال ان أهل الاسلام أبعدوا الأثر في بلاد الروم فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة والله أعلم أي ذلك كان

فقلت
نشوان يعثر في الخمائل عابثا
بالزهر مبلول الرداء عليلا
فقال
فتمايلت قاماتها فكأنما
شربت بكاسات الشمال شمولا فقلت
فكأنه قد هز رايات له
خضرا وسل من المياه نصولا
فقال
قد أطلعت من زهرها غررا
ومن
جاري المياه بسوقها تحجيلا
فقلت
تحكي العرائس في القلائد
للترا
لبست خلاخل فضة وحجولا
فقال
ضحكت مباسم زهرها
ولطالما
بكت بدمع الهاطلات طويلا
فقلت
وبدا عليها الجلنار كأنه
وجنات خود سمتها التقبيلا
فقال
سلت عليهن البروق صوارما
فكسونها منه دما مطلولا
فقلت
وتناظرت أطيارها فيه وقد
أكثرن قالا في الهديل وقيلا
(قال علي بن ظافر) ومررت
أنا وهو رحمه الله برما بدولاب
يئن أنين ثكالى فقدت
أطفالها والنواعير أضلت
آفالها ويبكي بكاء صب
آلمه هواه وصارمه من
يهواه وفترق البين بينه

(ولئن

﴿ولئن نطقت بشكر برك مفصحا * فلسان حالى بالشكاية أنطق﴾

البيت من الكامل ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) ما فى البيت قبله فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود وهذا هو الاستعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم وهذه الاستعارة التخييلية وقريب من معناه قول ابن الخيمى

أبدا أحن الى محياك الذى * يصبى البعيد اليه نور مشرق
وأروم شكوى موجعات الحب لا * استحظابها لكن لعلك تشفق
فأرى لسانى بالصبابة أخرسا * ولسان حالى بالشكاية ينطق
وأفوه باسمك والمسافة بيننا * قصوى فيضحى الجو طيبا يعبق

﴿صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله﴾

البيت لزهير بن أبى سلمى وهو أول قصيدة من الطويل وبعده

وأقصرت عما تعلمين وسددت * على سوى قصد السبيل معادله

الى أن يقول فيها

فقلت الله أبصر وسدد طريقه * وما هو فيه عن وصاتى شاغله
وقلت تعلم أن فى الصيد عزة * وأن لا تضيعه فانك قاتله
فأتبع آثار الشياه وليدنا * كشؤبوب غيث يحفش الاكم وابله
نظرت اليه نظرة فرأيته * على كل حال مرة وهو حامله

وهى طويلة يقال أقصر عن الشئ بمعنى انتهى أو أعجز عنه (والشاهد فيه) ما فى البيت قبله أيضا فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها ووجه الشبه الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية فأثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة وهى الأفراس والرواحل التى بها قوام جهة السير والسفر فاثبات الافراس والرواحل استعارة تخييلية والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة ويحتمل أنه أراد بالافراس والرواحل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات أو أراد بها الاسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغى الا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الافراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا اذا أريد بها الدواعى وحسا اذا أريد بها اتباع أسباب الغى

﴿والطاعنين مجامع الاضغان﴾

هو من الكامل ولا أعرف قائله وصدره الضاربين بكل أبيض مخذم والمخذم بالذال المعجمة السيف والاضغان جمع ضغن وهو الحقد (والشاهد فيه) القسم الاول من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة وتكون لمعنى واحد كما هنا وتكون لمجموع معان فقوله مجامع الاضغان معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى

فأتبعتها أخرى فاضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

﴿ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج﴾

البيت لزياد الاعجم من أبيات من الكامل قالها فى عبد الله بن الحشرج وكان قد وفد عليه وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وألطفه وبعث اليه بما يحتاجه فغدا اليه فأنشده البيت وبعده

ملك أغر متوج ذو نائل * للمعتفين يمينه لم تشنج
يا خير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبى المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

وبين محبوبه فراقا لا يرجى انقطاعه ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا استرجاعه فقلبه قد ملأته أوجاعه وجفنه قد ضاق مجراه عن دمعه فتقضت به أضلاعه فقلت

وساقية تئن أنين ثكلى * شكت بأنينها حر الاوار

فقال

تحن ولا تزال تطوف عجلى * كرازمة تحن الى حوار

فقلت

غدت تحكى محبا ذا انتحاب * يطوف باكيا فى رسم دار

فقال

حكت فلكا لجلب اللهو دارت * عليه من قوادسه درارى

(وبصرنا) بساقية تتلوى تلوى الافعوان وتخفق خفقان قلب الجبان والزهر قد نظم بلبتها عقودا فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويلبسها غلائل مفركة فقلت

أساقية أم أرقم فتزهار با

فقال

أم الريح قد هزت من الماء قاضبا فقلت

حصى مثل در الثغر أجرى زلاله

رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

فقال

وشحها زهر الرياض قلائدا

ويلبسها مر الرياح جلابيا

(واجتمعت) أناوشهاب الدين يوما فتعاطينا القول فى

فأمر له بعشرة آلاف درهم والمروءة كال الرجولية (والشاهد فيه) القسم الثالث من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها اثبات أمر لامر أو نفيه عنه فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات وترك التصريح باختصاصه بها الى الكناية بأن جعلها فى قبة ضربت عليه تنبيها على ان محلها ذو قبة وهى تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء قال أبو تمام

لولا بنو جشم بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قباب

وانما احتاج فى هذا البيت الى هذا الوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين فأفاد اثبات الصفات المذكورة له لانه اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته له وفى معنى البيت قول زياد أيضا فى مرثية المغيرة ابن المهلب

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد

لقد شهدت عقول الخلق طرا * وحسبك بالبصائر من شهود

بأن محاسن الدنيا جميعا * بأفنية الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه والمجد يدعو أن يدوم بجيده * عقد مساعى ابن العميد نظامه

(وابن الحشرج الممدوح) اسمه عبد الله وكان سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها ولى كثيرا من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جوادا ممدوحا وفيه يقول زياد أيضا

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فسائل تخبر عن ديار الاشاهب

وكان عبد الله كثير العطاء أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه فقالت له امرأته لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من اخوانه مبذرا كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فقال عبد الله ابن الحشرج لرفاعة بن درى النهدى وكان أخاله وصديقا ألا تسمع ما تقول هذه النوكى وما تتكلم به فقال له رفاعة صدقت والله وبرت وانك لمبذر وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج فى ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث تجدلنا * مكارم ماتعيى بأموالنا التلد

مكارم قد جدنا بها اذ قنعت * رجال وضنت فى الرخاء وفى الجهد

أردنا باجسادنا به من تلادنا * خلاف الذى يأتى خيار بنى نهد

تلوم على اتلافى المال خلتى * ويسعدها نهد بن زيد على الزهد

أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا * على ولا منكم غوائى ولا رشدى

أتيت صغيرا ناشئا ما أردتم * وكهلا وحتى تبصرونى فى اللحد

سأبذل مالى ان مالى ذخيرة * لعقبى وما أجنى به ثمر الخلد

ولست بمبكاء على الزاد باسل * يهر على الازواد كالاسد الورد

ولكننى سمح بما حزت باذل * لما كلفت كفاى فى الزمن الجد

بذلك أوصانى الرقاد وقبله * أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

والرقاد كان أحد عمومته وكان سيدا جوادا

شواهد الفن الثالث وهو علم البديع

(تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر)

البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا نهشل محمد بن حميد حين استشهد وأولها

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد * وأصبح فى شغل عن السفر السفر

وما كان الامال من قل ماله * وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

صبى ينعت بالشمس قد مضى ذكره فقال

وشمس اذا ما أشرقت يكسها الحيا شقيقا ويلبسنى الهوى حلة الورس فقلت

بوح فأبكى حين أنظر وجهه وبالقمر يبكى من يحدق للشمس

(قال على بن ظافر) واجتمعنا بالقرافة فى ليلة وقد عم السرور والارض بسحابه وغمرها بفائض انسكابه فأنبتت نواحيها ازاهى جلنار من شعل النار فى غصون مائسات كحبال القرقيسات وكشف بها النور سجف الظلماء ونقل طرف الليل الى الشبة الشقراء عن الشبة الدهماء وزهت الارض بشهب النيران على جو السماء فترافدنا القول فقلت

أنعت ليلا مد لها أقتما فقال

أشعل بالنار وكان أدهما فقلت

أضحى من الحسن منيرا مظلما فقال

كاثرت النيران فيه الانجما فقلت

فلم نكد نعرف أرضا من سما

(قال على بن ظافر) واجتمعنا يوما على أن نتغزل فى غلام رأيناه كأن الشمس من ازراره أشرقت وكأن النار من وجناته أنارت وما أحرقت ذى خيلان قد انبثت دهم

وما كان يدرى من بلا يسر كفه * اذا ما استهلت أنه خلق العسر

يقول فيها
غدا غدوة والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف الا وأكفانه الاجر

وبعده البيت وبعده
كأن بني نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر
يعزون عن ثاو تعزى به العلا * ويبكى عليه البأس والجود والشعر
وأنى لهم صبر عليه وقد مضى * الى الموت حتى استشهدا هو والصبر

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل فى ليلته الا وقد صارت الثياب خضرا من سندس الجنة أقول ولو قال أبو تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما اختفى * عن العين الا وهى من سندس خضر

لكان أبلغ فى القصد وأبدع فانه جعل غاية تبديلها السندس دخوله فى الليل وهذا ليس بمعلوم فان الميت اذا غيب بالدفن عن الاعين تبدلت أحواله الى خير أو شر والعياذ بالله تعالى ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الاعين يأتيه ملكا السؤال وفى معنى بيت أبى تمام قول القاضى الفاضل عبد الرحيم رحمه الله

لهفى لمقتول تلا * حظه عيون البيض شزرا متضرجا بدم رأته * الحور فى الجنات عطرا
متكفن بملابس * حمراء وهى تعود خضرا

يروى أنه لما ورد نعى هذا المرثى غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ثم ضرب به كفيه وصدره وأنشد هذه القصيدة والى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على بن خلدون

لولا الحياء وأن أجىء بفعلة * تنضى على بها سيوف ملام * وأكون متبعا لاشنع سنة
قد سنها قبلى أبو تمام * للبست لبس الثاكلات وكنت فى * سود الوجوه كأننى من حام

(والشاهد فى البيت) الطباق المسمى بالتدبيج وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا القصد الكناية أو التورية ويسمى تدبيج الكناية أيضا فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة والمراد من الاول الكناية عن القتل ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم

بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

ولو اتفق له أن يقول
من الاسل الظماء يردن بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

لكان أبدع بيت للعرب فى الطباق لانه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار والبياض والحمرة والظما والرى وقد تم لابى الشيص فقال

فأوردها بيضا ظماء صدورها * وأصدرها بالرى ألوانها حمرا

فصار أخذه مغفورا بكمال معناه وما أحسن قول ابن حيوس

وتلك العلياء بالسعى الذى * أغناك عن متعالم الانساب * بيباض عرض واحمرار صوارم
وسواد نقع واخضرار رحاب * وانخر بعم جود نواله * وأب لافعال الدنية آبى

وقوله أيضا
ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم أو نزال
تلق بيض الاعراض سمر مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

لهم بنان طامح بالندى * فهن امداح أو بحار
بيض الايادى خضر روض الربا * حمر المواضى فى العجاج المثار

وقول بعضهم
الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الاسنة خضبت بدماء
كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء فوق اللامة الخضراء

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

خيلها فى محياه وتفرقت لاقتناص فرسان القلوب التى كسرها هواه وقد حفت وجناته بالشقيق ولففت فصوص السبج بالعقيق فقال

بى رشأ أصداغه كالاوراق
بل غصن من وشيه فى أوراق
بل قمر من شعره فى أغساق

فقلت

أجفانه مثل جسوم العشاق
وقرطه مثل القلوب خفاق
يرمقنى شزرا فيفنى الارماق

فقال

فى خده ماء الجمال رقراق
عجبت منه شيم ذو احراق
يريك خيلانا خيال الاحداق

(قال على بن ظافر) واجتمعنا بالجامع فرأينا غلاما مائس العطف ذابل الطرف قد عانق افعوان شعره غصن قده وطابق بين مبيض وجهه ومسوده فقلت فيه

يا رب ظبى عطر الانفاس
يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس
وشعره فى قده المياس
مثل لواء لبنى العباس

فقال لو شبهته بعلم الخطيب لاسيما اذا كرت حلوله بالجامع ثم صنع فقال

يا رب غصن أهيف رطيب
أنبته الحسن على كثيب
قام مقام الخاشع المنيب
يفتك فى الجامع بالقلوب
وقده فى شعره الغربيب
يميس مثل علم الخطيب

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

ولابن النبيه
دع النوح خلف حدوج الركائب * وسل فؤادك عن كل ذاهب
بيض السوالف حمر المراشف * صفر الترائب سود الذوائب
فما العيش الا اذا ما انتظمت * بثغر الحباب ثنايا الحبائب

ولابن الساعاتى
من معشر يجل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم * سر يحل سواد قلب العسكر

ولابن دوقاء العماد من أبيات
أرى العقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهرى
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعث رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

ولابى الحسن محمد بن القنوع من أبيات
ويخترم الارواح والموت أحمر * بأبيض يتلوه لدى الطعن أزرق

وما أحسن ما قال بعده
ويجرى عتاق الخيل قبا شواربا * تبارى هبوب الريح بل هى أسبق
اذا حفرت منها الحوافر فى الصفا * محاريب ظلت بالنجيع تخلق

ولابى الفرج الببغاء فى قريب من معناه
وكأنما نقشت حوافر خيله * للناظرين أهلة فى الجلمد

وما أحسن قوله بعده
وكأن طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار له مكان الاثمد

ولابى سعيد الرستمى
من النفر العالين فى السلم والوغى * وأهل المعالى والعوالى والالها
اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

ولابن جابر الاندلسى
تشتكى الصفر من يديه وترضى * السمر من راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

ولابى القاسم عبد الصمد بن على الطبرى من قصيدة
حمريدى بالكاس فالروض مخضر الربا قبل اصفرار البنان

ولابى بكر الخالدى
ومدامة صفراء فى قارورة * زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب * والكف قطب والاناء سماء

ولنجم الدين البارزى فى وصف قلم
ومثقف للخط يحكى فعل سمر الخط الا أن هذا أصفر
فى رأسه المسود ان أجروه فى المبيض للاعداء موت أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصرى يهجو أبا رياش وكان نهما شرها على الطعام
يطير الى الطعام أبو رياش * مبادرة ولو واراه قبر
أصابعه من الحلواء صفر * ولكن الاخادع منه حمر

وكان أبو رياش هذا باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها غاية بل آية فى هذا دواوينها وسرد أخبارها مع فصاحة وبيان واعراب واتقان ولكنه كان عديم المروءة وسخ اللبسة كثير التقشف قليل

ثم زدنا فقلت
وشادن ساجى اللحاظ أحور
فقال
أبيض يحكيه قوام الاسمر
فقلت
وقده تحت أثيث الشعر
فقال
من فوق ردف كالكثيب الاعفر
فقلت
كعلم الخطيب فوق المنبر

(قال على بن ظافر) ولما أعرس ابن الامير اياس المصرى الاسدى بابنة الامير سيف الدين ايازكوج مقدم الاسدية احتفل الامراء والاجناد وبالغوا فى الحشد غاية الاجتهاد وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف ويروق الطرف وظهرت من مرد المماليك بدور فى سماء الغبار وغصون من زعقهم فى غدران ومن سيوفهم بين أنهار يسبون النواظر بالقدود النواضر ويستملكون الخواطر بالثغور العواطر فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهوده وأيامه فى أيام الاعياد المعدومة النظير معدوده فخرجت أنا والشهاب لننظر ذلك الاحتشاد ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزى الآساد فقال
نقبوا بالغبار وجه ذكاء
ثم نابوا عن حسنها بالبهاء

التنظف

التنطف وفيه يقول أبو عثمان الخالدى

كأنما قل أبى رياش * ما بين صئبان قفاه الفاشى وذا وذا قدلج فى انتفاش * شهدانج يذرّ فى خشخاش

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولى عملا بالبصرة

قل للوضيع أبى رياش لاتبل * ته كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الا خسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

وله فيه أيضا

نبئت أن أبا رياش قد حوى * علم اللغات وفاق فيما يدّعى
من مخبرى عنه فانى سائل * من كان حنكه بأير الاصمعى

وله فيه أو فى غيره من الادباء

يا من تطيب وهو من خرق استه * قلق يكابد كل داء معضل
فشل الصيال وماء هدنا دبره * مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراه فى الكتب الجليلة زاهدا * لا يستجيد سوى كتاب المدخل
قبلته ولثمت فاه مسلما * لثم الصديق فم الصديق المجمل
فدنا الىّ على المكان وقال لى * أفديك من متعشق متغزل
ان كنت تلثمنى بودّ فاشفنى * بلسان بطنك فى فى من أسفل

وقد زاغ القلم وطاش بجريرة أبى رياش وأنا أستغفر الله من ذلك

(لا تعجبى ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى)

البيت لدعبل من قصيدة من الكامل أولها

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضلّ بل هلكا

وبعده البيت وبعده

ياسلم ما بالشيب منقصة * لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر * أجد السبيل اليه مشتركا
باليت شعرى كيف نومكما * ياصاحبى اذا دمى سفكا
لا تأخذا بظلامتى أحدا * قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

حدث أبو هفان قال قال مسلم بن الوليد

مستعبر يبكى على دمنة * ورأسه يضحك فيه المشيب

فسرقه دعبل فقال وأنشد البيت فجاء به أجود من قول مسلم فصار أحق به منه وحدث أبو المثنى قال كنا فى مجلس الاصمعىّ فأنشده رجل لدعبل لا تعجبى ياسلم البيت فاستحسناه فقال الاصمعىّ انما سرقه من قول الحسين بن مطير الاسدىّ

أين أهل القباب بالدهناء * أين جيراننا على الأحساء * فارقونا والارض ملبسة نو
ر الاقاحى تجاد بالانواء * كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

وروى عن أبى العباس المبرّد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جنّ النبات فى ذراها وزكا * وضحك المزن به حتى بكى

وقال أبو هفان أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل ضحك المشيب برأسه فبكى فجاءنى بعد أيام فقال قد قلت أحسن من البيت الذى قاله دعبل فقلت ياهذا وأى شئ قلت فتمنع ساعة ثم قال

قهقه فى رأسه القتير

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل فمنه قول الراضى القرطبى

ضحك المشيب برأسه * فبكى بأعين كاسه رجل تخونه الزما * ن ببوسه وبياسه
يجرى على غلوائه * طلق الجموح بفأسه أخذا بأوفر حظه * لرجائه من يأسه

ومنه أيضا قول ابن نباتة المصرى رحمه الله تعالى

فقلت

وأرونا من سحر أعينهم مذ
هبم شموسا النقع فى ظلماء

فقال

طاولوا بالنقا السماء اقتدارا
وتبدوا من زعقهم فى سماء

فقلت

كل بدر يسير تحت ثريا
مغفر خلف كوكب السمراء

فقال

مل سكنى البروج فاعتاض عنها
بسروج على متون ظباء

فقلت

ماتثنى فى الدروع الا أرانا
غصنا ماثسا بجدول ماء

(قال علىّ بن ظافر) واتفق أن مضى السلطان الملك الاشرف أبقاه الله فى أوائل خدمتى له وأوائل سنة ثمان وستمائة الى مدينة نصيبين وضرب خيمته على تل بين بساتينها يعرف بتل أبى نواس وهو تل مشرف فى غاية العلو مستدير الشكل أحسن استدارة قد استقبل جرية نهر الهرماس حتى اذا وصل النهر اليه تفرق حواليه وتلوى تلوى الحيات من جانبيه والبساتين محيطة به قد ملأت أكثر مرمى البصر وهو فى نفسه قد تأزر بالاعشاب واكتسى بغرائب الازهار التى أدناها شقائق النعمان وياسم الاقحوان وكنت أنا مقيما بالبلد لتدبير أحوالها

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه

وللمؤلف رحمه الله تعالى أيضا في هذا المعنى

ضحك الشيب برأسي * فبكت عيني الشبابا

ومن البكاء على الشباب وهو أبكى بيت قيل في فقده وينسب لابي الغصن الاسدى

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى الذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وما أحسن قول أبي العلاء المعري فيه أيضا

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وقول الآخر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

ولابي بكر بن مجبر

رحل الشباب وما سمعت بعبرة * تجرى لمثل فراق ذاك الراحل
قد كنت أزهى بالشباب ولم أخل * ان الشبيبة كالخضاب الناصل
ظل تصفى لى ثم زال بسرعة * ياويح مغتر بظل زائل

ولابن حديس في قريب من معناه

ولم أر كالدنيا خؤنا لصاحب * ولا كمصابي بالشباب مصابا
فقدت الصبا فابيض مسود لمتي * كأن الصبا للشيب كان خضابا

ولابي الفتح البستي فيه

دع دموعي تسيل سيلا بدارا * وضلوعي يصلين بالوجد نارا
قد أعاد الاسى نهاري ليلا * مذ أعاد المشيب ليلى نهارا

ولعلي بن محمد الكوفي في البكاء من الشيب والبكاء عليه

بكى للشيب ثم بكى عليه * فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تبرح حميدا * اذا نادى شبابي بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره أن يفارقني * فاعجب لشيء على البغضاء موجود
يمضي الشباب وقد يأتي له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال

لا يرحل الشيب عن دار أقام بها * حتى يرحل عنها صاحب الدار

ويقال أن مسلما أخذ هذا المعنى من قول بعض الاعراب

أستغفر الله واستقيله * ما أنا من شيبه يهوله * أعظم من حاوله رحيله

ومثل قول مسلم قول البحتري

يعيب الغانيات على شيبي * ومن لي أن أمتع بالمشيب
ووجدي بالشباب وان تقضى * حميدا دون وجدي بالمشيب

وما أحسن قول كشاجم الكاتب

تفكرت في شيب الفتى وشبابه * فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبني شرخ الشباب فينقضي * وشيبي الى حين الممات مصاحب

وبديع قول الغزي

وترجيه وجوه أموالها وأنا أتكثر اليه وانما انقطع المسافة الى الخيام في جنات ذات أنهار وظلال تمنع الحرور وتأذن للنسيم والانوار فعن لي أن قلت في بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا

اجلس بتل أبي نواس * ما بين باطية وكاس
وابتع سرورا باعه * منك الزمان بلا مكاس
في ظل غيث ذي ارتجا * ز بالرواعد وارتجاس

واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرني فقال

تل تطلع مشرفا * بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على * زهر كوشي اللباس
من قاس ربوة جلق * بذراه أخطأ في القياس

فقلت

أضربته بعصا كأنما * موسى فأصبح ذا انبجاس
فالماء يفرى الحلـ * ـف منه مكفوف الدياس
والقضب أمثال القنا * والورد أمثال التراس

فقال

والثم خدود الورد فيـ * ـه فتحتها أصداغ آس
وابن اصطباحك ان أرد * ت من الغبوق على أساس

فقال

واسمع غناء كالغنى

ذهب الشباب ذهاب سهم مارق * لا يستطاع مع التأسف ردّه
وأتى المشيب بقضه وقضيضه * وأشدّ من وجدان ذلك فقده
أنافي السرى والسير كالطفل الذى * يجد السكون اذا تحرك مهده
من يقتدح زندا بكف مالها * زند فكيف تراه يقدح زنده

وبديع أيضا قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى

لا تأسفنّ على الشباب وفقده * فعلى المشيب وفقده يتأسف
هاذاك يخلفه سواه اذا انقضى * ومضى وهذا ان مضى لا يخلف

وقوله أيضا

عجبت للشيب كيف أكرهه * فأصبح القلب وهو عاشقه
وكنت لا أشتهى أراه وقد * أصبحت لا أشتهى أفارقه

وما أحسن قول الصفىّ الحلى

لو تيقنت أن شيبى بياض الشيب يبقى لما كرهت البياضا
غير أنى علمت من ذلك الزا * ئر ما يقتضى وما يتقاضى

ولابى الفتح البستى رحمه الله تعالى فيه

يا شيبتى دومى ولا تترحلى * وتيقنى أنى بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مرّة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولابى اليمن الكندى فيه أيضا

عفا الله عما جرّه اللهو والصبا * وما مرّ من قال الشباب وقيله
زمان صحبناه بأرغد عيشة * الى أن مضى مستكرها السيله
وأعقبنا من بعده غير مشتهى * مشيبا نفى عنا الكرى بحلوله
لئن عظمت أحزاننا بقدومه * فأعظم منها خوفنا من رحيله

وقد خالف ابن الروىّ حيث يقول

من كان يبكى الشباب من أسف * فلست أبكى عليه من أسف
كيف وشرخ الشباب عرّضنى * يوم حسابى لموقف التلف
لا صوحبت شرّة الشباب ولا * عدمت مافى المشيب من خلف

ومثله قول بعضهم

لم أقل للشباب فى دعة الله ولا حفظه غداة استقلا
زائر زارنا أقام قليلا * سوّد الصحف بالذنوب وولى

ومن الجيد فيه أيضا قول العلوى

لعمرك للشيب على ّ مما * فقدت من الشباب أجلّ فوتا
تمليت الشباب فصار شيبا * ومليت المشيب فصار موتا

وما أحسن أيضا قول الآخر

والمرء ان حل شيب فى مفارقه * فإما يفارقه أو يرحلان معا

وما أحسن قول المعرّى فى مدح الشيب

خبرينى ماذا كرهت من الشيب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
أخبرينى فضل الشباب وماذا * فيه من منظر يسرّ وطيب
غدره بالخليل أم حبه الغـ * ـى أم كونه كعيش الأديب

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الاصفهانى وأصدقه

قد جاء من بعد الاياس
شد واذا أدوى القلو
ب أسى فنه لمن اس
فقال
لا تقتنع بالكاس واب
غ الرىّ من جام وكاس
واكرع فما حق المدا
مة أن تراك وأنت حاسى
فقلت
خذها الآن سأورث
عقل الفتى أىّ افتراس
واترك على الاعراب ماخ
تاره من لبن العساس
فقال
من كف ظبى لين ال
أعطاف صلد القلب قاسى
ظبى ولكن القلو
ب تكنه بدل الكناس
فقلت
يجنى بلا سكر ويكـ
ـسر جفنه لا من نعاس
يهوى ويذكر وهو سا
ل للذى يهواه ناسى
ثم شغلنا بالوصول واستدعانى
السلطان فدخلت اليه
فعمل الشهاب تمامها وأنا
عنده وكتبها على هذه
الصورة وأنفذها الىّ
سهل الخلائق رطبها
صعب الشكيمة والمراس
لا يستجيب ولا يطيـ
ـع ولا يجود ولا يواسى
ما بين ندمان ظرا
ف حين تخبرهم كياس
واشرب براس التلّ لا
تحفل بهمدان براس
واهنأ بدولة سيف ذى

من شاب قدماته وهو حى * يمشى على الارض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان فى شيبه فذالك

(والشاهد فى البيت) الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب لكنه عبر عن ظهوره بالضحك الذى يكون معناه الحقيقى مضادا لمعنى البكاء ويسمى ايهام التضاد لان المعنيين المذكورين وان لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرا الى الظاهر والحمل على الحقيقة ومن الشواهد على ايهام التضاد قول أبى تمام الطائى

وتنظرى خبب الركاب ينصها * محيى القريض الى مميت المال

فليس بين محيى ومميت هنا تضاد بالمعنى الا بما يتوهم من اللفظ لان محيى القريض هنا كناية عن مجيده ويعنى به نفسه ومميت المال كناية عن مفنيه فى الكرم وليس بينهما تضاد ومنه قول الشاعر

يبدى وشاحا أبيضا من سيفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا

فان الابيض ليس بضد الاغبر وانما يوهم بلفظه أنه ضده ودعبل هو ابن على بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعى ويكنى أبا على وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم ولا ذونباهة أحسن اليه أولم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد (وحدث) أبو هفان قال قال لى دعبل قال لى أبو زيد الانصارى مم اشتق دعبل قلت لا أدرى قال الدعبل الناقة التى معها أولادها (وحدث) محمد بن أيوب قال دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ودعبل لقب لقب به وعن أبى عمرو الشيبانى قال الدعبل البعير المسن (وحدث) دعبل قال كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم فلما قمت سأل رجل لم يعرفنى أصحابنا عنى فقالوا هذا دعبل قال قولوا فى جليسكم خيرا كأنه ظن اللقب شتما وقال دعبل صرع مجنون مرة فصحت فى أذنه دعبل ثلاث مرات فأفاق وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة كان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله فلما اطلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا ما فى كيسه فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ومات الرجل فى مكانه واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل فى طلبهما وجد السلطان أيضا فى ذلك فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن يهرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب اليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد (وحدث) أحمد بن أبى كامل قال كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى وكانت السراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشنعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه قال وأنشدنى دعبل لنفسه فى بعد أسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

(وحدث) محمد بن عمر الجرجانى قال دخل دعبل الرى فى أيام الربيع فجاءهم ثلج لم ير مثله فى الشتاء فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعرا وكتبه فى رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرى بعد ما سكن البر * دوقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه الله ثوبا من كرسف محلوج

وألقى الرقعة فى دهليز دعبل فلما قرأها ارتحل عن الرى (وحدث) أحمد بن خالد قال كنا يوما عند دار رجل يقال له صالح بن عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على كنيسة فى سطحه ديك طار من بيت دعبل فلما رأيناه قلنا هذا صيد فأخذناه فقال صالح ما نصنع به قلنا نذبحه فذبحناه وشويناه يومنا وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط فى دار صالح فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا فلما كان من

يزن ودولة ذى نواس
فلقد فضلتهما بمجـ
ـد شامخ وندى وباس
ورواق ملك ثابت ال
أركان سامى الفخر راسى
فالعمر ما تم المرو
ءة كقول أبى فراس
لا زال يخدمك الزما
ن ومن حواه من أناس

(ومن التخليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم)

(روى) المدائنى قال خطب أويس القرنى رضى الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء بنى ضرار وحضر اليهم فقال الشماخ

نبتهانا كـــة أويسا

فقال مزرد

يهدى اليها أعنزا وتيسا

فقال جزء

حقا ترى ذلك بها أم كيسا

فقال أويس لعن الله من يكون رابعكم وما أحسب أويسا رضى الله عنه خطب امرأة قط ولعله غيره أو فى الرواية وهم (ومن ذلك) ما رواه أبو الفرج الاصبهانى عن رجاله وتتصل روايته بالحرمازى قال نزل شبيب بن البرصاء المرى وأرطاة بن زفر وعويف القوافى برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة فأتاهم بشربة لبن ممذوقة ولم يذبح لهم فلما رأوا ذلك منه قاموا الى مطيهم ورواحلهم فركبوها ثم قالوا ثم هو هذا الكلب

الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ونبهاء الناس فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أسر المؤذن صالح وضيوفه * أسر الكمى هفا خلال الماقط
بعثوا عليه بناتهم وبنيهم * مابين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا * خاقان أو هزموا كتائب ناعط
نهشوه فانتزعت له أسنانهم * وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

قال فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لى أبى وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيأ تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر وقال لى لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها الا اشتريت ذلك لدعبل وبعثت به اليه والا وقعتنا فى لسانه ففعلت ذلك قال وناعط قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه وقال دعبل كنا يوما عند سهل بن هرون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع الى أن دعا بغداء له فأتى بقصعة فيها ديك جاس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصعة ففقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به فقال ولم قال ظننتك لا تأكله قال بئس ما ظننت والله انى لأمقت من يرمى برجليه فكيف من يرمى برأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذى يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه أوما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو قال لا أدرى والله أين هو رميت به قال لكنى أدرى أين هو رميت به فى بطنك فالله حسيبك (وحدث) ابراهيم بن المدبر قال لقيت دعبل بن على فقلت له أنت أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول يعنى فى حق المأمون

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال لى يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها بعد وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيان يقال له حوى بن عمرو السكسكى وكان جميل الوجه فدب اليه صاحب البيت وكان شيخا كبيرا فانيا قد أتى عليه حين فقال فيه دعبل

لولا حوى لبيت لهيان * ما قام اير العزب الفانى له دواة فى سراويله * يليقها النازح والدانى

وشاع هذان البيتان فهرب حوى من ذلك البلد وكان الشيخ اذا رأى دعبلا سبه وقال فضحتنى أخزاك الله (وحدث) محمد بن الاشعث قال سمعت دعبلا يقول ما كانت لاحد عندى منة قط الا تمنيت موته وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده ما قاله فيه وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكئ وهو جالس فلما فرغ أمر له بشئ قليل لم يرضه فقال

يامن يقبل طومارا ويلثمه * ماذا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شئ تسربه * طولا بطول وتدويرا بتدوير
لو كنت تجمع أموالا كجمعكها * اذا جمعت بيوتا من دنانير

وقال دعبل فى الفضل بن مروان

نصحت فأخلصت النصيحة فى الفضل * وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرة * اذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ * اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلا من حديث تفز به * ولا تدع الاحسان والاخذ بالفضل

فقال شبيب

أفى حدثان الدهر أوفى قديمه تعلمت أن لا تقرى الضيف علقما

فقال أرطاة

لبثنا طويلا ثم جاء بمذقة كماء السلى فى جانب القعب أثلما

فقال عويف

فلما رأينا أنه شر منزل رمينا بهن الليل حتى تصرما

(وروى أيضا) أن عقيل بن علقمة المرى خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته الجرباء فانتجعوا ابنى مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها بها عطشا أعطينه بالخزائم

ثم قال أجز يا علقمة فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة تذارعن بالايدى لآخر طاسم

ثم قال أجز يا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجيزى يا جرباء فقالت وأنا آمنة قال نعم فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس

فانك قد أصبحت للملك قيما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أبياتا من الشعر قبلها * جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هي أنشدت * سوى ان نقصي الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك (وحدث) محمد بن حاتم المؤدب قال قيل للمأمون ان دعبلا قد هجاك فقال وأي عجب في هذا هو يهجو أبا عباد فلا يهجوني أنا ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي ثم قال لجلسائه من كان فيكم يحفظ شعره في أبي عباد فلينشده فأنشده بعضهم

أولى الامور بضيعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم * حضروا لملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته * فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مفلت * حرد يجر سلاسل الاقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه * فأصح منه بقية الحداد

قال وكان بقية هذا مجنونا في المارستان فضحك المأمون وكان اذا نظر الى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله (وحدث) أبو ناجية قال كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب
وما كانت الانباء تأتي بمثله * يملك يوما أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا * من السلف الماضي اذا عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة * لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم * وصيف واشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان سيثلم ثلمة * يظل لها الاسلام ليس له شعب

ولما مات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه
قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

فقال دعبل يعارضه
قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما * خلتك الا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من * أضر بالمسلمين والدين

(وحدث) محمد بن جرير قال أنشدني عبد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه
ولست بقائل بدعا ولكن * لامر ما تعبدك العبيد

قال يرميه في هذا البيت بالابنة (وحدث) محمد بن جرير قال كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاءنا نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل أمعك شئ تكتب فيه قلت نعم فأخرجت قرطاسا فأملى علي بديها
الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد

وكان المأمون قد تطلب دعبلا وجد في ذلك وهو طائر على وجهه حتى دس اليه قوله
علم وتحكيم وشيب مفارق * تطميس ريعان الشباب الرائق
وامارة في دولة ميمونة * كانت على اللذات أشغب عائق

غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه ثم شد عليها وقال لولا يعيرني بنو مرة بعد اليوم ماذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزورا وتركه وقصد قومه وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أوقلت لهم انه أصابه غير الطاعون أتيت عليك فلما قدموا على أهل أثير وهم بنو القين ندم عقيل على مافعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه وقد أنزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برأ وألحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحي تغنى جثامة يقول
أيعذر لاهينا وتلحين في الصبا * وما هن والفتيان الا شقائق
فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت مايكرهه فأمسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لئلا يلحقك منه شر فقال انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم (وقد) ذكر ابن قتيبة في كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر لعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة أخاه عملس وأنشد له البيت الاول أيضا

نعوا ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا اليه كل أخرق مائق
أنى يكون ولا يكون ولم يكن * يرث الخلافة فاسق عن فاسق
ان كان ابراهيم مضطلعا بها * فلتصلحن من بعده لمخارق

ولما قرأها المأمون ضحك وقال قد صفحت عن كل ما هجانا به اذ قرن ابراهيم بمخارق فى الخلافة وولاه عهده ثم انه كتب الى دعبل أمانا فلما دخل وسلم عليه تبسم فى وجهه وقال أنشدنى مدارس آيات خلت من تلاوة فجزع فقال له لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكنى أحب سماعها من فيك فأنشده اياها الى آخرها والمأمون يبكى حتى اخضلت لحيته بدمعه ثم انه أحسن اليه وانس به حتى كان أول داخل اليه وآخر خارج من عنده ثم عاد الى خباثته وشاعت له أبيات بعدها أيضا يهجو بها المأمون (وحدث) دعبل قال دخلت على على بن موسى الرضى فقال أنشدنى شيأ مما أحدثت فأنشدته

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات
حتى انتهيت الى قولى فيها اذا وتروا مدوا الى واتريهم * أكفا عن الاوتار منقبضات

قال فبكى عنده حتى أغمى عليه فأومأ الى خادم كان على رأسه أن اسكت فسكت فمكث ساعة ثم قال لى أعد فأعدت حتى انتهيت الى هذا البيت فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الاولى وأومأ الخادم أيضا الى أن اسكت فسكت ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لى أعد فأعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال أحسنت أحسنت ثلاث مرات ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت الى أحد بعد وأمر لى من فى منزله بحلى كثير أخرجه الى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة اشتراها منى الشيعة فحصل لى مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته ثم ان دعبلا استوهب من على بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله فى أكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه اياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم اياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصبا وقالوا له ان شئت أن تأخذ المال فافعل والا فأنت أعلم فقال لهم انى والله لا أعطيكم اياها طوعا ولا تنفعكم غصبا وأشكوكم الى الرضى فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كم من بطانتها فرضى بذلك (وحدث) دعبل قال لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدى وعزمت على أن أعمل قصيدة فى عبد الله بن طاهر فى تلك الليلة فانى لفى ذلك اذ سمعت والباب مردود على قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أألج يرحمك الله فاقشعر بدنى من ذلك ونالنى أمر عظيم فقال لى لا ترع فانى رجل من اخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ علينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك (مدارس آيات) الى آخرها فأحببت أن أسمعها منك قال فأنشدته اياها فبكى حتى خر ثم قال يرحمك الله ألا أحدثك بحديث فى نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك قلت بلى قال مكثت حينا أسمع بجعفر بن محمد رحمهما الله تعالى فصرت الى المدينة المنورة فسمعته يقول حدثنى أبى عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على وشيعته هم الفائزون ثم ودعنى لينصرف فقلت يرحمك الله ان رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل قال أنا ظبيان بن عامر (وحدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال بويع ابراهيم بن المهدى ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم فاحتبس عليهم العطاء فجعل ابراهيم يسوفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة الى أن خرج رسوله اليهم يوما وقد اجتمعوا وضجوا فصرح اليهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا الينا خليفتنا ليغنى أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولاهل هذا الجانب مثلها قال اسحق فأنشدنى دعبل بعد أيام

ألا معشر الاجناد لا تقنطوا * وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية * يلتذها الامرد والأشمط
والمعبديات لقوادكم * لا تدخل الكيس ولا تربط

من بيتيه ثم ذكر أنه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشلوا فخذه بسهم فقال
ان بنى زملونى بالدم
من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم
(وذكر أبو الفرج) هذا الرجز فى حكاية أخرى تتصل بزيد ابن العباس التغلبى والربيع ابن نمير قالا عدا عقيل بن علقمة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فوجد بنيه وأمهم مجتمعين فشد على علقمة بسيف فحاد عنه وتغنى بقوله
قفى يا ابنة المرى نسألك ما الذى
تريدين فيما كنت منيتنا قبل
نخبرك ان لم تنجزى الوعد أننا
ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فان شئت كان الصرم بينى وبينكم
وان شئت لم تبق المكارم والبذل
فقال عقيل يا ابن اللخناء متى منتك نفسك بهذا وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لامه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك فى دمه ويرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله
من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم
(قال المدائنى) وأخزم فحل

وهكذا يرزق قتواده * خليفة مصحفه البربط

ودخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له أى شئ تحفظ ياعبدالله لدعبل قال أحفظ أبياتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها فأنشده عبدالله قوله

سقيا ورعيا لأيام الصبابات * أيام أرفل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته * أصبو الى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه * واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله * نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه وجد والله مقالا فقال ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ثم قال المأمون لقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسفر الذين تحملوا * الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها * وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفهن كما ترى * لكل اناس جدبة وربيع

ثم قال المأمون ماسافرت قط الا كانت هذه الابيات نصب عينى وهجيراى ومسليتى حتى أعود ومن شعره يهجو

رفع الكلب فاتضع * ليس فى الكلب مصطنع
بلغ الغاية التى * دونها كل ماارتفع
انما قصر كل شى * ء اذا طار ان يقع
لعن الله نخوة * صار من بعدها ضرع

ومن شعره يهجو أيضا

سمعت المديح رجالا دون مالهم * رد قبيح وقول ليس بالحسن
فلم أفز منهم الا بماحات * رجل البعوضة من نخارة اللبن

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج الى شفيع يشفع له

ياعجبا للمرتجى فضله * اقدر بما ليس بالنافع
جينابه يشفع فى حاجة * فاحتاج فى الاذن الى شافع

(وحدث) دعبل قال خرجت الى الجبل هاربا من المعتصم فكنت أسير فى بعض طريقى والمكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديدا فتغنى المكارى بقولى

لاتعجبى ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب اليه ليكف عما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى تعرف لمن هذا الشعر يافتى قال لمن ناك أمه وغرم درهمين فما أدرى من أى أموره أعجب أمن هذا الجواب أم من قلة الغرم على عظم الجناية (وحدث) على بن عبدالله بن مسعدة قال قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى ابن البراء النصرانى

زناره فى خصره معقود * كأنه من كبدى مقدود

والله ما أعلم انى حسدت أحدا كما حسدت بكرا على قوله كأنه من كبدى مقدود وكان بكر هذا وراقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعا وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا فاطرح (وحدث) بعض الكوفيين قال حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده وغنا فما انتبهنا الا صباح بكر يستغيث من العطش فقلت له مالك قم فاشرب فالدار ملأى ماء قال أخاف قلت من أى شئ قال فى الدار كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب على ويقطعنى ويأكلنى فقلت له خرب الله بيتك أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان قم فاشرب ان كنت عطشانا وأنت آمن وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب (وحدث) أحمد بن عثمان الطبرى قال سمعت دعبل بن على يقول لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذت معى

(رجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال

شنشنة أعرفها من أخزم

فأرسلت مثلا (قال على بن ظافر) ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى وأن جده الادنى سعدا ضرب له مثلا لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ماذكره أبو الفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تفريق عقيل أولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون أذاه بانشاد الغزل بحضرة أخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغا فى الظن شديد الرقاعة وهم من شياطين العرب (وذكر أبو الفرج) محمد بن اسحق المعروف بالوراق ابن يعقوب النديم فى كتاب الفهرسة قال صار جياد واسحق بن الجصاص الى أبى غرار العجلى أحد رواة اللغة فقال له جياد اسمع شبا أقله وأجزه قال قل فقال جياد

فان كنت لاتدرين ما الموت فانظرى
الى دير هند كيف خطت مقابره

فقال اسحق

ترى ساكنا أقضى الله فيهم
رهائن حتف أوجبته مقادره

فقال أبو غرار

بيوت ترى أنقالها فوق أهلها

جوزاود عوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم صيحوا به قائلين

يا أبا سعد قوصره * زانى الاخت والمره لو تراه مجيبا * خلته عقد قنطره

أو ترى الاير فى استه * قلت ساق بقنطره

فصاحوا به فغلبته ولابى سعد المخزومى يهجو دعبلا وكان قد دعاه الى بيته وأضافه

لدعبل منة يمن بها * فلست حتى الممات أنساها أدخلنا بيته فأكرمنا * ودس امرأته فنكناها

(وحدث) أبو سعد المخزومى واسمه عيسى بن خالد الوليد قال أنشدت المأمون قصيدتى الدالية التى رددت فيها

على دعبل قوله ويسومنى المأمون خطة عاجز * أو ما رأى بالامس رأس محمد

وأول قصيدتى أخذ المشيب من الشباب الاغيد * والنائبات من الانام بمرصد

ثم قلت له يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أجيئك برأسه فقال لا هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا فأما

قتله فلا حجة فيه وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل (لا تعجبى يا سلم من رجل) الابيات فطرب لها وسأل عن قائلها

فقيل لدعبل غلام نشأ من خزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه

وجهزله ذلك مع خادم من خدمه الى خزاعة فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير اليه فلما دخل عليه وسلم

أمره بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فأنشده اياه فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا

فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم انه ما بلغه ان الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه

من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد

وليس حى من الاحياء نعلمه * من ذى يمان ولا بكر ولا مضر

الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر

قتل وأسر وتحريق ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمية معذورين ان قتلوا * ولا أرى لبنى العباس من عذر

أربع بطوس على القبر الزكى اذا * ما كنت تربع من دين على وطر

قبران فى طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قبر الزكى ولا * على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ ما شئت أو فذر

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ولعمرى لقد هذى هذا ولنفسه ظلم وآذى (وحدث) أبو حفص

النحوى مؤدب آل طاهر قال دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب * اليك الا بحرمة الادب فاقض ذمامى فاننى رجل * غير ملح عليك فى الطلب

قال فانتقل عبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه معها

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * ولو انتظرت كثيره لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه

ان ابن طوق وبنى تغلب * لو قتلوا أو جرحوا قصره

لم يأخذوا من دية درهما * يوما ولا من ارشهم بعره

دماؤهم ليس لها طالب * مطلولة مثل دم العذره

وجوههم بيض وأحسابهم * سود وفى آذانهم صفره

وقال فيه أيضا

سألت عنكم يا بنى مالك * فى نازح الارضين والدانيه

طرا فلم نعرف لكم نسبة * حتى اذا قلت بنى الزانيه

قالوا فدع داراً على يمنة * وتلك ها دارهم ثانيه

وجمع زوراً لا يكلم زائره (وذكر محمد بن سنان) مما رواه أبو الفرج أن مطيع ابن اياس وحماد عجرد ويحيى ابن زياد خرجوا فى سفر فلما نزلوا ببعض القرى عرفوا فأنزلوا منزلا وأتوا بطعام وشراب وبينما هم يشربون فى صحن الدار اذ أشرفت عليهم بنت دهقان من سطح لها وجه مشرق رائق فقال مطيع لحماد عندك يا حماد فقال حماد خذ فيما اشتئت فقال مطيع

ألا يا بأبى الناظر من بينهم وتحوى

فقال حماد

ويا سقيا السطح أشرفت من فوقه حذوى

فقال يحيى

ألا يا ليت فوق الحقو منها الاصقا حقوى

(وروى محمد بن خلف المرزبانى) عن بعض شعراء الكوفة قال قال لى محمد بن كناسة قد اشتهت دنانير يعنى جاريته المشهورة جمالا وأدبا أن تنظر الى الحيرة فهل لك أن تساعدنا وكان الزمان ربيعا فقلت نعم فقال تقدمنا لنلحق بك فقصدت الخورنق وجلست فى بعض المواضع المعشبة واذا به قد أقبل على بغلة ومعه دنانير على حمار فنزلا وجلسنا وقد سترت بعض وجهها منى فقلت أدعها وكان محمد يأنس بى ويسكن الى فقلت

فبلغت الابيات مالكا فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها اسحق بن العباس بن محمد بن علي العباسي وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبد الله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث اليه فقبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وان عدوا له قالها اما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها اليه ليغرى بدمه وجعل يتضرع اليه ويقبل الارض ويبكي بين يديه فرق له فقال أما اذا أعفيتك من القتل فلا بد أن أشهرك ثم دعا له بالعصي فضربه حتى سلح وأمر به فألقي على قفاه وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ثم خلاه فهرب الى الاهواز وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سما وأمره أن يغتاله كيف شاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الاوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم فمات من الغد ودفن بتلك القرية وقيل بل حمل الى السوس فدفن فيها وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين ومائة ووفاته في سنة ست وأربعين ومائتين ولما مات وكان صديق البحتري وكان أبو تمام قد مات قبله رثاهما البحتري بقوله

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي * مثوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوي لا تزل السماء مخيلة * تغشاكما بسماء مزن مسبل
جدث على الاهواز يبعد دونه * مسرى النعي ورمسه بالموصل

ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة

المقابلة

(ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل)

البيت من البسيط ويعزى لابي دلامة يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة فقال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك قال قول الشاعر وأنشده البيت قال ابن أبي الاصبع لا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله فانه قابل بين أحسن وأقبح والدين والكفر والدنيا والافلاس وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ وأحسن من بيت أبي دلامة قول المتنبي

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

ومن المقابلة قول النابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الفرزدق

واباالنمضي بالاكفر ماحنا * اذا أرعشت أيديكم بالمعالق

وقول عبد الله بن الزبير الاسدي

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبي تمام

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقول البحتري

فاذا حاربوا أذلوا عزيزا * واذا سالموا أعزوا ذليلا

وقول يزيد بن محمد المهلبي لسليمان بن وهب

فمن كان للآثام والذل أرضه * فأرضكم للاجر والعز معقل

وقول العباس بن الاحنف

اليوم مثل الحول حتى أرى * وجهك والساعة كالشهر

لان الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر ولمؤلفه من أبيات

لو كان ذا الكشح في بلدتي * لم يستطع لو مضى ومضا
وكنت في العز سماء له * وكان لي من ذله أرضا

وحسن في المقابلة قول الشريف الموسوي

ومنظر كان بالسراء يضحكني * يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

وقول أبي عبد الله الغواص

اغا انسترين وجهك عن شيخ فقالت طماح العين قال فضحكنا ثم أخذنا ننظر الى رياض الحيرة وبقاعها ونتذكر ما مضى لها من الزمان ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الانوار والالوان فأخذ محمد عودا وكتب على الارض

الآن حين تزين القطر * أنجاده ووهاده العفر

ثم قال لدنانير أجيزيه فكتبت تحته

بسط الربيع بها الرياض كما * بسطت ثياب في الثرى خضر

فقلت أحسنت وكتبت بتربة في البحر نابتة

يجبي اليها البر والبحر

فكتبت

وسرى الفرات على مياسرها * وجرى على أيمانها النهر
وبدا الخورنق في مطالعها * فردا يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم * يعمل بها المملك قبر

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية ورواها عن عبيد ابن الحسين وعزا جميع أبياتها الا ابن كناسة * قال الاصمعي ما رأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد الا مرة دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فقال استبقا الى بيت فمن أصاب غرضي فله عشرة آلاف درهم

جهل الرئيس وحق الله يضحكنا * وفعله والله الناس يبكينا

وقول ابن شمس الخلافة طالت الشقوة للمرء اذا * قصر الرزق وطال العمر

وقول السري الرفاء

وصاحب يقدح لي * نار السرور بالقدح في روضة قد لبست * من لؤلؤ الطل سبح

والجو في ممسك * طرازه قوس قزح يبكي بلا حزن كما * يضحك من غير فرح

وقوله وقد شرب ليلة في زورق

ومعتدل يسعى الي بكاسه * وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك

وقد حجب الغيم السماء كأنما * يزر عليها منه ثوب ممسك

ظللنا نبث الوجد والكاس دائر * ونهتك أستار الهوى فتهتك

ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي * وابريقنا في الكاس يبكي ويضحك

وقول التمتام الحداد المصري

أما ترى الغيث كلما ضحكت * كمائم الزهر في الرياض بكى

كالصب يبكي لديه عاشقه * وكلما فاض دمعه ضحكا

وما أحسن قول الارجاني وأرشقه

شبت أنا والتحى حبيبي * حتى برغمي سلوت عنه وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه

وما أصفى قول الصفي الحلي

مليح يغير الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره * ولا فيه شيء بارد غير ريقه

وما أشرق قول الشمس التلمساني

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

وكم يدعي صونا وهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقد أخذه بعضهم أخذا مليحا فقال

أقلي النهار اذا أضاء صباحه * وأظل أنتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز وهو قوله

لا تلق الا بليل من تواعده * فالشمس نمامة والليل قواد

الا ان ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقواد وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه فصار أحق به منه

وقال عبد الله بن خميس من شعراء المغاربة

باتت له الاهواء أدهم سابقا * وغدت به الايام أشهب كابي

فأحسن ما شاء لمقابلته الادهم بالاشهب والسابق بالكابي على انه مأخوذ من قول ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله تعالى

وقد كنت أسري في الظلام بأدهم * فها أنا أغدو في الصباح بأشهب

وفي بيت كل منهما زيادة على الآخر ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفي اربل وهو على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(حكي) غرس الدين الاربلي ان الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت قال هو بديها

قال فأشفقت ومنعتني هيبته وبدر الشطرنجي بجراءة العميان فقال

كلما دارت الزجاجة زادته اشتياقا وحرقة فبكاك

فاستحسنه وأجازه فرالت عني الهيبة فقلت

لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجافت أمنيتي عن سواك

فقال لله درك لك عشرون ألفا ثم أطرق ورفع رأسه وقال أنا والله أشعر منكما وأنشد

فتمنيت أن يغشيني الله نعاسا لعل عيني تراك

(وقد أنبأني التقي) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن أبي طاهر الحافظ السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ عن أبي يعقوب النجيرمي قال حدثنا الازدي عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الاعمى المعروف بالشطرنجي فقال استبقا الى آخره فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي فهبته وبدرني أبو حفص فقال

مجلس ينسب السرور اليه لمحب ريحانه ذكراك

فقال قد قاربت ولك العشرة وتهيبته فقال

كلما دارت الزجاجة

تسر لئيما مكرمات تزينه * وتبكى كريما حادثات تهينه

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة

يأتى الى الاحرار يجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويؤتى

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى

هن البدور تغيرت لما رأت * شعرات رأسى آذنت بتغير

راحت تحب دجى شباب مظلم * وغدت تعاف ضحى مشيب نير

(وأبو دلامة) اسمه زند بن الجون وأكثر الناس يصحف اسمه ويقول زيد بالياء التحتية وهو خطأ وانما هو بالنون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد وكان أبوه دلامة عبدا لرجل منهم يقال له قضافض فأعتقه وأدرك آخر أيام بنى أمية ولم يكن له فيها نباهة ونبغ فى أيام بنى العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهدى وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ولم يصل لاحد من الشعراء ما وصل لابى دلامة من المنصور خاصة وكان أبو دلامة فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم وفيها يقول

أبا مسلم خوفتنى القتل فانتحى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

أبا مسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

وأنشدها المنصور فى محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وان يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى فقال له أبو جعفر ما حالك قال شر حال وجهى فى وسطى وسيفى فى استى وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذت كتاب الله وراء ظهرى فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له اياك أن يسمع منك هذا أحد وفى ذلك يقول أبو دلامة

وكنا نرجى منحة من امامنا * فجاءت بطول زاده فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جللت بالبرانس

(وحدث) الجاحظ قال كان أبو دلامة واقفا بين يدى المنصور أو السفاح فقال له سلنى حاجتك قال أبو دلامة كلب صيد قال أعطوه اياه قال ودابة أتصيد عليها قال أعطوه قال وغلام يقود الكلب قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلابد من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال وان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال وما الغامرة قال ما لا نبات فيه من الارض قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا المائتين كلها عامرة قال فأذن لى أن أقبل يدك قال أما هذه فدعها فانى لا أفعل قال والله ما منعت عيالى شيأ أقل ضررا عليهم منها قال الجاحظ فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها حيث ابتدأ بكلب فسهل القضية وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه (وحدث) الهيثم بن عدى قال دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التى أولها

بان الخليط أجد البين فانجعوا * وزودوك خيالا بئس ما صنعوا

الى أن قال فيها يحوز وجته

لا والذى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسبابها الرفع

ما زلت أخاصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع

ثم ذكر باقى الحكاية بنحو ما فى الاولى (وحدث) زريق العروضى قال أصبحت مخمورا فتفكرت فيمن آنس به فذكرت عنان فاستأذنت عليها فاذا عندها أعرابى فقالت يا عم قد أتانى الله بك على فاقة ان هذا الاعرابى قصدنى فقال قد بلغنى أنك شاعرة فقولى حتى أجيز وقد أرتج على فقلت لقد قل العزاء وعيل صبرى عشية عيسهم للبين زمت

فقال الاعرابى

نظرت الى أواخرهن صبحا وقد رفعت لها حدج فخنت

فقالت عنان

كتمت هواهم فى الصدر منى ولكن الدموع على نمت

فقال الاعرابى أنت أنت أشعرنا ولولا أنك حرمة لقبلتك (قال) وروى محمد ابن عيسى بن عبد الرحمن قال خرج ابراهيم بن العباس الصولى ودعبل الخزاعى وأخوه رزين فى نظراء من أهل الادب رجالة الى بعض البساتين فى خلافة المأمون وذلك فى زمن خمول ابراهيم فلقوا جماعة من أهل السواد من جمال الشوك فأعطوهم شيأ وركبوا حميرهم فأنشأ ابراهيم يقول

أعيضت من حمول الشو ك أجمالا من الحرف

نشاوى لا من الصهبا ء بل من شدة الضعف

شوهاء

شوهاء مشنية فى بطنها بخل * وفى المفاصل من أوصالها فدع

ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترتدع

فاخرنطمت ثم قالت وهى مغضبة * أأنت تتلو كتاب الله يالكع

اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة * كما لجيراننا مال ومزدرع

واخدع خليفتنا عنا بمسألة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها بسبعمائة جريب عامرة وغامرة فقال أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وان شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبى ليلى القاضى على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده

ان الناس غطونى تغطيت عنهم * وان بحثوا عنى ففيهم مباحث

وان حفروا بئرى حفرت بئارهم * ليعلم يوما كيف تلك النبائث

فأقبل القاضى على المرأة وقال أتبيعينى الأتان قالت نعم قال بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها اليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال قد وهبتها لك وقال لابى دلامة قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكى لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف ودخل أبو عطاء السندى يوما الى أبى دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب فأكلا وشربا وخرجت الى أبى دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال

بلت على ثوبى لا حييت * فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم التفت الى أبى عطاء فقال له أجز يا أبا عطاء فقال

صدقت أبا دلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم

ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فقال له أبو دلامة عليك لعنة الله ما حملك على ان بلغت بى هذا كله والله لا أنازعك بيت شعر أبدا فقال له أبو عطاء يكون الذى من جهتك أحب الى ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فاخبره بقصة ابنته وأنشده الابيات ثم اندفع فأنشده بعدها

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا فى شعاع الشمس كلكم * الى السماء فأنتم أكرم الناس

وقدموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والانف والاذنان فى الراس

فاستحسنها وقال بأى شئ تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه فأخرج خريطة قد خاطها من الليل وقال تملأ لى هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم ولما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول

أمسيت بالانبار يا ابن محمد * لم تستطع عن غيرها تحويلا

ويلى عليك وويل أهلى كلهم * ويلا وعولا فى الحياة طويلا

فلتبكين لك السماء بعبرة * ولتبكين لك الرجال عويلا

مات الندى اذ مت يا ابن محمد * فجعلته لك فى التراب عديلا

انى سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمح من سألت بخيلا

ألشقوتى أخرت بعدك للتى * تدع العزيز من الرجال ذليلا

فلأحلفن يمين حق برة * بالله ما أعطيت بعدك سولا

فأبكى الناس قوله وغضب المنصور غضبا شديدا وقال لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لاقطعن لسانك فقال

فقال رزين

فلو كنتم على ذاك

تماون الى قصف

تساوت حالكم فيه

ولم تبقوا على خسف

فقال دعبل

واذ فات الذى فات

فكونوا من أولى الظرف

ومروا نقصف اليوم

فانى بائع خفى

ثم باعه وأنفق ثمنه عليهم (وذكر يزيد بن أبى اليسر الرياضى) فى كتابه الامثال الذى جمعه للعزيز بن تميم صاحب القاهرة قال أخبرنى سيبويه قال اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الاشعثى فى بستان لابن مقبل وفى البستان نرجس تميس به الريح فقال ابن مقبل

شموس وأقمار من الزهر طلع

لذى اللهو فى أكنافها متمتع

فقال محمد بن مجمع

تجاذب أعلاها الرياح فتنثنى

فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

فقال الاشعثى

كأن عليها من مجاجة طلها

لآلئ الا أنها هى ألمع

ويصدرها عنها الصبا فكأنها

دموع براها البين والبين يفجع

(وذكر) عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال اجتمع عند أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم أحمد ابن أبى طاهر وأبو هفان

أبودلامة ياأمير المؤمنين ان أبا العباس كان لى مكرما وهو الذى جاءبى من البدو كما جاء الله عز وجل باخوة يوسف عليه السلام اليه فقل أنت كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فسرّى عن المنصور وقال قد أقلتك ياأبادلامة فسل حاجتك فقال ياأمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور ومن يعلم ذلك قال هؤلاء وأشار الى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا صدق ياأمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ ادفع اليه وسيره الى هذه الطاغية يعنى عبد الله بن على وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف فوثب أبودلامة فقال ياأمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فانى والله لمشؤم فقال له المنصور امض فان يمنى يغلب شؤمك فاخرج فقال والله ياأمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فانى لا أدرى أيهما يغلب يمنك أوشؤمى الا أنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة فقال دعنى من هذا فمالك من الخروج بد قال فانى أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستفرغ المنصور ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة (وحدث) أبودلامة قال أتى بى الى المنصور أوالى المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجنى فى بعث حرب فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة فلما التقى الجمعان قلت لروح أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه منى فضحك وقال والله العظيم لأدفعن ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الى ودعا له بغيرهما فاستبدل به فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنه حلاوة الطمع قلت له أيها الامير هذا مقام العائذ بك وقد قلت بيتين فاسمعهما فقال هات فأنشدته

انى استجرتك أن أقدم فى الوغى * لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لمن يجىء ولا يرى * لما درأت الموت فى النشاب

فقال دع عنك هذا وستعلم فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة فقال أخرج اليه ياأبادلامة فقلت أنشدك الله أيها الامير فى دمى فقال والله لتخرجن قلت أيها الامير انه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ما تنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشىء آكله ثم أخرج فأمر لى برغيفين ودجاجة فأخذت ذلك وبرزت من الصف فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان فأسرع الى فقلت على رسلك ياهذا كما أنت فوقف فقلت أتقتل من لا يقاتلك قال لا قلت أفتستحل أن تقتل رجلا على دينك قال لا قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك الى دينك قال لا فاذهب عنى الى لعنة الله فقلت لا أفعل أوتسمع منى قال قل قلت هل كان بيننا عداوة قط أو ترة أوتعلم بين أهلى وأهلك وترا قال لا والله قلت ولا أنا والله الا على جميل وانى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك وأريد الشر لمن أراده لك قال ياهذا جزاك الله خيرا فانصرف قلت ان معى زادا وأريد أن آكله وأريد مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ونرى أهل العسكرين هوانهم علينا قال فافعل فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكا فلما استوفينا ودعنى ثم قلت له ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندبنى لك فتتعب وتتعبنى فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل قال قد فعلت ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه قال ثم خرج آخر يريد البراز فقال أخرج اليه فقلت

انى أعوذ بروح أن يقدمنى * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد

عبد الله بن أحمد العبدى وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان بديها يمدح عليا

وقائل انرأى عزمى على الطلب
أتهت أم نلت ما ترجو من الادب
ن ابن يحيى عليا قد تكفل بى
وصان عرضى كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال

تذكى لزوّاره نار منورة
على يفاع ولا تذكى على صبب
من فارس الخيل فى ابيات مملكة
وفى الا كارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبى طاهر

له خلائق لم تطبع على طبع
ونائل وصلت أسبابه سببى
كالغيث يعطيك بعد الرىّ نائله
وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

(ومنه) قال اجتمع عند أحمد ابن أبى طاهر أبو الضياء القينى وأبو سلمان النابلسى الضرير فى أيام أبى الصقر على نبيذ فقال أحمد بن أبى طاهر

كأنما التف بريحانه
ثوب من النرجس مشقوق

فقال القينى

اور وضة خضراء نوارها
بالمزن مصبوح ومغبوق

فقال النابلسى

له نسيم بيننا ساطع

ان المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك وأعفاني (وعزم) موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلامة احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت اليه فأخذها وهرب الى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر وطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشي فوات الحج فخرج فلما شارف القادسية فاذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية الى قرية أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله

يا أيها الناس قولوا أجمعين معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب * اذا بدا لك في أثوابه السود
اني أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكلف حجا يا ابن داود
أنبئت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربي بتصريد
والله ما فيّ من أجر فتطلبه * ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف فألقي وعاد الى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف (ودخل) أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده

رأيتك في المنام كسوت جلدي * ثيابا جمة وقضيت ديني
وكان بنفسجي الخز فيها * وساج ناعم فأتم زيني
فصدق يا فدتك النفس رؤيا * رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال لا تعدت تحلم علي ثانية فاجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس فأخذ فقيل له من أنت وما دينك فقال

ديني على دين بني العباس * ما ختم الطين على القرطاس
اذا اصطبحت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لكم من باس

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه وأتوا به الى المنصور وكان يؤتى بكل من أخذه العسس فحبسه مع الدجاج في بيت فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديكة فلما أكثر قال له السجان ما شأنك قال ويلك من أنت وأين أنا قال في الحبس وأنا فلان السجان قال ومن حبسني قال أمير المؤمنين قال ومن خرق طيلساني قال الحرس فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب الى المنصور

أمير المؤمنين فدتك نفسي * علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى * لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا * ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي * بأني من عقابك غير ناجي
على أني وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجي

فدعا به وقال له أين حبست يا أبا دلامة فقال مع الدجاج قال فما كنت تصنع قال أقوقي معهم حتى أصبحت فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس فأمر برده ثم قال له يا خبيث شربت الخمر قال لا قال أفلم تقل طبخت بنار الله

كأنه بالمسك مفتوق
كأنه يا ابن أبي طاهر
من طيب أخلاقك مخلوق

(وذكر أبو حفص عمر بن محمد بن علي المطوعي) في كتاب درك الغرر ودرج الدرر في محاسن نظم الأمير أبي الفضل الميكالي قال سمعت الأمير أبا الفضل يقول سمعت أبا القاسم الكرخي يقول كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا أبو العباس الضبي وقد وقف على رؤسنا غلام كأنه فلقة قمر فغاب فقال الصاحب مرتجلا

أين ذاك الظبي أينه

فقال أبو العباس الضبي

شادن في زي فتنه

فقال الصاحب

بلسان الدمع تشكو
أبدا عيناي عينه

فقال أبو القاسم

لي دين في هواه
ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل عند انشاد أبي القاسم فقال

لا قضى الله بين
أبدا بيني وبينه

(وأخبرت) أن الأمير أبا الفتح ابن أبي حصينة السلمي وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخفاجي الحلبي اجتمعا عند الأمير سديد الملك أبي الحسن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني فتفاوضوا في فنون الأدب فقال ابن أبي

تعنى الشمس قال لا والله ماعنيت الا نار الله الموصدة التى تطلع على فؤاد الربيع فضحك وقال خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له (ولما) قدم المهدى من الرى دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول

انى نذرت لئن لقيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال صلى الله على النبى محمد وسلم وأما الدراهم فلا فقال له أنت أكرم من أن تفرق بينهما ثم تختار أسهلهما فضحك وأمر بأن يملأ حجره دراهم (ودخل) أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به وبكى فبكت معه فقالت أم سلمة لم أجد أحدا أصيب به غيرى وغيرك يا أبا دلامة قال ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد وما ولدت أنا منه قط فضحكت ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح الا ذلك الوقت وقالت له لو حدثت الشيطان لأضحكته (ودخل) يوما على المهدى وهو يبكى فقال له مالك قال ماتت أم دلامة وأنشد لنفسه فيها

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش مونق ناضر رغد
فأفردنى ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فأمر له بطيب وثياب ودنانير وخرج فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قد مات فأعطتها مثل ذلك وخرجت فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه (وحدث) المدينى قال دخل أبو دلامة على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له أنا أعطى الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لأضرب عنقك فنظر اليه القوم وغمزوه بان عليهم رضاه قال أبو دلامة انى وقعت وانها عزمة من عزماته ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجائى نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزير اذا وضع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وخرج) المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان فأصاب كلبا فقتله فقال فى ذلك أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه وقال صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب على بن سليمان بصائد الكلاب فعلق به (وتوفيت) حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة ما أعددت لهذه الحفرة قال بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه (وحدث) الهيثم بن عدى قال حجت الخيزران فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلنى الله فداك الله الله فى أمرى فقالت من هذا قالوا أبو دلامة قالت اسألوه ما أمره قال أدنونى من محملها فأدنى فقال أيها السيدة انى شيخ كبير وأجرك فى عظيم قالت فه قال تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى فقد عاف جلدى جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت وقالت سوف آمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها الى بغداد وأقام حتى سئم ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران فيها

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيده * أنها أرشدها الله وان كانت رشيده
وعدتنى قبل أن تخرج للحج وليده * فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده

حصينة
قسران غاب عن بصرى
فقال الخفاجى
ففؤادى حذ مطلعه
فقال ابن أبى حصينة
لست أنسى أدمعى ولها
فقال الخفاجى
خلطت فى فيض أدمعه
فقال سديد الملك
قلت زرنى قال مبتسما
طمع فى غير موضع
(قال على بن ظافر) أخبرنى من أثق به بما معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبنى عباد بموضع يقال له الغيث تحف به مروج مشرقة الانوار منتسمة النجود والاغوار مبتسمة عن ثغور النوار فى زمن ربيع سقت السحب الارض فيه وسميها ووليها وجلتها فى زاهر ملابسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزرى بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يزرى بنواعس الاجفان وقد نووا انفرادهم باللهو والطرب والتنزه فى روضتى النبات والادب وبعثوا

كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديده ... ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده ... وجهها أقبح من حو * ت طري في عصيده
ماحياتي مع أنثى * مثل عرسي بسعيده

فلما قرئت عليها الابيات ضحكت واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت الى آخره وجعلت تضحك ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها خذي كل مالك في قصري ففعلت ثم دعت بخادم وقالت له سلمها الى أبي دلامة فانطلق الخادم بها فلم يصبه في منزله فقال لامرأته اذا رجع فادفعها اليه وقولي له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها فقالت له نعم فلما خرج دخل اليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكي فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت ان أردت أن تبرني يوما من الدهر فاليوم قال قولي ماشئت فاني أفعله قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه والا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته أين الجارية فقالت في ذلك البيت فدخل اليها شيخ محطم ذاهب فمد يده اليها وذهب ليقبلها فقالت له مالك ويلك تنح عني والا لطمتك لطمة دققت بها أنفك فقال أبهذا أوصتك السيدة فقالت انها بعثت بي الى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت وقد كان عندي آنفا ونال مني حاجته فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها فخرج الى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه الى المهدي فمضى به متلببا حتى وقف على باب المهدي فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بادخاله فلما دخل قال له مالك ويلك قال عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة مالم يعمله ولد بأبيه ولا يرضيني الا أن تقتله فقال ويلك فما فعل بك فأخبره الخبر فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس فقال له أبو دلامة أعجبك فعله فتضحك منه فقال علي بالسيف والنطع فقال له دلامة قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي قال هات قال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمي منذ أربعين سنة ماغضبت نكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ماترى فضحك المهدي أشد من ضحكه الاول ثم قال دعها له وأنا أعطيك خيرا منها قال على أن تخبأها لي بين السماء والارض والا ناكها والله كما ناك هذه فتعهد المهدي الى أبي دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله وحلف أنه ان عاود قتله وأمر له بجارية أخرى كما وعده (ودخل) أبو دلامة على المهدي وسلمة الوصيف واقف فقال اني قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لاحد مثله فان رأيت أن تشرفني بقبوله فأمر بادخاله اليه فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذي كان تحته فاذا هو برذون محطم أعجف هرم فقال له المهدي أي شيء ويلك هذا ألم تزعم أنه مهر فقال له أوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة وهو يعد عندك وصيفا فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ثم قال لسلمة ويحك ان لهذه منه أخوات وان أتى بمثلها في محفل يفضحك فقال أبو دلامة اي والله يا أمير المؤمنين لافضحنه فليس في مواليك أحد الا وقد وصلني غيره فاني ماشربت له الماء قط قال فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك قال قد فعلت على أن لا يعاود قال أفعل ولولا أني ما أخذت منه شيأ قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها اليه وسلمها اياها (وجاء) دلامة يوما الى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالس فجلس بين يديه ثم أقبل على الجماعة فقال لهم ان شيخي كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا الى حياته حاجة شديدة ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني واني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته فاسعفوني بمسألته معي فقالوا نفعل وحبا وكرامة ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت فقال قولوا لهذا الخبيث فليقل مايريد فستعلمون أنه لم يأت الا ببلية فقالوا قل فقال ان أبي مايقتله الا كثرة الجماع فتعاونوني عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره فعجبوا مما أتى به وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر فضحكوا منه

صاحبهم خليفة قوم لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهروب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعل النبيذ الذي كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفي عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمن وعدوانه والخطب وألوانه ودخوله بطوام المضرات على تؤام المسرات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه
ونأمن والمنون لنا مخيفه

وقال ابن خلدون

وفي يوم وما أدراك يوم
مضى قمالنا ومضى خليفه

وقال ابن عمار

هم انفاروا تلراح وروح
تكسر نافشقفات وجيفه

(وأخبرني) التمربف نفر

ثم قالوا لابى دلامة قد سمعت فأجب قال قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخبر قالوا فما عندك فى هذا قال قد جعلت أمه حكما بينى وبينه فقوموا بنا اليها فقاموا بأجمعهم وخلوا اليها وقص أبو دلامة القصة عليها وقال قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت ان ابنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبره ولم يأل جهدا وما أنا الى بقاء أبيه بأحوج منى الى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك فى معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا أبوه فجعل أبوه يضحك منه وخجل ابنه دلامة وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم فى ذلك المذهب (وكان) عند المهدى رجل من بنى مروان قد جاءه مسلما فأتى المهدى بعلج فأمر المروانى أن يضرب عنقه فأخذ السيف وقام فضربه فنبا عنه فرمى به المروانى وقال لو كان من سيوفنا ما نبا فسمعها المهدى فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال يا أمير المؤمنين ان هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل الا فى أيدى الاولياء ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية ثم قام أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين قد حضرنى بيتان أفأقول قال قل فأنشده

أيهذا الامام سيفك ماض * وبكف الولى غير كهام

فاذا ما نبا بكف علمنا * أنه كف مبغض للامام

فقام المهدى من مجلسه وسرى عنه وأمر بجابه بقتل المروانى فقتل (وقال ابن النطاح) دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته فى بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معايبها فلما أنشده قوله

أتانى خائب يستام منى * عريقا فى الخسارة والضلال

فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعى غير غالى

فأقبل ضاحكا نحوى سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال

هلم الى يخاوبى خداعا * وما يدرى الشقى لمن يخالى

فقلت بأربعين فقال أحسن * الى فان مثلك ذو سجال

فأترك خمسة منها لعلمى * بما فيه بصير من الخبال

فقال له المهدى لقد أفلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها على قال ثم أنشده

فابدلنى بها يا رب طرفا * يكون جمال مركبه جمالى

فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الاصطبل فقال يا أمير المؤمنين ان كان الاختيار الى وقعت فى شر من البغلة ولكن مره أن يختار لى فقال اختر له وأخبار أبى دلامة كثيرة وقد أثبتنا منها طرفا صالحا وكانت وفاته سنة احدى وستين ومائة رحمه الله تعالى

﴿ كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار ﴾

البيت للبحترى من قصيدة من الخفيف يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما ومنها قوله

أبكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار

لا هناك الشغل الجديد بحزوى * عن رسوم برامتين قفار

ما ظننت الاهواء فيك تعفى * فى صدور العشاق محو الديار

الى أن قال منها فى وصف النوق

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى

وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها فى تشكيه من الغلام الاجير ويسأل مخدومه فى هبته غلاما ويصفه

قد ملناك يا غلام فغاد * بسلام أو رائح أو سارى

سروا نأى عنى خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار

أنا من ياسر وسعد وفتح * لست من عامر ولا عمار

لا أحب التطيير يخرجه الشتم الى الاحتجاج والافتخار

فاذا رعته بناحية السو * ط على الذنب راعنى بالفرار

الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره قال أخبرنى الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى قال أخبرنى ابن الدهان القرطبى قال مضيت أنا وأبو الفضل البغدادى وابن صلاح الى دار أمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فأساء لنا حاجبه قنبر وأفرط فى منعنا من الدخول اليه فقال أبو الفضل

قد بلينا فى دار أسعد خلق بعدبر

فقلت

بقصير مطول

مستطيل مقصر

فقال ابن الصلاح

كم تقولون قنبر

قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا فدخلنا نضحك فسألنا عن سبب ضحكنا فأخبرناه بالسبب فقال أنشدونى الابيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم فأنشدناه الاول فقال هذا لابى الفضل لانه شاعركم ثم أنشدناه الثانى فقال هذا لك لان فيه شيأ من ألفاظ المهندسين وأنت رجل مهندس ثم قال والثالث لابن الصلاح لانه مخضرم (قال على بن ظافر) مضيت أنا وشمس الدين المقدم ذكره والقاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله فى جماعة من

مراعاة النظير

ما بأرض العراق يا قوم حر * يشتريني من خدمة الاحرار
هل جواد بأبيض من بني الاصفر محض الجدود محض النجار
لم يرم قومه السرايا ولم يغشزهم غير جحفل جرار
توجته الرياح أغيد مجدو * لا قصير الزنار وافي الازار
فوق ضعف الصغار ان وكل الامر اليه ودون كبر الكبار
لك من ثغره وخديه ماشئت من الاقحوان والجلنار
وكأن الذكاء يبعث منه * في سواد الامور شعلة نار
يا أبا جعفر وما أنت بالند * عو الا لكل أمر كبار
ولعمري للجود بالناس للنا * س سواه بالثوب والدينار
وقليل الا لديك بهذا الشفيع أخذ الغلمان بالاشعار

ومعنى البيت أنه يصف ابلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسي بل السهام بل الاوتار وقد تداول الشعراء هذا المعنى وتجاذبوا أطرافه فمن ذلك قول الشريف الموسوي

هن القسي من النحول فان سما * خطب فهن من النجاء الاسهم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضا

خوص كأمثال القسي نواحلا * واذا سما خطب فهن سهام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة أيضا

وقد ما برت منها قسيا يد السرى * وفوق منها فوقها المجد أسهما

وقال ابن النبيه

ان خوص الظلماء أطيب عندي * من مطايا أمست تشكى كلاله
فهي مثل القسي شكلا ولكن * هي في السبق أسهم لا محاله

(والشاهد في البيت) مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه مع الغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم من ذكر القسي وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية كما في قول مهيار

ومدير سيان عيناه والابـريق فتكا ولحظه والمدام

والابريق هنا السيف سمي بذلك لبريقه وكان يصح أن يقال سيان عيناه والصمصام أو الهندي فاختار الابريق لمناسبته لفظ المدام اذ الابريق يطلق على اناء الخمر وليس هذا من المعنى في شئ وانما هو مراعاة مجرد اللفظ ومن أحسن ما ورد في مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعلة الباس * من جلنار ناضر خده
وأذنه من ورق الآس * تطلع للغرة في وجهه * حبابة تضحك في الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة وقول ابن الساعاتي من أبيات في وصف الثلج

ألسحب رايات واسع بروقها * بيض الظبي والارض طرف أشهب
والنقع قسطله وزهر شموعنا * صم القنا والقمع نبل مذهب

وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ون والضحى * وبنو تبارك والكتاب المحكم
وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

فانه أحسن في المناسبة في البيت الاول بين أسماء السور وفي الثاني بين الجهات الحجازية وما أعجب قول

أصحابنا الى الدير المعروف بالقصير ايثار النظر تلك الآثار فلما تنزهنا في حسن منظره وقضينا الوطر من نظره تعاطينا القول فيه جريا على عادة خلعاء البلغاء وظرفاء الادباء ومجان الشعراء الذين نبذوا الوقار بالعراء فقطعوا طريق الاعمار بطروق الاغمار وضيعوا العين والعقار في تحصيل العين والعقار فقال الشهاب

سقى الله يومي بدير القصير
قصير العزالي طويل الذيول
محل اذا لاح لي لم أقف
بصحبي على حومل فالدخول

فقلت

فكم فيه من قمر في دجى
على غصن في كثيب مهيل
بلحظ صحيح وجفن سقيم
وروح خفيف وردف ثقيل

فقال الاعز

قطعت به العيش مع فتية
صباح الوجوه كرام الاصول
بكل كريم قصير المرا
حاز المعالي بباع طويل

فقال الشهاب

اذا قسه سل سيف المدام
فكم من سليب وكم من قتيل

فقال الاعز

وكم من خليع كريم الفعال
يجدد بالجود عيظ البخيل

فقلت

يوافيه ذا ذهب جامد
فيفنيه في ذائب للشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير

السلامى
أوما ترى طرر البروق توسطت * أفقا كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف

وقوله فى وصف النارنج والسماريات فى نهر طلعت عليه الشمس
تنشط للصبوح أبا على * على حكم المنى ورضى الصديق * بنهر للرياح عليه درع
يذهب بالغروب وبالشروق * اذا اصفرت عليه الشمس صبت * على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق * يغازلنى على قد رشيق * وجرشب فى الأغصان حتى
أضاع الماء فى وهج الحريق * فدهم الخيل فى ميدان تبر * يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضا فى وصف الحب
الحب كالدهر يعطينا ويرتجع * لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا تغرى الصبابة بى * والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم فى أجفاننا خلس * ولا الزيارة من أحبابنا لمع
اذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى * وراية اللهو واللذات لى شيع

وما أحسن قول السرى الرفاء
وغيم من هفات البرق فيه * عوار والرياض بها كواسى * وقد سلت جيوش القطر فيه
على شهر الصيام سيوف باس * ولاح لنا الهلال كشطر طوق * على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبى طالب البغدادى النحوى من أبيات
ومهمه سرت فيه والبساط دم * والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقول أبى حنيفة الاسترابادى غاية هنا وهو
هل عثرت أقلام خط العذار * فى مشقها فالخال نضح العثار * أو استدار الخط لما غدت
نقطته مركز ذاك المدار * وريقه الخمر فهل ثغره * در حباب نظمته العقار

وقوله وهو بديع أنا الرى بسهم اللحظ اذ رشقا * فلم تدرع من أصداغه الحلقا

وقول أبى على الحسن الباخرزى والد صاحب دمية القصر
وذى زجل والى سهام رهامه * وولى فالقى قوسه فى انهزامه
ألم تر خد الورد مدمى لوقعها * وانصلها مخضوبة فى كمامه

وما أحسن قول الحسين بن على النميرى من قصيدة
روض اذا اجرت الرياح مريضة * فى زهره استنشقت به مرضاها
واذا تقابلت الندامى وسطه * سكر الصحاة كما صحا سكراها

وما أزهر قول بعضهم يرثى فقيها حنفيا
روضة العلم قطبى بعد بشر * والبسى من بنفسج جلبابا
وهى النائحات منثور دمع * فشقيق النعمان بان وغابا

ولابى المعصب الحلبى
ذرفت عين الغمام * فاستهلت بسجام
وبكى الابريق فى الكا * س بدمع من مدام
فاسقنى دمعا بدمع * من مدام وغمام
واعص من لام فيه * ليس ذا وقت الملام

ولابى العلاء المعرى
دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن أقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

هذا الروى والوزن فقال
على عمر القصير قصرت عمرى
وصنت خلاعتى وأزلت وقرى
فقال الاعز
ولم أسمع لعمرى قول زيد
اذا ما لامنى أو قول عمرو
فقلت
ظفرنا فيه من شفق وكاس
بشمر وبين من ريق وخمر
فقال الشهاب
ودافعنا يقين الدين فيه
بظنونين من خمر وخضر
فقال الاعز
كسوت به الكؤس البيض حمرا
من القمص اشتريناها بصفر
فقلت
وظلت عارق اللهو أتلو
بهز البيض فيه عناق سمر
(قال على بن ظافر) وجلسنا
يوما فى روض قد ماست
قدوده واخضرت بروده
وتجلى ورده من عيون
نرجسه فاحمرت خدوده
والروض يهدى الى الآناف
طيب عرفه والنسيم يركض
فى ميادين الازهار بطرفه
فقلت
بعث النسيم الى الرياض رسولا
يوحى اليه بكرة وأصيلا
فقال الاعز
يدعو الى شرب المدام فليتنى
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
فقال الشهاب
ياويلتى ذهب الشباب فليتنى
لم أتخذ فيه العفاف خليلا
(وما روى) فى مثل هذا

وما أحسن قول الواواء الدمشقي

سقي القوم غدا قوس الغمام به * والشمس مشرقة والبرق خلاس

كأنه قوس رام والبروق له * رشق السهام وعين الشمس برجاس

وما أبدع قول السلامي وقد خالط الفجر الظلام كما التقى * على روضة خضراء ورد وأدهم

وعهدي بها والليل ساق ووصلنا * عقار وفوها الكاس أو كاسها الفم

ولبعض شعراء الذخيرة بدار سقتها ديمة أثر ديمة * فمالت بها الجدران شطرا على شطر

فمن عارض يسقي ومن سقف مجلس * يغني ومن بيت يميل من السكر

ومن الغايات في هذا الباب قول البديع الهمداني من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من عزم أجوب جيوبه * كأني في أجفان عين الردى كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لها شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطي لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى أكل

كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع * وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل

كأنا على أرجوحة في مسيرنا * لغور بنا تهوي ونجد بنا تعلو

ومنها في المديح ولم يخرج عن حسن المناسبة

كأن في قوس لساني له يد * مديحي له نزع به أملي نبل

كأن دواتي مطفل حبشية * بناني لها بعل ونقشي لها نسل

كأن يدي في الطرس غواص لجة * بها كلمي در به قيمتي تعلو

وله أيضا في قريب منه يمدح الممدوح في القصيدة قبله وهو الملك خلف بن أحمد صاحب سجستان

وليل كذكراه كمعناه كاسمه * كدين ابن عباد كادبار فائق

شققنا بأيدي العيس برد ظلامه * وبتنا على وعد من السير صادق

تزج بنا الاسفار في كل شاهق * وترمي بنا الآمال في كل حالق

كأن مطايانا شفار كأنما * تمد اليهن الفلا كف سارق

كأن نجوم الليل نظارة لنا * تعجب من آمالنا والعوائق

كأن نسيم الصبح فرصة آيس * كأن سراب القيظ حجة وابق

ومن الغريب هنا قول ابن الرومي يصف أينقا

تطوي الفلا وكأن الآل أردية * وتارة وكأن الليل سيجان

كأنها في ضحاضيح الضحى سفن * وفي الغمار من الظلماء حيتان

وما أرشق قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الامير تميم

ومن المستحسن في هذا النوع قول ابن زيلاق في غلام معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

وما أبدع قول ابن مطروح وليلة وصل خات * فيا عاذلي لا تسل

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومثله قول العماد السلماسي شقت عليك يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

ظمآن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس مخاطبا لصاحبه يستهزئ به

الا أنه روي عن قوم مجاهيل فأخرنا ذكره حتى انتهى الترتيب ولم نر اخلاء الكتاب من ذكره لانه يجري مجرى الملح ما روي أن ثلاثة من الكتاب خرجوا الى متنزه فبينما هم يأكلون طعاما كان معهم اذا بمتطفل جلس اليهم وابتدأ في تلقف ما في الطبق مما بين أيديهم فقالوا له هل عرفت منا أحدا قال نعم هذا وأشار الى الطعام فتعاطوا صفته فقال أحدهم

لم أر مثل جذبه ومطه

فقال الآخر

وأكله دجاجة وبطه

فقال الثالث

كأن جالينوس تحت ابطه

فقالوا أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه فما معنى كون جالينوس تحت ابطه فقال يلقمه جوارش الكمون لئلا يتخم

(ومن التمليط الواقع بين أربعة من الشعراء)

ما روى الاصبهاني بسند يتصل باسحق الموصلي عن رجاله أن عمر بن أبي ربيعة والحرث بن خالد المخزوميين وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وهو ابن أخت الحرث خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية فلما انصرفوا نزلوا بسرف فلاح لهم برق فقال الحرث كلنا شعراء فهلموا نصف البرق فقال أبو ربيعة

لك مجلس كملت ستارتنابه * للهو لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

ومن النهايات هنا قول القاضي عبد الرحيم الفاضل

فى خدّه فخ كعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

وقول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

وقد أغرب الاديب بدر الدين حسن الزغارى بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

والباب واسع ولا بد من مراعاة الاختصار هنا

﴿الارصاد﴾

(اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع)

البيت لعمرو بن معدى كرب الزبيدى من قصيدة من الوافر وأولها

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع
سباها الصمة الجشمى غصبا * كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس * تكشف عن سواعدها الدروع

وبعده البيت وبعده

وصله بالزمان فكل أمر * سما لك أو سموت له ولوع

وهى طويلة قال المدائنى حدثنى رجل من قريش قال كنا عند فلان القرشى فجاءه رجل بجارية فغنته

بالله يا طبى بنى الحارث * هل من وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضا بغناء ابن سريج

يا طول ليلى وبت لم أنم * وسادى الهم مبطن سقمى

فأعجبته واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها وأعجبت الجارية بالفتى فلما امتنع مولاها من البيع الا بشطط قال القرشى فلا حاجة لنا فى جاريتك فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها تقول * اذا لم تستطع شيأ فدعه * البيت قال فقال الفتى القرشى أفأنا لا أستطيع شراءك والله لأشترينك بما بلغت قالت الجارية فذلك أردت قال القرشى انى لا أخيبك وابتاعها من ساعته (والشاهد فيه) الارصاد ويسميه بعضهم التسهيم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز اذا عرف الروى وهو الحرف الذى تبنى عليه أواخر الابيات أو الفقر ويجب تكراره فى كل منها فانه قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى قد حللت بمحلل * وليس الذى قد حرمت بحرام

فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم وقول جنوب أخت عمرو ذى الكلب

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والقول فيه كالذى قبله ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعى

وان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

(وقد حكى) أن عمر بن أبى ربيعة المخزومى جاس الى ابن عباس رضى الله عنهما فابتدأ ينشده * تشط غدا دار جيراننا * فقال ابن عباس رضى الله عنه * وللدار بعد غد ابعد * وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الاول (وكذلك) يحكى عن عدى بن الرقاع أنه أنشد فى صفة الظبية وولدها * تزجى أغن كأن ابرة روقه *

وغفل

أرقت لبرق فى دجى الليل لامع
جرى من سناه ذوائب فتالع

فقال الحرث

أرقت له ليل التمام ودونه
مهامه موماة وأرض بلاقع

فقال ابن أخته

يضئ عضاه الشوك حتى كأنه
مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر بن أبى ربيعة

أيا رب لا آلو المودة جاهدا
لاسماء فاصنع بى الذى أنت صانع

ثم قال مالى وللبرق والشوك (وأنبأنى) الفقيه التقى عبد الخالق المسكى عن السلفى قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمى قال ذكر أبو بكر الصولى أنه وجد بخط ابن خرداذبة أن أبا نواس ومسلم بن الوليد الصريع والحسين بن الضحاك الخليع والعباس ابن الاحنف خرجوا الى متنزه ومعهم يحيى بن معاذ فادركتهم صلاة المغرب فقدموا ابن معاذ للصلاة فنسى الحمد وأرتج عليه فى قل هو الله أحد فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه فقال أبو نواس

وغفل الممدوح عنه فسكت وكان جرير حاضرا فقيل له ماتراه يقول فقال جرير * ثم أصاب من الدواة مدادها * وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير فلم يغادر حرفا ومنه قول الخنساء

بيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا

وقول دعبل

وإذا عاندنا ذو قوة * غضب الروح عليه فعرج

فعلى أيماننا يجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

ومن جيده قول بعضهم

ولو انني أعطيت من دهرى المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد

لقلت لأيام مضين ألا ارجعى * وقلت لأيام أتين ألا ابعدى

وما أحسن قول البحترى

أبكيكما دمعا ولو أنى على * قدر الجوى أبكى بكيتكما دما

(وحدث) ابراهيم بن أبى محمد اليزيدى قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع ياسلعوس وكانت جوارى المأمون يلقبننى بذلك عبثا فقلت

قل لعريب لاتكونى مسلعسه * وكونى كتعريف وكونى كمؤنسه

فقال المأمون

فان كثرت منك الأقاويل لم يكن * هنالك شئ ان ذا منك وسوسه

فقلت كذا والله ياأمير المؤمنين أردت أن أقول فعجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته ولمؤلفه من أبيات

ليس التقدم بالزمان مقدما * أحدا ولا التأخير فيه يؤخر

فلكل عصر مستجد تبع * ولكل وقت مقبل اسكندر

ومدح أبو الرجاء الأهوازى الصاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها

الى ابن عباد أبى القاسم * الصاحب اسمعيل كافى الكفاه

فاستحسن جمعه بين اسمه ولقبه وكنيته واسم أبيه فى بيت واحد ثم ذكر وصوله الى بغداد وملكه اياها فقال * ويشرب الجند هنيا بها * فقال له ابن عباد أمسك أمسك أتريد أن تقول * من بعد ماء الرى ماء الفراه * فقال هكذا والله أردت وضحك (وعمرو بن معدى كرب) هو أبو عبد الله وقيل أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو ابن عاصم بن عمرو بن زبيد ينتهى نسبه لقحطان ويكنى أبا ثور وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرهم فيما ذكروهى معدودة من المنجبات وعن أبى عبيدة قال عمرو بن معدى كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس (وعن) زيد بن قعيف الكلابى قال سمعت أشياخنا يزعمون ان عمرا بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد فبلغهم أن خثعم تريدهم فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد فدخل عمرو على أخته فقال لها أشبعينى انى غدا آتى الكتيبة فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال هذا المائق يقول ذلك قالت نعم قال فسليه مايشبعه فسألته فقال فرق من ذرة وعنز رباعية قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام قال فجلس عمرو عليه فسلته جميعا وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا فقال له انزل عنها فقال اليك يامائق فقال له بنو زبيد خله أيها الرجل ومايريد فان قتل كفيت مؤنته وان ظهر فهو لك فألقى اليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس بنى زبيد وكان من خبر اسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى ماحكاه المدائنى عن أبى اليقظان عن جويرية بن أسماء قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك يريد المدينة فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من بنى زبيد فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك عنه حتى أوذن به فلما تقدم ورسول الله يسير قال حياك الهك أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله

أكثر يحيى غلطا فى قل هو الله أحد فقال مسلم بن الوليد قام طويلا ساهيا حتى اذا أعيا سجد فقال العباس بن الأحنف يزحر فى محرابه زحير حبلى بولد فقال الحسين بن الضحاك الخليع كأنما لسانه شد بحبل من مسد قال ابن رشيق فى كتاب العمدة وأخبرنى بهذه الحكاية بعض أصحابنا فقلت وما على أحد لو قال ونسى الحمد فما مرت له على خلد وسمع هذه الحكاية أيضا العباس بن الحطيئة فقال ورام شيأ غير ذا يقرؤه فما وجد (وذكر) أبو الفرج قال أولم محمد بن خالد فدعا أبان بن عبد الحميد اللاحقى وسهل بن عبد الحميد وعبيد الله بن عمرو العتبى والحكم بن قنبر وأخر عنهم الغداء ثم جاء فوقف وقال مالكم أعزكم الله ألكم حاجة بما زحهم فقال أبان حاجتنا فاعجل علينا بها من الحشاوى كل طرو ين فقال الحكم ومن خبيص قد حكى عاشقا صفرته زينت بتلوين فقال العتبى واتبعوا ذاك بأرزية فانكم أصحاب ابين

عليه وسلم ان لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فآمن بالله يؤمنك
الله يوم الفزع الاكبر فقال عمرو بن معدى كرب وما الفزع الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فزع ليس كما تحسب وتظن انه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي الامات الاما شاء الله تعالى من ذلك ثم يصاح
بالناس صيحة لا يبقى ميت الانشر ثم تلج تلك الارض بدوي تنهد منه الارض وتخر منه الجبال وتنشق
السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ثم تبرز النار فينظر اليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان
في السماء ترمي بمثل رؤس الجبال من شرر النار فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه وذكر ذنبه أين أنت
ياعمرو فقال انى أسمع أمرا عظيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمرو أسلم تسلم فأسلم وبايع لقومه
على الاسلام وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وكانت فى رجب سنة تسع وعن أبي
عبيدة قال لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة النبي صلى الله
عليه وسلم فوجه اليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب
أميركم وهو على الناس ووجه عليا رضى الله عنه فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا
بعض فلم تزل جعفر وزبيد وأود بن سعد العشيرة بعدها قبيلة يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قرب
مكانهم أقبل فى جماعة من قومه فلما دنا منهم قال دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسم لاحد قط
الاهابنى فلما دنا منهم نادى أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره علي وخالد وكلاهما يقول لصاحبه
خلنى واياه ويفديه بأبيه وأمه فقال عمرو اذ سمع قولهما العرب تفزع منى وأرانى لهؤلاء جزرا فانصرف
عنهما ثم رجع الى الاسلام وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة الى آل سعيد وكان سبب وقوعها اليهم أن
ريحانة بنت معدى كرب وهى المعنية أول القصيدة سبيت يومئذ فأفداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة
فصار الى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب
السيف والغمد ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر فقال سعيد هذا
سيفى فجحد الاعرابي مقالته فقال سعيد الدليل على انه سيفى أن تبعث الى غمده فتغمده فيكون كفائه
فبعث معاوية الى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه فأقر الاعرابي أنه أصابه يوم الدار فأخذه
سعيد منه وأثابه فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة فأرسل الى آل سعيد فيه فقالوا انه للسبيل
فقال خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه (وعن الشعبى) أن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمرو بن معدى كرب فى ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف
ههنا وأومأ الى شق بطنه الايمن وألف ههنا وأومأ الى شق بطنه الايسر فما يكون ههنا وأومأ الى وسط
بطنه فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما وزاده خمسمائة وقال أبو اليقظان قال عمرو
ابن معدى كرب لو سرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ماخفت أن أغلب عليها مالم يلقنى حراها
وعبداها فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب وأما العبدان فأسود بنى عبس يعنى
عنترة والسليك بن السلكة وكلهم لقيت فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة
ابن الحرث فأول الخيل اذا غارت وآخرها اذا آبت وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب وأما السليك
فبعيد الغارة كالليث الضارى (وعن قيس) أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد بن أبى وقاص انى قد أمددتك
بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الاسدى فشاورهما فى الحرب ولا تولهما
شيأ وعنه قال شهدت القادسية وكان سعد على الناس فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى
يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول يا معشر المهاجرين كونوا أسدا أغنى عباسا فانما الفارسى تيس
بعد أن يلقى نيزكه قال وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة فقيل له يا أبا ثور اتق ذلك فانا لنقول له ذلك
اذ رماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كانا عليه وقباء ديباج
قال غير قيس ورجع بسلبه وهو يقول

فقال سهل
دعنا من الشعر وأوصافه
واعجل علينا بالاخاوين
فأمر باحضار الغداء وخلع
عليهم ووصلهم (ومن ذلك)
ما أنبأنا به العماد أبو محمد
الاصبهانى قال حدثنى
صديق النجيب محمد بن
مسعود القسام بأصفهان
قال حضرت مجلس مؤيد
الدين أبى على محمد بن
أسبهسلار رئيس جرباذقان
وعنده شمس الدين أحمد بن
شاد الغزنوى ومجد الدين
اسمعيل بن أحمد اليمانى
فأحضر بين يديه ورد أحمر
فابتدر الغزنوى فقال
الورد فاح كأنه
خلق الامير أبى على
فقلت
أوصيته بين الانا
م وذكره فى المحفل
فقال اليمانى
فاحمر من خجل ومن
فضحته دعوى يخجل
فقال مؤيد الدين
فى عمره كعدوه
فى عرفه مثل الولى
فانظم به ورد الثنا
وانثر عليه من عل
* (وأخبرنى) القاضى
الموفق بهاء الدين أبو على
الديباجى قال كنا بالعسكر
المنصور الكاملى أعزه الله
على العباسة وعندى فى
خيمتى القاضى السعيد أبو
القسم بن سناء الملك رحمه

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون * أضربهم ضرب غلام مجنون * يال زبيد انهم يموتون

وفي رواية عن أبي زيد ان عمرا شهد القادسية وهو ابن مائة وست سنين وقيل بل ابن مائة وعشر ولما اقتتل العلج عبر بنهر القادسية هو وقيس بن مكسوح المرادي ومالك بن الحرث الاشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فاتى بفرس فأخذ بعكدة ذنبه وأخلد به الى الارض فأقعى الفرس فرده وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك وقال لاصحابه اني حامل وعابر الجسر فان أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يابني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ماترى أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الاعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني وغار (وعن) أبان بن صالح قال قال عمرو بن معدي كرب يوم القادسية ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل الا خراطيمها ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجزم عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون وقيل ان الخرج سقط عليه فقتله (وعن الشعبي) قال جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدي كرب لطليحة أماترى أن هذه الزعانق تزاد ولا تزاد انطلق بنا الى هذا الرجل حتى نكلمه فقال هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال ياطليحة أقتلت عكاشة فتوعدني وعيدا ظننت انه قاتلي ولا آمنه قال عمرو ولكنني ألقاه قال أنت وذاك فخرج الى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال يا أمير المؤمنين انه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الاسلام وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده فقال عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها يا عمرو انه بلغني أنك تقول ان لي سيفا يقال له الصمصامة وعندي سيف اسمه المصمم واني ان وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك (وحدث) يونس وأبو الخطاب قالا لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد الخمس ثم فض البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان وبقي مال دثر فكتب الى عمر رضي الله عنه بما فعل فكتب اليه أن فض ما بقي على حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدي كرب فقال له سعد مامعك من كتاب الله فقال عمرو اني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن قال مالك في هذا المال نصيب وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال مامعك من كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم ولم يعطه شيأ فقال عمرو في ذلك

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش الا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة

أنخت بباب القادسية ناقتي * وسعد بن وقاص علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره * وخير أمير بالعراق جرير
وعند أمير المؤمنين نوافل * وعند المثنى فضة وحرير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا * بباب قديس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم * يعار جناحي طائر فيطير
اذا ما فرغنا من قراع كتيبة * دلفنا لاخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنهم * جمال بأحمال لهن زفير

الله والمهذب بن الخيمي وأقبل بعض الشعراء من أصحابنا على اكديش وتحته على السرج خرج مشقوق فتعاطينا العمل فيه فقال ابن سناء الملك رحمه الله

بطخرج خرجه
عن قربوس سرجه

فقال المهذب بن الخيمي

لا ترجه لصالح
يأتي ولكن ارجه

فقلت

فانما آفاته
من بطنه وفرجه

وأقول قد بقي عليهم من تمام المعنى والقوافي أن يقول أحدهم

فهو كذا في دخله
يفكر لا في خرجه

*(ومن التمليط الواقع بين خمسة) ماذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة بالاسناد المتقدم أن الاستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوما وعنده أبو محمد بن هندو وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة وأبو عبد الله الطبري وأبو الحسن البديهي فجاءه بعض الخدم بأترجة فقال لهم تعالوا نتجاذب أذيال وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبدأ أنا نفعل فقال

وأترجة فيها طبائع أربع

فقال ابن هندو

وفيها فنون اللهو للشرب أجمع

فقال ابن فارس

فكتب سعد الى عمر رضي الله عنه بما قال لهما وبما ردّا عليه وبالقصيدتين فكتب أن أعطهما على بلائهما فأعطى لكل واحد منهما ألفي درهم (وعن ابن قتيبة) ان سعدا كتب الى عمر رضي الله عنه يثني على عمرو ابن معدي كرب فسأل عمر عمرا عن سعد فقال هو لنا كالاب أعرابي في نمرته أسد في تامورته يقسم بالسوية ويعدل في القضية وينفر في السرية وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرّة فقال عمر رضي الله عنه لشدّ ما تقارضتما الثناء (وجاء) رجل وعمرو بن معدي كرب واقف بالكناسة على فرس له فقال لأنظرنّ ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ففطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه قال يا ابن أخي ما لك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال يا ابن أخي ان في عمك لبقية بعد وكان عمرو مع شجاعته ومواقفه مشهورا بالكذب فحدّث المبرّد قال كانت الاشراف بالكوفة يخرجون الى ظهرها يتناشدون الاشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس فوقف عمرو الى جانب خالد بن الصقعب النهدي فأقبل عليه يحدّثه ويقول أغرت على بني نهد فخرجوا الىّ مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه فقال له الرجل يا أبا ثور ان مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدّثه فقال اللهم غفرا انما أنت محدّث فاستمع انما نتحدّث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية (وقال محمد بن سلام) أبت العرب الا أن عمرا كان يكذب قال وقلت لخلف الاحمر وكان مولى للاشعريين وكان يتعصب لليمانية أكان عمرو يكذب قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال (وعن زياد مولى سعد) قال سمعت سعدا يقول وبلغه أن عمرو بن معدي كرب وقع في الخمر وأنه قد دله لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم العناء شديد النكاية للعدوّ فقيل له فقيس بن مكسوح فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وان قيسا لشجاع (وعن أبي محمد المرهبي) قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدّث قال قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياما ثم قال والله مالي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط يعني بأبي ثور عمرو بن معدي كرب أسرج لي يا غلام فأسرج له فرسا أنثى من خيله فلما قرّبها اليه ليركبها قال له ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الاسلام فأسرج لي حصانا فأسرجه فركبه وأقبل الى محلة بني زبيد فسأل عن محلة عمرو بن معدي كرب فأرشد اليها فوقف ببابه ونادى أي أبا ثور اخرج الينا فخرج اليه مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال أنعم صباحا أبا مالك قال أوليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم قال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي كبشا سافا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم كشط جلده عنه وعضاه وألقاه في قدر جماع وطبخه حتى اذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها فقعدا فأكلاه ثم قال له أي الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية قال أوليس قد حرمها الله عز وجل علينا في الاسلام قال أنت أكبر سنا أم أنا قال أنت قال فأنت أقدم اسلاما أم أنا قال أنت قال فاني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا أنه قال فهل أنتم منتهون فقلنا لا فسكت وسكتنا فقال له أنت أكبر سنا وأقدم اسلاما فجاء بها فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو بن معدي كرب ولئن انصرف أبو مالك بغير حباء انها لوصمة عليّ فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال يا غلام هات المزود فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه فقال أما المال فوالله لا قبلته قال فوالله انه لمن حباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا * تحية علم لم تكن قط تعرف
وقلت حلال ان تدير مدامة * كلون انعقاق البرق والليل مسدف
وقدّمت فيها حجة عربية * تردّ الى الانصاف من ليس ينصف
وأنت لنا والله ذي العرش قدوة * اذا صدّنا عن شربها المتكلف

يشبهها الرائي سبيكة عسجد
فقال البديهي
على أنها من فأرة المسك أضوع
فقال الطبري
وما اصفرّ منها اللون للعشق والهوى
ولكن أراها للحبيب تجزع
(وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزويني في كتاب الروضة) قال أبو الفرج وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم كان الوزراء والصدور في ذلك الزمان من ذكرنا وشرحنا ووصفنا وصرنا الآن الى الزمان الطرف الهم الذي لا فضل في أهله ولا افضال وأعوذجه ذلك أني حضرت ضيافة وزير الري أبي العلاء اللنكي منصرفي من العراق وقد احتشد لي ليريني فضل عظمته في الوزارة بعد ما رأيت حاله الاولى وحضر معي الوزير أبو العلاء بن حسول فلما صرنا الى مجلس الانس ودارت الكؤس وأخذت منه الخمر وقد كان انتهى اليه حكاية الرئيس أبي الفضل بن العميد مع عمي فدعا بدواة ودرج وكتب حتى عرق جبينه ولطخ الدرج بكثرة ما سوّد ثم تناول أترجة وقلبها يعلم أنه عمل فيها شيأ ثم قال

نقول أبا ثور أحلّ حرامها * وقول أبي ثور أسدّ وأعرف

وغزا عمرو بن معدي كرب هو وأبيّ المرادي فأصابوا غنائم فادّعى أبيّ أنه قد كان مساندا فأبى عمرو أن يعطيه شيأ وبلغ عمرا أنه يتوعده فقال عمرو في ذلك قصيدة أولها

أعاذل شكتي بدني ورمحي * وكل مقلص سلس القياد
أعاذل إنما أفنى شبابي * وأقرح عاتقي ثقل النجاد
تمناني ليلقاني أبيّ * وددت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي * تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

وهذا البيت كان يتمثل به علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله وكان سبب موت عمرو بن معدي كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا كانت مغازي العرب إذ ذاك الري ودمستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة فتغذى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه وإن أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور فلم يجبنا وسمعنا علزا شديدا ومراسا في الموضع الذي دخله فقصدناه وإذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق فقالت امرأته الجعفية ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا * بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها * فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا
فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم * ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

شاهد

(قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا)

البيت من الكامل وقائله أبو الرقعمق يروى أنه قال كان لي إخوان أربعة وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي فجاءني رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد فقال إخوانك يقرؤون عليك السلام ويقولون لك قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها قال فكتبت إليهم

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة * فأتى رسولهم إلي خصوصا
قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

قال فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير فلبست إحدى الخلع وسرت إليهم (والشاهد في البيت) المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا وهي هنا قوله اطبخوا فإنه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسي

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه * قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرقعمق قول بعضهم

قال لي عودي غداة أتوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مغلي فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضيفت إليه كبد حسود * فقئت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر

عندي لكم يوم التواصل فرحة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أراد فنجازيه على جهله فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه لأجل المشاكلة ومثل الأول ما حكي عن

كأنها لون فتى عاشق
من برده قد لبس المحملا

فالتفت إليّ أبو العلاء بن حسول وقال لي سرا لا بد من إجازة هذا البيت بما يشاكل سخنة عين الوزراء ولو عزلني عن عملي وقطع ضياعي ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه فقال

أو لون حاجي من خراسان من
إسهاله قد ركب المحملا

فتوهم الوزير أنه جد فأخذ يحرك رأسه مستحسنا لهذه الإجازة ومتعجبا من سرعة البديهة وملكني وأبا العلاء الضحك حتى تهتكنا ونبه على سخريتنا منه فظهرت منه حركات العربدة فانصرفنا إشفاقا من حال مكروهة تجري علينا

(الباب الرابع في بدائع البدائه)

الواقعة على العمل في مقصود واحد من شاعرين فصاعدا وقد يكون اجتماعهما لشيئين أحدهما أن يكون ذلك لأمر ملك أو وزير واقتراح رئيس أو كبير وسؤال صديق أو رفيق والثاني أن يقصدا تبيين فضلهما إن كانا متوافقين أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه إن كانا متنازعين أو متدافعين ويقع ما يصدر عنهما أيضا على وجهين أحدهما أن يكونا فيما نظما متباعدي

وهومن قول ابن المعتز والله لا كلمتها ولو أنها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

(اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا)

نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير وهومن قصيدة من الوافر أولها

أقلى اللوم عاذل والعتابا * وقولى ان أصبت لقد أصابا

أجدك لا تذكر عهد نجد * وحيا طالما انتظروا الايابا

بلى فارفض دموعك غير نزر * كما عينت بالشرب الطبابا

وهاج البرق ليلة اذرعات * هوى ماتستطيع له طلابا

وهى طويلة والسماء الغيث ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معوذ الحكماء وساقه فى قصيدة طويلة أولها

أجد القلب من سلمى اجتنابا * واقصر بعدما شابت وشابا

وشاب لداته وعدلن عنه * كما انضيت من لبس ثيابا

فان يك نبلها طاشت ونبلى * فقد نرمى بها حقبا صيابا

فتصطاد الرجال اذا رمتهم * واصطاد المخبأة الكعابا

وكنت اذا العظيمة أفزعتهم * نهضت ولا أدب لها دبابا

منها

بحمد الله ثم عطاء قوم * يفكون الغنائم والرقابا

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

بكل مقلص عبل شواه * اذا وضعت أعنتهن سابا

ويدل على ان هذا البيت من هذه القصيدة انه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه (والشاهد فيه) الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ثم يراد بالآخر الآخر فالاول كما فى البيت هنا فانه أراد بالسماء الغيث وبالضمير الراجع اليه من رعيناه النبت (وجرير) هو ابن عطية بن الخطفى وهو لقبه واسمه حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة ينتهى نسبه لنزار ويكنى أبا حزرة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وهى المرة الواحدة من الحزر وهو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف فى أيهم المقدم ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فافتضح وسقط وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله

ذهب الفرزدق بالفخار وانما * حلو الكلام ومره لجرير

ولقد هجا فامض أخطل تغلب * وحوى اللهى بمديحه المشهور

كل الثلاثة قد أبر بمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى وكان شيخا قد جالس الناس اذا لم يجئ الاخطل سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجئ سابقا ولا سكيتا وجرير يجئ سابقا ومصليا وسكيتا (وحدث) مولى لبنى هاشم قال امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما أشعر فدخلت على الفرزدق فما سألنى عن شئ حتى نادى يانوار أدركت برنيتك يانوار قالت قد فعلت أو كادت قال فابعثى بدرهم فاشترى لحما ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ثم قال هات برنيتك فشرب قدحا ثم ناولنى وشرب آخر ثم ناولنى ثم قال هات حاجتك يا ابن أخى فأخبرته فقال أعن ابن الخطفى تسألنى ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ثم قال قاتله الله فما أحسن ناجيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجد قادحا ولقد قال بيتا لان أكون قلته أحب الى مما طلعت عليه

الاتفاق (قال أبو عبد الله ابن شرف) استخلانا المعز يوما وقال أريد أن تصنعا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء فانى أستحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارئات كاتبات فأحب أن أريهن هذا وأدعى أنه قديم لاحتج به على من عابه وأسر به من عيب عليه فانفرد كل منا وصنع فى الوقت فكان الذى قلت

وبلقيسية زينت بشعر * يسير مثل ما يهب الشحيح

رقيق فى خدلجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح

حكى زغب الخدود وكل خد * به زغب فمعشوق مليح

فان يك صرح بلقيس زجاجا * فمن حدق العيون لها صروح

(وكان الذى قال ابن رشيق)

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها * كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا

وقد زانها التزغيب ملحا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال قد أوجدت خصومها حجة بأن بعض الناس عابه وهذا نقد مافطنت له (وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة) وهو روايتى عنه بالاسناد المتقدم قال حكى أبو صفوان

الشمس وهو

اذا غضبت عليك بنو تميم * لقيت القوم كلهم غضابا

وقال اسحق بن يحيى بن طلحة قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له فبينا نحن عنده ذات يوم اذ قام لحاجته فجاء الاحوص فقال أين هذا فقلنا قام آنفا ما تريد منه قال أخزيه والله ان الفرزدق لأشعر منه وأشرف فأقبل جرير علينا وقال من الرجل قلنا الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح قال هذا الخبيث بن الطيب ثم أقبل عليه فقال قد قلت

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر ذلك بعينك قال وكان الاحوص يرمى بالابنة فانصرف وأرسل اليه بتمر وفاكهة وكان راعي الابل الشاعر يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وكان راعي الابل قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال هل تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق على وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير فضربت رأيي فيه ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابة وقال والله ما يسرني أن يعلم أحد وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت أتعرض اليه لعلي ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر اذا انصرف من مجلسه وما يسرني أن يعلم أحد حتى اذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب وانسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت مرحبا بك يا أبا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت له يا أبا جندل ان قولك يستمع وأنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي دونك ويكفيك عن ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة قال فبينا أنا معه وهو كذلك واقفا على وما رد على بذلك شيأ حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا أراك واقفا على كلب من كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي فوالله ما عرج على الراعي فيقول سفيه غوي يعني جندلا ابنه ولكن لا والله ما عاج على فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت

أجندل ما تقول بنو نمير * اذا ما الاير في است أبيك غابا

فسمعت الراعي قال لابنه أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤمة قال جرير ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى لو كان عاج على فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلى العشاء ومنزله في علية له قال ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لى فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ قال فجعل يهينم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة فنظرت اليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا فقالوا لها اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر ثم اذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا يهجو بني نمير فلما ختمها بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم قال أخزيته ورب الكعبة ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام أسرج لى فاسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان موقع السلام قال يا غلام ولم يسلم قل لعبيد أبعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق أما والذي نفسي بيده لترجعن اليهن بمير تسوءهن ولا تسرهن ثم اندفع فيها فأنشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل وأزم القوم حتى اذا فرغ منها وسار وثبت راعي الابل ساعتئذ فركب بغلته بشر وعر وخلى المجالس حتى أوفى الى المنزل الذي ينزله ثم قال لاصحابه ركابكم ركابكم فليس لكم هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذاك شؤمك وشؤم ابنك قال فما كان الا ترحلهم فساروا الى أهلهم سيرا ما ساره أحد وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير فيحلف بالله راعي الابل انا وجدنا في أهلنا (فغض الطرف انك من نمير) وأقسم بالله ما بلغه انسي قط وان لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه

العتكي قال كان أبو اسحق الحصري يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان ذلك الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل فيهم

ومعذرين كأن نبت عذارهم
أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا
تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(قال) وكان يختلف اليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان وكان به كلفا فبينا هو يوما والحصري جالس عنده وقد أخذا في الحديث اذ أقبل الغلام

في صورة كملت تخال بأنها
بدر السماء لستة وثمان
يغشى العيون ضياؤها فكأنها
شمس الضحى تغشى بها العينان

فقال له الشيخ يا أبا اسحق ما تقول فيمن هام في هذا الغلام وصبا بهذا الحد والقوام فقال الحصري الهيمان به والله غاية الظرف والصبوة اليه من تمام اللطف لا سيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت وهجم على صبحه هذا الليل البهيم والله ما خلت بياضه في سواده الا بياض الايمان في سواد الكفر أو غيهب الظلماء في منبر الفجر فقال صفه يا حصري فقال من ملك رق القول حتى ذلت له صعابه وانقادت له جموحه وسطع له

وابنه فهم يتشاءمون به الى الآن (وحدّث) أبو عبيدة قال التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاقٍ بالمنازل من منى * فخار الخبرنى بمن أنت فاخر

فقال له جرير لبيك اللهم لبيك قال فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه وعن العتبي قال قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها وانى لأروى من الرجز أمثال آثار الخيل فى الثرى ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرت منه وعن أبى عبيدة قال رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرين فانتبهت فزعة فأوّلت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما أسود شاعرا ذا شدّة وشرّ وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها قال والجرير الحبل (وحدّث) بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرّفك الجواب فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به أخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال أترى هذا قال نعم قال أوتعرفه قال لا قال هذا أبى أفتدرى لم كان يشرب لبن العنز قلت لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا (وحدّث) المدائنى قال كان جرير من أعق الناس بأبيه وكان ابنه بلال أعق الناس به فراجع جرير بلالا الكلام فقال له بلال الكاذب منى ومنك ناك أمه فأقبلت أمه عليه فقالت له يا عدو الله أتقول هذا لأبيك فقال جرير دعيه فوالله لكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى (ونظير ذلك) ما حكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به فقال له ويحك أتفعل هذا بأبيك وخلصه من يده ثم أقبل على الاب يعزيه ويسكنه فقال له الاب أخى لا تلمه واعلم أنه ابنى حقا والله لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه فانصرف الرجل وهو يضحك ولابيه يقول

مازال بى مازال بى * طعن أبى فى النسب حتى تربيت وحتى ساء ظنى بأبى

ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به فقال يونس فيه

جلا دحيم عماية الريب * والشك منى والظن فى نسبى

مازال بى الظن والتشكك حتى عقنى مثل ما عققت أبى

وقال يونس بن عبد الله الخياط جئت يوما الى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له فوقفت عليهم لأغيظه وقلت ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس قالوا بلى فانشدتهم

ياسائلى من أنا أو من يناسبنى * أنا الذى لا له أصل ولا نسب

الكلب يختال فخرا حين يبصرنى * والكلب أكرم منى حين ينتسب

لو قال لى الناس طرا أنت ألأمنا * ما وهم الناس فى ذاكم ولا كذبوا

قال فوثب الى أبى ليضربنى وعدوت من بين يديه فجعل يشتمنى وأصحابه يضحكون ﴿رجع الى بقية أخبار جرير﴾ حدّث أبو العراف قال قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجرين البصرة ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة وشاور جرير دهاة بنى يربوع فقالوا والله ما لباس آبائنا الا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا للعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يربوع وجاء الفرزدق فى هيئته فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرّجى وخلاخله

أعدّوا مع الحلى الملاب فانما * جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ووقف الفرزدق فى المربد ونعى الفرزدق الى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال

مات الفرزدق بعد ما جدّعته * ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر بئس لعمر الله ما قلت فى ابن عمك أتهجو ميتا أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب

واشعرها

شهابه أقعدنى بوصفه فقال صفه فانى معمل فكرى فى ذلك ثم أطرق كل منهما لحظة فكان الذى صنعه الحصرى

أوردقلبى الردى
لام عذار بدا
أسود كالكفر فى
أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ أتراك اطلعت على ضميرى أم خضت بين جوانحى فقال له ولم ذلك أيها الشيخ قال لانى قلت

حركة قلبى فطار
صولجان لام العذار
أسود كالليل فى
أبيض مثل النهار

(وأنبانى) العماد أبو حامد قال حكى أن شرف الدين أبا المنذر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة نظر الى القمر فى بعض الليالى وهو يدخل تحت السحاب تارة وينكشف أخرى فقال للحاضرين ليقل كل منكم فى وصفه شيأ (فقال الاديب مقبل)

كأنما البدر حين يبدو
لنا ويستحجب السحابا
خريدة من بنى هلال
لاثت على وجهها نقابا

(وقال شرف الدين)

اذ تطلع بدر التم من فرج
دون السحاب وحالت دونه سحب
تخاله فى رنيث من ملاءته
خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الاكرم أبو العباس

وأشعرها فقال ان رأى الامير أن يكتمها على فانها اسوءة ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ثم بكى وقال أما والله انى لأعلم انى قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد او صديق الا تبعه صاحبه فكان كذلك مات بعد سنة قال ابن الجوزى مات سنة احدى عشرة ومائة وكانت وفاته باليمامة وعمر نيفا وثمانين سنة وقال ابن قتيبة فى المعارف ان أمه حملت به سبعة أشهر

(فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانح وقلوب)

البيت للبحترى وهكذا هو فى ديوانه وان كان فى كثير من نسخ التلخيص بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ بين جوانحى وضلوعى وهو من قصيدة من الكامل أولها

كم بالكثيب من اعتراض كثيب * وقوام غصن فى الثياب رطيب

تأبى المنازل أن تجيب ومن جوى * يوم الديار دعوت غير مجيب

وبعده البيت وهى طويلة والغضا شجر معروف واحدته غضاة وأرض غضيانة كثيرته (والشاهد فيه) الاستخدام أيضا فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكان وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النار أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لان جمره بطىء الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة

أما والذى حج الملبون بيته * فمن ساجد لله فيه وراكع

لقد جرعتنى كأس بين مريرة * من البعد سلمى بين تلك الاجارع

وحلت بأكناف الغضا فكأنما * حشت ناره بين الحشى والاضالع

وقال ابن جابر الاندلسى

ان الغضا لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم

جرى العقيق بقلبى بعد ما رحلوا * ولو جرى من دموع العين لم ألم

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

حلت مطاياهم بملتف الغضا * فكأنما شبوه فى الاكباد

وبديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى

أحمامة الوادى بشرقى الغضا * ان كنت مسعدة الكئيب فرجعى

ولقد تقاسمنا الغضا فغصونه * فى راحتيك وجمره فى أضلعى

ولمؤلفه من قصيدة وحتك انى للرياح لحاسد * فهى كل حين بالأحبة تخطر

تمر الصبا اعفوا على ساكنى الغضا * وفى أضلعى نيرانه تتسعر

فتذكرنى عهد العقيق وأدمعى * تساقطه والشئ بالشئ يذكر

وتورث عينى السفح حتى ترى به * معالم بالاحباب تزهو وتزهر

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفيا

وفقيه ألفاظه شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

وقوله أيضا يصف درعا نثرت من ضمامها القنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب

مثل وشى الوليد لانت وان كا * نت من الصنع مثل وشى حبيب

تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب

فاستخدم لفظ الذباب فى معنييه الاول طرف السيف والثانى الطائر المعروف ولابن جابر الاندلسى فيه

فى القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يزداد نورا حين يبصره

عبد الواحد بن محمد بن هبيرة

وكأن هذا البدر حين تظله سحب فيخفى تارة ويثوب

حسناء تبدو من خلال سجوفها طورا فتنظر نحونا وتغيب

(وقال ابن ظافر) أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم عامعناه صعدت الى سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة فصادفت الاديب الاعز أبا الفتوح بن قلاقس وعلى بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعا المغربى فانضفت اليهم فلما غابت الشمس وفاتت ودفنت فى المغرب حين ماتت وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله وتحلى زنجى الليل بخلخاله اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الحال فأطرق كل منهما مفكرا وميز ما قذفه اليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيرا فلم يكن الا كرجعة طرف أو ونبة طرف حتى أنشدا فكان ما صنعه ابن المنجم

وعشاء كأنما الافق فيه

لازورد مرصع بنضار

قلت لما دنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظار

أقرض الشرق صنوه الغرب دينا

رافا أعطاه الرهن نصف سوار

(وكان) الذى صنعه ابن قلاقس

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس وأعطى النهار هذا الهلالا

تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر منه اذا ما لاح جوهره

ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق

دع الهوينى وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحه

استخدم الراحة فى معنييها الاول من الاستراحة والثانى من اليد وبديع قول الصفى الحلى

لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتى * فلا أشبهته راحتى فى التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن فى الوغى * اذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصرى يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل غادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه أخضر

منها

سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فيا أسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبى حسرة حين أحسر
وتنكرنى ليلى وما خلت أنه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومن الاستخدام أيضا قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها نصبت لها شباكا من * لجين ثم صدناها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى

فكم رد من عين وجاد بمثلها * ولولاه ما ضاءت ولم تك تعذب

وقوله من قصيدة أخرى نبوية

كم رد من عين وجاد بها وكم * ضاءت به وسقى بها من صادى

ومنه قول الرشيد الفارقى

ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه ليت لى من غصنها سهما * فما فى قلبى منه

وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الاخذ فقال

نازعت عيناه قلبى حبة * لم تك تقبل قبل الانقساما
بالقوى هل علم قبلها * أن للاعين فى القلب سهاما

(كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا)

البيت من الخفيف وهو منسوب لابن حيوس ولم أره فى ديوانه ولعله لابن حيوس الاشبيلى والحقف بكسر الحاء الرمل العظيم المستدير (والشاهد فيه) اللف والنشر وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ثقة بان السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد الى ما هو له ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان لان النشر اما على ترتيب اللف واما على غير ترتيبه كما فى البيت هنا وهو ظاهر ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقول بعضهم

ألست أنت الذى من ورد نعمته * وورد راحته أجنى وأغترف

أما الشرق أقرض الغرب دينا وأقاعطاه رهنه خلخالا وقطعة ابن النجيم أحسن من قطعة الاعز لتضمينه السوار وعلى كل حال فقد أبدعا ولم يتركا للزيادة فى الاحسان موضعا (قال ابن ظافر) وقد جرى لى مثل ذلك مع القاضى الاعز بن أبى الحسن على بن المؤيد رحمه الله وذلك أنا مررنا ذات عشية على بستان مجاور للنيل فرأينا فيه بقراغليها دولابان يتجاذبان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفالس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد استتر من الظل فى لمى وحبات المجارى حائرة تخاف من زمرذ النبات أن يدركها العمى والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى

وما أبدع قول ابن شرف القيروانى

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقد أخذه تاج الدين الذهبى فقال

بدر سما للمجتلى ثم رغا * للمجتنى بحر طما للمجتدى

سل عنه وادن اليه واستمسك تجد * ملء المسامع والنواظر واليد

وما أزهر قول البهاء زهير ولى فيه قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا

ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * أعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

وما أحلى قول ابن نباتة المصرى مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى عساله

وقوله أيضا سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى

وابصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

وبديع قول ابن مكنسة والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة فأكثر فنه قول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول حمدة الاندلسية ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار

وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى

غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وقول ابن نباتة وأجاد الى الغاية

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرنى على السهر

وانظر الى الخال فوق الثغر دون لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

وبديع قول بعضهم وردومسك ودر * خد وخال وثغر * لحظ وجفن وغنج

سيف ونبل وسحر * غصن وبدر وليل * قد ووجه وشعر

ومنه بين أربعة وأربعة قول الشاعر

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

رأى جسدى والدمع والقلب والحشى * فأضنى وأفنى واستمال وتيما

ولابى جعفر الاندلسى الغرناطى بين خمسة وخمسة

ملك يجىء بخمسة من خمسة * لقى الحسود بها افتات لمابه * من وجهه ووقاره وجواده وحسامه ويديه يوم ضرابه * قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر الاندلسى بين ستة وستة

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر غصن فى الكثيب الاملد

فالحظ ها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والزدف اقصد

ولنجم الدين البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لأصاحبه

كبدر ببرق قد شق شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

فى ذيل الجترر دعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولاب نشاكين أزمرا حين صبحت قيان الطير بألحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعمى وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذة الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب من الاعاجيب وتناشدنا ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر الاعمى التطيلى وقوله فى أسد نحاس يقذف الما

أسد ولو أنى أنا
قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما
ء يمج من فيه المجره

فقال لى رحمه الله يتولد من هذا معنى فى الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملته فملئت اطرابا وأوسعت اغرابا وأخذ كل منا ينظم ما جاش به غمر بحره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحد منا

وسبقه الى ذلك ابن قلاقس فقال

أتانا الغـلام ببطيخـة * وسكينة أحكموها صقالا
فقسم بالبرق شمس الضحى * وأعطى لكل هلال هلالا

ومثله قول محاسن الشواء وأجاد

وغلام يحز بطيخـة فى اللون مثلى وفى المذاقة مثله
لا ناس غـر على طبق فى * مجلس مشرق يشابه أهله
قد بدر شمسا بافق شهدت الليـل فى هالة ببرق أهله

وقول الآخر

ولما بدا ما بيننا منية النفس * يحز بالسكين صفراء كالورس
توهمت بدر التم قد أهـلة * على أنجم بالبرق من كرة الشمس

وقول الآخر

خلناه لما حز البطيخ فى * اطباقه بصـقيلة الصفحات
بدرا يقد من الشموس أهلة * بالبرق بين الشهب فى الهالات

وقول البديع الدمشقى فى غلام يقطع بطيخا بسكين نصابها أسود

انظر بعينك جوهرا متلألئا * سحرا لفرط بيانه وجماله
قمر يقد من الشموس أهلة * بظلام هجرته وفجر وصاله

والسابق الى فتح هذا الباب العسكرى حيث يقول

وجامعة لاصناف المعانى * صلحن لوقت اكثار وقله
فمن أدم وريحان ونقـل * فلم ير مثلها سـد الخله
فمنها ما تشـبهه بدورا * فان قطعتها رجعت أهله

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية

خدود وأصـداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعـرب
وورد وسوسـان وبان ونرجس * وكأس وجريال وجنك ومطرب

وللصفى الحلى

وظبى بقفر فوق طرف مئوق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليـل صباح هلال بانة ونقا * آس أقاح شقيق نرجس در

ولابن جابر بين اثنى عشر واثنى عشر

فروع سـناقد كلام فم لمى * حلى عنق ثغر شذا مقلة خد
دجى قمر غصن جنى خاتم طلا * نجوم رشا در صبا نرجس ورد

وجل القصد هنا أن يكون اللف والنشر فى بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة (وابن حيوس) بحاء مهملة وياء تحتية مشـددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة هو أبو الفتيان محمد بن سـلطان بن محمد بن حيوس الملقب بمصطفى الدولة الشاعر المشـهور وهو أحد الشـعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين وله ديوان شـعر كبير لقى جماعة من الملوك والاكابر ومدحهـم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا الى بنى مرداس أصحاب حلب وله فيهم القصائد الفائقة وقضيته مع الامير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشـهورة فانه كان قد مـدح أباه محمودا فأجازه ألف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصـده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه أولها

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

على ما صنعه الآخر فكان الذى قال

حبذا ساعة المجرة والدو
لاب يهدى الى النفـوس مسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن
ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس تبدى
كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوما
كل نجم منها يرينا المجره
(وكان الذى قلت)
ودولاب يئن أنين ثكلى
ولا فقد اشكاه ولا مضره
ترى الازهار فى ضحك اذا ما
بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم
تؤثر فى سرائرنا مسره
يظل النجم يغرب بعد نجم
ويطلع بعدما تجرى المجره
فهذا من اتفاقنا وقضى
العجب منا سائر رفاقنا (قال ابن ظافر رحمه الله) ومن هذا الاتفاق أيضا ما أخبرنى به ابن المؤيد رحمه الله بمعناه قال اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الاسكندرية فى بستان لبعض أهلها فحللنا روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قينات أطياره وبين أيدينا بركة ماء تحكى سماء أو رقعة مرآة فنثر عليها بعض الحاضرين ياسمينا أزان سماءها بزواهر منيره وأهدى الى لجتها جواهر نشيره فتعاطينا

صبرنا

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا * على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الاسى * تقارب نعمى لا يقوم بها الشكر
تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فلاقيت ظل الأمن ماعنه حاجز * يصد وباب العز مادونه ستر
وطال مقامى فى اسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لى الأسر
وأنجزلى رب السموات وعده الكريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر
لقد كنت مأمورا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا أمرك النهى والامر
ومابى الى الالحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
وانى بآمالى لديكم مخيم * وكم فى الورى ثاو وآماله سفر
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعا * بأيسر ماتوليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها الأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة وكان اجتمع على باب الامير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصرانى وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الانس عنده فأتت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور وصيروا الورقة اليه وفيها الابيات وهى

على بابك المحروس منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذى أعطيته لابن حيوس
ومابيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل الذى أعطيته لابن حيوس لاعطيتهم مثله وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى دارا بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * فى نعمة من آل مرداس
قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا * على للايام من باس
قل لبنى الدنيا ألا هكذا * فليفعل الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات لابن أبى حصينة الحلبى وهو الصحيح (وحكى) الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم على بن ابراهيم العلوى من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال أخذ الامير أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال ارو عنى هذا البيت وهو فى شرف الدولة مسلم بن قريش

أنت الذى نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت فى غاية المدح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذاك ربع العامرية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع
واستسق للدمن الخوالى بالحمى * غزر السحائب واعتذر عن أدمعى
فلقد غدوت أمام دان هاجر * فى قربه ووراء ناء مزمع
لو تخبر الركبان عنى حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع
ردى لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع
لو كنت عالمة بأدنى لوعتى * لرددت أقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعت من الغرام بمظهر * عن مضمر بين الحشى والاضلع

القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ماحررنا ونشرنا ماحبرنا فأنشد العباس بن طريف الخراط الاسكندرى

نثروا الياسمين لما جنوه
عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى
زهر الارض فى أديم السماء

وأنشد الاديب أبو الحسن على بن سيف الدين الحصرى

نثروا الياسمين لما جنوه
فوق ماء أحبب به من ماء
فحكى زهره لنا اذ تبدى
زهر الشهب فى أديم السماء

(قال وكان الذى صنعته)

نثروا الياسمين فى لجة الما
ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء فى باطن الار
ض أو الدر طاف فوق الماء

(قال) وسمع أبو عبد الله بن الزين النحوى القصة ولم يكن حاضرا معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة
مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها
فى يوم صحو فى سماء أزرق

(قال على بن ظافر) وسألنى الاعز رحمه الله تعالى أن أصنع فى مثله فصنعت

زهر الياسمين ينثر فى الما
ء أم الزهر فى أديم السماء
أم هما مبسم شنيب شتيت
فى رضاب الخريدة الحسناء
ظل يحكى عقود در على صد
ر فتاة فى حلة زرقاء

اعتبت اثر تعتب ووصلت غب تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو انى انصفت نفسى صنتها * عن ان اكون كطالب لم ينجح

انى دعوت ندى الغرام فلم يجب * فلا شكرن ندى اجاب وما دعى

ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطىء عن ندى متسرع

ومن شعره يمدح سابق بن محمود

يزداد ان قصر الخطى عن غرض * طولا ويمضى اذا حد الحسام نبا

حل السماك وما حلت تمائمه * عن جيده وحبا العافين مذ حبا

حوى من الفضل مولودا بلا طلب * أضعاف ما أعجز الطلاب مكتسبا

طلق المحيا اذا ما زرت مجلسه * حزت الغنى والعلا والبأس والأدبا

ومحاسنه كثيرة وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل الى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيوس المذكور فكتب اليه ابن الخياط يقول

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفاك منى منظرى عن مخبرى

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع واين اين المشترى

فقال لو قال ونعم أنت المشترى لكان أحسن وكان مولد ابن حيوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وابن حيوس الاشبيلى ذكره ابن فضل الله فقال لا يخف له ضرع خاطر ولا يجف له نوء سحاب ماطر لو مس بقريحته الصلد لتفجر أو الجهام لانفجر وحسبك من مرمى غرضه البعيد ما ذكره له ابن سعيد وأورده له فى المرقص قوله فى أشتر العين لا تفارقه الدمعة

شترت فقلنا زورق فى لجة * مالت باحدى دفتيه الريح

فكأنما انسان ما ملاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

(ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسده)

البيت لابى العتاهية من أرجوزته المزدوجة التى سماها ذات الامثال يقال ان له فيها أربعة آلاف مثل فمنها

حسبك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا * من اتقى الله رجا وخافا

هى المقادير فلمنى أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطا القدر

لكل ما يؤذى وان قل ألم * ما أطول الليل على من لم ينم

ما انتفع المرء بمثل عقله * وخير ذخر المرء حسن فعله

ان الفساد ضده الصلاح * ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا هلكا * مبلغك الشر كباغيه لكا

وبعده البيت وبعده

يغنيك عن كل قبيح تركه * يرتهن الرأى الاصيل شكه

ما عيش من آفته بقاؤه * نغص عيشا كله فناؤه

يارب من أسخطنا بجهده * قد سرنا الله بغير حمده

ما تطلع الشمس ولا تغيب * الا لامر شأنه عجيب

لكل شئ قدر وجوهر * وأوسط وأصغر وأكبر

فكل شئ لاحق بجوهره * أصغره متصل بأكبره

من لك بالمحض وكل ممتزج * وساوس فى الصدر منك تختلج

ما زالت الدنيا لنا دار أذى * ممزوجة الصفو بأنواع القذى

الخير والشر بها أزواج * لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض * يخبث بعض ويطيب بعض

لكل انسان طبيعتان * خير وشر وهما ضدان

والخير والشر اذا ما عدا * بينهما بون بعيد جدا

انك لو تستنشق الشحيحا * وجدته أنتن شئ ريحا

عجبت حتى غمنى السكوت * صرت كأنى حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف أصنع * والصمت ان ضاق الكلام أوسع

وهى طويلة جدا وهذا الانموذج كاف منها والجدة الاستغناء والمفسدة الخلة الداعية الى الفساد

(والشاهد

واذا خلته حيلا حسبت السماء طيبا كالقهوة الصهباء

(وهذا) آخر ما وقع لى مما فيه توارد فى المعانى وتوافق فى المبانى (ومما يشبه هذا الباب) أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص أنبأنا العماد أبو حامد الاصبهانى اجازة قال صنع الشريف أبو المحاسن ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن على بن عبد الله الحسنى الراوندى القاشانى فى تعريب شعر أعجمى

انى لاحسد فيه المشط والنشفه * لذاك فاضت دموع العين مختلفه

هذا يعلق فى صدغيه أنمله * وذا يقبل رجليه بألف شفه

قال وتسامع الناس بهذا المعنى فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين شاد الغزنوى وكان حينئذ بأصبهان فقال

انى أغار على مشط يعالجه * ونشفة حظيت من قربه زمنا

هذا يغازل صدغيه وأنمله * وذا يقبل رجليه ولست أنا

(وقال أيضا)

المشط والنشفة المحمود شأنهما * كلاهما فى الهوى بالسعد ملحوظ

فتلك بالاثم من رجليه فائزة * وذاك بالمسك من صدغيه محظوظ

(وقال فخر الدين القسام)

أغار منه على مشط ومنشفة * حتى أغص بدمع فيه منسجم

(والشاهد فيه) الجمع وهو الجمع بين متعدد في حكم وهو ظاهر في البيت وما أحسن قول الصفي الحلي فيه

آراؤه وعطاياه ونعمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

وقول ابن جابر الاندلسي

قد أحرز السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للعلم

وأبو العتاهية هو اسمعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو اسحق وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لانه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه بذلك وقيل ان المهدى قال له يوما أنت انسان متعته متحذلق فاستوت له من ذلك كنية ويقال للرجل المتحذلق عتاهية وفيه يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي

قل للمكنى نفسه * متخيرا بعتاهيه والمرسل الكلم القبيح * وعنه أذن واعيه

ان كنت سرا سؤتني * أو كان ذاك علانيه فعليك لعنة ذي الجلا * ل وأم زيد زانيه

وأم زيد هي أم أبي العتاهية ومنشأه بالكوفة وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ويقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وماقدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته وكان غزير البحر كثير المعاني لطيفها سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك وأكثر شعره في الزهد والامثال وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد (وحدث) الخليل بن أسد النوشجاني قال أتانا أبو العتاهية الى منزلنا فقال زعم الناس أنني زنديق والله ما ديني الا التوحيد فقلنا له قل شيأ نتحدث به عنك فقال

ألا اننا كلنا بائد * وأي بني آدم خالد وبدؤهم كان من ربهم * وكل الى ربه عائد

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ماجمعه من الاموال (وحدث محمد بن عيسى الخرقي) قال وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه فسأله دونهم فقال له صنع الله لك فأعاد السؤال فرد عليه فأعاد الثالثة فغضب وقال له ألست الذي يقول

كل حي عند ميتته * حظه من ماله الكفن

قال نعم قال فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك قال لا قال فبالله كم قدرت لكفنك قال خمسة دنانير قال فاجعل لي أن دينارا من الخمسة وضيعته قيراطا وادفع الى قيراطا واحدا والا فواحدة أخرى قال وماهي قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فاعطني درهما وأقيم لك كفيلا بأن أحفر لك به قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حسابك فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم فخجل أبو العتاهية وقال أغرب لعنك الله وغضب عليك وضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك فالتفت الينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة فقلنا له ومن حرمها ومتى حرمت فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده وقال قلت لابي العتاهية أتزكى مالك فقال والله ما أنفق على عيالى الا من زكاة مالى فقلت له سبحان الله انما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين فقال لي لو انقطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن في الارض أفقر منهم (وحدث أيضا) قال كنت جارا لابي العتاهية وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أعنه على ماهو بسبيله شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل اللهم اصنع له اللهم بارك فيه فبقى على هذا الى

فذا يمتد به نحو طرته
وذى يقبل فوها صفحة القدم
(قال العماد) وعملت وأنا في
سن الصبا وشعرى حينئذ
لا أرضاه
مشط ومنشفة فيه حسنتهما
دمعى اذا بهما فياض عارضه
فتلك حاطبة من مس أخمصه
وذاك مستغرق في مسك
عارضه
(وأخبرني بعض أصحابنا
المصريين) أن بعض جلساء
الصالح بن رزيك أنشد
بمجلسه بيتا من الاوزان
التي يسميها المصريون
الزكالش ويسميها
العراقيون كان وكان
النار بين ضلوعي
وناغريق في دموعي
كني فتيلة قنديل
أموت غريق وحريق
وكان عنده القاضي الجليس
أبو المعالي عبد العزيز بن
الحباب والقاضي المهذب
ابن الزبير فتقدم اليهما
بنظم معناه فصنعا بديهيا
فكان ماصنعه الجليس
هل عاذران رمت خلع
عذاري
في شم سالفة ولثم عذار
تتالف الاضداد فيه ولم تزل
في سالف الايام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق
وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها
ما بين ماء في الزجاج ونار
(وكان) ماصنعه ابن الزبير

أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة لا والله ان تصدّق عليه بدرهمين ولا دانق قط وما كان زاده على الدعاء شيأ فقلت له يا أبا اسحق انى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل فلم لا تتصدّق عليه بشئ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد وان فى الدعاء خيرا كثيرا (وقال الجاحظ) حدّثنى ثمامة ابن أشرس قال دخلت يوما على أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزا بلا شئ فقلت له كالمنكر كأنك رأيته يأكل خبزا وحده فقال لا ولكنى رأيته يتأدّم بلا شئ فقلت وكيف ذلك فقال رأيت قدّامه خبزا يابسا من دقاق فطير وقدحا فيه حليب فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدّم بلا شئ وما رأيت أحدا قبله تأدّم بلا شئ وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى * يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا قال من قوله صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت فقلت أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق قال نعم قلت فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك قال يا أبا معن والله ان ما قلت لحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس قلت وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وقيل له مالك تبخل بما رزقك الله تعالى فقال والله ما بخلت بما رزقنى الله قط قيل له فكيف ذاك وفى بيتك من المال ما لا يحصى قال ليس ذلك رزقى ولو كان رزقى لأنفقته (وحدّث) أبو العتاهية قال أخرجنى المهدى معه الى الصيد فوقعنا منه على شئ كثير وتفرّق أصحابه فى طلبه وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا وادجرّار عظيم وتغيمت السماء وبدأت بمطر فتحيرنا وأشرفنا على الوادى واذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا اليه وسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعدنا ثم أدخلنا كوخا له وكاد المهدى يموت بردا فقال له أغطيك بجبتى هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلا ونام وافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشى فلما انتبه قال لى ويحك ما فعل الملاح فوالله لقد وجب حقه علينا فقلت والله هرب خوفا مما خاطبنا به قال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد أردت أن أغنيه وبأى شئ خاطبنا نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به بحياتى عليك الا ما هجوتنى فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسى بأن أهجوك قال والله لتفعلن فانى ضعيف الرأى مغرم بالصيد فقلت

يا لابس الوشى على ثوبه * ما أقبح الاشيب بالراح

فقال زدنى بحياتى عليك فقلت

لو شئت أيضا جلت فى خامة * وفى وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل زدنى شيأ آخر فقلت أخاف أن تغضب فقال لا والله فقلت

كم من عظيم القدر فى نفسه * قد نام فى جبة ملاح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله وقمنا فركبنا وانصرفنا (وعن الحسن بن عابد) قال كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة فاذا قدم أهدى للمأمون بردا قطريا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث اليه بعشرين ألف درهم فأهدى له مرّة كما كان يهدى كل سنة اذا قدم فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة فكتب اليه أبو العتاهية يقول

كأنى وقد سالت سيول مدامعى
فأذكت حريقا فى الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها
وتشعل فيها النار من كل جانب

(وصنع الصالح)

واذا تشبّ النار بين أضالعى
قابلتها من عبرتى بسيولى
فأنا الحريق بل الغريق أموت فى
هذا وذا كذبالة القنديل

(قال على بن ظافر) أخبرنى الامير الاجلّ عضد الدين مرهف بن اسامة بن منقذ قال كان لى مملوك اسمه ياقوت فقصدت أنا وابن عمى عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت فكان الذى قلته

أسكنته قلبى وأصبح حبه
من دون أقوات البرية قوتى
قالوا وكيف يقيم من أحببته
فى نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا لمقامه
د لنار ليس تضرّ بالياقوت

(وكان الذى قاله ابن عمى)

يا عجبا للذى كلفت به
تدنيه منى ان غاب أفكارى
يسكن قلبا من الجحيم ويز
داد ضراما بدمعى الجارى
لا تعجبوا منه حين يسكنه
فما يبالى الياقوت بالنار

* (الفصل الثانى فيما لم يقع فيه توارد) *

خبرونى

خبروني ان من ضرب السنه * جدد ابيضا وصفر احسنه
أحدثت لكنني لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

قال فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا اليه وقال أغفلناه حتى أذكرنا (وحدّث) أبو عكرمة قال كان الرشيد اذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة يتمثل بقول أبي العتاهية

أخت بني شيبان ان مرّت بنا * ممشوطة كورا على بغل

وهذا البيت من أبيات لأبي العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور وبعده

تكنى أبا الفضل ومن ذا رأى * جارية تكنى أبا الفضل * قد نقطت في وجهها نقطة
مخافة العين من الكحل * ان زرتموها قال حجابها * نحن عن الزوار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها * بعل ولا اذن على البعل * يا بنت معن الخير لا تجهلي
وأين تقصير عن الجهل * أتجلد الناس وأنت امرؤ * تجلد في دبرك والقبل
ما ينبغي للناس أن ينسبوا * من كان ذا جود الى البخل * يبذل ما يمنع أهل الندى
هذا لعمري منتهى البذل * ما قلت هذا فيك الا وقد * جفت به الأقلام من قبلي

قال فبعث اليه عبد الله بن معن فأتى به فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ففعلوا ذلك ثم أجلسه وقال له قد جزيتك على قولك فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى قال بل الصلح قال فأسمعني ما تقوله في معنى الصلح فقال

مالعذالى ومالي * أمروني بالضلال عذلوني في اعتقادي * لابن معن واحتمالي
ان يكن ما كان منه * فبجرمي وفعالي أنا منه كنت أسوا * عبرة في كل حال
مالمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي * رب ودّ بعد صدّ * وهوى بعد تقالي
قد رأينا ذا كثيرا * جاريا بين الرجال انما كانت يميني * لطمت مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودمامة وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى تهواها وكانت صاحبة حبائب وكان أبو العتاهية مولعا بالنساء فقال فيها

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق * أفقن فان النيك أشهى من السحق
أفقن فان الخبز بالأدم يشتهى * وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها * وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح الهراس الا بعوده * اذا احتيج منه ذات يوم الى الدق

وقال فيها أيضا قلت للقلب اذ طوى وصل سعدى * لهواه البعيدة الأسباب
أنت مثل الذي يفرّ من القطر حذار الندى الى الميزاب

فغضب ابن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال فيه

جلدتني بكفها * بنت معن بن زائده جلدتني بكفها * بأبي تلك جالده
وتراها مع الخصيّ على الباب قاعده * تتكنى كني الرجا * ل لعمد مكائده
جلدتني وبالغت * مائة غير واحده * أجلديني أجلدي أجلدي * انما أنت والده

وقال في ضربه اياه أيضا ضربتني بكفها بنت معن * أوجعت كفها وما أوجعتني
ولعمري لولا أذى كفها اذ * ضربتني بالسوط ما تركتني

(وحدّث) أحمد بن أبي فنن قال كنا عند ابن الاعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي وهو

اذا كلمته ذات دل لحاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وان عبد الملك بن عمير قال تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله قال فقلت هذا ابن معن

(فمن ذلك) ما أخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن فاضل ابن حمدون الصوري عن الامام الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله عن أبي غالب شجاع الذهلي قال قال لنا أبو منصور بن أبي الضوء العلوي كنت في قرية يقال لها بشينا وبها أبو محمد النافي وهنالك ناعورتان للزروع فقال فيهما وأنا حاضر

أنا عورني شطي بشيناء انني * نظير كما في الوجد والهيمان
أئن كما يحكي أنيني وعبرتي * كما أنكما في شدة الجريان
فلا زلتما في خفض عيش عدة * أمان من التفريق والحدثان

(وعملت أنا في الحال)

بشينا لها ناعورتان كلاهما * تسح بدمع دائم الهملان
مخافة دهر أن يصيب بعينه * لأحداهما يوما فيفترقان

(وذكر أبو علي بن رشيق في كتاب الأنموذج) قال كان لمحمد بن حبيب التنوخي معشوق لا يزال يزوره اذا غاب عن منزله فاذا حضر لم يأته وكثر ذلك منه فقال لي يوما تعال حتى نصنع في ذلك فصنعت

ما بال النافي فلا توصل * الا خلا فاسمّل ما تفعل
تأتي اذا غبنا فان لم نغب * جعلت لا تأتي ولا تسأل
كهاجر أحبابه زائر * أطلالهم من بعد أن يرحلوا

(وصنع هو)

ابن زائدة يقول له أبو العتاهية

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا فاتصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

فقال عبد الله ما لبست السيف قط فلمني انسان الا قلت يحفظ شعر أبى العتاهية فى ‌فينظر الى ‌بسببه فقال ابن الاعرابى اعجبوا لهذا العبد يهجو مولاه وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان (وحدّث) المدائنى قال اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق فى بيت ابن أذين وجاء أبو العتاهية وكان بينه وبين أبى الشمقمق شرّ فخبأه من أبى العتاهية فى بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه الجارية قال قريبا يا أبا اسحق فقل فيها ما حضر فمدّ أبو العتاهية يده اليه وقال

مددت كفى نحوكم سائلا * ماذا تردّون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

تردفى كفك ذا فيشة * يشفى جوى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية الشمقمق والله وقام مغضبا وقال أبو العتاهية حبسنى الرشيد لما تركت قول الشعر فادخلت السجن وأغلق الباب علىّ فدهشت كما يدهش مثلى لذلك الحال فاذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة ثم تمثل وقال

تعوّدت مس الضرّ حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

وصيرنى يأسى من الله راجيا * لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت علىّ الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحرّ للحرّ ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدّم قبل مسألتهما اعذر النفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا بذلك فقال والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك لانك حبست فى أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت فاذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بى فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال لا نبخل عليك اذن ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما فسألته من هو قال أنا حاضر داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ولم نلبث أن سمعت صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده فى جرّة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجنا جميعا وقدّم قبلى الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفت عنه فأمر بضرب عنقه فضربت ثم قال لى أظنك ارتعت يا اسمعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردّوه الى محبسه فرددت وانتحلت البيتين وزدت فيهما

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرّهت منه طال عتبى على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهرا بحب عتبة جارية المهدى وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به الى المهدى يعرض بها

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * والله والقائم المهدى يكفيها

انى لأيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمّ المهدى بدفع عتبة اليه فخرجت وقالت يا أمير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى أتدفعنى الى قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وكان قد كتب البيتين على حواشى ثوب مطيب ووضعه فى برنية ضخمة فقال المهدى املؤا له البرنية مالا فقال للكتاب أمر لى بدنانير قالوا ما ندفع اليك ذلك ولكن ان شئت أعطيناك الدراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أضرب عن ذكرى صفحا وجلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لاصحابه فقال له أبو نواس

يا تاركا كان لم أغنز ورقى
وزائرى دأبا اذا غبت
وددت أن ودّك لا ينثنى
يزور فقدانى لومت

(قال على بن ظافر) وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الاندلسى فى مثل هذه الواقعة وهو أحسن ما سمعت فيها

صح الهوى منك ولكننى
أعجب من بين لنا يقدر
كأننا فى فلك دائر
فأنت تخفى وأنا أظهر

(قال ابن رشيق) وكان كثيرا ما يتنابى غلام وضىء الوجه ذو خال تحت لحيه فنظر اليه يوما بعض أصحابى ثم أطرق فعلمت انه يعمل فيه فصنعت بيتين وسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد

يقولون لى من تحت صفحة خدّه
تنزل خال كان مسكنه الخدّ
فقلت رأى ذاك الجمال فهابه
فحط خضوعا مثل ما خضع العبد

فقلت أحسنت ولكن اسمع وأنشدت

حبذا الخال كامنا منه بين الجيد والخدّ رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن
خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال فضحتنى (وذكر الباخرزى فى كتاب الدمية) انه اجتمع هو وأبو عاصم

أترانى ياعتاهى * تاركا تلك الملاهى   أترانى مفسدا بالنسك عند القوم جاهى

فوثب أبو العتاهية وقال لابارك الله عليك وجعل أبو نواس يضحك (وحدّث) مخارق قال جاءنى أبو العتاهية يوما فقال لى قد عزمت على أن أتزوّد منك يوما تهبه لى فتى تنشط لذلك فقلت متى شئت قال انى أخاف أن تقطع بى فقلت لا والله ولو طلبنى الخليفة فقال يكون ذلك فى غد فقلت افعل فلما كان من الغد باكرنى رسوله فجئته فأدخلنى بيتاله نظيفا فيه فرش نظيف ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدى مشوى قال فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ثم جاؤا بفاكهة وريحان وألوان من الانبذة فقال لى اختر ما يصلح لك فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال غنّ لى قولى

أحمد قال لى ولم يدر مابى * أتحب الغداة عتبة حقا

فغنيته فشرب أقداحا وهو يبكى أحرّ بكاء ثم قال غننى فى قولى

ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

فغنيته وهو ينتحب ويبكى ثم قال غننى فديتك فى قولى

خليلىّ مالى لا تزال مضرّتى * تكون مع الاقدار حتما من الحتم

فغنيته اياه ومازال يقترح علىّ كل صوت غنى به فى شعره ويقول غننى به فأغنيه ويشرب ويبكى حتى صارت العتمة فقال لى أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع فجلست فأمر ابنه وغلامه فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهى ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته فمازال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكى حتى لم يبق من ذلك شئ ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثيابا بياضا من الصوف ثم عانقنى وبكى وقال عليك السلام ياحبيبى وفرحى من الناس كلهم سلام الفراق الذى لالقاء بعده وجعل يبكى ويقول هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا فظننت انها بعض حماقاته فانصرفت فالقيته زمانا ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرّتين ونقب احداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ونقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط فقال لى من أى شئ تضحك لا ضحكت فقلت أسخن الله عينيك هذا أى شئ هو من بلغك عنه انه فعل مثل هذا من الانبياء أو الزهاد أو الصحابة أو التابعين أو المجانين انزع عنك هذا يا سخين العين فكأنه استحيا منى ثم بلغنى عنه انه جلس حجاما فجهدت أن أراه بتلك الحالة فلم أره ثم مرض فبلغنى انه اشتهى أن أغنيه فأتيته عائدا فخرج الىّ رسوله يقول ان دخلت جددت لى حزنا وتاقت نفسى الى سماعك والى ما قد غلبتها عليه وأنا أستودعك الله وأعتذر اليك من ترك الالتقاء ثم كان آخر عهدى به وقيل لابى العتاهية عند الموت ماتشتهى فقال أشتهى أن يجئ مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغننى

ستعرض عن ودّى وتنسى مودّتى * ويحدث بعدى للخليل خليل

اذا ما انقضت عنى من الدهر مدّتى * فان غناء الباكيات قليل

(وحدّث) محمد بن أبى العتاهية قال آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه

الهى لا تعذبنى فانى * مقرّ بالذى قد كان منى

فمالى حيلة الا رجائى * لعفوك ان عفوت وحسن ظنى

وكم من زلة لى فى الخطايا * وأنت علىّ ذو فضل ومنّ

اذا فكرت فى ندمى عليها * عضضت أناملى وقرعت سنى

أجنّ بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمرى بالتمنى

ولو أنى صدقت الزهد عنها * قلبت لاهلها ظهر المجن

الفضل بن محمد الفضيلى الهروى فى مجلس الامام عبد الله الانصارى قال وكان غاية فى الكلام على المنبر فتعاطينا القول فيه فقال الفضيلى

عيون الناس لا تلقى * من الناس كعبد الله

ولا ينكر هذا غير * من مال عن الله

(فقال الباخرزى)

مجلس الاستاذ عبد الله روض العارفينا * ألحق الفخر بنابه دا حتكام العارفينا

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان ما معناه قال ركب عبد الجليل بن وهبون المرسى وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بغلام البكرى زورقا بنهر اشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر وأشدّ سوادا من طرف الظبى النافر ومعهما غلام وضئ قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه على غصن بان من قوامه وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء ومزقتا رداء الظلماء وموّهتا بذهب نورهما لجين الماء فقال عبد الجليل ارتجالا

كأنما الشمعتان اذ سمتا * خدّا غلام محاسن الغيد

وفى حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

يظن الناس بي خيرا وأني * لشر الناس ان لم تعف عني

ومحاسنه كثيرة وكان الاصمعي يستحسن قوله

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

(وحدث ابن الانباري أبو بكر) قال أرسلت زبيدة أم الامين الى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الامين يستعطف بها المأمون فأرسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعد * ويمتع بالآلاف طورا ويفقد
أصابت بريب الدهر مني يدي يدي * فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر ان هلكت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفتقد ومحمد

قال فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها وقضى حوائجها جميعا (وحدث) عمرو بن أبي شيبة قال مر عابد براهب في صومعة فقال له عظني قال أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم قلت نعم قال فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول

تجرد من الدنيا فانك انما * وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

ومن شعر أبي العتاهية قوله

بادر الى اللذات يوما أمكنت * بحلولهن بوادر الآفات
كم من مؤخر لذة قد أمكنت * لغد وليس غد له بمواتي
حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات
تأتي المكاره حين تأتي جملة * وأرى السرور يجي في الفلتات

ومنه قول بعضهم أي شئ يكون أعجب أمرا * ان تنكرت من صروف الزمان
عارضات السرور توزن فيه * والبلايا تكال بالقفزان

ومن شعره أيضا قوله

واذا انقضى هم امرئ فقد انقضى * ان الهموم أشدهن الأحدث

ويومي الى هذا المعنى قوله أيضا وهو عجيب في معناه

انما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

ومن هذا قول من قال وكما تبلى وجوه في الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

ومن شعره أيضا قوله كأن عتابكم يبدي محاسنكم * منكم فيمدحكم عندي فيغريني
اني لأعجب من حب يقربني * ممن يباعدني عنه ويقصيني

ومثل الاول قول عروة بن أذينة كأنما عاتبها جاهدا * زينها عندي بتزيين

وكذا قول أبي نواس كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية في علته التي مات فيها وهي باكية فارثي أباك واندبيه بهذه الابيات فقامت فندبته بقوله

لعب البلا بمعالمي ورسومي * وقبرت حيا تحت ردم همومي
لزم البلا جسمي فأوهى قوتي * ان البلا لموكل بلزومي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ووفاته في يوم الاثنين لثمان من جمادى الاولى وقيل لثلاث من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة ومائتين وقيل سنة ثلاث عشرة ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد وأمر أن يكتب على قبره ان عيشا يكون آخره الموت لعيش معجل التنغيص

وقيل أوصى أن يكتب عليه أذن حي تسمعي * واسمعي ثم عي وعي

(فقال غلام البكري)

أحبب بمنظر ليلة ليلاء * تجني بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج فوق الماء ضوء منهما * كالبرق يخفق في أديم سماء

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى وأبو بكر ابن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

(ثم أعجبه المعنى فقال)

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس في ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

(وقال ابن بقي)

حمامنا فيه فصل القيظ يحتدم * وفيه للبرد صر غير ذي ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

(وقال الاعمى) وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام أنداء

أنا رهن بمضجعي * فاحذروا مثل مصرعي عشت تسعين حجة * أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحى ثابتا * فى ديار التزعزع ليس زاد سوى التقى * فخذى منه أودعى

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال يا أبى ضمك الثرى * وطوى الموت أجمعك
ليتنى مت يوم صر * ت الى حفرة معك
رحم الله مصرعك * برد الله مضجعك

(ماnوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء)
(فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء)

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر من الخفيف والنوال العطاء والبدرة كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار والعين هنا المال (والشاهد فيهما) التفريق وهو ايقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو فى غيره فمن ذلك قول بعضهم

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر
قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلى مع تسمية النوع

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارق الغمم

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما فللوأواء الدمشقى

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد باكى العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جدا

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك السحب تعطى وتبكى * وأنت تعطى وتضحك

ولابى الفتح البستى وأجاد يا سيد الامراء يا من جوده * أوفى على الغيث المطير اذا همى
الغيث يعطى باكيا متجهما * وتراك تعطى ناضرا متبسما

ومثله لابى منصور البوشنجى

وذلك ضاحك أبدا يجود * وجودك ليس يمطر غير باكى

وقول الاديب يعقوب النيسابورى فى الامير أبى الفضل الميكالى

رأيت عبيد الله يضحك معطيا * ويبكى أخوه الغيث عند عطائه
وكم بين ضحاك يجود بماله * وآخر بكاء يجود بمائه

ولشرف الدين السنجارى فى معناه

ماقست بالغيث العطايا منك اذ * يبكى وتضحك أنت اذ تولى الندا
واذا أفاض على البرية جوده * ماء تفيض لنا يمينك عسجدا

وما أبدع قول البديع الهمذانى مع زيادة المعنى والمبالغة فى الغلو

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت * والليث لولم يصد والبحر لو عذبا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك

يقولون ان المزن يحكيك صوبه * مجاملة ها قد شهدت وغابا
وكم عزمة عم البرية بؤسها * فهل ناب فيها عن نداك مناب
همت ذهبا فيها يداك عليهم * وضنت يداه أن ترش ذهابا

كالغصن باشر حر النار من كثب
فظل يقطر من أعطافه الماء
(قال على بن ظافر) وذكر لى أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويقرؤا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز وأنشد
بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا
على ما رأت عيناك من هرمى مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا
على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا
كأنهما نهدان قاما على صدر
وصنع أبو منصور ظافر الحداد
تأمل هيئة الهرمين وانظر
وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل
بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع
وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب
تخلف فهو محزون كئيب
(وأخبرنى) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسى الحلبى قال اجتمع مهذب الدين

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد

سألت أخاه البحر عنه فقال لى * شقيق الا أنه البارد العذب
لنا ديمتان ماء ومال فديمتى * تماسك أحيانا وديمته سكب
اذا نشأت برية فله الندى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وينظر الى معانى ما مرّ ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم

ياعيون السماء دمعك يفنى * عن قريب ومالدمعى فناء
أنا أبكى طوعا وتبكين كرها * ودموعى دما ودمعك ماء

ولم أقف على ترجمة الوطواط الشاعر لكن رأيت ابن فضل الله ذكره فى المسالك فى معرض تراجم فأثبت ما رأيته قال فى ترجمة الشمس بن دانيال انه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الادباء ويدبّ بين الاحباء فعرضت للوطواط رمدة تكدّر بها صفيحه وتكنى له فيها صريحه فقيل له لو طلبت ابن دانيال فقال ذاك لا يسمح بذرّة يعنى من كحله فبلغ ابن دانيال فقال فى ذلك

ولم أقطع الوطواط بخلا بكحله * ولا أنا من يعييه يوما تردّد
ولكنه ينبوعن الشمس طرفه * فكيف به لى قدرة وهو أرمد

وقال فى ترجمة شافع بن على بن عباس الكاتب ومن قوله فى الوطواط الشاعر

كم على درهم يلوح حراما * بالشيم الطماع سرّا تواطى
دائما فى الظلام تمشى مع النا * س وهذا عوائد الوطواط

وقوله فيه

قالوا ترى الوطواط فى شدّة * من تعب الكدّ ومن ويل
فقلت هذا دأبه دائما * يسعى من الليل الى الليل

ثم انى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره فى طبقات النحاة فقال محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعروف بالرشيد الوطواط (قال ياقوت) كان من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والادب طار فى الآفاق صيته وسار فى الاقاليم ذكره وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ويمليهما معا وله من التصانيف حدائق السحر فى دقائق الشعر أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى وغير ذلك مولده ببلخ ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أوّلا ليس هو ومن رسائله ما كتبه الى العلامة جار الله الزمخشرى يستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤالاته

لقد حاز جار الله دام جماله * فضائل فيها الايشق غباره
تجدّد رسم الفضل بعد اندراسه * بأيام جار الله فالله جاره

أنا منذ لفظتنى الاقدار من أوطانى ومعاهد أهلى وجيرانى الى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله أدام الله جماله جنة للكرام وجنة من نكبات الايام كانت قصوى منيتى وقصارى بغيتى أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التى هى مجثم السياده ومقبل أفواه الساده فمن ألقى بها عصاه حاز فى الدارين مناه ونال فى المحلين مبتغاه ولكن سوء التقصير أومانع التقدير حرمنى مدة تلك الخدمه وحرّم علىّ تلك النعمه والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ أن آفل جدّى هم بالاشراق وذابل ايراقى تحرك للايراق فقد أجد فى نفسى نور امجد ايهدينى الى جنته ومن شوقى داعيا موقايدعونى الى عتبته ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة أن اخلع نعالك واطرح بالوادى المقدس رحالك ولا تحفل بقصد قاصد وحسد حاسد فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده وأكرم من أن تستثقل من وطأة طالب لعوائده ومع هذا أرجو اشارة تصدر عن مجلسه المحروس اما بخطه الشريف فان فى

ذلك

أبو الحسين بن منير والشيخ أبو عبد الله محمد بن صغير القيسرانى الشاعران بحلب فقرّ عليهما صبى سرّاج يسمى يوسف مشهور بالحسن فسئلا القول فيه فصنعا فكان ما صنع ابن منير

يا سمى المتاح فى ظلمة الجب لمن ساقه القضاء اليها
والذى قطع النساء له الايدى ومكن حبله من يديها
لك وجه مياسم الحسن فيه صكة تطبع البدور عليها

(وكان ما صنع القيسرانى)

لا تخدعن فالحسام المرهف الا الذى يحويه جفن اوطف
واذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى عمل الاسنة فالقوام مثقف
ويح المحب اما يخالس نظرة الا هفا بالقلب ظبى أهيف
بالله يانفحات أنفاس الصبا مابال غصن البان لا يتعطف
يامسكرى وجد ابخمر جفونه قل لى أتلك لواحظ أم قرقف
بادر جمالك بالجميل فربما ذوت المحاسن أوابلّ المدنف
واسبق عذارك باعتذارك قبل أن يأتى بعزل هواك منه ملطف
أن جاز أن يرث الملاحة باسمه أحد فانك يوسف يايوسف

(قال على بن ظافر) وروى أن الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك على بن مفرج ابن المنجم اجتمعا فى منار

ذلك شرفا فى يدوم مدى الدهر والايام ونخرا يبقى على مر الشهور والاعوام وامّا على لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراتعين فى رياض نعمته ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب ﴿وكتب اليه يهنئه بالعيد﴾ الاعياد عرّف الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها وجعل له الحظ الاكمل والقسط الاجزل من ميامنها وسعودها فرائد قلائد الايام وغرر جبهات الاعوام لكنها راحلة لاتقوم وزائلة لاتدوم ولقاء جار الله أدام الله مجده لنا معشر خدمه والمرتضعين در فضله وكرمه عيد لازال العيد له كنصيفه باقية محاسنه دائمة ميامنه يهدى كل ساعة الى أبصارنا نورا والى أرواحنا راحة وسرورا فكيف نهنئ عيدا هذه حاله بعيد لايؤمن زواله

أتى العيد جار الله وهو مجدّد * بخدمته عهد المهيمن تجديدا
فلست بعيد لايدوم مهنئا * لصدر محياه يدوم لنا عيدا

﴿ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الأذلان عير الحىّ والوتد﴾
﴿هذا على الخسف مربوط برمّته * وذا يشج فلا يرثى له أحد﴾

البيتان من البسيط وقائلهما المتلمس من أبيات وهى

ان الهوان حمار الاهل يعرفه * والحر ينكره والرسلة الأجد
كونوا كسامة اذ ضنك منازله * اذ قيل جيش وجيش حافظ عند
شد المطية بالانساع فانجردت * عرض التنوفة حتى مسها النجد
كونوا كبكر كما قد كان أولكم * ولا تكونوا كعبد القيس اذ قعدوا
يعطون ما سئلوا والبحر محتدهم * كما أكب على ذى بطنه الفهد

وبعده البيتان وبعدهما قوله

وفى البلاد اذا ما خفت ثائرة * مشهودة عن ولاة السوء تنتقد

والضيم الظلم والعير بفتح المهملة الحمار وغلب على الوحشى والمناسب هنا الأهلى والخسف النقيصة والاذلال تحميل الانسان ما يكره وحبس الدابة بلا علف والرمّة بضم الراء وتكسر قطعة من حبل والشج الكسر والدق والاستثناء فى الا الأذلان استثناء مفرّغ وقد أسند اليه فعل الاقامة فى الظاهر وان كان مسندا فى الحقيقة الى العام المحذوف (والشاهد فيهما) التقسيم وهو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين فانه ذكر العير والوتد ثم أضاف الى الاول الربط مع الخسف والى الثانى الشج على التعيين ومما ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب وهو

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وقد نقل أبو نواس هذا التقسيم من الجد الى الهزل فقال

أمر غد أنت منه فى لبس * وأمس قد فات فاله عن أمس
وانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقد نقله بعضهم أيضا فقال

تمتع من الدنيا بساعتك التى * ظفرت بها ما لم تعقك العوائق
فلا يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

ومن التقسيم قول بشار بن برد

وراحوا فريق فى الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومثله قول الصفىّ الحلى

أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وهو مأخوذ من قول عمر بن الايهم

الجامع ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كانون ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربه والى مستقرها جارية ذاهبه قد شمرت للغيب الذيل واصفرت خوفا من هجوم الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أوزورق الورق اقترحوا عليهما وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل اذ غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها
فى اثرها زورق قد صيغ من ورق
(وصنع نشو الملك)
يارب ساهية فى الجو قد بما
أمد طرفى فى أرض من الافق
حيث العشية فى التمثيل معركة
اذا رآها جبان مات للغرق
والشمس هاربة للغرب دارعة
بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا
من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل أوهارب أوأسير

ومنه وزعم قوم انه أفضل بيت وقع فيه تقسيم قول نصيب

فقال فريق القوم لاوفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندرى

وزعم أبو العيناء ان خير تقسيم قول عمر بن أبى ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر

واختار آخرون قول الحاركى وقالوا انه أفضل

فلا كمدى يفنى ولا لك رقة * ولا عنك اقصار ولا فيك مطمع

وبديع قول الامير السليمانى

وصلت فلما أن ملكت حشاشتى * هجرت بجدوا رحم فقد مسنى الضر

فليت الذى قد كان لى منك لم يكن * وليتك لا وصل لديك ولا هجر

فلا عبر تى ترقا ولا فيك رقة * ولا منك السام ولا عنك لى صبر

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهاب محمود حيث قال

وانى لفى نظرى نحوها * وقد ودعتنى قبيل الفراق

ولا صبر لى فأطيق الهوى * ولا طمع ان نأت فى اللحاق

ولا أمل يرتجى فى الرجوع * ولا حكم فى رد تلك النياق

كمضنى يودع روحا غدت * يراها على رغمه فى السياق

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

فى باعه طول وفى وجهه * نور وفى العرنين منه شمم

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم فى الشعر وكان معجبا بقول العباس بن الاحنف

وصالكم صرم وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما قسم حيث جعل حبال كل شئ ضده والله ان هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات اقليدس ومن جيد التقسيم قول أبى تمام

فما هو الا الوحى أوحد مرهف * تميل ظباه الحد عن كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل

(وذكر الجاحظ) أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس فقال من كان فى يده من مال عبد الله بن حازم شئ فلينبذه وان كان فى فمه فليلفظه وان كان فى صدره فلينفثه قال فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم (ووقف) اعرابى على حلقة الحسن فقال رحم الله من تصدق من سعة أوواسى من كفاف أوآثر من قوت ولقد أجاد ابن حيوس فى التقسيم بقوله

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر

ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

وما أحسن قول أبى ربيعة المخزومى

وهيها كشئ لم يكن أوكنازح * عن الدار أومن غيبته المقابر

وعجيب هنا قول أبى تمام فى مجوسى أحرق فى النار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض

يقولون لى صفها فأنت بوصفها * خبير أجل عندى بأوصافها علم

(وهذا) لعمرى البديع الذى لا يلحظ سواه ولا يحفظ الا اياه (قال على بن ظافر) والحكاية المشهورة عن ابن قلاقس والوجيه أبى الحسن على بن الذروى أنهما طلعا منارة الاسكندرية والوجيه يومئذ فى عنفوان شبابه وصباه وهبوب شماله فى الجمال وصباه وابن قلاقس مغرم به مغرى بحبه دئب فى تهذيبه مبالغ فى تفضيض شعره وتذهيبه ولم يكن وقعت بينهما تلك المناة ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة فقال بديها

وسامية الارجاء تهدى أخا السرى
ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الانس ضافيا
فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتنى من ذراها بقبة
ألاحظ فيها من صحابى أنجما
تخيلت أن البحر تحتى غمامة
وأنى قد خيمت فى كبد السما
(ـ حين) رأى الاعز ما أتى به اشتد سروره وفرحه وقال يصفها ويمدحه
ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا
كأنما فيه للنسرين أوكار
راسى القرارة سامى الفرع فى يده
للنون والنور أخبار وآثار

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقول محمد بن دراج القسطلي وأجاد

عطاء بلا منّ وحكم بلا هوى * وملك بلا كبر وعز بلا عجب

وقول الآخر أيضا بنو جعفر أنتم سماء رياسة * مناقبكم في أفقها أنجم زهر

طريقتكم مثلى وهديكم رضى * ومذهبكم قصد ونائلكم غمر

عطاء ولا منّ وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وبديع قول بعضهم أيضا قوس ولا وتر وسهم ولا قود * عين ولا نظر نحل ولا عسل

وقول بعضهم أيضا تسربل وشيا من خزوز تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فوشي بلا رقم ورقم بلا يد * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وقول الرستمي فتى حاز رق المجد من كل جانب * اليه وخلى كاهل الشكر ذا ثقل

بعفو بلا كد وصفو بلا قذى * ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل

وما أشرف قول ابن شرف

لمختلف الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن

فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

وقول بعضهم أيضا نرجو سلوا في رسوم بينها الاغصان سكرى والحمام متيم

هذي تميل اذا تنسمت الصبا * والورق تذكر شجوها فترنم

ولابن جابر الاندلسي لقد عطفتني على حبها * بوجه تبدى على عطفه

فهذا هو البدر في أفقه * وهذا هو الغصن في حقفه

ولابي الحسين الجزار وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مثوى أنام

وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

ولشيخ شيوخ حماة لنا ملك واجد ما أشتهي * ولكنه لم يجد مثله

ملاذي به ومثولي لديه * وميلي اليه ومدحي له

ومثله قول بعضهم مجونا

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حن قلبي اليه

أشتهي أن يكون عندي وفي بيتي * وبعضي فيه وكلي عليه

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق

رأت حالي وقد حالت * وقد غال الصبا فوت فقالت اذ تشاجرنا * ولم يخفض لنا صوت

أشيخ مفلس يهوى * ويعشق فاتك الفوت فلا خير ولا مير * ولا ايرفذا موت

ولطيف قول بعضهم

وفي أربع مني حلت منك أربع * فما منه أدري أيها هاج لي كربي

أوجهك في عيني أم الريق في في * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

وقد سمع يعقوب بن اسحق الكندي هذا فقال هو تقسيم فلسفي وقد أخذه الجاني العلوي فجعله خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في في طيب الرشف

ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(والمتلمس) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام ولقب بالمتلمس لقوله

وذاك أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت

خيل لها في بديع الشعر مضمار

ولم يدع حسنا فيه أبو حسن

الا تحكم فيه كيف يختار

حلى المنارة لما حل ذروتها

بجوهر الشعر بحر منه زخار

ما زال يذكي بها نار الذكاء الى

أن أصبحت علما في رأسه نار

(وأخبرني) الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي وابن شيث من أصحابنا قالا مضى الوجيه علي بن الذروي والنجيب هبة الله ابن وزير في جماعة الى الحمام المعروفة بأبي فروة فجرى بينهما تنازع أدى الى تناكر فضيلة الادب ثم تراضيا بأن يحكم بينهما الشريف المعروف بانكدودة فحكم بأن يصنعا قطعتين في صفة الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين فصنع ابن الذروي

ان عيش الحمام عيش هنيء

غير أن المقام فيها قليل

جنة تكره الاقامة فيها

وجحيم يطيب فيه الدخول

فكأن الغريق فيها كليم

وكأن الحريق فيها خليل

(وصنع ابن وزير بعد بطء)

لله يوم بحمام نعمت به

والماء من حوضها ما بيننا جاري

كأنه فوق شفاف الرخام بها

ماء يسيل على أثواب قصار

وكان هو وطرفة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهجوه وكان مما هجاه به المتلمس قوله

ان الخيانة والمقالة والخنا * والغدر نتركه ببلدة مفسد
ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل بطنه كالمزود
فاذا حللت فدون بيتي غارة * فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وهجاه طرفة بما تقدم في ترجمته في شاهد التكميل فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينه وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما صحيفتين وختمهما الثلايعلما مافيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز فذهبا افترافي طريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وأدخل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أطرح خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا أحمق والله مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك حينئذ الصحيفة فاذا فيها اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال

قذفت بها بالنيّ من جنب كافر * كذلك أقني كل قط مضلل
رضيت بها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشام وقال ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لابد للسفر منه وأما طرفة فانه وصل الى البحرين وقتل كما مر في ترجمته وهلك المتلمس في الجاهلية وقال ابن فضل الله في حقه هو رجل نبيه الذكر معروف بصحة الفكر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته ومن شعره

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع العافي الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما حذار منية * وموتن بها واحيا وجلدك أملس
فمن حذر الاوتار ما حز أنفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
وما الناس الا ما رأوا وتحدثوا * وما العجز الا أن يضاموا فيجلسوا
فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * والا فانا نحن آبى وأشمس

ومن شعره أيضا

تعيرني أمي رجالا ولا أرى * أخا كرم الا بأن يتكرما
أحارث انا لو تساقط دماؤنا * تزيلن حتى لا يمس دم دما
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما
وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه * فلم تجد الاخرى عليها مقدما
فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما
اذا ما أديم القوم أنهجه البلى * تفرى وان كتبته وتخرما

ومما يتمثل به من شعره قوله

وأعلم علم حق غير ظن * لتقوى الله من خير العتاد
وحفظ المال خير من ضياع * وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وهذه الابيات من قصيدة له مطلعها

صبا من بعد سلوته فؤادي * وأسمح للقرينة بالقياد

فانتقد عليه الجماعة تشبيهه الماء بالماء واستبردوا ما أتى به فقال ابن الذروي

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له
أو كاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما رويته
وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(وأخبرني) الفقيه شجاع الغزلي رحمه الله قال جلست يوما بالوراقين على دكان الاديب أبي الفضل جعفر ابن مفضل القرشي المنبوز بشلعلع والثناذخيرة الملك المشهور خبره المشكور أثره وهو شيخ كان يغني ويلفق كلاما من جنس كلام الحمقى والمعتوهين تلفيقا موزونا على انه شعر الا أنه بلغ به عند الصالح وزيره مالم يبلغه الاخطل عند عبد الملك وبنيه وقد اجتمع الناس عليه ووقفوا صفوفا بين يديه وهو يطربهم بشعره ويملأ آذانهم بعره قال فتربنا ابن وزير فلما رأى الجمع جلس الينا ثم أخذ يقول أنصافا من الشعر وأبياتا متفرقة في مدح ذخيرة الملك تارة والطنز به أخرى يتباهى بها على العوام ويملأ بها أفواه أولئك الطغام ففهم أبو الفضل مقصده وأراد أن يفضحه ويظهر عيبه ويوضحه فقال له ماهذا الفتور والشعر المقذور

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال

يحصن زاده عن كل ضرس * ويعمل ضرسه فى كل زاد * ولا يروى من الاشعار شيأ
سوى بيت لابرهة الايادى * قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق وأخذه ابن وكيع فقال

مال يخلفه الفتى * للشامتين من العدا خير له من قصده * اخوانه مسترفدا

ويقال ان حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ألا كان يقول وما البذل يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد * فلا تلتمس فقرا بعيش فانه لكل غد رزق يعود جديد * ألم تدر أن المال غاد ورائح * وأن الذى يعطيك ليس يبيد
انتهى وقد قال البلغاء فى معنى الاول ان فى اصلاح مالك جمال وجهك وبقاء عزك ونقاء عرضك وسلامة دينك وطيب عيشك وبناء مجدك فاصلحه ان أردت هذا كله وفى المثل احفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء يضرب فى الحث على أخذ الامر بالحزم وقيل من أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وقيل التدبير يثمر التيسير والتبذير يبرد الكثير ولا جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد والاعتدال فى الجود أحسن من الاعتداء على الموجود والرزق مقسوم محدود فمرزوق ومحدود والله أعلم بالوجود

(فوجهك كالنار فى ضوءها * وقلبى كالنار فى حرها)

البيت لرشيد الدين الوطواط من الخفيف (والشاهد فيه) الجمع مع التفريق وهو ادخال شيئين فى معنى والتفريق بين جهتى الادخال فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ثم فرق بينهما بأن جهة ادخال الوجه من جهة الضوء وادخال القلب من جهة الحر والاحراق وفى معناه قول بعضهم

فكالنار ضوأ وكالنار حرا * محيا حبيبى وحرقة بالى
فذلك من ضوئه فى اختيال * وهذا لحرقته فى اختلال

وقريب منه قول الصفى الحلى

سناه كالنور يجلو كل مظلمة * والباس كالنار يفنى كل مجترم

ومما يستشهد به على هذا النوع قول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة
فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة

تشابه يوماه علينا فاشكلا * فلا نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بؤسه * وما منهما الا أغر محجل

وقول البحترى أيضا ولما التقينا والتقى موعدلنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقول بعضهم أيضا أرى قمرين قد طلعا * على غصنين فى نسق * وفى ثوبين قد صبغا
صباغ الخد والحدق * فهذى الشمس فى شفق * وهذا البدر فى غسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع

بالروح أفدى صاحبا لم يزل * محتقرا ذنبى فى عفوه فكفه كالماء فى جوده * وقلبه كالماء فى صفوه

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال

يمناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(الجمع مع التقسيم)

(حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع)
(للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا)

والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور واستقر الامر على أن يصنع كل منا قطعة فى مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع فكان حرف الذال فابتدر جعفر وقال

من كان فى درك الغرام ولم يكن
لحشاه من أسر الهوى انقاذ
فذخيرة الملك الاجل بشعره
توقى القلوب من الهوى وتعاذ
واذا بدا متر غافله على
كل القلوب بشدوه استحواذ

(قال وصنعت)

ذخيرة الملك أنت شاعرنا
فكل شعر عداك منبوذ
وكل لفظ فمنك مسترق
وكل معنى فعنك مأخوذ

قال وأبى ابن وزير أن ينشد ما عمله بل كتبه فى رقعة وقال انما أنشده بحضرة أبى الحسن بن برى رحمه الله فأتيناه جميعا فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا فأثنى خيرا ثم ناوله ابن وزير الرقعة فاذا أولها يقول

هذا الفتى ذخيرة الملك نعيذه

فلما قرأه الشيخ جمع وجهه ثم قرأ الثانى فاذا هو

اذا دعى منشدا
قلوبنا منفوذه

فزاد فى تجمعه ثم قرأ الثالث فاذا هو

من كل هم فيهما
يبدو لنا شذوذه

فرمى الرقعة من يده فكأنما

البيتان لابي الطيب المتنبي من قصيدة من البسيط يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
أهل الحفيظة الا أن تجربهم * وفي التجارب بعد الغي ما يزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت * ان الحياة كما لا تشتهي طبع
ليس الجمال بوجه صح مارنه * أنف العزيز بقطع العز يجتدع
أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه * وأترك الغيث في غمدي وأنتجع
والمشرفية لازالت مشرفة * دواء كل كريم أو هي الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها * في الدرب والدم في أعطافها دفع
وأوجدته ومافي قلبه قلق * وأغضبته ومافي قلبه فزع
بالجيش يمتنع السادات كلهم * والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع
قاد المقانب أقصى شربها نهل * على الشكيم وأدنى سيرها سرع
لا يكتفي بلد امسراه عن بلد * كالموت ليس له ري ولا شبع

وبعده البيتان والقصيدة طويلة فريدة والارباض جمع ربض بفتح الباء وهو سور المدينة وحرشنة بلد بالروم وهي التي تسمى الآن أماصية والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي معبد النصارى واغالم يقل من نكحوا أو من ولدوا ليوافق قوله والنهب ماجمعوا والنار ما زرعوا وللدلالة على اهانتهم وقلة المبالاة بهم حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه (والشاهد فيهما) الجمع مع التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم فالاول كما في البيتين وهو ظاهر والثاني كما في البيتين الآتيين بعدهما وهما

﴿قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا﴾
﴿سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع﴾

البيتان لحسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وأرادوا المفاخرة بخطيبهم وهو عطارد وشاعرهم وهو الزبرقان في خبر طويل والقصيدة أولها

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا

وبعده البيتان وبعدهما

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم * لا يطبعون ولا يزري بهم طمع
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طمع
يسمون للحرب تبدو وهي كالحة * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم * وان أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع * أسود بيشة في ارساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا وما غضبوا * ولا يكن همك الامر الذي منعوا
فان في حربهم فاترك عداوتهم * سما يخاض عليه الصاب والسلع
أكرم بقوم رسول الله قائدهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره * فيما أراد لسان حاذق صنع

ألقسمه بجرانه اذى أننا غير ناسبكه وكتب بذلك محضرا منظوما كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر أنشد في كثيرا منها ثم توفي قبل أن أكتبها عنه (وأخبرني) بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور ابن عبد العزيز بن وهبان السلمي المعروف بابن السنجاري بحماة وكتبه لي بخطه قال اجتمع عندي جماعة منهم جمال الدين بن رواحة وعلم الدين الشاباني الشاعر المعروف بقاع وضياء الدين سعيد بن حياة المقري وضياء الدين الحوراني وهو في ذلك الوقت مشتهر بعشق البهاء علي بن محمد الخراساني المعروف بابن الساعاتي فبينا نحن مجتمعون اذ دخل علينا ابن الساعاتي وهو في عنفوان شبابه ونهاية حسنه وسنه حينئذ أربع عشرة سنة فداعبناه فجرد سيفا وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحوراني مداعبا له وذلك بعد أن عصب عينيه بطرف عمامته فكشف الضياء عن وجهه وقال أنتم كلكم تدعون أنكم فضلاء الوقت فقولوا في هذا شيأ فعمل كل منا قطعة وخبأها في بيقاره فقال الضياء وكانت فيه دعابة أراكم قد عملتم عمل

وانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جدّ بالناس جدّ القول أو سمعوا

ولما أنشد حسان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد ان خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة قال الاقرع ابن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا أعطني يا محمد فأعطاه فقال زدنى فزاده فقال اللهم انه سيد العرب وهم الذين أنزل الله فى حقهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ومعنى حاولوا راموا وطلبوا والاشياع جمع شيعة بكسر الشين المعجمة وهى الانصار والاتباع والفرقة تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والسجية الغريزة وما جبل عليه الانسان والخلائق جمع خليقة وهى الطبيعة هنا والبدع جمع بدعة وهى الحدث فى الدين بعد الكمال والمراد بها هنا مستحدثات الاخلاق لا ما هو كالغرائز فيها (والشاهد فيهما) القسم الثانى من الجمع مع التقسيم فانه قسم فى البيت الاول صفة الممدوحين الى ضرر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية وقد أخذ ابن مفرّغ عجز البيت الثانى برمّته فقال من قصيدة

جاور بنى خلف تحمد جوارهم * والاعظمين دفاعا كلما دفعوا
والمطعمين اذا ما شتوة أزمت * فالناس شتى الى أبوابهم شرع
هم خير أقوامهم ان حدّثوا صدقوا * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع

جمع الاعادى بتقسيم بفرقته * فالحىّ للأسر والاموات للضرم

(ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدّوا قليل اذا عدّوا)

البيت للمتنبى من قصيدة من الطويل أوّلها

أقل فعالى بل أكثره مجد * وذا الجدّ فيه نلت أو لم أنل جدّ
سأطلب حقى بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التثموا مرد

وبعده البيت وبعده

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده * وضرب كأن النار من حرّه برد
اذا شئت حفّت بى على كل سابح * رجال كأن الموت فى فمها شهد
أذمّ الى هذا الزمان أهيله * فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم * وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوّا له ما من صداقته بدّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدّة وطأتهم على العدا وثباتهم على اللقاء وانهم مسرعون الى الاجابة اذا دعوا الى كفاية مهمّ ومدافعة خطب مدلهمّ وان الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم (والشاهد فيه) مجىء التقسيم على وجه آخر وهو أن تذكر أحوال الشئ مضافا الى كل من تلك الاحوال ما يليق به فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف الى كل منها ما يليق به وهو ظاهر ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى

فى وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرّته * بنفسج وجنىّ الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس

حملت من الازهار أشباه الربا * فتساوت الأمثال والأشكال
فالآس صدغ والأقاحى مبسم * والورد خدّ والبنفسج خال

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير ابن العميد

قدم الوزير مقدما فى سبقه * فكأنما الدنيا جرت فى طوقه
فجبالها من حلمه وبحارها * من جوده ورياضها من خلقه

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمىّ

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

القطاط فأنشدونا ما عملتم فقلنا على سبيل الحزر لا يتقدّم أحد على علم الدين فجعل الشابانى يصف شعره ويقول قد عملت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما وزاد فى الدعوى ثم أنشد

فخر عندنا به
نهر جيرون كوثر
لو تراءى لسنجر
قبل الارض سنجر

فجرى بينه وبين الحورانى من المشاغبة ما ضاق به الوقت وقال له ويحك أين هذا مما نحن فيه وأىّ مناسبة بينه وبين المعنى الذى اقترح عليك وكان جمال الدين بن رواحة فاضلا لطيفا فقال لى بالله عليك الا أنشدت قبلى فقد رأيتك عملت أكثرمنى وكنت الى جانبه فانشدت ما قلت وهو

حتام عذلك قد أسرفت فى عذلى
قلبى من الوجد ملآن وأنت خلى
أعاذك الله من وجدى ومن كلفى
ومن غرامى ومن خوفى ومن وجلى
لو كان يا سعد للطوفان ما ذرفت
عيناى ما استعصم المغرور بالجبل

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وقد تبع ابن سكرة فى جادته هذه التى سلكها جماعة من الادباء فنهم من جاراه ومنهم من كبا فمن ذلك قول بعضهم

وكافات الشتاء تعدّ سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع

اذا ظفرت بكاف الكيس كفى * ظفرت بغفرد يأتى بجمع

وقول الآخر أيضا

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن أبدال

قل وقتر وقلب موجع وقلا * وقادرها جر والقيل والقال

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب

جاء الشتاء ببرد لا مرد له * ولم يطق حر قاس يقاسيه

لا الكأس عندى ولا الكانون متقد * كنى ظلامى وكيسى قل ما فيه

دع الكباب وخل الكس وأسفا * على كسا أتغطى فى دياجيه

ولمؤلفه فى قريب منه

قلت لذى صبوة بكافا * تشتوة من عنائك دعنى

والهف قلبى على كساء * يرد برد الشتاء عنى

ومن باب جاء الشتاء قول الأعرابى

جاء الشتاء وليس عندى درهم * ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

وتقسم الناس الجباب وغيرها * وكأننى بفناء مكة محرم

وقول آخر من الاعراب

جاء الشتاء ومسنا اقتر * وأصابنا فى عيشنا ضر

ضر وفقر نحن بينهما * هذا العمر أبيكما الشر

وقول جحظة أيضا

جاء الشتاء وما عندى له ورق * مما وهبت ولا عندى له خلع

كانت فبددها جود ولعت به * وللساكين أيضا بالندى ولع

وقول أبى نصر بن نباتة السعدى

جاء الشتاء وما عندى له عدد * الا ارتعاد وتقريص بأسنانى

ولو قضيت لما قد مرت فى كفنى * هبنى قضيت فهبنى بعض أكفانى

وقول أبى طالب المأمون فى طست الشمع

وحديقة تهتز فيها روضة * لم ينمها ترب ولا أمطار

فصعيدها صفر ونامى غصنها * شمع وما قد أثمرته نار

وقول أبى الفضل الميكالى

ومهفهف تهفو بلب المرء منه شمائل

فالردف دعص هائل * والقد غصن مائل والخد نور شقائق * تنقد عنه غلائل

والعرف مثل حدائق * نمت بهن شمائل والطرف سيف ماله * الا العذار حمائل

ولطيف قول منصور الفقيه

بنو آدم كالنبت * ونبت الارض ألوان

فمنه شجر الصند * ل والكافور والبان * ومنه شجر أفضل * ما يحمل قطران

وفى معناه قول رجل من عبد القيس

حامل الناس اذا ما جئتهم * انما الناس كأمثال الشجر

منهم المذموم فى منظره * وهو صاب عوده حلو الثمر

وترى منهم أثيثا نبته * طعمه مر وفى العود خور

ومثله قول الآخر أيضا

الناس كالترب ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين

فجلمد تدمى به أرجل * واثمد يوضع فى الأعين

وقول الآخر

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

أو كنت عاينت ما عاينت من قرى

لكنت أول مشتاق الى أمل

*عجبى راشق لى قوس حاجبه

كأنما الطرف رام من بنى ثعل

يميل عطفاه من سكر الصبا مرحا

كما تمايل عطف الشارب الثمل

ما لاحت الشمس فى رأد الضحى وبدا

للشمس الا رماها الطفل بالطفل

يا حامل الصارم الهندى منتصرا

ضع السلاح فقد استغنيت بالكحل

ما يفعل الظبى بالسيف الصقيل وما

ضرب الصوارم مع ضرب من المقل

قد كنت فى الناس سنيا فما برحت

بى شيعة الحسن حتى صرت عبد على

قال فأخرج ابن رواحة رقعته ومزقها وقال من يحسن مثل هذه البديهة لا ينشد معه شعر (وأخبرنى) الاديب راجح بن اسمعيل الحلى قال خرجنا مع مهذب الدين أبى الحسن على بن نطيف أيام كتابته للملك المعز اسحق ابن الملك الناصر رحمه الله تعالى الى الاهرام للتنزه ومعه الاديب بهاء

كالأ يك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

ولابى عبد الله الغواص فى وصف دار

يادار اسعد قد علت شرفاتها * بنيت شبيهة قبلة للناس

لورود وفد او لدفع ملمة * أو بذل مال أو ادارة كاس

وما أحسن قول الرستمى

ياابن الذين اذا ابتدوا شادوا وان * أسدوا بدا عادوا وان يعدوا يفوا

ان حاربوا لم يحجموا أو قاربوا * لم يندموا أو عاقبوا لم يشتفوا

ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استثيـ * ـبوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا

ان عاهدوا لم يغدروا أو عاقدوا * لم ينقدوا أو ملكوا لم يعسفوا

وبديع قول ابن شمس الخلافة

أناس أو اغير التلون عادة * فشأنهم فى الحب هون واذلال

وصال وهجر واجتماع وفرقة * وبذل وامساك وحل وترحال

فان سمحوا ضنوا وان عطفوا جنوا * وان عقدوا حلوا وان عهدوا حالوا

وقول ابن هرمة قوم لهم شرف الدنيا وسوددها * صفو على الناس لم يخلط بهم رنق

ان حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا * أو عاقدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه يهجو

قوم لئام فلن تلقى لهم شبها * الا التيوس على أكتافها الشعر

ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا

قوم لئام أقل الله خيرهم * كما تساقط حول الفقحة البعر

كأن ريحهم فى الناس اذ برزوا * ريح الكلاب اذا ما بلها المطر

(وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل)

البيت من الطويل ولا يعرف قائله وشوهاء صفة لفرس وهى الطويلة الرائعة والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين والوغى الحرب والمستلئم لابس اللأمة وهو الدرع والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ويجمع على فنق بضم أوله وثانيه والمرحل من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله (والشاهد فيه) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهنا قال تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعدا آخر لابس درع والله أعلم

(ولئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم)

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفى من قصيدة من الكامل أولها

بكرت على من السفاة تلومنى * سفها تعجز بعلها وتلوم * لما رأتنى قد رزئت فوارسى

وبدت بجسمى نهكة وكلوم * ما كنت أول من أصاب بنكبة * دهر وحى باسلون جميم

الى أن يقول فيها ومعى أسود من حنيفة فى الوغى * للبيض فوق رؤسهم تسويم

قوم اذا لبسوا الحديد كأنهم * فى البيض والحلق الدلاص نجوم

وبعده البيت والغنائم جمع غنيمة وهى الفوز بالشئ بلا مشقة (والشاهد فيه) التجريد بدون توسط حرف فانه عنى بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة فى كرمه ولذا لم يقل أو أموت

(ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا)

البيت من المنسرح وقائله الاعشى من قصيدته السابقة فى شواهد المسند (والشاهد فيه) التجريد بطريق

الدين بن الساعاتى والجمال ابن التاج البغدادى والمهذب ابن الخيمى والاوحد الواسطى فاتفق أن كبت به بغلته ثم وثبت ورفعت يديها فتعاطينا القول فى ذلك فبدر بهاء الدين بن الساعاتى فقال

قيل مادت من تحت ذا السيد الار
ض ولم تأت ناله بمثال
هو طود النهى ومن أعجب الاشـ
ياء أرض تميد تحت الجبال

(وقال ابن التاج)

جلست بغلة الامين تربنا
صدق حس كأنه الهام
أظهرت ميزة على النوع اذ أصـ
بح فى الجنس ذاء لا لا يرام
نحن فى خدمة قيام اديه
ثم بغلا تناله قيام

(وقال الواسطى)

لم تكب بغلتك الخضراء
من خور
يامن هو اليوم للاسلام
مسعده
لكنها الارض مادت تحتها
طربا
اذ شرفت بك يامن طاب
محتده

(وقال ابن الخيمى)

أقسمت بغلة الرئيس المفدى
حين حطت لعجزها عنه ظهرا
انما رفعت يديها اقنوتا
بعد أن قبلت ثرى الارض
عشرا

الكناية فانه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لانه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم

(لا خيل عندك تهديها ولا مال)

قائله أبو الطيب المتنبي وهو أول قصيدة من البسيط يمدح بها فاتكا وقد حمل اليه هدية ألف دينار وكان بمصر مقيما وتمامه (فليسعد النطق ان لم تسعد الحال) وبعده

واجز الامير الذي نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى الناس أقوال
فربما جزت الاحسان موليه * خريدة من عذارى الحي مكسال
وان تكن محكمات الشكل تمنعني * ظهور جري فلي فيهن تصهال
وما شكرت لان المال فرحني * سيان عندي اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا أن يجاد لنا * وأننا بقضاء الحق بخال

وهي طويلة وأراد بالحال الغنى (والشاهد فيه) التجريد بمخاطبة الانسان نفسه فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر ومثله في فقد الخيل والمال والحال ومثله قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق فراقا أيها الرجل

ومن الامثلة في التجريد قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي

متى تلق الجريش جريش سعد * وعبادا يقود الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك * ولم ترضع أمير المؤمنينا

ومثله قول ذي الرمة أيضا

وليل كأثناء الدويدي جبته * بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي وأبيض صارم * وأعيس مهري وأروع ماجد

أراد بالاحم العلافي الرحل وهو منسوب الى علاف رجل من قضاعة تنسب اليه الرحال لانه أول من عملها وأراد بالاروع الماجد نفسه وهو تجريد ظاهر لان قوله جبته بأربعة ثم عد فيها الاروع الماجد مشعر بأنه شخص آخر وهو معنى التجريد ومنه قول الشاعر

أباحت بنو مروان ظلما دماءنا * وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل

وقول المعري هاجت غير فهاجت منك ذا لبد * والليث أقتل أفعالا من النمر

وقول الشاعر أيضا وبي ظبية أدماء ناعمة الصلا * تحار الظباء الغيد من لفتاتها
أعانق غصن البان من لين قدها * وأجني جنى الورد من وجناتها

وقول الآخر أيضا ان تلقني لا ترى غيري بناظرة * ينسي السلاح ويغزو جبهة الاسد

وقول ابن جابر الاندلسي جزيل الندى ذو أياد غدت * يحدثن عنه في كل نادي
يلاقيك منه اذا جئته * كثير الرماد طويل النجاد

(فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل)

البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة وقبل البيت

فعن لنا سرب كأن نعاجه * عذارى دوار في ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه * بجيد معم في العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل

وبعده البيت وبعده فظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه * متى ما ترق العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه * وبات بعيني قائما غير مرسل

والمعنى في البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وان كثر العدو منه والعداء بالكسر والمد الموالاة بين الصيدين بصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش وبالنعجة الانثى منها ومعنى

انغدت من نجاه حاملة طودا ومن جود كفه العذب بحرا

(قال وقلت أنا)

وحسام ملك يستضاء برأيه
ويفل حد النائبات بحده
لم تكب بغلته ظنون قوائم
تطأ الصفا فترض صفحة صلده
لكنها امات مشرع سودد
بذ الاكارم في امامة مجده
سجدت وقد صلت صفوف وفوده
من خلفه يتلون آية حمده

(قال علي بن ظافر) وقد رأيت هذه القطعة التي نسبها الحلي لنفسه في ديوان ابن الساعاتي وقد كان الحلي مع جودته كثير الاغارة عليه (وأخبرني) الاديب أبو القاسم بن نفطويه قال أنشدني بعض أصحابنا بيتا وسألني أن أضمنه وهو

فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائي

(فصنعت بديها)

ولما أن تلاقينا بكينا
بكاء القرب من بعد التنائي
وهمت دوام طيب الوصل منه
وأعرض عند ذاك عن اقتضائي
وواعدني اذا ما الشمس غابت
وولت لا سبيل الى اللقاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائي

(قال) ثم مر بي القاضي أبو الحسن علي بن النبيه

درا كمتتابعا ويغسل مجزوم معطوف على ينضح والمعنى لم يعرق فيغسل (والشاهد فيه) المبالغة ويسمى التبليغ وهو ادّعاء ممكن عقلا وعادة فانه ادّعى أن فرسه أدرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى فى شعره كثيرا فقال من قصيدة

وعاديت منه بين ثور ونعجة * وكان عدائى اذ ركبت على بالى

وقال أيضا من أخرى فأقصد نعجة وأعرض ثورها * كفحل الهجان ينتحى لعضيض

ووالى ثلاثا واثنتين وأربعا * وغادر أخرى فى قناة رفيض

وقال أيضا من أخرى فادرك لم يعرق مناط عذاره * يمر كخذروف الوليد المثقب

الى أن قال بعد أبيات فغادر صرعى من حمار وخاضب * وتيس وثور كالهشيمة قرهب

وقال من أخرى فصاد لنا عيرا وثورا وخاضبا * عداء ولم ينضح بماء فيعرق

وقد ألمّ المتنبى بهذا المعنى فقال فى وصف جواد أجاد

وأصرع أىّ الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وينظر الى صدر بيت المتنبى قوله أيضا

وخيل اذا مرّت بوحش وروضة * أبت رعيها الا ومرجلنا يغلى

وقد ألمّ به أبو طاهر الاردستانى بقوله من قصيدة

طمرّ أبى أن يرتع العشب فى الطوى * ولم نغل للاضياف فى الحى مرجلا

ومنه قول امرئ القيس أيضا

اذا ما ركبنا قال ولدان بيتنا * تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطب

يشير الى سرعة مجيئهم بالصيد وقوّة يقينهم بالظفر به ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى

قد وثق القوم له بما طلب * فهو اذا جلّى لصيد واضطرب

عدّوا سكاكينهم من القرب

ومثله قول الآخر فيه (مبارك اذا رأى فقد رزق) رجع الى المبالغة وان لم نخرج عنها قال ابن أبى الاصبع أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة

رهنت يدى بالعجز عن شكر برّه * وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكنّ ما لا يستطاع شديد

ومن هنا قال أبو نواس لا تسدينّ الىّ عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن المبالغة قول النظام توهمه طرفى فآلم خدّه * فصار مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحه كفى فآلم كفه * فمن صفح كفى فى أنامله عقر

ومرّ بفكرى خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

يقال أن الجاحظ لما بلغه ذلك قال هذا ينبغى أن لا ينالك الا بابر من الوهم وعجيب فى المبالغة قول السلامىّ فى عضد الدولة أيضا

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وقوله أيضا وأجاد أقبل علىّ وقل ضيفى ومتبعى * وشاعرى قاصدى راجىّ ممتارى

أنت الأنام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أقضى بعض أوطارى

ومثله قول المتنبى هى الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وقول القاضى ناصح الدين الارجانى

يا سائلى عنه لما جئت أمدحه * هذا هو الرجل العارى من العار

فأنشدته البيت وسألته أن يضمنه فقال بديها

عسى العيس التى ظعنت بسلمى
تعود بها وتنعم باللقاء
تولت بالعشىّ ولا عجيب
مغيب الشمس فى وقت العشاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كما بقيت بقائى

ثم جاء الىّ الاديب أبو المعز الاعيمى فسألته تضمينه فقال بديها

بدت شمس النهار فخيلت لى
بأنك قد رفعت الى السماء
فصرت أذوب وهى تزول عنى
الى أن صرت فى حدّ الفناء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كما بقيت بقائى

(قال) ثم مرّ بى الفقيه أبو محمد القاضى فسألته تضمينه فقال بديها

اذا هزم الظلام سنى الضياء
قضى ترحال وصلك بانقضائى
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كما بقيت بقائى

(واجتمع) يوما شهاب الدين يعقوب والشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسىّ على أن يصنعا هجاء فى صبىّ يسمى يونس فصنع الشريف بديها

يونس يا مثلى به بحر
قد لج فيه بلا انتهاء
ان بلع الحوت لابن متى
تمت ألقاه بالعراء

لقيته فرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والارض فى دار

وقول أبى محمد الخوارزمى

أياسائلى عن كنه علياه انه * لأعطى مالم يعطه الثقلان

فمن يره فى منزل فكأنما * رأى كل انسان وكل مكان

ومن بديع المبالغة قول ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة من قصيدة وأجاد

قدجدت لى باللهى حتى ضجرت بها * وكدت من ضجرى أثنى على البخل

ان كنت ترغب فى بذل النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وأبلغ منه قول أبى الفرج الببغاء فى سعد الدولة بن سيف الدولة

لاغيث نعماه فى الورى خلب البرق ولا ورد جوده وشل

جاد الى ان لم يبق نائله * مالاولم يبق للورى أمل

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك فى الصاحب بن عباد

لحسن ظنك بى استوفى مدى أملى * وحسن رأيك بى لم يبق لى أربا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغا بعد الملك

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

وعادكونك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما

صرفت فى آلة الصواغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما

يدعهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما

ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما

للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى * يوم رأيتك فيه تنفخ الفحما

وددت اذنظرت عينى اليك به * لوأن عينى تشكو قبل ذاك عمى

لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما

وماأبلغ قول السلامى فى جيشه خمسون ألفا كعنتر * وأمضى وفى خزانه ألف حاتم

وللمؤلف فيهما من قصيدة متى لمست كفه معدما * أصاب الغنى وانثنى مسعفا

وان لمحت عينه خاملا * غدا نابها قبل أن يطرفا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج

فتاة كالمهاة تروق عينى * مشاهدها وتفتن من رآها

تكاد ترد للمحبوب ابرا * وتحدث للفتى العنين باها

وهومن قول جحظة البرمكى لومر بالأعمى لأبصر أو بعنين لأنعظ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد الى الغاية فى قوله من قصيدة

كأنما من ثناياها ومبسمها * أيدى الغمام سرقن البرق والبردا

وبديع قول السلامى أيضا

تبسمت والخيل العتاق عوابس * وأقدمتها والحرب لم تتأجج

فماوطئت الا على خد سيد * ولاعثرت الا برأس متوج

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمنها غدير

ولو نصبت رحى بازاء دمعى * لكانت من تحدره تدور

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرومى

فرب حوت باعت اضحى
مكتسيامنك بالطراء
وصنع الشهاب وعرض بالحلى
أدار نون الصدغ فى خده
حتى غدا يونس ذا النون
وأنبت الحلى من فوقه
لما علاه أصل يقطين
ثم صنعا فيه هذا البيت وهو
ان بلعت يونس حوت فكم
بلعت يا دونس من حوت
وكنت فى صدر العمر وابتداء
قول الشعر صنعت قطعة
فى صدر نارنج عليه طلع
مفروط وهى
انظر الى النارنج والطلع الذى
جاء الغلام بجمعه متمايلا
فكأنما النارنج قد صاغوه من
ذهب قناديلا وذاك سلاسلا
(ثم زدت عليه فقلت)
أنانا بصدر واسع لو بدا لمن
تعبد أحيا صبوة المتعبد
حكى طلعه فيه سلاسل فضة
ونارنجه يحكى قناديل عسجد
ثم اختصرته فقلت
أيا حسن صدر فيه مفروط طلعة
يقارن نارنجا به متلالى
لقد أحسن الشخص الذى جمعتهما
يداه وأهدى فيه كل جمال
قناديل تبر فى سلاسل فضة
والاعقيق فى سموط لآلى
(واتفق) انشاد القطع فى
بعض الليالى بالجامع لجماعة
من أصحابنا فيهم ابن الذروى

لوان قصرك يا ابن يوسف ممتلى * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

ومثله قول كشاجم
يامن يؤمّل جعفرا * من بين أهل زمانه
لوأن فى استك درهما * لاستلّه بلسانه

وقول دعبل
ان هذا الفتى يصون رغيفا * ماالبه لناظر من سبيل
هو فى سفرتين من أدم الطا * ئف فى سلتين فى منديل
ختمت كل سلة بحديد * وسيو رقددن من جلد فيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند اسرافيل

وقول بعضهم أيضا
فتى لو أدخل الحمام حولا * وحولا بعد أحوال كثيره
وألبس ألف فرو بعد ألف * ولحف حشوها قطن الجزيره
وأوقدت الجحيم عليه حتى * تصير عظامه مثل الذريره
لما عرقت أنامله لبخل * بعشر عشير معشار الشعيره

ومنه قول بعضهم
رغيفك فى الحجاب عليه قفل * وحراس وأبواب منيعه
رأوا فى بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

ومنه قول عبدان الاصفهانى
رغيفك فى الأمن ياسيدى * يحل محل حمام الحرم
فلله درك من سيد * حرام الرغيف حلال الحرم

وقول ابن الرومى أيضا
فتى على خبزه ونائله * أشفق من والد على ولده
رغيفه منه حين تسأله * مكان روح الجبان من جسده

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ
لست أخشى حرّ الهجير اذا كا * ن حسين الصوّاف فى الناس حيا
فبيت من شعره أتقى الحـ * ـر وفى ظل أنفه أتفيا

ومنه قول الآخر أيضا
ورب أنف لصديق لنا * تحديده ليس عن عالوم
ليس عن العرش له حاجب * كأنه دعوة مظلوم

وقول النجم يحيى أيضا
شبهت أنفك كردكوه بعينها * والفرق بينهما جلىّ المقصد
ان الملاحد أصبحوا فى قلعة * ورأيت أنفك قلعة فى ملحد

وقول الصافى يهجو أبخر
قد أبصرت عينى العجائب كلها * ماأبصرت مثل ابن نصر أبخرا
ماشم نكهته امرؤ متعطر * الاوعاد مخاطه منها خرا

وقوله فيه أيضا
نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب
ولى صاحب أفسى البرية كلها * يشككنى فيه اذا ماتنفسا
تحولت الأنفاس منه الى استه * فما أحد يدرى تنفس أم فسا

ولبعضهم وأجاد
أتانا عالم من أرض فاس * يجادل بالدليل وبالقياس
وما فاس ببلدته ولكن * فسا يفسو فساء فهو فاسى

وقول ابن درة الشاعر فى معيان

فقال يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط درّ فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه ثم أنشدت

وصدر به نارنجتان تبدّتا
ومفروط طلع بالملاحة حالى
فخلت بذاك الصدر نهدى خريدة
وقد وشحت زهوا بسمط لآلى

(ثم أنشدهو)

أرسلت لى نارنجتين على صد
ر وحفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسلّ عنى فهذا
مثل صدرى والدرّ فوق نهودى

(ثم ذكر معنى آخر) فأطرقنا لنظمه فصنعت كالمرتجل

ألست ترى النارنجتين وقد بدا
يحفهما طلع نضيد منظم
كخدّى غلام قد تأمّل حسنه
جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيأ ثم اقترح معنى غيره فنظمت فيه

وطلع بدا المفروط منه مقارنا
لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى منهم
فأضحى على الخدين منه منظما

(وصنع هو هذا البيت)

وطلع على نارنجتين كأنه
دموع سحب فوق خدّى حبيبه

مدوّر الكعب فاتخذه * لنيل غرس وذل عرش لو رمقت عينه الثريا * أخرجها في بنات نعش

وقد بالغ بعضهم في ملازمة الرقيب بقوله

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب

ما اجتمعنا بحيث ان يمكن الدهـ * ـر بأني أقول أنت الحبيب

بل خلونا بقدر ما قلت أنت الشـ * ـمس فوافى فقال كم الطبيب

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار كقول ابن المعتز العباسي لابن طباطبا العلوي أو غيره

فأنتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فقوله المسلم استظهار لان العلوية من بني عم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أعني أبا طالب ومات جاهليا فكأن ابن المعتز أشار بحذفه الى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول ابن مروان بن أبي حفصة وكان شديد العداوة لآل أبي طالب حين قال مخاطبا لهم

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم * حطم المناكب يوم كل زحام * ارضوا بما قسم الاله لكم به

ودعوا وراثة كل أصيد سامي * أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الاعمام

وقد أخذه من مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب قاله لمولى من موالي النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى الحسين رضي الله عنه فقال له أنا مولاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جحدت بني العباس حق أبيهم * فما كنت في الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارث * يحوز ويدعى والدا في المناسب

ومثله قول الطاهر بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في الطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا * فتنازعا فيه لوقت خصام * كان التراث لجدنا من دونه

لحواه بالقربى وبالاسلام * حق البنات فريضة معلومة * والعم أولى من بني الاعمام

(ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا)

البيت من الوافر وهو لعمرو بن الأيهم التغلبي (والشاهد فيه) الاغراق وهو ادعاء ممكن عقلا لا عادة فانه ادعى أن جاره لا يميل عنه الى جانب الا وهو يرسل الكرامة والعطاء اليه على اثره وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ومن أمثلته قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فان أذرعات من الشام ويثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ويمتنع عادة ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الاغراق قول القائل

ولو أن ما بي من جوى وصبابة * على جمل لم يدخل النار كافر

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة صالحة لذلك لكنه يمتنع عادة وقد تفنن الشعراء في المبالغة في النحول فمن ذلك قول المتنبي

روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقد أخذه من قول الآخر

برى ضنى لم يدع مني سوى شبح * لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

ومثله قول بعضهم ها فانظروني سقيما بعد فرقتكم * لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

لو أن ابرة رفاء أكلفها * جربت في ثقبها من دقة البدن

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في هذا المعنى

كأني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

(وفي هذه الليلة) أمطرت السماء مطرا خفيفا فصقل رخام الصحن حتى لمع وجهه وتعارضت أشعة القناديل عليه فتعاطينا وصفه فصنعت

انظر الى حسن القناديل التي * لاحت كشهب في متون سماء

والصحن قد أبدى شهاب شعاعه * اذ صار مصقولا بمر الماء

فكأنما هي أسطر من عسجد * كتبت بظهر صحيفة بيضاء

(ثم صنع ابن الذروي)

أيا حسن جامع مصر وقد * تروى من الوابل المغدق

وضوء القناديل من فوقه * كأسطر تبر على مهرق

(قال علي بن ظافر) حضرنا يوما عند الصاحب صفي الدين بالمعسكر المنصور على بلبيس عند بروز السلطان لسفرته الثانية حين حوصرت دمشق الحصار الثاني في خيمته بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها وهم اذ ذاك متوفرون لم ينقص لهم عدد ولا فقد منهم أحد فأنشد في ابن أبي حفصة قصيدة عابثته في بعض أبياتها وارتقى الامر الى أن قال أسعد بن الخطير رحمه الله تعالى ان ههنا جماعة كلهم يقول الشعر فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيأ في بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه لبان الجري والجنان من

ومثله قول نصر السفاقسي أذابه الحب حتى لو تمثله * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الأنين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكامه
ومثله قول بعضهم قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين
وقول ابن حجة الحموي وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى * وها أنا اليوم في الاوهام تخييل
وما أحسن قول بشار سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فتركتها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري * ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها * ولكنها نفس تذوب فتقطر
ومثل البيت الاخير قول ديك الجن
ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن * هي نفس تذيبها أنفاسي
وقول ابن دريد أيضا لا تحسبي دمعي تحدر انما * روحي جرت في دمعي المتحدر
ومن الاغراق قول أبي القاسم بن هانئ
لبس الصباح به صباحا مسفرا * وسقت شمائله السحاب سحابا
وقول المتنبي وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا * حسبناك قد أعطيت من قوة الوهم
ولم أقف على ترجمة ابن الاهتم التغلبي قائل البيت

(وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تخلق)

البيت لابي نواس من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد أولها
خلق الزمان وشرتي لم تخلق * ورميت في غرض الزمان بأفوق
تقع السهام وراءه وكأنه * از الخلو الف طالب لم يلحق
وأرى قواي تكاد تهار بشة * فاذا بطشت بطشت رخو المرفق
ولقد غدوت بدستبان معلم * صخب الجلاجل في الوظيف منسق
حرص نعناه لتحسن كفه * عمل الرفيقة واستلاب الاخرق
واستمر في وصف البازي الى أن قال
هذا أمير المؤمنين انتاشني * والنفس بين مخنجر ومخنق
نفسي فداؤك يوم دابق منهما * لولا عواطف حلمه لم أطلق
حرمت من لحمي عليك محللا * وجمعت من شتى الى متفرق
فاقذف برحلك في جناب خليفة * سباق غايات بها لم يسبق
الى أن قال اني حلفت عليك جهد الية * قسما بكل مقصر ومحلق
لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت فيه فوق جهد المتقي
وبعده البيت وبعده وبضاعة الشعراء ان أنفقتها * نفقت وان أكسدتها لم تنفق

(والشاهد في البيت) الغلو وهو ادعاء ما لا يمكن عقلا ولا عادة فانه ادعى ان النطف غير المخلوقة تخاف من سطوته وهذا ممتنع عقلا وعادة ومن ألطف ما يحكى هنا ان العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له أما استحييت من الله بقولك وأخفت أهل الشرك البيت فقال له أبو نواس وأنت ما استحييت من الله بقولك
مازلت في غمرات الموت منطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
فقال له العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل ذاك ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا فقال من قصيدة أخرى

العاجز الجبان ومن جملة من معنا في المجلس ممن يقول الشعر ابن سنا الملك والاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث فاقترح الصاحب أن نعمل في منجنيق الشمعة وكان الهواء عاصفا فقلت
أرى شمعة ضمها المنجنيق * فجاء تلك بالمنظر الاعجب
يجول عليها احمرار الغشاء * كما جال برق على كوكب
(وتبعني ابن شيث فقال)
وشمعة في المنجنيق وهي فيه تشرق
كأنها من تحته شمس علاها شفق
ولم يقع على أحد بكلمة وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس وقالوا النجم أليق ثم قال الصاحب فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحا وهو أن يشبه بالروح في الجسد لان انارة الجسد واضاءته بالروح التي في باطنه فارتجلت وقلت
وشمعة في المنجنيق تلتظي وتتقد
تنير فيه مثل ما ينير بالروح الجسد
فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت ثم بعد افتراق المجلس صنعت في الشمعة والمنجنيق وباكرت الصاحب به فأنشدته
ومجلس أنس ضم شمل جماعة تعاطوا من الآداب خير رحيق

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومن الغلو أيضا قول البحترى

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هنا أخذ المتنبى قوله لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدت محيية اليك الأغصنا

الا أن بيت البحترى أحسن وأمكن (حدث) أحمد البلاذرى المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين بالله فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل ولو أن مشتاقا البيت فرجعت الى بيتى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال هات فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الى بسبعة آلاف دينار وقال اذخر هذه للحوادث بعدى ولك على الجراية والكفاية مادمت حيا ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

وقول الآخر أيضا منعت مهابتك القلوب كلامها * بالامر تكرهه وان لم تعلم

وقول التمار الواسطى وقيل نصر الخابز

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به وذبت حتى صرت لو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

وقول كشاجم وما زال يبرى جملة الجسم حبها * وينقصه حتى لطفت عن النقص

وقد ذبت حتى صرت اذا أنا جئتها * أمنت عليها أن يرى أهلها شخصى

وقول المظفر بن كيغلغ عبدك أمرضته فعده * أتلفه ان لم تكن ترده

ذاب فلو تشت عليه * كفك فى فرش لم تجده

وقول ابن دانيال أيضا محب غدا جسمه ناحلا * يكاد له رط الصبى أن يذوبا

ورق فلو حركته الصبا * لصار نسيما وعادت قضيبا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد

لعمرك ما الارزاق حين اكتيالها * بأكثر خيرا من خوان العذافر * ولو ضافه الدجال يلتمس القرى وحل على خبازه بالعساكر * بعدة يأجوج ومأجوج كلهم * لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الادب هذا طعام اتخذ فى قدر القائل

وبوأت قدرى موضعا فوضعتها * برابية من بين ميث وأجرع * جعلت لها هضب الرجام وطخفة وغولا أثافى جذرها لم ينزع * لقدر كأن الليل سحمة قعرها * ترى الفيل فيها طافيا لم يقطع

وهذه الابيات للفرزدق أيضا ومن الغلو قول ابن دريد فى الفصول

انى امرؤ أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر صبابة لو أنها قطرة * تجول فى عينك لم تقطر

وقول بعضهم أيضا ولو شئت فى طى الكتاب لزرتكم * ولم تدر عنى أحرف وسطور

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى

بنفسى حبيب بان صبرى ببينه * وأودعنى الاحزان ساعة ودعا

وأنحلنى بالهجر حتى لو أننى * قذى بين جفنى أرمد ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد

فلو أن ما أبقيت من جسمى قذى * فى العين لم يمنع من الاغفاء

وزاد عليه المتنبى بقوله

أراك ظننت السلك جسمى فعقته * عليك بدر عن لقاء الترائب

لدى شمعة فى منجنيق غشاؤه
كما أخجل التقبيل خد عشيق
ترى نارها من خلفه كبهارة
تراءت لنا من خلف ثوب
شقيق
كما جليت خود بتاج ودونها
معصفر ستر للعيون رقيق
ويحكى عمودا من لجين مقمما
بتبر بدا فى وسط بيت عتيق
(قال على بن ظافر) ومما
يشبه هذا الباب وليس به
ما ذكره ابن بسام فى
الذخيرة وروينه بالاسناد
المتقدم أن المتوكل بن
الافطس كان له فرس أدهم
أغر محجل على كفله ست
نقط بيض فندب المتوكل
الشعراء لوصفه فصنع
البجلى أبو الوليد فيه بديها
ركب البدر جوادا سابحا
تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا
والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به
فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به
رجله من اجله فى اجله
(وصنع ابن اللبانة)
لله طرف جال يا ابن محمد
فجنت به حوباء التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه
أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكأنما الردف منه مباسم
تبغى هنالك لرجله تقبيلا
(وقال) فيه عبد الله بن عبد البر
الشنتريني من قطعة

ولو قلم ألقيت في شق رأسه * من السقم ما غيرت من سطر كاتب

ومن الغلو المفرط قول بعضهم

غرام ووجد واشتياق وغربة * وماذاق انسان من الحب ماذقت

نحلت فلو علقت في رجل ذرة * لطارت ولم تشعر بأني تعلقت

ولو غت في جفن الذباب معترضا * من السقم لم تشعر بأني قدغت

ولو نفس من أنفها قد أصابني * من الشوق أو من حر أنفاسها ذبت

ولهذه الابيات خبر غريب أحببت ذكره (حدث) الشيخ المقرى الصوفي الواعظ أبو عبد الله بن الخباز قال كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان في رباط هناك واجتمع أصحابنا ليلة في سماع فلما كان في أثناء ذلك بعد مضي جزء من الليل والوقت قد طاب اذ طرق الباب طارق فخرج اليه من سمع ذلك فوجد شيخا طويل القامة عظيم الهامة على رأسه كرزية وعليه فرجية وبيده ابريق وعكاز فقال ماهذا قلنا سماع اجتمع فيه الاصحاب فقال ندخل فدخل فوجد القائل يقول

خليلي لا والله ما القلب سالم * وان ظهرت مني شمائل صاحي

والا فما بالي ولم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

فرمى المنشد ما كان على رأسه ثم قال له قل فقال

يابانة الجزع لولا رنة الحادي * لما تنقلت من واد الى واد

ولا سلكت بنعمان الاراك ولا * شربت ما به بانهلة الصادي

ثم قال أيضا

كرر على حديثهم ياحادي * فحديثهم يطفي لهيب فؤادي

كرر على حديثهم فلربما * لان الحديد لضربة الحداد

فنزع فرجيته وبقي الشيخ عريانا وقال قل فقال الابيات السابقة قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة تو بها وخرجت روحه رحمة الله عليه ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكنناه وجهزناه الى حفرته وتركناه في عظيم رتبته (ونظير ذلك) ما حكاه بعض أهل دمشق قال قال شخص من الفقراء لاخواني أحب اليوم أن تجتمع وأغنى لكم قال فاجتمعوا فغنى لهم

سلي نجوم السما ياطلعة القمر * عن مدمعي كيف يدمى فيك بالسهر

ايه بعيشك ماذا أنت صانعة * من الجميل فهذا آخر العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى (ومثل ذلك) ما رواه ابن القماح قال سمعت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يذكر في مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا وكان هناك فقير فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقي وهي

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها يطير بلبه

واياكما ذاك النسيم فانه * اذا هب كان الموت أيسر خطبه

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

وفي الركب مطوي الضلوع على جوى * متى يدعه داعي الغرام يلبه

قال فقال ذلك الفقير لبيك ورفع رأسه فاذاهو ميت رحمه الله ونفعنا به (ولنرجع) الى ذكر الغلو ومراتبه تتفاوت الى أن تؤول بقائلها الى الكفر والعياذ بالله تعالى فمن ذلك قول ابن دريد في المقصورة

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل لاجل ادعائه في هذا البيت ابتلاه الله بمرض كان يخاف فيه من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله أيضا

ولو حمى المقدور منه مهجة * لرامها أو يستبيح ما حمى

تغدو المنايا طائعات أمره * ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى

ومنه قول أبي الطيب المتنبي

وكأنما هم على صهواته * قر تسير به الرياح الاربع

(وأخبرني) بعض أصحابنا أن نشو الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجلس القاضي الاجل الفاضل رحمه الله تعالى فأنشده لنفسه في مسحة القلم

ممسحة نهارها * يجن ليل الظلم

كأنما قد خلقت * منديل كم القلم

(ثم) أمره بالعمل فيها فصنع بديها

وآلة تضمر النهار فما * تبديه الا لوافد الظلم

تردع فيها الاقلام فضلة ما * تنفقه في مصالح الامم

وقد وقف القاضي الفاضل على هذه الحكاية في نسخة كان استنسخها من هذا الكتاب وهو يومئذ رسالة لا تتجاوز عشرة كراريس لطاف فلم ينكرها (وأخبرني) صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضي عز القضاة أبي العز هبة الله بن بصاقة الكاتب المعظمي قال ضرط بعض أصحابنا ونحن مجتمعون في العسكر في بعض منازلات الفرنج وتبعه آخر فصنع بعضنا في الاول وصنع بعضنا فيهما جميعا فصنع بهاء الدين على بن الساعاتي بديها في الاول

كأني دحوت الارض من خبرتي بها * وكان بنا الاسكندر السدّ من عزمي

وقوله أيضا لو كان ذو القرنين اعمل رأيه * لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه * في يوم معركة لأعيى عيسى

أو كان لج البحر مثل يمينه * ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله أيضا يترشفن من فمي رشفات * هنّ فيه أحلى من التوحيد

وقال بعض من اعتذر للمتنبي ان المراد بالتوحيد هنا نوع من التمر وبعض أصلح البيت فقال هنّ فيه حلاوة التوحيد ومنه قول الوزير أبي القاسم المغربي

قارعت الايام مني امرأ * قد عاق الحمد بأمراسه

يستنزل الرزق بأقدامه * وتستمدّ العز من باسه

أروع لا يحط عن تيهه * والسيف مسلول على راسه

ومن الغلوّ القبيح قول عضد الدولة بن بويه

ليس شرب الكأس الا في المطر * وغناء من جوار في السحر

غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر

مبرزات الكأس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

يروى أنه لم يفلح بعد هذا القول وأخذته علة الصرع ودخل في غمرات الموت فكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه والمتساهلون في هذا النوع كثيرون كأبي نواس وابن هانئ الاندلسي والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم من المتأخرين كابن النبيه ومن جرى مجراه والاضراب عن ذكر ذلك أنسب والله أعلم

يامن صبوت الى محا
سنه وأصل الحب صبوه
ان كنت خنتك في الهوى
ما بين يوم نوى ونبوه
فبليت منك بكل ما
أخشاه من صد وجفوه
أو شاع سري في الانا
م كضرطة الشرف بن عروه
(وصنع المولى الملك المعظم) الشرف ابن عروة
تحللت عروته
أحق من ضراطه
تعلمت بغلته

(قال) ولما ضرط الآخر قلت
رأيت ابن عروة يتلو الطهير
وقد ضرط الاشتداد الجزع
فقلت ألعوف هذا الضراط
كأن فؤادك ما ينتزع
فقال اذا دهمت غارة
فلابد من ضرب بوق الفزع
(وصنع) فيهما شمس الدين اسمعيل بن منكورس وكان ربما عبث بالبيت أو البيتين
قد ضرط الفسلان يوم الذوى
عند اشتداد الضنك والضيق
فقلت من عظم ضراطيهما
لابد للحرب من البوق

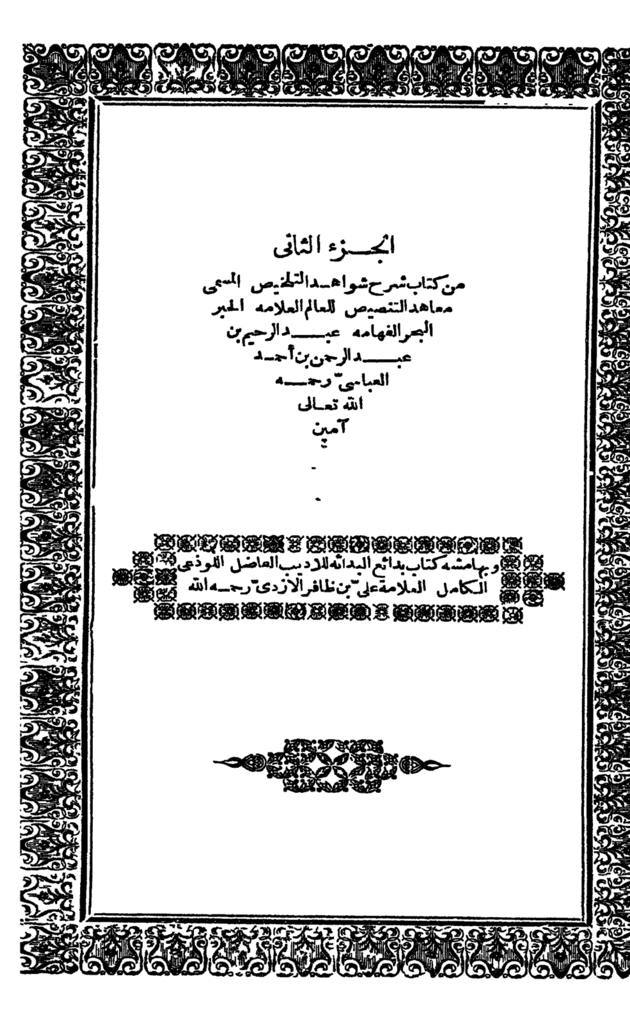
﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله ﴾

عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغي عنقا عليه أمكنا



(طبع في صحيفة ٢٧ علم البيان وصوابه علم المعاني)

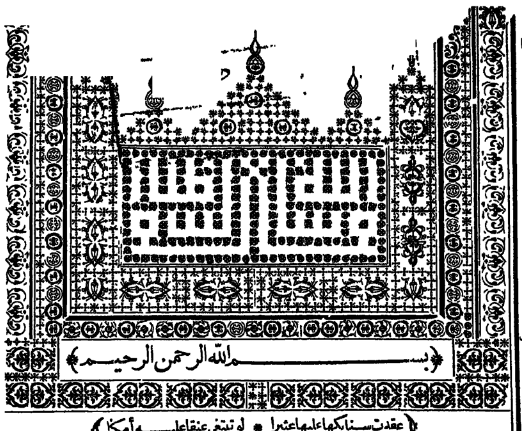
﴿فهرسة الجزء الثاني من كتاب معاهد التنصيص﴾



الجزء الثاني

من كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى
معاهد التنصيص للعالم العلامه الحبر
البحر الفهامه عبد الرحيم بن
عبد الرحمن بن أحمد
العباسي رحمه
الله تعالى
آمين

وبهامشه كتاب بدائع البدائه للاديب الفاضل اللوذعي
الكامل العلامة علي بن ظافر الازدي رحمه الله



(عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه أمكنا)

البيت لابى الطيب المتنبى وهو من قصيدة من الكامل يمدح بها ابن عمار أوّلها

الحب ما منع الكلام الألسنا * وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى * من غير جرم واصلى صلة الضنى

بنا فلو حاوانتنا لم تدرما * ألواننا مما امتقعن تلوّنا

وتوقدت أنفاسنا حتى لقد * أشفقت تحترق العواذل بيننا

الى أن قال

طربت مراكبنا فخلنا انها * لولا حياء عاقها رقصت بنا

أقبلت تبسم والجياد عوابس * يخببن بالحلق المضاعف والقنا

وبعده البيت وبعده

والامر أمرك والقلوب خوافق * فى موقف بين المنية والمنى

فعجبت حتى ما عجبت من الظبى * ورأيت حتى ما رأيت من السنا

وهى طويلة

والسنابك جمع سنبك بضم أوّله وثالثه وهو طرف الحافر والعثير بكسر أوّله التراب والعجاج والعنق محركة سير مستطرد للابل والدابة (والشاهد فيه) الغلوّ المقبول وهو ما تضمن معنى حسنا من التخييل فانه ادّعى ان الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤسها متراكما متكاثفا بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن وقريب من معناه قول ابن فضال القيروانى

بنيت الارض فوقهم سماء * وقد أجريت من عرق بحارا

فليس تراك ألحاظ الدرارى * وأنت حشوت أعينها غبارا

ومنه قول علىّ بن عاصم الاصفهانى

مدّت سنابكه عليك سرادقا * نسجت مضاربه من القسطال

فى حومة ما ان يبين من الوغى * الا هلال من زجرهنّ وهال

وقول الببغاء أيضا

ليل من الغمرات أنت سراجه * ونجومه هندية وعوالى

كالليل الا ان ثوب ظلامه * من عثير ونجومه من لام

(قال على بن ظافر) واجتمعنا ليلة فى رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد وقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الاديب أبى الحجاج يوسف بن علىّ ابن المنبوز بالنجمة أن يصنع فيه وانما طلب بذلك تعجيزه فصنع وأنشد

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه * ولكنه دون الكواكب لا يسرى

ولم أر نجما قط قبل طلوعه * اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت هذا عجب لا يصح لانى والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح فأسرف الجماعة بعد ذلك فى تقريعه وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع وأنشد

هذا لواء سحور يستضاء به * وعسكر الشهب فى الظلماء جرّار

والصائمون جميعا يهتدون به * كأنه علم فى رأسه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائبا من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانور رحمه

وقول

وقول السرى الرفاء أيضا

في معرك طاف الردى بكماته * عند اختلاف الطعن أى مطاف

فاذا السنابك أنشأت ليلابه * بعث الصباح لها سنا الاسياف

وقول البحترى أيضا في نهار من السيوف مضيء * تحت ليل من مستثار الصعيد

وقد تقدم طرف من ذلك في شواهد التشبيه

(يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى * وشدت بأهدابى اليهن أجفانى)

البيت للقاضى الارجانى من قصيدة من الطويل يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك أولها

أأجفان بيض هن أم بيض أجفان * فواتك لاتبقى على الدنف العانى

صوارم عشاق يقتلن ذا الهوى * ومن دونها أيضا صوارم فرسان

مررت بنعمان فما زلت واجدا * الى الحول نشر المسك من بطن نعمان

سوافر فى خضر الملاء سواتر * كما ماس فى الاوراق أعطاف أغصان

وقد أطلعت ورد الخدود نواضر * ومن دونها شوك القنا في الجانى

الى أن قال وقفت بها صحبا أناشد معشرى * وأنشد أشعارى وأنشد اخوانى

ولما وسمت المنازل شاقنى * تذكر أيام عهدت واخوان

مضت ومضوا عنى فقلت تأسفا * قفا نبك من ذكرى أناس وأزمان

تأوبنى ذكر الاحبة طارقا * والليل فى الآفاق وقفة حيران

وأرقنى والمشرقى مضاجعى * سنا بارق أسرى فهيج أحزانى

ثلاثة أجفان ففى طى واحد * غرار وخال من غراريهما اثنان

وبعده البيت وبعده نظرت الى البرق الخفى كأنه * حديث مضاع بين سر واعلان

وبات له منى وقد طنب الدجى * كلوء الليالى طرفه غير وسنان وهى طويلة

(والشاهد فى البيت) ادخال شئ على الغلو يقربه الى الصحة مع تضمنه نوعا حسنا من التخييل فانه يقول يوقع فى خيالى أن الشهب محكمة بالمسامير لاتزول عن مكانها وان أجفان عينى قد شدت بأهدابها الى الشهب لطول سهرى فى ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها وهذا ممتنع عقلا وعادة ولكنه تخييل حسن ولفظ يخيل مما يقربه الى الصحة ومن المقبول فى الغلو أيضا قول أبى العلاء المعرى

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

وما أبدع قوله فى هذه الابيات وهو مما نحن فيه

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

وفى معناه قول ابن المعتز

يكاد يجرى من القميص من النعـ * ـمة لولا القميص يمسكه

وقوله أيضا يصف فرسا يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

ومنه قول أبى الشيص لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج فى العضد

لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وقد أخذه ابن النبيه فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا احسرت أكمامها الجرى نهرا

ومثله قول بعضهم أيضا لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ومعصم يكاد يجرى رقة * وانما يمسكه سواره

والعز الدين بن عبد الرزاق فى معناه

الله تعالى وأنشدنيه

أحبب بفانوس غدا صاعدا

وضوؤه دان من العين

يقضى بصوم ويفطر معا

فقد حوى وصف الهلالين

(وصنع) الفقيه أبو محمد القلعى

وكوكب من ضرام الزند مطلعه

تسرى النجوم ولا يسرى اذا رقبا

يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه

فان بدا طالعا فى أفقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف

يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

(ثم صنعت بعد حين)

ألست ترى شخص المنار وعوده

عليه لفانوس السحور لهيب

كحامل منظوم الانابيب اسمر

عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة

لها العود غصن والمنار كثيب

وتبدو كخد أحمر والدجى لمى

بدا فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن الزنجى الدجى من لهيبه

ومن خفقه قلبا عراه وجيب

تراه يراعى الصبح ليلا فان دنا

طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاه العشق فقد رأى

درى أن روى الصباح قريب

(وقلت) فى اختصار هذا المعنى

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال * وسددت سهما الى مقتلى
تقول هل فيك لدفع النصال * رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قسوة القلب سال
وما ألطف قول شرف الدين الحلاوى يصف كأسا من أبيات
رق فلولا الاكف تمسكه * سال مع الخمر حين ترشفه
ومنه قول ابن حديس فى وصف فرس
يجرى فلمع البرق فى آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق
ومثله قول شمس الدولة بن عبدان
أبت الحوافر أن يمس بها الثرى * فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه تراهن طرفه * فتكاد تسبقه الى ما يرمق
وقول الآخر أيضا كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر
لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر
وقول الظاهر الجزرى وأدهم كالليل البهيم مطهم * فقد عزمن يعلو بساحة عرفه
يفوت هبوب الريح سبقا اذا جرى * تراهن رجلاه مواقع طرفه
وقول جمال الدين الصوفى
وأدهم اللون فاق البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
سهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
يعقر الوحش فى البيداء فارسه * وينثنى وادعا لم يستثر غبره
وقد أبدع أبو القاسم بن هانى فقال
عرفت بسرعة سبقها الا أنها * علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها أنها * مرت بجانحتيه وهى ظنون
ومثله قول ابن نباتة السعدى
لا تعلق الالحاظ من أعطافه * الا اذا كفكفت من غلوائه
وما أبلغ قول ابن الخطيب الاندلسى مع التورية المرشحة
يعتنبهم املك شهم * لو رام بها الشعرى سبقا أو عارضها بالبرق كبا * أو أورد عين الشمس سقا
وأبدع امرؤ القيس بقوله
كأن غلامى اذ علا حال متنه * على ظهر طير فى السماء محلق
هكذا قيل والرواية فى ديوانه بلفظ باز بدل طير وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا
يكاد فى شأوه لولا أسكنه * لو طار ذو حافر من سرعة طارا
ومثله لبعض الاعراب أيضا فلو طار ذو حافر قبلها * لطارت ولكنه لم يطر
وما أبدع قول ابن المعتز فكأنه موج يذوب اذا * أطلقته فاذا حبست جمد
وهو مأخوذ من قول العكوك
مضطرج يرتج فى أقطاره * كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
وما أحسن قول أبى العلاء المعرى
ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا
وللمؤيد الدين الطغرائى

انظر الى المنار والـ
فانوس فيه يرفع
كامل ومحاسنا
نه خضيب يلمع
(وقلت أيضا)
ألست ترى حسن المنار
وضوؤه
يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه اذا جن الظلام مراقبا
له مضمر ما فى قلب فانوسه نارا
كصب بجود من بنى الزنج
سامها
وصالا وقد أبدى لترغب
دينارا
(وقلت فيه)
وليلة صوم قد سهرت بجنحها
على أنها من طولها تعدل
الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج
مسمرا
من الشهب قد أضحت
مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون
حاملا
لفانوسه والليل قد أظهر
الزهرا
كما قام رومى بكاس مدامة
وحيابها زنجية وشعت درا
(قال) ولما صنعت هذه القطع
ندبت أصحابنا للعمل فصنع
شهاب الدين يعقوب
رأيت المنار وجنح الظلام
من الجو يسدل أستاره
وحلق فى الجو فانوسه
فذهب بالنور أقطاره
فقلت الحلق قد شب فى

سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسكون
لولا ترامى الرايتين لاقسم الرائون ان حراكها تسكين
وتكاد تشبهها البروق لو انها * لم تعتنقها أعين وظنون

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما
هذا ارتداد الطرف قدفته * الى المدى سبقا فمن انتما

وبديع قول الصلاح الصفدى

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو فى الركض
لاتستطيع الشمس من جريه * ترسمه ظلا على الأرض

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

(والقاضى الارجانى) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن على بن ناصح الدين وهو منسوب الى أرجان بتشديد الراء المفتوحة وبالجيم وهى من كور الاهواز من بلاد خوزستان وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة واستعملها المتنبى فى شعره كذلك وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان كامل الاوصاف لطيف العبارة غواصا على المعانى اذا ظفر بالمعنى لايدع فيه لمن بعده فضلا قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر كان الغزى صاحب معنى لا لفظ وكان الأبيوردى صاحب لفظ لا معنى وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى قال ابن الخشاب والامر كما قال وأشعارهم تصدق هذا الحكم اذا تؤملت وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ومن شعره فى ذلك

ومن النوائب أننى * فى مثل هذا الشغل نائب
ومن العجائب ان لى * صبرا على هذى العجائب

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال

أنا أفقه الشعراء غير مدافع * فى العصر لا بل أشعر الفقهاء
شعر اذا ما قلت دونه الورى * بالطبع لابتكلف الالقاء
كالصوت فى قلل الجبال اذا علا * للسمع هاج تجاوب الاصداء

وقد قدم الارجانى بغداد مرات ومدح الامام المستظهر وغيره ومن شعره وهو غريب

أنى لى وقد ساويته فى نحوله * خيالى لما لم يكن لى راحم
فدلس بى حتى طرقت مكانه * وأوهمت الفى أنه بى حالم
وبتنا ولم تشعر بنا الناس ليلة * أنا ساهر فى جفنه وهو نائم

وله قصيدة يصف فيها الشمعة وقد أحسن فيها كل الاحسان واستغرق سائر الصفات ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا ولا أنذكر طرفا منها فأولها

نمت باسرار ليل كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * ألا ترى فيه نارا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها حذف هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها

ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا يدا والنجوم ورقا غدا البدر قسطاره
وخلت المنار وفانوسه
فتى قام يصرف ديناره
(وأنشدنى) القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه
حبذا فى الصيام مئذنة الجامع والليل مسبل أذياله
خلتها والفانوس اذ رفعته
صائدا واقفا لصيد الغزاله
(وأنشدنى ابن نفطويه)
ياحبذا رؤية الفانوس فى شرف
لمن أراد سحورا وهو يتقد
كأنما الليل والفانوس متقد
فى الجو أعور زنجى به رمد
(وأنشدنى أيضا لنفسه)
نصبوا اللواء للسحور وأوقدوا
فى رأسه نارا لمن يترصد
فكأنه سبابة قد قمعت
ذهبا وقامت فى الدجى تتشهد
(وأنشدنى) الفقيه أبو يحيى السولى رحمه الله تعالى لنفسه
وليلة ماشت أشداقها العسا
واستوضحت غررا من ثغرها شنبا
ولاح كوكب فانوس السحور على
انسان مقلتها النجلاء واشتهبا
حتى كأن دجاها وهو ملتهب
زنجية حملت فى كفها ذهبا
(وصنع) الاديب أبو العز مظفر الاعمى وكتب بها عنه الى وقد كان جمع جميع المقاطيع فأخذ معانيها وقال

بدت كنجم هوى فى اثر عفـرية * فى الارض فاشتعلت منه نواصيها
كأنها غرّة قد سـاد شادخها * فى وجـه دهماء يزهاها تحليها
أوضرّة خلقت للشمس حاسدة * فكلما حجبت قامت تحـاكيها
وحيـدة بشـباة الرمح هازمة * عساكر الليـل ان حلت بواديها
ما طنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقـسـر للأبصار داجيها
لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصـن الا فى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعـة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الأيدى اذا قطفت * وما على غصـنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سـود ذوائبها بيض لياليهـا
وصيفة لست منها قاضيـا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقـدّ واللين ان أتممت تشبيها
فالهنـد تقتل بالنيران أنفسها * وعندها ان ذاك القتـل يحييها
غـرّاء فرعاء ما تنفـك خالـية * تقص لمتها طورا وتفليها
شمطاء شعثاء لا تكسى غدائرها * لون الشبيبة الا حـين تبليها
يلهها فى سواد الليـل مسـعدة * اذا الهموم دعت قلبى دواعيهـا
لولا اختلاف طباعئنا بواحدة * وللطباع اختـلاف فى مبانيهـا
بأنها فى سواد الليـل مظهرة * تلك التى فى سواد القلب أخفيها
وبيننا عبرات ان هـم نظروا * غيضتها خوف واش وهى تجريها
ما عاندتها الليـالى فى مطالبها * ولا عـدتها العوادى فى مباغيها
ولا رمتها بيعـد من أحبتها * كما رمتنى وقـرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أكابدهـا * ولا تداجى بنى دهـر أداجيها

منها

منها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنو برى فيها أيضا

مجدولة تحكى لنا * فى قدّها قدّ الأسل * كأنها عمر الفتى * والنار فيها كالأجل

ومنه قول ابن شبل وساعدتنى على الظلماء مشبهتى * هيفاء خاف عليها السقم والأرق
النضل فى وفيها النار نفعهما * لغـيرنا وكلانا فيه يحـترق

وهو من قول العباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
حتى كأنى ذبالة نصبت * تضىء للنـاس وهى تحـترق

ومن شعر القاضى ناصح الدين الارّجانى قوله

تقول للبدر فى الظلماء طلعته * بأىّ وجـه اذا أقبلت تلقانى
وجه السمـا لى مرآة أطالعها * والبدر وهنا خيالا فيـه لاقانى
لم أنسـه يوم أبكانى وأضحكه * وقوفنا حيث أرعاه ويرعانى
كل رأى نفسه فى عين صاحبه * فالحسن أضحكه والحزن أبكانى

ومنـــه
تمتعتما يا ناظـرىّ بنظـرة * فأوردتمـا قلبى أمرّ الموارد
أعينـاى كفـا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

ومنـــه
اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنـيـن

أرى علماء الناس فى الصوم بنصب
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء الا كأنه
على رمح زنجىّ سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها
مع الليل تلهى كل من يترقب
فطورا تحييه بباقة نرجس
وطورا تحييه بكاس تلهب
وما الليل الا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صيادا على البعد قبله
اذا قربت منه الغزالة يهرب
(وأنشدنى) الشريف أبو الفضل جعفر
كأنما الفانوس فى
صاريه لما اتقدا
لواء نصر مذهب
فى رأس رمح عقدا
(وكان) الملك العزيز رحمه الله تعالى قد غنى بين يديه دو بيت بالعجمية معناه انه جعل الليل برددارا للحبيب ليحجب الشمس فاستحسن المعنى وأرسـل الى وزيره الاجل نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور رحمه الله تعالى يأمره أن يصنع المعنى فى شعر وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك فصنع بديها وأرسله اليه
قال له الليل انصرف راشدا
فانه استخدمنى برددار
ثم صـنعوا بعده فمن مرّ و باده (وأخبرنى) الاسعد

المرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

ومنه

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها الا بمرآة

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ولطائفه غزيرة وشعره كثير والذى جمع منه لا يكون عشره ويقال انه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة ووفاته بتستر فى ربيع الاول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

﴿أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب﴾

البيت من المنسرح ولا أعلم قائله (والشاهد فيه) اخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة وهو ظاهر ومنه قول أبى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة أن يسطو على شعاعها * فتطلع ندمانى على سرى الخفى

ومنه قول ابن لنكك البصرى

قد بنت لو علمت ببعض ما بى * لما جرعتنى الا بسعط

بحسبك أن كرمانى جوارى * أمر ببابه فأكاد أسقط

وقوله أيضا

قرأت عهدة كرم * فأسكرتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل

وقائلة لى مالك الدهر طافحا * وأنت مسن لا يليق بك السكر

فقلت لها أفكرت فى الخمر مرة * فأسكر فى ذاك التوهم والفكر

ومنه قول السراج الوراق

ومزة من طول ما عمرت * كنى ابليس أبا مزه

ترى الندامى حول حيطانها * صرعى وماذاقوا ولا قطره

وقول بعضهم يهجو

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون فى السمك

ويدعى ضيقه وأسفله * يصلح طوقا لدارة الفلك

وهو ينظر الى قول ابن الرومى فى معناه

أوسع من وقت العشاء الآخره * أولج فيه كالقناة العابره * كأن ايرى نقطة فى الدائره

وهو على اساءة أدبه مخاطئ فى المعنى وظريف قول ابن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدى ما أخشنه

يظل أيرى ضائعا فى استه * كأنه المغزل فى الروزنه

وقول ابن حجاج

فتى له عزم اذا كلت الاسياف مثل المرهف الصارم

وراحة لو صفعت حاتما * تعلم الجود قفا حاتم

وقول النفرى البغدادى

وصديق جاءنى يسألنى ماذا الديك

قلت عندى بحر خمر * حوله آجام نيك

﴿المذهب الكلامى﴾

﴿حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب﴾

﴿لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب﴾

﴿ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب﴾

﴿ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب﴾

﴿كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم * فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا﴾

الابيات للنابغة من قصيدته السابقة فى أواخر الفن الاول وقبلها

أتانى وعيد والتنائف بيننا * مضاوية والغائط المتصوب

أبو المكارم أسعد بن الخطير قال كنت عند الفاضل رحمه الله تعالى اذ دخل الوزير نجم الدين فأخبره بما طلب السلطان وأنشده ما صنع فقال الفاضل هذا معنى كنت نظمته قديما الا أنى

استخدمت الليل بوابا فقلت

بتنا على حال تسوء العدا

وربما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل وقلنا له

ان غبت عنا هجم الصبح

(قال الاسعد) ولم أكن صنعت شيأ فصنعت بديها

قلت لليل عند ما زارنى البد

ر وأوجست خيفة للرواح

أنت يا ليل برددار حبيبى

فتأهب لدفع صدر الصباح

قال فاستحسن الوزير القسيم الثانى فقلت برددار المولى نعلم منه حسن الخلق يقول انصرف راشدا وهذا البرددار فظ غليظ يدفع فى الصدر

(وأخبرنى) أبو الحسن بن النبيه قال دخلت على الاجل نجم الدين الوزير رحمه الله تعالى فأمرنى بالعمل فيما رسمه السلطان فاستمهلته فأبى فصنعت وأنشدت

قلت لليل اذ حبانى حبيبا

وغناء يسبى النهى وعقارا

أنا سلطان مجلسى فاجعل الله

ـو وكن أنت يا دجى برددارا

وأنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سنا

فبت كأن العائدات فرشن لي * هراسا به يعلى فراشي ويقشب

ولريبة التهمة واستر [illegible] موضع [illegible] فيه [illegible] لرزق ومنقطع من [illegible] الكلا ومعنى أقرب يجعلوني حكما [illegible] موالهم [illegible] رفيع [illegible] عندهم (والله هو فيها) المذهب الكلامي وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة [illegible] الكلام [illegible] مستلزمة المطلوب فهو هنا قول لا تاني ولا [illegible] على مدح [illegible] وقد حسنت اليهم فكما ان مدح [illegible] حجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياسا [illegible] مدحي لآل جفنة ذنبا كان مدح أولئك القوم [illegible] آل النعمان كانوا ملوك الحيرة

ومن [illegible]

لكل امرئ [illegible] نفس كريمة * وأخرى يعاصيها الهوى فيطيعها
و [illegible] * اذا قل من أحرارهن شفيعها

وقول [illegible]

وعيني [illegible] الهوى [illegible] * وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
[illegible] * هوى الى جهلي فأعرض عن علمي

وقول [illegible] على شدائة

[illegible] * فهب علت فلم تعذل ولم تلم
[illegible] * هذا مشاهد عدل غير متهم

[illegible]

[illegible] * وذاك منى دهاني
[illegible] * كتمته كتماني
[illegible] * من ذكره بلساني
[illegible] * ومن دال حسن تسقيه

وقول [illegible]

[illegible] * هل عاند الدهر الامن له خطر
[illegible] * وتستقر أقصى قعره الدرر
[illegible] * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وقول [illegible]

[illegible] * هن في ماقط آلذ الخصام
[illegible] * جمع الحسن كله في نظام
هي [illegible] يجري [illegible] * ويجري الارواح في الاجسام

وقول [illegible]

[illegible] * فيه خلاف لخلاف الجميل
[illegible] * وغير من غيرك غير البخيل

وقول [illegible]

[illegible] * ومغناطيس أفئدة الرجال

وقول [illegible] الاندلسي

لو كون [illegible] * [illegible] الا المقل * أو كون الحب هجرا كله
[illegible] * وصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

[illegible] الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا [illegible] يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن [illegible]

الملك لنفسه

أبا حسن الليل وصل طيف
عهدته منه لا يباح
[illegible]
فلانة [illegible]
بالليل [illegible]
[illegible]
(وانشدني) [illegible]
يعقوب ابن [illegible]
[illegible] لنفسه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واسر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(وانشدني) [illegible]
[illegible]
القدس [illegible] لنفسه
[illegible]
وليس [illegible]
طيف وقل ضيف [illegible]
أجفنه [illegible]
لم [illegible]
وجاب من شوق [illegible]
فشوقه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلى ألزمه فيه ان المجيء اليه ضلال وظريف قول ابن لنكك
تعست جميعا من وجوه لبلادة * تكنفهم جهل ولؤم فافرطا
أراكم تعيبون الشآم وانني * أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا
ومن المذهب الكلامي قول ابن جابر الاندلسي
لو قضى الله ان قلبي يبقى * ما حكى لحظه الغزال التفاتا
لكن اللحظ قد حكاه فقلبي * قد قضى نحبه زمانا وماتا
وقول أبي جعفر الاندلسي
لو كنت تعلم ما عيناك قد صنعا * لما بخلت على المشتاق بالأمل
لكن بخلت فلم تعلم بما صنعت * في مهجتي لحظات الاعين النجل

(حسن التعليل)

﴿لم يحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء﴾
البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل ذكر أولها في شواهد التشبيه وبعده قوله
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء
فبأى ما قدم سعيت الى العلا * أدم الهلال لأخمصيك حذاء
ولك الزمان من الزمان وقاية * ولك الحمام من الحمام فداء
لو لم تكن من ذا الورى الذ منك هو * عقمت بمولد نسلها حواء
والنائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى (والشاهد فيه) حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد علها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح ويقرب من معنى البيت قول أبي القاسم الزعفراني
رأى المزن ما تعطى فضم على الاسى * فؤادا كأن البرق فيه لهيب
وما أحسن قوله بعده وكم لاح برق وابتسمت لشائم * فكنت صدوق الوبل وهو كذوب
﴿ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب﴾
البيت للمتنبي من قصيدة من الرمل قالها في بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب
انما بدر بن عمار سحاب * هطل فيه ثواب وعقاب * انما بدر رزايا وعطايا
ومنايا وطعان وضراب * ما يجيل الطرف الا حمدته * جهدها الايدي وذمته الرقاب
وبعده البيت وبعده فله هيبة من لا يرتجى * وله جود مرجى لا يهاب
طاعن الفرسان في الاحداق شزرا * وعجاج الحرب للشمس نقاب
باعث النفس على الهول الذى * ليس لنفس وقعت فيه اياب
بأبي ريحك لا نرجسنا ذا * وأحاديثك لا هذا الشراب
ليس بالمنكر ان برزت سبقا * غير مدفوع عن السبق العراب
(والشاهد فيه) ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية فلا يكون من حسن التعليل فان قتال الاعداء في العادة انما يكون لدفع مضرتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة في وصفه بالجود ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي أى تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب وغيرها فاذا غدا للحرب رجت أن تنال من لحوم أعدائه ويتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيظ والحنق أى ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الافراط ويتضمن أيضا قصور أعدائه عنه وفرط أمنه منهم وانه لا يحتاج الى قتلهم واستئصالهم ومثله أيضا قول أبي طالب المأموني مغرم بالثناء صب بكسب الـ * مجد يهتز للسماح ارتياحا

وروب ليل طاب لي وصلها
به فلولا وصلها قلت طار
رأيتها ليلا وصبحا فما
عرفت بالليل ولا بالنهار
بتنا ضجيعي عفة ما درت
منا يدما يحتويه ازار
يسكر في لثمي لاصداغها
فهي عناقيد ولثمي اعتصار
يحجب عنا الصبح ستر الدجا
كأنما الليل لنا برد دار
وبعدها فليطل الليل ما
شاء على رغم الليالي القصار
(وبرز) أمر الملك العزيز رحمه الله تعالى الى وزيره الاجل نجم الدين رحمه الله أن يصنع غزلا في جارية صنعت على خدها بالمسك صورة حية وعقرب فصنع بديها
فديتها من غادة
مخلوقة من طرب
سألتها في قبلة
في خدها المذهب
فجاوبت مهمهة
بكفها المخضب
وابابي وابابي
من عظم هذا المطلب
وليس هذا ممكنا
على ممر الحقب
روضة خدى حرست
بحية وعقرب
من رام أن يلثمها
فليرقها بالذهب
وليشرب الدرياق من
رضاب ثغري الاشنب
(وصنع أيضا)
جعل العذول يقول لي لما بدت
كالشمس في بعدو في احراق

لا يموق الاغتمض لارجاه * أن يرى طيف مستميح رواحا
وأصله من قول الآخر وانى لا ستغشى وما بى نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

(بيت حسن [illegible] * تجى حذارك انسانى من الغرق)

[illegible] على هذه الابيات

[illegible] مطروفة امين بالمرضى من الحدق

[illegible] * مولع القلب بين الشوق والقلق

[illegible] * وقد سمعت على الاكراه فانطلق

[illegible] * ولا عصيت له الحسام عن خرق

[illegible] ثبات صفة ممكنة لموصوف فان استحسان اساءة الواشى [illegible] منه تجى انسان عينه من الغرق فى الدموع حيث [illegible] أذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله

[illegible] * فهى مشكورة على التقبيح

[illegible] من ترتيب بردها على كبدى

[illegible] * أحسن سوء قبلى الى احد

[illegible]

[illegible] أحسن بى لاعن اعتماد * غدرك اذ جاد لى بعتق

[illegible] لعفيف وحلية الزهاد

[illegible] * ون جرعنى غصصى بريقى

[illegible] * عرفت بها عدوى من صديقى

[illegible] * فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا

[illegible] فسونى فاكتسبت المعاليا

[illegible] أسعد بن زرارة الخزرجى ومسلم شاعر [illegible] بالكوفة وهو فيما زعم وأول من قال الشعر المعروف [illegible] أبو تمام الطائى فانه جعل [illegible] فى شعره (وقال محمد بن يزيد) كان مسلم شاعرا حسن [illegible] أبى نواس فى هذا المعنى وهو أول من عقد هذه المعانى [illegible] محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبى يقول أول من أفسد [illegible] ثم جاء الطائى بعده فقصر الناس واجتمع [illegible] فقال له بعضهم أين أنت يا أمير المؤمنين من [illegible] قول وقد رثى رجلا

[illegible] * فطيب تراب القبر دل على القبر

[illegible]

[illegible] * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

[illegible]

[illegible] * حسنت مناظره لقبح المخبر

[illegible] * أنى لتى بينهما معذب

[illegible] الفقيه الموصلى قال جاريت ابن

لا تطمعن [illegible]
[illegible]
وبحيث خود من لاحد [illegible]
[illegible]
[illegible]
فى [illegible]
و [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
فلا تقرب لا [illegible]
ولا جور [illegible]
[illegible]
[illegible]

فراس الكاتب بحضرة القاسم بن عبيد الله فى شئ من أشعار المحدثين فاعتقد تفضيل أبى نواس واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فتحا كمنا اليه فقال قال لى عبد الصمد بن المعذل وما رأيت أغرب معرفة منه بالشعر وقد سألته عنهما والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ولا تسمو انفسه الى أن يفاضل بينهما الا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله وكان مسلم منقطعا الى البرامكة ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم فلما حصل المال عنده لزم منزله وكان كريما سمحا فأتلف جميع ما اكتسبه ثم صار الى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا فقال له ألم أغنك قال ما غناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ولا هى قدرك ولا قدرى فقال له الفضل ان بيوت الاموال لا تقوم على هذا الفعل ثم قلده الضياع بأصبهان وضم اليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيأ يحتاج اليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا فاكتسب منها أيضا ألف ألف ابتيع له بها ضياع فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحدا حتى مات (وحدثت) رابعة البرمكية قالت كنت يوما وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى ابن خالد البرمكى وبيدى مذبة أذب بها عنه اذ استؤذن لمسلم بن الوليد الانصارى فأذن له فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده قالت ثم خلع عليه وأجازه وانصرف فما قلت انه جاز الستر حتى استؤذن لابى نواس فامتنع من الاذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه فلما دخل سلم عليه فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع اليه رأسه فلما طال عليه الوقوف قال معى أبيات أفأنشدها قال افعل وهو فى غاية التكره والثقل فأنشده اياها

طرحتم على الترحال أمرا فغمنا * ولو قد فعلتم صبح الموت بعضنا

فلما بلغ الى قوله سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

قطب وجهه وقال امسك عليك لعنة الله اعزب قبحك الله وأمر باخراجه محروما فأخرج والتفت الفضل الى أنس بن أبى شيخ وقال ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزا فى كلامه منه فقال أنس ان اسمه كبير فقال عند من ويلك هل هو الا عند سقاط مثله وخلق يشاكلونه فقال له وأين هو من مسلم فقال الفضل وقد غضب والله لأحبنك ثلاثا ولا كلمتك سبعا اذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك والله ان مسلما ليفضل عند ذى الطبقة المتقدمة أو يساويهم فلا أرينك ثلاثا (وحدث) حماد بن اسحق عن أبيه قال لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له ما أعرف لك بيتا الا فيه سقط قال ما تحفظ من ذلك قال قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه فأنشده ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح فصاحا

فقال مسلم فلم أمله وهو الذى اذكره وبه ارتاح فقال أبو نواس فانشدنى أنت شيأ من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم عاصى الشباب فراح غير مفند * وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس قد جعلته رائحا مقيما فى حالة فتشاغبا وتسابا ساعة وكلا البيتين صحيح المعنى (وقال يزيد ابن مزيد) أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا الامر ان أراده فلما رآنى ضحك الى ثم قال يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لله من هاشم فى أرضه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته (وحدث) ذو الهدمين قال دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له يا يزيد من الذى يقول فيك

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

(وأخبرنى) بهاء الدين حسن ابن الخزستانى المعروف بابن الساعاتى قال أمرنى السلطان أن أصنع فيهما بديها على وزن قطعة كانت تغنى فى ذلك الوقت فصنعت

أمعنفى فيمن هويت جهالة انظر بعين العدل فيمن تعذل
أرأيت درياقا كبرد رضابها بعث الصدى وهو الرحيق السلسل
وكحية وكعقرب فى خدها أبدا تسىء فعالها وتقبل
تحيى اذا ما باشرت فم عاشق واذا تقابل من بعيد تقتل

(قال ثم صنعت)

وخريدة بيضاء ليلة هجرها من شعرها وجبينها من وصلها
رقت مواشطها على وجناتها صورا تعبدنى الغرام لاجلها
أو ما عجبت لحية فى جنة دونى تفوز بمائها وبظلها
فحذار منها ما استطعت فقبلها مكرت بآدم أختها فى مثلها

(قال ثم صنعت أيضا)

يا ضرة القمرين فى شرفيهما من أى شئ منك لم أتعجب
أقبلت مثل الشمس فى غسق الدجا وحللت صبحا ضاحكا عن كوكب
من حيث لا ماء الشباب مكدر كلا ولا برق السلاف بخلب
كتبت بخديك المواشط فتنة عمت عموم هواك من لم يكتب
وكأنما رقم الجمال بكفه وجه الضحى بحريرة من غيهب

فقال لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين فقال له أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فخرج من عنده خجلا فلما صار في منزله دعا حاجبه فقال له من بالباب من الشعراء قال مسلم بن الوليد فقال وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه قال أخبرته أنك مضيق وأنه ليس في يدك شيء تعطيه اياه وسألته الامساك والمقام أياما الى أن تتسع قال فأنكر ذلك عليه وقال أدخله الي فأدخله اليه فأنشده قوله

أجررت حبل خليع في الصبا غزل * وشمرت همم العذال عن عذلي
رد البكاء على العين الطموح هوى * مفترق بين توديع ومرتحل
أما كفى البين أن أرمى بأسهمه * حتى رماني بسهم الأعين النجل
مما جنت لي وان كانت منى صدقت * صبابة خلس التسليم بالقبل

فقال له قد أمرت لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر فخرج الحاجب فقال لمسلم قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفا لنفقته فأعطاه اياها وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد فأمره بمائتي ألف وقال اقض الخمسين ألفا التي أخذها الشاعر وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك فافتك ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفا أخرى (وحدث) مسلم قال كنت يوما جالسا في دكان خياط بازاء منزلي اذ رأيت طارقا ببابي فقمت اليه فاذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم فسررت به وكأنما سلبت ثوبي عند وجهي حيث لم يكن عندي درهم واحد أنفقه فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلي وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما فدفعتهما الى جاريتي وكتبت معها رقعة الى بعض معارفي في السوق أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحما وخبزا فمضت الجارية وعادت الي وقد اشترى لها ما حددته له وقد باع الخفين بتسعة دراهم وكأنما جاءت لي بخفين جديدين فقعدت أنا وضيفي نطبخ وسألت جارا لي أن يسقينا نبيذا فوجه به الي وأمرت الجارية أن تغلق باب الدار فانا لجالسان نطبخ اذ طرق طارق الباب فقلت للجارية انظري من هذا فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سواد وشاشية ومعه شاكري فخبرتني بوضعه فأنكرت أمري ثم رجعت الى نفسي فقلت لست بصاحب دعارة ولا للسلطان علي سبيل ففتحت الباب وخرجت اليه فنزل عن دابته وقال أأنت مسلم بن الوليد قلت نعم قال كيف لي بمعرفتك قلت الذي دلك على منزلي يصحح لك معرفتي فقال لغلامه امض الى الخياط فسله عنه فمضى فسأله عني فقال نعم هو مسلم بن الوليد فأخرج لي كتابا من خفه وقال هذا كتاب الامير يزيد بن مزيد يأمرني أن لا أفضه الا عندك فاذا فيه اذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع اليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له في منزله وادفع اليه ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها الينا فأخذت الثلاثة آلاف والعشرة آلاف ودخلت الى منزلي والرجل معي فأكلنا ذلك الطعام وازددت فيه وفي الشراب واشتريت فاكهة وتسعت ووهبت لصديقي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله وأخذت في الجهاز ثم ما زلت معه حتى صرت الى الرقة الى باب يزيد بن مزيد فدخل الرجل واذا هو أحد حجابه فوجده في الحمام فخرج الي فجلس معي قليلا ثم خبرني الحاجب بأنه قد خرج من الحمام فأدخلني اليه فاذا هو جالس على كرسي وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته فقال لي يا مسلم ما الذي أبطأ بك عنا فقلت أيها الامير قلة ذات اليد قال فأنشدني فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها فلما صرت الى قولي منها

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وضع المرآة في غلافها وقال للجارية انصرفي فقد حرم علينا مسلم الطيب فلما فرغت من القصيدة قال لي يا مسلم أتدري ما حداني الى أن وجهت اليك قلت لا والله ما أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه فقال لي يا يزيد من القائل فيك

سل الخليفة سيفا من بني مطر * يمضي فيخترم الاجساد والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت

فقلت لا والله ما أدري فقال لي الرشيد يا سبحان الله أنت مقيم على أعرابيتك يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله فيك فسألت عنه فأخبرت أنك هو فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج علي الاذن فأذن لي فدخلت على الرشيد فأنشدته ما لي فيه من الشعر فأمر لي بمائتي ألف درهم فلما انصرفت الى يزيد بن مزيد أمر لي بمائة وتسعين ألفا وقال لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين وأقطعني اقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم قال مسلم ثم أفضت بي الامور بعد ذلك الى أن أغضبني فهجوته فشكاني الى الرشيد فدعاني وقال لي أتبيعني عرض يزيد قلت نعم فقال لي بكم فقلت برغيف خبز فغضب حتى خفته على نفسي وقال قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ولست أفعل ولا كرامة فقد علمت احسانه اليك وأنا نفي عن أبي والله ثم والله لئن بلغني انك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك فأمسكت عنه بعد ذلك ولا ذكرته بخير ولا شر (وحدث) أبو توبة قال كان مسلم بن الوليد جالسا بين يدي يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له ثم أراد القيام فقال له مسلم بن الوليد

الحزم تحريقه ان كنت ذا حذر * وانما الحزم سوء الظن بالناس
لقد أتاك وقد أدى أمانته * فاجعل صيانته في بطن ارماس

قال فضحك يزيد وقال صدقت لعمري وخرق الكتاب وأمر باحراقه (وحدث) الحسن بن سعيد عن أبيه قال كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه فوجه اليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذي يقول فيه

جعلته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له استأذن لي على الامير قال ومن أنت لقد انصرم الوقت وانصرف الشعراء وهو على القيام فقال له ويحك قد وفدت على الامير بشعر ما قالت العرب مثله قال وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع فقال هات حتى أسمع فان كان الامر كما ذكرت أوصلتك اليه فأنشده بعض القصيدة فسمع شيئا يقصر الوصف عنه فدخل على داود فقال له قد قدم على الامير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله فقال أدخل قائله فلما مثل بين يديه سلم وقال قد قدمت على الامير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن أمتدحه فقال هات فلما افتتح القصيدة فقال

لا تدع بي الشوق اني غير معمود * نهى النهى عن هوى البيض الرعاديد

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه اليه فقال أهذا شعرك قال نعم أعز الله الامير قال في كم قلته قال في أربعة أشهر أبقاك الله قال لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسنا وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثلها وأمرت بالاجراء عليك فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك فقال أو الاقالة أعز الله الامير قال قد أقلتك قال الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره قال أنا ابن حاتم انك لما افتتحت شعره فقلت * لا تدع بي الشوق اني غير معمود * سمعت كلام مسلم بن الوليد ينادي فأجبت نداءه واستويت جالسا ثم قال يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة الى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم (وحدث) محمد بن عبد الله التميمي قال دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعرا فقال له أيها الكهل اني أجلك عن الشعر فسل حاجتك قال بل تستتم اليد علي بأن تسمع فأنشده

دموعها من حذار البين تنسكب * وقلبها مغرم من حرها يجب
جد الرحيل بها عنه ففارقه * لبينها اللهو واللذات والطرب
يهوى المسير الى مرو ويحزنه * فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل اني لأجلك عن الشعر قال فأغنني بما أحببت من عملك فولاه البريد بجرجان (وحدث) محمد ابن عمرو بن سعيد قال خرج دعبل الخزاعي الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل

يقول من بات سليما بها
يا عيش من أصبح حاويها
(وصنع) المخلص أبو العباس أحمد ابن بنت الفقيه أبي الطاهر بن عوف وأنشدنيه
جنت وردة خديها بأفعى وعقرب
فردت يدي جانيه عن جلناره
أليس محياها المزخرف جنة
فلا غرو ان حفت لنا بالمكاره
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
سألتها أصفح عن هفوة
من عاشق أقسم أن لا يعود
فصورت ملغزة حية
وعقربا من فوق ورد الخدود
فكان تصحيف الذي ألغزت
خيفة أن يفهم عنها الحسود
غفرت ما أسلف فلتهنه
جنة وصلي بعد نار الصدود
(وأنشدني) الرضي بن أبي حفصة الاحدب لنفسه
قالوا ترى عقربا قد قابلت أفعى
في خد ظبية أنس قط ما رعى
فقلت لما سحر الجفون لها
جاءت له حية في خدها تسعى
وتلك عقرب خديها فلا برحت
لأنها العقرب المؤذي بها طبعا
فانظر الى حية مع عقرب ظهرت
بروض وجنتها لم يقتلا شرعا
وزاد تاحسنها نفعا فوا عجبا
من أهل ضر لها قد أظهروا النفعا
لو لم يكن ريقها الترياق ما سلمت
وكان لاغها لا يأمن اللسعا

فصار الى مرو وكتب الى الفضل بن سهل

لا تعبأن بابن الوليد فانه * يرميك بعد ثلاثة بملال
ان الملول وان تقادم عهده * كانت مودته كفيء ظلال

قال فدفع الفضل الرقعة الى مسلم وقال انظر يا ابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به قال لا قال كان يلقب بمياس ثم كتب اليه يقول

مياس قل لي أين أنت من الورى * لا أنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

وكان مسلم استاذ دعبل وعنه أخذ ومن بحره استقى (وحدث) الحسين بن دعبل قال سمعت أبي يقول بينا أنا جالس بباب الكرخ اذ مرت جارية لم أر أحسن منها وجها ولا قدا تتثنى في مشيها وتنظر في أعطافها فقلت متعرضا لها

دموع عيني بها انبساط * ونوم عيني به انقباض

فأجابتني مسرعة فقالت

وذا قليل لمن دهته * بلحظها الأعين المراض

فأدهشتني وأعجبتني فقلت

فهل لمولاة عطف قلب * وللذي في الحشى انقراض

فأجابتني غير متوقفة وقالت

ان كنت تهوى الوداد منا * فالود في ديننا قراض

قال فما دخل في أذني كلام قط أحلى من كلامها ولا رأيت أنضر وجها منها فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

فأجابتني بسرعة فقالت

ما للزمان وللتحكم بيننا * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني فصرت الى منزله فصادفته على عسرة فدفع الي منديلا وقال اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج اليه وعد فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها في سرداب فلما أحس بي وثب الي وقال عرفك الله يا أبا علي جميل ما فعلت ولقاك ثوابه وجعله أحسن حسنة لك فغاظني قوله وطنزه بي وجعلت أفكر أي شيء أعمل به فقال بحياتي يا أبا علي اخبرني من الذي يقول

بت في درعها وبات رفيقي * جنب القلب طاهر الاعطاف

فقلت

من له في حر امه ألف قرن * قد أنافت على علو مناف

وجعلت أشتمه وأثب عليه فقال لي يا أحمق منزلي دخلت ومنديلي بعت ودراهمي أنفقت على من تحرد أنت وأي شيء سبب حردك يا قواد فقلت له مهما كذبت علي فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة (ولقي) محمد ابن أبي أمية مسلم بن الوليد وهو يمشي وطويلته مع بعض أصحابه ورواته فسلم عليه ثم قال قد حضرني شيء فقال هاته فقال على انه مزاح ولا تغضب قال هاته ولو كان شتما فانشده

من رأى فيما خلا رجلا * تيهه أربى على جدته
يمشي راجلا وله * شاكري في قلنسوته

فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك ابن أبي أمية وافترقا (وكان) لمحمد بن أبي أمية برذون يركبه فنفق فلقيه مسلم وهو راجل فقال له ما فعل برذونك قال نفق قال فجازيك اذا على ما أسلفتنا ثم أنشده

قل لابن مي لا تكن جازعا * لن يرجع البرذون بالليت
طامن احشاءك فقدانه * وكنت فيه عالي الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره * ولو من الحش الى البيت
ما مات من سقم ولكنه * مات من الشوق الى الموت

(وعن) الحسين بن أبي السري قال قيل لمسلم بن الوليد أي شعرك أحب اليك قال ان في شعري لبيتا أخذت

فقل لمن سامني ترك الغرام بها * لم أسلها والذي قد أخرج المرعى

(قال علي بن ظافر وصنعت)

قضيب فذلك هذا الرطب من هصره
ونجم ريقك هذا العنب من عصره
وأطلس الخد من بالمسك صور في * محمرة حية بالمسك مقتدره
يا حسنه أفعوانا لا يعض وان * أضحى على عضه للعاشقين شره
فلا تظننه رقشاء لاسعة * تنساب من وجهها في روضة نضره
بل نفث ألحاظها بالسحر خيل ثعـ * بانا على خدها بل هي الذي نظره
يا ليت شعري مع أني الكليم هوى * لم أظهرت آيتي ألحاظها السحره

(قال وقلت أيضا)

وغادة رقمت في خدها صورا * لتسلب الناس ألبابا وأذهانا
هل عقرب الصدغ خافت فتك أعيننا * فاستنجدت عقربا أخرى وثعبانا
أم العقارب والحيات قد ألفت * من وجنتيها بحكم الطبع بستانا

﴿الباب الخامس في بقية بدائع البداءة﴾

معناه من التوراة وهو قولي

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

قال الحسين وحدثني جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد ان تاب ليعرض عليه شعره فتغافل مسلم ثم أخذ منه الدفتر الذي في يده فقذف به في البحر فلهذا قل شعره فليس في أيدي الناس منه الا ما كان بالعراق وما كان في أيدي الممدوحين من مدائحه (وحدث) الحسين بن دعبل قال قال أبي لمسلم بن الوليد ما معنى قولك * لا تدع بي الشوق اني غير معمود * قال لا تدعني صريع الغواني فاني لست كذلك وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارها (وحدث) محمد بن المهنا قال كان العباس بن الاحنف مع اخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد فقال بعضهم صريع الغواني فقال العباس ذلك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم * فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

فاذهب فأنت طليق الحلم مرتهن * بسورة الجهل مالم أملك الغضبا

ارجع الى عرب ترضى بنسبتهم * اني أرى لك خلقا يشبه العربا

منيت مني وقد جد الجراء بنا * بغاية منعتك الفوت والطلبا

وكانت وفاته بجرجان وهو يتقلد بها عملا (يروى) أنه لما احتضر نظر الى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال

ألا يا نخلة بالسفح من أكناف جرجان ألا اني وايالك * بجرجان غريبان

ثم مات عندآخرهما رحمه الله تعالى

(ولو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق)

البيت من البسيط وهو مترجم من الفارسية والجوزاء برج في السماء والانتطاق شد المنطقة ونطاق الجوزاء كواكب حولها (والشاهد فيه) اثبات صفة غير ممكنة لموصوف فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد اثباتها له ومثله قول التهامي

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقوله أيضا لو لم تكن ريقته خمرة * لما تثنى غصنه وهو صاح

وقول الامير مجير الدين بن تميم في مليح وقاد

لاموا على الوقاد في حسنه * وحبه باللوم يزداد لو لم يكن في حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وقول السري الرفاء موقف لو لم يكن نارا اذا * لم تكن زرق عواليه شرر

وقول أبي اسحق ابراهيم الغرناطي

لعمرك ما ثغره باسم * ولكنه حبب لاعب ولو لم يكن ريقه مسكرا * لما دار من حوله الشارب

وقوله وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق

ان الامام أبا البقاء الاوحدا * عجب يعز بغرب وبمشرق

لو لم تكن دررا لنا كلماته * ما انتظمت حليا بتاج المفرق

وما أحسن قول محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقول الآخر أيضا قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها فاضل سربالها

لو لم تكن من بردساقها * لاحترقت من نار خلخالها

(كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقا لهن مدامع)

البيت لابي تمام الطائي من قصيدة من الطويل يمدح بها قوما مطلعها أو لها

ألا صنع البين الذي هو صانع * فان تك مجزاعا فما البين جازع

وفيه فصلان أحدهما ما كان من البديهة باقتراح مقترح وثانيهما ما ليس باقتراح مقترح

﴿الفصل الاول﴾
فيما كان باقتراح مقترح

(فمن ذلك ما روى) أن جبلة ابن الايهم آخر ملوك آل جفنة قال لحسان ان حب المدامة قد استحوذ علي فبغضها الي فصنع حسان ارتجالا

ولولا ثلاث هن في الكاس لم يكن
لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزق مثل الجنون ومصرع
دني وان العقل ينأى ويذهب

فقال حرمتني لذتها فحببها الي فارتجل وقال

ولولا ثلاث هن في الكاس أصبحت
من أكسد شيء يستفاد ويجلب
أمانيها والنفس يظهر طيبها
على حزنها والهم ينأى ويذهب

فأمر له جبلة بجائزة وحلة من حلله (ومن ذلك) ما روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك في بعض وفاداته عليه فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته فلما خرج من عنده وركب راحلته وأنشد

ما حملت ناقة من معشر رجلا
مثلي اذا الريح ألقتني على الكور

هو العام من أسماء والعام رابع * له باوى خبت فهل أنت رابع
ألا ان صدرى من عزائى بلقع * عشية شاقتنى الديار البلاقع
وبعده البيت وبعده وباشفعت ريح الصبا رياضها * الى الغيث حتى جادها وهو هامع
فبشر الضحى غدو المزن مضاحك * وجنب الندى ليلا المزن مضاجع
كساك من الانوار أبيض ناصع * وأصفر فقاع وأحمر ساطع
لئن كان أمسى شمل وحشك جامعا * لقد كان لى شمل بأنسك جامع

وهى طويلة والسحاب الغر جمع أغر وهى الماطرة الغزيرة الماء والضمير فى تحتها راجع للديار فى البيت الذى قبله (والشاهد فيه) التعليل على سبيل الشك فانه علل شاكا نزول المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربى حبيبا فهى تبكى عليه ومنه قول محمد بن أبى زرعة

كأن صبين باتا طول ليلهما * يستمطران على غدرانها المقلا

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

وكأن كل سحابة وقفت بها * تبكى بعينى عروة بن حزام

ومنه قوله أيضا رحل العزاء برحلتى فكأننى * أتبعته الانفاس للتشييع

ومنه قول بعضهم وقدمات صديق له فى يوم ماطر

بروحى الذى جاء الغمام بعوده * فصادفه نحو المنية قدسرى
فما زال يبدى حرقة وتنهدا * ويبكى الى أن بل من دمعه الثرى

وقريب منه قول ابن رشيق وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكنت أعهد منه البشر والضحكا
كأنما جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وبديع قول الوزير الاديب أبى الاصبع بن رشيد وقد هطلت بأشبيلية سحابة بقطر أحمر فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على المنهج الاقوم * متى عهد الغيث يا غافلا
كلون العقيق أو العندم * أظن الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

ولنذكر طرفا من محاسن حسن التعليل فمما جاء من ذلك قول البحترى

ولو لم يكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وقول أبى هفان أيضا ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

وقد أخذه ابن رشيق فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعزمكان
فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

ولوافقه فى معناه ان يقعد الجاهل فوقى ولم * يرع ذمام العلم والاصل
فالشمس يعلو زحل فوقها * وهى على الغاية فى الفضل

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء ماقتلت * والدم فى النصل شاهد عجب

وقد أخذه ابن المعتز من قول الواثق بالله

فأنهى ذلك الى عبد الملك فأرسل وراءه من رده فلما دخل عليه قال ايه يا فرزدق أنت الذى تقول ماحملت ناقة البيت قال نعم يا أمير المؤمنين قال لتخرجن منها يا ابن اللخناء أولا تبين عليك فقال مرتجلا

الا قريشا فان الله فضلها
مع النبوة بالاسلام والخير
ترى وجوه بنى مروان مشرقة
يوم الندى كشوفات الدنانير

فقال عبد الملك أولى لك ورضى عنه (ومن ذلك) ما روى أن أبا الخطاب عمر ابن عامر السعدى المعروف بابن الاشد أنشد موسى الهادى

يا خير من عقدت كفاه حجزته
وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له الهادى الا من فقال واصلا

الا النبى رسول الله ان له
فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

فظن الهادى والحاضرون أن البيت مستدرك ونظر فى صحيفته فلم يجده فأضعف صلته (وروى) أن على بن جبلة الاعمى العكوك لقى طاهر بن الحسين وهو فى حراقة له فقال له طاهر ان قدقلت فى أبى دلف

انما الدنيا أبو دلف
بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف
ولت الدنيا على أثره

لى حبيب قد طال شوقى اليه * لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قتلى * ودمى شاهد على وجنتيه

ولابى خلف العكبرى فى مثله وقيل لابى محمد اليافى الشافعى

لم تستعر عينه من ورد وجنته * الاخضابا وحاشاها من الوصب
تبينت من محب كان يألفها * شواهد الغدر فاحمرت من الغضب

ومثله قول بعض الاندلسيين أيضا

قالوا الحبيب شكا جعلت فداءه * رمدا أضر بعينه كالعندم
فأجبتهم مازال يفتك لحظه * فى مهجتى حتى تلطخ بالدم

وقول أبى الفرج الببغاء

بنفسى ما يشكوه من راح طرفه * ونرجسه مما ازهاه حسنه ورد
أراقت دم ظلما محاسن وجهه * فأضحى وفى عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما * سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن أصبحت رمداء مقلة مالكى * لقد طالما استشفت بها مقل رمد

ومن بديع حسن التعليل قول ابن نباتة السعدى فى فرس أدهم محجل القوائم ذى غرة

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير زهوا * ويطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

وفى معناه وهو جيد الى الغاية

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الاندلسى وقصر عنه بقوله

وأغر قد لبس الدجى * برداً فراقك وهو فاحم * يحكى بغرته هلا
ل الفطر لاح لعين صائم * وكأنما خاض الصبا * ح فجاء مبيض القوائم

ولطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا

وأدهم كالغراب سواد لون * يطير مع الرياح ولا جناح
كساه الليل شملته وولى * فقبل بين عينيه الصباح

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه

أدهم كالليل ذو حجول * قد غورت صبحه بليله * كأنما البرق خاف منه * فجاء مستمسكا بذيله

وما ألطف قول التهامى أيضا

لو لم يكن ريقها خمرا لما انتطقت * بلؤلؤ من حباب الثغر مبتسم

وبديع قول الارجانى فى التعليل

أبدى صنيعك تقصير الزمان فنى * وقت الربيع طلوع الورد من خجل

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات

وثراها من عنبر شيب بالمسك فان هبت الصبا فيه فاحا
مابكاء الرياض بالطل الا * خجلا من رياضها وافتضاحا

وقوله أيضا يمدح

وما جارك صوب المزن لما * جرى وجرى نداك وما حكاكا
ولكن الغمام غدا سجودا * على وجه الثرى لما رآكا

وما أحسن قول الصلاح الاربلى معللا عدم نزول المطر بأرض مصر غالبا

فاصنع لى مثلهما ولك بكل بيت ألف فصنع بديها

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد ومن فوقها آخر مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسها كيف لا تورق

فأمر له بثلاثة آلاف درهم فأخذها وانصرف (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال حدثنا عيسى بن حماد قال شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة فأبرقت ثم أمطرت فقال بعض من حضر المجلس قل فى هذا شيأ فقال

هطلتنا السماء هطلا دراكا عارض المرزمان فيه السماكا
قلت للبرق اذ توقد فيها يا زناد السماء من أوراكا
أحبيب أنأيته فجفاكا فهو ذا العارض الذى أبكاكا
أم تشبهت بالامير أبى العباس فى جوده فلست هناكا

(وذكر ابن المثنى) قال قلت لخالد الكاتب أخبرنى عن قولك

هذا حبيبك مطوى على كمده حرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستعبدا دنفا كانت منيته فى عينه ويده

ماقصر الغيث عن مصر وتربتها * طبعا ولكن تعداكم من الخجل
ولاجرى النيل الا وهو معترف * بسبقكم فلذا يجرى على مهل

ويقرب منه قول ابن رشيق القيروانى

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

ومن بديع حسن تعليل دنو السحاب من الارض قول أبى العباس بن حديدة اللخمى

يارب منقلة تنوء بثقلها * تسقى البلاد بوابل غيداق
مرت فويق الارض تسحب ذيلها * والريح تحملها على الاعناق
ودنت فكاد الترب ينهض نحوها * كنهوض مشتاق الى مشتاق
فكأنما جاءت تقبل تربها * أو حاولت منها الذ عناق

وما أحسن تعليل أبى العلاء المعرى فى قوله

وما كلف البدر المنير مذمة * ولكنه فى وجهه أثر الدم

ومن حسن التعليل ما أنشده عبد الملك بن ادريس الحريرى بديها وكان بين يدى المنصور بن أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة وهو

أرى بدر السماء يلوح حينا * ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيى وغابا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختى كان مع جماعة من أهله على سطح ابن سهل النوبختى فى ليلة من الليالى يشربون ومعهم ابراهيم بن زرزر المغنى وكان أمرد حسن الوجه وكان فى السماء غيم ينجاب مرة ويتصل أخرى فانجاب الغيم عن القمر فانبسط فقال أبو الحسن النوبختى وأقبل على ابراهيم

لم يطلع البدر الا من تشوقه * اليك حتى يوافى وجهك النضرا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم قال

ولا تغيب الا عند خجلته * لما رآك فولى عنك واستترا

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار حين أخرج من الاندلس

على والا ما بكاء الغمائم * وفى والا ما نياح الحمائم
وعنى أثار الرعد صرخة طالب * لثار وهز البرق صفحة صارم
وهل لبست زهر النجوم حدادها * لمثلى أو قامت له فى المآتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها * لغيرى أو حنت حنين الروائم

وما أرشق قول بعضهم لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما شق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

ولبعضهم فيه أيضا ولما نضا وجه الربيع نقابه * وفاحت بأطراف الرياض النسائم
فطارت عقول الطير لما رأينه * وقد بهتت من بينهن الحمائم
وخفن جنونا بالرياض وحسنها * فصدحن وفى أعناقهن التمائم

ومنه قول وجيه الدين الانصارى

بروحى معشوق الجمال فماله * شبيه ولا فى حبه لى لائم
تثنى فخاف الغصن من حسد له * ألم تره ناحت عليه الحمائم

ومنه قول بعضهم فى الآذريون ويسمى المنثور الرومى وهو ينضم ليلا وينفتح نهارا

عيون تبر كأنها سرقت * سواد أحداقها من الغسق
فان دجا ليلها بظلمته * ضممن من خوفها على السرق

الا قلت كما قال أبو نواس
سماه مولاه لاستملاحه سمجا
فاختال يحجبه ذا الاسم وابتهجا
ظبى كأن الثريا دون مفرقه
والمشترى وضياء الشمس والسرجا
محكم الطرف يدمى سيف ناظره
اذا انتضاه لفتك قال لاحرجا
لا فرج الله عنى ان مددت يدى
اليه أسأله من حبه فرجا
(فصنع بديها)
قل لظبى كله حسن
رق لى من فعلك السمج
عينه سفاكة المهج
من دمى فى أحرج الحرج
أسهرتنى وهى راقدة
باحورار الطرف والدعج
لا أتاح الله لى فرجا
يوم أدعو منك بالفرج
(وروى) أن أبا تمام لما أنشد أحمد بن المعتصم فى حياة أبيه بحضرة يعقوب بن الصباح الكندى فيلسوف العرب قصيدته التى أولها
ما فى وقوفك ساعة من باس
تقضى رسوم الاربع الادراس
وانتهى الى قوله
اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس
قال له الكندى مازدت أن شبهت الامير بصعاليك العرب ومن هؤلاء الذين

وما أحسن قول بعضهم أيضا

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح * زرتها والغمام يجلد منها
زهرات تفوق لون الراح * قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وما أظرف قول بعضهم أيضا

ومعذر رقت حواشي وجهه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وإنما * نفضت عليه سوادها الأحداق

وقول غوث الدين بن العجمي في العذار وفي الخال

لهيب الخد حين بدا لعيني * هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

وقول مظفر الأعمى فيه

لا تحسبوا شامة في خده طبعت * على صحيفة خد راق منظره
وإنما خده الصافي تخال به * سواد عينك خالا حين تنظره

وما ألطف قول ابن رشيق في تعليل حمرة الخد

همت عذاراه بتقبيله * فاستل من عينيه سيفين   فذلك المحمر من خده * دماء ما بين الفريقين

ومنه قول ابن حمديس الصقلي في الخال

يا سالب القمر السماء جماله * ألبستني في الحب ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

ومن لطيف حسن التعليل في خال تحت الحنك ما حكاه ابن رشيق قال كنت أجالس محمد بن حبيب وكان كثيرا ما يجالسنا غلام مليح ذو خال تحت لحييه فنظر الى ابن حبيب يوما وأشار الى الخال ثم أطرق ساعة قال ففهمت منه أنه يصنع شيأ فيه فصنعت بيتين وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد

يقولون لم من تحت صفحة خده * تنزل خال كان منزله الخد
فقلت رأى بهر الجمال فهابه * فحط خضوعا مثل ما خضع العبد

فقلت أحسنت أحسن الله اليك ولكن اسمع قال أوصنعت شيأ قلت نعم وأنشدته

حبذا الخال كائنا منه بين الشـ * ـغتو الجيد رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن * خاف من لحظ طرفه فتوارى

فقال فضحتني قطع الله لسانك ولابي سعيد المغربي وأجاد

ان للجبهة في قلبي هوى * لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقص الماء بها من طرب * ويميل الغصن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها * فلذا تصفر أوقات الرحيل

ومثله قول بعضهم أيضا

نهديهم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولعله سرقه من قول ابن الرومي

أما ذكاء فلم تصفر اذ جنحت * الا لفرقة ذاك المنظر الحسن

وما ألطف قول عبد الله بن القابلة البستي

ووجه غزال رق حسنا جماله * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء برشا * تكاد الحيا من محياه تقطر
ولم يتعرض كي أراه وانما * أراد يريني أن وجهي أصفر

وما أحسن قول بعضهم في مليح يطيل حمل الكاس وقد تشاغل بشم الآس

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة * وأعقب ذاك الوعد منك نفار

ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيرا ثم أنشد

لا تعجبوا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فعجب الحاضرون استحسانا مما أتى به وأجزل أحمد صلته ولما خرج قال ابن الصباح ان هذا الفتى قصير العمر لانه ينحت من قلبه فكان كذلك (وروى) حماد بن أحمد الكندي قال كان علي بن الجهم يقع في مروان ابن أبي الجنوب حسدا له على قبوله ومنزلته عند المتوكل فقال له المتوكل يوما أيكما أشعر يا علي وأراد أن يغري بينهما فقال علي أنا أشعر منه فقال ما تقول يا مروان فقال كل أحد أشعر مني واذا أصيب عرضي في أمير المؤمنين لا أبالي فقال المتوكل هذا عدول عن الجواب قد زعم انه أشعر منك فان كان صادقا قدمناه عليك والا فبرهن عن نفسك فقال مروان يا علي أنت أشعر مني قال أو تشك في هذا قال لشدة ما شككت قال فالناس يعلمون صدقي قال فأمير المؤمنين بيننا قال انه يميل اليك فقال المتوكل هذا من عيبك يا علي ثم التفت الى حمدون بن عيسى وقال له

فلوقفتها تحت الرجاء وقلبها * بخوف خلف الوعد منك شرار
وما كان هذا لونها غير أنها * علاها الطول الانتظار صفار

وما أحلى قول ابن نباتة هنا لم يزل جوده يجور على الما * ل الى أن كسا النضار اصفرارا

ولابن الدهان الموصلي

تردى الكتائب كتبه فاذا انبرت * لم تدر أنفذ أسطرا أم عسكرا
لم يحسن الاتراب فوق سطورها * الا لأن الجيش يعقد عثيرا

ومن لطيف حسن التعليل ما أنشده الملك الأشرف شاه أرمن موسى في مملوك له جميل وقعت عليه شمعة فاصابت شاربه

وذي هيف زارني ليلة * فأمسى به الهم في معزل
فمالت لتقبيله شمعة * ولم تخش من ذلك المحفل
فقلت لصحبي وقد حكمت * صوارم لحظيه في مقتلي
أتدرون شمعتنا لم هوت * لتقبيل هذا الرشا الاكحل
درت أن ريقته شهدة * فمالت الى الفها الاول

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس في أصفر الوجه ذي لحية حمراء

لئن زاد في دقنه حمرة * بما زاد في الوجه من صفرته
فمن كثرة الصفع في رأسه * تصفى له الدم في لحيته

ومن ظريف حسن التعليل قول ابن النبيه وقد دخل على الصاحب صفي الدين بن شكر في مرضه فوجده قد حم بقشعريرة تباله الحال التي * أصلت فؤادي ولها هل سألتك حاجة * فأنت تهتز لها
فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجار موفور ومنه قول المتنبي مخاطبا لسيف الدولة وقد وقعت عليه الخيمة

رأت لون نورك في لونها * كلون الغزالة لا يغسل * وأن لها شرفا باذخا
وان الخيام بها تخجل * فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم وقد زلزلت مصر في أيامه

يا حاكم العدل أضحى الدين معتليا * نجل العلا وسليل السادة النجبا
ما زلزلت مصر من كيد يرادبها * وانما رقصت من عدله طربا

ولشرف الدين التيفاشي في مثله

أما ترى الارض من زلزالها عجبا * تدعو الى طاعة الرحمن كل تقي
أضحت كوالدة خرقاء مرضعة * أولادها در ثدي حافل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب * وأفرشتهم فراشا غير ماقلق
حتى اذا أبصرت بعض الذي كرهت * مما يشق من الاولاد من خلق
هزت بهم مهدهم شبه تنبههم * ثم استشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت المهد غضبى وهي لاقطة * بعضا على بعضهم من شدة النزق

ومثله أيضا قول الخطيري يقول لي حين وافى * قد ذلت ما ترتجيه * فما القلب لك قد جا
بخفقة تعتريه * فقلت وصالك عرس * والقلب يرقص فيه

وفي معناه قول بهاء الدين زهير

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر * ما القلب الا داره دقت له فيها البشائر

وما ألطف تعليل خفقان القلب في قول ابن رشيق

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الملك تحت قبابه

اقبل بينهما قال مالي ولما صفي الاسد فقال المتوكل قد أبحت كلا منكما هجاء صاحبه فليبن عن نفسه فقال علي انه قد كان في النبيذ فأقدر على قول الشعر حتى أفيق فقال مروان لكنني أقدر يا أمير المؤمنين قال قل ويحك فقال

ان ابن جهم في المغيب يعيبني
ويقول لي حسنا اذا الاقاني
ويكون حين أغيب عنه شاعرا
ويضل عنه الشعر حين يراني
واذا اخالونا نالك شعري شعره
وتراعى شيطانه شيطاني
عظمت حواياه وأربى بطنه
فكأنما بطنه وادان
ان ابن جهم ليس يرحم أمه
لو كان يرحمها لما هاجاني

فضحك المتوكل والندامى وانخذل ابن الجهم فقال المتوكل بحياتي زدما حضرك فقال

بنت جهم باعليه
صرت بعدي قرشيه
قلت ما ليس بحق
اسكتي يا حلقيه
اسكتي يا بنت جهم
اسكتي يا نبطيه

فجعل المتوكل يضحك ويضرب الارض برجله فقال ابن الجهم لعمري ان هذا الشعر يشبه قائله فقال مروان صدقت انه لهزل ولكنني أجد بك ثم قال

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر
وهذا علي نجله يدعي الشعرا

أوحى الي أن ائتني فأتيتـه * والفجر يرمق من خلال نقابه
وضممته للصدر حتى استوهبت * مني ثيابي بعض طيب ثيابه
فكأن قلبي من وراء ضلوعه * طربا يخبر قلبه عما به

ومن لطيف حسن التعليل وهو قريب من هذا المعنى قول ابن بقي الاندلسي

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوى * فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الرجا في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق الناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيت الاخير والذي قبله بقوله

ان كان لا بد من رقاد * فأضلعي هالة كالوساد
فنم على خفقها هدوا * كالطفل في هزة المهاد

وقد تعصب لابن بقي قوم ولابن عيال آخرون وقالوا ان بيتي ابن بقي عليهما اعتراضان الاول انه شاه العبارة بقوله أبعدته وكان ينبغي أن يقول أبعدت عنه أضالعا والثاني ماذكره ابن عيال فقال المتعصبون لابن بقي أما الاعتراض الاول فسلم وأما الثاني فممنوع فان شعر ابن بقي يدل على ان خفقانه لكثرة قوته مما يمنع النوم بخلاف ماذكره ابن عيال فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضي أنه يسير ضعيف ويدل عليه قوله هدوا فقول ابن بقي أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحكومة بينهما فأجاب بقوله

قول ابن بقي عليه مأخذ * لكنه قول المحب الوامق
يكفيه في صدق المحبة قوله * زحزحته شيأ وكان معانقي
وأراد شيأ ما يهدأ في الكرى * كي لا ينام على وساد خافق
ماحبه كذب كدعوى غيره * ما الكاذب الدعوى نظير الصادق
تالله ماهذا فؤاد متيم * كلا ولا هذا المقال بلائق
ولقول من قد قال ان ضلوعه * خفقانها كالمهد غير موافق
ما الحب الا بذل ماله الحشا * ويبره يهدا فؤاد العاشق

وقد رد الصلاح الصفدي على ابن بقي بقوله

أبعدته من بعد ما زحزحته * ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
هذا يدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق
ان شئت قل أبعدت عنه أضالعي * ليكون فعل المستهام الصادق
أوقل فبات على اضطراب جوانحي * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

ومن بديع حسن التعليل في العذار قول ابن عبدربه

ياذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت بعارضيك حمائلا

ومثله في الحسن قوله أيضا في العذار

ومعذر نقش الجمال بخطه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن عضب جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وينظر الى البيتين الاولين قول علي بن حسن الاشبيلي

ولكن أبي قد كان جار الائمة
فلما ادعى الاشعار أوهمني أمرا

ففضحه في ذلك المجلس ولم يحر جوابا الا انه قال بعد ذلك بيتين يعنيه بهما وهما

بلاء ليس يشبهه بلاء
عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه
ويرتع منك في عرض مصون

(قال علي بن ظافر) ولما قدم مؤيد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي الى بغداد في حياة والده وعمه معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه ليعقد على ابنته زبيدة قدم معه الصاحب أبو القاسم بن عباد وهو يومئذ في حداثة سنه وريعان عمره وفي هذه السنة كتب كتاب الروزنامجة الى الاستاذ الرئيس أبي الفضل بن العميد وفي فصل منه مامعناه انه حضر عند الاستاذ أبي محمد المهلبي في ليلة طلعت نجوم سعدها وانجزت بها صحب المسرة صادق وعدها والاحت الكؤس خاطف برقها وأسمعت المثاني حثيث رعدها فجعلوا يتنقلون في شجون المجون ويعقدون نكاح ابن الغدير على ابنة الزرجون فاقترح عليه المهلبي أن يصنع شعرا في صفة هذا الحال فقال بديها

غزال كحيل له ريقة * يشاب بها المسك والقرقف كأن العذار على خده * نجاد ومقلته مرهف

ومثله قول ابن رشيق أيضا

وأسمر اللون عسجدي * يكاد يستقطر الجهاما * ضاق بحمل العذار ذرعا
كالمهر لا يعرف اللجاما * ونكس الرأس اذ رآني * كأنه قد كسى احتشاما
وظن أن العذار مما * يزيح عن قلبي الغراما * وما درى أنه نبات
أنبت في جسمي السقاما * وهل ترى عارضيه الا * حمائلا حلت حساما

ومثله قول ابن حكينا البغدادي

تبرم بالعذار وظن أني * أقاطعه وأخرج من يديه
وخافت عارضاه خلاص قلبي * من التبريح فانعلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضا

بخد أجدّ للابصار معتبر * عذار مسك جرى في صفحتي برد
كأن وجنته من حسنه خجلت * واسودّ عارضه من شدة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز في العذار والخال

ولي كاتب أضمرت في القلب حبه * مخافة حسادي عليه وعذالي
له صنعة في خط لام عذاره * ولكن سهى اذ نقط اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله

بدا على خده عذار * بمثله يعذر الحبيب * وليس ذاك العذار شعرا
لكنما سره غريب * لما أراق الدماء ظلما * بدت على خده الذنوب

وهذا كقول عبد الجليل المرسي أيضا

فطوقه الزمان بما جناه * وعلق في عذاريه الذنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق في العذار

خط العذار له لاما بصفحته * من أجلها يستغيث الناس باللام

وقد تفنن الشعراء في تشبيه العذار باللام وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال

سأصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء يقضي بالدليل كما أقضي
الا انه كاللام واللام شأنها * اذا التصقت بالاسم آل الى الخفض

فاجعله محتملا لما شئت من الذم ان شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه وان شئت جعلته انخفاض حاله (رجع الى حسن التعليل) ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيه قول السراج الوراق في العذار

وفاتك يجرح سيف لحظه * مجردا من جفنه ومغمدا
خاف على خديه من لحاظه * فبات في عذاره مزردا

ومنه قول ابن حكينا البغدادي

عيناك ترمي قلبي بأسهمها * فما لخديك تلبس الزردا
ريقته الشهد والدليل على * ذلك نمل بخده صعدا

وما أحسن قول ابن معد القيرواني فيه

أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد من وجنتيك أطلا
فكأن العذار خاف على الور * د ذبولا فمد بالشعر ظلا

وللامير سيف الدين المشد أيضا

يا من عذاره وأصداغه * حدائق همت بأزهارها لو لم يكن خدك لي كعبة * لما تعلقت بأستارها

تركت لساقي الريح بانة عرعرا
وزرت لصافي الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج بعبد الراح زنها
مشعشعة قد شاهدت عهد قيصرا
فأوسعني آساو وردا ونرجسا
وأسمعني نايا وطبلا ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها
وألفيت هتك الستر كنزا ومفخرا
كأني الصباح جريا الى حومة الصبا
أناغي صباء من جليد هو تمرا
فعانقته والراح قد أعبقت بنا
وكررت تقبيلا وقد أقبل الكرا
وصد عن العين النعاس وصدني
الى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل بغيتي
فطارت بها عني الشمول تطيرا
وكان الذي لولا الحياء ذعته
ولا عيش يصفو للفتى ان تسترا
(وذكر) القاضي أبو علي التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني أبو طاهر عبد العزيز بن حامد الواسطي الملقب سيدوك قال كنت بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب فرمى الي بنارنجة نصفها أخضر ونصفها أصفر وقال قل في هذه شيأ فارتجلت
وطيبة النشر مسكية
مرصعة بالصبابا الطياب

ولابى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضا

ومهفهف قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسدا فسلوا من قفاه لسانه

ولبعضهم أتتنى تؤنبنى بالبكا * فأهلا بها وبتأنيبها * تقول وفى قولها حشمة

أتبكى بعين ترانى بها * فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

ولابن الخازن أيضا لوفاخرت ذات العماد بيوتها * عادت مقوضة بغير عماد

لا تكذبن فما الما دار ادا * أنصفتنى الاصحم فؤادى

فلذاك لا تسقى السحائب أرضها * الا يزدن حرارة الاكباد

ولابن قلاقس فى بركة عليها قبة مذهبة

فسقية نصبت عليها قبة * تزهو بابريزلها متوقد

لولم يكن ملك على أرجائها * ماشرفت بظلة من عسجد

ولابن الساعاتى أيضا لا تعجبن لطالب بلغ المنى * كهلا وأخفق فى الشباب المقبل

فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

ولبعضهم يرثى ابن البواب الكاتب

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سودت الدوى كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

ولصردر فى جارية سوداء علقتها سوداء مصقولة * سواد قلبى صفة فيها

ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها

لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

وبديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا

دعا بك الحسن فاستجيبى * ياسمك فى صبغة وطيب تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب

ولا يرعك اسوداد لون * كنقطة الشادن الربيب فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وقد أخذه ابن قلاقس فقال

رب سوداء وهى بيضاء معنى * نافس المسك فى اسمها الكافور

مثل حب العيون تحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

والاصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبى

وسموه مع القربى غريبا * كنور العين سموه سوادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله

أنا مرآة فان أبصرتم * حسنا أنتم بهاذاك الحسن

أوتروا ماليس يرضيكم فقد * صدئت اذلم تروها من زمن

وفى معناه قول ابن اللبانة

زادوا الجفاء فانتقصت مودة * ومن الزيادة موجب النقصان

أنا مثل مرآة صقيل صفحها * ألقى الوجوه بمثل ما تلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى

وعدت جميلا فأخلفته * وذلك بالحر لا يجمل

وقلت بأنك لى ناصر * اذا قابل الجحفل الجحفل

وكم قد نصرتك فى كرة * تكسر فيها القنا الذبل

فاصفر فى لون شمس المسا

وأخضر فى لون قوس السحاب

فلون كوجنة محبوبه

ولون كآثار نصول الخضاب

فهذا كصفحة خد الحبيب

وذاك كما علا صرف الشراب

(قال) وكنت أنا وأبو الفرج

الببغاء نشاهد بركة ماشت

وجعل فوقها وردوبهار

وشقائق حتى غطى أكثر

الماء وحضر أبو على الهائم

فسأل أبا الفرج أن يعمل

فى ذلك شيأ فعمل بحضرتنا

وأنشد

نجل الورد من جوار البهار

فمشى باحمراره فى اصفرار

وحكى الماء فيهما أحمر اليا

قوت حسنا مرصعا بنضار

جمعا بالكمال فى بركة تم

تع حسنا نواظر الحضار

أضرم الماء بالشقيق بها النا

ر وعهدى بالماء ضد النار

فوجدنا أخلاق سيدنا الزه

ر كما تربى على الازهار

ظلت منه ومن ندماه للان

س نديم الشموس والاقمار

(قال) وكنت بحضرة عضد

الدولة فى مجلس أنس فى

عشية من العشايا فغنى له

من وراء ستارة الخاصة

صوت وهو

نحن قوم من قريش

ما هممنا بفرار

وبعده أبيات ركيكة فقال

أتعرفون لمن هذه فقال

أبو عبد الله بن المنجم بلغنى

ولست أمن بفضلى عليك فأعجب بالقول اذ أجمل

كما قاله البازفى عزة * بمحين فاخره البلبل

وقال أراك جليس الملو * ك ومن فوق أيديهم تحمل

وأنت كما علموا صامت * وعن بعض ماقلته تنكل

وأحبس مع انى ناطق * وحالى عندهم مهمل

فقال صدقت ولكنهم * بذا عرفوا أيضا الاكمل

لانى فعلت وماقلت قط * وأنت تقول ولاتفعل

ولابن القيسرانى أيضا هذا الذى سلب العشاق نومهم * أماترى عينه ملأى من الوسن

وللخباز البلدى أيضا ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر

اذا الحبيبان باتا تحت جانبه * غابت أواخره فى آخر السحر

ماذاك الالأن الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل لم يصلب الراووق الا عندما * قطع الطريق على الهموم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشد فى مليح نصرانى

يصبوا الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا

من أجله أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

وما أحسن قول صدر الدين بن الوكيل أيضا

أرقت دم الراووق حلا لانى * رأيت صليبا فوقه وهو مشرك

وزوجت بنت الكرم لابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

وما أحسن قول ابن دانيال فيما نقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه يملك شرطى شفاء المالكين من الاذى والشرط أملك

وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما قديما وهما

بى من الحبش غادة * وصفها ليس يدرك ملك القلب شرطها * وكذا الشرط أملك

رجعنا الى حسن التعليل ولابن سناء الملك فيه

بأبى من ذكره فى الحشا * ضيفى وذكرى فى الحشا ضيفه

لاتحسبونى ناعسا انما * سجدت لما مر بى طيفه

(أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب)

البيت للكميت الشاعر من قصيدة من البسيط أولها

هل للشباب الذى قد فات من طلب * أم ليس غابره الماضى بمنقلب

دع البكاء على مافات مطلبه * فالدهر يأتى بألوان من العجب

والاحلام جمع حلم بالكسر وهو الأناة والعقل والكلب جنون الكلاب المعترى من أكل لحم انسان وشبه جنونها فالمعترى للانسان من عضها أوهو داء لايصبر الانسان معه عن الاكل ساعة واحدة ولا دواء له أنجع من شرب دم ملك (قال ابن الاعرابى) كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لايبرأ منه الا أن يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحيه أرباب العقول الراجحة ملوك وأشراف ومثله قول الحماسى وهو القاسم ابن حنبل المزنى حيث قال بنات مكارم وأساة كلم * دماؤكم من الكلب الشفاء

وقول عبد الله بن الزبير الاسدى فى عبد الله بن زياد

من خير بيت علمناه وأكرمه * كانت دماؤهم تشفى من الكلب

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس

شاهد تسع

أن الشعر للطبيع لله والحن له فقال لى اصنع أبياتا على وزنها وقافيتها ليكون هذا اللحن المليح فى شعر جيد فتباعدت عن المجلس واستدعيت دواة ودرجا وعملت

أيهذا القمر الطالع من دار القمارى

وانثنى من خيلاء الحسن فى أبهى ازار

والذى يجنى ولا يتبع ذنبا باعتذار

أوضح العذر عذارا لك على خلع العذار

أنا من هجرك فى بعد على قرب مزار

(فاستحسنها جدا وأنشد)

نحن قوم نحفظ العهد على بعد المزار

وغير الصب صبا من أكف كالبحار

أبدا نصر للضيف بدور امن نضار

(وبلغنى) عن بعض أهل المجلس انه أمر الستارة بنقل اللحن الى هذا الشعر فنقل وغنى به وبعد هذا تممت أنا أبيات القصيدة وامتدحته بها (قال على ابن ظافر) وبالاسناد المتقدم ذكر صاحب اليتيمة مامعناه أن أبا الحسن السلامى الشاعر دخل على الامير عز الدولة أبى ثعلب فضل الله بن ناصر الدولة

وأبى

وانى من القوم الذين دماؤهم * شفاء لطلاب التراث من الوغم

وقول البحترى مهنئا من افتصد

ليهنك البرء مما كنت تألمه * وليهنك الأجر عقبى صائب الوصب

لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم * فقد أرقت دما يشفى من الكلب

(والشاهد فى البيت) التفريع وهو اثبات حكم لمتعلق أمر بعد اثباته لمتعلق له آخر على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب فهو هنا فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم اسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من الكلب ومن التفريع قول الشريف الرضى

اذا فات شئ سمعه دل أنفه * وان فات عينيه رأى بالمسامع

وقول ابن المعتز أيضا كلامه أخدع من لحظه * ووعده أكذب من طيفه

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع خدع لحظه وبينا هو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه وقوله أيضا يصف ساقى كأس حيث قال

فكأن حمرة لونها من خده * وكأن طيب نسيمها من نشره

حتى اذا صب المزاج تبسمت * عن ثغرها فحسبته من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصنوبرى

ما أخطأت نوناته من صدغه * شيأ ولا ألفاته من قده

وكأنما أقلامه من شعره * وكأنما قرطاسه من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولى فى أبيات

كأن دواته من ريق فيه * تلاق فنشرها أبدا كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر

يا مادح البحر وهو يجهله * مهلا فانى قتلته علما مكسبه مثل قعره بعدا * ورزقه مثل مائه طعما

وذكرت بهذين البيتين قول ابن رشيق فى ذم البحر وركوبه

البحر صعب المرام مر * لا جعلت حاجتى اليه أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

(قال ابن حمديس) اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة فذكر لى بيتى ابن رشيق ثم قال لى أتقدر على اختصار هذا المعنى قلت نعم أقدر على ذلك وأنشدته

لا أركب البحر خوفا * على منه المعاطب طين أنا وهو ماء * والطين فى الماء ذائب

فاستحسن ذلك اذ كان على الحال وأقام عنى أياما ثم اجتمعت به فأنشدنى لنفسه فى المعنى

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه لولا الذى فيه يتلى * ما جاز عندى ركوبه

فانشدته لى فيه وأخضر لولا آية ما ركبته * ولله تصريف القضاء كما شاء

أقول حذارا من ركوب عبابه * أيا رب ان الطين قد ركب الماء

ومن التفريع قول كشاجم

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه

لو حول الله قلبه غنما * ما امتنع الكلب منه فى صوفه

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمى

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله * وكأنما عزماته وسيوفه

من حده قد خلقن من اقباله * متبسم فى الخطب تحسب أنه * تحت العجاج ملثم بفعاله

ومثله قول ابن جابر كريم شكت أموالهم من سماحه * كما قد شكت أعداؤه من سنانه

فلو لم يجمع العداة برمحه * لأغرقهم بحر الندى من بنانه

ابن عبد الله بن حمدان وبين يديه درع كأنما جمعت من عيون الدبى أو غدير غضنت وجهه الصبا فقال له صفها فارتجل

يا رب سابغة حبتنى نعمة * كافأتها بالسوء غير مفند

أضحت تصون عن المنايا مهجتى * وغدوت أبذلها لكل مهند

فاستحسن بديهته وأحسن جائزته (وذكر) ما معناه أن السلامى سافر فى صباه الى الموصل وبه جماعة من الشعراء فلما أنشدهم شعره اتهموه واستصغروا سنه واستعظموه فقال لهم أبو عثمان الخالدى أنا أكفيكم أمره ثم صنع دعوة وجمعهم بها فلما اجتمعوا أخذوا فى سبر صناعته والبحث عن قدر بضاعته فاتفق أن أمطرت السماء مطرا أشبه الثغور فى لونها وبردها وجانس بمنثوره منظوم عقدها فبادر الخالدى فألقى عليه نارنجا كأنه كرات ذهب أو شعل لهب ثم قال يا أصحابنا صفوا هذا فارتجل السلامى

لله در الخالد * ى الاوحد الندب الخطير

أهدى لماء المزن عند * د جوده نار السعير

حتى اذا صدر العتا * ب اليه عن حنق الصدور

وقوله أيضا
يزين منها الخصر لطف ورقة * كرقة معناها ولطف جوابها
وتسمعنا حلو الجواب كأنما * قد امتزجت ألفاظها برضابها

وقوله أيضا
خضبت أناملها فخلنا أنها * مخضوبة من حمرة فى خدّها
ويكون قائم نهدها رمانة * حققت أن الغصن مشبه قدّها

ولأبى جعفر الاندلسى أيضا
وكيف يكون الصبر عنها العاشق * وقد حكمت ألحاظها فى فؤاده
اذا أرسلت سود الغدائر خلتها * صبغن بما فى طرفها من سواده

ومن التفريع أيضا قول العصيدى
رأيته ممتطيا أشهبا * يحمل بازا حل قفازه وطرفه أسبق من طرفه * ولحظه أصيد من بازه

ومنه قول المتنبى على غير هذا النظام
أسير الى اقطاعه فى ثيابه * على طرفه من داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا * وروم العبدّى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام
وقالوا أولاك صف بعض فعله * فقلت لهم من عنده كل ما عندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد
أنعت كلبا أهله فى كدّه * قد سعدت حدودهم بجدّه
وكل خير عندهم من عنده * وكل رفد عندهم من رفده

وأخبث ما سمع فى باب التفريع قول ابن الرومى يهجو رجلا
له سائس ماهر * يجول على متنه ويطعن فى دبره * أفانين من طعنه
بأطول من قرنه * وأغلظ من ذهنه

﴿والكميت﴾ هو ابن زيد الاسدى شاعر مقدّم عالم بلغات العرب خبير بأيامها فصيح من شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها وكان معروفا بالتشيع لبنى هاشم مشهورا بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره (قال ابن قتيبة) وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين حتى ان راوية الكميت قال أنشدت الكميت قول الطرماح
اذا قبضت نفس الطرماح أخلقت * عرى المجد واسترخى عنان القصائد
فقال الكميت أى والله وعنان الخطابة والرواية قال وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة وكان الكميت شيعيا عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لاهل الكوفة والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لاهل الشام فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع سائر الاختلاف الاهواء قال اتفقنا على بغض العامة (وحدّث) محمد بن أنس السلامى الاسدى قال سئل معاذ الهراء من أشعر الناس قال من الجاهليين أم من الاسلاميين قالوا بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الابرص قالوا فمن الاسلاميين قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعى فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت قال ذاك أشعر الاوّلين والآخرين (وحدّث) محمد بن النوفلى قال لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أوّل ما قال الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق فقال له يا أبا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الاسدى قال له صدقت أنت ابن أخى فما حاجتك قال نفث على لسانى فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان قبيحا أمرتنى بستره وكنت أوّل من ستره على فقال له الفرزدق أما عقلك فحسن وانى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك

بعثت اليه بعذره
عن خاطرى أيدى السرور
لا تعـــذلوه فانه
أهدى الخدود الى الثغور
فاعترفوا بفضله وعرفوا عند
ذلك مقدار علمه وعقله
(وأخبرنى) الشيخ الفقيه
أبو الحسن على بن الفضل
المقدسى قال أخبرنى الامام
الحافظ السلفى الاصبهانى
رحمه الله تعالى قال أخبرنى
الرئيس أبو سعد محمد بن
عقيل بن عبد الواحد
الدسكرى فى سنة ست
وتسعين وأربعمائة قال
حدّثنى القاضى التنوخى
قال أصعد أبو الفرج الببغاء
الى سيف الدولة بن حمدان
هو وجماعة من الشعراء
الكبار يمتدحونه فأخرج
يوما خازنه قدحا من ياقوت
أزرق فيه لألاء ماء وتركه
يتشعشع فقال له أبو الفرج
يا مولانا ما رأيت أحسن
من هذا فقال قل فيه شيأ
وهو لك فقال أبو الفرج
فى الحال
كم منة للظلام فى عنق
بجمع شمل وضم معتنق
وكم صباح للراح أسلمنى
من فلق ساطع الى فلق
فعاطنيها بكرا مشعشعة
كأنها صفو أنجم الشفق
فى أزرق كالهواء يخرقه الـ
لحظ وان كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة
حسنا وادقة من زرقة الحدق

فأنشدني ماقلته فأنشدته طربت وماشوقا الى البيض أطرب

فقال لى ففيم تطرب يا ابن أخى فقلت ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب فقال يا ابن أخى فالعب فانك فى أوان اللعب فقلت ولم تلهني دار ولا رسم منزل * ولم يتطربني بنان مخضب

فقال مايطربك يا ابن أخى فقلت

ولا السانحات البارحات عشية * أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب

فقال أجل لم تتطير فقلت

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بنى حوّاء والخير يطلب

فقال من هؤلاء ويحك فقلت

الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابنى أتقرّب

فقال أرحنى ويحك من هؤلاء فقلت

بنى هاشم رهط النبىّ فاننى * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودّة * الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا * مجنا على انى أذمّ وأقصب
وأدمى وأرمى بالعداوة أهلها * وانى لأوذى فيهم وأوّنب

فقال له الفرزدق يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى ومن بقى (وحدّث) ابراهيم بن سعد الاسدى قال سمعت أبى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى من أىّ الناس أنت قلت من العرب قال أعلم فمن أىّ العرب أنت قلت من بنى أسد قال من أسد بن خزيمة قلت نعم قال أهلالىّ أنت قلت نعم قال أتعرف الكميت بن زيد قلت يا رسول الله عمى ومن قبيلتى قال أتحفظ من شعره شيأ قلت نعم قال أنشدنى طربت وماشوقا الى البيض أطرب قال فأنشدته حتى وصلت الى قوله

فمالى الا آل أحمد شيعة * ومالى الا مشعب الحق مشعب

فقال لى اذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له قد غفر الله لك بهذه القصيدة (وحدّث) نصر بن مزاحم المنقرى أنه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النوم ورجل بين يديه ينشده من لقلب متيم مستهام قال فسألت عنه فقيل لى هذا الكميت بن زيد الاسدى قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جزاك الله خيرا وأثنى عليه (وحدّث) محمد بن سهل صاحب الكميت قال دخلت مع الكميت على أبى عبد الله جعفر ابن محمد فى أيام التشريق فقال له جعلت فداك ألا أنشدك فقال انها أيام عظام قال انها فيكم قال هات وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * فيا آخرا أسدى له الغىّ أوّل

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال اللهم اغفر للكميت ماقدّم وما أخر وما أسرّ وما أعلن وأعطه حتى يرضى (وحدّث) صاعد مولى الكميت قال دخلنا على أبى جعفر محمد بن علىّ فأنشده الكميت قصيدته التى أوّلها من لقلب متيم مستهام فأمر له بمال وثياب فقال الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ولكننى أحببتكم للآخرة فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها البركاتها وأما المال فلا أقبله فردّه وقبل الثياب (قال) ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الكميت فشربه ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب فهملت عيناه وقال لا والله لا أقبلها انى لا أحبكم للدنيا وكان خالد بن عبد الله القسرى قد أنشد قصيدة الكميت التى يهجو فيها اليمن وهى التى أوّلها ألا حييت عنا يا مدينا فقال بعلها والله لأقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهنّ نهاية فى الحسن والكمال والادب فروّاهنّ الهاشميات ودسهنّ مع نخاس الى هشام بن عبد الملك فاشتراهنّ جميعا فلما أنس به واستنطقهنّ رأى منهنّ فصاحة وأدبا

مازلت منه منادما كعبا
مذ أسكرتها المدام لم تفق
تختال قبل المزاج فى أزرق الـ
فجر وبعد المزاج فى شفق
أدهشها سكرنا فان يكن الـ
صمت حديثا فذاك عن فرق
تغرق فى أبحر المدام فليس
تنقذها شربنا من الغرق
ونحن باللهو بين مصطبح
يمرح أمنا وبين مغتبق
فلو ترى راحتى وصبغتها
من لونها فى معصفر شرق
لقلت ان الهواء الا طفنى
بالشمس فى قطعة من الافق

فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه اياه (وذكر) أن السرى الرفاء الموصلى دخل على أبى الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة ابن حمدان وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء فأمره أن يصنع مايكتب عليها فصنع بديها

تبين لى سبق الامير الى العلا
ومازال سباقا الى الفضل منعما
فصيرنى بين القيان اذا شدت
وبين نداماه حجابا مكرما
لاظهر من حسن الغناء محللا
وأستر من حسن الوجوه محرّما

(وذكر العميد الباخرزى فى كتاب دمية القصر) أن أبا الحسن أحمد بن على البستى أمره بهاء الدولة أن يعمل مايكتب على تكة

فاستقرأه من القرآن فقرأن واستنشده من الشعر فأنشده قصائد الكميت الهاشميات فقال هشام ويلك من قائل هذا الشعر قال الكميت بن زيد الاسدى قال وفي أى بلد هو قال بالعراق ثم بالكوفة فكتب الى خالد عامله في العراق ابعث الى برأس الكميت بن زيد فلم يشعر الكميت الا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس في الحبس وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط وكان الكميت صديقه فبعث اليه بغلام على بغل وقال له أنت حر ان لحقته والبغل لك وكتب له أما بعد فقد بلغنى ما صرت اليه وهو القتل الا أن يدفع الله عز وجل وأرى لك أن تبعث الى حبي يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضا فاذا دخلت عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فانى أرجو الا يبالك قال فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط الى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكرا وخبر الكميت بالقصة فبعث الى امرأته وقص عليها القصة وقال لها أى ابنة عم ان الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفت عليك ما عرضتك له فألبسته ثيابها وازارها وخمرته وقالت له أقبل وأدبر ففعل فقالت ما أنكر منك شيأ الا يبسا في كتفيك فاخرج على اسم الله تعالى وأخرجت معه جاريتين لها فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له ومشى الفتيان بين يديه الى سكة شبيب بناحية الكناس فمر بمجلس من مجالس بنى تميم فقال بعضهم رجل ورب الكعبة وأمر غلامه فاتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم وأومى اليه بنعله فولى العبد مدبرا وأدخله أبو الوضاح منزله ولما طال على السجان الامر نادى الكميت فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراءك لا أم لك فشق ثوبه ومضى صارخا الى باب خالد وأخبره الخبر فأحضر المرأة فقال لها يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن فاجتمعت بنو أسد عليه وقالوا له ما سبيلك على امرأة منا خدعت فخافهم فخلى سبيلها وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لابى الوضاح انى لمأخوذ وان حائطك لساقط فقال سبحان الله هذا ما لا يكون ان شاء الله تعالى وكان الكميت خبيرا بالزجر فقال له لا بد أن تحولنى فخرج به الى بنى علقمة وكانوا يتشيعون فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب قال المستهل وأقام الكميت مدة متواريا حتى اذا أيقن أن الطلب خف عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه وأخذ الطريق على القطقطانة وكان عالما بالنجوم مهتديا بها فلما صار سحيرا صاح بنا نوموا يا فتيان فنومنا وقام فصلى قال المستهل فرأينا شخصا فتضعضعت له فقال ما لك قلت أرى شخصا مقبلا فنظر اليه فقال هذا ذئب قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرقها ثم أهوينا له باناء فيه ماء فشرب منه فارتحلنا وجعل الذئب يعوى فقال الكميت ماله ويله ألم نطعمه ونسقه وما أعرفنى بما يريد هو يدلنا انا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان فتيامنا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتى جئنا الشأم فتوارى فى بنى أسد وبنى تميم وأرسل الى أشراف قريش وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص فقال يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى هذا الكميت بن زيد لسان مضر وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تخلص اليك والينا قال مره أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال له يا أبا شاكر مكرمة أتتك بها تبلغ الثريا ان اعتقدتها فان علمت انك تفى بها والا كتمتها عنك قال وما هى فأخبره الخبر وقال انه قد مدحكم عامة واياك خاصة بما لم يسمع بمثله فقال على خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول فقال له هشام أجئت لحاجة قال نعم قال هى مقضية الا أن تكون الكميت فقال ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى وما أنا والكميت فقالت أمه والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت قال قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها قال هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولا لم يقل مثله قال قد أمنته وأجزت أمانك له فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا فعقد مجلسا وعنده الابرش الكلبى فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط وامتدحه بقصيدته

الرائية

ابريسم فقال ارتجالا

لم لا آتيه ومضجعى
بين الروادف والخصور
واذا انتسبت فاننى
بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة
بأكف ربات الخدور

(ومن ذلك) ما روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويته بالاسناد المتقدم ورواه لى أيضا جماعة من الاندلسيين متفرقا أن أبا الفضل صاعدا اللغوى دخل على المنصور بن أبى عامر المعافرى كفيل المؤيد هشام بن الحكم بن الناصر الاموى والمتغلب على دولته فأهدى الى المنصور وردة منطبقة فى غير أوانها فقال لصاعد قل فيها شيأ فارتجل

أتتك أبا عامر وردة
يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها راسها

فأفرط المنصور فى استحسانهما فحسده ابن العريف وقال انهما لسواه وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بزيد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات

الرائية ويقال انه قالها ارتجالا وهي قوله قف بالديار وقوف زائر فمضى فيها حتى انتهى الى قوله

ماذا عليك من الوقو * ف بها وانك غير صاغر درجت عليك الغاديا * ت الرايحات من الأعاصر

وفيها يقول فالآن صرت الى أميـ * ـة والامور الى المصائر

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول له اسمع ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشده قوله

سأبكيك للدنيا وللدين انني * رأيت يد المعروف بعدك شلت

أدامت عليكم بالسلام تحية * ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاء شديدا فوثب الحاجب فسكته ثم جاء الكميت الى منزله آمنا فحشدت له المضرية بالهدايا وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم وأمر له هشام بأربعين ألف درهم وكتب الى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وانه لا سلطان له عليهم قال وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيرا وفي رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام وبلغ هشاما دعا به وقال له أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره فقال كلا ولكني انتظرت سكون غضبه قال أحضرنيه الساعة فانه لا جوار لك فقال مسلمة للكميت يا أبا المستهل ان أمير المؤمنين قد أمرني باحضارك قال أتسلمني يا أبا شاكر قال كلا ولكني أحتال لك ثم قال له ان معاوية بن هشام قد مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا فاذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث اليك بنيه يكونون معك في الرواق فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق باجارته قال فاصبح هشام على عادته متطلعا من قصره الى القبر فقال ماهذا فقالوا لعله مستجير بالقبر فقال يجار من كان الا الكميت فانه لا جوار له فقيل فانه الكميت فقال يحضر أعنف احضار فلما دعا به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه فلما نظر هشام اليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات وحظه من الدنيا فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا في من استجار به فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له يا كميت أنت القائل

والا تقولوا غيرها تتعرفوا * نواصيها تردي بنا وهي تشرب

فقال لا والله ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ثم خطب فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فاني كنت أتدهدى في غمرة جهاله وأعوم في بحر غوايه أخنى علي خطلها واستفزني وهلها فتحيرت في الضلاله وتسكعت في الجهاله مهرعا عن الحق جائرا عن القصد أقول الباطل ضلالا وأفوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العمى فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة واصفح عن الزلة واعف عن الجرم ثم قال

كم قال قائلكم لعا * لك عند عثرته لعاثر وغفرتم لذوي الذنو * ب من الاكابر والاصاغر

أبني أمية انكم * أهل الوسائل والاوامر ثقتي لكل ملمة * وعشيرتي دون العشائر

أنتم معادن للخلا * فة كابرا من بعد كابر بالتسعة المتتابعيـ * ـن خلائفا وبخير عاشر

والى القيامة لا تزا * ل لشافع منكم وواتر

وقطع الانشاد وعاد الى خطبته فقال اغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغواية ودلاك في العماية قال الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما قال فقال له ايه يا كميت ألست القائل

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل

الى آل بيت أبي مالك * مناخ هو الارحب الاسهل

نمت بأرحامنا الداخلا * ت من حيث لا ينكر المدخل

ببرة والنضر والمالكيـ * ـن رهط هم الانبل الانبل

وجدنا قريشا قريش البطا * ح على ما بنى الاول الاول

ودس فيها بيتي صاعد

عشوت الى قصر عباسة

وقد جدل النوم حراسها

فقالت أسار على هجعة

فقلت نعم فرمت كاسها

ومدت يديها الى وردة

يحاكي لك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر

فغطت بأكمامها راسها

وقالت خف الله لا تفضحـ

ـن في ابنة عمك عباسها

فوليت منها على غفلة

ولا خنت ناسي ولا ناسها

فسار ابن العريف وعلقها على ظهر كتاب بخط مشرقي وتحيل حتى غبر المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يقم في مكان لي فيه سلطان فلما أصبح طلبه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل به وبهم الى مجلس حفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار عليها لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحتها بركة ماء قد ألقي فيها لؤلؤ مثل الحصباء وفيها حية تسبح فقال لصاعد بلغنا انك تكذب في شعرك وقد وقفنا على حقيقة ذلك وهذا يوم اما أن تسعد فيه عندنا واما أن تشقى وهذا طبق ما أظنه حضر بين

بهم صلح الناس بعد الفسا * دوغيض من الفتق ما رعبلوا

قال له وأنت القائل لا كعبد المليك أو كوليد * أو سليمان بعده أو هشام

من يمت لا يمت فقيدا ومن يحـ * ـي فـلا ذو إل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين

فالآن صرت الى أميـ * ـة والامور الى المصائر والآن صرت بها المصيـ * ـب كمهتد بالامس حائر

يا ابن العقائل للعقا * ئل والجحاجحة الاخائر من عبد شمس والاكا * بر من أميـة فالاكابر

ان الخلافة والالا * ف برغم ذى حسد وواغر دلفا من الشرف التليـ * ـد اليك بالرفد الموافر

فحللت معتلج البطا * ح وحل غيرك بالظواهر

قال إيه فانت القائل فقل لبنى أمية حيث كانوا * وان خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه * وأشبع من بجوركم أجيعا

بمرضى السياسة هاشمى * يكون حيا لأمته ربيعا

فقال لا تثريب يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب قال بماذا قال بقولى الصادق

أورثته الحصان أم هشام * حسبا ثاقبا ووجها نضيرا * وتعاطى به ابن عائشة البد

ر فأمسى له رقيبا نظيرا * وكساه أبو الخلائق مروا * ن سناء المكارم المأثورا

لم تجهم له البطاح ولكن * وجدتها له معانا ودورا

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال هكذا الشعر فليكن يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وكان الى جانبه ثم قال قد رضيت عنك يا كميت فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد على امارة قال قد فعلت وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا شامية وكتب الى خالد أن يخلى سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ففعل وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذى كتب له منها أنه مر يوما وقد تحدث الناس بعزله عن العراق فلما جاز تمثل الكميت وقال أراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه خالد فرجع وقال أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ثم خلى عنه ومضى رواه ابن حبيب (وحدث) السلامى قال كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم فى شئ وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين لا أغمك الله فأخبره هشام بالقصة فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول

أعتبت أم عتبت عليك صدوف * وعتاب مثلك مثلها تشريف * لا تقعدن تلوم نفسك دائبا

فيها وأنت بحبها مشغوف * ان الصريمة لا يقوم بمثلها * الا القوى بها وأنت ضعيف

فقال هشام صدقت والله وقام من مجلسه فدخل اليها ونهضت اليه فاعتنقته وانصرف الكميت فبعث اليه هشام بألف دينار وبعثت اليه بمثلها (وحدث) حبيش بن الكميت قال وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سلامة النفس فأدخلت اليه والكميت حاضر فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها فقال أى والله يا أمير المؤمنين وما أرى أن لها مثيلا فى الدنيا فلا تفوتنك قال فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك فقال الكميت

هى شمس النهار فى الحسن الا * انها فضلت بقتل الطراف * غضة بضة رخيم لعوب

وعثة المتن تخنة الاطراف * زانها دلها وثغر نقى * وحديث مرتل غير جاف

خلقت فوق منية المتمنى * فاقبل النصح يا ابن عبد مناف

قال فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل وأمر له بجائزة سنية (وحدث) ابن قتيبة قال مر الفرزدق

يديه ملك قبلى فصفه حالا
فقال صاعد بديها
أيا عامر هل غير جدواك واكف
وهل غير من يخشاك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة
وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا
عليها فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت
عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا
يظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر
الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها
من الرقش مسموم العرانين راجف
ترى ما تشاء العين فى جنباتها
من الوحش حتى بينهن السلاحف
فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع
وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية من تلك السقائف
سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من
ذهب لم يرها صاعد فقال له
المنصور أجدت الا أنك
لم تصف هذه الجارية فارتجل
وأعجب منها غادة فى سفينة
مكللة تصبو اليها المهاتف

بالكميت وهو ينشد والكميت يومئذ صبى فقال له الفرزدق ياغلام أيسرّك انى أبوك فقال لا ولكن يسرّنى أن تكون أمى فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال مامرّ بى مثلها قط (وقال محمد بن مسلمة) كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وذلك سنة ستين ووفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبد الجبار قال خرجت الجعفرية على خالد القسرى وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم فخرجوا فى التبابين ينادون لبيك جعفر لبيك جعفر وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعا فقال أطعمونى ماء ثم خرج الناس اليهم فاخذوا فجعل يجىء بهم الى المسجد ويؤخذ طنّ قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم احتضنه ويضرب حتى يفعل ثم يحرق فحرقهم جميعا فلما عزل خالد عن العراق وولية يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على رضى الله عنهما فانشده قوله فيه

خرجت لهم تمشى البراح ولم تكن * كمن حصنه فيه الرتاج المضبب

وما خالد يستطعم الماء فاغرا * بعدلك والداعى الى الموت ينعب

قال والجند قيام على رأس يوسف بن عمر وهم يمانية فتعصبوا لخالد فوضعوا انعال سيوفهم فى بطن الكميت فوجؤه بها وقالوا أتنشد الامير ولم تستأمره فلم يزل ينزف الدم حتى مات (وحدّث) المستهل بن الكميت قال حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمى عليه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثا ثم قال يابنىّ وددت أنى لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو

مع العضروط والعسفاء ألقوا * براذعهنّ غير محصنينا

فعممتهنّ قذفا بالفجور والله ماخرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ثم قال يابنىّ انه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحوّلون الى قبور غير قبورهم فلا تدفنى فى الظهر ولكن اذا مت فامض بى الى موضع يقال له مكران فادفنى فيه فدفن فى ذلك الموضع وكان أوّل من دفن فيه وهو مقبرة بنى أسد الى الساعة والله تعالى أعلم

شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم

﴿ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب﴾

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يمدح بها عمر بن الحرث الاصغر ابن الحرث الاعرج ابن الحرث الاكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمى من الحيرة وأوّلها

كلينى لهمّ ياأميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يرعى النجوم بآيب

وصدر أناخ الليل عازب همه * تضاعف فيه الهمّ من كل جانب

علىّ لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

حلفت يمينا غير ذى مثنوية * ولا علم الا حسن ظنّ بصاحب

لئن كان للقبرين قبر بجلق * وقبر بصيداء الذى عند حارب

وللحارث الجفنىّ سيد قومه * ليلتمسن بالجيش دار المحارب

ومنها

فهم يتساقون المنية بينهم * بأيديهم بيض رقاق المضارب

يطير فضاضا بينها كل قونس * ويتبعها منهم فراش الحواجب

وبعده البيت وبعده

تورثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جربن كل التجارب

الى أن قال فيها

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

محلتهم ذات الاله ودينهم * قويم فما يرجون غير العواقب

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

والفلول جمع فلّ وهو الثلم وقراع الكتائب مضاربة الجيوش (والشاهد فيه) تأكيد المدح بما يشبه الذم

اذا راعها موج من الماء تتقى بسكانها ماأنذرته الرواجف

متى كانت الحسناء ربات مركب يقلب فى الكفين منها المجاذف

ولم ترعينى فى البلاد حديقة وشتها أزاهير الربا والزخارف

ولا غرو ان أنشت معاليك روضة تقلبها فى الراحتين الوصائف

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع ورضوى ذرتها من سطاك العواصف

اذا رمت قولا أو طلبت بديهة فكانى لها انى لجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه فى ديوان الندماء (وروى) انه خرج معه يوما الى الزهراء فمدّ المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فرمى به اليه وأشار اليه أن يقول فيه فارتجل

لم أدر قبل ترنجان عبثت به أن الزمرّد أغصان وأوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته ياقوم حتى من الازهار سرّاق

كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق

كأنه قال ولا عيب فى هؤلاء القوم أصلا الا هذا العيب وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضارب وهذا ليس بعيب بل هو نهاية المدح فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم لان قوله غير ان سيوفهم يوهم أن ما يأتى بعده ذم فاذا كان مدحا فقد تأكد المدح (ويروى) أن عروة بن الزبير رضى الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فأخرجه اليه فى سيوف منتضاة فأخذه عروة رضى الله عنه من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بقول النابغة وأنشده البيت ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان

ولا عيب فينا غير ان سماحنا * أضر بنا والبأس من كل جانب
فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

وقول الآخر

ولا عيب فيه غير ما خوف قومه * على نفسه أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومثله قول ابن نباتة المصرى

ولا عيب فيه غير أنى قصدته * فأنستنى الايام أهلا وموطنا

وقول الصفى الحلى

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم

لا عيب فيه سوى مكارمه التى * نسبت لحاتم بخل كل بخيل

وقوله أيضا فى غيره

لا عيب فيه غير أن يمينه * تدع العديم مهنأ بيساره

وما أحسن قول بعضهم أيضا

ولا عيب فى معروفهم غير أنه * يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقول ابن الرومى أيضا

ليس به عيب سوى أنه * لا تقع العين على شبهه

وما أحسن قول ابن الحجاج

أتونى فعابوا من أحب جهالة * وذلك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه * مراض وأن الخصر منه ضعيف

وقول أبى جعفر القرشى

فتى لم تسافر عنه آمال آمل * وليس لها الا اليه إياب
ولا عيب فيه لامرئ غير أنه * تعاب له الدنيا وليس يعاب

وما أبدع قول ابن نباتة يمدح الملك الافضل صاحب حماة من قصيدة

لا عيب فيه سوى عزائم قصرت * عنها الكواكب وهى بعد تحلق

وقوله

ليس فيه عيب سوى ان احسا * نيديه يستعبد الاحرارا

وقوله

لا عيب فيه أدام الله دولته * الا عزائم مجد عندهن شره

وقوله

ولا عيب فيها غير سحر جفونها * وأحبب بها سحارة حين تسحر

وقوله

وتتابع المنن التى ما عيبها * الا رجوع الوصف عنها قاصرا

وبديع قول الآخر أيضا

عيب تلك الخلال ان لم يعوذ * ن بعيب يكون فيهن خالا

وظريف قول بعضهم

ولا عيب فى هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم

وما أحسن قول بعضهم وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح عكس هذا الباب

بيض المطابخ لا تشكو ولائدهم * طبخ القدور ولا غسل المناديل
لا تأكل النار فى مغنى بيوتهم * الا فتائل سرج أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة فى شواهد الايجاز والاطناب

(هو البدر الا انه البحر زاخرا * سوى أنه الضرغام لكنه الوبل)

البيت لبديع الزمان الهمذانى من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستانى أولها

من ليس يقعده عن سودد قدم
ولا تقوم له فى سوأة ساق

(وروى أيضا) قال دخل صاعد اللغوى على بعض أصحابه فى مجلس شراب فملأ الساقى قدحا من ابريق فتكونت قطرة من الراح فى فم الابريق ووقفت ولم تبرح فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال بديها

وقهوة من فم الابريق ساكبة
كدمع مفجوعة بالف مغيار
كأن ابريقنا والراح فى فمه
طير تزقق ياقوتا بمنقار

وقد أخذه من قول الشريف أبى البركات على بن الحسن العلوى

كأن ريح الروض لما أتت
فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر
يحمل ياقوتا بمنقار

(وذكر) ابن بسام أيضا أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر المظفر ابن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها

سماء الدجى ماهذه الحدق النجل * أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ووطره حيث قال

يذكرني قرب العراق وديعة * لدى الله لا يسليه مال ولا أهل

اذا ورد الحجاج وافى رفاقهم * بفوارق دمع هما النجل والسجل

يسائلهم أين ابنه أين داره * الى م انتهى لم لم يعد هل له شغل

أضاقت له حال أطالت له يد * أأخره نقص أقدّمه فضل

يقولون وافى حضرة الملك الذى * له الكنف المأمول والنائل الجزل

وفاضت عليه ديمة خلفية * بها اغوادى عن ولا يتهاء نزل

يذكرهمو بالله ألا صدقتموا * لدىّ أجدّ ما تقولون أم هزل

صبونا للقياك الملوك وانما * بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

ولما بلوناكم تلونا مديحكم * فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو

فدى لك من أبناء دهرك من غدا * فلا قوله علم ولا فعله عدل

أيا ملكا أدنى مناقبه العلا * وأيسر ما فيه السماحة والبذل

وبعده البيت وبعده محاسن يبديها العيان كما ترى * وان نحن حدثنا بها دفع العقل

وهى طويلة وقد مضى طرف منها فى مراعاة النظير والضرغام الاسد والوبل المطر الشديد الضخم القطر ومثله الوابل (والشاهد فيه) أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء فى افادة المراد فالاوّلان استثناآن وقوله لكنه استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لانه استثناء منقطع والا فيه بمعنى لكن ومثله قول ابن قلاقس

هو الثغر الا انه الفجر طالعا * على انه الكافور لكنه البدر

وقول بعضهم أيضا يسعى به البرق الا انه فرس * من فوقه الموت الا انه رجل

وقول السرىّ الرفاء أيضا

أما ترى الثلج قد خاطت أنامله * ثوبا يزرّ على الدنيا بأزرار

نارا ولكنها ليست بمبدية * نورا وماء ولكن ليس بالجارى

وقول التنوخى غصن تأوّد فوق دعص من نقا * ليل تبلج عن صباح مسفر

كالشمس الا انه متنفس * عن مسكه متبسم عن جوهر

وقوله أيضا وجوه كأكباد المحبين رقة * ولكنها يوم الهياج صخور

وقوله وأجاد وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نضار

هواء ولكنه ساكن * وماء ولكنه غير جارى

وما أحسن ما قال بعدهما وهو من بديع التشبيه

كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسعى أو باليسار تدرّع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

وهذا المعنى من قول بعضهم

وبكر شربناها على الورد بكرة * فكانت لنا ورد الى ضحوة الغد

اذا قام مبيض الثياب يديرها * توهمته يسعى بكم مورّد

ولابى القاسم الطبرى

قضيب ولكن مبسم النور ثغرها * وبدر ولكن المحاق بخصرها

ولابن جابر الاندلسى أيضا

ولم ترعينى مثل جنة خدها * ولكن حماها اللحظ بالصارم العضب

فصنع ارتجالا
أندى اسيماء من نديم
ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها
وهى لعمرى من العجائب
كيف تجافى الرقاد عنها
فقلت لا ترقد الكواكب
(وذكر) ابن بسام أيضا انه
كان يوما مع جماعة من الادباء
عند القاضى ابن ذكوان
فجئ بباكورة باقلاء فقال
ابن ذكوان لا ينفرد بها
لا من وصفها فقال ابن شهيد
أنا لها وارتجل
ان لا ليك أحدثت صلفا
فاتخذت من زمرد صدفا
تسكن ضراتها البحور وذى
تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلحف الجبال فاتخذت
من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور فى لطف
حسبك هذا من رمز من
لطفا
حاز ابن ذكوان فى مكارمه
حدود كعب وما به وصفا
قدّم درّ الرياض منتخبا
منه لأفراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب
والقول بهواه كل من ظرفا
وخص فيه شيخ له حسب
فكان حسبى من المنى وكفى
(قال ابن بسام) وحكى أن
جماعة من أصحاب ابن شهيد
قالوا له يا أبا عامر انك لتأتى
بالعجائب وتجاذب بذوائب
الغرائب ولكنك شديد

مورّدة الخدّ بن معسولة اللمى * سوى أنها تفترّ عن لؤلؤ رطب

وما أحسن قول بعضهم في شكوى الزمان

ولي فرس من نسل أعوج سابق :: ولكن على قدر الشعير يحمحم

وأقسم ما قصرت فيما يزيدني * علوا ولكن عند من أتقدم

﴿وبديع الزمان﴾ هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني قال في حقه صاحب اليتيمة هو بديع الزمان ومعجزة همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر ومن لم يلف نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ولم يدرك قرينه في طرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يروا أن أحدا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثل اعجازه وسحره فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم منها حرفا وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه ويسردها سردا وهذه حاله في الكتب الواردة وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرّا الى الاول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ويوشح القصيدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافي الكثيرة فيصل بها الابيات الشريفة ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض القريحة ومسارقة القلم ومسابقة اليد وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع وكان يترجم ما يقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع الى عجائب كثيرة لا تحصى ولطائف يطول أن تستقصى وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص المودة حلو الصداقة مر العداوة فارق همذان سنة ثلاثين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وقد درس على أبي الحسين ابن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها وحسن آثارها ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من نورهم ثم قصد نيسابور فنشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجد يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول فمن ذلك قوله ﴿المقامة السادسة عن أبي الفتح الاسكندري﴾ قال حدثنا عيسى بن هشام قال [illegible] اللباس وليس معي عقد على نقد فخرجت أخترق محالها حتى أحلني الكرخ [illegible] بالسلام [illegible] حياك الله يا أبا زيد من أين أقبلت وأين نزلت ومتى وافيت فهلم الى البيت [illegible] أنا أبو عبيد فقلت لعن الله الشيطان أنسانيك طول العهد كيف أبوك أشاب كعهدي أم شاب بعدي فقال قد نبت الربيع على دمنته فقلت إنا لله ونفسي في سبيل الله ولا حول ولا قوة الا بالله ومددت يد البدار الى الصدار أحتزه أريد تمزيقه فقبض السوادي على خصري بجمعه وقال أنشدتك الله لا مزقته فقلت فهلم الى البيت نصب غداء أو الى السوق نشتري شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب فاستفزته حمة القرم وعطفته عاطفة اللقم وطمع ولم يدر أنه وقع ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقا [illegible] جوانبه مرقا فقلت افرز لابي زيد من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء واختر له من تلك الاطباق

الاعجاب عجابا في منك هازئ لعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسا بهمذ وكان الذي طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا نقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة في وصفه وان كانت محسنة وكان في المجلس باب مخلوع معترض على الارض وليد أحمر مبسوط قد صففت نعال القوم عند حاشيته فقال مسرعا

وقتية كالنجوم حسنا
وكلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض
كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافي عن المعالي
والحذو من دونهم اكليل
فاشتق في أمرها فسيح
كل كثير له قليل
في مجلس زانه التصابي
وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه أسير
تعرض من دونه النصول
يراد منه المقال قسرا
وهو على ذلك لا يقول
[illegible]
يردم تحته [illegible] يسيل
كأن اخفافنا عليه
مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجري
فهي على شطه تقيل
(فعجب) القوم من أمره ثم

وأنضد عليه ورقا من الرقاق وشيأ من ماء السماق ليأكله أبوزيد هنيأ فانحنى الشوّاء بساطوره على زبدة تنوره فجعلها كالكحل سحقا والطين دقا ثم جلس وجلست ومايئس ومايئست حتى استوفيناه فقلت لصاحب الحلوى زن لابى زيد من هذا اللوزينج رطلين فهو أجرى فى الحلوق وأسرى فى العروق وليكن ليلى العمر يومى [illegible] قبل المضغ فوزنه وقعد وقعدت وجرّد وجرّدت حتى استوفيناه ثم قلت يا أبازيد ما أحوجنا الى ماء يشعشع بثلج ليقمع هذه الصارّة ويفثأ هذه اللقم الحارّة اجلس يا أبازيد حتى آتيك بسقاء يجيئنا بشربة ماء وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يرانى أنظر ما يصنع به فلما أبطأت عليه قام السوادى الى حماره فاعتلق الشوّاء بازاره وقال أين ثمن ما أكلت فقال أكلته ضيفا فقال هاك وهاك متى دعوناك زن يا أخا القحبة عشرين والا أكلت ثلاثا وتسعين فجعل السوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ويحل عقده بأسنانه ويقول كم قلت لذلك القريد أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبوزيد وأنشأ يقول

أعمل لرزقك كل آله * لا تقعدنّ بذل حاله وانهض لكل عظيمة * فالمرء يعجز لا محاله

ثم شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى ما كان سببا لهبوب ريح الهمذانى وعلوّ أمره وقرب نجحه وبعد صيته اذ لم يكن فى الحسبان والحساب ان أحدا من الادباء والكتاب ينبرى لمباراته ويجترئ على مجاراته فلما تصدّى الهمذانى لمساجلته وتعرّض للتحكك به وجرت بينهما مكاتبات ومباداهات ومناظرات ومناضلات وأفضى العنان الى العنان وقرع النبع بالنبع وغلب هذا قوم وذاك آخرون وجرى بينهما من الترجيح ما يجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين طار ذكر الهمذانى فى الآفاق وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء وظهرت أمارات الاقبال على أموره وأدرّ الله تعالى له أخلاف الرزق وأركبه أكناف العز وأجاب الخوارزمى رحمه الله تعالى داعى ربه [illegible] فخلا الجوّ للهمذانى وتصرّفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها وجنى ثمرها واستفاد خيرها وميرها ولا بقى ملك ولا أمير ولا رئيس ولا وزير الا استمطر منه بنوء وسرى معه فى ضوء ففاز برغائب النعم وحصل على غرائب القسم وألقى عصاه بهراة واتخذها دار قراره وجمع أسبابه ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الاصل والنصل والطهارة والفضل والقديم والحديث حتى وفق للتوفيق كله وخار الله عزوجل له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى وهو الفاضل الكريم الاصيل الذى لا يزداد اختبارا الا ازداد اختيارا فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره وتعرّف القرة فى عينه والقوة فى ظهره واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة وأثل معيشة صالحة ومروءة ظاهرة وعاش عيشة راضية وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلباه وفارق دنياه فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فى حادى عشرة جمادى الاخيرة وقيل مات مسموما وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه وانه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل وانه نبش فوجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت نوادب الادب وانثلم حد القلم وفقدت عين الفضل قرّتها وجبهة الدهر غرّتها ورثته الافاضل مع الفضائل وبكته المكارم مع الاكارم على انه ما مات من لم يمت ذكره ولقد خلد من بقى على جبهة الايام تطره [illegible] والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ويحييه بروحه وريحانه وأنا أذكر من طرف ملحه ولقط غرره ما هو غذاء القلب ونسيم العيش وقوت النفس ومادّة الانس فاقول ﴿فصل﴾ من رقعة للخوارزمى وهو أوّل ما كاتبه به أنا لقرب دار الاستاذ كما طرب النشوان مالت به الخمر ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ومن الابتهاج لمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ﴿فصل﴾ ورد للخوارزمى كتاب يتقلب فيه على جنب الحرد ويتقلى على جمر الضجر ويتأوّه من خمار الخجل ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لأينا كان فقلت است البائن أعلم والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الظاهرة أصدق وحلبة السباق

خرج من عندهم فمرّ على بعض معارفه من الطوافين وبين يديه زنبيل ماء [illegible] شفا فجعل يدنى [illegible] لجام بغلته وقال لا أتركك حتى تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يحسن فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فثنى رجله ثم قال

هل أبصرت عيناك يا خليلى
قنافذا تباع فى زنبيل
كأنها أنياب بنت الغول
لو نخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل
ليس يرى طى حشا منديل
نقن الصيت المائق الجهول
وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى
ولا طعمتها على شمول

(وأنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى عن أبى قاسم مخلوف بن على القيروانى عن السرقسطى عن الحميدى قال ذكر أبو عامر بن سلمة أن اسحق بن اسمعيل المنادى حضر مجلسا من أهل الادب فدخل عليهم فتى جميل يكنى أبا الوليد وبيده تفاحة غضة فتنافسوا فيها وجعل كل يستهديها فقال لا يستحقها الا صاحبة الامن وصفها فأحسن وصفها فقال المنادى هاتها فأنا زعيم

أشهد والعودان نشط أجد ومتى استزادزدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندى اذا شاء كلما سأله ولن يعدم اذا أراد نقدا يطير فراخه ونقفا يصم صماخه وما كنت أظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتى بعد ما سقيته نقيع الحنظل وأطعمته الخراء بالخردل فان كان الشقاء قد استهواه والجبن قد استغواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو منى على ميعاد وأناله بمرصاد ﴿فصل﴾ حضرته التى هى كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة ﴿فصل﴾ من كتاب الى أبيه للشيخ لذة فى العتب والسب وطيبة فى العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فأنا بين يديه واذا لم يجد من يصونه فأنا زبونه والولد عبد ليس له قيمة والظفر به عزيمة والوالد مولى أحسن أم أساء فليفعل ماشاء ﴿فصل﴾ من رقعة الى خلف سمعت منشدا ينشد

لحى الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى بهذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب ويفاض على نزل ولا يفوض الى شغل ويملا لى وطب ولا يدفع بى خطب هذا والله عيش العجائز والزمن العاجز وماء الرأس أيدك الله كثير الخبوط والضيف كثير التخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه وكأنى بالامير يقول اذا قرئت عليه هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الانعام مالم يره فى المنام فكف عن الآثام ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر عن طريق الشكر وكأنه نسى مورده الا أشبه مولده وانما رفع لحنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذانى لو ترك بجلدته يرقص تحت رعدته ماتربع فى قعدته ولا تجشأ من معدته ولكنه حين لبس الحله وركب البغله وملك الخيل والخول تمنى الدول ورأس اليتيم يحتمل الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقى يحتمل عدلين من الفحم ولا يحتمل رطلين من الشحم ولولا الشعير مانهق الحمير ولو لم تتسع حاله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع ﴿رقعة﴾ له الى مستميح عاوده مرارا وقال له لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالادب عافاك الله مثل الانسان فى الاحسان كمثل الاشجار فى الاثمار سبيله اذا أتى بالحسنه ان يرفه الى سنه وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى وهما فؤادى ويدى أما الفؤاد فيعلق بالوفود وأما اليد فتولع بالجود لكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم ولا قرابة بين الذهب والادب فلم جمعت بينهما والادب لا يمكن ثرده فى قصعة ولا صرفه فى ثمن سلعة ولى مع الادب نادره جهدت فى هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب فلم يقبل وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفذ ودفعت الى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ واحتيج فى البيت الى شئ من الزيت فأنشدت من شعر الكميت ألفا ومائتى بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ولكن ليست تقع فما أصنع فان كنت تحسب اختلافك الى افضالا على فراحتى أن لا تطرق ساحتى وفرجى أن لا تجى والسلام ﴿فصل﴾ ان هذا الدين لذو تبعات الصوم والفطام شديد والحج والمرام بعيد والصلاة والمنام لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد والصبر الحامض والعفاف اليابس والجد الخشن والصدق المر والحق الثقيل والكظم وفى اللقمة العظم ﴿رقعة﴾ ياشبر ماهذا الكبر ويافتر ماهذا الستر ويا قرد ماهذا البرد ويا يأجوج ماهذا الخروج ويا فقاع بكم تباع ويا قرنى متى ترانى ويالقمة الجمل نحن ببابك ويابيضة البقيلة من لنابك ويادبة وياحبه ويامن فوق لمكبه ويامن قرنه الذنبه ويامن خلفه السبه ويادمل ما أوجعك ويا قل لنا حديث معك ان دويت أوذيت والسلام ﴿فصل﴾ اعجوبه ولكنها محبوبه حين تصلى على النبى تنساط وتنزل

بما أردته فيها فأعطاه اياها فقال

مجال العين فى ورد الخدود
يذكر طيب جنات الخلود
وأطيب ماتمنى النفس الف
يجدد وصله بعد الصدود
وآوجة من التفاح تزهو
بطيب النشر والحسن الفريد
فقلت لها أفضحت المسك طيبا
فقالت لى بطيب أبى الوليد

(روى) ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويناه بالاسناد المتقدم قال حدث أبو عبد الله الصفار الصقلى قال كنت سا كنا بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد على فكنت أتمنى لقائه حتى قدم الروم علينا فخرجت فارا بنفسى تاركا لكل ماملكت يدى وقلت أجتمع بأبى على فبرقة شمائله وطيب مشاهدته سيذهب عنى بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الاهل والوطن فجئت القيروان ولم أقدم شيأ على الدخول الى منزله فاستأذنت ودخلت فقام الى وهو ثانى اثنين فأخذ بيدى وجعل يسألنى فأخبرته بأمرى فارتمض وبعد ان تمكن أنسى بمجالسته قال لى يوما ياأبا عبد الله ان ههنا بالقيروان غلاما قد سلب كبدى واستولى هواه على خلدى منذ عشرة أعوام فانهض بنا اليه فان أنت ساعدتنى عليه قدمت

عن قيراط ياهي صبرا ياخبيث اليك يساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاتان تركب الطحان روح ولاجسد وصوت ولاأحد والعود أحمق ومتى فرزندت بابيدق ياأسخف من ناقد على راقد وشر دهرك آخره أياعجبا أيلد الاغتر البهيم وولد آزر ابراهيم

يا أيها العام الذى قد رابنى * أنت الفداء لذكر عام أوّلا

وماأفدى العام لكن الانعام ولاأشكو الايام ولكن اللئام عام أوّل عدنان والعام هذا العريان لنا فى كل أوان أمير علا بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع

تبدلت الاشياء حتى نخلتها * ستبدى غروب الشمس من حيث تطلع

كانت السيادة فى المطابخ فصارت فى المباطخ أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ولئن سمنت أقفيتكم لقد أمحلت أفنيتكم

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن

﴿فصل من كتاب الى ابن فارس﴾ نعم أيد الله تعالى الشيخ انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس ينسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ يقول قد فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأوّلها أم فى المدة المروانية وفى أخبارها لاتكسع الشول بأغبارها أم السنين الحربية

والسيف يغمد فى الطلى * والرمح يركز فى الكلى ومبيت حجر فى الفلا * والحرتان وكربلا

أم البيعة الهاشمية والعشرة راس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول الا النزول أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد فى خلف كجلد الاجرب أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا وكنا نحبها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام تغيرت البلاد ومن عليها أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مافسد الناس انما اطرد القياس ولا أظلمت الايام انما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويمسى المرء الا عن صباح ﴿ومنه﴾ اثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانيه وان لم أكن خراسانى الطينه فانى خراسانى المدينه والمرء من حيث يوجد لامن حيث يولد والانسان من حيث يثبت لامن حيث ينبت فاذا انضافت الى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكاليف فالجرح جبار والجانى حمار ولاجنة ولانار فلتحملنى على هناتى أليس صاحبنا يقول

لا تلمنى على ركاكة عقلى * اذ تيقنت أننى همذانى

﴿فصل﴾ مثل الشيخ فى التماس الخل كمثل المكدى فى التماس الخل تقدم الى الخلال فقال يامنكوح العيال صب قليلا من هذا الخل فى هذا الاناء فقال الخلال قبح الله الكسل هلا التمست بهذا اللفظ العسل ﴿فصل﴾ حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يموحون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبيتا كبيتى ولكن سل عن البخت لاعن البيت ﴿فصل﴾ جرجان وماأدراك ماجرجان أكلة من التين وموتة فى الحين ونظرة الى الثمار وأخرى الى الحفار وخيار اذا رأى الخراسانى نجر التابوت على قده وأسلف الحفار على لحده وعطار يعد الحنوط برسمه وبه للغريب ثلاث فتحات أوّلها لكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت ﴿فصل من رقعة الى وارث﴾ ماللعزاء عن الاعزة رشد كأنه الغى وقد مات الميت فليحيى الحى فاشدد على مالك بالخمس فأنت اليوم غيرك بالامس كان ذلك الشيخ وكيلك تضحك ويبكى لك وسيجم الشيطان عودك فان استملانه رماك بقوم يقولون خير المال متلفه بين الشراب والشباب ومنفقه بين

عندى يد الا بعد لها الا رصاه فقلت سمعا وطاعة وسرت معه حتى جئنا صاغة الجوهريين فاذا غلام كأنه بدر تمام صافى الاديم عطر النسيم كأنما يبسم عن در ويسفر عن بدر قد ركب كافور عارضيه مسك صدغيه على بياض يجرحه الوهم بخاطره ويدميه الطرف بناظره فلما رآنا الغلام علته خجلة سلبت وجه أبى على ماءه فأنشدته قول الصنوبرى

ان من علامة العشاق
اصفرار الوجوه عند التلاقى
واطلاع يكون من غير عى
وولوع بالصمت والاطراق

فقال لى والله ماواجهته قط قبل يومى هذا الاغنى على ولكنى أنست بك وشغلت بعذوبة لفظك مع أنى لم أرو طرفى من وجه القمر ولا متعته بقده الثمر لتنكيسه رأسه عند طلوعى اليه فقلت ولم ينكس رأسه فوالله مارأيت أشبه بالبدر منه خدا وبالغصن قدا ولا بالدر ثغرا ولا بالمسك شعرا فقال ياأبا عبد الله ماأبصرك بمحاسن الغلمان لاسيما من قضضت كف الجمال صفحته وذهبت وجنته وخافت على تفاح خده العيون فوكلت بها الجفون ياأبا عبد الله ينكس رأسه لا فى علقته

الحباب والاحباب والعيش بين القداح والاقداح ولولا الاستعمال ما أريد المال فان أمتهم فاليوم في الشراب وغدا في الطراب واليوم يطرب كس وعدا واحربا من الافلاس يا مولاى هذا المسموع من ابو دس الجاهلية غنوا ويسمونه عاقل فقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم في الآذان زمر وهو غدا في الاثواب جمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار في هذا العمل بضاعه ﴿فصول قصار وألفاظ وأمثال﴾ المرء لا يعرف ببرده كالسيف لا يعرف بغمده الحذق لا يزيد الرزق والدعة لا تحبس السعة ان للتجة حدا وللدار بة ردا ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله الخبرة تواربه لعقل وبه العقل تنا يجذب السيف على الكتاب لا على القلب والراجع في شيئه كالراجع في قيئه وهذه طرف غريرة من شعره في كل فن فمن ذلك قوله من قصيدة في أبي القاسم بن ناصر الدولة

غض جفونك يا ربيـ * ـض فقد فتنت الحور غمزا
واقـني حياءك يا ربيـ * ـح فقد كددت الغصن هزا
وارفق بجفنيك يا غما * م فقد خدشت الورد وخزا
خلع الربيع على الربى * وربوعها خزا وبزا
ومطارفا قد نقشت * فيها يد الامطار طرزا
أسر المطي الى المـدا * م على جنى الورد جزا
ومن ترى الاقطار قـد * أخذت من الامطار عزا
أو ليس عجـز أن نـو * ثك حسنها أوليس عجزا
ست عشر يومها * فمادت البيداء نزا
وكأن أمطار الربيـ * ـع الى ندى كفيك تعزى

وله من أخرى
حبيب لا مرومن ورا بركابه * غيري وعز على أن لم أخرج
أصبحت لا أدرى أأدعو طغمتي * أم يكتنفني أم أصبح يترنحي
قمت لا أدرى أأركب أبرشي * أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي
بسيد لا امرؤا ان خيمتي * لا السماء الى ذراها ألتجي
كانى عيرى ظعنت ومفرشي * كمي وجنح الليل مطرح هودجي

وله من قصيدة في أبي عامر بن عدنان

ليل الصبا ونهاره سكران * حدثان لم يعركهما حدثان
يا زفرة لي لا يكاد أزيزها * يسع الضلوع البك يا همذان
قسما لقد فقد العراق بي امرأ * ليست تجود بمثله البلدان
يا دهران تك لا تحسن تحب من * تصاريف لكل دهر شان
[illegible] * عدن وان رثيسها عدنان

وله من قصيدة في الامير أبي [illegible] هو بمرة

على بن لا أرجح العيس والقنبا * وألبس البيض والظلماء والبلبا
وأترك الخود بعد لا هقبلها * وأهجر الكاس بمر وشربها طربا
[illegible] لا حبس والبوم مطربه * والبرد يسكرني من مسه تعبا
وغانية كقضيب البان منعطفا * اذا تثنت وهلال الشهر منتقبا
تفضل تنثره من أجفانها حببا * دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد عقلت ذيلي تودعني * والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا تزال بها * برق بسو قك لا هونا ولا كثبا

وخده هلالي وطرفه غزالي وفرعه ظلامي وخلقه بابلي وقده قضيبي وردفه كثيبي وخصره ساجي وسره عاجي فكان طرفي شؤبوب كافوره بالعقيق فصرح لك الصدر المشيق حتى بدا عذاره فأبدى من غمه نشاء على فتى أدعه فتوهم ذلك الطاهر الاعراق الطيب الاخلاق أن ذلك مما يضعف قوى محبته ويمحو رسوم مودته فقلت له بحق عليك يا أبا على الا تمت في هذا المعنى شيئا حتى قليلا ثم أنشد

وأسمر اللون عسجدى
كاد يستعر بماء
ضد تحمل العذار عما
كالمهر لا يعرف الحساما
ونكس رأس اذ رأى
كان تحسى احتشاما
وظن أن العذار مما
يزيح عن قلبي الغراما
وما درى انه نبات
أنبت في جسمي السقاما
وهل ترى عارضيه الا
حمائلا حملت حساما
﴿وهذا كما قال ابن المعتز﴾ ومستحسن وصلي جعلت وصله
شعاري فما أبدى [illegible]
[illegible] دار أدارها
حساما صقيلا والعذار حمائله
(قال على بن ظافر) وذكر أن أبا على حسن بن رشيق دخل

يامشرعاللى عــــذبامــوارده * بيناه مبتسم الارجاءاذنضبا
أطلعت لى قراســـعدامنــازله * حتى اذاقلت يجــلوظلمتى غربا
كنت الشبيبة أبهى مادجت درجت * وكنت كالورد أذكى ماأتى ذهبا
استودع الله عينــا تنتحى دفعا * حـــتى تذوب وقلبا يرتمى لهبا
وظاعنا أخذت منه النوى وطرا * من قبل يقضى الهوى من حكمه أربا
غضى عليك قناع الصــبران لنــا * اليك أوبة مشـــتاق ومنقلبا

ومنها

أبى المقام بدار الذل لى كـــرم * وهمة تصـــل التخويد والخببا
وعزمـــة لاتزال الدهر ضــاربة * دون الامير وفوق المشترى طنبا

ومنها

ياسيــد الامراء الغــر فــاملك * الاتمنالك مولا واشـــتهاك أبا
يامن تراه ملوك الارض فوقهم * كمايرون على أبراجها الشـــهبا
لاتكذبن تخير القول أصـــدقه * ولاتهابن فى أمثالها العــــربا
فــالسموءل عهدا والخليل قرى * ولا ابن سعد ندى والشنفرى غلبا
من الامير بعشار اذا اقتســموا * مآثر المجد فيمــا أســــلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيــان يعــثرنى * والمــازنى ولا القيسى منتــدبا
هذا لركــبته أوذا لرهبتـــه * أوذا لرغبتـــــه أوذا اذا طربا

والقصيدة كلها غرر وتقدم شئ منها فى شواهد التفريق وله من قصيدة أخرى ميكالية

اذهب الكاس فعرف الــفجر قد كــاد يلوح * وهو للناس صباح * ولذى الرأى صبوح
لايغـــرنك جسم * صادق الحسن وروح * انمــا نحـــن الى الآ * جال نغدو ونروح
بينمــا أنت صحيح الـــجسم * اذ أنت طريح * فاسقنيها مثل ما يشـــخبه الديك الذبيح

وله من أخرى فى الملك المعظم يمين الدولة محمود بن سبكتكين

تعــالى الله ماشــاء * وزاد الله ايمــانى * أأفريدون فى التاج * أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قد عادت * الينا بسليمــان * أظلت شمس محمود * على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام * عبيدا لابن خاقان * اذا ماركب الفيــل * لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا * على منكب شيطان

وله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا

مالى أرى الحـــزن ذاهبــا دمه * ولا أرى الذل ذائبــا ذهبه * أراحنــا الله منــك يازمنا
أرعن يصطاد صـــقره خربه * يســاغ ســاجانح الجوارح لا * يسكن الا بفاضل سغبه
ياخـــير مافى الانام منقصــدا * والجود والمجد والنهى حقائبه * [illegible] كنا وليس سوى
ذى فتى أوفتوه خطبـــــه * ياصــائدا والعلا فريســته * وناهبا والجمــال منتهبـــه
ياسادتى لاتكن عظامكم * لحضــة الدهر ان يهيج كلبه * فالدهر لونان لايدوم على
حال سريع بالنــاس منقلبه * أتى بشر لم نرتقبه كــذا * أتى بخير وليس نرتقبه

ومحاسنه كثيرة وقد أوردنا منها مافيه مقنع رحمه الله

(نهبت من الاعمار مالوحويته * لهنئت الدنيا بأنـــك خالد)

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الطويل تقدم ذكر مطلعها وطرف منها فى شواهد المقدمة ومنها

قبل البيت

أخو غزوات لاتغب سيوفه * رقابهم الاوسيحان جامد
فلم يبق الا من حماها من الظبا * لمى شفتيها والثدى النواهد
تبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لدينا ملقيات كواسد

على المعز بن باديس يوما وفى يده أترجة كأنها واسطة ذهب أوجذوة لهب فأشار الى وصفها فارتجل

أترجة سبطة الاطراف ناعمة * تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

(وذكر) ابن رشيق فى كتاب الانموذج أن كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا فى الديوان يوما فوقعت بينهم جرادة فوضعها بعضهم فى يده وقال من يصفها فقال عبد الكريم بن ابراهيم النهشلى قد علمتم أنى امرؤ مرقودست بصاحب بديهة فبدرهم يعلى بن ابراهيم الاريسى وهو أصغرهم سنا اذ ذاك فقال

وخيفانة صفراء مسودة القرا * أتتك بلون أسود تحت أصفر
وأجنحة حمر كأن مثالها * تفاصر عن أطراف برد محبر

(وروى) أن الشيخ أبا الحسن على بن عبد الرحمن الصقلى دخل على بعض الرؤساء وبين يديه طبق فيه ملئ وردا أحمر وأبيض فاستدعى منه وصفه فقال بديهيا

ما الورد الذى نسره * يعبق من طيب معانيكا
دماء أعدائك مسفوكة * قد قارنت بيض أياديكا

(وذكر صاحب الدمية

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الاقدام انك فيهم * على القتل موموق كأنك شاكد
وان دما أجريته بك فاخر * وان فؤادا رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد

وبعده البيت وبعده فأنت حسام الملك والله ضارب * وأنت لواء الدين والله عاقد

(والشاهد فيه) الاستتباع وهو المدح بشئ يستتبع المدح بشئ على وجه آخر فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده وفيه وجهان آخران أحدهما انه نهب الاعمار دون الاموال وهذا ينبئ بعلو الهمة كما قال الشاعر

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

والثاني انه لم يكن ظالما في قتلهم اذ لو كان كذلك لما كان لاهل الدنيا سرور بخلوده ومثله قول المتنبي في سيف الدولة

الى كم ترد الرسل عما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فانه مدحه بالشجاعة والعزم في رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع في باقي البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ومن عجيب هنا قول أبي بكر الخوارزمي المستشهد به في التفريع وهو

سمح البديهة ليس يملك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته

ان قاضينا لأعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

ورأيت في اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد وذكر معهما بيتين آخرين في معناهما وان لم يكونا مما نحن فيه وهما

يا قاضيا بات أعمى * عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان * وصمت في يوم عيد

ومن الاستتباع قول زكي الدين بن أبي الاصبع

تخيل ان القرن وافاه سائلا * فقابله طلق الاسرة ذا بشر
ونادى فرند السيف دون نحره * فأحسن ما تهدى اللآلي الى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصري نكتة النحر فقال

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بأمثاله سامي العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد أنعم * وأحسن ما تبدو القلائد في النحر

(أقلب فيه أجفاني كأني * أعد بها على الدهر الذنوبا)

البيت لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يمدح بها علي بن سيار بن مكرم التميمي أولها

ضروب الناس عشاق ضروبا * فأعذرهم أشفهم حبيبا
وما سكني سوى قتل الاعادي * فهل من زورة تشفي القلوبا
تظل الطير منها في حديث * ترد به الصراصر والنعيبا
وقد لبست دماؤهم عليهم * حدادا لم تشق لها جيوبا
أدمنا طعنهم والقتل حتى * خلطنا في عظامهم الكعوبا
كأن خيولنا كانت قديما * تسقى في قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجماجم والتريبا

الى أن قال في وصف الليل

أعزمي طال هذا الليل فانظر * أمنك الصبح يفرق أن يؤوبا
كأن الفجر حب مستزار * يراعي من دجنته رقيبا

الباخرزي) أن الشريف محمد بن علي بن الحسين الهمداني قال دخلت على عمي الرئيس أبي الحسن وقد دخل عليه غلام بخباء بنرجسة فقال لي قل فيه شيئا أصفه به فقلت

ومكحل بالسحر أحور شادن * حيا بنرجسة أوان بكور
فكأنه وكأنها في كفه * بدر يريك التبر في الكافور
وتركبت فوق الزبرجد خلقة * تحكي فتور اللحظ من مخمور

(قال علي بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن ابن بسام في كتاب الذخيرة ان أبا النصر محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي حضر مجلس المعز بن باديس يوما وبالمجلس ساق وسيم قدمت له عذار ورد خده به وعجزت اراحه أن تفعل في الندمان فعل عينيه فأمر المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(قال علي بن ظافر) ذكر ابن خاقان في كتاب قلائد العقيان ما معناه قال حضر الاستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي عند المأمون ابن ذي النون ببعض منتزهاته في يوم طاب

كان

كأن نجومه حلى عليـــه * وقد حذيت قوائمه الجبوبا
كأن الجو قاسى ما أقاسى * فصار سواده فيـه شحوبا
كأن دجاه يجذبها سهادى * فليس تغيب الا أن يغيبا

وبعده البيت وبعده
ومااليـل بأطول من نهـار * يظل بلحظ حسادى مريبا
وماموت بأبغض من حيـاة * أرى لهـم معى فيها نصيبا
عرفت نوائب الحدثان حتى * لوانتسبت لكنت لهـا نقيبا

وهى طويلة وقريب من معنى البيت قول القاضى الفاضل
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل فى عمر العدو تحاسبه

ويضارعه أيضا قول ابن سناء الملك يرثى
أوسعت الدهر فيه عتبا مؤلما * فأجابنى بالبهت والبهتـان
قلبى يحاسبه على اجرامـه * ويعدها بأنامل الخفـقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمى فى وصف عوادة
وكأن عناها اذا انطقت به * تلقى على يدها الشمـال حسابا

وقوله أيضا
اذا ما حكت بالعود رجع لسانها * رأيت لسان العود عن كفها يملى

وقول ابن قلاقس
كأن دموعى اذ تكاثر وقعهـا * تمد على الدنيا بهن المساويا

ولطيف قول ابن الخيمى فى سبحة
وسبحة مسـودة لونها * يحكى سواد القلب والناظر
كأننى وقت اشتغالى بها * أعـد أيامك ياهاجرى

(والشاهد فيه) الادماج وهو أن يضمن كلاما سيق لمعنى مدحا كان أو غيره معنى آخر فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر ومنه قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد اختلت حاله فكتب الى ابن سليمان يقول
أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدم

ففطن ابن سليمان لمراده ووصله واستعمله وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد
ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد فى كل ناد

فادمج الافتخار فى أثناء المدح وانما ألم به من قول يزيد بن محمد المهلبى لابن مدبر حيث قال
ان أكن مهديا لك الشعر انى * لابن بيت تهدى له الاشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى
فخر ابشر من فتى كان أهله * يهادي بهم بالشعر من كان يشعر

وقوله أيضا
ولازال كل رفيع الذرى * يصوغ الجواهر فى المدح لك

ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى
قد نفض العاشقون ماصنع الـهجر بألوانهم على ورقـه

وقول ابن نباتة السعدى
ولابد لى من جهلة فى وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

وقول وجيه الدولة فيه
أفدى الذى زارنى بالسيف مشتملا * ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادا فى العناق له * حتى لبست وشاحا من ذوائبه
وبات أسعدنا حظا بصاحبه * من كان فى الحب أشقانا بصاحبه

وقول العفيف التلمسانى
وأعدلى حديثه فلسمعى * فرط وجد باللؤلؤ المنثور

نسيمه ونمرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقه وثم بركة مملوءة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الطير بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا لاتزال تقذف الماء ولاتفتر وتنظم لآلئ الحباب بعدما تنثر فأمره بوصف ذلك الموضع الذى تخب اليه ركاب القلوب وتوضع فقال بديها
يامنظرا ان نظرت بهجته
ذكرنى حسن جنة الخلد
تراب مسك وجو عنبرة
وغيم ند وطل ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت
فيه اللآلى فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به
يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ
مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا
تمابدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه
ماحازمن شيمة ومن مجد
كأنما جادها وأمطرها
بوابل من يمينه رغد
(وأخبرنى) الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن مروان بن أبى الحجاج بن على القضاعى قال اقترحت على أبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر بن

ثم صف لى ذؤابة منه طالت * ودجت فهى ليلة المهجور

وقول بعض الاندلسيين وحقك لارضيت بذا الانى * جعلت وحقك القسم الجليلا

(ليت عينيه سواء)

قيل ان قائله بشار بن برد وهو من الرمل وقبله خاط لى عمرو قباء وبعده

قلت شعرا ليس يدرى * أمديح أم هجاء

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج فقال له ان فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ففعل الخياط فقال هذا البيت ومثله ما حكاه ميمون بن هرون قال تقدم جعيفر بن الموسوس الى يوسف الاعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شئ كان فى يده من وقف له فدفعه عنه وقضى عليه فقال له أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء فأمسك عنه وأمر برده الى داره فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ثم دعا به فقال له ماذا أردت بدعائك أردت أن يرد الله على من بصرى ما ذهب فقال له والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحى منك انك لأنت المجنون لا أنا أخبرنى كم من أعور رأيته عمى قال كثير قال فهل رأيت أعور صح قط قال لا قال فكيف توهمت على الغلط فضحك منه وصرفه (والشاهد فى البيت) التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين فهنا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه ومن شواهده قول الشاعر فى الحسن ابن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الحقارة ومنه أيضا قول ابن هانئ الاندلسى

لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر

فانه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى

ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

ومن محاسن التوجيه قول الوداعى

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد وهو أسماء الاعلام من رواة الحديث وعلى المعنى الآخر وهو المناسبة بين العين والقرة والكف والصلة والقلب والجبر والسمع والحسن وقول السراج الوراق

يخاف التبر سطوة راحتيه * ولون الخائف المرتاع أصفر * يقصر آل برمك عن نداه

فنعماهم لدى نعماه تكفر * له فضل لنا منه ربيع * وبحر ندى ولا أرضى بجعفر

وقول ابن نباتة المصرى خليلى كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر

وفارقته والطير صافرة به * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ومثله قول مؤلفه وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه وهو

بأبواب الكرام وضعت رحلى * لكى يروى بفيض الجود محلى

ومن أضحى نزيل الجود يحيى * بجعفر فضله السامى المحل

وقوله من قصيدة وهو بحر لا يقاس بفضله * ربيع وكم يحيى اذا جاء جعفر

وقول

حبديس الصقلى الازدى وقد وقف ليودعنى وكنت عازما على سفر أن يصنع لى أبياتا غزلية فى الوداع فصنع فى الحال وقال

ولما رأت طير الفراق نواعبا * وقد هم بالتوديع كل مودع

شكت ما شكا المحزون من غربة النوى * وأبكت لها عينى غزال مروع

ولم أر فى خدر تزر قبلها * من الغيد شمسا فى غمامة برقع

وقد سفرت عن برقع عبرا لاسى * لعينى بها عن وجد قلب مفجع

وأقبل در البحر من فوق نحرها * يصافحه من خدها در مدمعى

فيا رب ان البين أخنت صروفه * على وما لى من معين فكن معى

على قرب عذالى وبعد أحبتى * وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ما معناه قال دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا عذاره فى صفحة خده وكمل حسنه باجتماع الضد مع ضده فكأنه بصر لحظه أبدى

وقول عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيه عذاب مذاب
رأسي بها شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو

أرح ناظري من عابس الوجه يابس * له خلق صعب ووجه مقطب
أقول له اذ أيأستني صفاته * وان قيل اني في المطامع أشعب
متى يظفر الآتي اليك بسؤله * ويغنم من مسعاه قصد ومطلب
ولؤمك سيار وشرك ياسر * ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء في التوجيه في قواعد العلوم قول القاضي شرف الدين المقدسي في شيء من قواعد الفقه وتلطف ما شاء

أعجب الى الزهر لتحظى به * وارم جبال الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر في وقته * من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه في الحديث قول ابن جابر الاندلسي

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت اني بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عيني مرسله * على مديح ذاك الخد موقوف

وقوله أيضا

عارضوا مرسل الظلام بنقل * مسند عن حسان تلك الفروع
عدلوا في رواية الحب جفني * مع جرح الدموع عند الهموع
عنعنوا انقل لوعتي عن دموعي * عن جفوني عن قلبي الموجوع

ومن التوجيه في أسماء السور قول السراج الوراق

كل قلب علي كالصخر مالا * ن وهيهات أن تلين الصخور
مغلق الباب ما تلا سورة الفتح * وقاف من دونه والطور

وقول أبي الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر جائر * فضلت به فضلاؤه الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور في أنعامه الانفال

وقول المولى الناصل علي بن مليك

ألا يا بني الروم القتال فدونكم * فانا نذرنا الحديد الى الحشر
ولا زال آي الفتح تتلو رماحنا * وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات

وزلزلة كادت تهد بعزمها * أقاليم لا يبقى لها أبدا أثر * وواقعة قد صار منها تغابن
على الروم لا تنفك أو يحصل الحشر * لقد سمعوا وقع الحديد فلا ترى * لهم همة نحو القتال ولا كر

وله أيضا في وقعة مصر

قد موعهم في الذاريات ورحهم * في النازعات وكربهم لا يقدر
لا معقلا يلقونه كلا ولا * كهفا ولو لجأوا القاف لا حضروا
شمس السعادة عنهم وقد كورت * وعلى قدرهم وغدا ينفطر
والملك طلقهم طلاقا بائنا * ما دام عصر في الورى يتكرر
لما أبوا تحريم ما قدسنه * وأتى به المزمل المدثر

ومنه في أسماء القراء قول السراج الوراق

يا جواد الله القرى والقرا * آت وفيه من كل نفع وخير

ليلا في شمس وجعل يومه
في الحسن أحسن من أمس
فسأله ابن رزين أن يصنع
فيه فقال بديها

تضاعف وجدي اذ تبدى عذاره
وتم نقصان القلب مني اصطباره
وقد كان ظني أن سيمحق ليله
بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضد ضده اذ وشت به
بعنبره في صفحة الخد ناره
وزاد بجفنيه ذبولا بنرجس
زهافيه لما أتمه جلناره

(واستزاده فقال بديها)

محيت آية النهار فأضحى
بدر تم وكان شمس نهار
كان يغشي العيون نورا الى أن
شغل الله خده بالعذار

(ثم استزاده فقال)

عذار ألم فأبدى لنا
بدائع كنا لها في عمى
ولو لم يجن لهار الظلا
م لم يستبن كوكب في السما

(ثم استزاده فقال)

تمت محاسن وجهه وتكاملت
لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر استنار جماله
في أن تكنفه غمام أزرق

(وأنبأني) العماد أبو حامد
قال ذكر لي صفوة الدين
النابلسي أن الامير أبا
الحسن علي بن منقذ كان
راكبا في جماعة منهم ابن
حيوس فنزلوا بروضة غناء
فيها شقائق وأقحوان

ان مددت العطاء مدّه ورش * ليس هـذا على بالمقصور
دمت لى نافعا كما أنا راج * عاصما لى من بجاة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين على السليمانى

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجـر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان أحدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن ولايته واستقر مكانه أحمد بـال وزنه فقال فيه بعض الشعراء

أيا عمر استعدّ لغير هـذا * فأحمد فى الولاية مطمئن
فتصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومثله قول كمال الدين الشريشى فى قاض عزل اسمه أحمد

يا أحمد الرازى قم صاغرا * عزلت عن أحكامك المسرفه
مافيك الا الوزن والوزن لا * يمنعك الصرف بلا معرفه

ومثله قول ابن عنين فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة

شكى ابن المؤيد من عزله * وذمّ الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تـذم الزما * ن فتظلم أيامه المنصفه
ولا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول بدر الدين الاسعردى فى بعض مدرسى العجم

يقولون ان المجـد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أسا علما ولفظا بمجلس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به وابجـمة * فقالوا لقد تلجى الضرورات للصرف
ولا بدّ من تقطيعه عند قبضـه * فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذولسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت * الى البناء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم خط ولا حظ وشعر ماله * شعر أأنثر فيه ما أم أنظم
كم جهدا أرفع قصتى ويحطها * حظى وأنصب والحوادث تجزم

وبديع قول الشهاب التلعفرى

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع من ذيل الصبا المجرور

وله فى معناه أيضا قل للصبا سرا فان لها شذا * يضحى بما يفضى اليه مذيعا
ياذيلها المجرور عن هضب الحمى الـ * ـمنصوب هات حديثها المرفوعا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور

ان جزت بالميطور مبتهجا به * ونظرت باطن دوحه الممطور
وأرابك الآصال خفق هوائه الـ * ـممدود تحريك الهوى المقصور
سل بانه المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع من ذيل الصبا المجرور

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده

رب من جاه نحونا بالقجور * لا تجره من شر صرف الدهور

فاستحسنوها وقالوا انتظم فيها شعرا وقالوا للامير ابدأ أنت فقال فى الحال

كأن الشقائق والاقحوان
خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك يخجلهن الحياء
وهاتيك يضحكهن السرور

(قال العماد) وذكر لى أن معز الدولة ثمال على بن ظافر يعنى ثمال بن صالح الكلابى صاحب حلب جلس على نهر قويق زمن المد وقد خيم به فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعرى وذكر سرعة بديهته واقتداره على الارتجال فأرسل اليه على البريد فحضر فقال بديها

رأيت قويقا اذ تجاوز حدّه
له زجل فى جريه وضجيج
وكان ثمال جالسا بشفيره
فشبهته بحر الديه خليج

فقال معز الدولة قد زعم الحلبيون ان هـذا ليس بشعرك وكان فيهم ابن سنان الخفاجى فان قلت بديهة أعطيتك جوائزهم ثم نظر الى غرابين على نشز فقال صفهما فقال

ياغرابين أنتما سبب البيـ
ـن فكيف اجتماعكما كان
اغتدوتما فى خلو
فى فراق الاحباب تشتوران
فاحذرا أن تفرقا بين إلفيـ
ـن فما تدريان ما يلقيان

وأضــفه الى المنايا اسريعا * لتراه الممــدود فى المقصور

وظريف قول بعضهم أيضا عرّج بنا نحو طلول الحمى * فلم تزل آهــلة الاربع
حتى نطيل اليوم وقفا على الســاكن أو عطفا على الموضع

وقول أبى الفتح البستى أيضا
عزلت ولم أذنب ولم آت جانيا * وهذا الانصاف الوزير خلاف
حذفت وغيرى مثبت فى مكانه * كأنى نون الجمع حين تضاف

وقوله أيضا وبصير بمعانى الشعر والاعراب جدّا قال لى لما رآنى * طالبا ما لاورفدا
ان مالى يا حبيبى * لازم لا يتعدّى

وقوله أدرجت فى أثناء نسيانكم * حتى كأنى ألف الوصل

وقوله أيضا أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مناظرا فاجتنيت الشهد من شفته
وأورد الحجج المقبول شاهــدها * محققا البرينى فضـــل معرفته
ثم افترقنا عـــلى رأى رضيت به * الرفع من صفتى والنصب من صفته

وما ألطف قول السراج الورّاق
كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى وجوابى ملغى يحاكى الولا * خبر الو أتى به ما أفادا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف
ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواه ثانى لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

(قال الصلاح الصفدى) وهــذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر اذ وقع على القلب لا على أحد الساكنين [illegible] هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له وقد نظم الفقير مؤلف الكتاب بيتين راجيا سلامتهما من هذا الايراد وهما
قلبى من الهجر فى اضطراب * ياساكنا فيه دون ثانى فكيف عاملته بكسر * وما التقى فيه ساكنان

وفى معناه قول شرف الدين القيروانى فى رجل عجز عن افتضاض عرسه ليلة البناء وهو
كم ذكر فى الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين ان الليالى أتت بلحن * لجمعها بين ساكنين

وقول السراج الورّاق ياساكنا قلبى ذكرتك قبــله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن
وجعلته وقفــا عليك وقد غــدا * متحركا بخــلاف قلب الآمن
وبذا جرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وما أحسن قول ابن نباتة المصرى
بكيت وما يجدى البكاء عن العانى * ولكن تشنيت الاحبة أشجانى
كأن زمانى ضاق لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشوّاء أيضا أرسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيى بهما واصفه
نخلت هــذا حية خلفــه * تسـعى وهذا عقرب واقفه
ذا ألف ليست لوصــل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

وللسلمانى أيضا نصبت على التمييز انسان مقلتى * أشاهد قدّا منه نصبا على الظرف
أأخشى فراقا بعدها أو قساوة * وقد جاؤوا الصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه تطمعنى فى الوصل أصداغه * حين ترينى أحرف العطف

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب
يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

(قال على بن ظافر) وكان أبو سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الخفافين على بغلته فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها فمر بالسكة يوما مع أصحابه راجلا فلما رأى الجلود الملقاة نفر ونكص على عقبه فقال له أصحابه ماهذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت بى فهو امس

ما يقاسيه من ألم المشى انه راكب وأن حركته الاختيارية منه هى حركة البغلة الاضطرارية له فكان تغفله وربما أوقعه فى محنة عند من لا يعرفه واقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذيب وأول الثانى جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها
كتائب تجيع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هناك وذيب
جوارح أهليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنابيب

(قال على بن ظافر) وذكر لى بعض أصحابنا ما معناه أن القاضى الموفق محمود

هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكمو وعوائدى

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين وهو أنه مرض فكتب الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندا وتلاف قبل تلافى

أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة ومثله قول جعفر الاديب المصرى وافيت نحوكمو لأرفع مبتدا * شعرى وأنصب خفض عيش أغبرا

حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذى * أو تصرفوا من غير شئ جعفرا

وقول الامير أمين الدين السليمانى

وأنى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

ولابن أبى حجلة قطع الاحبة عادتى من وصلهم * فكأن قلبى بالتواصل ما اغتذى

فاذا سمعت فى النحاة بعاشق * منعوه من صلة له فأنا الذى

وقول الآخر لا تهجروا من لا تعود هجركم * فهو الذى بلبان وصلكمو غذى

ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذى

وقول الآخر لما رأت عيناك أنى كالذى * أبدو فينقصنى السقام الزائد

وافيتنى ووفيت لى بمكارم * فغدا لى صلة وأنت العائد

ولابن أبى حجلة أيضا ومستتر من سناوجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى

كوى القلب منى بلام العذا * ر فعرفنى أنها لام كى

وما ألطف قول محاسن الشواء

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه

فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

وقوله أيضا لنا صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس

أضحت له مثل حيث كف * وددت لو أنها كأمس

ومثله قول أبى محمد الواسطى لنا صديق فيه انقباض * ونحن بالبسط نستلذ

لا يعرف الفتح فى يديه * الا اذا ما أتاه أخذ

فكفه أين حين يعطى * شيأ وبعد العطاء منذ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله

قلت لنحوى اذا عرضا * له باوقات الرضا أعرضا

يا حب لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

وقول ابن يعمور فى المجون ومليح بعلم النحو يحكى * مشكلات له بلفظ وجيز

ما تميزت حسنه قط الا * قام أيرى نصبا على التمييز

وقول ابن الاردخل ومعناه الجيد فى البناء

أيرأنام الليل وهو يقوم * حامى الاهاب كأنه محموم

مغرى بطول الجر الا أنه * مازال مفتوحا به المضموم

وقول السراج الوراق ومجمل بالمال قلت لعله * يندى وظنى فيه ظن مخلف

جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فأجابنى لكنه لا يصرف

وقوله أيضا كم تريد الخباز يرفع رطلى * وأرجى بالنصب مشى أمورى

والى كم شراى بالجر منه * وانصرافى بخاطر مكسور

ابن قادوس دخل على الامير فرج الظهير فعرض عليه دبوس صينى الحديد عديم النظير والنديد لا تحصن منه خودة ولا تثره ولا تقال لضربته عثره تجفل لصولته آساد الحرب اجفال الانعام وتتضاءل لهيبته البيض حتى تعود أوهى من بيض النعام فأمره بوصفه فقال على لسانه ماضر من كنت فى الهيجاء عدته

أن لا يعوج على بيض ولا أسل

اذ لا تحصن منى البيض لابسها

ولا الدروع ولا مستأخر الاجل

(قال على بن ظافر) ودخل أبو خالد بن صغير القيسرانى على الامير تاج الملوك أبى سعيد نورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق وبين يديه بركة فسيحة الفناء صحيحة البناء قد راق ماؤها صفا وجر النسيم عليها مارق من أذياله وضفا فهو تارة يرشف رضابها ويجعد ثيابها وتارة يسبكها مبردا ويحكيها مسردا فأمره بوصفها فقال

أو ما ترى طرب الغدير الى النسيم اذا تحرك

بل لو رأيت الماء يا

هب فى جوانبه لسرك

ومن التوجيه في العروض والنحو قول السباسكوني يمجو عروضيا نحويا

لا تنكروا اما ادّعى فلان من الشعر اذا قال انه شاعر * فالنحو ثم العروض قد شهدا

له على الشعر انه قادر * يقصر ممدوده وينصبه * في الجر نصب الغرمول في الآخر

يريك وهو البسيط دائرة * تجمع بين الطويل والوافر

ومن التوجيه في علم العروض قول نصر الله بن الفقيه المصري

وبقلبي من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل

لم أكن عالما بذاك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

ولابن سارة فيه أيضا

وبي عروضيّ سريع الجفا * وجدي به مثل جفاه طويل

قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل

وللسليماني فيه أيضا

لا تعذلني في العرو * ض وان رأيت القصد جائر

دارت عليّ دوائر * فجهدت في فك الدوائر

ومنه قول الآخر

تقاطع صاحباي على هناة * جرت بعد التصافن والتصافي

ودام الايضمهما مكان * كأنهما معاقبة الزحاف

ومن التوجيه في صناعة الكتابة قول ابن الساعاتي

لله يوم في سيوط وليلة * حلف الزمان بمثلها لا يغلط

بتنا وعمر الليل في غلوائه * وله بنور البدر فرع أشمط

والطل في سلك الغصون كلؤلؤ * رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح يكتب والغمام ينقط

ومنه قول ابن لنكك المصري

قف انظر الى درّ السحاب كأنه * نثار وأحداق القرارات تلقطه

اذا كتبت أيدي الرياح على الثرى * بنور فأيدي الغيم بالقطر تنقطه

وقول أبي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان

أخا الفوارس لو رأيت مواقفي * والخيل من تحت الفوارس تنحط

لقرأت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والأسنة تنقط

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل

اني ركبت وكف الارض كاتبة * على ثيابي سطورا ليس تنكتم

والارض محبرة والحبر من لثق * والطرس ثوبي ويمنى الأشهب القلم

وقول حازم في مقصورته يصف ماء

اذا علا انشيه عوّد ما * جز من النبت الجميم ودحا

ونث الفضة ذوبا وغدا * يخط ما كان الزمان قد محا

وهو مأخوذ من قول أبي اسحق بن خفاجة

وعشيّ أنس أضجعتني نشوة * فيه تمهد مضجعي وتدمّث

خلعت عليّ به الاراكة ظلها * والغصن يصغي والحمام يحدّث

والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقي والغمامة تنفث

ومثله قول ابن قاضي ميله

وجون هزيم الرعد يستنّ ودقه * ترى برقه كالحية الصلّ تطرف

كأني اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف

واذا الصبا هبت عليـ
ـه أتاك في ثوب معترك

(وأخبرني) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسي الحلبي الكاتب قال أخبرني القاضي كمال الدين أبو محمد عبد القاهر بن المهنا التنوخي المعرّي المعروف بخصي البغل قال كنت بحماة فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم أبي الخير فصادفت عنده رجلا يعرف بالسديد فطلبت منه برنية وردمربى فقال لن تراها حتى تقول فيّ شعرا فقلت له أما المدح فلا وأما الهجاء فنعم فقال هات فقلت

أبو الخير أبا الخير
فلا خير ولا مير
ضئيل ناحل الجسم
ولكن كله اير

فقال أصنع في السديد وكان كبير الانف فقلت

كأن سديد الد
ين أنف بس لا غير
تراه بين عينيه
كناقوس على دير

فقال وفيك أيضا فقلت

خذها من خصي البغل
كمثل البرق في السير

(قال علي بن ظافر) دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزاري فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند في صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره

سلم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقى من سوء ما أتكاف

وما أحسن قول ابن عبد الظاهر

مفرد في جماله ان تبدّى * خجلت منه جملة الاقمار

كيف أرجو الوفاء منه وعاملـ * ـت غريما من لحظه ذا انكسار

ذو حواش تلوح من قلم الريـ * ـحان في خده بخل البارى

فيه وجدى محقق وسلوّى * وكلام العذول مثل الغبار

قلسانى في وصفه قلم الشـ * ـرور في المكتوب بالطومار

و بديع قول ابن جابر وذكر الاقلام السبعة

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان

خدّ عليه رقاع الروض قد خلعت * وفي حواشيه للصدغين ريحان

خط الشباب بطومار العذار به * سطر افصاحه للناس فتان

محقق نسخ صبرى في هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان

يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان

أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه * ما مرّ بالبال يوما عنك سلوان

ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له في القلب ديوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات

و بطومار الوفا ينسخ ما * وقع القلب به اذ يجبر ويشم القلب ريحان الرضا * ليس فيه لغبار أثر

فرجائى فيه قد حققه * عادة الجود التى لا تنكر فلكم لى في حواشى مدحه * من رقاع عدّها لا يحصر

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى

يا صاحب الانشاء ما * سواك عنه يخبر عسى بطومار الوفا * توقيع سعدى يزبر

وأجتنى ريحانه * دون غبار يضجر ومن حواشى مجده * أنسخ ما يكرر

ففى محقق الرجا * منك الرقاع تسطر

ولابن مليك فيه أيضا فالخدّ بان الورد فيه محققا * والصدغ فيه مسلسل ريحانه

وما أبدع قوله بعده وان لم يكن مما نحن فيه

والخال حين به تبدّى أسودا * أيقنت أن شقيقه نعمانه

وقوله أيضا وردى خدّ قد ذكا نشره * عليه لما ضاع دار العذار

أقسم بالفضاح من عبرتى * ريحانه ليس عليه غبار

وما أبدع قوله بعده أيضا فاعجب من بارد ريقه * بينهما القلب من الوجد حار

وهذه الابيات من قصيدة بديعة مطلعها

ما كنت أدرى قبل نبت العذار * أن يطلع الريحان في الجلنار

ومن التوجيه في علم الرمل قول البهاء زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل

فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

وقول جمال الدين بن مطروح

حلا ريقه والدرّ فيه منضد * ومن ذا رأى في العذب درّا منضدا

رأيت بخديه بياضا وحمرة * فقلت لى البشرى اجتماع تولدا

ومن التوجيه في علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الاديب المصرى في مليح مهندس وأجاد

وجدنهره وألبسه من جلاله الافاعى رداه وجسمه ردى أوداه لا يمنع من برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر وهو يبكى الثقاف ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك فأمره بصفة شانه فقال بديها على لسانه

أروق كأأروع فان نصفنى
فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى
نقلت الى بلال عن مدافع

(وقال أيضا)

رب يوم له من النقع سحب
ماله غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى
فكأنى في راحة الشمس برق

(وقال فيه)

أنا في الكريهة كالشهاب الساطع
من صفحة تبدو وحد قاطع

فكأنما استعليت تلك وهذه من وصف كف بلال بن مدافع

(وقال أيضا)

انظر لطرد المياه بصفحتى
ولنار حدى كم لها من صال
قد عادشدى في المضايق شيمتى
كبلال بن مدافع بن بلال

(وسأله) صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه
عاج ومن أدهانه شرفاته

يحيط بأشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والصدغ شكل مثلث

وقول ابن النبيه في صبي يشتغل بالهندسة

وبي هندسي الشكل يسبيك لحظه * وخال وخد بالعذار مطرز
ومذ خط بيكار الجمال عذاره * كقوس علمنا أنما الخال مركز

وقول ابن التلميذ أو أبي علي المهندس المصري

تقسم قلبي في محبة معشر * بكل فتى منهم هواي منوط
كأن فؤادي مركز وهم له * محيط وأهوائي اليه خطوط

وظريف قول بعضهم لما انثنى وهو البسيط تبينت * لي منه دائرة لحلقة خاتم
ورأيت في الشكل المدور نقطة * فخلت مركزها بخط قائم

وقول ابن قلاس النحوي ان الرميلي فتى راويه * للطب والفلسفة العاليه
حاز المساحات فأضحى بها * يستنبط الماء بلا ساقيه
كأنما ينزل مخروطه * على عمود قائم الزاويه

وقول هشام بن أحمد الرقشي

قد بينت فيه الطبيعة أنها * ببديع أعمال المهندس باهره
عبثت بجسمه فخطت فوقه * بالمسك قوسا من محيط الدائره

ومنه في علم النجوم قول ابن جابر

يا حسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فأنجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

ومنه في علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبي

وبمهجتي المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في العشاق

ومن التوجيه اللطيف قول ابن نباتة المصري في أسماء منتزهات دمشق

يا حبذا يومي بوادي جلق * ونزهتي مع الغزال الحالي
من أول الجبهة قد قبلته * مرتشفا الآخر الخلخال

ومحاسن التوجيه كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة والله أعلم

(اذا ما تميمي أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب)

البيت لأبي نواس من قصيدة من الطويل يهجو تميما وأسدا ويفتخر بقحطان أولها

ألا حي أطلالا بسيحان فالعذب * الى مرج فالبئر بئر أبي زغب
تمشى بها عفر الظباء كأنها * أخاريد من روم تقمصن في نهب
عليها من الدبران ظل كأنه * هذا الليل ليل غير منصرم النحب
تلاعب أبكار الغمام وتلتقي * الى كل زحلوق زحالقة صعب
منازل كانت من جذام وفرتنا * وتربهما هند فناهيك من ترب

(وبعده البيت وبعده)

تفاخر أبناء الملوك سفاهة * وبولك يجري فوق ساقك والكعب
اذا ابتدر الناس الفعال فخذ عصا * ودع دع بعنزي يا ابن ضالعة الزرب
فنحن ملكنا الارض شرقا ومغربا * وشيخك ماء في الترائب والصلب

كتمت ديباجي الشعر منه بدرها
فوشت به للعين عيوقاته
(وقال فيه)
وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى
تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رأيته
تبشر نا أطرافه بالجواهر
(وقال فيه)
ومشرق يشبه لون الضحى
حسنا ويسري في الدجى الفاحم
وكلما قلب في لمة
أضحكها عن ثغر باسم
(قال) وجلس بمصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك كشمس تحت سحاب النقاب وغصن في أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت ظبي مذعور أفرقه القانص فهرب وتثني تثني غصن ممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الازدي القيرواني
اعرضن لما أن عرضن فان يكن
حذرا فأين تلفت الغزلان
(ثم صنع فقال)

الغزل الذي يرادبه المدح

وهى طويلة (والشاهد فيه) الهزل الذى يراد به الجد فان سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء واذا تأملته فى الحقيقة فهو جد لان تميما يكثرون من أكل الضب ويعيرون به وكان الحيص بيص الشاعر تميميا فقال أبو القاسم بن الفضل أو الرئيس على بن الاعرابى يهجوه

كم تبارى وكم تطوّل طرطو * رك ما فيك شعرة من تميم
فكل الضب واقرض الحنظل الاخـ * ـضر واشرب ما شئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ * ـرى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لابى العتاهية

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا * من بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ما سلم كفك الا من يناولها * ولا عدوّك الا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال

قال ابن أبى الاصبع ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها ومنه قول ابن جابر

تزعم يا ظبى مساواتها * ولست أبدى لك تفنيدا
ان كان ما تزعم عارض لنا * مقلتها واحك لنا الجيدا

وقول ابن دانيال

قل لغصن الاراك ويحك تحكى * قد محبوبتى ولم تخش منى
أنا لولا غفلت عنها فاست * ما تعلمت أنت منها التثنى

وقول ابن نباتة المصرى

سلبت محاسنك الغزال صفاته * حتى تحير كل ظبى فيكا
لك جيده ولحاظه ونفاره * وغدا نظيرقرونه لأبيكا

وقول أبى جعفر الغرناطى

عارض البدر وجنتيها فقلنا * عدّ عن ذا وقل لنا عن محاقك
أوثقتنى بحبها ثم قالت * لى بالله كيف حال وثاقك

ولابن حجة الحموى فيه أيضا

وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشى
يضحكنى للغداء عنده * لكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الاديب الاسطرلابى

لنا صاحب تهوى محل قنائه * ولا يهتدى ضيف محل قنائه
نزلت عليه مرة فأضافنى * ولكن الى الاقصى أتى بغدائه

وقريب من معناه قول بعضهم

نزلت على أبى سعد مغيا * وهيأ عنده فرش المقيل * وقال علىّ بالطباخ حتى
يزيد من البوارد والبقول * فغدانى برائحة الامانى * وعشانى بميعاد جميل

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه

ألا يا رب هب لى منك عمرا * كليلة كل ضيف بات عنده
فكم أعطى كدهن اللوز لفظا * وكم مخض الكلام بغير زبده
وسففنى سفوف الريح منه * ولعقنى لعوق الماء عنده

(أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف)

البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ترثى أخاها الوليد بن طريف من أبيات من الطويل أولها

تنشل نبا ثار سم قبر كأنه * على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا * وسورة مقدام وقلب حصيف

لها ناظر فى ذرى ناضر
كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت انا جيدها
فاى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبى من قانص
ففر وكرر فى الالتفات

(ثم صنع بديها)

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها
لم أشك منه لوعة الاعنات
كملت محاسنها فود البدر أن
يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت
يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت أنا الظبى الفريد وانما
ولى وأوحش نبوة فتلفتا

(قال على بن ظافر) وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثنايا شرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحبته السحائب بما ائتمنت عليه من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره فى زبرجد كرومه والجوّ قد بعث اليه لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونثرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم ومساحبه والبحر يرعد غيظا من عبث الرياح به فسئل وصف ذلك الموضع الذى تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج

ورأيت في تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع وهو

تضمن مجدا عاصميا وسوددا * وهمة مقدام ورأى حصيف

(وبعده البيت وبعده)

فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد في خضراء ذات لفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب واقع * وسمر القنا ينهزنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بألوف
ومازال حتى أزهق الموت نفسه * شجى لعدو أو لجى لضعيف
ألا يا لقومى للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجيف
وللبدر من بين الكواكب قد هوى * وللشمس لما أزمعت لكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الردى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فانني * أرى الموت وقاعا بكل شريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأس الخوارج وأشدهم بأسا وصولة وأشجعهم وكان من بالشماسية لا يأمن طروقه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد فأغروا به الرشيد وقالوا انه يتجافى عنه للرحم والا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب يقول فيه لو وجهت أقل الخدم لقام بأكثر مما تقوم به أنت ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين فلقى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان فيقال ان يزيد جهد عطشا حتى رمى بخاتمه فى فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم انها شدة شديدة فسهلها وقال لاصحابه فداكم أبي وأمى انما هى الخوارج ولها حملة فاثبتوا لهم تحت التراس فاذا انقضت حملتهم فاحملوا فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا وكان كما قال حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ثم حمل عليهم فانكشفوا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فاحتز رأسه وكان الوليد خرج اليهم حين خرج وهو يرتجز ويقول أنا الوليد بن طريف الشارى * قسورة لا يصطلى بنارى * جوركم أخرجنى من دارى فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال لها اغربى غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهى تقول الابيات وكان ذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة ولما انصرف يزيد بالظفر حجب برأى البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه فقال وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسى أو أدخل فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسر وأقبل يصيح مرحبا بالاعرابى حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره ومدحه الشعراء بذلك وكان أحسنهم مدحا مسلم بن الوليد فقال فيه قصيدته التى أولها

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلى
هاج البكاء على العين الطموح هوى * مفرق بين توديع ومرتحل

بحره فألقت اليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

مصر بمدرجة النسيم تحدثت فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه
وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية
وأقام فى أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وجهه
فافتر عن نور بروق ونور
فالروض يسحب حلة من سندس
تزهو بلؤلؤ طله المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت
بسباتك المنظوم والمشذور
والرمل فى حبك النسيم كأنما
أبدى غصون سوالف المحبور
والبحر يرعد متنه فكأنه
درع يشن بعطفى مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا
فى الافق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بنى خليف لم يزل
يثنى المعاطف فى حبير حبور

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الاسكندرى النحوى بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس فى جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المصرى وهو عائد من المكتب ومعه دواته وهو فى تلك الايام قرة العين نظرا وجمالا وراحة القلب قربا

كيف السلو لقلب بات مختبلا * يهذي بصاحب قلب غير مختبل

الى أن يقول فيها

يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

ينال بالرفق ما تعيي الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل

الى أن يقول

والمارق ابن طريف قد دلفت له * بعارض للمنايا مسبل هطل

لو أن غير شريكي أطاف به * فاز الوليد بقدح الناضل الخضل

ما كان جمعهم لما دلفت لهم * الا كمثل جراد ريع منجفل

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السما * كما يبتغي أنفه الاجدع

أضاعك قومك فليطلبوا * اعارة مثل الذي ضيعوا

لو ان السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك أوجفلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

والخابور نهر بين رأس عين والفرات يصب اليه (والشاهد في البيت) تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة وهي هنا التوبيخ فانها تعلم أن الشجر لا يجزع على ابن طريف لكنها تجاهلت واستعملت كأن الدالة على الشك والله أعلم

(ألمع برق سرى أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي)

البيت للبحتري وهو من أول قصيدة من البسيط يمدح بها الفتح بن خاقان وبعده

يا بؤس نفس عليها جد آسفة * وشجو قلب اليها جد مرتاح

يهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبه * مرور غيث من الوسمي سحاح

ويرجع الليل مبيضا اذا ابتسمت * عن أبيض خصر السمط لماح

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة * هي المصافاة بين الماء والراح

أثني عليك بأني لم أجد أحدا * يلحى عليك وماذا يزعم اللاحي

وليلة القصر والصهباء قاصرة * للهو بين أباريق وأقداح

حييت خديك بل حييت من طرب * وردا بورد وتفاحا بتفاح

وهي طويلة ومنها في المخلص

كم نظرة في جبال الشام لو نظرت * روت غليل فؤاد منك ملتاح

والعيس ترمي بأيديها على عجل * في مهمه مثل ظهر الترس رحراح

نهدي الى الفتح والنعمى بذاك له * مدحا يقصر عنه كل مداح

والضاحي الظاهر (والشاهد في البيت) تجاهل العارف للمبالغة في المدح فانه بالغ في مدح ابتسامها بحيث لم يفرق بينه وبين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر

(أقوم آل حصن أم نساء)

هو من الوافر وصدره وما أدري وسوف أخال أدري وقائله زهير بن أبي سلمى من قصيدة طويلة قالها في هجاء بيت من كلب من بني عليم وكان بلغه عنهم شيء وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم فأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جواره وواسوه وكان رجلا مولعا بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة فقمر مرة فردوه عليه ثم قمر أخرى فردوه عليه ثم قمر الثالثة فلم يردوه عليه فترحل عنهم وشكى ما صنع به الى زهير والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديدا فقال القصيدة وأولها

ووصالا كل عين الى وجهه محدقة وللشهد ختنيه بخلوق الخجل محلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط منعكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ء لعاشق يرجى لديه
فسما حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني ألكع سيبويه
مالي اذا قابلتـ * ـه شغل سوى نظري اليه

(وأخبرني) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي اليحصبي القرموني بدمشق قال اصطحبت أنا والوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبي الحسن بن عبد ربه حفيد صاحب كتاب العقد في مركب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر حتى أشرفنا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذا الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا في السلامة فقال لي لا بد أن أعمل في المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذا الحال الذي نحن فيه فقال نعم فقلت فاصنع فأطرق ثم عمل

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق

عفا من آل فاطمة الجواء * فيمن فالقوادم فالحساء
فذو هاش فميث عريتنات * عفتها الريح بعدك والسماء
فلما ان تحمل آل ليلى * جرت بيني وبينهم وظباء
جرت سنحا فقلت لها أخبريني * نوى مشمولة فمتى اللقاء
كأن أوابد الثيران فيها * هجائن فى مغابنها الطلاء
لقد طالبتها ولكل شئ * اذا طالت لجاجته انتهاء
وقد أغدو على شرب كرام * نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح وراووق ومسك * تعل به جلودهم وماء
أمشي بين قتلى قد أصيبت * دماؤهم ولم تقطر دماء
يجرون البرود وقد تمشت * حميا الكأس فيهم والغناء
وبعده البيت وبعده فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

وكان زهير يقول ما خرجت قط فى ليلة ظلماء الا خفت أن يصيبني الله عز وجل بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف للمبالغة فى الذم وفيه دلالة على ان لفظ القوم لا يطلق الا على الرجال خاصة

(بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر)

البيت من قصيدة من البسيط واختلف فى نسبته فنسب للمجنون ولذى الرمة وللعرجي وللحسين ابن عبد الله الغزى ونسبه الباخرزى فى دمية القصر لبدوى اسمه كامل الثقفى والاكثرون على أنه للعرجي وأول قصيدة كامل الثقفى

انسانة الحي أم أدمانة السمر * بالنهي رقصها لحن من الوتر
يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤليائكن الضال والسمر

وقال ابن داود فى الزهرة قال بعض الاعراب

يا سرحة الحي أين الروح واكبدى * لهفا لذوب وبيت الله من حسر
ما أنت عجماء عما قد سئلت فما * بال المنازل لم تنطق ولم تحر
يا قاتل الله غادات فرعن لنا * حب القلوب بما استودعن من حور
عنت لنا وعيون من براقعها * مكنونة مقل الغزلان والبقر

وبعده يا ما أميلح البيت والقاع أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام وتجمع على قيع وقيعة وأقواع وأقوع والبشر الانسان ذكرا كان أو أنثى واحدا أو جمعا وقد يثنى وقد يجمع (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف التدله فى الحب وهو التحير والدهش ومنه قول ذى الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

وما ألطف قول المتنبي أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقول القاضى الفاضل يمدح الملك العادل أبا بكر بن أيوب رحمه الله تعالى

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وأنت فى الارض أم فوق السماء وفى * يمينك البحر أم فى وجهك القمر

وقوله أيضا فيه وأجاد

أهذى كفه أم غوث غيث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه * وهذا بشره أم لمع برق
ومن للبرق فينا بالاقامه * وهذا الجيش أم صرف الليالي * ولا بلغت حوادثها زحامه

من شامخ الانف فى حرنينه شمم
كأنه باهت فى دارة الافق
يكسر الموج منه جانبي رجل
مشمر الذيل لا ينجو من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن
ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته
كوقع النوم من أجفان ذى أرق
تهوى اليه وعنه الفلك طائرة
بمثل أجنحة صبغت من الخرق
كأنه وعليه الفلك حائمة
برج الحمام فمن آت ومنطلق
(وأخبرنى) القاضى الاسعد قال أمرنى الملك العزيز رحمه الله تعالى أن أصنع له فى فرس أشهب قطعة أشبهه فيها بالقمر فى لونه وسرعته وقال رحمه الله ان الناس شبهوه بالشهاب والقمر أسرع فصنعت فى الحال
وأشهب يقطع عرض الارض فى لمح البصر
ما مثله فى لونه وجريه الا القمر
(وأخبرنى) القاضى الاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث قال اجتمعنا ليلة عند القاضى محيي الدين ولد قاضى القضاة صدر الدين بن درباس رحمه الله تعالى فتذاكرنا البديهة فاقترح

وهـذا الدهر أم عبد لديه * يصرّف عن عزيمته زمامه * وهذا نصل غمد أم هلال

اذا أمسى كنون أم قلامه * وهـذا الترب أم خد لثمنا * وآثار الشفاه عليه شامه

وقوله أيضا
واذاقلت أين دارى وقالوا * هى هذى أقول أين زمانى

وقول مهيار الديلمى

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى * وعلمت غصـن البان أن يتميلا

وقول ابن نباتة السعدى

فوالله ما أدرى أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانئ الاندلسى فى المعز لدين الله بانى القاهرة

ابنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكثر

من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

يحكى أنه لما أنشدها ترجل العسكر كله ولم يبق راكب سوى المعز فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره وما أجود قول التهامى يشكو السهر

قصرت جفونى أم تباعد بينها * أم مقلتى خلقت بلا أشفار

وما أبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدّس الله سرّه

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم فى ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

وما أحسن قول الباخرزى

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيتـه من حاضر أو بادى

أنا فى فؤادك فارم لحظك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وفى معناه قول المولى الفاضل ابن مليك يرثى ولده

يا مكان الفؤاد أين فؤادى * أتراه منهـم على ميعادى

وقول العميد أبى سهل محمد بن الحسن

يا دهرنا أينا أشجى بينهـم * أأنت أم أنا أم ربا أم الدار * ياليت شعرى ما ألوى بجدّتها

هوج الرياح وصوب الغيث مدرار * أم صوب دمعى وأنفاسى فهنّ لها * بعد الاحبة أرواح وأمطار

وقول ابن المنير الطرابلسى

من ركب البدر فى صدر الردينى * وموّه السحر فى حدّ اليمانى * وأنزل النير الأعلى الى فلك

مـداره فى القباء الخسروانى * طرف رنا أم قراب سلّ صارمه * وأغيد ماس أم أعطاف خطى

وقول أبى نصر سعيد بن الشاه

أظاعن أم مقيم أنت يا خلدى * فاننى أوّل الغادين بعد غـد

وما أحسن ما قال بعده أيضا

غـدا أودّع قوما أودعوا كبدى * نارا وعهدى بهم بردا على الكبد

أبدى التجلـد أحيانا فينهـزنى * ريق يجف وخد بالدموع ندى

لا أنس يوم تنازعنا حديث نوى * وقولها وهى تبكى خاننى جلدى

فـدمعها برد فوق العقيق جرى * وريقـها ضرب قد شـب بالبرد

كنا الى الوصـل قد ملنا فننغصـه * هذا الرحيل الذى ما دار فى خلدى

وقول الوزير أبى سعد منصور بن الحسين الآبى

على أن أصنع له فى شمعة كانت بين أيدينا فصنعت

وأنيسة باتت تساهر مقلتى * تبكى وتبدى فعل صب عاشق

سرقت دموعى والتهاب جوانحى * فغدا لها بالقط قطع السارق

(وأخبرنى) الشريف أبو الفضل جعفر الشاعر المنبوز بالقرطم قال لقيت النفيس أبا العباس أحمد ابن عبد الغنى القطرسى وأنا عائد من الحمام ومعى سطل نحاس أحمر فتربنا بعض الشعراء فسألتهما أن يصنعا شعرا فى صفة السطل فصنع النفيس بديها

أنا كافل للترى ان بخل الحيا * ومهدى الحيا من مراشف اللعس

اذا حملتنى راحة فكأننى * هلال منير حامل كرة الشمس

(قال على بن ظافر) دخلت مع جماعة من أصحابنا على صديق لنا نعوده وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملا بالمحاسن عيون النظار فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقلت بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد

أيا ربع علوة بالمنحنى * أأنت بها مغرم أم أنا ويا طلل الحى ما بالنا * لبست البلى ولبست الضنى
وما أحسن قوله بعدهما أيضا أناشدك الله فى قربنا * وأنى ومن أين لى قربنا
بشرقى سلمى لنا منزل * رفيع القواعد عالى البنا
أتتنى فقالت لأترابها * لنعم الفتى ان ثوى عندنا
فقلت لها أين مغناكم * ونحن بحذوى فقالت هنا
ولكن من دوننا باسلا * يغار علينا اذا زرتنا
فشاور اذا جئت جنح الظلا * م فاما علينا واما لنا
فلما امتطيت اليها الدجى * دفعت الى تربها موهنا
فقامت تجر فضول الردا * وتسفر للوصل ما بيننا
تبعت الى خدرها تربها * فصدت وقد رابها أمرنا
وقالت أترضى بغير الرضا * بكونك يا ضيفنا ضيفنا
ومن العجب هنا قول بعضهم أقول له علام تميل عجبا * على ضعفى وقدك مستقيم
فقال تقول عنى فى ميل * فقلت له كذا نقل النسيم
ومن ظريف ما سمع فيه قول الصورى
بالذى ألهم تعذيـ ـبى ثناياك العذابا والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا
والذى ألبس خديـ ـك من الورد نقابا ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا
ولاحمد بن حديس أبروق تلألأت أم ثغور * وليال دجت لنا أم شعور
وغصون تأودت أم قدود * حاملات رمانهن الصدور
ولابن شمس الخلافة أشعرك أم ليل ووجهك أم قمر * ونشرك أم مسك وثغرك أم درر
وخدك أم ورد وريقك أم طلى * وجسمك أم ماء وقلبك أم حجر
شككنا على علم ومن غلب الهوى * على قلبه غطى على السمع والبصر
(ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه)
ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب * وما أراه بروض الخد ورد ربا
أم جنة بدم العشاق تختضب * وفى لحاظك سحر يستطال به * على القلوب أم المسنونة القضب
(ومن مجونه فيه قول بعضهم)
ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا * أم الكاس أم دينى أرق وأضعف
وهو من قول الآخر اسقنى خمرة كرقة دينى * أو كعقلى ولا أقول كحالى
خيفة من توهم الناس أنى * قلت هذا فى معرض لسؤال
ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى
أقول لهم قد رق عيشى والصبا * وعقلى وكاساتى وصوت الذى غنى
فقال الذى أهوى وخصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى
(والعرجى) هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وانما لقب بالعرجى لانه كان يسكن عرج الطائف وقيل بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج وكان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل منهم ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به وأجاد وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليل المبالاة بأحد فيهما ولم تكن له نباهة فى أهله وكان أشقر أزرق جميل الوجه وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة

عجبا لامواه الدساتير التى فاضت على نار نجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة رفعت لضرب كرات خالص عسجد
(قال) ومن أعجب ما دهيت به وروميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا العادل خلد الله ملكه بالاسكندرية سنة احدى وسبعمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمه مرتضعون لافاويق النعمه فحضرت مع من حضر للهناء من الفقهاء والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء فى يوم من أيام الجلوس للاحكام والعرض لطوائف الاجناد بالتمام فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فلما غص المجلس بأهله وشرق بجمع الناس وحفله وخرج مولانا السلطان خلد الله ملكه الى محله واستقر فى دسته أخرج كتابا ناوله الى الصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض

وباع أموالا عظيمة وأطعم منها في سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان فاذا نام أحدهما قام الآخر فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول لعل طارقا يطرق (وحدّث) مصعب قال كانت حبشية من مولدات مكة المشرّفة ظريفة صارت الى المدينة المنورة فلما بلغها موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جزعها وجعلت تقول من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن فقيل لها خفضي عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه فقالت أنشدوني من شعره شيأ فأنشدوها فقالت الحمد لله الذي لم يضيع حرمه ومسحت عينيها وقال مسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكرنا قول العرجي

أين ماقلت متّ قبلك أينا * أين تصديق ماعهدت الينا
فلقد خفت منك أن تصرمي الحبل وان تجمعي مع الصرم بينا
ماتقولين في فتى هام اذها * مجن لايبال جهلا ومينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلا * لاتحيفي ولايحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهودا * وبينا فأحضري شاهدينا
خلتي لوقدرت منك على ما * قلت لي في الخلاء حين التقينا
ماتحرجت من دمي علم الله ولو كنت قد شهدت حنينا

قال فقال أيوب لأشعب ماتظن انها وعدته قال أخبرك يقينا لاظنا وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف الصلاة فعرض لها عارض شغل فقطعها عن موعده قال فمن كان الشاهدان قال كسير وعوير وكل غير خير فندأبو زيد مولى عائشة بنت سعد وزرّ العذق مولى الانصار قال فمن الحكم العدل قال حصين بن غرير الحميري قال فما حكم به قال أدّت اليه حقه فسقطت المؤنة عنه قال ياأشعب لقد أحكمت صناعتك قال سل علامة عن علمه (وحدّث) محمد بن مخارق قال واعد العرجي ذات هوى له الى شعب من شعاب عرج الطائف اذا نزل رجالها يوم الجمعة الى مسجد الطائف فجاءت على أتان لها معها جارية لها وجاء هو على حمار له ومعه غلام له فواقع هو المرأة وواقع الغلام الجارية ونزا الحمار على الأتان فقال العرجي هذا يوم قد غاب عذاله (وحدّث) الزهري وغيره أن العرجي خرج الى جنبات الطائف يوما متنزها فمرّ ببطن النقيع فنظر الى أم الاوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي وكان يتعرض لها فاذا رآها رمت نفسها وتسترت منه وهي امرأة من بني تميم فبصر بها في نسوة جالسة وهن يتحدّثن فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب فعدل عنها ولقي أعرابيا من بني نصر على بكر له ومعه وطبان من لبن فدفع اليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل فمرّ على النسوة فصحن به ياأعرابي أمعك لبن قال نعم فمال اليهن وجعل يتأمل أم الاوقص وتواثب من معها الى اللبن وجعل العرجي يلحظها وينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب شيأ وهن يشربن اللبن فقالت امرأة منهن أي شئ تطلب ياأعرابي في الارض أضاع منك شئ قال نعم قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه وكان أزرق فعرفته فقالت العرجي ورب الكعبة ووثبت وسترها نساؤها وقلن له انصرف عنا لاحاجة بنا الى لبنك فمضى منصرفا وقال في ذلك

أقول لصاحبي ومثل مابي * شكاه المرء ذو الوجد الاليم * الى الاخوين مثلهما اذا ما
تأوّبه مؤرقة الهموم * لحيني والبلاء لقيت ظهرا * بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأت عيناي منها * أسيل الخدّ في خلق عظيم * وعيني جؤذر خشف وثغرا
كلون الاقحوان وجيد ريم * حنا أترابها دوني عليها * حنوّ العائدات على السقيم

(وحدّث) مصعب بن عبد الله عن أبيه قال أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعدما رقد الناس فأشرفت عليه فقال سهرت وذكرت أخا لي استمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق وتناشدنا وتحدّثنا فمضينا فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي وهما

الختام مفكوك الفدام فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم أبقاه الله كتبها اليه يتشوّقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحث عود ركابه الى الشام لشاغرة بها وقع عدوّها ويعرّض بذكر مصر وشدّة حرّها ووقد جمرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغور ثم رجع

اروي رماحك من دماء عداكا
وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالي شزبا
واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميذع
يفري بعزمك كل من يشناكا
واستزعف السمر اللدان وروّها
واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا
بالضرب في هام العدوّ دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها
مشتاقة أن تبتني بعلاكا
فالعز في نصب الخيام على العدا
تردي الطغاة وترفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التي
قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع
واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر في الاعداء يوم كريهة
أحلى من الكاس الذي روّاكا

بأبا بأنم لبلة حتى بدا * صبح تلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال أعده على فأعدته فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته قال فلقينا عبدالله بن حسن فلما صرنا اليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب فقال له فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر
فالتفت الى وقال متى أنكرت صاحبك فقلت منذ الليلة فقال انا لله وأى كهل أصيبت به قريش ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة فسلم عليه ثم قال له كيف أنت يا أبا السائب فقال (فتلازما عند الفراق صبابة) وذكر البيت فالتفت الى وقال متى أنكرت صاحبك فقلت كما قلت آنفا فلما أراد المضى قلت أفتدعه هكذا والله لا آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق قال صدقت يا غلام قيده بقيد البغلة فوضعه فى رجليه وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى انه يفهم عنه قصته ثم نزل الشيخ وقال لغلامه احمله على بغلتى وألحقه بأهله فلما كان بحيث علمت انه قد فاته أخبرته بخبره فقال قبحك الله ما جنا فضحت شيخا من مشايخ قريش وغررتنى وكان العرجى يشبب بجيداء وهى أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما فكان محمد بن هشام يقول لامه أنت غضضت منى لانك أمى وأهلكتنى وقتلتنى فتقول له ويحك وكيف ذلك فيقول لو كانت أمى من قريش ما ولى الخلافة غيرى وكان العرجى فى خلال ذلك يهجو محمد بن هشام فلم يزل مضطغنا عليه متطلبا سبيلا عليه حتى وجده فيه فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البلس ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان فمكث فى حبسه نحوا من تسع سنين حتى مات فيه (وروى) أن السبب فى حبس محمد بن هشام العرجى انه لاحى مولى لامه فأمضه العرجى فأجابه المولى بمثل ما قاله له فأمهله حتى اذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه فى منزله فأخذه فأوثقه كتافا ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ثم قتله وأحرقه بالنار فاستعدت امرأة المولى عليه محمد بن هشام فحبسه وقيل ان العرجى كان وكل بحرمه مولى له يقوم مقامه بامورهن فبلغه أنه يختلف اليهن فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن فقتله وأحرقه بالنار فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومى وكان واليا على مكة المشرفة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فضربه وأقامه على البلس وسجنه (وروى) أن أشعب كان حاضرا العرجى وهو يشتم مولاه هذا وأنه طال شتمه اياه فلما أكثر رد المولى عليه فاختلط العرجى من ذلك وقال لاشعب اشهد على ما سمعت فقال أشعب على م أشهد وقد شتمته ألف شتمة وشتمك واحدة والله لو ان أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيأ ولما أخذ العرجى أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى وكان صديقه وخليطه فجلدا وصب الزيت على رؤسهما وأقيما على البلس بمكة فجعل العرجى ينشد

سينصرنا الخليفة بعد ربى * ويغضب حين يخبر عن مساقى * على عباءة بلقاء ليست
مع البلوى تغيب نصف ساقى * وتغضب لى بأجمعها قصى * قطين البيت والدمث الرقاق

ثم يصيح يا عزير أجيادا يعنى به الحصين بن غرير المجاور معه فيقول له ألا تدعنا ألا ترى ما نحن فيه من البلاء (ومر) رجل على العرجى وهو واقف على البلس هو ورفيقه والناس مجتمعون ينظرون اليهما وكان الرجل صديقا للعرجى وكان فأفاء فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له فلجلج لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء فقال ابن غرير لا فرجت من فيك أبدا فقال له الرجل فكأنك اذا لا برحت منه أبدا (ومر به) صبيان يلتقطون النوى فوقفوا ينظرون اليه فالتفت ابن غرير الى العرجى وقال له ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك ان هؤلاء الصبيان لاهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مد نوى فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون الى والبك وينصرفون بغير شئ فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم وكانت

والعجز أن تمسى بمصر مخيما
وتحل من تلك العراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى
مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة
شغفا ولا حتى البلاد هنا كا
وانهض الى راجى لقاك مسارعا
فمناى من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة
وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم
أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى
ملك الملوك وقارن الاملاكا
فبقيت لى بلمالكى فى غبطة
وجعلت فى كل الامور فداكا
(فلما) تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذوا فى استحسان نظامها وتناسق غريب التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم محكم أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان خلد الله ملكه نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا على عينه وقال يا مولانا ما لملوك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للخلاص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه

وفاة العرجي سنة (بياض بالاصل) ولما ولى الوليد بن زيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشام المخزومي أشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام فقبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن هشام وأشخصا اليه الى الشام ثم دعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت الامن أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال لم تحفظه قال يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشي بالسياط الا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثاره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجههما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا القسري ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم فعذبهم عذابا شديدا وأخذ منهم مالا عظيما حتى لم يبق فيهم موضع للضرب وكان محمد بن هشام مطروحا فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه بها ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعا ومات خالد القسري معهما في يوم واحد وقال الوليد بن يزيد لما حملهما الى يوسف بن عمر هذه الابيات

قد راح نحو العراق مشعلبه * قصاره السجن بعده الخشبه

يركبها صاغرا بلا قتب * ولا خطام وحوله جلبه

فقل لدعجاء ان مررت بها * لن يعجز الله هارب طلبه

قد جعل الله بعد غلبتكم * لنا عليكم بأمره الغلبه

لست لهاشم ولا الى أسد * ولا الى نوفل ولا الحجبه

لكنما أشجع أبوك سل الكلبي * لا ما تزوق الكذبه

(وحدث) اسحق قال غنيت الرشيد يوما في عرض الغناء (أضاعوني وأي فتى أضاعوا) فقال لي ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي فأخبرته بخبره من أوله الى أن مات فرأيته يتغيظ كلما مر منه شئ فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن فلما انقضى الحديث قال لي يا اسحق لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أماثل بني مخزوم الا قتلته بالعرجي وسيأتي خبر هذا الشعر في التضمين ان شاء الله تعالى

(القول بالموجب)

﴿قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي﴾

البيت من الخفيف وبعده

قلت طولت قال لا بل تطولت * وابرمت قال حبل ودادي

والبيتان منسوبان لابن حجاج ولم أرهما في ديوانه ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان لمحمد ابن ابراهيم الاسدي والكاهل الحارك أو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق في الصلب والايادي جمع يد وهي النعمة وفي معنى البيتين قول ابن الخازن

لئن سميت ابراما وثقلا * زيارات بهن رفعت قدري

فما أبرمت الا حبل ودي * وما أثقلت الا ظهر شكري

وقول ابن البغدادي

حببت اليه والعذول يجنبني * عليه فكان العذل رنة حادي

فأبرمت لكن مقلتي سنة الكرى * وطفت ولكن حوله بودادي

(والشاهد فيهما) القول بالموجب ويسمى اسلوب الحكيم وهو على ضربين أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبت تلك الصفة لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا هو القسم المستعمل بين الناس وتظمه الشعراء ومما يستشهد به عليه قول الارجاني

الى وعمد الى دواته فأدارها بين يدي فقال السلطان خلد الله ملكه على مثل هذه الحال قال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى ههنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع غاغاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو منفرد به فقمت وقد فقدت رجلي انخزالا وذهني اختلالا لهيبة المجلس في صدري وكثرة من حضره من المترقبين لي المنتظرين حاول فاقرة الشماتة بي فما هو الا أن جلست حتى ثاب الي خاطري وانثال الشعر على ضمائري فكنت أرى فكري كالبازي الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت في أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاك
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاك
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تنوها بالحزن ازداد كا كا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاك
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ربه * ياه شفتني مثله ريا كا

غالطتني اذ كست جسمي ضني * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا فقال

غالطتني حين حاكى خصرها * جسمي المريض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندي ناظري * ولعمري صدقت لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضا فقال شكوت صبابتي يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندي مثل عيني * لقد صدقت ولكن في السقام

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله تعالى هذا المعنى في عروض قصير فقال

غالطتني حين قالت * والجوى يبدي العظاما أنت عندي مثل عيني * صدقت لكن سقاما

ووقع له في هذا النوع أيضا وهي واقعة حال فقال

طلبت خصما فلازمني * بظالم سفلة معاب وقال ذا في حمى كليب * يصدق لكن من الكلاب

وما أصدق قول ابن أبي حجلة

رؤساؤنا من جاءهم بقصيدة * كانت جوائزهم عليها شكره
واذا طلبت وظيفة من حاكم * فابشر فقد ولاك لكن ظهره

وقوله أيضا شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما ألقاه من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

ولابي عامر الجرجاني فيه

عذيري من شاطر أغضبوه * فجرد لي من هفا فاتكا
وقال أنا الليث يا ابن الحسين * وهل لي رجاء سوى ذلكا

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل

و بي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقرر برق اذ أقول أناله * وكم قالها يوما ولكن لتهديدي

وللسراج الوراق أيضا

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم دهري ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريعة * فأجبتهم بعت الحمار و بعتها

وله أيضا رحمه الله متمارض جعل التغا * شي من خبائثه سبب
ويقول ما أنا طبيب * صدق اللعين وما كذب

وله أيضا وسائل يسأل مني وقد * أنشدت شعرا يشبه الشعري
يقول ان كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا
ما حصلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

وله أيضا لقنته العذر عن ترك حاجتي لو تصور * فقلت أنسيتها والنسيان أمر مقدر
فقال لست بناس * فقلت مولاي أخبر

وله أيضا وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخربنا

وله أيضا قالت جعت لفاقة كسلا * فانهض وتم واداب لهم العائله
فأجبت هل تدري لهم سببا * قالت ولا تدا وهذي الفاصله

ولابن سناء الملك لهفي على عشاقك الطرش * العمي في عشقك لا العمش

قد أعجزت شعراء أهل زماننا
حسنا فلم لا تعجز الاملا كا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله
أن يحتويه من الانام سوا كا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له
من حاجة عندي وأنت هنا كا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها
محمية في جاه طعن قنا كا
يكفي الاعادي حز بأسك
فيهمو
أضعاف ما يكفي الولي ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط
نغورها
فلذا صبرت فديت عن رؤيا كا
أتم البلاد علا عليها قدرها
لاسيما مذ شرفت بخطا كا
طابت وحق لها ولم لا وهي قد
حوت المعلي في الفخار أخا كا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا
حينا وأمنع غيرها سقيا كا
مكني جهاد للعدو ولانني
أغزوه بالرأي السديد درا كا
لولا الرباط وفضله لقصدت بال
سير الحثيث اليك نيل رضا كا
ولئن أتيت الى الشآم فانما
يحثني شوقي الى لقيا كا
اني لأمحضك المحبة جاهدا
وهواي فيما تشتهيه هوا كا
فافخر فقد أصبحت بي
وبيأسك الـ
حامي وكل ممالك يخشا كا
لازلت تقهر من يعادي ملكا
أبدا ومن عاداك كان فدا كا
وأعيش أنظر ابنك الباقي أبا
وتعيش تخدم في السعود أبا كا
(ثم عدت الى مكاني) وقد بيضتها

عاشقك القش ولاغرو أن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

ولشمس الدين محمد التلمسانى اسم حبيبى ومايعانى * قدشغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم
قلت للأهيف الذى فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ماينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى ياغصن أن يستميلك

ولبعضهم فى معناه وان لم يكن من هذا الباب
تثنى عطفه خطرات دل * اذا لم تثنه نشوات راح يميل مع الوشاة وأى غصن * رطيب لايميل مع الرياح

وقد ألم به ابن سناء الملك فقال
ياعاطل الجيد الا من محاسنه * عطلت فيك الحشى الا من الحزن
فى سلك جسمى در الدمع منتظم * فهل لجيدك فى عقد بلا ثمن
لاتخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشى على الغصن

وقول ابن نباتة هنا غاية وهو
ومالولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

ولعله من قول السراج الوراق
قال صديقى ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر لقد تغيرت ياصديقى * ويعلم الله من تغير.

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا
أتاركة بالحزن قلبى مقيدا * ودمعى على الخدين وهو طليق
يقولون قد أخلقت جفنك بالبكا * نعم ان جفنى بالبكاء خليق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فانى فقدت الخد وهو شقيق

وقوله أيضا مقبل الوجه أدار الطلا * وقال لى فى شربها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * فقلت ولا عن أخضر الشارب

ولابن الصائغ أيضا عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ماأطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لاتتعبوا

وللشهاب محمود رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ولمحاسن الشواء وهو من أحسن ماوقع فى هذا النوع
ولما أتانى العاذلون عدمتهم * ومافيهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله
ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * نعم صدقوا عين الحبيب ونظرتى

وأصله من قول الاول وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

ولابن الدويدة المعرى من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال

وحليت بزهرها ساحة القرطاس الابيض ورقمتها فلما رآنى السلطان خلد الله ملكه قد عدت قال أعملت شيأ ظنا منه أن العمل فى تلك اللمحة متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت نعم فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظنت الناس بى الظنون وترقبوا منى مايكون فتوالى انشادى حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الكامل بأنه المعلى اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه لذكره وبان منه مخفى المحبة فأعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له ثم نهض واغاجل الصاحب على هذا الفعل الذى غرربى فى التعريض له أمور كان يقترحها على فأنفذ فيها بين يديه ويخف الامر منها على لما التى عليه منها أننى كنت معه فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق فورد كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة وقد بعث

ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومثله قول علي بن فضالة أو ابن الرومي

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

وما ألطف قول السراج الوراق

شكى رمدا فقلت عساه كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

وللصلاح الصفدي في القول بالموجب

ولقد أتيت لصاحبي وسألته * في قرض دينار لامر كانا
فأجابني والله داري ما حوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وله أيضا رحمه الله

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا * تشكرها قلت ولا راحه

وللنور الاسعردي أيضا

سألت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار وأعلى مهجتك
فقال وأبدى انخلاعات لي * كذا وكذا قلت من زوجتك

وله عند ما همي في آخر عمره

سألت الله يختم لي بخير * فجمله ولكن في عيوني

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله

يسائلني لما رأى حالتي * والطرف مني ليس بالمبصر لست أحاشيك ولكنني * سمعت بالعينين للاعور

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة

يقولون من وطئ النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدي فما فيه من شين
اذا كان شفر العين دون محلها * فعندي أنا الاشفار خير من العين

وقال الصلاح الصفدي

صدق خلي نسمات الصبا * فيما روت عنكم وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أزكى

وله أيضا رحمه الله

بدا في الخد عارضه فأضحى * عليه معنفي باللوم يغري
وحاول أن يرى مني سلوا * وقال لقد تعذر قلت صبري

وله

تقول صحبي اذ أتى منكم * مشرف بالغث في شكره
هل يلتقي أكرم من طيبه * قلت ولا أطيب من نشره

وللنور الاسعردي يهاجي الزين الاسعردي

قلت يوما للزين هل تثبت البعث وتنفي انكارهم للحشر
قال انبت فقلت دقنك في أستي * قال أبني فقلت في وسط جحري

وهو مأخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين في وجهه * أنف له كاد يواريه قلت له ماذا الفضا قال لي * ذا منظري قلت أنا فيه

ومثله قول الوداعي

وذي دلال أحور أغيد * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن وخصوا بها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما

صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد كتابة جوابه فلما كتب بعضه التفت الي وقال اصنع أبياتا كتبها اليه في صدر الجواب واذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذا الحال قال نعم فقلت بقدر ما أنجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا
وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فدينا لك هب للناس فضلا يزينهم
فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا
كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذي
تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا
لبابك أن يأتي به قل أو جلا
فلا زلت في عز يدوم ورفعة
تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا

(قال) وكنت عند المولى الملك الاشرف أبقاه الله تعالى في سنة ثلاث وسبعمائة بالرها وقد وردت اليه في رسالة فأنزلني بين سمعه وبصره في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو ارادة الحديث معي فلم أشعر في

*ولنذكر طرفا من ترجمة من نسب البيت اليه (أما ابن الحجاج) فهو أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى قال الثعالبى فى حقه هو من سحرة الشعراء وعجائب العصر وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ولم يسبق الى طريقته ولم يلحق شأوه فى غطه ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طرزه مع سلاسة الالفاظ وعذوبة المعانى وانتظامها فى سلك الملاحة وان كانت مفصحة عن السخافة مشوبة بلغات المحدثين والمولدين وأهل الشطارة لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ويستملح الكبراء بنات فكره ويستخف الادباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ومنهم من يغلو فى الميل الى ما يضحك ويمتع من نوادره ولقد مدح الملوك والامراء والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفائح هزله ونتائج فحشه وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام والاعمال الجدية التى ينقلب منها الى خير حال وكان طول عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضية ويستثمر نعمة طافية صافية فمن نظمه قوله يصف نفسه

حدث السن لم يزل يتلهى * عمه بالمشايخ العلماء
خاطر يصفع الفرزدق بالشعر ونحو ينيك أم الكسائى

وقوله

ترانى سا كنا حانوت عطر * فان أنشدت نارك الكنيف

وقوله

شعرى الذى أصبحت فيه فضيحة بين الملا * لا يستجيب لخاطرى * الا اذا دخل الخلا

ومن ملحه أنه دعا يوما مغنية وكانت قبيحة المنظر فلما دارت الكؤس تساكرت عليه وتناومت وهو جالس فقال

خطت البظراء لما * عاينت مفتاح ديرى ورجت منى خيرا * قلت لا ترجين خيرى
اقعدى عنى وهذا * فافعليه مع غيرى أنت فى دعوة أذنى * لست فى دعوة أيرى

(وحضر) يوما مع صديق له يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال

ياسيدى يا أبا الحسين * أنت رقيع بنقطتين ياكلب الضرس لن يداوى * ضرسك الا بكلبتين
ويحك قل لى جننت حتى * تلتمس الخبز مرتين فى دار من خبزه عليه * ألف رقيب بألف عين

(وحضر) فى دعوة رجل آخر فأخر الطعام الى المساء فقال

ياصاحب البيت الذى * ضيفانه ما تواجيعا حصلتنا حتى نموت بدائنا عطشا وجوعا
مالى أرى فلك الرغيف لديك مشترفا رفيعا كالبدر لا نرجو الى * وقت المساء له طلوعا

وصار صاحب الدعوة يجىء ويذهب فى داره فقال

ياذاهبا فى داره جائيا * لغير ما معنى ولا فائده قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها فكتب اليه

أيا من وجهه قمر منير * يضىء لنا وراحته سحاب
اذا حضر الحساب أعدت ذكرى * وتنسانى اذا حضر الشراب
أجبنى بالقنانى والمثانى * ووجهك انه نعم الجواب
وكلنى فى الحساب الى الله * يسامحنى اذا وضع الحساب

وكان له صديق له ابن يكنى أبا جعفر وكان مشتهرا بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب اليه

اياك والعفة اياكا * اياك أن تفسد معناكا أنت بخير يا أبا جعفر * ما دمت صلب الأير نياكا
فنك ولو امك واصفع ولو * أباك ان لامك فى ذاكا

وكان الرئيس أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لعقوبة أصحاب الوزير المهلبى عقب موته وأمرا أن تنوث ثياب الناس بالنفط ان قربوا من الباب وكان المهلبى قد فعل مثل هذا فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف من النفط فانصرف وقال

الصفع بالنفط فى الحجاب * مالم يكن قط فى حسابى ليس يقوم الوصول عندى * مقام خطين من ثيابى

يارب

بعض الليالى وأنا نائم فى فراشى الا وهو قائم على رأسى والسكر قد غلب عليه والشموع تزهو بين يديه وقد حفت به مماليكه كأنهم الاقمار الزواهر فى ملابس كرياض ذات أزاهر فقمت مسرعا فأمسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى ومنعنى من القيام عن الوساد وأبدى من جميله ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم أرد بازعاجك التثقيل عليك ثم استدعى من بمجلسه من المغنين فحضروا وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا درّ سلكه وقطبا فلك طربه وزهوه وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى شأنهما ويستدعى منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فصنعت فى الوقت

ياما لكا لم يحك سيرته
ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفدك أنفسنا
فى الليل بين الشمس والقمر

(فطرب) وأمر فى الحال باستدعاء الغائب منهما

يارب من كان سرّ هذا * فزده ضعفا من العذاب

وكان ابن شيرزاد قد صارع السبع فقتله ثم عاد لشأنه فكتب اليه ابن الحجاج يقول

يا من الى مجده انقطاعى * ومن به أخصبت رباعى
قد زاد خوفى عليك جدا * وعظم الأمر فى ارتياعى
فى كل يوم سبع جديد * ينفر من ذكره استماعى
تعدو اليه بلا احتشام * ولا انقباض ولا امتناع
وليس قتل السباع مما * يدرك بالختل والخداع
ان صراع السباع عندى * حاشاك ضرب من الصراع
اعدل الى الكأس والندامى * والاكل والشرب والسماع
وأمرد جامع لشرط الـ * ـعناق والبوس والجماع
بلى أجع لى السباع واطرح * خصمى فى بركة السباع

وقلده الوزير ناحية فخرج اليها يوم الخميس وتبعه كتاب الصرف يوم الاحد فكتب اليه

يامن اذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد واذا رأته الشمس كا * دت أن تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتنى * وصرفتنى يوم الاحد فالناس قد غنوا علىّ * كما رجعت الى البلد
ما قام عمرو فى الولا * ية ساعة حتى قعد

ومن شعره فى بوّاب أعور حجبه عن رئيس

سمعت فيمن مات أو من بقى * بمقبـــل بوّابه أعور
واللوزة المرّة ياسيدى * يفسد فى الطعم بها السكر

ومنه أيضا

انى ابتليت بأقوام مواعدهم * تزيد فوق الذى ألقاه من محن
ومن يذق لسعة الافعى وان سلمت * منها حشاشته يفزع من الرسن

وقال

فقر وذل وخمول معا * أحسنت يا جامع سفيان

وكتب الى أبى أحمد بن ثوابة وقد شرب دواء مسهلا

يا أبا أحمد بنفسى أفديـ * ـك وأهلى من سائر الاسواء
كيف كان انحطاط جمعك فى طا * عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى مسال مبعرك النذ * ل خضيبا بالمرّة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندى * واجب للاخاء فاحفظ اخائى
رب ريح يوم الدواء دبور * شوّشت فى عصاعص الاغنياء
قدّروها فساوقد كن الجعـ * ـص لهم فى مهب ذاك الفساء
فاذا الفرش فى خليج سلاح * ذائب فى قوام جسم الماء
فاتق الله ان تعـــترك ريح * عصفت فى جوانب الاحشاء
لا تنفس خناق سرمك عنها * أو تخلى سبيله فى الخلاء
والغداء الغداء فاحذر بأن تفـ * ـسو فوق الفراش بعد الغداء
احترس انها نصيحة كهل * حنكته تجارب الآراء
غير انى أصبحت أضيع فى القو * م من البدر فى ليالى الشتاء

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادّعى عنده أنه هجاه وأبو الفضل يومئذ بشيراز وابن الحجاج ببغداد

ياسامع الزور وبهتانه * ودافع الحق وبرهانه

لحضرو النوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديها فى صفة المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى
بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه
تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى
ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه
سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جمود ماء
فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصون من قدود
غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلىّ فيه يشدو
فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه
وكم للزمر فيه من زنام
كذا موسى بن أيوب المرجى
اذا ما ضنّ غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك ال
أجلّ الاشرف الندب الهمام
فاشمس تقاس الى نجوم
تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى
اذا ما ضنّ دهر بالدوام

(فلما) أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى (قال) ومررت أيضا عليه وقد أنفذنى السلطان خلد الله تعالى ملكه فى رسالة الى

عجبت من رأيك في الذي * أنكرني من بعد عرفانه
فكيف تخشى ذم من مدحه * فيك يرى أول ديوانه
ومن له في شعره مذهب * ذكرك منه نور بستانه
تمضى لياليه وأيامه * وسره فيك كاعلانه
ولست بالساكن في منزل * ينبو ولو يوما بسكانه
ولا الذي يرهب في الحق من * سلطان ذي عز اسلطانه
قل للذي جهز في السعي بي * تجارة عادت بخسرانه
ياذا الذي لابد من صفعه * ألفا ومن تعريك آذانه
لا تغترر أنك من فارس * في معدن الملك وأوطانه
لو حدثت كسرى بذا نفسه * صفعته في جوف ديوانه

وقال يهجو بخيلا

وذي همة في حضيض الكنيـ * ـف وقرنين في فلك المشترى
دخلت عليه انتصاف النهار * على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع * سكرجة كأن فيها مرى
فلما قعدت فسا فسوة * فلم تخط عصفتها منخرى
وأقبل يضرط في اثرها * فقلت أقوم والا خرى

وقريب منه قول الآخر

تغير اذ جئته للسلام * وأرعد لما رآني دخلت
فقلت له لا يرعك الدخول * فلا جئت والله حتى أكلت

وقال في صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشر منها

لي صديق جنى على مرارا فأكثرا * ثم لما عتبته * غسل البول بالخرا

وقال في انسان مات بالقولنج

يا أيها الثاوي الذي * أفلح لو كان خرا * لمثل ذا اليوم بقا * لمن خرى فقد برا

ومن مجونه الحسن أيضا قوله

قالت وقد قامت اعيشي لي به * يوما وقد قامت وقد ناما * لو كان اسرافيل في راحتي * ينفخ في أيرك ما قاما

ومثله قوله أيضا في المجون

تقول لي وهي غضبى من تدللها * وقد دعتني لشيء ربما كانا
ان لم تنكني نيك المرء زوجته * فلا تلمني اذا أصبحت قرنانا
كأن أيرك شمع في رخاوته * فكلما عركته راحتي لانا

وقد تبعه السراج الوراق فقال

طوت الزيارة اذ رأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهي تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحـ * ـنا لا سراج ولا مناره

وقال أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان في سنه طاعنا * فقد عدم الطعن في غيره

وقال أيضا

يا قوم عالجت أيري * بالحشو لما أنكعك * ولم يصح ودادي * من غادة مذ توعك

وقال أيضا

قام فلما نوت منها * نام وما مثل ذاك نخله
وكل كفي لفرط جذبي * له وما للجبان حمله

الموصل في سنة سبع وستمائة فلما عدت أمسكني عنده نحو شهر بدارها وجرت لي عنده بدائه كثيرة من جملتها أنه غني بين يديه بشعر أعجمي ليس على أوزان العروض فأعجبه واقترح علي أن أصنع له على وزنه ليغني له به ما فهمه وأرسل الي بذلك فعملت في الوقت بالمعنى الذي اقترحه

مالذة المعنى
الا مدامته
ووصل من عليه
قامت قيامته
ظبي صريعه
ما ترتجى سلامته
وال على غرامي
دامت ولايته
في السلم لينه
وفي الهيجا صرامته
كالسيف مقلتاه
كالرمح قامته
كالبدر وجهه
والاصداغ هالته
كالغصن حين تز
هو به غلالته
كالليث حين تبـ
ـدو عليه لامته
وليس مثل قلـ
ـبي تختشى سآمته
ان الوفاء منه
والصبر عادته
ولائمي عليه
بانت لائمته
كالريح لم تؤثر
عندي ملامته

واصبى

واصبعي لاتزال جنبا * له ولاهمسة لسفله
فزخرحت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا لفرط حبي * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لو قام ما احتجت للأدله

وقال الشهاب بن جلنك
وعلق من بني الاتراك آلى * له عينان وكلتا بهتكى
ظفرت به على غر الليالى * فلم يدخل وأكثر فى التشكى
يقول عميرة ادفعنى عليه * ولا تجزع وهان على صكى
فلم أدفع عليه فظل ابرى * يقبل باب مفساه ويبكى

وقال آخر
ورب علق قال لى مرة * يريد توبيخى على ظنه
ايرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

وعكس ذلك ملغزا فيه
وصاحب مازلت دهرى له * كل مليح أتمناه
يعجبنى الشئ فاختاره * له بجهد علم الله
ان مات لا يمكننى دفنه * وان يعش يوما دفناه

وقال الصلاح الصفدى مضمنا

لى أير ينام لؤما وشؤما * ان أنا نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت فى البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وللسراج الوراق مضمنا أيضا

عهدى بأيرى وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا اذا نبهته
والآن كالطفل الصغير بجهده * يزداد نوما كلما حركته

وقال غيره أيضا
تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ له يومان يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

(ولنرجع الى شعر ابن الحجاج) ومنه وهو من هذه المادة

أسفى عليه ممددا فوق الخصى * شبه العليل فديته من نائم
طمع الغوانى فى انتظار قيامه * طمع الروافض فى انتظار القائم

وقال وهو فى غاية الحكمة لما رأته قائما صفقت * كذلك الناس مع القائم
وقال من قصيدة وقد راوده بعض الوزراء على الخروج للقتال

أهوى انحدارى والحزم يكرهه * وتارك الحزم يركب الغررا
لاننى عاقل ويعجبنى * لزوم بيتى وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبنى * والماء فى الكوز بارد اخضرا
والشرب فى روشنى أقول به * كما أرى الشمس منه والقمرا
ولا أقود الخيل العتاق بلى * أسوق وسط الازقة البقرا
من كل جاموسة يقبلها * رأس بقرنيه يغلق الحجرا
قد نفخ الشحم بطنها فغدا * كأنه بطن ناقة عشرا
أحسن فى الحرب من صفوفكم * عندى قعودى أصفف الطررا
هيهات أن أحضر القتال وأن * ترى بعينيك فيه لى أثرا
بل الذى لا يزال يعجبنى الـ * ـذيب فى الليل خائفا حذرا
آتى الى تلك وهى نائمة * وذا الى ذاك بعد ما سكرا

فقم أدر شرابا
لذت مرارته
قد جعلت الدياجى
عنا انارته
فما السرور عندى
الا ادارته
وأنفذته اليه وهو فى مجلس أنسه مع مملوك له الوقت فعاد محاوعا عليه خلعة خاصة

﴿الفصل الثانى فيما وقع من بدائع البداته من غير اقتراح﴾

(روى) أن مرة بن محكان السعدى سعد تميم قدم بين يدى مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لاخيه عبد الله بن الزبير وأظن ذلك بعد وقعة الجفرة ودخول مصعب البصرة فأمر رجلا من بنى أسد بقتله فقال مرة ابن محكان بديها
بنى أسد ان تقتلونى تحاربوا
تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الى حبيبة
بباك على الدنيا اذا ما تولت
(وذكر الطبرى) أن الوليد ابن عبد الملك أو سليمان مضى الى الحج فلما وصل الى المدينة أتى له بجماعة من

وضجة النيك كلما ضرطت * واحدة تحت واحد نخرا
وقول بعض المميزين وقد * خش فسانا بأنفه سحرا
فى جحص هذا فطوره وأرى * ان خراذاك بعد ما اختمرا
الدف يوم الصبوح يعجبنى * والبوق والناى كلما زمرا
وحربتى كلما رميت بها * مقتل سرم خضبتها بخرا
هذا اعتقادى وهكذا أبدا * أرى لنفسى فأنت كيف ترى

ومن شعره قوله أيضا
قد وقع الصلح على غلتى * فاقتسموه كارة كاره
لا بد للبقال الا اذا * تصافح السنور والفاره

وهذا مثل للعوام يقولون فى مصالحة السنور والفار خراب بيت العطار وقال من أخرى

فديت بى ياسيدى وحدى * وعشت ألفى سنة بعدى
قد رحل النرجس فاشرب على * محاسن المنثور والورد
من لى بها عندك مشمولة * قد أصبحت معدومة عندى
يمزجها لى رشأ أغيد * بريقه أحلى من الشهد
نهاية الحر بجس استه * وريقه فى غاية البرد
جنى من البستان لى وردة * أحسن من انجازه وعدى
فقال والوردة فى كفه * مع قدح أذكى من الند
اشرب هنيأ لك يا عاشقى * ريقى من كفى على خدى

وقال أيضا
قناة ماعر فتساقط منها * بحمد الله الا كل خير
فما تهوى سوى آيار شهرا * وليس أمامها غير الزبير

وقال من أخرى
صبية بظرها بجنبى * يبيت مثل الصبى المخضب
مفعول باب استها بأير الشفاعل * فوق الفراش ينصب
وسرمها أمس كان غترا * لم يتفقه ولا تأدب
فاليوم قد صار منذ قاسى * أيور أهل الزنا وجرب
اذا رأى الاير من بعيد * بوق فى وجهه ودبدب

وديوان شعره كبير جدا وفيما أوردناه منه مقنع وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الاخيرة عام احدى وتسعين وثلاثمائة بالنيل وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر ثم حمل ابن الحجاج الى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق وأوصى بان يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبد الله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى

أفسد حسن مذهبى * فى الشعر سوء المذهب
وحملى الجذع على * ظهر حصان اللعب
لم يرض مولاى على * سبى لأصحاب النبى
وقال لى ويلك يا * أحمق لم لم تنب
من سب قوم من رجا * ولاءهم لم يخب
رمت الرضى جهلا بما * أصلاك نار اللهب

قال هبة الله بن الدباس أنشدنا ابن الخازن هذه الابيات بحضر جماعة من أهل الادب فقالوا والله انها النفس ابن حجاج وكتبوها عنه ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها

نعوه على حسن ظنى به * فلله ماذا نعى الناعيات
رضيع ولاء له شعبة * من القلب مثل رضيع اللبان

أسرى الروم ففرقهم على أشرافها ليقتلوهم فأعطى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أسيرا منهم ليقتله فقام وحسر عن ساعديه وطلب سيفا فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفا فناوله بعض الحرس سيفا كليلا فضرب به الاسير ضربة أطارت رأسه وبعض كتفه فعجب الناس وقالوا ماقطعها الا حسبه ثم أعطى أسير الجرير فقام اليه فدس اليه بعض بنى عبس سيفا صارما فضرب به الاسير فأطار رأسه ثم أعطى أسيرا للفرزدق فدس اليه بعض بنى عبس سيفا كهاما فلما ضرب به الاسير نبا فضحكوا وخجل الفرزدق ثم قال يا أمير المؤمنين هبه لى ففعل فأعتقه ثم قال مرتجلا يعتذر ويعير بنى عبس

فان يك سيف خان أو قدر نبا * لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

وما كنت أحسب أن الزمان * يفل مضارب ذاك اللسان

بكيتك للشرد السائرات * تعنق ألفاظها بالمعانى

لبيك الزمان طويلا عليك * فقد كنت خفة روح الزمان

وأما محمد بن ابراهيم الاسدى فقد ذكره العماد الكاتب فقال هو من أهل مكة لقى أبا الحسن التهامى فى صباه ومولده بمكة المشرفة ومنشأه بالحجاز وتوجه الى العراق وخدم الوزير أبا القاسم المغربى ثم بلغ خراسان وعمر الى أن بلغ حد المائة وأتى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة وتوفى بغزنة سنة خمسمائة ومن شعره

كفى حزنا أنى خدمتك برهة * وأنفقت فى مدحيك شرخ شبابى

فلم ير لى شكر بغير شكاية * ولم ير لى مدح بغير عتاب

(الاطراد)

(ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب)

البيت من الكامل وهو لربيعة من بنى نصر بن قعين يرثى ذؤابا ابنه ويقال قائله داود بن ربيعة الاسدى وبعد البيت

باجبهم فقدا الى أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

والثل الهدم يقال ثل الله عروشهم أى هدم ملكهم ويقال للقوم اذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم قد ثل عرشهم والمعنى ان تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحرث وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة (والشاهد فيه) الاطراد وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

(يروى) أن سبرة بن عياض الجشمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت فلما وصل اليه قال كاد يبلغ به آدم ولما وصل الى قوله منها

ولولا سواد الليل أدرك رهطنا * بذى الرمث والارطى عياض بن ناشب

قال عبد الملك ليت الليل أمهله ساعة أو قال وددت أنه كان بقى عليه فواق من النهار ومنه قول الاعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو بقاءك وائل

وقول الحرث بن دوس الايادى

وشباب حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

وقول أبى تمام الطائى

مناسب تحسب من سردها * منازلا للقمر الطالع

كالدلو والحوت واشراطه * والبطن والنجم الى التالع

نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى ابن الفتى المانع

فأتى بستة وقابلها بستة لولا أنه نقص بذكر الفتى فى سادس جد ولم يرد فتى السن وانما أراد الفتوة ولكنه موهم والتالع الدبران كأنه تلع جيده أى مده وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سمكهم لا يفهم

وقال الآخر

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد

فنعم أخو الجلى ومستنبط الندا * وملجأ محزون ومفزع لاهث

عباذ بن عمرو بن الحليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد

غيرهم بنو يوسف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابى قاتل أبيه زهير وقد كان ضربه عدة ضربات وهو ملق نفسه على زهير فلم يصنع شيأ وفى ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع

ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(فأجابه الفرزدق بقوله)

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم

اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(وروى) أنه سكر يوما فتكشف فمرت به امرأة فسخرت منه فأنشأ يقول

وأنت لو باكرت مشمولة

صهباء مثل الفرس الاشقر

عدت وفى رجليك ما فيهما

وقد بدا هنك من المئزر

(وروى أبو العراف) قال ان الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجزيرة البصرة ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة وشاور جرير دهاة بنى يربوع

تهنى ابن عباد بن عباس بن عبد الله نعمى بالكرامة تردف

وقول الاديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى

يقولون لى هل للمكارم والعلا * قوام ففيه لو علمت دوامها

فقلت لهم والصدق خلق ألفته * على بن موسى الموسوى قوامها

وقوله فيه أيضا يقول صديقى ألا دلنى * على برمك الجود أو حاتم

فقلت وأقسمت رب العلا * على بن موسى أبو القاسم

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة

أبا الحسن السيد الاريحى * محمد بن الحسين بن طلحه

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الازدى

قالت تفتش عن أولى المجد * من فى الانام لطالب الرفد

فأجبت قاضينا وسيدنا * منصور بن محمد الازدى

وقول الاديب أبى الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله بن يربوع

صحبت فى عمرى ناسا أولى حسب * حازوا الثناء بموروث ومطبوع

فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى * محمد بن أبى العيش بن يربوع

وقول ابن باتلين من أبيات

لاموا على ظماى اليك فادروا * فى ماء خدك ما حلاوة موردى

طورا أحيى بالاقاح وتارة * فى الخد بالريحان والورد الندى

وجه كاسفر الصباح وحوله * حسنى بقايا جنح ليل أسود

وكأنما خاف العيون فألبست * وجناته زردا لمخافة معتدى

أنى يخاف من استجار بحبة * بمحمد بن على بن محمد

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح وهو أكمل مما قبله

فله الجمال غدا بغير منازع * ولى الجوى فيه بغير قسيم

وكذا العلا لمحمد بن محمد بن حسن على بن محمد بن سليم

وقول ابن أبى الاصبع أجل ملك الى العلياء منسوب * محمد بن أبى بكر بن أيوب

وللمؤلف فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم

فاق جميع الاقران * وساد كل الاعيان ولم يفته فضل * بل زاد فوق الاحسان

أبو البقاء بن يحيى بن حسن شاكر بن الجيعان

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفى على اجازة

أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السند محمد بن أحمد بن حسن عمرو بن أحمد

ولابى جعفر الاندلسى فى مثله أيضا

أذنت أن يرووا جميع ما به * حدثنى كل امام سالك يقول ذا متبعا الشرطه * أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معايا الشاعر يمدح الخليفة بالاندلس ادريس بن حمود من أبيات

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان هو فى حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم فى ذلك فلما بلغ الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

أمر برفع الحجاب حتى نظر اليه ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى فى ضرطة وهب بن سليمان

وشيوخهم فقالوا ما الباس آبائنا الا الحديد فلبس درعا وتقلد سيفا وتأبط رمحا وركب فرس العباد بن الحصين الحبطى وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يربوع وجاء الفرزدق فى هيئته فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة
عليه وشاحا كرج وخلاخل

أعدوا مع الخز الملاب فانما
جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بنى حصين ووقف الفرزدق وقد أبن جرير عليه (وروى) أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود قال أنت الذى قال فيك الشاعر

ياحكم بن المنذر الجارود
سرادق العز عليك ممدود

قال نعم قال والله لاجعلن سرادقك السجن فقال الحكم مرتجلا

متى ما أكن فى السجن فى حبس ماجد
فانى على ريب الزمان صبور

فلو كنت خفت النكث والغدر لم أجب
دعاك ولو منك الامان غرور

ان وهب بن سليما * ن بن وهب بن سعيد　　حمل الضرطة للرى على ظهر البريد

فى مهمات أمور * منه بالركض الشديد　　استه تنطق يوم الحشـ * ـفل بالامر الرشيد

لم يجد فى القول فاحتا * ج الى دبر مجيـــد

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها وشاع ذكرها وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق والاضراب عن نشره أنسب (ذكر) على بن يحيى قال ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب ولا أحسن أدبا خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال هات الآن حدثنى يا أبا الحسن بعجائبكم وما أظنك تحدثنى بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضى وما سير من خبرها وما قيل فيها ومن العجائب أنها بشهادة القاضى فليس يزيلها الانكار وجعل يضحك وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الاحوال الى أن استوزره المهتدى ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد وعلى ابنه عبيد الله بعد ان استكتبهما فنكبهما ومات سليمان فى محبسه ورثاه الشعراء بمراث كثيرة والله أعلم

(ما مات من كرم الزمان فانه * يحيى لدى يحيى بن عبد الله)

البيت لابى تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها

احدى بنى عمرو بن عبد مناه * بين الكثيب الفرد فالامواه

ألقى النصيف فأنت خاذلة الهوى * أمنية الخالى ولهو اللاهى

ريا يعارض خصرها أردافها * وتطيب نكهتها بلا استنكاه

عرضت لنا يوم اللوى فى خرّد * كالسرب حولنى ولعس شفاه

بيض يلوح الحسن فى وجناتها * والملح بين تطاير أشباه

لم تجتمع أمثالها فى موطن * لولا صفات فى الكتاب الناهى

ومفند لوامة نهنهته * عن ملفظ لعدوّه نجاه

ومؤنب لى كى أفيق واننى * لأصم عن ياه وعن يهياه

دعنى أقم أود الشباب بوصلها * ان الشفاء بها لغير شفاه

فاذا انقضت أيام تشييع الصبا * أظهرت توبة خاشع أوّاه

ومعاود للبيد لا يهفو به * هاف ولا يزهاه فيها زاه

مهد لالطاف الثناء الى فتى * كالبدر لا صلف ولا تياه

لابى الغريب غرائبا من مدحتى * فى غير تعقيد ولا استكراه

وبعده البيت وبعده　كالسيف ليس بزمّل شهدارة * يوما ولا معضوبة جباه

وهى طويلة والزمّل بضم الزاى وتشديد الميم الجبان الضعيف والشهدارة بالكسر الفاحش والنمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ (والشاهد فيه) الجناس المستوفى وهو أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الاسدى الكوفى وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم رحمهما الله

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى ردّ أمر الله فيه سبيل

تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه * وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى أعين البيض

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان يمين الدولة

بسيف الدولة اتسقت أمور * رأيناها مبدّدة النظام　سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

وقوله أيضا　قلت لطرف الطبع لما ونى * ولم يطع أمرى ولا زجرى

لقد كنت دهرا لا أخوف بالتى
أخاف ولا يسطو على أمير
فقال الحجاج لله أبوك ان زعارة العرب لبينة فيك خلوا سبيله (وروى عن عبد الاعلى الشيبانى) أن حماد عجرد ومطيع بن اياس اجتمعا فى مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة للسفاح فتمازحا فقال حماد

يا مطيع يا مطيع
أنت انسان رقيع
وعن الخير بطىء
والى الشر سريع

(فقال مطيع)

ان حماد اللئيم
سفلة الاصل عديم
لا تراه الدهر الا
بين المعير يهيم

فقال له حماد ويحك أترمينى بدائك والله لولا كراهتى لتمادى الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لا أفسد مودتك ولا أكافئك الا بالمدح ثم قال

كل شىء فقداء
لمطيع بن اياس
رجل يسبغ فى
كل اين و ناس

مالك لاتجرى وأنت الذى * تجرى مدى العلياء اذتجرى
فقال لى دعنى ولاتؤذنى * الى متى أجرى بلاأجر

وقول على بن أحمد الحليمى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى

فعاطنى قهوة صهباء صافية * بهاتطاير عن قلبى الجوى شفقا
من كف ساق اذاماجاء نافسنى * دعى الى حبه أهواء من فسقا

وقول الغزى أيضا لم تلق غيرك انسانا تلوذبه * فلابرحت لعين الدهر انسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسناوهو

أسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى

ذوائب سود كالعناقيد أسبلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة

مابت فيك بدمع عينى أشرق * الاوأنت من الغزالة أشرق

وللمؤلف رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم

بدر الهنا بشفاء ذاتك أشرقا * وأغص من بجفو علاك وأشرقا

وما ألطف قول بعضهم القلب منى صب * والدمع منى صب

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال

دمعى عليك مجانس قلبى * فانظر على الحالين فى الصب

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز

وذى أذن بلاسمع * له قلب بلاقلب اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

وما أحسن قول ابن شرف ياثاويا فى معشر * قداصطلى بنارهم

ان تبلك من شرارهم * على يدى شرارهم أوترم من أحجارهم * وأنت فى أحجارهم
فما بقيت جارهم * ففى هواهم جارهم وأرضهم فى أرضهم * ودارهم فى دارهم

وقول ابن فضالة المجاشعى القيروانى وقيل ابن شرف

ان تلقك الغربة فى معشر * قدأجمعوا فيك على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

((اذاملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه))

جناس التركيب

البيت لابى الفتح البستى من المتقارب (والشاهد فيه) جناس التركيب وهو المتفق لفظا وخطا وما أحسن قول الشاعر فيه عضنا الدهر بنابه * ليت ماحل بنابه

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفرانى

قلت للقلب مادهاك أجبنى * قال لى بائع الفرانى فرانى
ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

وقول أبى الحسن المرغينانى صارمنى مثل قوس * نزعت منذ صارمتنى

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى

ألا ياسيدا خلقت يداه * لثروة معدم أو يسر عانى
مضى العسر الذى قاسيت فاعدل * الى يسرين نحولك يسرعانى

وقول بعض المغاربة وأجاد لبس البرنس المليح فباها * ودرى أننى محب فتاها
لورأته زليخة حين وافى * لتمنته أن يكون فتاها

عدل روحى بين جنبى وعينى وراسى
غرس الله فى كبدى أوفى غراس
ذاك انسان له فضل على كل الاناسى

(وروى اسحق الموصلى) أن يحيى بن زياد الحارثى قال لمطيع بن اياس امض بنا الى فلانة صديقتى فان بينى وبينها غاضبة لتصلح بيننا ولكن والله بئس المصلح أنت فدخلا اليها وجعلا مليا يتعاتبان ومطيع ساكت حتى اذا أكثرا قال له يحيى مايسكتك أسكت الله نامتك فقال مطيع

أنت معتلة عليه ومازا
ل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى ماسمع وهش فقال مطيع

فدعيه وواصلى ابن اياس
جعلت روحه الغداة فداك

فقام يحيى بوسادة فى البيت فمازال يصدع بها رأسه ويقول ألهذا جئت بك ياابن الزانية ومطيع يفوّت والجارية تضحك منهما (وروى) أن أبادلامة تاب وعزم على الحج فلما صار

ومثله قول بعضهم أيضا رب سهل على فتاتى فتاتى * لترى هل سلى فتاها فتاها
علمته جفونها آى سحر * ما تلاهى عن حبها مذ تلاها
وقول الباخرزى أيضا قد ملئت زوزن من سادة * لهم نفوس بالعلى عارفات
ما اغتدى الا ومن عندهم * عارفة عندى أو عارفات
قد بقى الفخر بهم والندى * والبأس والبذل مع العارفات
ومثله قول أبى بكر اليوسفى وردت مالين فألفيتها * رمانة حباتها المكرمات
أصبح من ظرف سجاياهم * عاش الوفاء المحض والمكرمات
وقول أبى الفضل الميكالى
تفرق الناس فى أرزاقهم فرقا * فلابس من ثراء المال أوعارى
كذا المعائش فى الدنيا وساكها * مقسومة بين أدمات وأوعارى
من ظن بالله جورا فى قضيته * افتر عن ماثم فى الدين أوعار
وقوله يهجو لئن أنت ناصبت بدر الدجى * ونازعت شمس الضحى أوجها
لما كنت أفضل فى حالة * من الكلب عندى ولا أوجها
وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب
جار فى سقمى من بعدهم * كل من فى الحى داوى أو رقى
بعدهم لا ظل وادى المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا
وقول الشمس الخجندى امام المسجد الشريف النبوى
حسبى جوار محمد وكفى به * دفعا لما ألقاه من أوصابى
لم أخش ضيما فى حماه ولا أذى * انى وجبرائيل قد أوصى بى
وقول الصلاح الصفدى فيه يامن اذا ما أتاه * أهل المودة أولم
أنا محبك حقا * ان كنت فى القوم أولم

﴿والبستى﴾ هو أبو الفتح على بن محمد الكاتب قال الثعالبى رحمه الله تعالى فى حقه هو صاحب الطريقة الانيقة فى التجنيس الانيس البديع التأسيس وكان يسميه المتشابه ويأتى فيه بكل ظريفة ولطيفة وقد كان يبلغنى شعره العجيب الصنعه البديع الصبغه
من كل معنى يكاد الميت يعشقه * حسنا ويعبده القرطاس والقلم
مما أراه فأرويه وألحظه فاحفظه وأسأل الله تعالى بقاه حتى أرزق لقاه وأتمنى قربه كما تتمنى الجنه وان لم تتقدم لها الرؤيه حتى وافقت الامنية حكم القدر وطلع على نيسابور طلوع القمر فزاد العين على الاثر والاختبار على الخبر ورأيته يغترف فى الادب من البحر وكأنما يوحى اليه فى النظم والنثر مع ضربه فى سائر العلوم بالسهم الغائر وأخذه منها بالحظ الوافر وجمعته واياى لحمة الادب التى هى أقوى من قرابة النسب فازات فى قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنس مقيم ومن حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته فى جنة ونعيم أجتنى ثمر الغرائب من فوائده وأنظم العقود من فرائده ولم تكن تغبنى كتبه فى غيبته ولا أكاد أخلو من آثار وده وكرم عهده (ومن خبره) أنه كان فى عنفوان أمره كاتبا للبايتوز صاحب بست فلما افتتحها الامير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين وأسفرت الوقعة بينه وبين بايتوز عن استمرار الكشفة به أعيت أبا الفتح صحبته فتخلف ودل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمدا له اذ كان محتاجا الى مثله فى آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته قال فحدثنى أبو النصر العتبى قال حدثنى أبو الفتح قال لما استخدمنى الامير سبكتكين وأحلنى محل الثقة الامين عنده فى مهمات شانه وأسرار ديوانه وكان بايتوز بعد حيا وحسادى يلوون ألسنتهم بالقدح

بطبرناباذ لقيه علج من الخمارين الذين كان يألفهم اسمه أبو بشر فدعاه الى منزله وأضافه وأحضر له نبيذا فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته وما عزم عليه فقال العلج انه مطبوخ فشرب منه فلم يلبث أن دبت فيه سورته فرفع عقيرته وأنشد
سقانى أبو بشر من الراح شربة
لها سورة ماذقتها الشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم
مشى فى نواحى كرمها بشهاب
(وروى) أنه كان منحرفا على على بن سليمان بن على ابن عبد الله بن العباس فاتفق أن خرج المهدى الى الصيد ومعه على وأبو دلامة فرمى المهدى ظبيا عن له فأنفذ مقاتله ورمى على بن سليمان فأصاب كلبا من كلاب الصيد فارتجل أبو دلامة
قد رمى المهدى ظبيا
شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما
ن رمى كلبا فصاده
فهنيأ لهما كل
امرئ يأكل زاده
فخجل على بن سليمان وضحك

فيّ والجرح لموضع الثقة بي لما أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي الى أكثر مما رآني الامير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره غير ان حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوما واهتمام الامير بنقض ما بقي من شأنه يقتضيان أن أسأله الاعتزال في بعض أطراف مملكته ريثما يستقر هذا الامر في نصابه فيكون ما أليه من هذه الصناعة أسلم من التهمة وأقرب الى السداد وأبعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه وأوقعه من الاحماد موقعه فأشار عليّ بناحية الرخج وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء الى أن يأتيني الاستدعاء فتوجهت نحوها فارغ البال رافه العيش والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم وكنت أدلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع أؤم منزلا أمامي فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات عينة محفوفة بالخضر معمومة بالنور والزهر وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدرّ والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان يتسلسل منها أمواه كأنها بطون الحيات في صفاء ماء الحياة وقد فعمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق بالعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان وفزعت الى كتاب أدب كنت أستصحبه لاخذ الفال على المقام والارتحال فكشف أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو

واذا انتهيت الى السلا * مة في مداك فلا تجاوز

فقلت والله هذا هو الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف ضبنتي اليها وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه وأهنى شرب وأمراه الى أن أتاني كتاب الامير في استدعائي الى حضرته بتبجيل وتأهيل وترتيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما حظيت منها الى يومي هذا (قال) فكان اختباره ذلك أحد ما استدلّ به الامير على عقله وجودة رأيه وتدبيره ورزانته ودرج به الى محله ومكانته وصار من بعده ينتظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه وينسج بعباراته وشي فتوحه ومقاماته وهلمّ جرّا الى زمن السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين فقد كتب له عدة فتوح قال في أحد كتبه كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها والارض مشرقة بنور ربها الخ واستمر الى أن زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه الى ديار الترك عن غير قصده وارادته فانتقل بها الى جوار ربه عز وجل في سنة أربعمائة من الهجرة النبوية (ولنذكر) من مليح نثره ونظمه مارق له وراق وحلا في الاذواق (فمن فصوله القصار) وأمثاله التي انتشر فضلها وسار من أصلح فاسده أرغم حاسده من أطاع غضبه أضاع أربه عادات السادات سادات العادات من سعادة جدك وقوفك عند حدك أفحش الاضاعة الاذاعة الرشوة رشاء الحاجة اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك اذا بقي ما فاتك فلا تأس على ما فاتك ربما كانت الندامة فتنة والمحنة منحة من حصن أطرافه حسن أوصافه أحصن من الجنة لزوم السنة الردّ الجميل خير من الوعد الطويل طلوع العقوق أفول الحقوق الحدة والندامة فرسا رهان والجود والشجاعة شريكا عنان والتواني والخيبة رضيعا لبان الفكر رائد العقل نعم الشفيع الى عدوك عقله مسلك الحزن حزن الخلاف غلاف الشر المراء يهدم المروءة رضى المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه عسى تحظى في غدك برغدك ربما أغنت المداراة عن المباراة لاضمان على الزمان من لزم السلم سلم ليكن قرينك من يزينك افراط السخاوة رخاوة ربما كانت العطية خطية لا يعدم الصرعة ذو السرعة لكل حادث حديث البشر نور الاصحاب ما كل خاطر بعاطر ما لخرق الرقيع مرقع ان لم يكن لنا مطمع في درك درك فأعفنا من شرك شرك الغيث لا يخلو من العيث ومن شعره في الغزل وغيره

يا يوسف الحسن ليلي بعد فرقتكم * يحكي سني يوسف طولا وتعذيبا
والشأن في أنني أرمي لأجلكم * بمثل ما قد رمى اخوانك الذيبا

المهدي وأمر له بجائزة (وذكر دعبل بن علي) قال كان لابي الشمقمق على بشار مائتا درهم في كل سنة فأتاه أبو الشمقمق في بعض السنين فقال هلمّ الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أوجزية هي قال نعم هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح أو أحكم مني قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال لئن هجوتني لأهجونك قال أبو الشمقمق أوهكذا هو قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

إني اذا ما شاعر هاجانيه
ولج في القول له لسانيه
أدخلته في است امه علانيه
بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فوثب اليه بشار وأمسك فاه ثم قال أراد والله أن يشتمني ثم دفع اليه مائتي درهم وقال لا يسمع هذا منك الصبيان (وروى) أن أبا نواس لما وفد على الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع في قول الشعر ولكنك لا تخطب فقام من

ومنه قالت وقد راودتها عن قبلة * تشفى بها قلبا كئيبا مغرما * قدم يدا من قبل أن تدنى يدا
ومبرة من قبل أن تدنى فما * ان الغرام غرامة فتى تكن * بى مغرما فلضمان لى مغرما

ومنه أرأيت ما قد قال لى بدر الدجى * لما رأى طرفى يديم سهودا
حتى م ترمقنى بطرف ساهر * أقصر فلست حبيبك المفقودا

ومنه رب يوم للأنس فيه فراغ * ولكاس السرور فيه مساغ
بيننا البخور غيم ولما * ورد طش وللغوالى رداغ

ومنه يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكى مثل طرف هامى
وكأن وجه الارض خد متيم * وصلت دموع سحابه بسجام
فاطلب ليومك أربعا هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام
وجه الحبيب ومنظرا مستشرقا * ومغنيا غردا وكأس مدام

ومنه فى وصف الكتب والخط والبلاغة
كتابك سيدى جلى همومى * وجل به اغتباطى وابتهاجى
كتاب فى سرائره سرور * مناجيه من الاحزان ناجى
فكم معنى لطيف درج لفظ * هنالك تزاوجا أى ازدواج
كراح فى زجاج بل كروح * سرى فى جسم معتدل المزاج

ومنه أيضا بنفسى من أهدى الى كتابه * فأهدى لى الدنيا مع الدين فى درج
كتاب معانيه خلال سطوره * لآلى فى درج كواكب فى برج

ومنه لما أتانى كتاب منك مبتسم * عن كل بر وفضل غير محدود
حكت معانيه فى أثناء أسطره * آثارك البيض فى أحوالى السود

ومنه ما ان سمعت بنوار له ثمر * فى الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتى أتانى كتاب منك مبتسم * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدررا
فكان لفظك من لألائه زهرا * وكان معناه فى أثنائه ثمرا
تسابقا فأصابا القصد فى طلق * لله من ثمر قد سابق الزهرا

ومنه اذا أحببت أن تحظى بسحر * فلا تختر على لفظى وشعرى
فأحسن من نظام الدر نظمى * وآنق من نثار الورد نثرى

ومنه فى الفقهيات عليك بمطبوخ النبيذ فانه * حلال اذا لم يختطف العقل والفهما
ودع قول من قد قال ان قليله * يعين على الاسكار فاستوبا حكما
فليس لما دون النصاب قضية النصاب وان كان النصاب به تما

ومنه فى معناه معاشر الناس أصغوا فقد نصحت لكم * فى الراح حكم مليح غير ممقوت
قليلها مستباح والكثير حمى * كغرفة فردة من نهر طالوت

ومنه فى الطبيات والفلسفيات
لا يغرنك أننى ألين المس * س فعزمى اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

ومنه خف الله واطلب هدى دينه * وبعدهما فاطلب الفلسفه
لئلا يغرك قوم رضوا * من الدين بالزور والسفسفه
ودع عنك قوما يعيبونها * ففلسفة المرء كل السفه

فوره وصعد المنبر وأنشد مرتجلا
محضتكمو يا أهل مصر نصيحتى
ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية
أكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق سحر فرعون فيكمو
فان عصا موسى بكف خصيب
(ثم) التفت اليه وقال لا يأتى بها والله خطيب مصقع فاعتذر اليه وحلف انه انما كان يمازحه (وروى) انه كان تنزه مرة مع عيسى ابن الرشيد بالقفص فى أواخر شعبان فلما كان فى اليوم الموفى ثلاثين قيل لابى نواس هذا يوم شك وبعض الناس يصومه احتياطا فقال ليس الشك حجة على اليقين حدثنا أبو جعفر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ثم التفت الى عيسى وارتجل
لو شئت لم نبرح من القفص
نشربها حمراء كالفص
نسرق هذا اليوم من شهرنا
فالله قد يعفو عن اللص

ومنه في النجوميات قدغض من أملي أني أرى عملي * أقوى من المشتري في أول الحمل
وانني راحل عما أحاوله * كأنني أستدر الحظ من زحل
ومنه اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا برج نجم اللهو والطرب
ومنه لا تعجبن لدهر ظل في صبب * أشرافه وعلى في أوجه السفل
وانظر لاحكامه أني تقادبها * فالمشتري السعد عال فوقه زحل
ومنه سل الله الغني تسأل جوادا * أمنت على خزائنه النفادا
وان أدناك سلطان لفضل * فلا تغفل ترقبك البعادا
فقد تدني الملوك لدى رضاها * وتبعد حين تحتقد احتقادا
كما المريخ في التثليث يعطي * وفي التربيع يسلب ما أفادا
ومنه شرف الوغد بوغد مثله * مثل ما فيه زيغ وزلل
ودليل الصدق فيما قلته * شرف المريخ في بيت زحل
ومنه في الاخوانيات لقاؤك يدني مني المرتجي * ويفتح باب الهوى المرتج
فأسرع الينا ولا تبطين * فانا صيام الى أن تجي
ومنه عندي فديتك سادة أحرار * وقلوبهم شوقا اليك حرار * وشرابنا شرب العلوم ورضنا
نزه الحديث ونقلنا الاشعار * فامنن علينا بالبدار فانما * أعمار أوقات السرور قصار
ومنه لا تطلبن بي وبر لحي * أن شكري كشكر غيري موات
أنا أرض ورا حتاك سماء * والايادي وبل وشكري نبات
ومنه من شاء عيشا رخيا يستفيد به * في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه أدبا * ولينظرن الى من دونه مالا
ومنه أفد طبعك المكدود بالجد راحة * قليلا وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
ومنه اذا ما اصطفيت امرأ فليكن * شريف النجار زكي الحسب
فنذل الرجال كنذل النبات * فلا للثمار ولا للحطب
ومنه عفاء على هذا الزمان فانه * زمان عقوق لا زمان حقوق
فكل رفيق فيه غير موافق * وكل صديق فيه غير صدوق
ومنه كأنني فرس الشطرنج ليس له * في ظل رابطه ماء ولا علف
ومنه قوله في المشاورة خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه
وقوله أيضا ان كنت تطلب رتبة الاحرار * فاعمد لحلم راجح ووقار
وحذار من سفه يشينك وصفه * ان السفاه بذي المروءة زاري
ان السفيه اذا تصدى لامرئ * متحلم ونهاه بالاضرار
فالماء يطفي وهو لين مسه * عذب مذاقته لهيب النار
ومنه وما استوفى شروط الحزم الا * فتى في خلقه سهل وحزن
ومثله قول ابن شمس الخلافة
فليس كمال المرء بالخير وحده * اذا لم يكن في المرء شئ من الشر

(وذكر) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في أمثاله قال حدثنا أبو سهل الحاسب ونحن معه في بعض حوانيت القسطاط قال كان أكثر قعود الحسن بن هانئ في هذا الحانوت فقربه في بعض الايام ابن عبد الحكم وكان في يده سوط فسلم عليها به فقال الحسن
سلم السوط اذ مررت علينا
فعلى السوط لا عليك السلام
فقال ابن الحكم لمن معه من هذا فقال هذا الحسن بن هانئ فرجع اليه ونزل واعتذر فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه
(وذكر) أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين انه كان بالكرخ مغن يقال له أبو عمير وكان له قيان حسان وكان عبد الله بن محمد أظنه التميمي قد عشق جارية منهن يقال لها عبادة فكان يغشى منزله وينفق فيه ثم أضاق اضاقة شديدة حملته على الانقطاع عنهم وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم ثم نازعته نفسه الى لقائها وزيارتها فأتاها

ومحاسن أبي الفتح البستي كثيرة رحمه الله تعالى وفيما أوردناه كفاية

(كلكم قد أخذ الجا * م ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الـجام لو جاملنا)

البيتان من مجزوء الرمل وهما لابي الفتح البستي أيضا (والشاهد فيهما) الجناس المفروق وهو المتفق لفظا لا خطا كقول المعتمد بن عباد يحكي قول جارية له في محنته

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا قلت لها الى هنا * صيرنا اله هنا

وقول المطوعي أمير كله كرم سـعدنا * بأخذ المجد عنه واقتباسه
يحاكي النيل حين يروم نيلا * ويحكي باسلا في وقت باسه

وقوله أيضا لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تبالغ قبـل في تهذيبها
فتى عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقول ابن أسد الفارقي غدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا أفهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لنسأله عن حاله والقوارئحا

وقول أبي الفتح البستي ان سل أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وقوله أيضا الى حتفي سعى قدمي * أرى قدمي أراق دمي فكم أنقدم من ندم * وليس بنافع ندمي

وقوله كم من أخ قد هدمت أخلاقه * في آخر ما قد بني في الاول * نسي الوفا ولست أنسى عهدما
شاهدت منه في الزمان الاطول * يرمي سهاما ان أسر المقت لي * بالكيد لا يقصدن غير المقتل

وقوله أيضا جعلنا أجنبيين * بلا جرم ولا تبل وأقصينا وما خنا * وما زغنا عن العدل
فقل لي يا أخا السود * دو الهمة والفضل الى كم نحن في ضيق * وفي عزل وفي أزل
أما تنشط أن تلي * على الكتاب أنت لي

وقوله لا يسوأنك ان برا * ني دهر فلم يرش أنت عش سالما فانـك ان عشت أنتعش

وقول العميد بن سهل
عجبت من الاقلام لم تند خضرة * وباشرن منه كفه والانامل
لو أن الورى كانوا كلاما وأحرفا * لكان نعم منها وكان الانام لا

وقول أبي بشر المأموني ابن علي الخوارزمي مهنئا بعض أصحابه بزفاف
بدر دجى أحببوه شمس ضحى * بارك رب السماء فيها له
ضمتهما هالة الوصال معا * من ذا رأى النيرين في هاله

وقول أبي بكر اليوسفي يصف أقلاما وهي
قصبات فضل قد جوت قصباتها * مجرى موافي كبوة وعثار
يكتبن في القرطاس أخبار النهى * بلعاب منقار لها منقار

وقول صدر الدين الجندي
أنفق حبورا واسترق العلا * ولا تخف خشية املاق
الناس أكفاء اذا قوبلوا * ان فاق شخص فبالانفاق

وما ألطف قول ابن نباتة قر اراه أم مليحا أمردا * ولحاظه بين الجوانح أم ردى
وسبقه الى ذلك الامير أبو الفضل الميكالي فقال
يا من دهاه شعره * وكان غضا أمردا سيان فاجا أمردا * في الخد شعر أم ردى
ولابي الفضل في هذا أيضا قوله
لنا صديق تجيد لقما * راحتنا في أذى قفاه ما ذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

فأصاب عندها جماعة ممن كان يألف منزل مولاها فرجبت به الجارية وسيدها واستبطؤا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم فجعل يحتج في عذره ولا يصرح فلما سكر رفع عقيرته منشدا
لو تشكى أبو عمير قليلا
لأتيناه من طريق العياده
وقضينا من الزيارة حقا
ونظرنا المقلتي عباده
فقال له أبو عمير ما الى والك يا ابن أخي انظر الى مقلتي عبادة كيف شئت بل نكها ولا تمرض لي المرض (وذكر) أيضا فيه برواية تتصل بعلي ابن هشام قال قدمت على جدتي ساهك من خراسان فقالت لي اعرض علي جواريك فعرضتهن عليها ثم جلسنا على الشراب ومتيم تغني فأطالت جدتي الجلوس عندنا فلم أنبسط للجواري اجلالا لها فأخذت الدواة وصنعت في الحال وكتبت به رقعة ورميت بها الى متيم
أتبقى على هذا وأنت قريبة
وقد منع الزوار بعض التكلم
سلام عليكم لا سلام مودع
ولكن سلام من محب متيم

وله أيضا لنا صديق ان رأى * مهفهفا لاطفه وان يكن فى دهرنا * ذو أبنة لاط فهو

وله أيضا لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكل أجفانى برعى كواكبه

فيا جزعى مهلا عساه يعود لى * ويا كبدى صبرا على ما كوالك به

وللشهاب محمود فيه ولم أر مثل نشر الروض لما * تلاقينا وبنت العامرى

جرى دمعى وأومض برق فيها * فقال الروض فى ذا العام رى

ولابن جابر الاندلسى قد سبى قلبى غزال فاتن * سل به كيف اعتدى فى سلبه

أنا لا أعتبه فيما جرى * صفح الله عن ذنبه

وقوله أيضا أيها العاذل فى حبى لها * خل نفسى فى هواها تحترق

ما الذى ضرك منى بعدما * صار قلبى من هواها تحت رق

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أسرع وسر طالب المعالى * بكل واد وكل مهمه

وان لحى عاذل جهول * فقل له يا عذول مه مه

وقوله رحمه الله تعالى ان الذى منزله * من سحب عينى أمرعا

لم أدر من بعدى هل * ضيع عهدى أم رعى

وقول قاضى القضاة بهاء الدين السبكى

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى * حتى تعود لى الحياة وأنت هى

ومثله قول أبى نصر القشيرى

تقبيل خدك أشتهى * أمل اليه أنتهى * ان نلت ذلك لم أبل

بالروح منى أنت هى * دنياى لذة ساعة * وعلى الحقيقة أنت هى

الجناس الناقص المطرف

(يمدون من أيد عواص عواصم)

هو صدر بيت من الطويل وتمامه تصول بأسياف قواض قواضب وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلى أولها على مثلها من أربع وملاعب * أهينت مصونات الدموع السواكب وهى طويلة وما أحسن قوله فى مخلصها

اذا العيس قد لاقت أبا دلف فقد * تقطع ما بينى وبين النوائب * هنالك تلقى الجود فى حيث قطعت تمائمه والمجد وافى الذوائب * تكاد عطاياه تجن جنونها * اذا لم يعوذها بنعمة طالب

وهذا البيت مما انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم وما باله ينسبها الى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلا فك أسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبى

وعطاء مال لو عداه طالب * أنفقته فى أن تلاقى طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى فقال مسلم

أخ لى يعطينى اذا ما سألته * وان لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية وانا اذا ما تركنا السؤال * فمعروفه أبدا يبتدينا

وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه أبدا يبتغينا

وقال أبو تمام الطائى فأضحت عطاياه نوازع شردا * تسائل فى الآفاق عن كل سائل

وقال أيضا ورأينى فسألت نفسك سيبها * لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم أنفقته فى أن تلاقى طالبا (ولنرجع الى شعر أبى تمام) ومن محاسن قصيدته هذه قوله يرى أقبح الاشياء أوبة آمل * كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من نور يفتحه الندى * بياض العطايا فى سواد المطالب

فأخذته ثم نهضت الى الصلاة وعادت وقد صنعت لحنا فغنته فقطعت جدتى وقالت أظن اننا ثقلنا عليكم وأمرت الخدم فحملوا محفتها وأمرت للجوارى بصلات وأمرت لتميم بثلاثين ألف درهم (أنبأنى) الفقيه النبيه أبو الحسن المفضل على بن الحسين المقدسى عن الفقيه أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى الحافظ قال أخبرنا أبو العباس البغدادى قال حدثنا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيرى حدثنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافى قال حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن السرى الزجاج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال لما وصل المأمون الى بغداد وقربها قال ليحيى ابن أكثم وددت لو وجدت رجلا مثل الاصمعى ممن يعرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها فيصحبنى كما صحب

وهذا

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة وهو مأخوذ من قول الاخطل

رأينا بياضا في سواد كأنه * بياض العطايا في سواد المطالب

(ويحكى) أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله على مثلها من أربع وملاعب قال من أراد بكته لعنه الله والملائكة والناس أجمعين وهذا نوع من البديع يسمى التوليد فان هذا القائل ولد من الكلام كلاما يناقض غرض أبي تمام من وجهين أحدهما خروج الكلام عن النسيب الى الهجاء بسبب ما انضم اليه من الدعاء والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر الى أن صار قطعة من النثر ومن لطيف التوليد قول بعض العجم وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه

كأن عذاره في الخد لام * ومبسمه الشهي العذب صاد وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فانه ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم وهذا من أغرب توليد سمع (رجع الى الكلام على البيت) عواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا وعواصم من عصمه حفظه وحماه وقواض من قضى عليه حكم وقواضب من قضبه قطعه (والشاهد فيه) الجناس الناقص المطرف ومن الشواهد عليه قول البحتري

فان صدفت عنا فربة أنفس * صواد الى تلك الوجوه الصوادف

وما أنشده الشيخ عبد القاهر وهو

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

وقول الآخر عذيرى من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

وقول البهاء زهير أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

ومنها

طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر
يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى * من منهما زاه وزاهر

وقول المعتمد بن عباد وقد كتب به الى صاحب له يدعوه الى مجلس أنس وهو

أيها الصاحب الذى فارقت عيـ * ـنى ونفسى منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذى يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسى من اللذة والرقة الهوى والهواء
فأته تلق راحة ومحيا * قد أعدا لك الحيا والحياء

وقول ابن جابر الاندلسى منازل قلبي ليس فيهن نازل * سواك ولى شوق لقيباك دائم

فيا راكب الوجناء هل أنت عالم * فداؤك نفسي كيف تلك المعالم

وقول أبي جعفر الغرناطي

أرى أناسا من أراد الرضى * منهم رجاما ليس بالممكن
ساءن أن يعطوا وأن يمنعوا * قد ضاع منهم كرم المحسن

وما أحسن قول ابن شرف المارديني من قصيدة

هلال في بروج السعد سار * غزال في مروج العز سارح

الجناس المذيل

(ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح)

البيت من مجزوء الكامل المرفل وقائلته الخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخرا أولها

ياعين جودى بالدمو * ع المستهلات السوافح
فيضا كما فاضت غرو * ب المترعات من النواضح

الاصمعي الرشيد فقال يحيى ههنا شيخ يعرف هذه الاخبار يقال له غياث بن ورقاء الشيباني قال أحضره فلما احضر قال له يحيى ان أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه فقال أنا شيخ كبير لا طاقة لي بذلك لانه قد ذهب مني الاطيبان فقال له المأمون لا بد من ذلك فقال الشيخ فاسمع ماحضرني وأنشد اقتضابا

أبعد شيبي أصبو * والشيب للمرء حوب
شيب وسن واثم * أمر لعمرك صعب
يا ابن الامام فهلا * أيام عودى رطب
واذ شفاء الغوانى * منى حديث وقرب
واذ مشيبي قليل * ومنهل العيش عذب
والآن حين رأى بي * عواذلى ما أحبوا
آليت أشرب راحا * ماحج لله ركب

فقال المأمون اكتبوها بالذهب وأمر له بجائزة وتركه (وبهذا الاسناد عن الحميدى) قال أخبرنا أبو

وبعده البيت وبعده وابكي لمضطر اذ ثوى * بين الضريحة والصفائح
رمسا الذي جدث تذبح * بتربه هوج النوافح
والسيد الجحجاح وابـ * ـن السادة الشم الجحاجح
(والشاهد فيه الجناس المذيل) وهو ما كان بأكثر من حرف ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه
وكنا متى يغزو النبي قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل
وقول النابغة أيضا لها نار جن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب
وقول الآخر في رثاء فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح
ولابن جابر الاندلسي فيه
بين الجوانح لو علمت من الجوى * نار عليها سكب دمعي يصنع
فدع المدامع في مدى جريانها * فالدمع بعد فراقهم لا يمنع
(تتمة) قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ولم يذكر لها شواهد شعرية فلنذكر منها شيأ تتميما للفائدة (فمن شواهد الجناس المشتق) قول أبي تمام
فأنجدتم من بعد اتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد
وقول محمد بن وهيب
قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر
وقول الصاحب بن عباد وقائلة لم عرتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم
ولابن جابر الاندلسي فيه قد نعمنا بسفح نعمان لكن * عقني البعد والعقوق قبيح
قل لاهل الخيام أما فؤادي * فجريح لكن حبي صحيح
ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه
اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
وما أحسن قول كشاجم في خادم أسود مشهور بالظلم
يا مشبها في لونه فعله * لم تخط ما أوجبت القسمه فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه
ولطيف قول بعضهم أيضا
على بابك المعمور لا زال عاليا * مطيات آمال البرية واقفه
لجودك موجود وطولك طائل * وعرفك معروف وكفك واكفه
وما أحسن قول بعض المتأخرين في هذا النوع أيضا
عاينت طيف الذي أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضيء منها الذي السار بن قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضيء فهذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الامر واحدة * أنا الخيال ونار الشوق تخييل
وقد نبه على الاشتقاق في قوله نسبتنا في الامر واحدة
(ومن الجناس المطلق) ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمطلق كل ركن منه يباين الآخر قول الشاعر
عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين عن الضيوف النزل
فأقمت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

محمد علي بن أحمد قال أخبرنا عبد الله بن ربيع التميمي قال حدثنا أبو علي اسمعيل ابن القاسم البغدادي قال حدثني أبو معاذ عبدان الخولي المتطبب قال دخلنا يوما بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل اليه فقال وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل ثم أقبل علينا فقال ما تقولون في رجل له شقان أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث وأكثر ما أشكوه الثمانون ثم أنشدنا بيتا من قصيدة عوف بن محلم الحراني قال أبو معاذ وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله ابن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع فأعلم بذلك فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة وأنشد
يا ابن الذي دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان
ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقول الآخر أيضا بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبي ينفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلي تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر
وقال أبو فراس الحمداني
فما السلاف ازدهتني بل سوالفه * ولا الشمول دهتني بل شمائله
ومثله قول البهاء زهير يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
وللبحتري فيه أيضا واذا ما رياح جودك هبت * صار قول الوشاة فيها هباء
وظريف قول ابن العفيف أراك فيمتلي قلبي سرورا * وأخشى أن تشط بك الديار
بجور واهجر وصد ولا تصلني * رضيت بأن تجور وأنت جار
ولشيخ شيوخ حماة تولى شبابي فولى الغرام * ولازم شيبي لزوم الغريم
ولو لم يصد في بازيه * لما صار متني مهاة الصريم
(ومن شواهد الجناس المحرف) قول أبي تمام
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام
وقول أبي العلاء المعري
لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل
وقول الحريري لله من ألبسني فروة * أضحت من الرعدة لي جنه * ألبسنيها واقيا مهجتي
وقي شر الانس والجنه * سيكتسي اليوم ثنائي وفي * غد سيكسي سندس الجنه
وقول الآخر قلب وقلب في يديك معذب ومنعم ظمآن يطلب قطرة * تشفي صداه وينعم
وبديع قول سلطان بلنسية أبي عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت
وقد أشرف على الفوت اله الخلق هب لي منك عفوا * تحط به وتغفر من ذنوبي
وسعت الخلق اجمالا ولطفا * فهل لي في نوالك من ذنوب
وما أبدع قول ابن الفارض
هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء
وقول شيخ شيوخ حماة لعيني كل يوم فيك عبره * تصيرني لأهل العشق عبره
وقول ابن النقيب لا أجازي حبيب قلبي بظلمه * أنا أحنى عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهواه مثلي وظلمه مثل ظلمه
وقول البهاء زهير زهي ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف
وقد زعموا انه مضعف * وما علموا انه مضعفي
وقول ابن جابر الاندلسي حل عقد الصبر مني عقدها * انسبت قلبي بما في قلبها
تحسب الدر على لبتها * أنجما قد حلي البدر بها
(ومن شواهد الجناس المضارع) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه قول
الشريف الرضي لا يذكر الرمل الا حن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان
وقول ابن نباتة رق النسيم كرقتي من بعدكم * فكأننا من حبكم نتغاير
ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا في كذبنا نتخاير
وقول ابن جابر الاندلسي سلب القلب غزال قده * قد حكى البان انا والسلما
نون صدغيه اذا أبصره * كاتب ألقى اليه القلما
وقوله أيضا أمر الشباب قضيب معطفها * فهفا فنالت من دمي أملا
أسر الهوى مهج الانام لها * اذ هز من أعطافها أسلا

وبدلتني بالشطاط الحنا
وكنت كالصعدة تحت السنان
وأبدلتني من زمان الفتى
وهمه هم الجبان الهدان
وقاربت مني خطا لم تكن
مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى
غمامة ليست كنسج العنان
ولم تدع في لمستمتع
سوى لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به
على الامير المصعبي الهجان
فقرباني بأبي أنتما
من طرفي قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة
أوطانها حران والرقتان
(وذكر) أن تميم بن جميل
التغلبي عاث ببعض الاعمال
فحمله مالك بن طوق الى
المعتصم فلما قدم بين يديه
وأحضر السيف والنطع
لقتله رآه المعتصم جميلا
وسيما فأحب أن يعلم كيف
منطقه فقال له تكلم فقال
بعد أن حمد الله تعالى ودعا
للمعتصم ان الذنوب تخرس
الالسنة وتعمي الافئدة
وقد عظمت الجريرة وساء
الظن ولم يبق الا العفو
أو الانتقام وأرجو أن يكون

(ومن شواهد الجناس اللاحق) وهو عكس المضارع قول البحتري في مطلع قصيدة

هل لما فات من تلاق تلاف * أم لشاك من الصبابة شاف

يقول فيها وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجب الناس لاعتزالي وفي الاط * راف تلفى منازل الاشراف

وقعودي عن التقلب والار * ض لمثلي رحيبة الاكناف

لست عن ثروة بلغت مداها * غير اني امرؤ كفاني كفافي

وقول أبي هلال العسكري

أراعي تحت حاشية الدياجي * شقائق وجنة سقيت مداما

وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا مطرت سهاما

وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

وقول الآخر نظرت الكثيب الاجرع الفرد مرة * فردّ الى الطرف يدمى ويدمع

وقول ابن جابر بادر الحسن الذي منحت * فاسترق من خدها النظرا

قهر الاغصان معطفها * حين وافى حاملا قمرا

(ومن شواهد الجناس اللفظي) وهو ما تماثل ركناه وتجانسا خطا وخالف أحدهما الآخر في حرف فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء أو بالنون والتنوين وهذا نوع قليل جدا قال الارجاني وبيض الهند من وجدي هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

وقال ابن العفيف أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

(ومن شواهد الجناس المقلوب) ويسمى جناس العكس وهو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب قول العباس بن الاحنف

حسامك فيه للاحباب فتح * ورمحك فيه للاعداء حتف

وقول القاضي أبي بكر البستي

حكاني بهار الروض لما ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب

فقلت له ما بال لونك شاحبا * فقال لاني حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

يا حسن ما سمي البهار به * لو تركته عيافة العايف قلبته راهبا فأشعرني * خوفا وأوبل راهب خايف

ومنه قول أبي عبد الله الغواص

من عذيري من عذولي في قمر * قاس القلب هواه فقمر

قمر لم يبق مني حبه * وهواه غير مقلوب قمر

ومثله قول قمر الدولة بن دواس

اجلي بأجل اني * رجل ما فيه قلبه أو يكن ذاك فاني * قمر ما فيه قلبه

وقول بعضهم وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خد ندي

تسالم من وطئت خده * وتسلب قلب الشجي الابعد

وقول الآخر فقالت ترى ماذا الذي أنت قانع * به من هو أنا قلت مقلوب قانع

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرني باللحظ والمقلة الكحـ * ـلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس ى

ومثله قول الصلاح الصفدي

أقربهما مني أليقهما بك
ثم ارتجل
أرى الموت بين النطع
والسيف كامنا
يلاحظني من حيثما التفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي
ومن ذا الذي مما قضى الله يفلت
وأي امرئ يدلي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب
موقف
يسل علي السيف فيه
وأسكت
وما جزعي أني أموت وانني
لأعلم أن الموت أمر موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين
بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت
موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت
(فعفا عنه المعتصم) وقلده عملا
وهذه بديهة لو وقعت لمرئ
ثابت الجأش مع طول المدة
وحصول الأمن لكانت

قلب

قلب الدنّ من أحب فاضت * نفحة الندّ من محياه تهدى
قال لى اعجب فقلت ماذا عجيب * كل دنّ قلبته صار ندّا

وقول أبى نصر أحمد بن الحسين الباخرزى

من عاذرى من عاذل قال لى * ويحك كم تعشق يا مغرم
وآلم القلب ولا غـــرو اذ * كل مــلوم قلبــه مولم

وقول النيلى

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنّك البعـاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وما أحسن قول الوداعى فى مليح ينتف

تعشقت ظبيا ناعس الطرف ناعما * الى ان تبدّى الشعر والعشق ألوان
وقالوا أفق من حبه فهو ناتف * فقلت عكستم انما هو فتان

وما أبدع قول ابن نباتة فى الامير بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحب تضطرب قلت هذا تخرّص * قلب بهرام ما رهب

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم وقيل انه أمدح بيت قالته العرب وهو

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وقال ابن أبى الاصبع رأيت فى بعض الكتب ان هذا البيت أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير وهما

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وفى عطافيه أو أثناء بردته * ما يعلم الله من دين ومن كرم

(أقول) ورأيت فى حماسة أبى تمام نسبة البيت الذى ذكره ابن أبى الاصبع لابى دهبل الجمحى فى الازرق المخزومى يرثيه فى أبيات أخر وما ألطف قول القائل

وألفيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله قول الآخر

ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى أن أطيقا
فبحقى عليك يا من سقانى * أرحيقا سقيتنى أم حريقا

وقول الآخر

قلت لما لاح لى منـ * ـها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق * أم حريق أم رحيق

وقول الآخر وهو من الغايات هنا

لبق أقبل فيه هيف * كلما أملك ان غنى هبه

وأحسن ما فى هذا النوع أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلى * فلذاك روحى لا تقر ردّ الحبيب جوابه * فكأنه فى اللفظ درّ

ومثله قول الصلاح الصفدى

رضت فؤادى غادة * ما كنت أحسبها تضرّ ردّت رسولى خائبا * فدامعى أبدا تدرّ

وما ألطف قول ابن جابر الاندلسى

بين نعمان وسلع ملأ * ليس منهم لمحب ألم
كلفى منهم ببدر حلّ فى * فلك العلياء فاعرف من هم

وقوله

قد بان عذرى فى مليح له * لحظ رشا يلحظ عن ذعر
انى على الهجر مطيع له * ممتثل فى السرّ والجهر

وقوله

أبدا أبسط خدّى أدبا * لكمو يا أهل ذاك العلم
أملى أنى أرى ربعكمو * فبه يذهب عنى ألمى

عظيمة فكيف بالبديهة فى هذه الساعة التى يحول فيها الجريض دون القريض وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الابرص فيها على الرواية * وكذلك على بن الجهم قال ارتجالا وقد صلب

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية
لا بيت معاولا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم
حسنا وملء قلوبهم تبجيلا
ما ضرّه ان بزّ عنه ثيابه
فالسيف أهول ما يرى
مساولا

وهذا من أحسن شعره وأبدعه (وروى) عن خالد الكاتب أنه قال دخلت الدير يوما فاذا أنا بشاب مغلول مربوط الى سارية فقلت اليه وسلمت عليه فقال من تكون قلت خالد الكاتب قال صاحب المقطعات قلت نعم قال أنشدنى فأنشدته

ترشفت من شفتيه عقارا
وقبلت من خده جلنارا
وعانقت منه قضيبا رطيبا
وردفا مهيلا وبدرا أنارا
وعاينت من حسنه فى الظلام
اذا ما تبدّى نهارا اجهارا

فأطرق ثم أنشد

(ومن شواهد الجناس الملفق) وهو أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين قول المطوعى

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

ومثله قول الصلاح الصفدى

وساق غدا يسعى بكأس وطرفه * يجرّد أسيافا لغير كفاح

اذا جرح العشاق قالوا أفقت فى * مدارج راح أم مدار جراح

والطيف قول القاضى أبى على عبد الباقى بن أبى حصين وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة وأقام فى الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان

فلم تضع الاعادى قدر شانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

وما أعذب قول ابن عنين هنا خبروها بأنه ما تصدّى * لسلوّ عنها ولو مات صدّا

(ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة) وهو أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالاشارة كقول الشاعر

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

ومثله قول الاديب نصر بن أحمد الخزارزى

لقد عمرت فى وجه عصبان لحية * وما عمرت الا وفى العقل تخريب

فليت اسم موسى فوقها متمكن * وان غاب موسى فاسم هرون مقاوب

ومثله قول أبى روح الهروى

حقيق لك ان تطعم عفصا وهو معكوس * وان يلبس جنباك الشذى مقاوبه طوس

ثم التجنيس انما يستحسن اذا كان سهلا لا أثر للكلفة عليه وأما ان خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ويذهب بهجة الشعر وحسنه وهذا وقع فى أكثر شعر المتأخرين وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن جديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبى عمل قصيدة يقول فيها

وحييت انحييت حادى عيسهم * فكأن عيسى من حداة العيس

فقال فيه بعض الشعراء

ثقلت بالتجنيس خفة روحها * ما كان أغناها عن التجنيس

ولحبك التجنيس جئت ببدعة * فجعلت عيسى من حداة العيس

(سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع)

البيت من الطويل وبعده

حريص على الدنيا مضيع لدينه * وليس لما فى بيته بمضيع

وقائلهما الاقيشر الشاعر وكان شريبا للخمر متهتكا به لا يدخل فى يده شئ الا أنفقه فيه وكان له ابن عم موسر فكان يسأله فيعطيه حتى كثر ذلك فمنعه وقال له الى كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فى شرب الخمر والله لا أعطيك شيأ أبدا فتركه حتى اجتمع قومه فى ناديهم وهو فيهم ثم جاء فوقف عليهم فشكاه اليهم وذمّه فوثب اليه ابن عمه فلطمه فقالهما (والشاهد فيه) ردّ العجز على الصدر وسماه المتأخرون التصدير وهو ان يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصراع الاول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثانى ومن شواهده قول بعضهم

تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ما تمنت

ومثله قول الآخر سكران سكر هوى وسكر مدامة * انى يفيق فتى به سكران

وقول أبى نواس وحياة رأسك لا أعو * د لمثلها وحياة راسك

وقول ابن جابر جمال هذا الغزال سحر * يا حبذا ذلك الجمال

رب ليل أمتد من نفس العا
شق طولا قطعته بانتحاب
ونعيم ألذ من وصل معشو
ق تبدلته بيوم عتاب

(قال خالد) فوالله انى منذ ثلاثين سنة لا أحسن اجازتهما (وروى) أبو الفرج أن شحنة بغداد كسر نبيذا كثيرا حتى ملأ الطريق فمر به بكر بن خارجة فلما رآه جلس يبكى فمر عليه بعض أصحابه فسأله عن سبب بكائه فقال بديها

يا لقومى لما جنى السلطان
لم يكن للذى أهان هوان
صبها فى الطريق من جلب الكر
م عقارا كأنها زعفران
صبها فى مكان سوء لقد أد
رك سعد السعود ذاك المكان

(قال الكرمانى) أنشدتها الجاحظ فقال ان من حق الفتوة والمروءة أن لا أكتبها الا قاعدا فعمدته لانه كان مفلوجا حتى كتبها (وذكر) أن العباس بن ابراهيم الصولى كان قد ولى بعض النواحى للمتوكل فأخرج اليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة وجلساء للمناظرة بين يدى المتوكل ولم يكن

هلال خدّيه لم يغيب * عنى وان غيب الهلال غزال أنس يصيد أسدا * فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دلّ كل شوق * عليه اذ زانه الدلال كماله لا يخاف نقصا * دام له الحسن والكمال
نباله قد رمت فؤادى * لا أخطأت تلكم النبال حلال وصلى له حرام * وحكم قتلى له حلال
زلال ذاك اللمى حياتى * وأين لى ذلك الزلال قتاله لا يطاق لكن * يعجبنى ذلك القتال

وقول أبى جعفر الغرناطى

منازل ليلى ان خلت فلطالما * بها عمرت فى القلب منى منازل
وسائل شوقى كل يوم تزورها * وما ضيعت عند الكرام الوسائل

وقول أبى الفتح البستى

سحبان من غير مال باقل حصر * وباقل فى ثراء المال سحبان

﴿والاقيشر﴾ اسمه المغيرة بن عبد الله ينتهى نسبه لمضر بن نزار ويكنى أبا معرض وعمر طويلا ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه وكان يغضب من هذا اللقب (اجتاز) يوما على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم يا أقيشر فزجره الاشياخ ثم عاد الاقيشر ومعه رجل وقال له قف معى فاذا أنشدت بيتا قل ولم ذاك ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب فأقبل عليه وقال

أتدعونى الاقيشر ذاك اسمى * وأدعوك ابن مطفئة السراج

فقال له الرجل ولم ذاك فقال

تناجى خدنها فى الليل سرّا * ورب الناس يعلم ما تناجى

وقال محمد بن سلام كان الاقيشر كوفيا خليعا ماجنا مدمنا للخمر وهو الذى يقول لنفسه

فان أبا معرض اذ حسا * من الراح كاسا على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض * اذا اليم فى الخمر لم يصبر
أحلّ الحرام أبو معرض * فصار خليعا على المكبر
يحب اللئام ويلحى الكرام * وان أقصروا عنه لم يقصر

وكان الاقيشر عنينا لا يأتى النساء وكان يصف ضد ذلك من نفسه فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الاقيشر

ولقد أروح بمشرف ذى منعة * عسر المكرة ماؤه يتفصد
مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

ثم قال للرجل أتبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت لو رأيته ركبته فقال اى والله وأثنى عطفه فكشف الاقيشر عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول قبحك الله من جليس (وشرب) الاقيشر يوما فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم مخنث يغنيهم فطرب الاقيشر فسقاهم من شرابه فلما انتشوا قام الاعمى يسعى فى حوائجهم وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك جهده فقال الاقيشر

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فابصرا
شرابا كريح العنبر الورد ريحه * ومسحوق هندىّ من المسك أذفرا

(وحدّث) رجل من بنى أسد قال سمعت عمة الاقيشر تقول له يوما اتق الله وقم فصلّ فقال لا أصلى فأكثرت عليه فقال قد أبرمتنى فاختارى خصلة من خصلتين اما أن أصلى ولا أتطهر واما أن أتطهر ولا أصلى قالت قبحك الله فان لم يكن غير هذا فصلّ بلا وضوء فقام فصلى بغير وضوء (وقال أبو أيوب المدائنى) حدثت أنه شرب يوما فى بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطى من شرط الامير ليدخل عليه فأغلق الباب فناداه الشرطى اسقنى نبيذا وأنت آمن فقال والله أنت ما آمنك ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ثم وضع له أنبوبا من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل والشرطى يشرب من خارج حتى سكر فقال الاقيشر

من رجال أحد فى كتابة الخراج ولا أحد من رجاله فى البلاغة والشعر فكاد يفتضح فوقعت قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل

صدّعنى وصدّق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا

فسر المتوكل طربا وأقره على عمله وسوّغه ما عليه (وذكر) أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أنه كان بدمشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها أمل فدعا اخوانا له من أجلاء الكتاب ودعاها ودعا قيانا غيرها فحضروا وتأخرت فتنغص عليهم يومهم من أجلها ثم جاءت فسرّى عنه وطرب وشرب وكتب ارتجالا

ألم تريا يومنا اذ نأت
فلم تأت من بين أترابها
وقد عمرتنا دواعى السرو
ر بالهائها وباطرابها
ومدّت علينا خيام النعيم
وكان التمنى بعض أطنابها
ونحن فتور الى أن دنت
وبدر الدجى بين أثوابها

سأل الشرطى أن نسقيه ❋ فسقيناه بأنبوب القصب
انما نشرب من أموالنا ❋ فاسأل الشرطى ما هذا الغضب

(وعن الهيثم بن عدىّ) قال كان قيس بن محمد بن الاشعث ضرير البصر وكان يتنسك فأتاه الاقيشر فسأله فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم فقال لا أريدها جملة ولكن مر القهرمان أن يعطينى كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد فأمره بذلك فكان يأخذها فيجعل درهما الطعامه ودرهما الشرابه ودرهما الدابة تحمله الى بيوت الخمارين فلما انفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس لا أبا لك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا فانصرف وهو يقول

ألم تر قيس الاكمه ابن محمد ❋ يقول ولا تلقاه للخير يفعل
رأيتك أعمى العين والقلب ممسكا ❋ وما خير أعمى للقلب والعين يبخل
فلو صم تمت لعنة الله كلها ❋ عليه وما فيه من الشرّ أفضل

فقال قيس لو نجى أحد من الاقيشر لنجوت منه (واختصم) قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم فقالوا اجعل بيننا أوّل من يطلع علينا فطلع الاقيشر عليهم وهو سكران فقال بعضهم لبعض انظروا من حكمنا فقالوا يا أبا معرض قد حكمناك قال فيماذا فأخبروه فمكث ساعة ثم أنشأ يقول

اذا صليت خمسا كل يوم ❋ فان الله يغفر لى فسوقى ❋ ولم أشرك برب الناس شيأ
فقد أمسكت بالحبل الوثيق ❋ وهذا الحق ليس به خفاء ❋ فدعنى من بنيات الطريق

(وقال ابن الكلبى) كان الاقيشر يأتى الحيرة ليشرب الخمر فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عمّ له يقال له أسيد من الخروج اليها والشرب فيها فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهزل فقال له مالى أراك متغير اللون يا أبا معرض فقال

أما ترانى قد هلكت فانما ❋ رمضان أهلكنى ودين أسيد
هذا يصرّدنى فلست بشارب ❋ وأخ يورّقنى مع التصريد

قال وشرب الاقيشر من حانوت خمار حتى أنفد ما معه ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شئ وجلس فى تبن فى جانب البيت الى حلقه مستدفئا به فمرّ عليه رجل ينشد ضالة فقال اللهم اردد عليه واحفظ علينا فقال له الخمار سخنت عينك أى شئ يحفظ عليك ربك فقال هذا التبن لا آمن أن تأخذه فأموت من البرد فضحك الخمار وردّ عليه ثيابه وقال له اذهب فاطلب ما تشرب به ولا تجئنى بثيابك فانى لا أسترهنها أبدا بعد هذا (وحكى) عنه أنه أتى يوما من الايام بيت الخمار الذى كان يأتيه فلم يجده وانتظره فدخلت امرأة عبادية فقال لها ما فعل فلان قالت مضى لحاجته وأنا امرأته وقيل ان الخمار كان اسمه حنينا وان المرأة قالت له أنا أم حنين فما تريد قال نبيذا قالت بكم قال بدرهمين فقالت له هلم درهميك وانتظرنى قال لا بل أكون معك قالت أنت وذاك فمضت وتبعها فدخلت دار الها بابان فخرجت من أحدهما وجلس هو ينتظر فلما طال جلوسه خرج بعض أهل الدار فقال ما يحبسك فأخبره القصة فقال تلك امرأة محتالة من العباديين يقال لها أم حنين فعلم أنه خدع فقال

لا تغرّن ذات خف سوانا ❋ بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين شواء ❋ وطلاء مجللا غير دين
ثم ألوت بالدرهمين جميعا ❋ يا القومى لضيعة الدرهمين
عاهدت زوجها وقد قال انى ❋ سوف أغدو لحاجتى ولدينى
فدعت كالحصان أبيض جلدا ❋ وافر الاير مرسل الخصيتين
قال ما أجرذا هديت فقالت ❋ سوف أعطيك أجره مرّتين
فابدا الآن بالسفاح فلما ❋ سالخته أرصته بالأجرتين
تلها للجبين ثم امتطاها ❋ عارم الأير أفحج الحالبين
بينما ذاك منهما وهى تحوى ❋ ظهره بالبنان والمعصمين

فلما تأت كيف كنا لها
ولما دنت كيف صرنا بها
وقرئت عليها الابيات
فقالت ليس الامر كذلك
قد كنتم قبلى فى لذة وانما
تجملتم بهذا لما حضرت فقال

يا من حنينى اليه
ومن فؤادى لديه
ومن اذا غاب من بين
هم أسفت عليه
من غاب غيرك منهم
فاذنه فى يديه
فرضيت عنهم وأتموا يومهم

(وحكى) أن على بن الجهم قال كنت بين يدى المتوكل وقد أتاه رسول برأس اسحق ابن اسمعيل فقام على بن الجهم يخطر بين يدى الرسول وهو يرتجز

أهلا وسهلا بك من رسول
جئت بما يشفى من الغليل
برأس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل التقطوا هذا الجوهر لا يضيع (قال على بن ظافر) اسحق بن اسمعيل هذا مولى لبنى أمية خرج بتفليس فى سنة سبع وثلاثين ومائتين حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن

جاءها زوجها وقد شيم فيها * ذو انتصاب موثق الاخدعين

فتأسي وقال ويلا طويلا * لحنين من عار أم حنين

قال فجاء حنين الحمار فقال يا هذا ما أردت الا هجائي وهجاء أمي قال أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا فقال لا والله لا تعرفك أمي ولا أخذت منك شيأ قط فانظر الى أمي فان كانت صاحبتك غرمت لك الدرهمين قال لا والله لا أعرف غير أم حنين وما أهجو الا أم حنين وابنها فان كانت أمك فاياها أعني وان كانت أم حنين أخرى فاياها أعني قال فاذا الا يفرق الناس بينهم فقال ما على أترى أن درهمي يضيعان على فقال هلم اذا أغرمهما لك لا بارك الله لك فيهما (وحكى) أنه تزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيأ فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفاني المجوسي مهر الربا * ب فداء المجوسي خال وعم

شهدت عليك بطيب الارو * م وأنك بحر جواد خضم

وانك سيد أهل الجحيم * اذا ما ترديت فيمن ظلم

تجاور هامان في قعرها * وفرعون والمكتني بالحكم

فقال المجوسي ويحك سألت قومك فلم يعطوك شيأ وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا القول ولم أفلت من شرك فقال أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل ثم جاء الى عكرمة بن ربعي التميمي فسأله فلم يعطه شيأ فقال

سألت ربيعة من شرها * أبا ثم أما فقالوا لمه

فقلت لأعلم من شركم * وأجعل للسب فيكم سمه

فقالوا لعكرمة المخزيات * وماذا يرى الناس في عكرمه

فان يك عبدا زكا ماله * فما غير ذا فيه من مكرمه

ومن شعر الاقيشر قوله

يا أيها السائل عما مضى * من علم هذا الزمن الذاهب

ان كنت تبغي العلم أو أهله * أو شاهدا يخبر عن غائب

فاختبر الارض بأسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

وكان الاقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن اسحق ومدح أخيه زكريا فقال عبد الله لغلمانه ألا تريحوني منه فجمعوا بعرا وقصبا بظهر الكوفة وجعلوه في وسط ارة وأقبل الاقيشر وهو سكران من الحيرة على بغل أبي المضاء رجل مكار فأنزلوه عن البغل ففار وأخذوا الاقيشر فشدوه رباطا وضعوه في تلك الارة وألهبوا النار في ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تسفع وجهه وجسمه بتلك النار فأصبح ميتا ولم يدر من قتله وكان ذلك في حدود الثمانين من الهجرة المشرفة

(تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار)

البيت للصمة القشيري من أبيات من الوافر وهي

أقول لصاحبي والعيس تهوي * بنا بين المنيفة فالضمار

وبعده البيت وبعده

ألا يا حبذا نفحات نجد * وريا روضه بعد القطار

وأهلك اذ يحل الحي نجدا * وأنت على زمانك غير زار

شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف لهن ولا سرار

فأما ليلهن فخير ليل * وأقصر ما يكون من النهار

وقيل الابيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي (ومن ظريف) ما يحكى هنا أن علي بن عيسى الربعي النحوي وكان يرمى بالجنون مر يوما بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل الربعي سراويله وجلس على أنف السكران وجعل يضرط ويشمه ويقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

يوسف وتولى قتل اسحق هذا بغا الكبير في سنة سبع وثلاثين ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلي هذا الاغتباط وبين نقمه الانحوسنة لانه نفاه الى خراسان في سنة ثمان وثلاثين (وذكر) ابن أبي طاهر في أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسي أنه قال سرت يوما الى علي ابن الجهم فأنشد في لنفسه في الفراق

ولم أنس ليلا ضمنا بعد فرقة
وأدني فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الراح فيما بيننا لم تسرب
فانقدح زندي لا يراه مثله
فأطرقت وقلت بديها
لا والمنازل من نجد وليلتنا
بغيداذ جسدانا في الهوى جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
سرا فما انفك لا خد ولا عضد
ما أنصفوني دعوني فاستجبت لهم
حتى اذا اقتربوني منهم بعدوا
(أنبأني) المقدسي عن القيرواني عن السرقسطي عن الحميدي قال حكوا أن

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب سأل يوما أولادا لاكابر الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه الى كلو اذا فطنوا لذلك لحاجة عرضت له فركبوا خيولا وخرجوا وجعل هو يمشي بين أيديهم فسألوه الركوب فأبى عليهم فلما صار بخرابها أوقفهم على تلو أخذ كساء وعصا ومازال يعدو الى كلب هناك والكلاب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه فعاونوه عليه حتى أمسكوه له فأخذ يعض على الكلب بأسنانه عضا شديدا والكلاب يستغيث ويزعق فما تركه حتى اشتفى وقال هذا عضني منذ أيام وأردت أن أخالف قول الاول

شاتني كلب بني مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا

ولم أجبه لاحتقاري له * ومن يعض الكلب ان عضا

وهذان البيتان أنشدهما أبو عمرو بن العلاء عن ثعلب في المبرد ومنه أخذ الناجم

عذيري من أخي سفه رماني * بما فيه فقلت له سلاما

أبا لي أن أجيبك ان قدري * أبى لي أن أنازعك الكلاما

(ومن عجيب ما يحكى في التطير) أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة الى جهة البلاد الشامية أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الاعيان من الدولة والعلماء والادباء فأخذ كل واحد يقول شيأ في الوداع والفراق وكان في الحاضرين معلم أولاده فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأشار الى السلطان منشدا

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فانقبض السلطان والناس وتطيروا من ذلك وكان الامر على ما قال فانه لم يعد الى مصر بعدها واشتغل بالبلاد الشرقية وفتوح القدس والسواحل الى أن مات رحمه الله تعالى وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال فان لهم نوادر يعجز عن حدها ويقصر هبنقة عن شأوها (فمن ذلك ما حكاه بعضهم) قال عبرت على معلم وهو يملي على غلام بين يديه فريق في الجنة وفريق في الشعير فقلت له يا هذا ان الله لم يقل الا فريق في الجنة وفريق في السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني فقلت له معرفتك بالقراء أعجب الي من معرفتك بالقرآن وانصرفت (وقال آخر) مررت بخربة واذا معلم واقف على أربع ينبح نبيح الكلاب فجعلت أنظر اليه واذا صبي قد رفع سترا وخرج فقبض المعلم عليه فقلت للمعلم عرفني خبرك قال نعم هذا صبي أؤدبه وهو يبغض التأديب ويفر مني فيدخل الى داخل فلا يخرج فاذا طلبته بكى ويؤذيهم وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن انه كلبه فيخرج الي فآخذه (وقال آخر) لبعض المعلمين مالي لا أرى لك عصا قال لا أحتاج اليها انما أقول من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصا وأسلم (وآذى) معلما رائحة الفساء فصاح بالصبيان ويلكم تخرجون الريح فجحدوا جميعا فصاح واحد منهم يا معلم فعله أخي وقال المعلم أتراني لا أعلم أنها فسوته ولكن أعلل نفسي بالاباطيل (وقال صبي) للصبيان هل لكم في أن نغلب اليوم معلمنا قالوا نعم قال تعالوا حتى نشهد عليه انه مريض فجاء واحد وقال أرى الضعف وأظنك ستحم فلو أتيت المنزل فاسترحت وقت أنا مقامك فقال يا فلان زعم فلان أني عليل فقال صدق والله وهل يخفى هذا على جميع الصبيان ان سألتهم أخبروك فسألهم فشهدوا فقال انصرفوا اليوم وتعالوا غدا (وضرب) معلم صبيا فقيل له ما ذنبه قال أنا أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال بعضهم) رأيت صبيا تعلق بآخر وأحضره بين يدي معلم وقال يا أستاذي هذا عض أذني فقال والله ما عضضتها وانما هو عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الخبيثة هو صار جملا حتى يعض أذن نفسه (وقال الجاحظ) رأيت معلما يبكي فقلت له ما يبكيك قال سرق الصبيان خبزي (وقرأ صبي) على معلم هم الذين يقولون لا تنفقوا الامن عند رسول الله فقال المعلم من عند أبيك القرنان أولى فانه كثير المال يا ابن الفاعلة أتلزم النبي صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه أعجبك كثرة ماله (وقال معلم) لصبي ما هجاء حمار فقال حاء راء ميم كاف فقال المعلم يا ابن الفاعلة أقول لك هجاء حمار وتقول هجاء حر أمك ونوادرهم كثيرة فلا حاجة الى الاطالة بها وما أحسن قول بعض المعلمين بلغ وقد جلس حديث عهد بتعليم الصبيان

عبد الرحمن بن عاصم صاحب الشرطة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر من جلساء الامير عبد الرحمن ذكره غير واحد وحكوا أنه دخل عليه في يوم غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزي لين الاخلاق فقال له ما يصلح ليومنا هذا فقال عقار تنفر الدنان وتؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخي عليه عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكؤوس واستطير الامير بوادره أشار الى الغلام أن يلح عليه فلما أكثر رفع رأسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وأمر له ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه (وذكر) أن الخليع حضر

ماطار بن الخافقين أقل عقلا من معلم ولقد خلنا في الصبا عقة من قريب بدر بسلم

ولنرجع الى الكلام على البيت المستشهد به على النوع وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسي فقال

لقد ذكر العذار بوجنتيه * كما كر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العرار
فقلت لناظري لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

والشميم مصدر كالشم والعرار بفتح العين بهار البر واحدته بهاء وهو ورد ناعم أصفر طيب الرائحة (والشاهد في البيت) مجيء اللفظ الآخر في حشو المصراع الاول ومنه قول جرير

سقى الرمل جون مستهل غمامة * وماذاك الا حب من حل بالرمل

وقول زهير كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم

وقول أبي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شئ * من الاشياء كالمال المضاع

وقول الخليع الشامي خذ يا غلام عنان طرفك فاثنه * عني فقد ملك الشمول عناني

وقول أبي الفتح البستي أشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

وقول أبي جعفر البعاث وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب

يامن ينبهني عن رقدة جمعت * بيني وبين خيال منه مأنوس
دعني فانك محروس ومرتقب * وخلني وخيالا غير محروس

وقول الغزي فلو سمح الزمان بها لضنت * ولو سمحت لضن بها الزمان

ولابن جابر فيه بين تلك الخيام أكرم قوم * ضربت للندى عليهم خيام
قد أقاموا بين العقيق وسلع * فحياة النفوس حيث أقاموا

وله أيضا تحلت عند ما نظرت اليها * وانثنت وهي بين تيه ومنع
اغا ورد خدها زرع طرفي * حين يرنو فكيف أحرم زرعي

(والصمة) هو ابن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة القشيري شاعر اسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الاموية ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب عليه وكان الصمة يهوى ابنة عم له يقال لها ذنبة أو ثر عليه في تزويجها غيره لان عمه لؤم في السماح بالمهر وكان قد اشتط فيه ولؤم أبوه في اكماله فأنف الصمة من فعلهما وخرج الى طبرستان فأقام بها الى أن مات (وحكى) ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بني عمه يقال لها العامرية بنت عطيف فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه بها وخطبها عامر ابن بشر الجعفري فزوجه اياها فلما بنى بها زوجها وجد بها وجدا شديدا فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة فأقام معها يسيرا ثم رحل الى الشام غضبا على قومه وقال

لعمري لئن كنتم على النأي والقلى * بكم مثل ما بي انكم لصديق
اذا زفرات الحب صعدن في الحشى * رددن ولم ينهج لهن طريق

وقال أيضا اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم * أتتنا بريا كم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا * وريح الخزامى باكرتها جنوبها

(قال) وخرج الصمة في غزو الى الديلم فمات بطبرستان (وحكى) عن رجل من أهل طبرستان قال بينا أنا أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران اذا بانسان مطروح عليه أثواب خلقان فدنوت منه فاذا هو يتحرك ويتكلم فأصغيت اليه فاذا هو يقول بصوت خفي

تعز بصبر لا وربك لا ترى * سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر

مجلس المتوكل في جملة الندماء وقد كبر سنه وضعف جسمه وبين يديه شفيع خادمه بنضد ورد وعليه قراطق موردة ولم يكن في عصره خادم أحسن منه فأمره المتوكل أن يحييه بوردة ويغمز يده ليحرك خاطره ففعل فارتجل

وكالوردة البيضاء حيا بوردة * من الحرعشي في قراطق من ورد
سقاني بعينيه وكفيه شربة * فأذكرني ما قد نسيت من العهد
له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعي الخلي الى الوجد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * من الدهر الا من حبيب على وعد

(قال علي بن ظافر) وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح بن خاقان في قلائد العقيان أوردتها هنا قاطعا ترتيب الحكايات طلبا للمجانسة حتى اذا انجزت عدنا الترتيب الاخبار على ترتيب الاعصار قال الفتح بن خاقان أخبرني الوزير أبو

كأن فؤادي من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه فسألت عنه فقيل لى هذا الصمة بن عبد الله القشيرى

﴿ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما﴾

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها محمد بن يوسف الطائى أوّلها

عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وأن تعقب الايام فيهم فربما

لهم منزل قد كان بالبيض كالدمى * فصيح المغانى ثم أصبح أعجما

وردّ عيون الناظرين مهانة * وقد كان مما يرجع الطرف مكرما

تبدّل غاشيه بريم مسلم * تردّى رداء الحسن طيفا مسلما

ومن وشى خزلم ينمنم فرنده * معالم يذكرن الكتاب المنمنما

وبالحلى ان قامت ترنم فوقها * حماما اذا لاقى حماما ترنما

وبالخدلة الساق المخدمة الشوى * قلائص يتلون القسىّ المختما

لقد أصبح الثغران سدّين بعدما * رأوا سرعان الذل فذا وتوأما

وكنت لناشيهم أباولكهلهم * أخا ولذى التقويس والكبرة ابنما

وبعده البيت وبعده ومن تيمت سمر الحسان وأدمها * فما زلت بالسمر العوالى متيما

وهى طويلة بديعة والكواعب جمع كاعب وهى الناهدة الثدى والبيض القواضب السيوف القواطع (والشاهد فى البيت) مجىء اللفظ الآخر فى آخر المصراع الاول ومنه قول أبى الاسود الدؤلى

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

وقول أبى تمام وجوه لو آن الارض فيها كواكب * توقد للسارى لكانت كواكبا

وقول ابن الرومى ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وقول ابن جابر لك نفسى اذا بدت لك نجد * فلقد سرّنى الزمان بنجد

فلك الخيام عندى عهد * وأبى الله أن أضيع عهدى

وما أبدع قول البديع الهمذانى فى معنى بيت أبى تمام المستشهد به هنا وهو من شواهد البيت قبله

وهواى البيض الصبا * ح هواك للبيض الصفاح

﴿وان لم يكن الا معرّج ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها﴾

البيت لذى الرمة من قصيدة من الطويل قالها فى صاحبته مية أوّلها

خليلىّ عدّا حاجتى من هواكما * ومن ذا يواتى النفس الاخليلها

ألما على الدار التى لو وجدتما * بها أهلها ما كان وحشا مقيلها

وبعده البيت وبعده لقد أشربت قلبى لمى مودّة * تقضى الليالى وهو باق وسيلها

مهفهفة الكشحين درد شبابها * مبتلة خود نبيل حجولها

وقد تيمت قلبى قليس بنازع * وقد شفه هجرانها ومطولها

(روى) عن سليمان بن عباس قال أخبرنى أبى قال مررت فى أرض بنى عقيل فرأيت جارية بيضاء تدافع فى مشيها تدافع الفرس المختال تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور لم أر أكمل جمالا منها فوقفت لا كلمها فقالت لى عجوز بفنائها منزلها مالك ولهذا الغزال النجدى الذى لا حظ لك فيه سوى قول القائل

ومالك منها غير أنك ناكح * بعينيك عينيها وأيرك خائب

فقالت لها الفتاة دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

وان لم يكن الا معرّج ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثرية

عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبى عيسى بن لبون فى يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهر سقاته غيوما تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تشرق فى أكف سقاتها كالورد فى السوسان وتغرب بين أقاحى نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقى وهو يومئذ قد يذل الجهد فى التحلى بالزهد فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك مجلا فأنشدنى أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدّة * وأقام بين تبدل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع

أومى الىّ بكأسه فرددتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع

والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورّع

ألیس قلیلا نظرة ان نظرتها * الیك ولكن لیس منك قلیل

وقول أبی اسحق الموصلی ان ما قل منك یكثر عندی * وكثیر ممن تحب قلیل

وقول الخوارزمی اذا ملكتم فلا تتیهوا * وان حكمتم فلا تجوروا

تعطفوا وارحموا محبا * قلیلكم عنده كثیر

وقول المتنبی وجودك بالمقام ولو قلیلا * فما فیما تجود به قلیل

وقول أبی نصر أحمد المیكالی

قلیل منك یكفینی ولكن * قلیلك لا یقال له قلیل

وقد ألم بهذا المعنی شرف السادة محمد بن عبید الله الحسینی البلخی بقوله من قصیدة طویلة

ولربما سمح البكی بدره * وشفی الغلیل تعلل بقلیل

والتعریج الاقامة علی الشیء وحبس المطی علی المنزل والمعنی ان لم یكن المسامكا أی تزولكا القلیل بالدار الا تعریج ساعة فان قلیلها ینفعنی ویشفی غلیل وجدی (والشاهد فیه) مجیء اللفظ الآخر فی صدر المصراع الثانی وما أحسن قول ابن جابر

صفحوا عن محبهم وأقالوا * من عثار النوی ومنوا بوصل

لست أستوجب الوصال ولكن * أهل تلك الدیار أكرم أهل

﴿وذو الرمة﴾ هو أبو الحرث غیلان بن عقبة ینتهی نسبه لنزار الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء (یقال) انه كان ینشد شعره فی سوق الابل فجاء الفرزدق فوقف علیه فقال له ذو الرمة كیف تری ما تسمع یا أبا فراس قال ما أحسن ما تقول قال فمالی لا أذكر مع الفحول قال قصر بك عن غایتهم بكاؤك فی الدمن ووصفك الابعار والعطان (قال أبو عمرو بن العلاء) ختم الشعر بذی الرمة والرجز برؤبة بن العجاج فقیل له ان رؤبة حی فقال نعم ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمه وملبسه ومنكحه فقیل له فهؤلاء الآخرون فقال مرقعون مهتمون اغاهم كل علی غیرهم وذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورین بذلك وصاحبته میة ابنة مقاتل ابن طلبة بن قیس بن عاصم المنقری وقیس بن عاصم هو الذی قدم علی رسول الله صلی الله علیه وسلم فی وفد بنی تمیم فأكرمه وقال له أنت سید أهل الوبر وكان ذو الرمة كثیر التشبیب بها فی شعره وایاها عنی أبو تمام الطائی فی قصیدته البائیة بقوله

ما ربع میة معمورا یطیف به * غیلان أبهی ربا من ربعها الخرب

(وقال ابن قتیبة) قال أبو ضرار الغنوی رأیت میة واذا معها بنون لها فقلت صفها لی فقال مسنونة الوجه طویلة الخد شماء الانف علیها وسم جمال قلت أكانت تنشدك شیأ مما قال فیها ذو الرمة قال نعم ومكثت میة زمانا تسمع شعر ذی الرمة ولا تراه فجعلت لله علیها أن تنحر بدنة اذا رأته فلما رأته رأت رجلا دمیما أسود وكانت من أهل الجمال فقالت واسوأتاه وابؤساه فقال ذو الرمة

علی وجه می مسحة من ملاحة * وتحت الثیاب العار لو كان بادیا

ألم تر أن الماء یخبث طعمه * وان كان لون الماء أبیض صافیا

فیا ضیعة الشعر الذی لج فانقضی * بمی فلم أملك ضلال فؤادیا

ومن شعره السائر فیها

اذا هبت الارواح من نحو جانب * به أهل می هاج قلبی هبوبها

هوی تذرف العینان منه وانما * هوی كل نفس أین حل حبیبها

وكان ذو الرمة یشبب بخرقاء أیضا وهی من بنی البكاء بن عامر بن صعصعة وسبب تشبیبه بها أنه مر فی سفر ببعض البوادی فاذا خرقاء خارجة من خباء فنظر الیها فوقعت فی قلبه فخرق اداوته ودنا منها یستطعم كلامها فقال انی رجل علی ظهر سفر وقد تخرقت اداوتی فاصلحیها لی فقالت والله ما أحسن العمل وانی لخرقاء والخرقاء التی لا تعمل شیأ لكرامتها علی أهلها فشبب بها ذو الرمة وسماها خرقاء وایاها عنی بقوله

لا أخذت فی تلك السبیل بمأخذی

فیما مضی ونزعت فیها منزعی

(أخبرنا) المسكی عن السلفی عن جعفر بن أحمد بن السراج وابن بعلان الكبیر قالا أنبأنا أبو نصر عبید الله ابن سعید السجستانی قال أخبرنا أبو یعقوب النجیرمی حدثنا أبو الجود العروضی عن جحظة البرمكی قال حدثنا أبو عبادة البحتری الشاعر وكان المتوكل أدخله فی ندمائه قال دخلت علی المتوكل یوما فرأیت فی یدیه درتین ما رأیت أشرق من نورهما ولا أنقی بیاضا ولا أكبر فأدمت النظر الیهما ولم أصرف طرفی عنهما ورآنی المتوكل فرمی الی التی كانت فی یده الیمنی فقبلت الارض وجعلت أفكر فیما یضحكه طمعا فی الاخری فعن لی أن قلت

بسر من را امام

تغرف من كفه البحار

خلیفة یرتجی ویخشی

كأنه جنة ونار

الملك فیه وفی بنیه

ما اختلف اللیل والنهار

وماشنتا نخرقاء واهية الكلى * سقى بهما ساق فلم يتبللا
بأضيع من عينيك للدمع كلما * تذكرت ربعا أو توهمت منزلا

(وقال المفضل الضبي) كنت أنزل على بعض الاعراب اذا حججت فقال لي هل لك في أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت ان فعلت فقد بررتني فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتا ففتح له وخرجت علينا امرأة طويلة حسانة بها قوة والحسانة أشد حسنا من الحسناء فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت هل حججت قط قلت غير مرة قالت فما منعك من زيارتي أما علمت أني منسك من مناسك الحج قلت وكيف ذاك قالت أما سمعت قول عمك ذي الرمة حيث يقول

تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وفيه يقول مخاطبا ناقته صيدح وكان هذا الاسم علما عليها بقوله

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وبقوله
اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين عينيك جازر

وقد أخذه من قول الشماخ في عرابة الاوسي يخاطب ناقته

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله في الامين محمد بن الرشيد

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

والاصل في هذا المعنى قول الانصارية المأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت اليه قالت له يا رسول الله اني نذرت ان نجوت عليها أن أنحرها فقال صلى الله عليه وسلم بئس ما جزيتيها ومعنى الابيات الثلاثة أني لست أحتاج أن أرحل الى غيرك فقد كفيتني وأغنيتني الا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد في الاسفار فهو أتم في المقصود لكونه أحسن اليها في مقابلة احسانها اليه حيث أوصلته الى الممدوح وقد نظم أبو نواس هذا المعنى أيضا اتباعا على الشماخ قوله

أقول لناقتي اذ بلغتني * لقد أصبحت مني باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقي بدم الوتين

وكان لذي الرمة اخوة هشام وأوفى ومسعود فمات أوفى ثم مات ذو الرمة بعده فقال مسعود يرثيهما هكذا قال ابن قتيبة وقال في الحماسة في المراثي خلاف ذلك والابيات التي قالها مسعود هي

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع
ولم ينسني أوفى المصيبات بعده * ولكن رأيت القرح بالقرح أوجع

في جملة أبيات قالها وأخبار ذي الرمة كثيرة والاختصار أولى والرمة بالضم قطعة من حبل وتكسر ولقب بذلك لقوله في الوتد (أشعث باقي رمة التقليد) ولما حضرته الوفاة قال أنا ابن نصف الهرم أنا ابن أربعين سنة وأنشد
يا قابض الروح عن نفسي اذا احتضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى

(دعاني من ملامكما سفاها * فداعي الشوق قبلكما دعاني)

البيت للأرجاني من قصيدة من الوافر يمدح بها الوزير سعد الملك أولها

اذا لم تقدرا أن تسعداني * على شجني فسيرا واتركاني

وبعده البيت وبعده
وأين من الملام لقى هموم * يبيت ونضوه ملقى الجران
أميل عن السلو وفيه برئي * وأعلق بالغرام وقد بلاني

يداه في الجود ضرتان
هذي على هذه تغار
وليس تأتي اليمين شيا
الا أتت مثله اليسار
فرمى بالدرة التي كانت في يده اليسار وقال خذها يا عيار (وحكى النميري) قال كنت عند الامير عبد الله بن المعتز وعنده قينة قبيحة الصورة فجعلت أتبرم بها وجعل يظهر شغفا بها وعشقا لها ليغايظني بذلك فلما اشتد غيظي منه خلوت به فقلت له نشدتك الله أيها الامير أعشقتها فقال مضاحكا نعم فقلت ألست ترى قبح وجهها وسماجة خلقها فارتجل
قلبي وثاب الى ذا وذا
ليس يرى شيأ فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي
ويرحم القبح فيهواه
فسكت عنه تعجبا من سرعة بديهته (وروى) أنه جاء يوما الى أبي العباس ثعلب أحمد ابن يحيى وهو في المسجد الجامع ليسلم عليه فقام اليه هو والحاضرون وأجلسه مكانه فداس قلما فكسره فقال

وأعجب من حنيني في التنائي * وأعجب من صدودك في التداني
ألا الله ما صنعت بعقلي * عقائل ذلك الحي اليماني
نواعم ينتقبن على شقيق * يرف ويبتسمن باقحوان
دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن أكراما جفوني * ولكن زدن تخضيب البنان

وهي طويلة والسفاه والسفه والسفاهة خفة الحلم وتثلث سينه وقيل هو نقيضه أو الجهل (والشاهد فيه) وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الاول وهما دعاني الاولى بمعنى اتركاني ودعاني الثانية من الدعاء ولمؤلفه فيه

ناظراه اذا تنكرتيها * في الذي أورث الحشى ناظراه

(واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل)

البيت للثعالبي من الكامل والبلابل الاولى جمع بلبل وهو الطائر المعروف والثانية جمع بلبال وهو البرحاء في الصدر والثالثة جمع بلبلة وهي قناة الكوز التي يصب منها الماء والاحتساء الشرب (والشاهد فيه) مجيء المتجانس الآخر في حشو المصراع الاول والثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري والثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لانه كان فراء (وقال ابن بسام في حقه) كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه والمصنفين بحكم أقرانه سار ذكره سير المثل وضربت اليه آباط الابل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب وتآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر من أن يستوفيها احد أو يصف أو يوفي حقوقها نظم أو وصف (وقال في حقه الباخرزي صاحب دمية القصر) هو جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهور لم تر العيون مثله ولا أنكرت الاعيان فضله وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان أو كيف يستر وهو الشمس لا تختفي بكل مكان وكنت وأنا فرخ أزغب في الاستضاءة بنوره أرغب وكان هو ووالدي لصيقي دار وقريبي جوار فكم حملت كتبا تدور بينهما في الاخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ومازال يدر وفا وعليّ حانيا حتى ظننته أبا ثانيا رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ومساء تتلاطم أمواج تياره ومن شعره ما كتبه الى الامير أبي الفضل الميكالي يعاتبه

يا سيدا بالمكرمات ارتدى * وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى * مودة طال عليها المدى
ان غبت لم أطلب وهذا سليمان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله * فقال مالي لا أرى الهدهدا

ومنه

وسائل عن دمعي السائل * وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والارض في ناظري * أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بمملوكة * في مقلتيها ملك بابل
فان لحاني عاذلي في الهوى * يوما لحا العاذل بالعادل

ومنه

لا كان في عيني مجال للسنه * وجعلت عرضي عرضة للالسنه
ان ذقت طعم العيش بعدك ساعة * ورأيت يوم البين الا كالسنه

ومنه

هذه ليلة لها بهجة الطا * ووس حسنا واللون لون الغداف
رقد الدهر فانتبهنا وسارقـ * ـناه حظا من السرور الوافي
بمدام صاف وخل مصاف * وحبيب واف وسعد موافي

ومنه

طالع سعدي غير منحوس * فاسقني بالطارد البوس

لكني وترعند رجلي لانها
أثارت قتيلا مالاعظمه جبر
فعجبوا من بديهته وحسنها
(قال) يزيد الرياضي في كتابه
في الامثال سمعت أبا الطيب
الكاتب يقول ذكر المازري
أنه كان في مجلس ابن المعتز
وغلام على رأسه يذب
فوقعت المذبة على رأس
بعض الجلساء فقال ابن
المعتز

قل لمن ذب ذب نفسك عنا
حسبنا منك أو فحسبك منا
(حدثنا) المكي بالاسناد
المتقدم عن التجيبي قال
حدثنا العروضي عن
الصولي وذكره وبهذا
الاسناد عن أبي الحسن
بندقة قال أنشدنا عبد الله
ابن المعتز بيتي أبي نواس في
الخمر وهما

وعاشق دنف نبهته سحرا
فقام للكاس والصهباء فاصطحبا
ودارت الكاس من صهباء صافية
فاحسا قدحا الا بكى قدحا
فاستمد فكتب
وقهوة كشعاع الشمس صافية
مثل السراب يرى من دقة شبحا

كأساً كعين الديك فى روضة * كأنها حلة طاووس

ومنه

ويوم سعد حسن البشر * عذب السجايا طيب النشر
لم تقذعينى بأذاه ولم * يطر فؤادى بيد الذعر
ولم يرعنى لا ولا ساءنى * كعادة الايام فى الشر
شبهته منتزعا من يد الأحداث ذات الشر والضر
باللبن السائغ ذاك الذى * من بين فرث ودم يجرى

(وكتب) الى أبى نصر سهل بن مرزبان وقد لسعته عقرب على قدمه فلما وجدت وقتلت زال الوجع وحصل الشفاء المرتجع

ياعمدة الامراء والوزراء * ياعدة الادباء والشعراء
ياغرة الزمن البهيم وناظر الـ * ـكرم الصميم وواحد الفضلاء
أرأيت همة عقرب دبت الى * قدم بها تخطو الى العلياء
لما ارتقت للسعى أعظم مرتقى * أخنت عليها رتبة العظماء
ان ذقت ضراء العقارب فاستعن * بعقارب الاصداغ فى السراء
ياطيب لسعة عقرب درياقها * وريق الحبيب بقهوة عذراء

(وقال الثعالبى) قال لى سهل بن مرزبان ان من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل فقال الثعالبى انى أخاف أن أكون رابع الشعراء أراد قول الشاعر

الشعراء فاعلمن أربعه * فشاعر يجرى ولا يجرى معه
وشاعر من حقه أن ترفعه * وشاعر من حقه أن تسمعه
وشاعر من حقه أن تصفعه

وأراد بقوله منهم من شلشل قول الأعشى

وقد أروح الى الحانات يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

وأراد بقوله منهم من سلسل قول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله منهم من قلقل قول المتنبى

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

قال الثعالبى ثم انى قلت بعد ذلك بحين

واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل

وللثعالبى يصف فرسا أهداه له ممدوحه

ياواهب الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الأربع
كالجاحم المشبوب أو كالهاطل الـ * ـمصبوب أو كالباشق المتسرع
لاشئ أسرع منه الاخاطرى * فى شكر ذلك اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى اكرامه * لجلال مهديه الكريم الالمعى
أضفته حب الفؤاد لحبه * وجعلت مربطه سواد الادمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب لجله والبرقع

وله سقيا لدهر سرورى * والعيش بين السرارى * اذ طير سعدى جوار * مع امتلاك الجوارى
وغيم لهوى مطير * وزند أنسى وارى * أيام عيشى كعودى * وقد ملكت اختيارى
أجرى بغير عذار * أجنى بغير اعتذار

وله فى الشكوى ثلاث قد رميت بهن أضحت * لنار القلب منى كالاثافى

اذا تعاطيتها لم تدر من دهش
وا حبا بلا قدح أعطيت أم قدحا
(قال) يزيد الرياضى حدثنا أبو عبد الله الكرمانى قال حدثنا الصولى قال ذكر المرادى أنه كان فى بعض الايام عند ابن المعتز على شراب فأكثر القوم كلامهم فقال

اذا فتح القوم أفواههم
لغير شراب ولا مطعم
فلا خير فيهم لشرب المدام
فدعهم بناموا مع النوم

(قال) وذكر المرادى أنه دخل اليه يهنيه ببرء من علة فقال

أتانى برء لم أكن واثقا به
كحل أسير فك بعد وثاقه

وكان لاحد بنى المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها الى أن مرض ونحل فدخل عليه الطبيب بجسه فقال هذا الفتى قد أحرقته الصفراء فقال أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر واستدعى دواة وكتب فى الحال

قال الطبيب وقد تبين سحنتى
قد أحرقت هذا الفتى الصفراء
فعجبت منه اذ أصاب وما درى
والحق أبلج ليس فيه مراء

دون أنقضت ظهري وجور * من الايام شاب له غدافي
وفقدان الكفاف وأي عيش * لمن يمني بفقدان الكفاف

(وللثعالبي تآليف كثيرة) منها فقه اللغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومؤنس الوحيد وأجلها وأحسنها يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وفيها يقول ابن قلاقس

أبيات أشعار اليتيمه * أبكار أفكار قديمه ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمه

وشعره مدوّن وكانت ولادته سنة خمسين وثلثمائة ووفاته سنة تسع وعشرين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(فشغوف بآيات المثاني * ومفتون برنات المثاني)

هو من الوافر وقائله أبو عبد الله محمد القاسم الحريري من أبيات أولها

بها ما شئت من دين ودنيا * وجيران تنافوا في المعاني

وبعده البيت وبعده ومضطلع بتلخيص المعاني * ومطلع الى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار * أضر ابا الجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها * وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ماتزال تغن فيه * أغاريد الغواني والأغاني
فصل ان شئت فيها من يصلي * وأما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها * أو الكاسات منطلق العنان

والمثاني الاولى القرآن أو ما ثني منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة الى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل والمثاني الثانية من أوتار العود التي بعد الاول واحدها مثنى (والشاهد فيه) مجيء المتجانس الآخر في آخر المصراع الاول ومثله قول ابن جابر

زرت الديار عن الاحبة سائلا * ورجعت ذا أسف ودمع سائل
وتزلت في ظل الاراكة قائلا * والربع أخرس عن جواب القائل

(والحريري) هو أبو عبد الله محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي صاحب المقامات كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات وفضلها أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه وكان سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال كان أبي جالسا بمسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسأله الحاضرون من أين الشيخ فقال من سروج فاستخبروه عن كنيته فقال أبو زيد فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يضم اليها غيرها فأتمها خمسين مقامة وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد أيضا قال ابن خلكان ولا شك أن هذا أصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوي لها الحارث بن همام فانما عني به نفسه وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم كلكم حارث وكلكم همام فالحارث الكاسب والهمام الكثير الاهتمام وقد بسطت الكلام على ما يتعلق بذلك في شرحي على المقامات ويقال ان الحريري كان عملها أربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد وقالوا انها ليست من تصنيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه اليه فادعاها فاستدعاه الوزير الى الديوان وسأله عن صناعته فقال أنا رجل منشئ فاقترح عليه انشاء رسالة في واقعة عينها فانفرد في ناحية من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشيء في ذلك فقام خجلا وكان في جملة

(ومثل هذه الحكاية ما روي) من أن العباس الفارسي كان يهوى مدام الشاعرة الكوفية وكان مداوما للشرب فاعتل واشتدت حماه فدخل عليه صديق له طبيب يكنى بأبي بشر فجس يده فوجد حماه حادة فقال له ما يتلفك الا مداومتك مدامك فقال للوقت

عجبت من قول أبي بشر * وقوله ضرب من السحر
مدامك الهالك فلا تكثرن * منها وأني لي بالكثر
أصاب في اللفظ ولكنه * أخطأ في المعنى ولم يدر

(قال القاضي علي التنوخي) في كتاب النشوان أخبرني أبي قال حدثني المعوج الرقي قال كبا الفرس ببدر الجمالي فاقتصد فدخلت عليه فانشدته أبياتا عملتها في الحال وهي

لا ذنب للطرف ان زلت قوائمه * وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأسا وجودا فوقه وندى * وليس يقوى لهذا كله الفرس
قالوا اقتصدت فقلت ناعقل العلا معها * خوفا عليك ولانه بس بها نفس

من أنكر دعواه أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المشهور فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين وقيل هما لابن جكينا البغدادى وهما

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريرى يزعم أنه من ربيعة الفرس وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة وكان يسكن فى مشان البصرة وهو بضم الميم وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون بلدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ويقال أنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة وانه كان من ذوى اليسار ولما رجع الى بلده عمل عشر مقامات وسيرهن واعتذر من عيه وحصره بالديوان لما لحقه من المهابة ويقال انه كان قذرا فى نفسه وشكله ولبسه قصيرا دميما بخيلا مولعا بنتف لحيته فنهاه أمير البصرة وتوعده على ذلك وكان كثير المجالسة له فبقى كالمقيد لا يتجاسر أن يعبث بلحيته فتكلم فى بعض الايام بكلام أعجب الامير فقال له سلنى شيأ حتى أعطيك فقال تقطعنى لحيتى قال قد فعلت وجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيأ فلما رآه استزرى شكله ففهم ذلك عنه فلما التمس منه أن يملى عليه قال له اكتب

ما أنت أول سار غره قمر * ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى اننى رجل * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف عنه (وقال القاضى جابر بن هبة الله) قرأت المقامات على الحريرى فى سنة أربع عشرة وخمسمائة فقرأت قوله

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا * ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا * الى ذراكم شعثا مغبرا

فقرأته سغبا معترا وكنت أظنه كذلك ففكر ثم قال لقد أجدت فى التصحيف وانه لأجود فرب شعث مغبر غير محتاج والسغب المعتر موضع الحاجة ولولا أنى قد كتبت خطى الى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على لغيرته كما قلت (وللحريرى) تآليف حسان منها درة الغواص فى أوهام الخواص ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشرحها أيضا وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات فمن ذلك قوله

قال العواذل ما هذا الغرام به * أما ترى الشعر فى خديه قد نبتا
فقلت والله لو أن المفند لى * تأمل الرشد فى عينيه ما ثبتا
ومن أقام بأرض وهى مجدبة * فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وقوله

كم ظباء بحاجر * فتنت بالمحاجر ونفوس نفائس * حذرت بالمحاذر
وشجون تظافرت * عند كشف الظفائر وتثنى لخاطر * هاج وجدا بخاطرى
وعذار لاجله * عاذلى عاد عاذرى

وله أيضا

لا تخطون الى خطء ولا خطا * من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه * اذا سعى فى ميادين الصبا وخطا

ومن ألغازه

ميم موسى من نون نصر ففتش * أيها ذا الامير ماذا عنيت

معنى ميم أصابه الموم وهو البرسام ويقال هو أثر الجدرى والنون السمكة يعنى أكل سمكة نصر فأصابه الموم ومنها

باء بكر بلام ليلى فما ينفك منها الابعين وهاء

البكر الجمل وباء أقر به واللام الزرع فلازمته ليلى فما ينفك منها لما تلطمه فى وجهه الابعين واهية من اللطم وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرا ذكرت منها طرفا فى شرحى على المقامات وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة وتوفى فى سنة عشر وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حرام نسبة الى طائفة من العرب سكنوا فى هذه السكة وخلف ولدين هما نجم الملك عبد الله وقاضى قضاة البصرة ضياء

الاسلام

كفا الطبيب دعا كنا نقبلها
ونطلب الرزق منها حين نحبس

(قال) وحدثنى أبو الفتح أحمد بن على بن هرون المنجم قال حدثنى أبى قال كنا فى دعوة أبى على الحسن بن مروان الكاتب وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن ابن محمد المهلبى وهو اذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمرى على الامر ببغداد فغنت الرقية زوج أبى على صوتا من وراء الستارة أحسنت فيه فأخذ المهلبى الدواة فكتب فى الحال البديهة وأنشد النفسه

ذات غنى فى الغناء من نغم
تدق فى الصوت منه اسراقا
كأنها فارس على فرس
ينظر فى الجرى منه أعطافا

(وروى) أن نصر بن أحمد الخبزرزى دخل على أبى الحسن بن المثنى فى أثر حريق المربد فقال له هل قلت فى هذا شيأ فقال ما قلت ولكنى أنشدك ارتجالا

أتتكم شهود الهوى تشهد
فما تستطيعون أن تجحدوا
حرى نفسى صعدا بينكم
فأحرق من ذلك المربد

الاسلام عبيد الله رحمهم الله تعالى

﴿أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح﴾

البيت للارّجانى من السريع من قصيدة يمدح بها شمس الملك بن نظام الملك أولها

صوت حمام الايك عند الصباح * جددت تذكارى عهد الصباح
علمتنا الشجو فيا من رأى * عجماً يعلمن رجالا فصاح
ألحان ذات الطوق فى غصنها * مذكرتى أيام ذات الوشاح
لا أشكر الطائر ان شاقنى * على نوى من سكنى وانتزاح
وانما أشكوه لو أنه * أعارنى أيضا اليه جناح

الى أن يقول فى مديحها يا كعبة للجود ما أهولة * اذا غدا الوفد اليها وراح

يفديك قوم ما ولوا ضلة * تناول المجد بأيد شحاح
معاشر أموالهم فى حمى * وعرضهم من لؤمهم مستباح

والقصيدة طويلة وفلاح الثانية الفوز والنجاة والبقاء فى الخير (والشاهد فيه) مجىء المتجانس الآخر فى صدر المصراع الثانى ومثله قول الامير أبى الفضل الميكالى

انى لى فى الهوى لسانا كتوما * وفؤادا يخفى حريق هواه
غير أنى أخاف دمعى عليه * ستراه يبدى الذى ستراه

﴿ضرائب أبدعتها فى السماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا﴾

البيت نسبه للبحترى غالب شراح التلخيص وليس الامر كذلك وانما هو للسرى الرفاء وقد سرق معناه من بيت البحترى فلذا سبق الوهم الى نسبته اليه وبيت البحترى لفظه

بلونا ضرائب من قد نرى * فما ان رأينا للفتح ضريبا

وهو من قصيدة من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان أولها

لوت بالسلام بنانا خضيبا * ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا
وزارت على عجل فاكتسى * لزورتها أبرق الجيد طيبا
فكان العبير بها واشيا * وجرس الحلى عليها رقيبا

وهى طويلة وبيت السرى الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد أولها

تعنفنى أن أطلت النحيبا * وأسبلت للبين دمعا سكوبا
وأوفى المحبين فى حبه * محب بكى يوم بين حبيبا
دعا دمعه ودعت دمعها * فبلل منها ومنه الجيوبا
غداة رمته بسهم الجفون * ومدت اليه بنانا خضيبا
فعاين منها غزالا ربيبا * وبدرا منيرا وغصنا رطيبا
وعهدى بها لا تديم الصدود * ولا تتجنى على الذنوبا
ليالى لا وصلنا خلسة * نراقب للخوف فيها الرقيبا
ولا برق لذاتنا خلب * اذا ما دعونا الوصل خاوبا
وكم لى وللبين من موقف * يميت بلحظ العيون القلوبا
اذا ما انتضى اللحظ أسيافه * تدرعت للصبر بردا قشيبا

ومنها فى المديح

فكم لك من سودد كالعبير * أصاب من المدح ريحا جنوبا
ورأى يكشف ليل الخطوب * ضياء اذا الخطب أعى اللبيبا
ومشتمل بنجاد الحسام * يحل شبا الحرب بأسا مهيبا

وهاجت رياح حنينى لكم * فظلت به ناره توقد
ولولا جرت أدمعى لم يكن * حريقكم أبدا يخمد

(ومثل هذا ما رويناه بالاسناد المتقدم) عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال ذكر سليمان بن محمد الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل ظريف يهوى غلاما جميلا واشتد به كلفه فتجنى الغلام عليه فبيناهو ذات ليلة يشرب منفردا وقد غلب عليه السكر خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره ففعل ووضع النار فى الباب فاحترق واتفق أن رآه بعض الجيران فخرج أهل الدار فأطفؤا الحريق ولما أصبحوا حملوه الى القاضى فسأله لم فعلت فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى * ببابه حملت الجواد
فطار من بعض نار قلبى * أقل من لعة الزناد

ملأت جوانبه رهبة * فأطرق والقلب يبدي وجيبا
كسوت المكارم ثوب الشباب * وقد كن ألبسن فينا المشيبا

وبعده البيت وبعده
تخلصتني من يد النائبات * وأحللتني منك ربعا خصيبا
وملكت مدحي كما ملكت * بنو هاشم بردها والقضيبا
واني لوارد بحر القريض * اذا ورد الماتحون القليبا
ولست كمن يسترد المديح * اذا ما كساه الكريم المشيبا
يحلي بمدحته غيره * فيمسي محلى ويضحي سليبا

وقد استعمل السري معنى البيت المستشهد به فقال يمدح ابن فهد أيضا

سمت بأبي الفوارس في المعالي * ضرائب ماله فيها ضريب

والضرائب جمع ضريبة وهي الطبيعة التي ضرب الرجل وطبع عليها والضريب المثيل (والشاهد فيه) مجيء الملحق بالمتجانس الآخر في صدر المصراع الاول ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهوري الخطيب

تبدى ضروب محاسن لسنا نرى * بين الورى يوما لهن ضريبا

ومنه قول بعضهم

نابك أهل الفضل قد دلني * انك منقوص ومثلوب

﴿والسري﴾ هو أحمد الكندي المعروف بالرفاء (قال الثعالبي في حقه) السري وما أدراك ما السري سري كاسمه صاحب سر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر والنفث في عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق في كعبة الظرف وكتبت من ذلك محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح بلغني أنه أسلم صبيا في الرفائين بالموصل فكان يرفو ويطرز الى أن قضى باكورة الشباب وتكسب بالشعر ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ذكر أن صديقا كتب اليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في البزاز بن يطرز فكتب اليه يقول

يكفيك من جملة أخباري * يسري من الحب واعساري
في سوقة أفضلهم مرتد * نقصا ففضلي بينهم عاري
كانت الابرة فيما مضى * صائنة وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقا * كأنه من ثقبها جاري

(قال) ولم يزل السري في ضنك من العيش الى أن خرج الى حلب واتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له فطلع سعده بعد الافول وبعد صيته بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الامراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ومدح الوزير المهلبي وغيره من الصدور فارتفق بهم وارتزق منهم وصار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة

عليلة أنفاس الرياح كأنما * يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوب الورد في شجراتها * نسيم متى ينظر الى الماء يبرد
ويادير هاالشمر قي لازال رائح * يحل عقود المزن فيك ويغتدي

وقال

تلك المكارم لا أرى متأخرا * أولى بها منه ولا متقدما
عفو أظل ذوي الجرائم ظله * حتى لقد حسد المطيع المجرما

وهو من قول أبي تمام وتكفل الايتام عن آبائهم * حتى وددنا أننا أيتام

وقال من قصيدة أيضا

لياليناب أحناء الغميم * سقيت ذهاب مذهبة الهموم
مضت بك رأفة الايام فينا * وغفلة ذلك الزمن الحليم
وكنا منك في جنات عيش * وفت حسنا بجنات النعيم

فأحرق الباب دون علي ولم يكن ذاك في مرادي فاستظرفه القاضي واستلطفه وغرم عنه ارش ما أتلفه (أنبأني) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن علي المقدسي عن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن عبد الله محمد بن أبي سعيد عن أبي عبد الله الحافظ الحميدي قال أخبرني أحمد ابن قاسم جار كان لنا بالمغرب أن عبد الملك بن ادريس الحريري كان ليلة بين يدي المنصور بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى فارتجل

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمى عني اليه * لراجعني بتصديق جوابا

(وبهذا الاسناد) قال الحميدي حضر عقيل بن نصر مجلسا فيه أحداث من الكتاب فاحملوا في شئ من الآداب الى أن أفضى ذلك بهم الى السباب فقال عقيل على البديهة وأنشدنيه بعض

رياض محاسن وسنا شموس * وظل دسا كر وجنى كروم
وأجفان اذا لحظت جسوما * خلعن سقامهن على الجسوم

وانما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام

فيا حسن الرسوم وما تمشى * اليها الدهر في صور البعاد
واذ طير الحوادث في رباها * سواكن وهي غناء المراد
مذاكي حلبة وشروب دجن * وسامر فتية وقدور صاد
وأعين ربرب كحلت بسحر * وأجساد تضمخ بالجساد

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حيث قال

وأجفان تروى كل شئ * سوى قلب الى الاحباب صاد
بذاك جزيت اذ فارقت قوما * لبست لبينهم ثوبي حداد
معادن حكمة وغيوث جدب * وأنجم حيرة وصدور ناد

وقال السري الرفاء

وفتية زهر الآداب بينهمو * أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا الى الراح مشي الرخ وانصرفوا * والراح تمشي بهم مشي الفرازين

وقال في معناه أيضا راحوا عن الراح وقد أبدلوا * مشي الفرازين بمشي الرخاخ

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج

بدي لعينك كلما عاينته * قرنين جالا مقدما ومخاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما * وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

ومحاسنه كثيرة وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ان شاء الله تعالى ومن شعره

وأبثك تبغي للصديق نوافذا * عدوك من أوصلها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * ويارب مزح عاد وهو ضغائن
سأحفظ ما بيني وبينك صائنا * عهودك ان الحر للعهد صائن
فألقاك بالبشر الجميل مداهنا * ولي منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة * ترى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليها فأصبحت * كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحي الجميع فهيجت * عقابيل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموعي في الردى فكأنها * كلى من شعيب ذات سح وتهتان

وبعده البيت وبعده فاما تريني في رحالة جابر * على حرج كالقر تخفق أكفاني

فيارب مكروب كررت وراءه * وعان فككت الغل عنه ففداني
وفتيان صدق قد بعثت بسحرة * فقاموا جميعا بين عاث ونشوان
وخرق بعيد قد قطعت نياطه * على ذات لوث سهوة المشي مذعان

(ومعنى البيت) اذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره اليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه (والشاهد فيه) مجيء الملحق الآخر في حشو المصراع الاول

(لو اختصرتم من الاحسان زرتكمو * والعذب يهجر للافراط في الخصر)

الرؤساء ولم يعلم قائلها
تعس الزمان لقد أتى بعجائب
ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي
فيهم رددتهم الى الكتاب
(أخبرني) الفقيه أبو الحسن علي بن فاضل بن صمدون الصوري عن الامام الحافظ السلفي عن أبي غالب شجاع ابن فارس الرملي عن أبي منصور محمد المالكي البصري عن أبي محمد عبد الله بن محمد الاكفاني البصري قال خرجت مع عمي أبي عبد الله الاكفاني وأبي الحسين بن لنكك وأبي عبد الله المفجع وابن الحسين السباك في بطالة العيد فشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزرزي وهو جالس يخبز على طائفة فجلسوا عنده ثم قاموا عند تزايد الدخان فقال نصر لابن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين اذا اتسخت ثيابي وكانت ثيابهم جددا قد لبسوها للتجمل بها في العيد فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا الى دار أحمد بن المثنى

البيت لابي العلاء المعرى من قصيدة من البسيط يمدح بها أبا الرضاء المصيصى أولها

ياساهر البرق أيقظ ساهر السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر
وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطن حيا من بنى مطر
ويا أسيرة حجليها أرى سفها * حمل الحلى لمن أعيى عن النظر
ماسرت الا وطيف منك يصحبنى * سرى أمامى وتأويبا على أثرى
لو حط قدرى فوق النجم رافعه * ألفيت ثم خيالا منك منتظرى
يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

وبعده البيت وبعده

أبعد حى تناجى الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر
كم بات حولك من ريم وجوذرة * يستجديانك حسن الدل والحور
فما وهبت الذى يعرفن من خلق * لكن سمحت بما ينكرن من درر
وما تركت بذات الضال عاطلة * من الظباء ولا عارا من البقر
قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر
ورب ساحب وشى من جآذرها * وكان يرفل فى ثوب من الوبر
حسنت نظم كلام توصفين به * ومنزلا بك معمورا من الخفر
فالحسن يظهر فى شيئين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وهى طويلة ومنها

ماجت غير فهاجت منك ذا البد * والليث أفتك أفعالا من النمر
هموا أقاموا فلما شارفوا وقفوا * كوقفة العير بين الورد والصدر
وأضعف الرعب أيديهم فطعنهمو * بالسمهرية دون الوخز بالابر
تلقى الغوانى حفيظ الدر من جزع * فيها وتلقى الرجال السرد من خور
فكم دلاص على البطحاء ساقطة * وكم جمان مع الحصباء منتثر

والخصر محركة البرد والمعنى أن بعدى عنكم انما هو لكثرة انعامكم على (والشاهد فيه) مجىء أحد الملحقين فى آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الاول ومعنى البيت مأخوذ من قول البحترى السابق فى ترجمته وهو هذا

أخجلتنى بندى يديك فسودت * مابيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى أننى * متخوف أن لا يكون لقاء

وفى معناه قول دعبل الخزاعى

أصلحتنى بالبر بل أفسدتنى * وتركتنى أتسخط الاحسانا

وقول عبد الجليل بن وهبون المرسى

قل للرشيد وقد هبت عوارفه * أسرفت يا ديمة المعروف فاقتصد
أشكو اليك الندى من حيث أشكره * لو فاض فيضا على البحرين لم يزد

وهو من قول البحترى أيضا

تنضب البرق مختالا فقلت له * لو جدت جود بنى يزداد لم تزد

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله فنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه وقد ضمن السراج الوراق عجز بيت أبى العلاء المعرى هذا فقال

لكم أياد عذاب لى مواردها * الوفد منهن بين الورد والصدر
والبرد يعنى منها على ظمأى * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ورأيت فى بعض كتب الادب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه وأعلم وقته وأوانه الوزير أبى محمد ابن القاسم الفهرى فأعرج عليه فعتب عليه بسبب ذلك فكتب اليه

فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال يا أصحابنا ان نصرا لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شئ يقوله ونحن نبدؤه قبل أن يبدأنا واستدعى بدواة وكتب اليه

لنصر فى فؤادى فرط حب * يزيد به على كل الصحاب
قصدناه فجمرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب
فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابى

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها فى الحال فقرأناه فاذا هو قد أجاب

منحت أبا الحسين صميم ودى * فداعبنى بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب
وقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبنى اذا اتسخت ثيابى
فان يكن التقذر فيه فخر * فلم يكنى الوصى أبا تراب

(وذكر الباخرزى) فى كتاب دمية القصر قال حدثنى أبو محمد الحسن بن على الجوهرى ببغداد قال أنشدت أبا القاسم الضرورى بيتين كان أبو

لم يثن عنك عنانى سلوة خطرت * على فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
وقصرك البيت لو أنى قضيت به * عجبى وكفك منه موضع الحجر
لكن عدتنى عنكم جلة سلفت * كفانى القول فيها قول معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكمو * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

(فدع الوعيد فاوعيدك ضائرى * أطنين أجنحة الذباب يضير)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله ونسبه صاحب الدر الفريد لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى قال وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا عبد الله هذا الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله

أعلى انك جاهل مغرور * لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أبعثت توعدنى أن استبطأتنى * انى بحربك ما حييت جدير

وبعده البيت وبعده

واذا ارتحلت فان نصرى للأولى * أبواهمو المهدى والمنصور
بنيت عليه لحومنا ودماؤنا * وعليه قدر سعينا المشكور

والضير الضرر (والشاهد فيه) مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الاول وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى

وربّ كلام مرّ فوق مسامعى * كما طنّ فى لوح الهجير ذباب

ولبعض الاعراب

أو كلما طنّ الذباب زجرته * ان الذباب اذن على كريم

ولبعضهم أيضا

فما كل كلب نابح يستفزنى * ولا كل ما طنّ الذباب أراع

(وقد كانت البيض القواضب فى الوغى * بواتر فهى الآن من بعده بتر)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يرثى بها محمد بن حميد وتقدم ذكر مطلعها فى شواهد التدبيج ومنها قبل البيت

فتى سلبته الخيل وهو حمى لها * وبزته نار الحرب وهو لها جمر
قضى طاهر الاثواب لم تبق بقعة * غداة ثوى الا اشتهت أنها قبر

والبواتر السيوف القواطع والبتر جمع أبتر وهو المقطوع والمعنى لم يبق بعده من يستعملها استعماله (والشاهد فيه) مجىء الملحق الآخر فى صدر المصراع الثانى والله أعلم

(تجلى به رشدى وأثرت به يدى * وفاض به ثمدى وأورى به زندى)

البيت لابى تمام أيضا من قصيدة من الطويل يمدح بها نصر بن منصور بن بسام الكاتب وأولها

أأطلال هند ساء ما اعتضت من هند * أقايضت حور العين بالعور والرمد
اذا شئن بالالوان كن عصابة * من الهند والآذان كن من السغد
أجناعليك العيس بعد معاجها * على البيض أترابا على النؤى والوتد
فلا دمع أو يقفو على اثره دم * ولا وجد ما لم تعى عن صفة الوجد

ومنها فى وصف الممدوح

فتى جوده طبع وليس بحافل * أفى الجور كان الجود منه أو القصد
اذا طرقته الحادثات بنكبة * تمخض سقاه منه ليس بذى زبد
ونهن مثل السيف لو لم تسله * يدان لسلته ظباه من الغمد
سأجهد نصرا ما حييت واننى * لأعلم ان قد جل نصر عن الحمد

وبعده البيت وبعده

فان يك أربى عفو شكرى على ندى * أناس فقد أربى نداه على جهدى

والرشد الهداية والثروة كثرة العدد من الناس والمال والثمد بسكون الميم وتحرك الماء القليل لامادة له

عبد الله عمر بن يحيى ادّعاهما لنفسه فى مجلس المهلبى الوزير فأنكر أبو الفرج الاصبهانى ذلك وأخرجهما فى أناشيد ثعلب وهما

أقول لها اذ بت فى أسر قومها وجامعتى عن منكبى تضيق
لما سرّنى ان بت عنى بعيدة وأنى من هذا الاسار طليق

(ثم قلت له) أيهما أحسن أم بيتان عملتهما فى المعنى وهما

أقول لها والحى قد نذروا بنا ومالى من أسر المنون براح
اساءنى ان وشحتنى سيوفهم وأنك لى دون الوشاح وشاح

فأمسك ساعة ولم يجب ثم عمل فى الحال وأنشدنيه

ألا مرحبا بالاسر ياأم مالك وجامعتى والقد منه قرينى
اذا كنت فى كسر الخباء قريبة تحسين منى لوعتى وأنينى

وعمل أيضا فى الحال وأنشدنيه

أقول وقد هز القنا لى قوامها ومالى من بين الاسنة مذهب
ألا ليت نحرى للاسنة ملعب وكفى فى نحر ابنة القوم يلعب

(قال) وجلس أبو اسحق الصابى عند كافور

أومايبقى فى الجلد أومايظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف والرواية فى ديوانه بلفظ بحرى بدل ثمدى ومعنى أورى به زندى صار ذا ورى وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب (والشاهد فيه) مجىء السجع فى النظم ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبى

فنحن فى جذل والروم فى وجل * والبر فى شغل والبحر فى خجل

التشطير

(تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب)

البيت لابى تمام أيضا من قصيدة من البسيط يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية وأولها

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لافى السبعة الشهب
أين الرواية أوأين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولاغرب
عجائبا زعموا الايام مجفلة * عنهن فى صفر الاصفار أورجب
وخوفوا الناس من دهياء داهية * اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب
وصيروا الابرج العليا مرتبة * ماكان منقلبا أوغير منقلب
يقضون بالامر عنها وهى غافلة * مادار فى فلك منها وفى قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ماحل بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به * نظم من الشعر أونثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وهى طويلة بديعة وأشار بمطلعها الى كذب المنجمين فانهم كانوا أجمعوا على أنها لاتفتح فى تلك الغزاة فيسر الله تعالى ذلك وأكذبهم والمرتغب فى الله الراغب فيما يقربه من رضوانه والمرتقب المنتظر الثواب الخائف العقاب (والشاهد فيه) التشطير وهو جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لاختها وهو ظاهر فيه ومنه قول مسلم بن الوليد فى قصيدته السابقة فى تجاهل العارف

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقول ذى الرمة
كحلاء فى برج صفراء فى نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

وقول كشاجم
هلال فى اضاءته حياء * شهاب فى سماحته اتقاد

وقول ديك الجن
حر الاهاب وسيمه بر الايا * ب كريمه محض النصاب صميمه

وقول الصفى الحلى
بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

وقول ابن جابر
ياأهل طيبة فى مغنا كم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

التتميم

(مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وأولها

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل * وقلبك منها مدة الدهر آهل
تطل الطلول الدمع فى كل موقف * وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها * ولامر فى اغفالها وهو غافل
فقد سحبت فيها السحائب ذيلها * وقد أخملت بالنور منها الخمائل
تعفين من زاد العفاة اذا انتحى * على الحى صرف الازمة المتماحل
لهم سلف سمر العوالى وسامر * وفيهم جمال لايغيض وحامل

الاخشيدى فدخل عليه أبو الفضل بن عياش فقال أدام الله أيام مولانا وكسر الميم فتبسم كافور الى أبى اسحق ففطن لذلك فقال ارتجالا

لاغروان لحن الداعى لسيدنا * وغص من دهش بالريق والبهر
فمثل سيدنا حالت مهابته * بين الاديب وبين القول بالحصر
وان يكن خفض الايام من دهش * فى موضع النصب لامن قلة البصر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال مأثوره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلانصب * وأن دولته صفو بلاكدر

فأمر له بثلثمائة دينار والنحيرمى بمائتين (وذكر صاحب اليتيمة) وقد ذكرنا الاسناد اليه فيما سبق من الكتاب أنه قدم الى عضد الدولة جام بمطلة بيضاء عليها لوز منصف وكان ينادمه رجل من أهل الادب قلما يحضر شئ على المائدة الاقال فيه شعرا له

ليالى أضللت العزاء وخذلت * بعقلك آرام الظباء الخواذل

من الهيف لوان الخلاخل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وبعده البيت وبعده

هوى كان خلسا ان من أحسن الهوى * هوى جلت فى أفنائه وهو خامل

وهى طويلة ومها الوحش بفتح الميم بقره والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح الخطية لانها تباع به لا لانه منبتها (والشاهد فيه المماثلة) وهى أن يكون ما فى أحد الفقرتين أو شطرى البيت مثل ما يقابله من الآخر فى الوزن دون التقفية وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرئ القيس السابق فى التشبيه

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر

صفوح كريم رصين اذا * رأيت العقول بداطيشها

نداه سموح على أنفس * به أخضر لماسقى عيشها

والبيت الاول أردت ومن أمثلة المماثلة قول البحترى

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

وقول ابن هانئ الاندلسى فاذا عفا لم يلف غير مملك * واذا سطا لم يلق غير معفر

وقول أحمد بن المغلس ان يواجه فطود حلم ركين * أو يفاوض فبحر علم غزير

أو يجد واهبا فغيث مطير * أو يصل واثبا فليث هصور

وقول العمانى أيضا

سلسل خطوطك ماغدا متسلسلا * شاطى الجمام الزرق بالاغصان

واسجع بشعرك ماغدا متصلصلا * شادى الحمام الورق بالألحان

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية

وافرح فما يلقى لسيبك هادم * وامرح فما يلقى لحسبك ثالم

فاذا سطوت فان سيبك عارض * واذا سطوت فان سيفك عارم

فلذاك تغشى من قناك مطاعن * ولذاك تغشى من قراك مطاعم

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الايام

أأسلمتنى وذنبى * للشيب فيه افتراقى من الظباء العواطى * الى الضباع العواقى

وقول ابن جابر الاندلسى

جاءت تجرفر وعا خلف ذى هيف * وبلغت صبها من لثمها الأملا

فأرسلت غسقا وأطلعت قمرا * وألثمت بردا وأرشفت عسلا

وقوله أيضا تبسمت قتبا كى الدر من وجل * وأقبلت فتولى الغصن ذا عجب

تفتر عن حبب يبدو على ذهب * يهديك من شنب ضربا من الضرب

(مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم) البيت للارجانى من قصيدة من الوافر يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود أولها

لأى وميض بارقة أشيم * ومرعى الفضل فى زمنى هشيم

أشب وخدليل الشعر منى * بكف الصبح من شيبى لطيم

وضم الى أفكارى جناحى * فلى فى عش مطرحى جثوم

فعذرا ان تغير عهد شعرى * وقد يغضى على الزلل الحليم

أو لغيره فاستدعى منه عضد الدولة أن يصفها فارتج عليه فارتجل عضد الدولة بهطة تعجزعن وصفها يامدعى الاوصاف بالزور كأنها فى الجام اذ زينت لآلئ فى ماء كافور (وشرب) السرى الموصلى يوما مع جماعة من أصحابه بالقفص فى حانة لبعض الخمارين فأقاموا نهارهم يديرون من الكؤس شعلا يلهبها الماء ويزول برشفها الظماء وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد فقال السرى بديها

رب أيام على القفص لنا

لانرى أمثالها طول الابد

غيضة ريحاننا الغض بها

أسد من غابة الورد ورد

مارأى الناس ندامى قبلنا

شربوا الراح على وجه الاسد

(قال على بن ظافر) ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقى بديها فى مثله

لنا أسد ورد سبانا به الهوى

وما كان يهوى قبله الاسد الورد

له وردة حمراء فى فيه غضة

يرى عاديا منها وان كان لا يعدو

وماقصرت عن شأو ولكن ✱ سقيم كلما انتظم السقيم

الى ان قال

أحب المرء ظاهره جميل ✱ لصاحبه وباطنه سليم
يؤول دعوتي ويجيب طوعا ✱ اذاما عن لي شرف مروم
وفي الفتيان كل رحيب جاش ✱ يرى حوب الزمان ولا يخيم

وبعده البيت (والشاهد فيه) القلب ويسمى المقلوب والمستوى وسماه الحريري بما لا يستحيل بالانعكاس وهو أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وغايته أن يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما في حالتي النظم والنثر وقد انعقد الاجماع على ان أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الالفاظ وانسجام المعاني قال أبو جعفر الاندلسي وأسهل منه قول بعض المتأخرين

نال سر العلا بما قد حواه ✱ أوحد قام بالعلا رسلان

وفيه نظر لا يخفى ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضا

عج تنم قربك دعد آمنا ✱ انما دعد كبرق منتجع

وقول بعضهم أيضا

أراهن نادمنه ليل لهو ✱ وهل ليلهن مدان نهارا

وقول الحريري من أبيات المقامات

اس ارملا اذا عرا ✱ وارع اذا المرء أسا ✱ أسند أخا نباهة ✱ ابن اخاء دنسا
أسل جناب غاشم ✱ مشاغب ان جلسا ✱ أسر اذا هب مرا ✱ وأرم به اذا رسا
أسكن تقو فعسى ✱ يسعف وقت نكسا

ومن القلب قول سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله ✱ أنى يضيء بكوكب

وقول الآخر

أرانا الاله ✱ هلالا أنارا

وقول الصيرفي المغربي

قلقت فيك هذه ✱ هذه كيف تقلق
فرقت عين مية ✱ هي من مي تفرق
فترى لحن مقتف ✱ فتق من حل يرتق

وقول الصفي الحلي أيضا

بلذ لي نضو ✱ لوضن بي لذ لي ✱ يلم شملي لحسن ✱ ان سح لي لم شملي

وقول الحسن النظيري الضوي الملقب بذي اللسانين

لسيدنا الامام أبي المطهر ✱ فضائل أربع كالزهر تزهر
ضياء فائض ورأي عيار ✱ عطاء ساطع رهط مطهر

وقول ابن خروف الضوي

واشربوا كل صباح لبنا ✱ واشربوا كل أصيل عسلا
واعكسوا ذاك الى أعدائكم ✱ من قسي النبع أو رقش الفلا

وقول بعض المغاربة

قد أقبل الشهر واقباله ✱ يأتي بما أجرى ترتيبه
فوجه البر فقلوبه ✱ يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزا في هاروت

ما اسم اذا صحفته ✱ فهو نبي مرسل ✱ وهو اذا عكسته ✱ كتابه المنزل

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر

عدلوا فما ظلمت لهم دول ✱ سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم ✱ رفعوا فما زالت لهم قدم

كليث قريب بالفريسة عهده
فباقي دم المفروس في فه يبدو
(وحكى أبو الفضل الهمداني قال) قال الصاحب يوما لجلسائه وأنا فيهم وقد جرى ذكر أبي فراس لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعرا فقلت ومن يقدر أن يزور عليه وهو الذي يقول وارتجلت
رويدك لا تصل يدها بباعك
ولا تغر السباع على رباعك
ولا تعن العدو على اني
يمين ان قطعت فمن ذراعك
فقال الصاحب صدقت فقلت أيد الله مولانا قد فعلت (وروى) ابن الصابي في كتاب الوزراء قال كان في مجلس الصاحب متكلم يعرف بابن الحضيري فغلبه النوم يوما في المجلس فكانت منه فلتة فخجل بها فقام خجلا فقال فيه الصاحب ارتجالا
يا ابن الحضيري لا تذهب على خجل
من ضرطة أشبهت نايا على عود

فهو دعاء لهم ومدح فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجوا بأن يقال

نعم لهم زالت فـاسعدوا * دول لهم ظلمت فـاعدلوا
قدم لهم زلت فـارفعوا * شـيم لهم شحت فـابذلوا

تشريع

(يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار)

البيت للحريري من الكامل وبعده

دار متى ما أضحكت * في يومها * أبكت غدا * تبا لهـا من دار
واذا أظل سحابها * لم ينتقع * منه صدا * لجهامه الغـرار
غاراتها ما تنقضي * وأسيرها * لا يفتدى * بجلائل الاخطار
كم مزده بغرورها * حتى بدا * متمـردا * متجاوز المقـدار
قلبت له ظهـر المجـن وأولغت * فيه المدى * ونزت لاخـذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا * فيها سدا * من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها * وطلابها * تلق الهدى * ورفاهـة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت * من كيدها * حرب العدا * وتوثب الغـدار
واعلم بأن خطوبها * تفجا ولو * طال المدى * ودنت سرى الاقدار

والدنية الخسيسة وشرك الردى حبالة الهلاك وقرارة الاكدار مقر الهموم والاوصاب المكدرة للعيش (والشاهد فيه) التشريع وسماه ابن أبي الاصبع التوأم وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما فهذا البيت وما بعده اذا أنشد على هيئته كان من ثاني الكامل واذا أسقطت الجزئين الاخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

ومن الواقع من كلام العرب في هذا النوع قول بعضهم

واذا الرياح مع العشي تناوحت * هوج الرئال * نكبنهن شمالا
ألفيتنا نقرى العبيط لضيفنا * قبل القتال * ونقتل الابطالا

فهذان البيتان اذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل واذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزو المرفل منه ولا شك ان هذا النوع لا يتأتى الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة وأوسع البحور في هذا النوع الرجز فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الارجاني

صب مقيم سائر * فؤاده * طوع الهوى * مع الخليط المنجد
غائب قلب حاضر * وداده * لمن نأى * في عهدهم والمعهد
له جوى مخامر * يعتاده * اذا اشتكى * طيف الكرى في العود
لصبره مكابد * أيقاده * حشو الهوى * بعد الحسان الخرد
ودمعه مكاثر * اسداده * خوف النوى * يقول للهم ابعد

وقول الحريري أيضا

جودي على المتصبر الصب الجوي * وتعطفي بوصاله * وترحمي
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجي ثم اكتفي * عن حاله * لا تظلمي

وقول ابن جابر الاندلسي

يرنو بطرف فاتر * مهما رنا * فهو المنى * لا أنتهي عن حبه
يهفو كغصن ناضر * حلو الجنى * يشفي الضنى * لا صبر لي عن قربه

فانها الريح لا تستطيع تحبسها
اذا أنت لست سليمان بن داود
(وأنبأني) ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحية عن الاستاذ المفيد أبي بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الحافظ أبي القاسم خلف بن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش بقراءته على أبي الحسن علي بن بسام قال كان أبو العلاء صاعد اللغوي البغدادي كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر كفيل المؤيد هشام صاحب الاندلس فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد صاحب الغرائب الماضية في هذا الكتاب الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه

أما ترى برد يومنا هذا
صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به
حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا
نغذ سيرا اليك اغذاذا

لوكان يومازائرى * زال العنا * يحـــاولنا في الحب أن نسمى به
أنزلته في ناظرى * لما دنا * قـــدسرنا اذلم يحل عن صبه

وقوله أيضا
من لي بآنســة تنا * م لحاظها * من غير نوم * بل تتيه وتفتن
قالت ألست تخاف حيـــن تزورنى * سطوات قومى * كم تبوح وتعلن
فأجبتها انى نيل وصـــالك لم أكن * لاخاف لومى * فهو عندى هين

وقول أبي جعفر الغرناطي
يا راحـــلا يبـــغى زيارة طيبة * نلت المنى * بزيارة الاخيار
حي العقيق اذاوصلـــت وصف لنا * وادى منى * ياطيب الاخبار
واذاوقفت لدى المعـــترف داعيـــا * زال العنا * وظفرت بالاوطار

وقول الرشيد النابلسي
لم الحشى معذب * موجع * على المدى * صب الفؤاد مغرم
بناره ملتهب * ملـذع * ماتجـددا * أواره والضرم
حكم فيه أشنب * ممنــع * من الفدا * فهو الاسير المسلم
مبتعد مجتنب * مــودع * تعـمدا * وهو الغريب الامم
زمانه تعتب * وولـــع * قدا كدا * من عزفهو يحكم
ما الحب الا الحب * ومـدمع * تجــددا * ولوعــة وسـقم
ياهل اليه سبب * ممتــع * يولى يدا * من لبه مخـترم
ما أنا الا أشعب * أوأطمع * فيما عدا * فما اليه سـلم

وقول ابن نقاده
جمر غرامى واقد * يحكى لظى * شراره * في القلب ليس ينطفى
ودمع عيني شاهد * على الهوى * مدراره * والوجد مالا يختفى
والنوم عنى شارد * لايرتجى * مزاره * فيالصب مـدنف
هل في الهوى مساعد * لما عنى * اعذاره * في حب ظبي أهيف
مائـل قـد مائد * اذاانثنى * خطاره * كالغصن المهفهف
فلحظـه لى صائد * اذ ينتضى * بتاره * هل في الجفون مشرفى
قلبي عليـه واجد * لما نأى * مزاره * بين الاسى والاسف
أرغب وهو زاهد * وهو المنى * اختاره * من لى به فأشتفى
أســهر وهو راقد * لما جفا * نفاره * عـرضـــنى للتلف
وجدى عليه زائد * من الجوى * أسعاره * بين الدموع الذرف

وقول صلاح الدين القواس ويقال ان هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجها
داء ثوى * بفؤادشفه سـقم * لمحنـــتى * من دواعى الهم والكمد
بأضـلعى * لهب تذكو شرارته * من الضنى * في محل الروح والجسد
يوم النوى * طال في قلـبي به ألم * وحرقـتى * وبلائى فيـه بالرصـد
توجعى * من جوى شبت حرارته * مع العنا * قدرنى لى فيه ذوالحسد
أصل الهوى * ملبسى وجدابه عدم * لمهجــتى * من رشا بالحسن منفرد
تتبـعى * وجه من تزهو نضارته * لما جـنى * مورثى وجدا الى الابد
وهذا القدر من هذا النوع كاف

وادع المسمى بها وصاحبه
تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولاتبالى أبا العلاء زها
بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من آرملاط مشربنا
دع دير عمى وطيرناباذا
وكان المنصور في ذلك اليوم
قد عزم على الانفراد بحرمه
فأمر باحضار من جرى
رسمه من الوزراء والندماء
وأحضر ابن شهيد في محفة
لنقرس كان يعتاده وأخذوا
في شأنهم فمر لهم يوم لم
يعهدوا مثله وعلا الطرب
وسما بهم حتى تهايجوا
ورقصـوا بالنوبة حتى
انتهى الدور الى ابن شهيد
فأقامه الوزير ابو عبدالله
ابن عباس فجعل يرقص
وهو متوكئ عليه وارتجل
قائلا
هاك شيخا قاده عذر لكا
قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها منتصبا
فغدا يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا
نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة
قام للسكر يناغى ملكا

(سأشكر عمرا ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت)
(فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت)
(رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت)

لزوم ما لا يلزم

الابيات من الطويل وقائلها عبد الله بن الزبير الاسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان سببها ما حكاه أبو غسانة قال بلغني أن أول من أخذ نسيئة في الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتى عبد الله بن الزبير الاسدي فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثا فدعا وكيله وقال له اقترض مالا فقال هيهات ما يعطينا التجار شيأ قال فأربحهم ما شاؤا فاقترض له ثمانية آلاف درهم بأثني عشر ألفا فوجه بها اليه مع تخت ثياب فقال عبد الله بن الزبير الابيات (ويحكى) أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبي الطيب المتنبي برقعة فيها البيت الاخير من هذه الابيات وسأله اجازته فأثبت في الرقعة تحته

لنا ملك ما يطعم النوم همه * ممات لحي أو حياة لميت
ويكبر أن تقذى بشيء جفونه * اذا ما رأته خلة بك فرت
جزى الله عني سيف دولة هاشم * فان نداه الغمر سيفي ودولتي

ومعنى لم تمنن لم تقطع ولم تخلط بمنة وان عظمت وقوله اذا النعل زلت كناية عن نزول الشر وامتحان المرء يقال زلت القدم وزلت النعل به والخلة بالفتح الحاجة والفقر والخصاصة وفي المثل الخلة تدعو الى السلة أي السرقة والقذى ما يقع في العين وفي الشراب (والشاهد فيها) لزوم ما لا يلزم وهو هنا مجيء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروي وهو التاء وذلك ليس بلازم في مذهب السجع لتحققه بدونه وفيها نوعان من لزوم ما لا يلزم أحدهما التزام الحرف والثاني فتحه وقد يكون الاول بدون الثاني وبالعكس ومن شواهده قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

وما يقع من هذا الباب للمتقدم فهو غير مقصود منه وأما المتأخرون فقصدوا عمله وأكثروا منه حتى ان أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديوانا كاملا منفردا عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ومنه قوله

لك الحمد أمواه البلاد بأسرها * عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ عير الوحش يستاف أنفه * خزامى وأنف العود بالعود يخزم

ومن هذا المعنى قول أبي تمام الطائي

والحظ يعطاه غير طالبه * ويحرز الدر غير مجتلبه
تلك بنات المخاض راتعة * والعود في كوره وفي قتبه

وقول الآخر

أيا دهر ويحك ماذا الغلط * لئيم علا وكريم هبط
حمار يسيب في روضة * وطرف بلا علف يرتبط

وقول الآخر

رب عير يرعى ويعلف في المصر * وليث يجوع في صحراء
وحشيش يروى على ضفة النهر * ونبع يظما على غبراء

وقول الهيثم النخعي

قد يرزق الاحمق المأفون في دعة * ويحرم الاحوذي الارحب الباع
كذا السوام تصيب الارض ممرعة * والاسد مرتعها في غير امراع

ولطيف قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

رزق الضعيف بعجزه * فاق القوي الاغلبا فالنسر يأكل جيفة * والنحل يأكل طيبا

رجع الى شعر أبي العلاء المعري في لزوم ما لا يلزم ومنه قوله

أنا صائم طول الحياة وانما * فطري الممات فعند ذاك أعيد

أنا لو كنت كما تعهدني قمت اجلالا على رأسي لكا قهقه الابريق مني ضاحكا ورأى رعشة رجلي فبكى وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان قد حضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالكتاني كان حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد أحضره الى المنصور فاستطبعه وارتبطه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذي كان منعه من الحركة قال لله درك يا وزير ترقص قائما وتصلي قاعدا فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللكتاني (وبالاسناد أيضا) قال ابن بسام ودخل صاعد اللغوي يوما على المنصور وعليه ثياب جدد وخف فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين في الصحن فزهقت رجله فسقط في الماء فضحك المنصور وأخرج وقد كاد البرد يأتي عليه فلما نظر اليه أمر له بثياب وأدنى

لونان من صبح وليــــل شيبا * رأسي وأضعفني الزمان الأيد
قالوا فلان جيد لصديقـــــه * لا تكذبوا ما في البرية جيد
فأمــــيرنا نال الامارة بالخنا * وفقيهنا بصــــلاته متصيد
كن كيف شئت مهجنا أو خالصا * فذا رزقت غنى فأنت السيد
واصمت فما كثر الكلام من امرئ * الا وقالوا انه مــــتزيد

وقوله
كل واشرب الناس على خبرة * فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصدقهم اذا حــدثوا * فانني أعهدهم يكذبون
فان أروك الود عن حاجة * ففي حبال لهم يجذبون

ومن مليح ما جاء فيه قول أبي نواس
أما وزند أبي عــلي انه * زند اذا استوريت سهل قدحكا
اني لبأبي الصنع عالي همتي * من غيركم ويعاف الا مدحكا

ولابي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي فيه وهو مصنف المقامات اللزومية وهي خمسون مقامة بناها على لزوم ما لا يلزم
يا هاجرا بالدلال والخفــر * ألصقت خــد العزيز بالعفر
اياك ذنب الهــوى وزلته * فليس ذنب الهــوى بمغتفر
ما عز في الحب من يساجله * لو كان ذا معشر وذا نفر
ومن غــدا والتجني شافعه * أخلق به أن يفــوز بالظفر

وله أيضا فيه
كل حبيب له دلال * وربما شابه مــلال
وأنت أنت الحبيب لكن * من دون اسعافك الهلال

ولابي الفضل الميكالي فيه مع التعمية باسم
غزال ينثني ويريك غصنا * ويرنو تارة ويريك ريمـا
كريم كله ظرف ولكن * اذا سميتــه فاقلب كريمـا

وله أيضا فيه
تعزعن الحرص تعزز به * ففي الطمع الذل والمنقصه
ولا تنزلن أبدا حاجــة * بمن كابد البؤس والمخمصه
ولو نال نجم الدجى ثروة * وأوطا شمس الضحى أخمصه

ولابن جابر الاندلسي فيه
ولما وقفنا كي نودع من نأى * ولم يبــق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

ولابي جعفر الغرناطي فيه
ناولته وردة فاحمر من خجل * وقال وجهــي يغنيني عن الزهر
انخذ ورد وعيني نرجس وعلى * خدي عذار كريحان على نهر

ومما يلحق بهذا النوع ما يختبر به الادباء أفكارهم ويشحذون به قرائحهم من التزام حروف جميعها مهملة أو جميعها معجمة أو لا تنطبق معها الشفتان الى غير ذلك من التفننات كقول الحطيري الوراق وجميع الحروف مهملة
صدود سعاد أحدر الدمع مرسلا * وأسأر سرا لم أحاوله أولا
محلله صـــدا أراه محــرما * محرمة وصلا أراه محللا
أواصــل لا أسلو هواها ملالة * وكم آمل للوصل هام وما سلا
لها طول صد للسهد مؤلم * ووصل له طعم أراه معسلا

وقول أحمد بن الورد
عــــلم العدو ملالة اللوام * ودوام صدك وهو صد حمام

مجلسه وقال يا أبا العلاء قل في سقطتك فأطرق ثم قال
شيئان كانا في الزمان عجيبة
ضرط ابن وهب ثم سقطة صاعد
فاستبرد ما أتى به وكان أبو مروان الجزيري الكاتب حاضرا فقال
سروري بغترتك المشرقه
ودعة راحتك المغدقه
ثناني نشوان حتى سقطــ
ـت في لجة البركة المغرقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق
بجودك من قبلها أغرقه
فقال لله درك قسناك بأهل العراق ففضلتهم فبمن نقيسك
(وبالاسناد) قال ابن بسام وحدث أبو بكر محمد بن أحمد ابن جعفر بن عثمان المصحفي قال دخلت يوما على أبي عامر قال علي بن ظافر يعني ابن شهيد وقد ابتدأت به علته التي مات بها فآنس بي وجرى الحديث الى أن شكوت اليه تجني بعض أصحابي علي ونفاره عني فقال لي سأسعى في اصلاح ذات البين فخرجت عنه فلقيت ذلك المتجني مع بعض اخواني

لولاك ماحدر السهاد دموعه * ولما أطار كراه حز أوام
ردّ السلام وماعداك مسلما * وأراك أهل هواه سر كلام
كم حاسد لك أومصدّ وداده * وممل أهداه طول ملام

وقول ابن سلام

وصال دعد أراه حال وما * أحال عهدا لها مدى العمر
وطالما راح وردها حوما * مصارما للورود والصدر

وأبيات الحريري العاطلة حلية هذا النوع وهي

أعدد لحسادك حد السلاح * وأورد الآمال ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها * وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما * عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا * ولا مراد الحمد ورد وراح
واها لحر صدره واسع * وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله * وماله ماسأ لوه مطاح
ما أسمع الآمل ردا ولا * ماطله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا * ولا كسا راحاله كأس راح
سوّده اصلاحه سرّه * وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه * ما مهر العور مهور الصحاح

وقول الخطيري وحروفه لا تنطبق فيها الشفتان

ها أنا ذا عاري الجلد * أسهرني الذي رقد
آه لعين نظرت * الى غزال ذي غيد
أريتني ياناظري * صيد الغزال للاسد
ان الضنى لهجره * ياعاذلي هذا الجسد
حشاحشاي اذنأى * نار الغضا حين شرد
ياغادرا غادرني * على لظى نار تقد
هلا اصطنعت ناحلا * لا يشتكي الى أحد

وقوله وفي كل كلمة همزة

بأبي أغيد أذاب فؤادي * اذ تناءى وأظهر الأعراضا
رشأ يألف الجفاء فان أقـ * ـبل أبدى لآمليه انقباضا

وقول الحريري وحروفه معجمة كلها

فتنتني فجننتني تجني * بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض * غنج يقتضي تفيض جفني

وقوله وهو كلمة مهملة وكلمة معجمة

اسمح فبث السماح زين * ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال * فتى أم في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقي * مال ضنين ولو تقشف
واحلم فجفن الكرام يغضي * وصدرهم في العطاء يشغف
ولا تخن عهد ذي وداد * ثبت ولا تبغ ما تزيف

وقول بعضهم وليس فيه حرف متصل بغيره

زار داود دار أروى وأروى * ذات دل اذا رأت داودا

ومثله قول أبي الفضل الأواني

وادد أوداء وارع ذاورع * ودار دارا ان زاغ أودارا
وزر ودود اوادن ذا أدب * وذر ذراه ان زار أوزارا

وأعزهم علي فتجنبتهما فسأله عن السبب الموجب فأخبره فمشى حتى أدركني وعزم علي في مكالمته وتعاتبنا عتابا أرق من الهوا وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبي عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من هذا الذي تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده وقلنا قد كان ما كان وأطرق قليلا ثم أنشد

من لا أسمي ولا أبوح به
أصلح بيني وبين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى
كيف يداوي مواقع البلوى
ولي حقوق في الحب ثابتة
لكن الفي بعتها دعوى

(قال علي بن ظافر) وذكر ابن خاقان في كتاب مطمح الانفس ما معناه أن أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة في ليلة السابع والعشرين فمرت بهم امرأة من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف

ومنه قول بعضهم وهو يجمع حروف المعجم كلها

صف خلق خود كمثل الشمس اذ بزغت * يحظى الضجيع بها نجلاء معطارا

وقول أبي جعفر اليزيدي

ولقد شجتني طفلة برزت ضحى * كالشمس خثماء العظام بذي الغضا

وأحسن منه قول ابن حمديس الصقلي

مزرفن الصدغ يسطو لحظه عبثا * بالخلق جذلان ان أشكو الهوى ضحكا

وهذا الباب واسع والاختصار به أليق (وعبد الله بن الزبير) بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة وهو ابن الاشيم ابن الاعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ ينتهي نسبه الى أسد بن خزيمة وهو شاعر كوفي المنشا والمنزل من شعراء الدولة الاموية وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والعصبية لهم والنصرة على عدوهم فلما غلب مصعب بن الزبير رضي الله عنهما على الكوفة أتي به أسيرا فمن عليه ووصله فمدحه وأكثر وانقطع اليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزبير رضي الله عنه ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير وهو أحد الهجاء بن للناس المرهوب شرهم وكان ناس من بني علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بني الاشيم من رهط عبد الله بن الزبير دنية فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافدا الى معاوية رضي الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد فقال عبد الرحمن لابن الزبير خذ من بني عمك ديتين لقتيلك فأبى ابن الزبير وكان عبد الرحمن يميل الى أهل القاتل فغضب عليه عبد الرحمن ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالفه ابن الزبير الطريق الى يزيد بن معاوية فعاذ به فأعاذه وقام وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه فقال فيه ابن الزبير من قصيدة طويلة

وأنتم بنو حام بن نوح أرى لكم * شفاها كآذان المساحور ثما

فان قلت خالي من قريش فلم أجد * من الناس شرا من أبيك وألأما

ولما بلغ عبد الرحمن بن أم الحكم أن عبد الله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها فأتى معاوية رضي الله عنه فشكاه اليه وتظلم لديه منه وقال قد أحرق لي دارا قد قامت على بمائة ألف درهم فقال معاوية ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر فمن يعرف صحة ما ادعيت فقال هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك فقال معاوية رضي الله عنه للمنذر ما عندك في هذا قال اني لم آبه لنفقته على داره ومبلغها ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت فقال معاوية ان دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم وأمر له بها فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم أي الشيخين عندكم أكذب والله اني لأعرف داره وما هي الا خصاص قصب ولكنهم يقولون فنسمع ويخادعونا فنخدع فجعلوا يعجبون منه وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة فقدم قادم من الكوفة الى المدينة المنورة فسألته امرأة عبد الرحمن عنه فقال لها تركته يسأل الحافا وينفق اسرافا وكان محمقا ولاه معاوية خاله عدة أعمال فذمه أهلها وتظلموا منه فعزله وأطرحه وقال له يا بني قد جهدت أن أنفقك وأنت تزداد كسادا وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر يا أخي زوج ابني بعض بناتك فقال ليس لهن بكفء فقالت له قد زوجني أبو سفيان أباه وأبو سفيان خير منك وأنا خير من بناتك فقال يا أخية انما فعل ذلك أبو سفيان لانه كان حينئذ يشتهي الزبيب وقد كثر الآن الزبيب عندنا فلا نزوج الا الاكفاء وكان عبد الله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزاري بقصيدة طويلة منها

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه فغضب وقال يهجوه

بنت لكم هند بتلذيع نظرها * دكاكين من جص عليها المجالس

بالدراري فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة ورمقوا الظبي بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تخطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا

وداعية تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داع

أتت بابنها تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع

فجاءت تهادى كمثل الرؤوم * تراعي غزالا بروض اليفاع

أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع

وجالت بأكنافه جولة * فحل الربيع بتلك البقاع

وريعت حذارا على طفلها * فناديت يا هذه لا تراعي

غزالك تفرق منه الليوث * وتهرب منه كماة المصاع

فولت وللمسك من ذيلها * على الارض خط كخط الشجاع

(أنبأني) الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله

فوالله

فوالله لولا رهن هند ببظرها * لعدّ أبوها في اللئام العوابس

فبلغ ذلك أسماء فركب اليه واعتذر من فعله بضيعة شكاها وأرضاه وجعل له على نفسه في كل سنة وظيفة واقتطعه الى جانبه فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله وكان أسماء يقول لبنيه والله ما رأيت قط جصا في بناء الا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت ولما ولي مصعب بن الزبير العراق دخل عليه عبد الله بن الزبير الاسدي فقال له ايه يا ابن الزبير أأنت القائل

الى رجب السبعين أو ذاك قبله * تصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا نصر مروان دينهم * كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال أنا القائل لذلك فقال ان الحق بن لبأبي العذرة ولو قدرت على جحده لجحدته قال فاصنع ما أنت صانع فقال أما أنا فلا أصنع بك الا خيرا أحسن اليك قوم فاجتبيتهم وواليتهم ومدحتهم ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده الى منزله مكرما فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشبب بذكره فلما اقتتل مصعب اجتمع عبد الله بن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس فعرف ابن الزبير خبره وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعبا فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له

أبا مطر شلت يمين تفرعت * بسيفك رأس ابن الحواري مصعب

فقال له ابن ظبيان فكيف النجاة من ذلك فقال لا نجاة هيهات سبق السيف العذل وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة كان يهول عليه في منامه فلا ينام حتى نحل جسمه ونهك فلم يزل كذلك حتى مات (وحدث) خالد بن سعيد عن أبيه قال كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو بن الزبير بن العوام فلما أقامه أخوه عبد الله ليقتص منه بالغ كل ذي حقد عليه في ذلك وتدسس فيه من يتقرب الى أخيه وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه شيأ بينة ولا يطالبه بحجة وانما يقبل قوله ثم يدخله الى السجن ليقتص منه فكانوا يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الارض والحيطان مما يعتريه ثم أمر بأن ترسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة فدخل الموكل به وهو يبكي على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتصبر به فقال له مالك أمات عمرو قال نعم قال أبعده الله وشرب اللبن ثم قال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين فدفن فقال ابن الزبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله وكان له صديقا وخلا ونديما

أيا راكبا اما عرضت فبلغن * كبير بني العوام ان قلت من تعني

ستعلم ان جالت بك الحرب جولة * اذا فوق الرامون أسهم من تغني

فأصبحت الارحام حين وليتها * بكفيك أكراشا تجر على دمن

عقدتم لعمرو عقدة وغدرتمو * بأبيض كالمصباح في ليلة الدجن

وكبلته حولا يجود بنفسه * تنوء به في ساقه حلق البين

فما قال عمرو اذ يجود بنفسه * لضاربه حتى قضى نحبه دعني

في أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته (وحدث) العبسي قال لما قتل عبد الله ابن الزبير صلب الحجاج جسمه وبعث برأسه الى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه وقام عبد الله بن الزبير فاستأذنه في الكلام فقال له تكلم ولا تقل الا خيرا وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت * أمية حتى أحرزوا القصبات

وجئت المعالي يا ابن مروان سابقا * امام قريش تنفض الغمرات

فلا زلت سباقا الى كل غاية * من المجد نجاء من الغمرات

فقال له أحسنت فسل حاجتك فقال أنت أعلى عينا بها وأرحب صدرا يا أمير المؤمنين فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ثم قال له كيف قلت فذهب يعيد هذه الابيات فقال له لا ولكن أبياتك في المحل في وفي الحجاج

محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال أخبرنا أبو الحسن الراشدي عن أبي عامر بن شهيد أن عبد الله ابن فاكان الشاعر تناول نرجسة فركبها في وردة ثم قال له واصاعد قال علي بن ظافر يعني أبا العلاء صاعدا اللغوي المقدم ذكره صفاها فأفحما ولم يتجه لهما القول فبيناهم على ذلك اذ دخل الزهري قال علي بن ظافر يعني صاحب أبي العلاء صاعد وتلميذه وكان أديبا شاعرا أميا لا يقرأ ولا يكتب فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول بغير روية

ما للادريس قد أحببتهما
مليحة من ملح الجنة
نرجسة في وردة ركبت
كمقلة تنظر في وجنه

(وبهذا الاسناد عن الحميدي) قال أخبرني الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدي قال لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى ابن الخياط الشاعر وقد عرفت ما كان بينهما من المنافسة بكى

التى قلتهافأنشده كأنى بعبدالله يركب ردعه * وفيه سنان زاعبى مجرب
وقدفرّعنه الملحدون وحلقت * به وبمن آساه عنقاء مغرب
تولوا فخلوه فشالوا بشلوه * طويل من الاجذاع عار مشذب
بكفى غلام من ثقيف نمت به * قريش وذو المجد التليد معقب
فقال له عبد الملك بن مروان لا تقل غلام ولكن همام وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى (ودخل) عبدالله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان بشر قد بلغه عنه شئ يكرهه فجفاه فلما وصل اليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بنى أمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم فقال له بشر تطرك ياابن الزبير يدل على ان وراءه قولا فقال نعم قال قل فقال
كأن بنى أمية حول بشر * نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش * اذا أخذت مآخذها الامور
لقد حمت نوافله فأضحى * غنيا من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا * فعاش البائس الكل الكبير
فأنت الغيث قد علمت قريش * لنا والواكف الجون المطير
فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه (وعن عبدالله بن عباس) قال أخبرنى بعض مشيخة بنى أسد أن ابن الزبير لما قتل من قتال الازارقة بعث بعثا الى الرى قال فكنت فيه وخرج الحجاج الى القنطرة يعنى قنطرة الكوفة التى بزبارة ليعرض الجيش وجعل يسأل عن رجل رجل من هو فمر به ابن الزبير فسأله من هو فأخبره فقال له أنت الذى تقول
تخير فاما أن تزور ابن صابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
فقال بلى أنا الذى أقول ألم ترأنى قد أخذت جعيلة * وكنت كمن قاد الجنيب فاسمحا
فقال له الحجاج ذلك خير لك فقال
وأوقدت للاعداء يامى فاعلمى * بكل سرى نارا فلم أر مجمعا
فقال له الحجاج قد كان بعض ذلك فقال
ولا يعدم الداعى الى الخير تابعا * ولا يعدم الداعى الى الشر مجدعا
فقال له الحجاج ان ذلك كذلك فامض الى بعثك فمضى الى بعثه فمات بالرى

وأنشد فى لنفسه بديهة لما نعى الناعى أباعامر
أيقنت انى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى
وسيد الاول والآخر
(وبهذا الاسناد) قال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محبوبا الاديب الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة
وذات حنين ماتغيض جفونها
من البيج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيى من دموع عيونها
لآلى رياض بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع
وأزهر مبيض وأدكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها
لآلى جمان قد نظمن على قرط
(أنبأنى) ذو النسبين الحافظ ابن دحية عن الاستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبى القاسم خلف الشنتريني عرف بابن الابرش بقراءته

(اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل)
(ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل)
البيتان لمعن بن أوس المزنى من قصيدة من الطويل قالها فى صديق له يستعطفه وكان معن متزوجا باخته فطلقها فأقسم أن لا يكلمه وأولها
لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول
وانى أخوك الدائم العهد لم أحل * أباراك خصم أو نبابك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة * وأحبس مالى ان غرمت فاعقل
وان سؤتنى يوما صفحت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء مساءتى * وسخطى ومافى ريثتى ماتعجل
وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحول
وبعده البيتان وبعدهما

الشعر ٥٠

وكنت اذا ماصاحب رام ظنتى * وبدّل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أدم * على ذاك الا ريثما أتحوّل
اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل
وهذا البيت الاخير مثل قول حسان بن ثابت رضى الله عنه
اذا انصرفت نفسى عن الشئ مرّة * فلست عليه آخر الدهر مقبلا
وشفرة السيف حدّه والمزحل بالزاى المعجمة والحاء المهملة من زحل عن مكانه زحولا اذا تنحى وتباعد والمزحل مصدر بمعنى الزحول ومعناه أنه لا يبالى أن يركب من الامور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا (والشاهد فيهما) سرقة الشعر المذمومة وهى أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظه ويسمى نسخا وانتحالا (حكى) أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية وأنشده هذين البيتين فقال لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس فأنشد القصيدة وفيها البيتان المذكوران فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير وقال له ألم تخبرنى أنهما لك فقال له اللفظ له والمعنى لى وبعد فهو أخى من الرضاعة وأنا أحق بشعره ومن السرقة المذمومة أن يبدّل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها كما يقال فى قول الحطيئة
دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
ذر المآثر لا تذهب لمطلبها * واجلس فانك أنت الآكل الكاسى
وكقول امرئ القيس وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وقد أورده طرفة فى داليته الا أنه أقام تجلد مقام تجمل وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه
وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم
فأورده الفرزدق فى شعره الا أنه أقام تعرف مقام تعلم وقريب من هذا أن يبدل بالالفاظ ما يضادّها فى المعنى مع رعاية النظم والترتيب كقول ابن أبى فنن
ذهب الزمان برهط حسان الاولى * كانت مناقبهم حديث الغابر
وبقيت فى خلف تحل ضيوفهم * فيهم بمنزلة اللئيم الغادر
سود الوجوه لئيمة أحسابهم * فطس الانوف من الطراز الآخر
فانه عكس قول حسان بن ثابت الانصارى
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاوّل
وهى من أبيات يمدح بها أولاد جفنة وهم ملوك الشام
أولاد جفنة حول قبر أبيهمو * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهمو * بردى يصفق بالرحيق السلسل
وأخذ قوله وبقيت فى خلف من قول لبيد
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الورّاق
زعموا لبيدا قال فى عصره * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وأراه أعدى خلفه من خلفه * جربا وأعيا الداء كل مجرّب
وتضاعف الجرب الذى عدواه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال تخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصر وبى
وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه فلا حول ولا قوة الا بالله وما أحلى

على أبى الحسن على بن بسام قال أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة بعرض الجند فى بعض الايام وأميرهم عم أولئك وهى يقال له خيار فى نهاية الجمال فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا
أعن بابل أجفان عينيك تنفث
ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا
وأمكث فى رمس الصدود وألبث
عساك خيار الناس تأتى بآية
فتنفخ فى ميت الغرام فيبعث
(قال) وكان بقرطبة غلام وسيم فمرّ عليه ابن فرج الجيانى ومعه صاحب له فقال صاحبه انه لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا
قالوا به صفرة عابت محاسنه
فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى آثار من قتلت
فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب

كنا اذا جئنا لمن قبلكم * أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * تقنع منكم بلطيف الكلام
لاغير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وسرقة الشعر مذمومة حتى قال فيها الحريري في احدى مقاماته واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار وأول من ذم ذلك طرفة بقوله

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وأبو تمام الطائي ضج من سرقة محمد بن يزيد الاموي شعره فقال

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب جداة الكلاب
من طفيل وعامر ومن الحا * رث أو من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم الهصور أبو الاشـ * ـبال جبار كل خيس وغاب
من عدت خيله على سرح شعري * وهو للحين راتع في كتابي
غارة أسخنت عيون المعاني * واستباحت محارم الآداب
لو ترى منطقي أسيرا لأصبحـ * ـت أسيرا لعبرة وانتحاب
ياعذارى الاشعار صرتن من بعـ * ـدي سبايا تبعن في الاعراب
طال رغبي اليك يارب يارب و رهبي لديك فاحفظ ثيابي

وكان البحتري قال قصيدة في أبي العباس بن بسطام أولها

من قائل للزمان ما أربه * في خلق منه قد جلى عجبه

فعارضه فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة يمدح بها الموفق أولها

أجد هذا المقام أم لعبه * أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحتري فيه

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه
نال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير ما غضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم * وظل لص القريض ينتهبه
أردد علينا الذي استعرت وقل * قولك يعرف لغالب غلبه

وقد ذم ابن الرومي البحتري بالسرقة فقال

قبحا لاشياء يأتي البحتري بها * من شعره الغث بعد الكد والتعب
كأنها حين يصغي السامعون لها * ممن يميز بين النبع والغرب
رقى العقارب أو هذر البنات اذا * أضحوا على شعب الجدران في صخب
سمين ما انتحلوه من هنا وهنا * والغث منه صريح غير مؤتشب
يسيء عفافان أكدت مسائله * أجاد لما شديد البأس والكلب
حي يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذي لجب
ما ان تزال تراه لابسا حللا * أسلاب قوم مضوا في سالف الحقب
شعر يغير عليه باسلا بطلا * فينشد الناس اياه على رقب
حتى اذا كف عن غاراته فله * شعر يبين مقاسيه من الوصب
شعر كنافض حمى الخيبري له * برد وكرب فمن يرويه في كرب

(قال) وكان يوما في مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه من يأتيه به من السوق فدخل به غلام من الصيارف في نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه مما اجنا فقال ابن قرح بديها

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهو به من كثرة الاعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

(وذكر) الفرج بن ابراهيم الكاتب في سريرة الالباب وذخيرة الكتاب قال دخلت يوما ديوان الانشاء بمصر ومتوليه ولي الدولة بن خيران فلم أجده في الديوان الآني وجدت الكتاب على رسمهم والناس على جاري عاداتهم واذا سراويله ملقى على طراحته فجلست أنتظره فلم أشعر الا وقد فتح خزانة وخرج وقدامه خادم صقلبي كأن الشمس على صفحته والغصن في قامته منكسر الاجفان مطرقها مورد الوجنة عرقها وحين وصل الى الطراحة لبس السراويل وارتجل

قال

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت * به الدواهى نصول الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * والناطق ما بين مقتول ومغتصب
نكاه ان أناسا قبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقدرى شعراء الناس بالحرب
وان أساء فأوجب قتله قودا * بمن أمات اذا أبقى على السلب

ولا يخفى على ذى ادب ما فى هذه الابيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه وفيه يقول ابن الحاجب أيضا

والفتى البحترى سارق ما قا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبى وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع الى بغداد وذلك فى أيام الوزير المهلبى

بكرت عليك مغيرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردا العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفمنشدناشك بأنهما هما * فى الفتك لا فى صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا * مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى قفرة * وحذار من وثبات ليثى غاب
لا يسلبان أخا الثراء وانما * يتناهبان نتائج الالباب
ان عز موجود الكلام عليهما * فأنا الذى وقف الكلام ببابى
أو يهبطا من ذلة فأنا الذى * ضربت على الشرف المطل قبابى
كم حاولا أمدى فطال عليهما * أن يدركا الامثار ترابى
عجزا ولن تقف العبيد اذا جرت * يوم الرهان مواقف الارباب
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر * رمم سوى الاسماء والالقاب
وضربت عنه المدعين وانما * عن حوزة الآداب كان ضرابى
فغدت نبيط الخالدية تدعى * شعرى وترفل فى حبير ثيابى
قوم اذا قصدوا الملوك لمطلب * نقضت عمائمهم على الابواب
من كل كهل تستطير سباله * اونتين بين أنامل البواب
مغض على ذل الحجاب برده * دامى الجبين تجهم الحجاب
وسفوهين تعرضا لحرابتى * فتعرضت لهما صدور حرابى
نظرا الى شعرى يروق فتربا * منه خدود كواعب أتراب
شرباه فاعترفاله بعذوبة * ولرب عذب عاد سوط عذاب
فى غارة لم تنثلم فيها الظبا * ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركت غرائب منطقى فى غربة * مسبية لا تهتدى لاياب
جرحى وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
لفظ صقلت متونه فكأنه * فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت فى صفحاته * حر اللجين وخالص الزرياب

أنا ممن لا يرى للن
فس الا بالصلاح
لا تداوى علة ال
انعاظ الا بالنكاح

فعلم الحاضرون أنه كان يفسق به فأطبقوا عند الخروج على لعنه

(وذكر) فى هذا الكتاب قال دخلت على الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن الحسين بن المغربى أيام وزارته لشرف الدولة أبى على الديلمى وبيدى جزء من شعر شداد بن ابراهيم الجزرى المعروف بالطاهر فسألنى عنه فأخبرته فاستنشدنى فأنشدته

يا منكرا شغفى به
ومكذبا طول اشتياقى
فى أى أحوالى تشك
لك فوق أحوال السياق
أمدامعى أم ضر جسـ
ـمى أم ضناى أم احتراقى
كل اذا أنصفتنى
حجج عليك بما ألاقى

أغربت فى تحبيره فرواته * فى نزهة منه وفى استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل * عن حسنه بصبا ولا بتصابى
واذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه * عبق النسيم فذاك ماء شبابى
يصغى اللبيب له فيقسم لبه * بين التعجب منه والاعجاب
جد يطير شراره وفكاهة * تستعطف الاحباب للاحباب
أعزز على بأن أرى أشلاءه * تدمى بظفر للعدو وناب
أفن رماه بغارة مأفونة * باعت ظباء الروم فى الاعراب
انى أحذر من يقول قصيدة * غراء خذ فى غارة ونهاب
انى نبذت على السواء اليكما * فتأهبا للقادح المنتاب
واذا نبذت الى امرئ ميثاقه * فليستعد لسطوتى وعقابى

وهى طويلة متناسبة فى الحسن والعذوبة وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم اليه من الخالديين وقد ادعيا شعره ومدحا به المهلبى وغيره

يا أكرم الناس الآن بعد أبا * فات الكرام بآباء وآثار
أشكو اليك حليفى غارة شهرا * سيف الشقاق على انتاج أفكارى
ذئبين لو ظفرا بالشعر فى حرم * لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة * فى جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فقل فى العطر ممتهنا * لديهما يشترى من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحة * منه ومنتخب الهندى والغار
وكل مسفرة الالفاظ تحسبها * صحيفة بين اشراق واسفار
أرقت ماء شبابى فى محاسنها * حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفس الريحان تمزجه * صبا الاصائل من أنفاس نوار
ان قلدا لك بدرا فهو من لججى * أو ختما لك بياقوت فأحجارى
باعا عرائس شعرى بالعراق فلا * تبعد سباياه من عون وأبكار
مجهولة القدر مظلوما عقائلها * مقسومة بين جهال وأغمار
ما كان ضرهما والدر ذو خطر * لو حلياه مليكا ذات أخطار
وما رأى الناس سبيا مثل سبيهما * بيعت نفيسته ظلما بدينار
والله ما مدحا حيا ولا رثيا * ميتا ولا افتخرا الا بأشعارى
هذا وعندى من لفظ أشعشعه * سلافة ذات أضواء وأنوار
كريمة ليس من كرم ولا التمت * عروسها بخمار عند خمار
تنشا خلال شغاف القلب ان نشأت * ذات الحباب خلال الطين والقار
لم يبق لى من قريض كان لى وزرا * على الشدائد الا ثقل أوزارى
أراه قد هتكت أستار حرمته * وسائر الشعر مستور بأستار
كأنه جنة راحت حدائقها * من الغبين فى نار واعصار
عار من النسب الوضاح منتسب * فى الخالديين بين العز والعار

وله من قصيدة فى أبى اسحق الصابى وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران الى بغداد فى سرعة

قد أظلتك يا أبا اسحاق * غارة اللفظ والمعانى الرقاق
فاتخذ معقلا لشعرك يحميه مروق الخوارج المراق

فاستحسن القطعة وصنع فى الحال

الله يعلم أننى
ألتذ فيكم باشتياقى
وأكاد من أنس التذكر
كر لا أذم يد الفراق
وأغض طرفى بعدما
ملأته غزلان العراق
وأفر من خجل العتا
ب الى مغالطة العناق

(وأخبرنى) ابن المقدسى قال أخبرنى الشيخ الامام الحافظ السلفى قال سمعت أبا الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى يقول سمعت القاضى أبا الطيب طاهر ابن عبد الله بن طاهر الطبرى يقول كتبت الى أبى العلاء المعرى حين وافى بغداد

وما ذات در لا يحل لحالب
تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء فى الحالين حيا وميتا
ومن شاء شرب الدر فهو مضلل

قبل رقراقة الحديد تريق السم فى صفو مائه الرقراق
كان شن الغارات فى البلد القفر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالى * حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها على جلوسا * لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أنفس الملوك أبا الهيجاء وحوبا بأنفس الاعلاق
بقواف مثل الرياض تمشت * بين أنوارها جعاد السواقى
بدع كالسيوف أرهفن حسنا * وسقاهن رونق الطبع ساقى
مشرقات تريك لفظا ومعنى * حمرة الحلى فى بياض التراق
بالمغارة تفترق فى الحلو * ق بين الحمام والاطواق
تسم الفارس المقدم بالعا * ر وبعض الاقدام عار باقى
لو رأيت القريض يرعد منها * بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوب الكلام تخفق رعبا * عن تثنى لوائها الخفاق
وسيوف الضلال تفتك فيها * بعذارى الطروس والاوراق
والوجوه الرقاق دامية الابشار فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمة للخدود البيض منهن والقدود الرشاق
والرياض التى ألح عليها * كاذب الودق صادق الاحراق
والنجوم التى تظل نجوم الارض حسادها على الاشراق
بعدما لحن فى سماء المعالى * طلعا وانتثرن فى الآفاق
وتخيرت حليهن فلم يعـ * ـد خيار النحور والاعناق
وقطعت الشباب فيه الى أن * هم برد الشباب بالاخلاق
فهو مثل المدام بين صفاء * وبهاء ونفحة ومذاق
منطق يخجل الربيع اذا حل * عليه السحاب عقد نطاق
يا هلال الآداب يا ابن هلال * صرف الله عنك صرف المحاق
سوف أهدى اليك من خدم الحمـ * ـد اماء تعاف قبح الاباق
كل مطبوعة على اسمك باد * وسمها فى الجباه والآماق

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الاساوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بسماع ما فيهما من التريد من السرى وكثرة التشنيع على الخالديين وسلمهما من التحلى بالآداب اذ مقامهما فيه مشهور ومحلهما منه على الالسنة مشكور ومذكور وناهيك بأبى اسحق الصابى نقد الادب وقد قال فيهما مادحا

أرى الشاعرين الخالديين سيرا * قصائد يفنى الدهر وهى تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا * ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا الى حكمى فأصلحت بينهم * وما قلت الا بالتى هى أرشد
هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلف * ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقد الظلماء لما تشاكلا * علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد
فزوجهما ما مثله فى اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أوحد

اذا بلغت فى السن فالحم طيب
وآكله عند الجميع معقل
وخرفانها فى الاكل فيها كراهة
فما لضعيف الرأى فيهن مأكل
وما يجتنى معناه الا مبرز
عليم بأسرار القلوب محصل
فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال ارتجالا
جوابان عن هذا السؤال كلاهما
صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرما فليس بكاذب
ومن ظنه نخلا فليس بجهل
لحومهما الاعناب والرطب الذى
هو الحل والدر الرحيق المسلسل

فقاموا على صلح وقالوا جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبي اسحق فما منهما الا محسن ينظم في سلك الابداع ما فاق وراق ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الافراد من الشام والعراق وقد مر في أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما ورفيع صنائعهما ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين على آماق العين (ومعن) هو ابن أوس بن نصر ابن زيادة بن أسحم ينتهي نسبه الى مزينة وهي امرأة وأبوها كلب بن وبرة وأبو بني مزينة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار وهو شاعر مجيد فحل من مخضرمي الجاهلية والاسلام وله مدائح في جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعينا به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها

تأوبه طيف بذات الجراثم * فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك الى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم (وحدث) محجن الخزاعي قال كان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس (وحدث) العتبي قال كان معن بن أوس مئناثا وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعا من ذلك فقال معن

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والايام تعثر بالفتى * نوادب لا يمللنه ونوائح

(وحدث) سعيد بن عمرو الزبيدي قال كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور وكان لها محبا وكانت حضرية نشأت في الشأم وكانت في معن أعرابية ولوثة فكانت تضحك من عجرفته فسافر الى الشأم في بعض أعوامه فضلت الرفقة عن الطريق وعدلوا عن الماء فطووا منزلهم وساروا يومهم وليلتهم فسقط فرس معن في وجار ضب سقطت يده فيه فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه وحمل معن يقوده ويقول

لو شهدتني وجوادي ثور * والرأس فيه ميل ومور * لضحكت حتى يميل الكور

(وحدث) العتبي قال قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير فأنزله دار الضيفان وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان فأقام يومه لم يطعم شيأ حتى اذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل فقال كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلا فغضب معن وخرج من عنده فأتى عبد الله بن عباس فقراه وحمله وكساه ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل وقال يهجو عبد الله ابن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس رضي الله عنهم

ظللنا بمستن الرياح غدية * الى أن تعالى اليوم في شر محضر
لدى ابن الزبير حابسين بمنزل * من الخير والمعروف والرفد مقفر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا * بتيس من الشاء الحجازي أعفر
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة * وسبعون انسانا فيا لؤم مخبر
فقلت له لا تقربن فأمامنا * جفان ابن عباس العلا وابن جعفر
وكن آمنا وارفق بتيسك انه * له أعنز ينزو عليها وأيسر

(وحدث) محمد بن معاوية الاسدي قال قدم معن بن أوس المزني البصرة فقعد ينشد في المربد فوقف عليه الفرزدق فقال يا معن من الذي يقول

لعمرك ما مزينة رهط معن * بأخفاف يطأن ولا سنام

فقال معن أتعرف يا فرزدق الذي يقول

لعمرك ما تميم أهل فلج * بأرداف الملوك ولا كرام

ولكن غار النخل وهي غضيضة
تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل
يكلفنا القاضي الجليل مسائلا
هي النجم قدرا بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها
جديرا ولكن من يجيبك يقبل
فأجبته ثانيا بقولي
أثار ضميري من يعز نظيره
من الناس طرا بل أعز وأفضل
تساوى له سر المعاني وجهرها
وسائرها بادلديه مفصل
ومن قلبه كل العلوم بأسرها
وخاطره في حدة النار يشعل
ولما أثار الحب قاد صنيعه
أسيرا بأنواع البيان يكبل

فقال

فقال له الفرزدق حسبك فانما جربتك قال جربت وأنت أعلم فانصرف وتركه (وحدث) الاصمعى قال دخلت قصر اروح بن حاتم المهلبى فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يؤتى فقلت قبحك الله هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الاعناق ويعطى اللها وأنت تفعل فيه ما أرى فالتفت الى من غير أن يزول عنها وقال

ورثنا المجد من آباء صدق * أسأنا فى ديارهم الصنيعا

اذا الحسب الرفيع تواكلته * بنات السوء أوشك أن يضيعا

قال والشعر لمعن بن أوس المزنى (وحدث) الحرمازى قال سافر معن بن أوس الى الشام وخلف ابنته ليلى فى جوار عمر بن أبى سلمة وأمه أم سلمة رضى الله عنهما وفى جوار عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال له بعض عشيرته من خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز وهى صبية ليس لها من يكفلها فقال معن له

لعمرك ما ليلى بدار مضيعة * وما شيخها ان غاب عنها بخائف

وان لها جارين لن يغدرا بها * ربيب النبى وابن خير الخلائف

(وحدث) عبد الملك بن هشام قال قال عبد الملك بن مروان يوما وعنده عدة من أهل بيته وولده ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به فذكروا لامرئ القيس والاعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك أشعرهم والله الذى يقول

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه * بحلمى عنه وهو ليس له حلم

اذا سمته وصل القرابة سامنى * قطيعتها تلك السفاهة والظلم

فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى * وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم

يحاول رغمى لا يحاول غيره * وكالموت عندى أن ينال له رغم

فما زلت فى لين له وتعطف * عليه كما تحنو على الولد الام

لاستل منه الضغن حتى سللته * وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين قال معن بن أوس المزنى (وحدث) سليمان بن عياش السعدى عن أبيه قال خرج معن بن أوس المزنى الى البصرة ليمتار منها او يبيع ابلا له فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلى وكانت ذات جمال ويسار فخطبها فأجابته فتزوجها وأقام عندها حولا فى أنعم عيش فقال لها بعد حول يا ابنة عم انى قد تركت ضيعة لى ضائعة فلو أذنت لى فأتيت أهلى ورأيت مالى فقالت كم تقيم قال سنة فأذنت له فأتى أهله فأقام عندهم وأزمن عنها أى طال مقامه فلما أبطأ عليها رحلت الى المدينة فسألت عنه فقيل لها انه بعمق وهو ماء لمزينة فخرجت حتى اذا كانت قريبا من عمق نزلت منزلا وأقبل معن فى طلب ذود له قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر قال والبت الطيلسان وعمامة غليظة فلما رفع له القوم مال اليهم ليستسقى ومع ليلى ابن عم لها ومولى من مواليها جالس أمام خباء له فقال له معن هل من ماء قال نعم وان شئت سويقا وان شئت لبنا فأناخ معن وصاح مولى ليلى يا منهلة وكانت منهلة وصيفة تقوم على معن عندهم بالبصرة فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته فتركت القدح فى يده وأقبلت مسرعة الى مولاتها فقالت يا مولاتى هذا والله معن الا أنه فى جبة صوف وبت صوف فقالت هو والله شيم الحق مولاى فقولى له هذا معن فاحبسه فخرجت الوصيفة مسرعة له فأخبرت المولى فوضع معن القدح من يده وقال دعنى حتى ألقاها فى غير هذا الزى فقال له لست بارحا حتى تدخل عليها فلما رأته قالت أهذا العيش الذى نزعت اليه يا معن قال اى والله يا ابنة عم أما انك لو أقمت الى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامى والرخامى والعضبر والكمأة لأصبت عيشا طيبا فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثيابا لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع ثم جهزها غدا متقدما بها الى عمق حتى أعد لها طعاما ونحر ناقة وعقر وقد صعب على الحى فلم يبق فيهم امرأة الا أتتها وسلمت عليها فلم تدع منهن امرأة الا وصلتها وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أم حقة فقالت لمعن هذه والله خير لك

وقربه من كل فهم بكشفه
وايضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعا
ومن تجلا من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
جلالا الى حيث الكواكب تنزل
فهنأه الله الكريم بفضله
محاسنه والعمر منها مطول
فأحابنى من تجلا وأملاه فى الحال
ألا أيها القاضى الذى بدهائه
سيوف على أهل الضلال تسلل
فؤادك معمور من العلم آهل
وجدك فى كل المسائل مقبل
فان كنت بين الناس غير ممول
فأنت من الفهم المصون ممول

منى فطلقنى وكانت قد حلت فدخله من ذلك هم وقام ثم ان ليلى رحلت الى مكة المشرفة حاجة ومعن معها فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن ياليلى كأن فؤادى يعترج الى ما ههنا فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل الى البصرة فقالت ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى الى البصرة أو تطلقنى فقال أما اذ ذكرت الطلاق فأنت طالق فمضت الى البصرة ومضى الى عمق فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه فقال فى ذلك

توهمت ربعا بالمعبر واضحا * أبت قرتاه اليوم الا تراوحا
أربت عليه رادة حضرمية * ومرتجز قد كان فيه المصالحا
اذا هى حلت كربلاء فلعلعا * فجوز العذيب دونها فالنوائحا
وبانت نواها من نوالك وطاوعت * مع الشانئين الشامتات الكواشحا
فقولا لليلى هل تعوض نادما * له رجعة قال الطلاق ممازحا
فان هى قالت لا فقولا لها بلى * ألا تتقين الجاريات الذوابحا

وهى طويلة ولما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حقة ما فعلت ليلى قال طلقتها قالت والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك فطلقنى أنا أيضا فقال لها معن

أعاذل أقصرى ودعى بتاتى * فانك ذات لومات حمات
وان الصبح منتظر قريب * وانك بالملامة لن تفاتى
نأت ليلى فليلى لن تواتى * وضنت بالمودة والثبات
وحلت دارها سفوان بعدى * فذا قار فمنعرف الفرات
تراعى الريف دائبة عليها * ظلال الالف مختلط النبات
فدعها أو تناولها بعنس * من العيدى فى قلص شحات

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا * بميطان مصطاف لنا ومرابع
واذ نحن فى عصر الشباب وقد عفا * بنا الآن الا أن يعوض جازع
فقد أنكرته أم حقة حادثا * وأنكرها ما شئت والود خادع
ولو آذنتنا أم حقة اذ بنا * شباب واذ لما تروع الروائع
لقلنا لها بينى بليل حميدة * كذاك بلا ذم تؤدى الودائع

(ومر) عبد الله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره فقال له يا معن كيف حالك فقال له ضعف بصرى وكثر عيالى وغلبنى الدين قال وكم دينك قال عشرة آلاف درهم فبعث بها اليه ثم مر به من الغد فقال له كيف أصبحت يا معن فقال

أخذت بعين المال حتى نهكته * وبالدين حتى ما أكاد أدان
وحتى سألت القرض عند ذوى الغنى * ورد فلان حاجتى وفلان

فقال له عبد الله المستعان انا بعثنا لك بالامس لقمة فالكتها حتى انتزعت من يدك قال فأى شئ للاهل والقرابة والجيران فبعث اليه بعشرة آلاف درهم أخرى فقال معن يمدحه

وانك فرع من قريش وانما * تمج الندى منها البحور الفوارع
ثووا قادة للناس بطحاء مكة * لهم وسقايات الحجيج الدوافع
فلما دعوا للموت لم تبك منهم * على حادث الدهر العيون الدوامع

ومن شعره أيضا قوله

ربما خير الفتى * وهو للخير كاره

اذا أنت خاصمت الخصوم مجادلا
فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
كأنك علم الشافعى مخاطبا
ومن قلبه تملى فما تتمهل
وكيف يرى علم ابن ادريس دارسا
وأنت بايضاح الهدى متكفل
تفضلت حتى ضاق ذرعى تكرما
فقلت وكفى عن جوابك أجمل
لانك فى كنه الثريا فصاحة
وأعلى ومن يبغى مكانك أسفل
فعذرى فى انى أجبتك واثقا
بفضلك فالانسان يسهو ويذهل
وأخطأت فى انفاذ رقعتك التى
هى المجد لى منها أخير وأول
ولكن عدانى أن أروم احتفاظها
رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها أن يصبح المسك غامرا
لها وهى فى أعلى المنازل تجعل

حسن الاتباع

(من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج)
(من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور)

البيت الاول لبشار بن برد من أبيات من البسيط منها

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا * يوما نعيش به فيكم ونبتهج
لا خير في العيش ان دمنا كذا أبدا * لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج
قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم * ما في التلاقي ولا في غيره حرج

وبعده البيت وبعده أشكو الى الله هما لا يفارقني * وشرعا في فؤادي الدهر تعتلج
والفاتك اللهج الجرىء الشجاع الذي له ولوع بالقتل والبيت الثاني لسلم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها

بان شبابي فما يحور * وطال من ليلي القصير
أهدى لي الشوق وهو خلو * أغن في طرفه فتور
وقائل حين شب وجدي * واشتعل المضمر الستير
لو شئت أسلاك عن هواه * قلب لأشجانه ذكور
فقلت لا تعجلن بسلوى * فانما ينبئ الخبير
عذبني والهوى صغير * فكيف بي والهوى كبير

وبعده البيت ووقفت في الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما

كأنه والقنا دوان * يوم على ليلة مغير
يريك تحت العجاج وجها * يضل في نوره البصير

والجسور الشديد الجراءة (والشاهد فيهما) حسن أخذ الثاني من الاول ويسمى حسن الاتباع فان بيت سلم أجود سبكا وأخصر لفظا (حدث) أحمد بن صالح قال لما بلغ بيت سلم الخاسر بشارا غضب وأشط وحلف لا يدخل اليه ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حيا فاستشفع سلم اليه بكل صديق له وكل من يثقل عليه رده فكلموه فيه فقال أدخلوه فاستدناه ثم قال يا سلم من الذي يقول * من راقب الناس لم يظفر بحاجته * قال أنت يا أبا معاذ جعلني الله فداك قال فمن الذي يقول * من راقب الناس مات غما * قال تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ فاجتذبه اليه وقنعه بمخصرة كانت في يده ثلاثا وهو يقول لا أعود يا أبا معاذ الى ما تنكره ولا آتي شيأ تذمه انما أنا عبدك وصنيعك وهو يقول له يا فاسق أتجيء الى معنى سهرت له عيني وتعب فيه فكري وسبقت الناس اليه فتسرقه ثم تختصر لفظا تقربه به لتزري علي وتذهب ببيتي وهو يحلف له أن لا يعود والجماعة يسألونه فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ثم رجع له ورضي عنه (وحدث) أبو معاذ النميري قال لما قال بشار بيته من راقب الناس الخ قيل له يا أبا معاذ قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الالسن من بيتك هذا قال وما هو فأنشد بيت سلم هذا فقال بشار ذهب والله بيتنا أما والله وددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأني أغرم ألف دينار محبة مني لهتك عرضه وأعراض مواليه قال فقيل له ما أخرج هذا القول منك الا الغم قال أجل فوالله لا طعمت اليوم طعاما ولا صمت ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدي

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

فانه أحسن اتباع قول بعضهم

خلقنا لهم في كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميري في زينب أخت الحجاج وأترابها وهو

وهن اللواتي ان برزن قتلنني * وان غبن قطعن الحشى حسرات

فأحسن اتباعه ابن الرومي بقوله

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

وقول البحتري أخجلتني بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

فمن كان في أشعاره متمثلا
فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بأنك فوقها
ومثلك حقا من به يتجمل
(وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة قال ذكر أبو عبد الله الصفار الصقلي قال كان بالقيروان غلام وضيء كان يختلف الى أبي علي حسن بن رشيق فكان يحذره من المخالطة فخرج يوما يتنزه مع جماعة فأشيع عنه ما ينكر وبلغ أبا علي فقال مديها يا سوء ما جاءت به الحال
ان كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا
صيغ من الخاتم خلخال
وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي يهوى فتى ببغداد وينكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به وكلفه فدمعت عينا أبي الفضل يوما فقال الغلام

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجب وبرّ راح وهو جفاء

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه فقال

من فاتنى بأبيه * ولم يفتنى بأمه
ورام شتمى جهلا * سكت عن نصف شتمه

وحسن الاخذ فيهما ظاهر لا يخفى ولمؤلفه فى عكس هذا

من فاتنا بامه * ولم يفتنا بأبه
سكت عن جليه * وقولنا فى المشتبه

وفى معنى البيتين الاولين قول بعضهم

لقد نلت المفاخر من قريش * كما نلت الرذالة من غمار
فنصفك كامل لا عيب فيه * ونصفك كامل من كل عار

وقول ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدى ونبالها

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله

أعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة
وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدو مقاتلى من جنتى
فلأنفضن يدىّ يأسا منكمو * نفض الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى

سد السداد فمى عما يريبكم * لكن فم الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت أما لسان ضرورتى * أهجى لكل مقصر من منطقى

وقول سليك بن سلكه

تبسم عن ألمى اللثات مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم ماء فى السحابة من بعد

وقال نصيب

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وأحسن بشار اتباعهما بايجازه فقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى فمنه قول ابن الرومى

وما سرّ عيدان الاراك بريقها * تناوحها فى أيكها تتهصر
لئن عدمت سقيا الثرى ان ريقها * لأعذب من هاتيك سقيا وأخصر
وماذقته الا بشيم ابتسامها * وكم مخبر يبديه للعين منظر
بدا لى وميض شاهد أن صوبه * عريض وما عندى سوى ذاك مخبر

وقول أحمد بن ابراهيم الكاتب

فتى ترشفى سواك أراك * بيطل المسك نشرذاك السواك

دمعك شاهد عليك فارتجل أبو الفضل

وهبنى قد أنكرت حبك جملة
وهوّنت من نفسى العزيزة سخطها
فمن أين لى فى الحبّ جرح شهادة
ستاهى أملاها ودمعى خطها

(قال) وكان ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة فأفضى حديثهم الى وصفها فأطرق بعضهم ليصنع فيها فبدره أبو الفضل فقال

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعة
غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمى ذائب مثل جسمها
ودمعتها تجرى كما دمعتى تجرى
كلانا العمرى ذوب نار من الهوى
فنارك من جرونارى من هجر
وأنت على ماقد تقاسين من أذى
فصدرك فى نار ونارى فى صدرى

بأبي ثغرك النقي الذي غنت على طيبه فروع الأراك

وقول بعضهم
وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثي
كأن مدامة صهباء صرفا * تصفق بين راووق ودن
تعلل بها أنيابا يا أم سلمى * فراسة مقلتي وصحيح ظني

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة

ياظبية تختشي اذا انظرت * فتكات سود لحاظها الأسد
ان قلت ريقك خمرة شهدت * قضب الأراك بأنه شهد

وقول البهاء زهير
وتبسم عن ثغر يقولون انه * حباب على صهباء كالمسك تنفح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقول السموأل بن عاديا اليهودي

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وقول أبو الطيب
أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع

وقول الأسود بن يعفر
يسعى بها ذو تؤامين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

فأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال

تبكي فتذري الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وتقدم ذكره في شواهد التشبيه وقال أبو تمام يصف قصائده

يراها عيانا من يراها بسمعه * ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع
يود ودادا أن أعضاء جسمه * اذا أنشدت شوقا اليها مسامع

وقال الأخطل يصف بعض القيان

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
حتى اذا ما استوت بمجلسها * وصار في حجرها الهاون
غنت فلم تبق في جارحة * الا تمنيت أنها أذن

والمرقص المطرب في هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض

اذا ما بدت ليلى فكلي أعين * وان هي ناجتني فكلي مسامع

وقال مسلم بن الوليد
تجري محبتها في قلب عاشقها * مجرى المعافاة في أعضاء منتكس

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسي
تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس

وقد مر طرف من هذا المعنى في ترجمة أبي نواس في أوائل الفن الأول (وحدث) أبو بكر بن هرون بن عبد الله المهلبي قال كنا في حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل كان يتبع معاني فيأخذها فقال له رجل في مجلسه ما من ذلك أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الي بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لأحمق

فأخذه أبو تمام فقال
واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته

(قال علي بن ظافر) وهذا مثل قول الأعمى التطيلي في شمعة

بانة ما تبكي وفي النار صدرها
وقد جدت عيناي والنار في صدري

(وبالاسناد المتقدم) قال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرزلهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب وحضر أيضا هناك لاعب مصري ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله ابن الحداد قائلا

كذا فلتلح قمرا زاهرا
وتجني الهوى ناضرا ناظرا
وان لم يومك ذا رونقا
منيرا كنور الضحى باهرا
وسيبك سيب ندى مغدق
أقام لنا هاميا ماطرا
صباح اصطباح بأسفاره
لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس
فما زال كوكبها زاهرا

فما أحسنت وان كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى ببيتك في الحالتين فغضب دعبل وقام وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال

واذا امرؤ أسدى اليك بشافع * خيرا فذاك الخير خير الشافع

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وقال الجاحظ نظرنا في الشعر القديم والحديث فوجدنا المعاني تقلب ويؤخذ بعضها من بعض غير قول عنترة في الاوائل وأنشد البيتين وغير قول أبي نواس في المحدثين

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

فانه أراد بالعسجدية كؤسا مذهبة فيها صور منقوشة وهي صورة كسرى وصور المها والفوارس ومعنى البيت الاخير منها أن حد الخمر من هذه الصور التي في الكؤس الى التراقي والنحور وانها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها الى ما فوق رؤسها وقد يكون الحباب هو الذي انتهى الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والمعنى الاول أبدع وفائدته معرفة حدها صرفا من حدها ممزوجة وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى اليه من قول امرئ القيس

فلما استطابوا صب في الصحن نصفه * ووافوا بماء غير طرق ولا كدر

جعل الماء والشراب قسمين فتسلق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور وذكرت بأبيات أبي نواس هذه تضمين أبي الحسين الجزار لها في يوم نوروز وكتب بها الى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة الى وصف الصفاع يوم النوروز وناقلا الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهي اليد وهو

كتبت بها في يوم لهو وهامتي * تمارس من أبطاله ما تمارس
وعندي رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جر الزقاق على الصفا * وأضغاث أنطاع جني ويابس

ومازال العلماء بالشعر وجهابذة المعاني يرون أن قول عنترة السابق أوحد فرد ويتيم فذ وأنه من المعاني العقم التي لا تولد على أن ابن الرومي قد تعلق بذيله في معنى البيت الاول وزاد عليه بقوله

اذا ارتفعت شمس الاصيل ونفضت * على الافق الغربي ورسا مذعذعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها * وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضة * وقد وضعت خدا الى الارض أضرعا
كما لاحظت عواده عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا
وبين اغضاء الفراق عليهما * كأنهما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت في خضرة الروض صفرة * من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا
وظلت عيون الروض تخضل بالندى * كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا
وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغني الطير فيه فرجعا
وغرد ربعي الذباب خلاله * كما حثحث النشوان صنجا مشرعا
فكانت أرانين الذباب هناكم * على شدوات الطير ضربا موقعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون

وأسمعتنا الاحنا فاتنا
وأحضرتنا الاعيا ساحرا
برفرف فوق رؤس القنانى
فننظر ما يذهل الناظرا
ويعطفها ذيل سرباله
فننظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا
وباطنها ينثني ظاهرا
وثناه ثان لالعابه
دقائق تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره
خواطر دلهت الخاطرا
اذا اوردا للحظ أثناءها
ثنا الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه
فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات
فيجعل غائبها حاضرا

(قال) وحضر الاديب أحمد بن الشقاق المنعوت بالمفتل عند القائد بن دري بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فأحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل المفتل

ساروا

سار وامسك الدياجي غير منهوب * وطرّة الشرق غفل غير تذهيب
على ربا لم يزل شادي الذبابيها * يلهى بآنق ملفوظ ومضروب
كالغيد في قبب الازهار أدرعه * قامت له بالمثاني والمضاريب

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسي

كأن أهازيج الذباب أساقف * لها من أزاهير الرياض محاريب

وقال السلامىّ في وصف زنبور

اذا حك أعلى رأسه فكأنما * بسالفتيه من يديه جوامع

وتعرض حازم في مقصورته لتشبيه عنترة بقوله

ألقى ذراعا فوق أخرى وحكى * تكاف الاجذم في قطع السنى
كأنما النور الذي يفرعه * مقتدح ازنده سقط ورى

فقصر عنه التقصير البين وأخلّ بذكر الاكباب والحك ولهما في هذا التشبيه موقع بديع مع التكلف البادي على قوله تكلف الاجذم في قطع السنى ثم رام أن يزيد فيه فقال كأنما النور البيت وقوله يفرعه أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الاخرى والسقط مثلث السين ما يسقط من النار عند القدح ولا خفاء في أن المعاني الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغي أن يتعرض لأخذها متعرض الا بزيادة البينة البديعة الموقع والعبارة الناصعة السهلة حتى يتبين الفضل للثاني على الاول والشفوف للآخذ على المأخوذ منه والا كان فاضحا لنفسه وماسخا للمعنى الذي تعرض لاخذه ﴿وسلم الخاسر﴾ هو ابن عمرو مولى بني تيم بن مرة ثم مولى آل أبي بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه وهو شاعر بصريّ مطبوع متصرّف في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ولقب بالخاسر فيما يقال لانه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبورا وقيل لانه لما مات أبوه واقتسم ورّثته ماله وقع في قسم سلم مصحف فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك وقيل لانه ورث من أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الادب وبقى لا شئ عنده فلقبه الجيران ومن يعرفه سلما الخاسر وقالوا أنفق ماله على ما لا ينفعه ثم مدح المهدي والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به فأمر له بمائة ألف درهم وقال له أكذب بهذا المال جيرانك فجاءهم بها وقال لهم هذه المائة ألف التي أنفقتها وربحت الأدب فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر وقيل انه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبورا فكان يقال له ويلك هل فعل أحد ما فعلت فيقول لم أجد شيأ أسرّ به ابليس هو أقر لعينه من هذا (وحدّث) محمد بن عمر الجرجاني قال كان سلم تلميذ بشار الا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدّم أبا العتاهية ويقول هو أشعر الجنّ والانس الى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذلّ الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

قال وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه وقال لعمري لقد صدق ان الحرص لمفسدة لامر الدين والدنيا وما فتشت عن حريص قط بعيبة الا انكشف لى عما أذمه به وبلغ ذلك سلما فغضب على أبي العتاهية وقال ويلى على الجزار ابن الفاعلة الزنديق زعم أنى حريص وقد كنز البدر وهو يطلب وأنا في ثوبيّ هذين لا أملك غيرهما وانحرف عن أبي العتاهية (وحدّث) القضاعي أن سلما كتب الى أبي العتاهية

ما أقبح التزهيد من واعظ * يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا * أضحى وأمسى بيته المسجد
ورفض الدنيا فلم يلقها * ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف أن تنفد أرزاقه * والرزق عند الله لا ينفد

عنب تطلع من حشى ورق لنا
صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب
كسفت فلاحت في سماء
زبرجد

(قال) وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

يا شمعة تحملها أخرى
كأنها شمس علت بدرا
امضت احداهما مهجتى
بمثل ما تمضى الاخرى

(قال) ودخل الاديب غانم يوما على باديس بن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب
منزلة
سمّ الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة
فقلما تسع الدنيا بغيضين

الرزق مقسوم على من ترى * يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا * من كف عن جهد ومن يجهد

(وحدث) العباس بن عبد الله قال كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وهو يومئذ أمير البصرة وعنده أبو العتاهية ينشد شعره في الزهد فقال لي قثم يا عباس اطلب لي الجماز الساعة حيث كان وجئني به ولك شئ فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت له أجب الامير فقام حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشد ثم قام اليه الجماز فواجهه وأنشده أبيات سلم هذه فقال أبو العتاهية من هذا أعز الله الامير قال هذا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له وأنشد البيتين السابقين قال فقال أبو العتاهية للجماز يا ابن أخي اني لم أذهب في شعري الاول حيث ذهب خالك ولا أردت أن أهتف به ولا أذهب في حضوري وانشادي حيث ذهب من الحرص على الرزق والله يغفر لكما ثم قام وانصرف (وحدث) أبو محمد اليزيدي أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو وحضر سلم الخاسر فقال له يا أبا محمد أهجني على روى قصيدة امرئ القيس

ورب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره

قال فقلت له ماذا دعاك الى هذا قال كذا أريد فقلت أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر فاسعك العافية فقال انك لتحجر غاية الاحتجار مني وأريد أن توهم عيسى أني مفحم لا أقدر على ذلك فقال لي عيسى أسألك يا أبا محمد بحقي عليك الا فعلت فقلت

رب مغمور بعافية * غمط النعماء من أشره
وامرئ طالت سلامته * فرماه الدهر من غيره
بسهام منه مقوية * نقضت منه قوى مرره
وكذاك الدهر منقلب * بالفتى حالين من عصره
يخلط العسرى بيسرة * ويسار المرء في عسره
عق سلم أمه صغرا * وأبا سلم على كبره
كل يوم خلفه رجل * رامح يسعى على أثره
يولج الغرمول سبته * كولوج الضب في جحره

قال فاغتم سلم وندم وقال هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر فضحك عيسى وقال قد جهد الرجل أن تدعه وصيانته ودينه فأبيت الا أن يدخلك في حرامك (وحدث) محمد النوفلي قال كان المهدي يعطي مروان وسلما الخاسر عطية واحدة فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ولباسه الخز والوشي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو وكبل وقيص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم اليه بخلا فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقال له قائل أراك لا تأكل الا الرأس قال نعم أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا أشترى لحما فيطبخ منه والرأس آكل منه ألوانا آكل من عينيه لونا ومن غلصمته لونا ومن دماغه لونا (وحدث) الحسن الربعي قال كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء فكان يذهب بكل شئ له باطلا فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا وانه لا يصل له أحد الا ليلا فسأل عنه فدلوه عليه قال فدخلت اليه الى موضع مغور فدققت الباب فخرج الي فقال من أنت عافاك الله فقلت له رجل معجب بهذا العلم قال لا تشهرني فاني رجل مستور وانما أعمل القوت قال فقلت اني لا أشهرك وانما أقتبس منك قال فاكتم ذلك قال وبين يديه كوز شبه صغير فقال لي اقلع عروته فقلعتها فقال اسبكها في البوتقة فسبكتها فأخرج شيأ من تحت مصلاه فقال ذره عليه ففعلت فقال افرغه فأفرغته فقال دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد الي فأخرجته الى باب الشام فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ورجعت اليه وأخبرته فقال اطلب الآن ما شئت فقلت تفيدني قال بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحدا فأعطيته وكتب لي صفة فامتحنتها فاذا هي باطلة فعدت اليه فقيل لي قد تحول فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه والكوز شبه ولذلك كان يدخل اليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه فانصرفت وعلمت أن الله تعالى أراد بي خيرا

وان

واعلم انظم ما روى أن الخليل ابن أحمد دخل عليه بعض أصدقائه وهو على غرفة صغيرة فقال له الرجل انما لا تسعنا فقال له الخليل

ما ضاق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين

(قال) وخرج الاديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي الى وادي قرطبة في نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى
أمات الحسود وتغنيته
كأنك والشمس عند الغروب
عروس من الشمس منصوته
غدا النهر عقدك والطود تا
جك الشمس أعلاه ياقوته

(قال علي بن ظافر) ذكر صاحب قلائد العقيان ما هذا معناه ان المستعين بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامي صاحب سرقسطة

وان هذا كله باطل (وحدث) أبو المستهل الاسدى قال كان سلم الخاسر يهاجى والبة بن الحباب فأرسلنى اليه سلم فقال قل له

والبة بن الحباب يا حلق * لست من اهل الزناء فانطلق

تدخل فيك الغرمول تريده * مثل ولوج المفتاح فى الغلق

فأتيت اليه فقلت له ذلك فقال قل له يا ابن الزانية سل عنك ريعان التميمى يعنى أنه ناكه وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات وكان غلامه ظريفا وكان يقول نكت الهيثم بن عدى فمن ترونه يفلت منى بعده (وحدث) أبو المستهل قال دخلت يوما على سلم الخاسر واذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا وأم جعفر يومئذ باقية فقلت له ويحك ماهذا فقال تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فنعد لهم مثل هذا قبل كونه فتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت (وحدث) زكريا بن مهران قال طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيأ وقد خرجت له جائزة فلم يفعل فقال أبو الشمقمق

يا أم سلم هداك الله زورينا * كيما نيكك فردا أو تنيكينا

ما ان ذكرتك الا هاج لى شبق * ومثل ذكراك أم السلم يشجينا

قال فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير وقال أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها (وحدث) محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه قال دخل الربيع على المهدى وأبو عبيد الله الوزير يعرض كتبا فقال له أبو عبيد الله مر هذا أن يتنحى يعنى الربيع فقال له المهدى تنح قال لا أفعل فقال كأنك ترانى بالعين الاولى قال لا بل أراك بالعين التى أنت بها قال فلم لا تتنحى اذ أمرتك فقال له أنت ركن الاسلام ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها فقام المهدى مذعورا وأمر بتفتيشه فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الامور كلها الى الربيع وعزل أبو عبيد الله وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه

يعقوب ينظر فى الامو * ر وأنت تنظر ناحيه

أدخلته فعلا عليـ * ـك كذاك شؤم الناصيه

قال وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق فقال له المهدى هذا حسد منك فقال افحص عن هذا فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم من كذبك فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا فأقر فاستتابه فلم يتب فقال لابيه اقتله فقال لا تطيب نفسى بذلك فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها فقال ما وضعت بينى وبين الارض خشبة أوطأ منها حاشا سامعى فقال المهدى لابيه أتراه يعنينى أو يعنيك قال لا بل يعنى أمه الزانية لا يكنى (وحدث) يحيى بن الحسن قال حدثنى أبى قال كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع رأيت كأن الكعبة تصدعت وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدها فقال له الربيع من الرجل فلم يجبه حتى اذا اعتل قال للربيع أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة فأى شئ تعمل بعدى قال ما كنت أعمل فى حياتك وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع

وابن الذى جبر الاسلام يوم وهى * واستنقذ الناس من عمياء صيخود

قالت قريش غداة انهاض ملكهم * أين الربيع وأعطوا بالمقاليد

فقام بالامر مثناسا بوحدته * ماضى الضريبة ضراب القماحيد

ان الامور اذا ضاقت مسالكها * حلت يد الفضل منها كل معقود

ان الربيع وان الفضل قد بنيا * رواق مجد على العباس ممدود

قال فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار (وحدث) أبو دعامة قال قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الامين

قد بايع الثقلان مهدى الهدى * لمحمد ابن زبيدة ابنة جعفر

وليته عهد الانام وأمرهم * فدمغت بالمعروف رأس المنكر

والثغور ركب نهر سرقسطة يوما التفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة والعراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس أن تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح الماء من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته وسط البدر للهاله وأحاطت به احاطة الطفاوة للغزاله وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حداى والطرب

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم (وحدّث) ميمون بن هرون قال دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نوروز والهدايا بين يديه فأنشده

أمن ربع تسائله * وقد أقوت منازله
بقلبي من هوى الاطلا * ل حب مايزايله
رويدكم عن المشغو * ف ان الحب قاتله
بلابل صدره تسرى * وقد نامت عواذله
أحق الناس بالتفضيـ * ـل من ترجى فواضله
رأيت مكارم الاخلا * ق ماضمت حمائله
ولست أرى فتى في النا * س الا الفضل فاضله
يقول لسانه خيرا * فتفعله أنامله
ومهما ترج من خير * فان الفضل فاعله

وكان ابراهيم الموصلي وابنه اسحق حاضرين فقال لابراهيم ماتسمع قال أحسن مسموع وفضل الامير أكبر منه فقال خذوا جميع ما أهدى الى اليوم فاقتسموه بينكم أنا لا الا ذلك التمثال فاني أريد أن أهديه اليوم الى دنانير ثم قال لا والله ماهكذا يفعل الاحرار يقوم ويدفع لهم ثمنه ثم نهديه فقوم بألفي دينار فحملها الى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم (وحدّث) الجاز أن أبا الشمقمق جاء الى سلم الخاسر يستميحه فمنعه فقال اسمع اذن ماقلته فأنشده

حدثوني أن سلما * يشتكي جارة ايره
فهولا يحسد شيأ * غير ايرفي است غيره
واذا سرك يوما * ياخليلي نيل خيره
قم فرر اهبك الاصـ * ـلع يقرع باب ديره

فضحك منه سلم وأعطاه خمسة دنانير وقال أحب جعلت فداك أن تصرف راهبك الاصلع عن باب ديرنا (وحدّث) أبودعامة قال دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده

حيّ الاحبة بالسلام فقال الرشيد حياهم الله

فقال أعلى وداع أم مقام فقال الرشيد حياهم الله على أيّ ذلك كان

فأنشده لم يبق منك ومنهم * غير الجلود على العظام

فقال الرشيد بل منك وأمر باخراجه وتطير منه ومن قوله فلم يسمع باقي شعره ولا أثابه بشئ (وقال) القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به الا عاصم بن عتبة الغساني فاني حسدته على قول سلم الخاسر فيه

لعاصم سماء * عارضها هتان
أمطارها الابريز والـ * ـلجين والعقيان
وناره تنادى * اذخبت النيران
الجود في قحطان * مابقيت غسان
اسلم ولا تبالى * مافعل الاخوان
صلت له المعالى * والسيف والسنان
ماضر من تجيه * ما فعل الزمان
من غاله مخوف * فهوله أمان

(وعاصم بن عتبة هذا) هو جد أبي الشمر الغساني وكان صديقا لسلم الخاسر كثير البرّ به والملاطفة له فأعطاه على هذه الابيات سبعين ألف درهم وكان جملة ماوصل الى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال اني ميت ولا وارث لي وان مالي مأخوذ فأنت أحق به فدفع اليه خمسمائة ألف درهم (وحدّث) حماد عن أبيه قال استوهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث فحصل منها خمسين ألف دينار (وحدّث) أبودعامة أنه رفع الى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفي وخلف مما أخذه منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ماخلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديما فقبضه الرشيد فتظلم اليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال هذا خادمي ونديمي والذي خلفه من مالي فأنا أحق به فلم يعطهم الا شيأ يسيرا من قديم أملاكه ولما مات سلم الخاسر قال أشجع السلمي يرثيه

ياسلم ان أصبحت في حفرة * موسدا تربا وأحجارا
فرب بيت حسن قلته * خلفته في الناس سيارا

قداستهواه وبديع ذلك المرأى استرق هواه
لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * به بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مدّ الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياه مؤتمن في هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تشار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالراح يعذب في ورد وفي صدر

قلدنه تربا وسيرته * فكأن نفر اذاك أوطارا
لونطق الشعر بكى عبرة * عليه اعلانا واسرارا

(هيهات أن يأتي الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لبخيل)
(أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا)

البيت الاول لابي تمام من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد وكان قد استشهد في بعض غزواته وأولها

بأبي وغير أبي وذاك قليل * ثاو عليه ثرى السباخ مهيل
خذلته أسرته كأن سراته * جهلوا بأن الخاذل المخذول
أكال أشلاء الفوارس بالقنا * أضحى بهن وشلوه مأكول
كفي فقتل محمد لي شاهد * ان العزيز مع القضاء ذليل
ان يستضم بعد الآباء فانه * يقتاد فحل الصرمة المعقول
مستحسن وجه الردى في معرك * قبح الحياة بحومته جميل
أنسى أبا نصر نسيت اذن يدي * في حيث ينتصر الفتى وينيل

وبعده البيت وما أحسن ما قال بعده

ما أنت بالمقتول صبرا انما * أملي غداة نعيك المقتول

والبيت الثاني لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر بن عمار صاحب طرابلس الشام وكان قد خرج الى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه فضربه بسوطه وخرج الى آخر فهرب منه وأولها

في الخد ان عزم الخليط رحيلا * مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد فغادرت * في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما * أجلي تمثل في فؤادي سولا

يقول في مديحها

محك اذا مطل الغريم بدينه * جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه * أعطى بمنطقه القلوب عقولا

وبعده البيت وبعده

فكأن برقا في متون غمامة * هندية في كفه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهبا * لو كن سيلا ما وجدن سبيلا
رقت مضاربه فهن كأنما * يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

واستمر في وصف الليث الى أن قال

قبضت منيته يديه وعنقه * فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله * فنجا يهرول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك في الاله مقسما * في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل التـ * ـتوراة والفرقان والانجيلا
لو كان ما تعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة * ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسوددك الحمام تغنيا * وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

(هامش) مكرر للآخر في نظير من البلاغة

والشرب في ود مولى خلقه
زهر
يذكو وبهجته أبهى من
القمر
(قال علي بن ظافر) قوله
نينان غير معروف فان نون
لم يجيء جمعها نينان وقد كان
سيبويه لحن بشار بن برد في
قوله في وصف السفينة
تلاعب نينان البحور
وربما
رأيت نفوس القوم من
جريها تجري
فغيره بشار بنيان الصور
وقد قال أبو الطيب يصف
خيلا
فهن مع السيدان في البر
عسل
وهن مع النينان في البحر
عوم
(وجلس) المعتمد بن عباد
يوما فأنشد بعض جلسائه
قول أبي الطيب
اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو وأنا أستغفر الله تعالى لحوله (والشاهد في البيتين) كون المأخوذ دون المأخوذ منه في البلاغة وهذا الاخذ مذموم مردود لفوات الفضيلة وعدم الفائدة فان المصراع الثاني من بيت أبي الطيب مأخوذ من المصراع الثاني من بيت أبي تمام لكن مصراع أبي تمام أجود سبكا لأن قول أبي الطيب ولقد يكون بلفظ المضارع لم يصب محزه اذ المعنى على الماضي والمراد لقد كان وينظر الى بيت أبي تمام قول الشريف الموسوي في الصاحب بن عباد

ياطالبا من ذا الزمان شبيهه * هيهات كلفت الزمان محالا

وينظر الى صدر بيت المتنبي قول السلامي في الوزير سابور

أعدى الزمان ندى أبي نصر فلو * سمناه أن يهب الصبي لم يبخل

وما أحسن قول القاضي الفاضل في هذا المعنى

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

ومن الأخذ المذموم قول بعض الاعراب

وريحها أطيب من طيبها * والطيب فيه المسك والعنبر

وقول بشار بعده وإذا أدنيت منه بصلا * غلب المسك على ريح البصل

وقول أشجع السلمي وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وقول أبي الطيب بعده يرى في النوم رمحك في كلاه * ويخشى أن يراه في السهاد

وكذا قول السري الرفاء وان كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك وهو

تروع أحشاءه بالكتب وهو لها * خوف الردى ورجاء السلم مستلم

لا يشرب الماء الاغص من حذر * ولا يهوم الا راعه الحلم

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة

كأن هاربهم والخوف يطلبه * يبدو لديه مثال منه أو مثل

فان تنبه يوما راعه واذا * غفا جلاه عليه في الكرى المقل

وقول الخنساء وما بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا وما فيك أفضل

وقول أشجع وما ترك المداح فيك مقالة * ولا قال الا دون ما فيك قائل

وهذا الباب واسع لا طاقة لاحد على حصره وهذه النبذة كافية فيه ان شاء الله تعالى

(لو حار مرتاد المنية لم يجد * الا الفراق على النفوس دليلا)

(لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا)

البيت الاول لابي تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي أولها

يوم الفراق لقد خلقت طويلا * لم تبق لي صبرا ولا معقولا

وبعده البيت وبعده

قالوا الرحيل فما شككت بأنها * نفس عن الدنيا تريد رحيلا

الصبر أجمل غير أن تلذذا * في الحب أحرى أن يكون جميلا

أتظنني أجد السبيل الى العزا * وجد الحمام اذن الي سبيلا

رد الجموح الصعب أيسر مطلبا * من رد دمع قد أصاب مسيلا

وهي طويلة والارتياد الطلب واضافة المرتاد الى المنية بيانية أي المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت في الطريق الى اهلاكها ولم يمكنها التوصل اليها لم يكن لها دليل عليها الا الفراق ومثله قول الجاني

ولقد نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فاستبدعه المعتمد واستحسنه وجعله أبدع ما للمتنبي وأحسنه فارتجل عبد الجليل بن وهبون المرسي

لئن جاد شعر ابن الحسين فانه * بجود العطايا واللها تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروي شعره لتألها

فاستحسنها المعتمد وأمر له بمائتي دينار (وجلس) يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء في وصفها فقال عبد الجليل بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء

تمضي البزاة وكلما أمضيتها * عارضتها بخواطر الشعراء

(قال علي بن ظافر) ذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوال وأبو بكر بن القنطرية الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويزري الغصن

شواهد الحيز
عاشقه

والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها سعيد بن كلاب الطائى وأولها

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا * والبين جار على ضعفى وما عدلا

والوجد يقوى كما يقوى النوى أبدا * والصبر ينحل فى جسمى كما نحلا

وبعده البيت وبعده

بما بجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ان لا يشب فلقد شابت له كبد * شيبا اذا خضبته سلوة نصلا

يجن شوقا فلولا أن رائحة * تزوره فى رياح الشرق ما عقلا

ها فانظرى أو فظنى بى ترى حرقا * من لم يذق طرفا منها فقد وألا

علّ الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وهذا البيت من المخالص القبيحة التى عيبت على المتنبى وسبب القبح كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته فى الوصال وفى ذلك ما فيه وقد سبقه أبو نواس اليه بقوله

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعلّ الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن الذريح حين طلق لبنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها فى كل مغنى فرحمه ابن أبى عتيق فسعى فى طلاقها من زوجها وأعادها الى قيس فى خبر طويل فقال يمدحه

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق

وقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق

سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبى * أغصتنى حرارتها بريق

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس يا حبيبى أمسك عن هذا المدح فانه ما سمعه أحد الا ظننى قوّادا ولنرجع الى الكلام على البيتين (والشاهد فيهما) مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه فيكون أبعد من الذم والفضل للاوّل ان لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية والا فهو مذموم جدّا فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الالفاظ كالمنية والفراق والوجدان وبذل النفوس بالارواح ومنه قول أبى تمام

مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

ولا سافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

وقول المتنبى

محبك حيثما اتجهت ركابى * وضيفك حيث كنت من البلاد

وقول القاضى الارّجانى

لم يبكنى الا حديث فراقكم * لما أسرّ به الى مودّعى

هو ذلك الدرّ الذى أودعتم * فى مسمعى ألقيته من مدمعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه

وقائلة ما هذه الدرر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت هو الدرّ الذى قد حشابه * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وقول ابراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير

نجا بك لؤمك منجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالا

وقول ابن حجاج بعده على أنى أظنك كنت تنجو * بعرضك من يدى منجى الذباب

وقول أبى نواس تسترت من دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

وقول ابن حجاج سترت بظله من ريب دهرى * فطال على النوائب أن ترانى

وقول ابن المعتز وخمارة من بنات اليهود * ترى الزق فى بيتها شائلا

النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانفاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل ياهلالا استتر بوجهك عنى

ان مولاك آخذ بشمالى هبك تحكى سناه خدا بخد قم فجئنى بخده بمثال

(وبالاسناد المتقدم) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر ابن عمار فلما دارت الكؤس وتمكن الانس وغنيت أصوات ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ماضرّ ان قيل اسحق وموصله ها أنت أنت وذى حمص واسحق

وزنالها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

وقول ابن حجاج
وجار أعد الكاس ظئرا * لطارقة فلم ترضعه غيلا
أوفيه خلاص التبر وزنا * فيسبكه ويعطينيه كيلا

ولابن حديس في مثله وضعت ميزانها درهمي * فسيل في الكاس دينارها

وقول جحظة البرمكي أو علي بن جبلة
بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شيء جزعا
زائر نم عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
راقب الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وقول المتنبي
بأبي من وددته فافترقنا * وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا فلما التقينا * كان تسليمه علي وداعا

وقول الحسين بن الضحاك بأبي زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسرورا به * اذ تقطعت عليه كمدا

وقول الآخر أنشده الصولي
زائر زارني يشيعه الشو * ق قريب الهوى بعيد المرام
كان عني أوحى انصرافا من اللحـ * ـظ وأخفى من طارق في المنام

وقول العباس بن الاحنف
سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعنا بالسؤال
ما حللنا حتى افترقنا فما نفـ * ـرق بين النزول والارتحال

وقول كشاجم ويعزى لابي الحسين بن طاهر بن محمد النجري الكاتب
بأبي وأمي زائر متقنع * لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
لم أستتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه
ومضى فأبقى في فؤادي حسرة * تركته موقوفا على أوجاعه

ومنه قول الآخر زار يهدي السلام لم أر فصلا * بين توديعه وبين السلام

وقول الآخر زارنا حتى اذا ما * سرنا بالقرب زالا

ولابي الشيص في معناه يا حبذا الزور الذي زارا * كأنه مقتبس نارا
نفسي فداك من زائر * ما حل حتى قيل قد سارا

وقد عكس ابن أبي البشر الصقلي الكاتب بيت جحظة الاخير فقال يهجو ثقيلا
وثقيل قد شنئنا شخصه * مذ عرفناه ملحا مبرما
ثقل الوطأة في زورته * ثم ما ودع حتى سلما

﴿هو الصنع ان يعجل فخير وان يرث * فللريث في بعض المواضع أنفع﴾ (ش ١١٦)

﴿ومن الخير بطء سيبك عني * أسرع السحب في المسير الجهام﴾

البيت الاول لابي تمام من قصيدة من الطويل أولها

أما انه لولا الخليط المودع * وربع عفى منه مصيف ومربع
لردت على أعقابها أريحية * من الشوق واديها من الدمع مترع

وهي طويلة وسيأتي طرف منها في التلميح ان شاء الله تعالى والريث الابطاء والبيت الثاني لابي الطيب من قصيدة من الخفيف يمدح بها علي بن أحمد الخراساني المري أولها

أنت الرشيد فدع من قد سمعت به
وان تشابه اخلاق واعراق
لله درك ادراكها مشعشعة
واحفر قسافك ما قامت به ساق

(قال) وسايرابن عمار في بعض أسفاره وكان معه غلامان من بني جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره فجعل يميل بحديثه الى الاخضر العذار فقال ارتجالا

تعلقته جهوري النجار
وحلو اللمى جوهري الثنايا
من النفر البيض جود الزمان
رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارفات
وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جان الحديث
تساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران
وملت الى خضرة في النقايا

لا افتقار الادنى لا يضام * مدرك أو محارب لا ينام

ليس عزما ما مرض المرء فيه * ليس هما ما عاق عنه الظلام

واحتمال الاذى ورؤية جانيـ * ـه غذاء تضوى به الاجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

يقول فى مديحها خير أعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

قد لعمرى أقصرت عنك وللوفـ * ـد ازدحام وللعطايا ازدحام

خفت ان صرت فى يمينك أن تأ * خذنى فى هباتك الاقوام

ومن الرشد لم أزرك على القر * ب على البعد يعرف الالمام

وبعده البيت وبعده قل فكم من جواهر بنظام * ودها أنها بفيك كلام

هابك الليل والنهار فلو تنـ * ـهاهما لم تجز بك الايام

والسيب العطاء والجهام السحاب الذى لا ماء فيه أو الذى هراق ماءه (والشاهد فى البيتين) الالمام ويسمى السلخ وهو أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام اما أبلغ من المأخوذ منه أو دونه أو مثله فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام لاشتماله على زيادة بيان المقصود حيث ضرب المثل بالسحاب

(واذا تألق فى الندى كلامه الـ * ـمصقول خلت لسانه من عضبه)

(كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت * على رماحهم فى الطعن خرصانا)

البيت الاول للبحترى من الكامل من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب أولها

من سائل لمعذب عن خطبه * أو صافح لمقصر عن ذنبه

وهى طويلة يقول فى مديحها

واذا استهل أبو على بالندى * جاء الغمام المستهل بسكبه

واذا احتبى فى عقده من حمله * يوما رأيت متالعا فى هضبه

وبعده البيت وبعده واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه

فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * متناو يبعد نيله فى قربه

وكأنها والحسن معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

ومعنى تألق لمع والندى المجلس الغاص بأشراف الناس والمصقول المنقح والعضب السيف القاطع شبه لسانه بسيفه والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها أبا سهل الانطاكى أولها قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

أملت ساعة ساروا كشف معصمها * ليلبث الحى دون السير حيرانا

ولو بدت لأتاهتهم فحجبها * صون عقولهم من لحظها صانا

الى أن قال فى مديحها

ماشيد الله من مجد لسالفهم * الا ونحن نراه فيهم الآنا

ان كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا * فى الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

وبعده البيت وبعده كأنهم يردون الموت من ظمأ * أو ينشقون من الخطى ريحانا

والخرصان الرماح أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الاسنة وواحدها خرص بالضم والكسر يريد وصف فصاحة ألسنة الممدوحين وطلاقتها (والشاهد فى البيتين) مجىء المأخوذ دون المأخوذ منه فبيت المتنبى دون بيت البحترى لانه قد فاته ما أفاده البحترى بلفظى تألق والمصقول من الاستعارة

(قال على بن ظافر) ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما وأحب خضرة البقايا وهى لون من طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما (قال على بن ظافر) وذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه ان ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه وأجروه على اراداتهم وصرفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه ورضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا

المأخوذ دون المأخوذ منه

التخييلية حيث أثبت التألق والصقالة للكلام كاثبات الاظفار للمنية ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف وهو استعارة بالكناية

(ولم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا)
(وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع)

البيت الاول لابي زياد الاعرابي من أبيات من الوافر وقبله

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا

ورحب الذراع كناية عن الوصف بالسخاء يقال فلان رحب الذراع وواسع الذراع أي سخي والبيت الثاني لاشجع السلمي من قصيدة من المتقارب يمدح بها جعفر بن يحيى البرمكي (حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لما ولى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ثم دخل الشعراء فأنشدوه وقام أشجع في آخرهم فاستأذن في الانشاد فأذن له فأنشده قوله

أتصبر للبين أم تجزع * فان الديار غدا بلقع
غدا يتفرق أهل الهوى * ويكثر باك ومسترجع

حتى انتهى الى قوله

ودوية بين أقطارها * مقاطع أرضين لا تقطع
تجاوزتها فوق عيرانة * من الريح في سيرها أسرع
الى جعفر نزعت رغبة * وأي فتى نحوه ينزع
فما دونه لامرئ مطمع * ولا لامرئ غيره مقنع
ولا يرفع الناس من حطه * ولا يضعون الذي يرفع
تريد الملوك مدى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع

وبعده البيت وبعده

تلوذ الملوك بآرائه * اذا نابها الحدث الافظع
بديهته مثل تدبيره * متى رمته فهو مستجمع
وكم قائل اذ رأى ثروتي * وما في فضول الغنى أصنع
غدا في ظلال ندى جعفر * يجر ذيول الغنى أشجع
فقل لخراسان تحيي فقد * أتاها ابن يحيى الفتى الاروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكا واستحسن شعره وجعل يخاطبه مخاطبة الاخ أخاه ثم أمر له بألف دينار قال ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده

أمست خراسان تعزى بما * أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيد المعتلي أمره * ولى على مشرقها الابلجا
ثم أراه رأيه أنه * أمسى اليه منهم أحوجا
فكم به الرحمن من كربة * في مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال لقد هونت علي العزل وقمت لامير المؤمنين بالعذر فسلني حاجتك فقال قد كفاني جودك ذل السؤال فأمر له بألف دينار أخرى (والشاهد في البيتين) مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال

يصر ملوك لهم ماله * ولكنهم مالهم همه

ومثله قول بعضهم في مرثية ابن له

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وقول أبي تمام بعده

وقد

كل قصر غير الدمشق يذم فيه طاب الجناة وفاح المشم منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم بت فيه والقجر والليل عندي عنبر أشهب ومسك أحم (قال علي بن ظافر) وأخبرني الفقيه أبو العرب اسمعيل ابن معوشة الكناني السبتي قال أخبرني شيخ من أهل أشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بأن قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين أحد الا ملكت قلبه وخلست خلبه وسلبت لبه وأطلت كربه فبينا أنا واقف على باب دارنا اذا بالوزير أبي بكر بن عمار

مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فأصبح يدعى حازما حين يجزع

وقول بكر بن النطاح

كأنك عند الكر فى حومة الوغى * تفرّ من الصف الذى من ورائكا

وقول أبى الطيب المتنبى وكأنه والطعن من قدامه * متخوّف من خلفه أن يطعنا

﴿وأبو زياد الاعرابى﴾ اسمه يزيد بن الحر الكلابى وقيل يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابى قدم بغداد من البادية أيام المهدى لأمر أصاب قومه فأقام ببغداد أربعين سنة وكان العباس بن محمد يجرى عليه فى كل يوم رغيفا ثم قطعه فقال أبو زياد فى ذلك

فان يقطع العباس عنى رغيفه * فما فاتنى من نعمة الله أكثر

ومن شعره أراك الى كثبان يبرين شيقا * وهذا لعمرى لو قنعت كثيب

فأين الاراك الآن والايك والغضا * ومستخبر عمن أحب قريب

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن القفطى رأيت من بعض نسخة المجلد الثالث عشر وهو آخر الكتاب وكان بخط بانوسة معلم بنى مقلة وورّاقهم وله كتاب الفرق وكتاب الابل وكتاب خلق الانسان ﴿وأشجع﴾ هو ابن عمرو السلمى ويكنى أبا الوليد وهو من ولد الشريد بن مطرود السلمى تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها الى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها ونشأ أشجع بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعدّ فى الفحول وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه وكان له أخوان أحمد وحريث ابنا عمرو وكان أحمد شاعرا ولم يكن يقارب أشجع ولم يكن لحريث شعر ثم خرج أشجع الى الرقة والرشيد بها فنزل على بنى سليم فتلقوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به وأثرى وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده (وحدّث) أسد بن جديلة قال حدثنى أشجع السلمى قال شخصت من البصرة الى الرقة فوجدت الرشيد غازيا ونالتنى خلة فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائح ببابه من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا فقدم واحد واحد منا ينشد على الاسنان وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا فما بلغ الىّ حتى كادت الصلاة أن تجب فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الاعمدة بين يديه سماطين فقال لى أنشد فخفت أن أبتدئ فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها

تذكر عهد البيض وهو لها ترب * وأيام تصبى الغانيات ولا يصبو

فابتدأت قولى فى المديح

الى ملك يستغرق المال جوده * مكارمه نهب ومعروفه سكب

وما زال هرون الرضا ابن محمد * له من مياه النصر مشربها العذب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه * بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب

لقد جمعت فيك الظنون ولم يكن * بغيرك ظنّ يستريح له قلب

جمعت ذوى الاهواء حتى كأنهم * على منهج بعد افتراقهم ركب

بعثت على الابناء أبناء دربة * فلم يقهم منهم حصون ولا درب

وما زلت ترميهم بهم متفردا * أنيسك حزم الرأى والصارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحة * وليس على من كان مجتهدا عتب

قد أقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدّت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشرأبّ الىّ ينظرنى وبهت يتأملنى ثم دفع بخنصرة كانت فى يده فى صدرى وأنشد

كفّ هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح

هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد ما معناه قال أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف ابن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى ببندق ودقه وحلت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتجلت قامات الغصون فى الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار

فضحك الرشيد ثم قال خفت أن يفوت وقت الصلاة وينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت النسيب وأمرني أن أنشده النسيب فأنشدته اياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها (وحدّث) قدامة بن نوح قال جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له فجاءه اعرابيّ من بني هلال فشكا واستماح بلفظ فصيح وكلام مثله يعطف المسؤل فقال له جعفر بن يحيى أتقول الشعر يا هلاليّ قال كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخا قال فأنشدني لشاعركم حميد بن ثور فأنشده قوله

لمن الديار بجانب الحبس * كمخط ذي الحاجات بالنقس

حتى أتى على آخرها فاندفع أشجع فأنشده مديحا قاله فيه على وزنها وقافيتها

ذهبت مكارم جعفر وفعاله * في الناس مثل مذاهب الشمس
ملك تسوس له المعالي نفسه * والعقل خير سياسة النفس
فاذا تراءته الملوك تراجعوا * جهر الكلام بمنطق همس
ساد البرامك جعفر وهم الأولى * بعد الخلائف سادة الانس
ما ضرّ من قصد ابن يحيى راغبا * بالسعد حلّ به أم النحس

فقال له جعفر صف موضعنا هذا فقال

قصور الصالحية كالعذارى * لبسن ثيابهن ليوم عرس
مطلات على قصر كستة * أياد الماء وشيا نسج غرس
اذا ما الطلّ أثر في ثراه * تنفس نوره من غير نفس
فتصبغه السماء بصبغ ورس * وتصبحه بأكوس عين شمس

فقال جعفر للاعرابيّ كيف ترى يا هلاليّ صاحبنا قال أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس دون بيانه وقد جعلت له ما تصلني به قال بل نفردك يا أعرابي ونرضيه فأمر للاعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتي دينار (وحدّث) أشجع قال كنت ذات يوم في مجلس بعض اخواني أتحدث وأنشد اذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ البصري صاحب جعفر بن يحيى فقام له جميع القوم غيري ولم أعرفه فأقوم له فنظر اليّ وقال من هذا الرجل فقيل أشجع السلمي الشاعر فقال أنشدني بعض شعرك فأنشدته فقال انك لشاعر فما يمنعك من جعفر بن يحيى فقلت ومن لي بجعفر بن يحيى فقال أنا فقل أبياتا ولا تطل فانه يملّ الاطالة فقلت له لست بصاحب اطالة وقلت أبياتا على نحو ما رسم لي وصرت اليه فقال تقدمني الى الباب فلم يلبث ان جاء فدخل وخرج أبو ربح الهمداني صاحب جعفر بن يحيى فقال أشجع فقمت اليه فقال ادخل فدخلت فاستنشدني فأنشدته

وترى الملوك اذا رأيتهم * كلّ بعيد الصوت والجرس

الابيات المارّة قريبا فأمر لي بعشرة آلاف درهم وكان أشجع يحب الثياب فكان يكترى الخلعة في كل يوم بدرهمين فيلبسها أياما ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك قال فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ فكسوت عيالي وعيال اخوتي حتى أنفقتها ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى فقال أنشدني فأنشدته فقال ما يمنعك من الفضل بن يحيى قال أنا لك فأدخلني عليه فأنشدته

وما قدّم الفضل بن يحيى مكانه * على غيره بل قدّمته المكارم
لقد أرهب الاعداء حتى كأنه * على كل ثغر بالمنية قائم

فقال كم أعطاك جعفر قلت عشرة آلاف درهم فقال اعطوه عشرين ألفا (وحدّث) داود بن مهلهل قال لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام نزل في مضربه وأمر باطعام الناس فقام أشجع فأنشده

فئتان طاغية وباغية * جلت أمورهما عن الخطب
قد جاءكم بالخيل شازبة * ينقلن نحوكم رحى الحرب
لم يبق الا أن تدور بكم * قد قام هاديها على القطب

قد انصقلت بحداوس القطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو أرواح العطر والراح قد أشرقت نجومها في بروج الرياح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأنحل خده حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومي من فتيان المؤتمن أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمر اكتست حبابا والطاووس انقلب تحبابا فهو ملك حسنا الا أنه جسد وغزال لينا الا أنه في هيئة أسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع قد عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه في نواحي قلبه فأشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس

قال فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له دائم القليل خير من منقطع الكثير فقال له ونزر الوذير خير من جزيل غيره فأمر له بمثلها قال وكان يجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه (وحدث) اسحق الموصلى قال دخلت على الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشئ لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته فلما رآنى مقبلا قال لجعفر أترضى باسحق فقال جعفر والله ما فى علمه مطعن ان أنصف فقال لى أى شئ تروى للشعراء المحدثين فى الخمر أنشدنى من أفضل ما عندك وأشده تقدما فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس فعدلت عنه الى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت له لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله

ولقد طعنت الليل فى أعجازه * بالكأس بين غطارف كالانجم
يتمايلون على النعيم كأنهم * قضب من الهندى لم تنثلم
وسعى بها الظبى الغرير يزيدها * طيبا ويغشمها اذا لم تغشم
والليل مشتمل بفضل ردائه * قد كان يحسر عن أغر أرثم
فاذا أدارتها الأكف رأيتها * تثنى الفصيح الى اللسان الاعجمى
وعلى بنان مديرها عقيانة * من كسبها وعلى فضول المعصم
تغلى اذا ما الشعريان تلظيا * صيفا وتسكن فى طلوع المرزم
ولقد فضضنا خاتم ربها * بكرا وليس البكر مثل الايم
ولها سكون فى الاناء وخلفها * شغب يطوح بالكمى المعلم
تعطى على الظلم الفتى بقيادها * قسرا وتظلمه اذا لم تظلم

فقال لى الرشيد قد عرفت تعصبك على أبى نواس وانك عدلت عنه معتمدا ولقد أحسن أشجع ولكنه لا يقول أبدا مثل قول أبى نواس يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم
فقلت له ما علمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين وانما أنشدت ما حضرنى فقال حسبك قد سمعت الجواب وكان فى اسحق تعصب على أبى نواس لشئ جرى بينهما (وحدث) اسحق قال اصطبح الواثق فى يوم مطير واتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا فما تحول أحد منا من مضجعه وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا وبذلك أمرهم وقال لهم لا تحركوا أحدا منهم عن مضجعه فكان هو أول من أفاق منا فقام وأمر بانباهنا فانتبهنا وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئنا اليه وهو جالس وفى يده كأس وهو يروم شربها والخمار يمنعه فقال لى يا أبا اسحق أنشدنى فى هذا المعنى شيأ فأنشدته قول أشجع السلمى ولقد طعنت الليل فى أعجازه الى آخر الابيات فطرب وقال أحسن والله أشجع وأحسنت يا أبا محمد أعد بحياتى فأعدتها وشرب كأسه عليها وأمر لى بألف دينار (وحدث) على بن الجهم قال دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له والناس يعزونه فأنشده

نقص من الدين ومن أهله * نقص المنايا من بنى هاشم
قدمته فاصبر على فقده * الى أبيه وأبى القاسم

فقال الرشيد ما عزانى أحد اليوم أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة (وحدث) عمر بن على ان أشجع السلمى كتب الى الرشيد وقد أبطأ عنه شئ أمر له به

ألا أبلغ أمير المؤمنين رسالة * لها عنق بين الرواة فسيح
بأن لسان الشعر ينطقه الندى * ويخرسه الابطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال لن يخرس لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته (وحدث) أشجع قال دخلت على الامين حين أجلس مجلس الادب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدت

ملك أبوه وأمه من نبعة * فيها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة فى ربى بطحائها * ماء النبوة ليس فيه مزاج

واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الدلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء مثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كفة المدام بشهبها ارتجل ابن عباد قول

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكأس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى فى محاجر نرجس

يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس

قال فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم (وحدّث) سعيد بن زهير وأبو دعامة قالا كان انقطاع أشجع الى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال الرشيد للعباس يوما يا عم ان الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي وبسبب أم جعفر ولم يقل أحد منهم في المأمون شيأ وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال

بيعة المأمون آخذة * بعنان الحق في أفقه
أحكمت مرآته عقدا * تمنع المحتال في نفقه
لن يفك المرؤ ربقتها * أو يفك الدين من عنقه
وله من وجه والده * صورة تمت ومن خلقه

قالا فأتى العباس الرشيد وأنشده اياها واستحسنها وسأله لمن هي فقال هي لي فقال قد سررتني مرتين باصابتك ما في نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفع الى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه (وحدّث) علي بن الفضل السلمي قال أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور وهو حدث وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور

اذكروا حرمة العواتك منا * يابني هاشم بن عبد مناف
قد ولدنا كم ثلاث ولادا * ت خلطن الاشراف بالاشراف
مهدت هاشما نجوم قصيّ * من بني فالج جحور عفاف
ان أرماح بهثة بن سليم * لعجاف الاطراف غير عجاف
معشر يطعمون من ذروة الشو * ل ويسقون خمرة الاخلاف
يضربون الجبار في أخدعيه * ويسقونه نقيع الذعاف

فشاع شعره وبلغ المنصور ولم يزل يترقى الى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها وتزوجها الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء (وحدّث) مهدي بن سابق قال أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم وأعطى أبا البصير عشرين ألفا وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف وكان ذلك في أول اتصاله به فكتب اليه أشجع

أعطيت مروان الثلا * ثين التي دلت رعاثه
وأبا البصير وانما * أعطيتني معهم ثلاثه
ماخانني خود القريـ * ض ولا اتهمت سوى الحداثه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى (وحدّث) محمد بن الحرث الخراز قال كانت لأشجع جارية يقال لها ريم وكان يجد بها وجدا شديدا فكانت تحلف له أنها ان بقيت بعده لم تتعرض لغيره وكان يذكرها في شعره فمن ذلك قوله من قصيدته التي يرثي بها الرشيد

وليس لأحزان النساء تطاول * ولكن أحزان الرجال تطول
فلا تبخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع في الهوى لبخيل
فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه * دبورا اذا هبت صبا وقبول
اذا دار فيء أتبع الفيء طرفه * يميل مع الايام حيث تميل

وقال فيها أيضا
اذا غمضت فوقي جفون حفيرة * من الارض فابكيني بما كنت أصنع
تعزك عني بعد ذلك سلوة * وان ليس فيما وارت الارض مطمع
اذا لم تري شخصي وتغنيك ثروتي * ولم تسمعي مني ولا منك أسمع
فحينئذ تسلين عني وان يكن * بكاء فأقصى ما تبكين أربع
قليلا ورب البيت ياريم ما أرى * فتاة بمن ولى به الموت تقنع
بمن تدفعين الحادثات اذا رمى * عليك بها عام من الجدب يطلع
فيومئذ تدرين من قد رزئته * اذا جعلت أركان بيتك تنزع

اياك بادرة الوغى من فارس
خشن القناع على عذار أملس
جهم وان كشف القناع فانما
كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره
كالمهر يلعب في اللجام المخرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا
وسطا بليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة
حوراء قائمة بسكر المجلس
(وصنع فيه أيضا)
وأحور من ظباء الروم عاط
بسالفتيه من دمي فريد
قسا قلبا وشق عليه ذرعا
فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه
وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق
وأحرز حسنه لفتى سعيد
(وبالاسناد المتقدم) ذكر
ابن بسام ان أبا العرب
الصقلي حضر مجلس المعتمد

قال فشكته الى أخيه أحمد بن عمرو فأجابه عنها بشعر نسبه اليها ومدح فيه الفضل أيضا فاختير شعره على شعر أخيه وهو

ذكرت فراقا والتفرق يصدع * وأى حياة بعد موتك تنفع
اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فمالى فى طيب من العيش مطمع
ولا كان يوم يا ابن عمرو وليلة * يبدد فيها شملنا ويصدع
فألطم وجها فيك كنت أصونه * وأخشع مما لم أكن منه أخشع
ولا كان يوم فيه سوء رهبته * فتروى بجسمى الحادثات وتشبع
ولو أننى غيبت فى الترب لم تبل * ولم يرك الراؤون لى تتوجع
وهل رجل أبصرته متوجعا * على امرأة أو عينه الدهر تدمع
ولكنها مهما توليت بقل سوى * فتلك أخرى سوف أهوى وأتبع
ولو أبصرت عيناك ما بى لأبصرت * صبابة حزن غمها ليس يقشع
الى الفضل فارحل بالمديح فانه * منيع الحمى معروفه ليس يمنع
وزره تزر حلما وعلما وسوددا * وبأسا به أنف الحوادث يجدع
وأبدع اذا ما قلت فى الفضل مدحة * كما الفضل فى بذل المواهب يبدع

فى أبيات أخر قال فأنشدها أشجع الفضل وحدثه بالقصة فوصل أخاه وجاريته ووصله (وحدث) الحسين الجعفى قال كان أشجع اذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء فى داره فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول

ويحها هل درت على من تنوح * أسقيم فؤادها أم صحيح
قبر أطبقوا عليه ببغدا * د ضريحا اذا أجن الضريح
رحم الله صاحبى ونديمى * رحمة تغتدى وأخرى تروح

ودخل أشجع على الرشيد فى عيد الفطر فأنشده

استقبل العيد بعمر جديد * مدت لك الايام حبل الخلود
مصعدا فى درجات العلا * نجمك مقرون بسعد السعود
واطو رداء الشمس ما أطلعت * نورا جديدا كل يوم جديد
تمضى لك الايام ذا غبطة * اذا أتى عيد طوى عمر عيد

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يغنى بهذه الابيات (وحدث) محمد بن عبد الله بن مالك قال كان حرب بن عمرو الثقفى نخاسا وكانت له جارية مغنية وكان الشعراء والكتاب وأهل الادب ببغداد يختلفون اليها يستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون اليه فقال فيها أشجع

جارية تهتز أردافها * مشبعة الخلخال والقلب
أشكو الذى لاقيت من حبها * وبغض مولاها الى ربى
من بغض مولاها ومن حبها * سقمت بين البغض والحب
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى * أمرهما فاقتسما قلبى
فجعل الله شفائى بها * وعجل السقم الى حرب

وأخباره كثيرة وهذا القدر منها كاف (وحدث) ابن أشجع السلمى قال مر أبى وعماى أحمد ويزيد وقد شربوا حتى انتشوا بقبر الوليد بن عقبة والى جانبه قبر أبى زبيد الطائى وكان نصرانيا وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن الى جنب الوليد بالبليخ والقبران مختلفان كل منهما متوجه الى قبلة أهل ملته قال فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ويتذاكرون أخبارهما فأنشأ أبى يقول

مررت على عظام أبى زبيد * وقد لاحت ببلقعة صلود

ابن عباد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معترضا ما يحمل هذين الكيسين الاجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتنى جلا جوناشفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
بنائح جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تعرف من منع ولا عقلا
فأعجب بشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

فسارت بهذا الركائب وتهادته المشارق والمغارب (قال ابن بسام) وكان فى قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى

وكان له الوليد نديم صدق ❊ فنادم قبره قبر الوليد

أنيسا الفة ذهبا فأمست ❊ عظامهما تأنس بالصعيد

وما أدرى بمن تبدو المنايا ❊ بأحمد أم بأشجع أم يزيد

قال فما تواوالله كما رتبهم بالشعر فكان أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد

الاخذ الخفى مع تشابه المعنيين

﴿ولا يعنك من أرب لحاهم ❊ سواء ذو العمامة والخمار﴾

﴿ومن فى كفه منهم قناة ❊ كمن فى كفه منهم خضاب﴾

البيت الاول لجرير من قصيدة من الوافر والأرب الحاجة واللحى بالضم والكسر جمع لحية وهى شعر الخدين والذقن والخمار بالكسر النصيف وهو ما ستر الرأس وكل ما ستر شيأ فهو خمار والمعنى لا يعنك من الحاجة كون هؤلاء على صورة الرجال لان الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر يمدح بها سيف الدولة ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له وأولها

بغيرك راعيا عبث الذئاب ❊ وغيرك صارما ثلم الضراب

وتملك أنفس الثقلين طرا ❊ فكيف تحوز أنفسها كلاب

وما تركوك معصية ولكن ❊ يعاف الورد والماء السراب

طلبتهم على الأمواه حتى ❊ تخوف أن تفتشه السحاب

وهى طويلة يقول فيها

فما نفع الوقوف ولا الذهاب ❊ ولكن ربهم أسرى أليهم

ولا ليل أجن ولا نهار ❊ ولا خيل حملن ولا ركاب

رميتهم ببحر من حديد ❊ له فى البر خلفهم عباب

فساهم وبسطهم حرير ❊ وصبحهم وبسطهم تراب

وبعده البيت وبعده

بنو قتلى أبيك بأرض نجد ❊ ومن أبقى وأبقته الحراب

عفا عنهم وأعتقهم صغارا ❊ وفى أعناق أكثرهم سخاب

وكلكم أتى مأتى أبيه ❊ فكل فعال كلكم عجاب

كذا فليسر من طلب الاعادى ❊ ومثل سراك فليكن الطلاب

(والشاهد فى البيتين) الاخذ الخفى مع تشابه المعنيين فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب ومن الاخذ الخفى قول الطرماح

لقد زادنى حبا لنفسى أننى ❊ بغيض الى كل امرئ غير طائل

وانى شقى باللئام ولا ترى ❊ شقيا بهم الا كريم الشمائل

وقول أبى الطيب

واذا أتتك مذمتى من ناقص ❊ فهى الشهادة لى بأنى كامل

نقل المعنى الى محل آخر الاخذ الخفى

﴿سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ❊ محمرة فكأنهم لم يسلبوا﴾

﴿يبس النجيع عليه وهو مجرد ❊ من غمده فكأنما هو مغمد﴾

البيت الاول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها اسحق بن ابراهيم أولها

عارضننا أصلا فقلنا الربرب ❊ حتى أضاء الأقحوان الاشنب

واخضر موشى البرود وقد بدا ❊ منهن ديباج الخدود المذهب

أومضن من خلل السجوف فراعنا ❊ برقان خال ما يشام وخلب

ولوانني أنصفت فى حكم الهوى ❊ ما شمت بارقة ورأسى أشيب

الى أن قال فيها

ما ان ترى الا توقد كوكب ❊ من قونس قد غاب فيه كوكب

فمجدل وموسد ومزمل ❊ ومضرج ومضمخ ومخضب

يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسى من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل يدمع من الافيال لا يشكو ملالا

رعى رطب اللجين فجاء صلدا تراه قل ما يخشى هزالا

بمجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر ابن الملح عنده فصنع الوزير فيها عدة مقاطيع بديهامنها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب منزوف

لاحا لعينى كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف

(وقال أيضا)

كأنما النار فوق الشمعتين سنا والماء من نافذ الأنبوب منسكب

وبعده البيت وبعده

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن * لمجذهم من جذ بأسك مهرب

وهى طويلة ومعنى البيت أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة

لما تراءى لك الجمع الذى نزحت * أقطاره ونأت بعدا جوانبه

تركتهم بين مصبوغ ترائبه * من الدماء ومخضوب ذوائبه

فحائد وشهاب الرمح لاحقه * وهارب وذباب السيف طالبه

يهوى اليه بمثل النجم طاعنه * وينتحيه بمثل البرق ضاربه

يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه * ثيابه فهو كاسيه وسالبه

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

وفرقت بين ابنى هشيم بطعنة * لها عاند يكسو السليب ازارا

والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الكامل أيضا يمدح بها شجاع بن محمد الطائى أولها

اليوم عهدكم فأين الموعد * هيهات ليس ليوم موعدكم غد

الموت أقرب مخلبا من بينكم * والعيش أبعد منكم لاتبعدوا

ان التى سفكت دمى بجفونها * لم تدر أن دمى الذى تتقلد

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها * لونى كما صبغ اللجين العسجد

فرأيت قرن الشمس فى قمر الدجى * متأودا غصن به يتأود

عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

وهواجل وصواهل ومناصل * وذوابل وتوعد وتهدد

أبلت مودتها الليالى بعدنا * ومشى عليها الدهر وهو مقيد

أبرمت يا مرض الجفون بممرض * مرض الطبيب له وعيد العود

وهى طويلة يقول فى مديحها

كن حيث شئت تسر اليك ركابنا * فالارض واحدة وأنت الأوحد

وصن الحسام ولاتذله فانه * يشكو يمينك والجماجم تشهد

وبعده البيت وبعده ريان لوقذف الذى أسقيته * لجرى من المهجات بحر مزبد

ماشاركته منية فى مهجة * الا وشفرته على يدها يد

والنجيع من الدم ماكان الى السواد وهو دم الجوف والغمد بالكسر جفن السيف (والشاهد فى البيتين) نقل المعنى الآخر المأخوذ الى محل آخر لمعنى بيت المتنبى أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف فنقل المعنى من القتلى والجرحى اليه

* بمعنى المأخوذ ذاعمل
* بمعنى المأخوذ ذمه

﴿اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا﴾

﴿وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد﴾

البيت الاول لجرير من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ومنها قبل البيت

لنا حوض الحجيج وساقياه * ومن ورث النبوة والكتابا

ألسنا أكثر الثقلين حيا * ببطن منى وأكثرهم قبابا

وبعده البيت وبعده فلا وأبيك مالاقيت حيا * كيربوع اذا رفعوا النقابا

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

غمامة تحت جنح الليل هامعة
فى جانبيها خفاف البرق مضطرب

(وقال أيضا)

وأنبوب ماء بين نار بن ضمنا
هدى الكؤس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية
يحرّكها فى الماء لمع الحباحب

(وقال أيضا)

كأن سراجى شربهم فى التظائها
وأنبوب ماء الفيل فى سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما
لئيمان فى انفاقه بعد لائه

(قال على بن ظافر) خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست من مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلآلئ الطل أجياد قضبانها فتشوق الى الوزير

والمعنى ان بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم والبيت الثانى لابى نواس من أبيات من السريع كتبها للرشيد مادحا الفضل بن الربيع وهى

قولا لهارون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
نصيحة الفضل واشفاقه * اخلى له وجهك من حاسد
بصادق الطاعة دبانها * وواحد الغائب والشاهد
أنت على مابك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
أوجده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد

وبعده البيت (حدّث) سعيد بن حميد أن أبا تمام الطائى دخل على ابن أبى دؤاد فقال له أحسبك غاضبا يا أبا تمام فقال له انما نغضب على واحد وأنت الناس جميعا فكيف نغضب عنك فقال له ابن أبى دؤاد من أين أخذت هذه اللفظة فقال من قول الحاذق أبى نواس وأنشد البيت (والشاهد فى البيتين) مجئ معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه فان بيت جرير يخص بعض العالم وبيت أبى نواس يشمله وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبى

نسقوا لنا نسق الحساب مقدّما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وقوله أيضا

مضى وبنوه وانفردت بفعله * وألف اذا ما جمعت واحد فرد

وقوله

هدية ما رأيت مهديها * الا رأيت العباد فى رجل

وقول الوزير المغربى

حتى اذا ما أراد الله يسعدنى * رأيته فرأيت الناس فى رجل

وقول أبى الفرج الببغا يميل الى المبالغة

واذا ما حللت فى بلدة فهو جميع الدنيا وأنت الانام

وقول ابن قلاقس من قصيدة

دعوتك فاحضر فلبس الجيش اذا غبت لا غبت كالحضر
وقد جمع الله فيك الانام * وليس عليه بمستنكر

وقوله أيضا

على الشهادة بالفضل البين له * كل المذاهب والآراء والملل
مدحته فمدحت الناس قاطبة * لأننى منه ألقى الناس فى رجل

وقد ضمن القيراطى بيت أبى نواس فقال يهجو

تجمعت من نطف ذاته * حتى بدا فى قالب فاسد
ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ومثله ما أجاب به قابوس صاحب جرجان الصاحب ابن عباد حين هجاه بقوله

قد قبس القابسات قابوس * ونجمه فى السماء منحوس
وكيف يرجى الفلاح من رجل * يكون فى آخر اسمه بوس

وجواب قابوس

من رام أن يهجو أبا القاسم * فقد هجا كل بنى آدم
لانه صوّر من مضغة * تجمعت من نطف العالم

ومثله لابى أحمد العروضى

لو كان يورث بالنشابه ميت * للملكت بالأعضاء ما لاعالك
بغلٌ تخاله تخبرانه * فى الناس من نطف الجميع مشبك

ومنه قول ابن المصيف

ابن العلاءى له فقحة * شيعية تصبو الى القائم
أبخل من كلب ولكنه * باسرمه أجود من حاتم
كفاه هجوا أنه واحد * صوّر من كل بنى آدم

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله

لقد كمل الرحمن شخصك فى الورى * فلا شان شيأ من كمالك بالنقص

أبى طالب بن غانم أحد وزراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها فى وريقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا
واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى
مالم تكن حاضرا لدنيا

(وجلس) يوما وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حرّ الأوار والتوى ماؤها التواء السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه
كأنه أرقش قد جد فى هربه

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح ما معناه قال خرج الوزراء بنو القنطرية الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بماء الطل عيون أزهاره

ومن جمع الآفاق في العين قادر * على جمع أشتات الفضائل في شخص

فانه زاد على أبي نواس بالمبالغة والتمثيل لان الانسان اذا فتح عينه رأى نصف العالم وكان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي أذاقه الله العلقم من زقوم جهنم قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال في آخر كلامه وهو المدبر فوقع المستعصم له

ولا تساعد أبدا مدبرا * وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمي أبياتا في الجواب منها

يا مالكا أرجو بحبي له * نيل المنى والفوز في المحشر
أرشدتني لازلت لي مرشدا * وهاديا من نورك الأنور
أبنت في بيت هدى قلته * عن شرف في بيتك الاطهر
فضلك فضل ماله منكر * ليس لضوء الشمس من منكر
ان يجمع العالم في واحد * فليس لله بمستنكر

فقلب بيت أبي نواس فجعل عجزه صدرا والعلقمي هذا كان وزير المستعصم وكان هو الركن الاكبر في مجيء التتار الى بغداد وخراب ذلك الاقليم وهدم ذلك الجناب العظيم فعليه من الله ما يستحقه

(أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم)
(أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه)

كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه

البيت الاول لابي الشيص من أبيات من الكامل وقبل البيت

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

وبعده البيت وبعده

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني وأهنت نفسي عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

والبيت الثاني لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة أولها

القلب أعلم يا عذول بدائه * وأحق منك بجفنه وبمائه
فومن أحب لأعصينك في الهوى * قسما به وبحسنه وبهائه

وبعده البيت وبعده عجب الوشاة من اللحاة وقولهم * دع ما نراك ضعفت عن اخفائه

ما الخل الا من يود بقلبه * ويرى بطرف لا يرى بسوائه
ان المعين على الصبابة بالأسى * أولى برحمة ربها واخائه
مهلا فان العذل من أسقامه * وترفقا فالسمع من أعضائه
وهب الملامة في اللذاذة كالكرى * مطرودة بسهاده وبكائه
لا تعذل المشتاق في أشواقه * حتى يكون حشاك في أحشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه
والعشق كالمعشوق يعذب قربه * للمبتلى وينال من حوبائه
لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وقد أخذ المتنبي قوله لا تعذل المشتاق في أشواقه البيت من قول البحتري

اذا شئت أن لا تعذل الدهر عاشقا * على كمد من لوعة البين فاعشق

(والشاهد في البيتين) كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه فبيت أبي الطيب نقيض بيت أبي الشيص والاحسن في هذا النوع أن يبين السبب كما في هذين البيتين الا أن يكون ظاهرا كما في قول أبي تمام

ونغمة معتف جدواه أحلى * على أذنيه من نغم السماع

وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة فخيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت الارض عن العيون فلا تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن أفطس بعده غاية الادب وبعده منبهة للطرب ومدفعة للكرب فباتوا فيه ليلتهم يديرون ملح الحب ويتمنون فيه الخلود ويحتسون ذوب ذهب لا يصهر به ما في بطونهم حتى تركتهم ابنة الخابية كأنهم أعجاز نخل خاويه فلما هزم رومي الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وأنشد مرتجلا

وقول المتنبي والجراحات عنده نغمات * سبقت قبل سيبه بسؤال
أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال فان سبقت نغمة من سائل عطاءه أثر ذلك فيه تأثير الجرح في المجروح وفي معنى بيت أبي تمام قول البحتري
نشوان يطرب للسؤال كأنما * غناه مالك طيء أو معبد
وكذلك قول المتنبي كأن كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في أجفان يعقوب
وفي معناه قول أبي العلاء المعري
فما ناح قمري ولا هب عاصف * من الريح الا خاله صوت سائل
وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبي الشيص فقال
هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أجد الذاذة في الملام فلودري * أخذ الرشا مني الذي يلحاني
وأصل هذا المعنى لابي نواس فانه قال
اذا غاديتني بصبوح عذل * فممزوجا بتسمية الحبيب
فاني لا أعد اللوم فيه * عليك اذا فعلت من الذنوب
وفي معناه قول الآخر
من ذم عاذله فاني شاكر للعذل سمعي لهم كالقلب من * ذكر الاحبة ممتلي
ماضرني اغراؤهم * بالعذل اذلم أقبل تعب الملام عليهم * وحلاوة التذكار لي
ومنه قول ابن الرومي أيضا تلذلي الملامة في هواه * لكراه واستحلي أذاها
﴿وأبو الشيص﴾ اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم وهو عم دعبل الخزاعي وأبو الشيص لقب غلب عليه وكنيته أبو جعفر وكان من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس فخمل وانقطع الى أمير الرقة عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي فمدحه فأكثر شعره وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره فقل ما يروى له في غيره شعر وحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك وكان سريع الهاجس جدا فيما ذكر عنه ومن شعره في مدح أمير الرقة قوله
لا تنكري صدي ولا اعراضي * ليس المقل عن الزمان براض
شيآن لا تصبو النساء اليهما * حلي المشيب وحلة الانفاض
حسر المشيب قناعه عن رأسه * فرمينه بالصد والاعراض
ولربما جعلت محاسن وجهه * لجفونها غرضا من الاغراض
(يروى) عن أبي الشيص أنه قال لما أنشدت هذه القصيدة لعقبة بن جعفر أمر بأن تعد وأعطاني لكل بيت ألف درهم (وحدث) أحمد بن عبيد قال اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر فاندفع رجل منهم فقال اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت
اذا ما علت منا ذؤابة واحد * وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبي * وتغدو صريع الكأس والاعين النجل
قال وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغواني فقال له مسلم صدقت ثم أقبل على أبي نواس وقال له وكأني بك يا أبا علي قد أنشدت لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد

يا شقيقي وافى الصباح بوجه
ستر الليل نوره وبهاؤه
فانتبه واغتنم مسرة يوم
ليس يدري بما يجيء مساؤه
فانتبه أخوه أبو بكر لصوته
وتخوف لذهاب ذلك الوقت
وفوته وانتبه أخوهما أبو
الحسن وهو يرتجل
يا أخي قم ترى النسيم عليلا
باكر الراح والمدام الشمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم
ان تحت التراب نوما طويلا
فانتبه أخوه لكلامه
رافضا لذة منامه للذة قيامه
وقال مرتجلا
يا صاحبي ذر الوجي ومعتبي
وبادر انهوة من خير ماذخرا
وبادر اغفلة الايام واغتنما
فاليوم خمر ونبدى في غد خبرا
(قال علي بن ظافر) وركب
الاستاذ أبو محمد بن صارة
مع أصحاب له في نهر أشبيلية
في عشية سال أصلها على
لجين الماء عقيانا وطارت
روارقها في سماء الماء عقبانا

تسقيك من عينها خمرا ومن يدها * خمرا فمالك عن سكرين من بد

فقال له صدقت ثم أقبل على دعبل فقال له يا أبا علي وكأني بك تنشد قولك أين الشباب وأية سلكا الابيات المارة في ايهام التضاد فقال له صدقت ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأما أنت يا أبا جعفر فكأني بك وقد أنشدت قولك لا تنكري صدي ولا اعراضي

الابيات السابقة قريبا فقال له لا ما هذا أردت أن أنشد ولا هذا بأجود شيء قلته قالوا فأنشدنا ما بدا لك فأنشدهم الابيات الميمية السابقة فقال أبو نواس أحسنت والله وجودت وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك ثم لأغلبنك عليه فيشتهر ما أقول ويموت ما قلت قال فسرق أبو نواس قوله وقف الهوى بي البيت سرقا خفيا فقال في الخصيب

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فسار بيت أبي نواس وسقط بيت أبي الشيص (وحدث) رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال كنا يوما عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الانصاري فقال أبو نواس لابي الشيص أنشدني قصيدتك المخزية قال وما هي قال الضادية فما خطر بخلدي قولك ليس المقل عن الزمان براض الا أخزيتك استحسانا لها فان الاعشى كان اذا قال قصيدة عرضها على ابنته وكان قد ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام ثم يقول لها عدي المخزيات فتعد قوله

أغر أروع يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبه ذلك من شعره فقال أبو الشيص لا أفعل انها ليست عندي عقد در مفصل ولكني أكاثر بغيرها ثم أنشده الابيات الميمية المذكورة أيضا فقال له أبو نواس قد أردت صرفك عنها فأبيت ان تخلي عن سلبك أو ندركك في هربك قال بل اتركك في طلبي فكيف ترى أنت هذا الطراز فقال أرى نمطا خسروانيا مذهبا حسنا فكيف تركت قولك في رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مذال

قال تركته كما ترك مختار الدرتين احداهما لما سبق في خاطره وزين في ناظره قال ابن فضل الله رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبي العباس أحمد بن العطار الشيباني الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أن أبا الشيص كان لو قيل له أين من أنت لقال وقف الهوى بي البيت ولو قيل لشهاب الدين التلعفري اين من أنت لقال هذا العذول عليكم مالي وله ثم قال وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم وعارضها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها انتهى ﴿أقول﴾ ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله قال

هذا العذول عليكم مالي وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذلا اله

الى أن يقول فيها

أألومكم في هجركم وصدودكم * ما هذه في الهجر منكم أوله

قسما بكم قد صرت مما أشتكي * حي الدجى وعدمته ما أطوله

يا سائلي عن شرح حالي في الهوى * تركي الجواب جواب هذي المسأله

يا راحلين وفي أكلة عيسهم * رشأ عليه حشى المحب مقلقله

أسرت له العشاق نظرة وجنة * بسوى اللواحظ لا تبيت مقبله

لو لم يصب صدغيه عارض خده * ما أصبحت في سالفيه مسلسله

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال

هب أن خدك قد أصيب بعارض * ما بال صدغك راح وهو مسلسل

﴿رجع الى أخبار أبي الشيص﴾ وحدث موسى بن معروف الاصفهاني قال دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج فقال له يا أبا الشيص سل هذا الخادم أن يحل ازرار قميصه فقال الامير أعزه الله أحق بمسألته قال قد سألته فزعم انه يخاف العين على صدره فقل فيه شيأ فقال

وشادن كالبدر يجلو الدجى * في الفرق منه المسك مذرور

يحاذر العين على صدره * فالجيب منه الدهر مزرور

وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تأمل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء

وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

(واتفق) ان وقف أبو اسحق ابن خفاجة على القطعة فاستظرفها واستطابها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها فأنشد

ألا يا حبذا ضحك الحيا * بحانتها وقد عبس المساء

وأدهم من جياد الماء نهد * تنازع حبله ريح رخاء

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تجذبها السماء

(وذكر ابن خفاجة في ديوان شعره) وقد أنبأني به ذو النسبتين الحافظ أبو

فقال أبو دلف وحياتى لقد أحسنت وأمر له بخمسة آلاف درهم فقال الخادم قد أحسن والله كما قلت ولكنك أنت ما أحسنت فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى (وحدث) علىّ بن سعيد الشيبانى قال تعشق أبو الشيص قينة لرجل من أهل بغداد فكان يختلف اليها وينفق عليها فى منزل الرجل حتى أتلف مالا كثيرا فلما كف بصره وأخفق جعل اذا جاء الى مولى الجارية تجبه ومنعه من الدخول فجاءنى أبو الشيص وشكى الىّ وجده بالجارية واستخفاف مولاها به وسألنى المضىّ معه اليه فضيت معه اليه فاستؤذن لنا عليه فأذن لنا فدخلت أنا وأبو الشيص فعاتبته فى أمره وعظمت عليه حقه وخوفته من لسانه ومن اخوانه فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه فكان يأكل فى بيته ويحمل معه نبيذه ونقله فضيت معه ذات يوم اليها فلما وقفنا على بابهم سمعنا صراخا شديدا من الدار فقال لى ما لها تصرخ أتراه قد مات لعنه الله فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا واذا هو قد حسر كميه وبيده سوط وقال لنا ادخلا فدخلنا واغا حمله على الاذن لنا الفرق منى فدخلنا وعاد الرجل الى داخل يضربها فاستمعنا عليه وأطلعنا فاذا هى مشدودة على سلم وهو يضربها أشد الضرب وهى تصرخ وهو يقول لها وأنت أيضا فاسرقى الخبز فاندفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك

يقول والسوط على كفه * قد حز فى جلدتها حزا وهى على السلم مشدودة * وأنت أيضا فاسرقى الخبزا

قال وجعل أبو الشيص يرددهما فسمعهما الرجل فخرج الينا مبادرا وقال له أنشدنى البيتين اللذين قلتهما فدافعه فحلف انه لا بد من انشادهما فأنشده اياهما فقال لى يا أبا الحسن أنت كنت شفيع هذا وقد أسعفتك بما تحب فان أشاع هذين البيتين فضحنى فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما وله علىّ يومان فى الجمعة ففعلت ذلك ووافقته عليه فلم يزل يتردد اليه يومين فى الجمعة حتى مات (وحدث) على بن محمد النوفلىّ عن عمه قال كان أبو الشيص صديقا لمحمد بن اسحق بن سليمان الهاشمىّ وهما حينئذ مملقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمد لله رب العالمين على * قربى وبعدك منى يا ابن اسحق
يا ليت شعرى متى تجدى علىّ وقد * أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدى علىّ اذا ما قيل من راق * والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمرى تهم الناس أنفسهم * وليس تنفع فيه رقية الراقى

(وحدث) أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر وكان يتعشقها وفيها يقول

لم تنصفى يا سمية الذهب * تتلف نفسى وأنت فى لعب
يا ابنة عم المسك الزكىّ ومن * لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك فى السواد وفى الريح فأكرم بذاك من نسب

ومن لطيف شعره قوله

وقائلة وقد بصرت بدمع * على الخدين منحدر سكوب
أتكذب فى البكاء وأنت خلو * قديما ما جسرت على الذنوب
قميصك والدموع تجول فيه * وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف حين جاؤا * على ألبابه بدم كذوب
فقلت لها فداك أبى وأمى * رجمت بسوء ظنك فى الغيوب
أما والله لو فتشت قلبى * لسرك بالعويل وبالنحيب
دموع العاشقين اذا تلاقوا * بظهر الغيب ألسنة القلوب

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده (فحدث) محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدت ابراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها

اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

الخطاب بن دحية اجازة قال صاحبت فى دهرى من الغرب سنة ثلاث وثمانين أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو حفص بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى الشقاق وقطع السبيل واخافة الطريق والاحاذ بناقلته وقد احتدمت جمرة الهجير وملّ الراكب رسيمه وذميله وأخذ كل مسافر بادمقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون فاعتذر فقلت أريض نار نزوته وأعرض بعظيم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاه حر * ولا كدم الوريد له دواء

وقد حى النجيع هناك أرضا * وقد سملك العجاج به سماء

فأنشدني لابي الشيص يبكي عينيه

يانفس ابكي بأدمع هتن * وواكف كالجمان في سنن
على دليلي وقائدي ويدي * ونور وجهي وسائس البدن
أبكي عليها مخافة أن * تقرنني والظلام في قرن

(وقال أبو هفان) حدثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص فقالت يا أبا الشيص عميت بعدي فقال فضحك الله دعوتني باللقب وعيرتني بالضرر (وحدث) أبو العباس بن الفرات قال كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرم وما فيهم الا نضو فأقبل على عبيد الله بن سليمان فقال كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول

أكل الوجيف لحومها ولحومهم * فأتوك أنقاضا على أنقاض

وكانت وفاة أبي الشيص سنة ست وتسعين ومائة مقتولا (حدث) عبد الله بن الاعمش قال كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي يشرب مع خادم له فلما ثمل نام عنده ثم انتبه في بعض الليل فذهب يدب الى خادم لعقبة فوجأه بسكين فقال له ويحك قتلتني والله وما أحب أن أفتضح وأني قتلت في مثل هذا ولا تفتضح أنت بي ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي واجعل زجاجها في الجرح فاذا سئلت عني فقل اني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت فقتلتني ومات من ساعته ففعل الخادم ما أمره به ودفن أبو الشيص وجزع عقبة عليه جزعا شديدا فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان فصدق عقبة الخبر وانه هو الذي قتله فلم يلبث عقبة أن قام اليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله

(وترى الطير على آثارنا * رأي عين ثقة أن ستمار)
(وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير في الدماء نواهل)
(أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا انها لم تقاتل)

أخذ بعض معنى المأخوذ منه وأضافه ما يحسنه اليه

البيت الاول للافوه الاودي من قصيدة من الرمل أولها

ان ترى رأسي فيه نزع * وشواتي خلة فيها دوار

يقول فيها

انما نعمة قوم متعة * وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا أنه * ظلف ما نال منا وجبار

ظلف باطل وجبار هدر وهذه القصيدة من جيد شعر العرب وهي التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسمعيل عليه السلام واياه عنى بقوله فيها

ريشت جرهم نبلا فرمى * جرهما منهن فوق وغرار

والبيتان الاخيران لابي تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها المعتصم والافشين وأولها

غدا الملك معمور الحوا والمنازل * منور وحف الروض عذب المناهل
بمعتصم بالله أصبح ملجأ * ومعتصما حرز الكل موائل
لقد ألبس الله الامام فضائلا * وفي طرفيها باللهى والفواضل
فأضحت عطاياه نوازع شردا * تسائل في الآفاق عن كل سائل
مواهب جزن الارض حتى كأنما * أخذن بأهداب السحاب الهواطل

ومنها في مديح الافشين

شهدت أمير المؤمنين بشهادة * كثير اذوو تصديقها في المحافل
لقد لبس الافشين قسطلة الوغى * محشا بنصل السيف غير مواكل
وجرد من آرائه حين أضرمت * به الحرب حدا من حدود المناصل
وثارت به بين القبائل والقنا * عزائم كانت كالقنا والقنابل

ودس به انحطاطا بطن واد
قد اعشب شعر لحيته ضراء

(قال ابن خفاجة) وحضرت يوما مع أصحاب لي ومعهم صبي متهم في نفسه واتفق انهم تباروا في تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبي فأفرط في تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلى لك الخير رمانة
لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنب أمص عنقوده
ثديا كأني بعد في المهد
وهل ترى بينهما نسبة
من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف (قال) وخرجت يوما بشاطبة الى باب الشمار بن ابتغاء الفرجة على خرير الماء بتلك الساقية وذلك سنة ثمانين وأربعمائة واذا بالفقيه أبي عمران بن أبي تليد رحمه الله قد سبقني الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك

وأى بابك منه التى لاشمرا لها * سوى سلم ضيم أو صفيحة قاتل
تراه الى الهيجاء أول راكب * وتحت ضبير الموت أول نازل
تسربل سربالا من الصبر وارتدى * عليه بعضب فى الكريهة فاصل

وبعده البيتان والنواهل جمع ناهلة من نهل اذا روى والرايات الأعلام (ومعنى البيت الاول) انك ترى الطير كائنة على آثارنا لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم من نقتلهم من أعدائنا (ومعنى البيتين الاخيرين) أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى لانه اذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى فتلقى ظلالها عليها والعقاب يطلق على الراية الضخمة قال الشاعر

وهو اذا الحرب هفا عقابه * من جرحرب تلتظى حرابه

وقال الآخر

ورب ظل عقاب قد وقيت به * مهرى من الشمس والابطال تجتلد

(والشاهد فى الابيات) أن يؤخذ بعض معنى المأخوذ منه ويضاف اليه ما يحسنه فان أبا تمام لم يلم بشئ من معنى قول الأفوه رأى عين ولا قوله ثقة أن ستمار لكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله الا انها لم تقاتل وبقوله فى الدماء نواهل وبقوله أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش وبهذه الزيادة يتم حسن قوله الا أنها لم تقاتل لانه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير الا انها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن لان اقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة انها أيضا تقاتل مثل الجيش فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق بخلاف وقوع ظلها على الرايات وما ذكر فى الابيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء وأول من نطق به الأفوه هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم * من الضاريات بالدماء النوائب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها * اذا عرض الخطى فوق الكواثب

وقول أبى نواس

واذا مج القنا علقا * وتراءى الموت فى صوره
راح فى ثنيى مفاضته * أسد يدمى شبا ظفره
تتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره

ولما سمع محمود الوراق أبا نواس ينشد هذه الابيات قال ما تركت للنابغة شيأ حيث يقول اذا ما غزوا وأنشد الابيات فقال له أبو نواس أسكت فان كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع وتبع أبا نواس مسلم فقال

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

ومن هذا المعنى قول حميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا

اذا ما غدا يوما رأيت غمامة * من الطير ينظرن الذى هو صانع

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم

لا تشبع الطير الا فى وقائعه * فأينما سار سارت خلفه زمرا
عوارفا أنه فى كل معترك * لا يغمد السيف حتى يكثر الجزرا

وأخذه بكر بن النطاح فقال

وترى السباع من الجوا * رح فوق عسكرنا جوانح

مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه متأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمر ولا تمر
ر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده
أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها
قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى
واذا رنا واذا انطلق
شغل الخواطر والجوا
رح والمسامع والحدق

(فقلت) وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما فى القطعة سياقة الاعداد والاستنزال لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحد منها ما يلائمه وهل ينزل بازاء قوله واذا انطلق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى أن

ثقــة بأن الانزا ✽ ل نمير ساغيها الذبائح

وأخذه ابن جهور فقال ترى جوارح طيرا الجوّ فوقهم ✽ بين الاسنة والرايات تختفق

وأخذه آخر فقال ولست ترى الطير الحوائم وقعا ✽ من الارض الاحيث كان مواقعا

ومنه قول الكميت بن معروف

وقــد ستــرت أسنتــه المواضى ✽ حدىّ الجوّ والرخم السغاب

ومنه قول بعضهم والطيران سار سارت فوق موكبه ✽ عوار فانه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبي بقوله له عسكرا خيل وطير اذا رمى ✽ بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

وله في قريب منه يطمع الطير فيهم طول أكلهم ✽ حتى تكاد على أحيائهم تقع

وقد أشار الى هذا المعنى أبو فراس بقوله

وأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا ✽ وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ومنه قول ابن شهيد الاندلسيّ

وتدرى سباع الطير أن كماته ✽ اذا لقيت صيد الكماة سباع

تطير جياعا فوقه وتردّها ✽ ظباه الى الاوكار وهي شباع

وقد يقع اتفاق الشاعرين في اللفظ والمعنى جميعا أوفي المعنى وحده ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر كما يحكى أن سليمان بن عبد الملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضرا فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم فاستعفى فما أعفى وقد أشير الى سيف غير صالح للضرب فلم يستعمله وقال انما أضرب بسيف أبي رغوان سيف مجاشع يعني سيفه ثم ضرب به الرومى فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم ✽ خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفي من رعب ولا دهش ✽ عن الاسير ولكن أخر القدر

ولن يقدّم نفسا قبل ميتتها ✽ جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

ثم أغمد سيفه وهو يقول ماان يعاب سيد اذا صبا ✽ ولا يعاب صارم اذا نبا

ثم جلس يقول كأني بابن المراغة يعني جريرا وقد هجاني فقال

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ✽ ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وقام فانصرف وحضر جرير فأخبر الخبر ولم ينشد الشعر فأنشأ يقول البيت بحروفه وزاد

ضربت به عند الامام فأرعشت ✽ يداك وقالوا محدب غير صارم

فأعجب سليمان ماشاهد ثم قال جرير يا أمير المؤمنين كأني بابن القين يعني الفرزدق قد أجابني فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم ✽ اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ماعداه فقال مجيبا

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ✽ وتقطع أحيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم ✽ اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الروميّ جاعلة لكم ✽ أبا من كليب أو أخا مثل دارم

ويضارع هذا ما يحكى أن المهدي أتى بأسرى من الروم فأمر بقتلهم وكان عنده شبيب بن شبة فقال له اضرب عنق هذا العلج فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعيربه قومه الى اليوم فقال انما أردت تشريفك وقد أعفيتك وكان أبو الهول الشاعر حاضرا فأنشد

جزعت من الروميّ وهو مقيد ✽ فكيف اذا لاقيته وهو مطلق

دعاك أمير المؤمنين لقتله ✽ فكاد شبيب عند ذلك يفرق

فنحّ شبيبا عن قراع كتيبة ✽ وأدن شبيبا من كلام يلفق

هذا غاية الجهل وقلت بديها

ومهفهف طاوي الحشى

خنث المعاطف والنظر

ملأ العيون بصورة

تليت محاسنها سور

فاذا رنا واذا مشى

واذا شدا واذا سفر

فضح الغزالة والغما

مة والحمامة والقمر

يلغز بها (قال علىّ بن ظافر) والقطعة الاولى ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين بن علىّ بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة (وبالاسناد المتقدم) ذكر بن بسام أن أبا عبد الله ابن أبي الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجبه فكتب اليه بديها

جنناك للحاجة المطول صاحبها

وأنت تنم والاخوان في بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم

ثم افترقنا على رأي ابن عبدوس

أشار بهذا القول الى قول

(ومن) توارد الخواطر ما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد يوما لنفسه

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته * تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له أين يذهب بك هذا للحطيئة فقال الآن علمت أني شاعر اذ وافقته على قوله ولم أسمعه ومنه ما حكى الصفي الحلي أنه نظم بيتا من جملة أبيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها أغلالا

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيها فتحسبها * تودّ لو أصبحت اغلال من أسرا

فأسقط بيته الذي نظمه ثم انه نظمه بعد ذلك في بديعيته فقال

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

ولنذكر من أخذ المتأخرين بعضهم من بعض ما يحلو في الاذواق وتحلى به الاوراق فمن ذلك قول القاضي الفاضل في مليح معذر

وكنت وكنا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد

وزاحمني في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

أخذه العز الموصلي فقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك روضتي * وكنا وكانت للزمان مواهب

فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

وقول ابن سناء الملك

وفي القلب تصديع وفي الوصل جبره * وفي الخد دينار وفي الجفن كسره

أخذه ابن نباتة فقال

في خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى الى أن وصل للمعمار فقال

كم حوى جفني معنىً * قلت ألفا وكسورا

وقول السراج الوراق يا ساكنا قلبي على أنه * بوجده في قلق دائب

قلبي من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

أخذ ابن نباتة نكتة الواجب وسبكها في قالب آخر فقال في رامي بندق

أسعدها يا قمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فما تعديت عن الواجب

وقول أبي الحسين الجزار وكتب به الى بعض الرؤساء يستدعي قطرا

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا

لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

فحلى ابن نباتة بهذا القطر فقال

بجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي

والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وقول محيي الدين بن عبد الظاهر

شكرا لنسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه لا غرو أن حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

أخذه الصلاح الصفدي فقال

يا طيب نشر هب من أرضكم * فأنار كامن لوعتي وتهتكي

أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هذه السرقة ابن أبي حجلة فقال

الوزير أبي عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحبسنا * فنلعنه ونفترق

(قال ابن بسام) كان أبو عبد الله ابن عائشة البلنسي مع ابن خفاجة في جماعة من أهل الادب تحت دوحة خوخ منورة فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر فقال ابن عائشة ارتجالا

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصباح اليها * فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

(وأخبرني) أبو عبد الله محمد القرموني المقدم ذكره بدمشق قال كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شيء لمدح مدحه به فلم يجزه عليه فصنع ذلك الممدوح دعوة للمعتصم بالله

ان ابن أبيك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة وبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه فى الريح

وقول ابن عبد الظاهر أيضا مقتبسا

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما انبرت بالتى هى أحسن

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده ايضاحا فقال

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

وألم به العز الموصلى فقال فدسلوناعن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

وقول ابن عبد الظاهر أيضا وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب

كتبت لكم من أعين القصب التى * لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

أخذه المعمار فقال فى مشبب

هويته مشببا * بعاده برح بى * تيم قلبى بالحجا * ز من عيون القصب

وقول شيخ شيوخ حماة مورّيا بالورد المنسوب الى نصيبين

أفدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب * بوجنة ما أتمّ ريحى * وقد غدا ورد ها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال قد بتّ غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب
تفتح فى وجناته الورد أحمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

وقوله أيضا فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى

قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك ما أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بمقرى وهو من متنزهاتها أيضا

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقرا والغوطة الخضرا
قفا واقرآمنى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرى ولا تنسيا سطرا

وفى مثله للنور الاسعردى

وريم جلالى خمرة من نة جلت * هموى وقد عاينت فى خده سطرا
وربوته الشقراء ناعمة غدت * فيا حسنها من برزة ليتها عذرا

وقول مجير الدين بن تميم فى سجادة

أيا حسنها سجادة سندسية * يرى التقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجى * أماموهم صلوا عليها وسلموا

أخذه ابن نباتة فقال ان سجادتى الحقيرة قدرا * لم يفتها فى بابك التعظيم
شرفت اذ مست اليك فأمست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها ابن الوردى فقال

سجادتى أذكرتنى .. منك الذى كنت أعلم .. أهديتها للحبيب .. صلى عليها وسلم

وقوله أيضا فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * أزيح عن منصبه المعجب

أبى يحيى بن صمادح أحتفل فيها لما يحتفل مثله فى دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السمسير الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له فى الطريق فلما حاذاه رفع صوته قائلا
ياأيها الملك الميمون طائره * ومن لذى مأتم فى وجهه عرس
لاتقربن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس
فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل كلما عمله (قال على بن ظافر) أذكرتنى هذه الحكاية حكاية كنت نسيتها وقد تنبهت الآن لها كان عباد بن الحرش قد مدح رجلا من كبار أصفهان من أرباب الضياع والاملاك والتبع الكثير كنت أعرف اسمه ونسيته فطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده

لا تعجبوا أن فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

ألمّ به الشرف النصيبي فقال

ولولك اذ علوا بجهلك منصبا * علما بأنك عن قليل تبرخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعدذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقوله أيضا دعيت فكان أكلي نخذ طير * ولم أشرب من الصهباء نقطه

ومايومي كأمس وذاك أني * أكلت أوزة وشربت بطه

أخذه الصلاح الصفدي بتمامه فقال

شوى الاوز فأضحت * في حمرة الخد بسطه فقلت تشوى أوزا * أم كنت تشرب بطه

وقوله أيضا وتقدم في حسن التعليل

حبيبي وعدت الكأس منك بقبلة * وأعقب ذاك الوعد منك نفار

وماكان هذا الوهم اغير أنها * علاها لطول الانتظار صفار

أخذه ابن الصاحب فقال ياحابس الكأس لا تردها * من بعد حبس الدنان حسره

واغنم مراحها الطيفا * أورثه الانتظار صفره

وقول ابن العفيف كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا

أيها المعرض عني * حسبك الله تعالى

أخذ المجد ابن مكانس بعضه فقال

يا غصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا يا راحلا بعد ما سباني * حسبك رب السماء تعالى

وقوله أيضا انى لأشكو في الهوى * ماراح يفعل خده

ماكان يدري ما الجفا * لكن تفتح ورده

أخذه الصلاح الصفدي وزاده نكتة أخرى فقال

أقول له ماكان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى

فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي * تفتح وردي والعذار تخرجا

وقول الوداعي من قصيدة بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه ابن نباتة فقال بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

ومحاسن المتأخرين كثيرة والاقتصار على هذه النبذة أولى (والأفوه الاودي) اسمه صلاة بن عمرو بن مالك ابن عوف بن الحرث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة وكان يقال لابيه عمرو بن مالك فارس الشهباء وفي ذلك يقول الأفوه

أبي فارس الشهباء عمرو بن مالك * غداة الوغى اذ مال بالجد عاثر

ولقب بالأفوه لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان وقال الكلبي كان الأفوه من قدماء الشعراء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وتعد كلمته

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم * وان بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها وكان بينه و بين قوم من بني عامر دماء فأدرك بثأره و زاد فأعطاهم ديات من قتل فضلا عن قتلى قومه فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم

نقاتل أقواما فنسبي نساءهم * ولم ير ذو عز لنسوتنا حجلا

نقودونأبى أن نقاد ولا نرى * لقوم علينا في مكارمهم فضلا

وانا بطاء المشي عند نسائنا * كما قيدت بالصيف نجدية بزلا

نظل غيارى عند كل ستيرة * نقلب جيدا واضحا وشوى عبلا

عليه و بعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف دنانير لابي دلف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء اليه من الكرج فلما استحق المغرم خرج عباد ليلا ووقف بين الكرج وأصفهان ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أومأ الى ذلك المساير له وأنشأ بأعلى صوته قل له يا قرينه

قال عباد ذا سمج

جئت في ألف فارس

لغداء من الكرج

ما على النفس بعدذا

في الدناآت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجيء من الكرج الى أصفهان حتى أتغدى والله ما على هذا مزيد من دناءة النفس ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كلما

وانا لنعطي المال دون دمائنا * ونأبى فما نستام دون دم عقلا

وقال أبو عمرو أغار بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر فخرض الأفوه مرضا شديدا فخرج بهم يزيد بن الحرث الأودي وأقام الأفوه الاودي حتى أفاق من وجعه وخرج يزيد بن الحرث فلقي بني عامر وعليهم عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب فلما التقوا عرف بعضهم بعضا فقالت لهم عامر سائد ونافنا أصابنا كان بيننا وبينكم فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين لا والله حتى نأخذ طائلتنا فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال يابني أود والله لتأخذن بطائلتي أولا تحملن على سيفي فاقتتلت أود وبنو عامر فظفرت أود وأصابوا مغنما كثيرا فقال الأفوه في ذلك

ألا يالهف لو شهدت قناتي * قبائل عامر يوم الصليب
غداة تجمعت كعب إلينا * حلائف بين أفناء الحروب
فلما ان رأونا في وغاها * كآساد العرينة والحبيب
تداعوا ثم مالوا عن ذراها * كفعل الجامعات من الوجيب
وطار وا كالنعام ببطن قو * مزايلة على حذر الرقيب

وهو القائل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهدى الامور بأهل الرأي ماصلحت * فان تولت فبالاشرار تنقاد

وهو القائل

والمرء ما يصلح له ليلة * بالسعد تفسده ليالي النحوس
والخير لا يأتي ابتغاء به * والشر لا يفنيه ضرح الشموس

وهو القائل

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ذي قيل وقال
ولم أر في الخطوب أشد هولا * وأصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شيء أمر من السؤال

قال عبد الله بن الزبير هذه الابيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

(ان كنت أزمعت على هجرنا * من غير ما جرم فصبر جميل)
(وان تبدلت بنا غيرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل)

البيتان من السريع وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبي ومعنى أزمعت أجمعت على الامر وثبت عليه والجرم بالضم الذنب والصبر الجميل هو الذي لاشكوى فيه كما أن الصفح الجميل هو الذي لاعتب فيه والهجر الجميل هو الذي لاغيبة فيه (والشاهد في البيت الثاني) الاقتباس من القرآن العظيم وما أحسن قول مجير الدين بن تميم في وكيل بدار القاضي يدعى بالعز

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * فحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أظرف قول بعضهم في ذم وكيل اسمه كثير

كثير شأنك عندي * وعند غيري قليل وحق من هو حسبي * ما أنت نعم الوكيل

(قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره) (قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره)

البيتان للصاحب بن عباد من الرمل والرقيب الحافظ والحارث والمداراة الملاطفة والمخاتلة (والشاهد في البيت الثاني) الاقتباس من الحديث ولفظه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والحفوف الاحاطة بالشيء والمعنى أن وجهك لحسنه جنة فلا بدلي من تحمل مكاره الرقيب كما أنه لابد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف وفي مثله قول بعضهم

غرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عليه عباد بأشد منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها فقال

وهبت ياقوم لكم عرضه * كرامة للشعر لا للفتى

(فقالوا اجزاك الله خيرا) لانه أحرص من ذرة على الذي تجمعه في الشتا (قال علي بن ظافر) وذكر أبو الصلت في رسالته ما معناه انه عزم هو ورفقاؤه على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش في وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا بسم زهره ونسم عطره فأداروا كؤسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون الشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومي ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش

وللهِ في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وقول ابن قلاقس وواللهِ لولا أنه جنة المنى * لما كان محفوفًا لنا بالمكاره

وقول ابن نباتة السعدي عن خده منع الرقيب وبعده داجي عذاره

وإها لها من جنة * حفت بأنواع المكاره

وقول الصفي الحلي يا جنة الحسن التي * حفت لدينا بالمكاره

انى لوجهك عاشق * ولمنظر الرقباء كاره

وقول ابن نباتة في جارية صورت بوجهها حية وعقربا بغالية

قتيلك ما أذكى الهوى جل ناره * الى أن تبدى الخد في جلناره

وأى حية في وجنتيك وعقربا * نعم جنة محفوفة بالمكاره

وقريب منه قول الابله الشاعر البغدادي وكان له ميل الى بعض أولاد البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب داركِ يا بدر الدجى جنة * بغيرها نفسي لا تلهو

وقد روى في خبر أنه * أكثر أهل الجنة البله

ذكرت بهذا ما حكى ابن عساكر عن سلمة بن عاصم قال ما لقيني الاصمعي قط الا قال أرجو أن تكون من أهل الجنة قال فقال لي جليس له انما أراد انك أبله لان أكثر أهل الجنة البله قال لا يبعد فقد كان ماجنا انتهى (والصاحب ابن عباد) هو اسمعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس الطالقاني والطالقان اسم لمدينتين احداهما بخراسان والاخرى من أعمال قزوين وهذه هي التي منها الصاحب ومولده بها أو باصطخر سنة ست وعشرين وثلثمائة وهو أول من سمي بالصاحب من الوزراء لانه صحب مؤيد الدولة من الصبي فسماه الصاحب فغلب عليه ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده وقيل سمي به لانه كان يصحب الوزير ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم خفف فقيل الصاحب (وقال الثعالبي في حقه) ليست تحضرني عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفرده بغايات المحاسن وجمعه أشتات المفاخر الى أن قال ولكني أقول هو صدر المشرق وتاريخ المجد وغرة الزمان وينبوع الفضل والاحسان وكانت حضرته محط رحال الادباء والشعراء وموسم فضائلهم ومترع آمالهم وأمواله مصروفة اليهم وصنائعه مقصورة عليهم ولما كان نادرة عطارد في البلاغه وواسطة عقد الدهر في السماحه جلب اليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل وقول فصل وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبدائع الافهام ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم ودرر القرائح فبلغ في البلاغة ما يعد في السحر ويدخل في باب الاعجاز وسار كلامه مسير الشمس ونظم ناحيتي الشرق والغرب واحتف به من نجوم الارض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربي عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم في الاخذ برقاب القوافي وملك رق المعاني فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء كأبي نواس وأبي العتاهية والعتابي والنميري ومسلم بن الوليد وأبي الشيص وأشجع السلمي ومروان بن أبي حفصة وغيرهم وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان والري وجرجان مثل السلامي والخوارزمي والمأموني والبديهي والرستمي والزعفراني والضبي والجرجاني وأبي قاسم بن أبي العلاء وابن بابك وابن القاشاني والبديع الهمذاني وأبي الفرج الساوي وغيرهم ومدحه كاتبه الشريف الرضي وابن حجاج والصابئ وابن سكرة الهاشمي وما أحسن قول الصاحب المتقدم في شواهد الادماج

ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد في كل نادى

قال وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول ان مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ودرج في وكرها ورضع أفاويق درها وورثها عن أبيه كما قال الرستمي فيه

والنيل تحت الرياض مضطرب
كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة
دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا
فنحن من نسجها على فرش
فعاطني الراح ان تاركها
من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة
فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل
دعاه داعي الهوى فلم يطش

(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسي عن الفقيه الشريف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن يحيى العثماني الديباجي عن أبي اسحق ابراهيم بن المنفق اللخمي السبتي عن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت قال كنت مع الحسن بن علي بن

ورث الوزارة كابراعن كابر * موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا * رته واسمعيل عن عباد

(قال) ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له لك فى هذه الدولة من إرث الوزارة ما لنا فيها من إرث الامارة فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه (قال) وحدثنى عون بن الحسين الهمذانى قال كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب ابن عباد فرأيت فى دستور كاتبها وكان صديقى مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين قال وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه فى داره فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوما الى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيأ فنظر اليه الصاحب وقال على به فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه فأمر الصاحب بأخذ الدرج من يده فقام وقال أيد الله مولانا الصاحب

اسمعه ممن قاله تزدد به * عجبا فحسن الورد فى أغصانه

فقال هات يا أبا القاسم فأنشده أبياتا منها

سواك يعد الغنى ما اقتنى * ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عباد المرتجى * تعد نوالك نيل المنى
وخيرك من باسط كفه * وممن ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى * فأصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحما * وأشكرهم عاجزا ألكنا
أيا من عطاياه تهدى الغنى * الى راحتى من نأى أودنا
كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون فى * ضروب من الخز الا أنا
ولست أذكر بى جاريا * على العهد يحسن أن يحسنا

فقال له الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت مركوبا غيرها لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة ودراعة وقميص وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز أعطيناكه (قال) وحدثنى أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدى قال شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده

هذا فؤادك نهبى بين أهواء * وذاك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم * داء لعمرك ما أبلاه من داء
لا تستقر بأرض أو تسير الى * أخرى بشخص قريب عزمه ناءى
يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ * ـعذيب يوما ويوما بالخليصاء
وتارة ينتحى نجدا وآونة * شعب الغوير ويوما قصر تيماء

قال فرأيت الصاحب مقبلا عليه حسن الاصغاء الى انشاده حتى عجب الحاضرون فلما بلغ الى قوله

أدعى بأسماء نبذا فى قبائلها * كأن أسماء أضحت بعض أسمائى
ألقيت شعرى وألقت شعرها طربا * فألفا بين اصباح وامساء

مال الصاحب عن دسته طربا حتى بلغ قوله فى المدح

لو أن سحبان جاراه لأسحبه * على خطابته أذيال فأفاء
أرى الاقاليم قد ألقت مقالدها * اليه مستلقيات أى إلقاء
فساس سبعتها منه بأربعة * أمر ونهى وتثبيت وامضاء
كذاك توحيده ألوى بأربعة * كفر وجبر وتشبيه وارجاء

تميم بن معد بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد رمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا قد خلقت كفه
لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها
قد حسدت فى قربك الناسا
وودت الافلاك لو أنها
تحولت تحتك أفراسا
كانثنى البدر لو أنه
أضحى لنشابك برجاسا

(أخبرنى) الشيخ الاديب أبو الحسن على بن خروف القيسى القرطبى رحمه الله قال صنع الوزير أبو جعفر أحمد وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مروان فى غلام أسود بيده قضيب نور بديها

وزنجى أتى بقضيب نور
وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفه
فقلت الليل أقبل بالنجوم

نعم تجنب لا يوم العطلة كما * تجنب ابن عطاء لثغة الراء

فاستعاده وطرب للمعنى فلما ختمها بهذه الابيات

أطرى وأطرب للاشعار أنشدها * أحسن بهجة اطرابى واطرائى
ومن مناقح مولانا مدائحه * لان من زنده قدحى وايرائى
نخذ المليك ابن عباد محبرة * لا البحترى يدانيها ولا الطائى

قال له أحسنت أحسنت ولله أنت وتناول النسخة وتشاغل باعادة النظر فيها ثم أمر له بخلعة من ملابسه وفرس من مراكبه وصلة وافرة (قال) وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن الضوى قال سمعت الصاحب يقول أنفذ الى أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وماوراء النهر يريدنى فيها على الانحياز الى حضرته ليلقى الى مقاليد ملكه و يعتمدنى لوزارته قال وكان فيما اعتذرت به اليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى وحاجتى لنقل كتبى خاصة الى أربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى (وحدثنى أيضا) قال سمعت الصاحب يقول حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة وأنا اذ ذاك فى ريعان شبابى فلما تقوض ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حل الافطار أنكرت ذلك بينى وبين نفسى وعجبت من إغفاله الامر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته وعاهدت الله أن لا أخل بما أخل به اذا قمت يوما مقامه قال فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائنا من كان فيخرج من داره الا بعد الافطار وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفس مفطرة وكانت صلاته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ مايطلق منها فى جميع السنة (قال وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديع الزمان) قال لما أدخلنى أبى الى الصاحب ووصلت الى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الارض فقال لى يابنى أقعد كم تسجد كأنك هدهد (وكان) الصاحب فى الصغر اذا أراد المضى الى المسجد ليقرأ تعطيه والدته دينارا ودرهما فى كل يوم وتقول له تصدق بهذا على أول فقير تلقاه فجعل هذا دأبه فى شبابه الى أن كبر وماتت والدته وهو على هذا يقول للفراش فى كل ليلة اطرح تحت المطرح دينارا ودرهما لئلا ينساه فبقى على هذا مدة ثم ان الفراش نسى ليلة من الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار فانتبه وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدينار والدرهم فما رآهما فتطير من ذلك وظن أنه قرب أجله فقال للفراشين شيلوا كل ماهنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لاول فقير تلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير فلقوا فقيرا أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى فقالوا له تقبل هذا فقال ماهو فقالوا مطرح ديباج ومخاد ديباج فأغمى عليه فأعلموا الصاحب بأمره فأحضره وسقاه شرابا بعد مارش عليه الماء فلما أفاق سأله قال اسألوا هذه المرأة ان لم تصدقونى فقال له اشرح فقال أنا رجل شريف ولى ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه بها ولى سنتان آخذ القدر الذى يفضل من قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية أو ما أشبه ذلك فلما كان البارحة قالت أمها اشتهيت لها مطرح ديباج ومخاد ديباج فقلت لها من أين لى ذلك وجرى بينى وبينها خصومة الى ان سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى على فقال الصاحب لا يكون الديباج الامع ما يليق به على بالانماطيين فجىء بهم فاشترى منهم الجهاز الذى يليق بذلك المطرح وأحضر زوج الصبية ودفع اليه بضاعة سنية (قال وحدثنى أبو منصور البيع) قال دخلت يوما على الصاحب ابن عباد فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت لعلى طولت فقال لا بل تطولت (يحكى) أن الصاحب استدعى فى بعض الايام شرابا فأحضر واقدحا فلما أراد أن يشربه قال له بعض خواصه لا تشربه فانه مسموم وكان الغلام الذى ناوله واقفا فقال للمعذر ما الشاهد على صحة قولك قال تجربه فى الذى ناولك اياه قال لا أستجيز ذلك ولا أستحله قال فجربه فى دجاجة قال التمثيل بالحيوان لا يجوز ورد القدح وأمر بقلبه وقال للغلام انصرف عنى ولا تدخل دارى وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه وقال لا يدفع اليقين بالشك والعقوبة بقطع الرزق نذالة

(وأخبرنى) أن الاستاذ ابن الطراوة حضر مجلس شراب فعجز بعض الندماء عن الشرب كما يشرب الجماعة وسألوه فى شرب نصيبه من بعض الادوار ففعل وقال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله
وكل من تحمد أفعاله
والسكران لم يستطع رحله
تلقى على البازل أثقاله

(أنبأنى) الشيخان تاج الدين ابن اليمن الكندى وقاضى القضاة جمال الدين أبو القاسم ابن الحرستانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر قال وقد ذكر ابراهيم ابن سعيد الاسكندرى المعروف بالسديد وذكره انا أبو عبد الله بن المحلى فيمن لقيه من أهل الادب قال كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات فأراد السديد اختباره كما

(يقال) أن ابن الخطيرى أتى يوما اليه فقام له فخر مسرعا لاجله فضرط فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال بل صفير التخت فذهب واستحيى وانقطع فكتب اليه

قل للخطيرى لا تذهب على خجل * بضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تمسكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

وكان الصاحب قد ولى عبد الجبار الاستربادى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوما ولم يترجل له وقال أيها الصاحب أريد أن أترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك وكان يكتب فى عنوان كتابه الى الصاحب داعيه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب وليه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب عبد الجبار بن أحمد فقال الصاحب نطق القاضى يؤول أمره الى أن يكتب الجبار وقال الصاحب يوما ما أقطعنى الا شاب بغدادى ورد علينا الى أصبهان فقصدنى فأذنت له وكان عليه مرقعة وفى رجله نعل طاق فنظرت الى حاجبى فقال له وهو يصعد الى اخلع نعلك فقال ولم لعلى أحتاج اليها بعد ساعة فغلبنى الضحك وقلت أتراه يريد أن يصفعنى بها (وقال بديع الزمان الهمذانى) كنت عند الصاحب ابن عباد فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب وهى

غنينا بالطبول عن الطلول * وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقارى عن عقارى * ففى است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى * لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب * بها يعوى وليث وسط غيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد * وان نحروا ففى عرس جليل
يساوون السيوف برأس ضب * هراشا بالغداة وبالاصيل
بأية رتبة قدمتموها * على ذى الاصل والشرف الجليل
ألا لو لم يكن للفرس الا * نجار الصاحب العدل النبيل
لكان لهم بذلك خير عز * وجيلهم بذلك خير جيل

فلما بلغ الى هنا قال له الصاحب قدك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأطراف القوم فلم يرنى وكنت فى زاوية من زوايا البيت فقال أين أبو الفضل فوثبت وبست الارض بين يديه فقال أجبه عن ثلاثتك قلت وما هى قال أدبك ونسبك ومذهبك فقلت ولا مهلة للقول الا بما تسمع

أراك على شفى خطر مهول * بما أودعت نفسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا * متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليهم * فأى الخزى أقعد بالذليل
متى فرع المنابر فارسى * متى عرف الاغر من الحجول
متى علقت وأنت بهم زعيم * أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك فخرا * على قحطان والبيت الاصيل
وحقك ان تباريبنا بكسرى * فأثور ككسرى فى الرعيل
فخرت بنحو ملبوس وأكل * وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن فى خد أسيل * وفرع من مفارقها رسيل
فأمجد من أبيك اذا أثرنا * عراة كالليوث وكالنصول

قال فلما أجبته بهذه الابيات نظر الصاحب ابن عباد الى الرجل فقال كيف ترى فقال لو سمعت بما صدقت قال فاذن جائزتك ان وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك ثم قال لا ترون رجلا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها (قال وحدثنى أبو منصور البيمى) قال أهدى العميرى قاضى قزوين الى الصاحب كتبا وكتب معها

يجب فأطفأ النار فقال صاعد بديها

نار تمها السديد فردها * بردا وكانت قبل وهى جحيم
فكأنما المنفاخ آية ربه * وكأن ابراهيم ابراهيم

(وأنبأنى) جميعا عن الشيخ الحافظ أبى القاسم قال أنشدنا أبو بكر عبد الله بن منصور قال أنشدنا أبو الحسن محمد بن على بن الصفراء الواسطى لنفسه ارتجالا وقد دخل عزاء الصبى وهو فى عصر المائة وبه ارتعاش فتغامز عليه الحاضرون فقال

اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله اذ * توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف * وما بين ذلك هذا المصير

(وبهذا الاسناد) قال الحافظ أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الغسانى قال سمعت أبى ينشد لنفسه

العميرى عبد كافى الكفاة * وان اعتدّ من وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات
فوقع تحتها
قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي * قول خذ ليس مذهبي قول هات

(قال) وكتب اليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولودا ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع فى رقعته أسعدك الله بالفارس الجديد والطالع السعيد فقد والله ملأ العين قرّة والنفس مسرّة مستقرّة فالاسم على ليعلى الله أمره والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره فانى لأرجوله فضل جدّه وسعادة جدّه وقد بعثت دينارا من مائة مثقال قاصدا فيه مقصد الفال رجاء أن يعيش مائة عام ويخلص خلوص الذهب الابريز من نوب الايام والسلام (وكتب) اليه أبو حفص الوراق رقعة نسختها ولولا ان الذكرى أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل تنفع المؤمنين وهز الصمصام يعين المصلتين لما ذكرت ذكرا ولا هززت ماضيا ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفه وجرذان داره عنها منصرفه فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله عنده فعل ان شاء الله فوقع عليها أحسنت أبا حفص قولا وسنحسن فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قال) وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبى يقول كتب بعض أتباع الصاحب اليه رقعة فى حاجة فوقع فيها ولما وردت اليه لم ير فيها توقيعا وقد تواترت الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرضها على أبى العباس الضبى فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان ختام الرقعة فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل وأثبت الصاحب أمام فعل ألفا يعنى أفعل (قال) وبلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيأ من شعره فكتب اليه

سرقت شعرى وغيرى * يضام فيه ويخدع * فسوف أجزيك صفعا
يكد رأسا وأخدع * فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

قال فاتخذ الليل جملا وهرب من الرى (وقال) محمد بن المرزبان كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس وأخذ انسان يقرأ سورة الصافات فاتفق أن بعض الاجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضا وضرط ضرطة منكرة فانتبه الصاحب وقال يا أصحابنا نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات (وقال أيضا) انفلتت ليلة ضرطة من بعض الحاضرين والصاحب فى الجدل فقال على حدته كانت بيعة أبى بكر خذوا فيما أنتم فيه يعنى أنه قيل فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه انها كانت فلتة (ولما) كان الصاحب ببغداد قصد القاضى أبا السائب عتبة بن عبيد الله لقضاء حقه فتثاقل فى القيام له وتحفز تحفزا أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه وقال نعين القاضى على قضاء حقوق أصحابه فخجل القاضى واعتذر اليه (وحدّثنى غيره) قال كتب انسان رقعة الى الصاحب أغار فيها على رسائله وسرق فيها جملة من ألفاظه فوقع فيها هذه بضاعتنا ردّت الينا * ووقع فى رقعة استحسنها أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون * ووقع فى كتاب لبعض مخالفيه فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون * ووقع فى رقعة أبى محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضبا ثم كتب اليه يستأذنه لمعاودة حضرته ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت * ووقع فى رقعة بعض خطاب الاعمال التصرّف لا يلتمس بالتكنف ان احتجنا اليك صرفناك والا صرفناك (وعزل) الصاحب عاملا بقم فكتب اليه أيها العامل بقم قد عزلناك فقم * وسأل أبا الحسين الربعى عن مسألة فأجاب جوابا أخطأ فيه فقال له أصبت فقبل الارض بين يديه شكرا فلما رفع رأسه قال عين الخطاء * ووقع اليه بعض منهى الاخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره فى غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع فوقع دارنا هذه خان يدخلها من وفى ومن خان (قال) وبلغنى عن القاضى أبى الحسن على ابن عبد العزيز الجرجانى أنه قال انصرفت يوما من دار الصاحب وذلك قبل العيد فجاءنى رسوله بعطر الفطر

بديهيا فى صفة نهر ثوراء بحضرة أبى عبد الله محمد بن الخياط الشاعر

دمشق دار رعاها الله من بلد
ونهر ثور اسقاه الله من واد
كأنه ونسيم الريح تخمشه
نقش المبارد فى سلساله الهادى
مزجت بالراح منه الراح فاكتسبت
لونا وطعما غريبا غير معتاد
فى روضة من رياض الخلد باكرها
صوب الغمام بابراق وارعاد
ظللت فيها رخىّ البال مع رشا
مهفهف كقضيب البان مياد

(قالا) وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى قال أنشدنى أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبى الهمام لنفسه وكتبه لى بخطه مما أنشده وقد حضر بين يدى أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على

ورقعة

ورقعة مكتوب فيها يا أيها القاضي الذي نفسي له * مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول أن الصاحب يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلدان وقد استعفيته يوما من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأنشدني لنفسه

أكرم أخاك بأرض مولده * وأمده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس * وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي قد فرغت من هذا المعنى في قصيدتك العينية فقلت لعل مولاي يريد قولي

وشيدت مجدي بين قومي فلم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال ما أردت غيره والاصل فيه قوله تعالى ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (قال) وأنشدني أبو حنيفة الدهستاني للصاحب ما كتب به الى أبي هاشم العلوي وقد أهدى اليه يوم أضحى عطرا في طبق فضة

اقبل من الطيب الذي أهديته * ما يسرق العطار من أخلاقك
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه * فأضف به طبقا الى أطباقك

(قال) وبلغني عن الصاحب أنه قال ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة فأذن لي فيه وما أذكر أنه تبذل بين يدي ومازحني الامرة واحدة فانه قال لي في شجون الحديث بلغني أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال والنيك نيك الرجال فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ معه الى الهزل ونهضت كالمغاضب فما زال يعتذر الي مراسلة حتى عاودت مجلسه ولم يعد بعدها الى ما يجري مجرى المزاح والهزل (قال) وسمعت أبا الحسين العلوي الهمذاني الوصي قال لما توجهت تلقاء الري في سفارتي اليها من جهة السلطان فكرت في كلام ألقى به الصاحب فلم يحضرني ما أرتضيه وحين استقبلني في العسكر وأفضى عناني الى عنانه جرى على لساني ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقال اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون ثم قال مرحبا بالرسول ابن الرسول والوصي ابن الوصي (قال) وسمعت عونا الهمذاني يقول ان الصاحب أتي بغلام مثاقف فلعب فاستحسن الصاحب صورته وأعجب بخفته فقال لاصحابه قولوا فيه شيأ فلم يرضه ما قالوا فقال

مثاقف في غاية الحذق * فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه * بالبدر اذ يلعب بالبرق

(قال) وسمعت سهل بن المرزبان يقول كان الصاحب اذا شرب الماء والثلج أنشد على أثره

قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول اللهم جدد اللعنة على من منع الحسين الماء (وقال غيره) كان ابن عباد فصيحا مفوها الكنه يتعقر في خطابه ويستعمل وحشي الكلام حتى في انبساطه وكان يعيب التيه ويتيه ولا ينصف من يناظره (وقيل) كان مشوه الصورة وصنف في اللغة كتابا سماه المحيط في سبع مجلدات وله كتاب الكافي في الترسل وكتاب الاعياد وكتاب الامامة ذكر فيه فضائل علي رضي الله عنه وأثبت امامة من تقدمه وكان شيعيا جلدا كآل بويه معتزليا وكان يقول شاركت الطبراني في اسناده ويقال انه نال من البخاري وقال هو حشوي لا يعول عليه ولما عزم على الاملاء تاب الى الله تعالى واتخذ لنفسه بيتا سماه بيت التوبة ولبث اسبوعا على الخير ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ثم جلس للاملاء وحضر خلق كثير (يحكى) أنه خرج متحنكا متطيلسا بزي العلماء وحضر خلق فكان المستملي الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه وكان ينفذ الى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والادباء وكان يبغض من يميل الى الفلسفة ومرض في الاهواز بالاسهال فكان اذا قام عن الطست ترك الى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم فكانوا يودون دوام علته ولما عوفي تصدق بنحو من خمسين ألف دينار

البديهة
ولما شأوت الحاسدين الى مدى
رفيع تزل العصم دون مرامه
ورفعت الاستار لي دون ماجد
شفى غلتي من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان بجوره
وصلت على كيد العدا بانتقامه
(وأخبرني) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الفرموني قال لما أفرط أبو يحيى البكاء في هجاء أهل فاس تعصبوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به

﴿وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الامثال﴾ من استماح البحر العذب استخرج اللؤلؤ الرطب
من طالت يده بالمواهب امتدت اليه ألسنة المطالب من كفر النعمه استوجب النقمه من نبت لحمه
عن الحرام لم يحصده غير الحسام من يكن الحذاء أباه جادت نعلاه من لم يهزه يسير الاشاره لم ينفعه
كثير العباره رب لطائف أقوال تنوب عن وظائف أموال الشمس قد تغيب وتشرق والروض يذبل ثم
يورق والبدر يأفل ثم يطلع والسيف ينبو ثم يقطع العلم بالتذاكر والجهل بالتناكر الذكرى ناجعه
وتما قال الله تعالى نافعه بعض الحلم مذله وبعض الاستقامة مزله كتاب المرء عنوان عقله بل عيار قدره
ولسان فضله بل ميزان علمه انجاز الوعد من دلائل المجد واعتراض المطل من أمارات البخل وتأخير
الاسعاف من قرائن الاخلاف لكل أمر أجل ولكل وقت رجل شجاع ولا كعمرو ومندوب
ولا كصخر كفران النعم عنوان النقم للصدر نفثة اذا أحرج وللربثة اذا أحوج قد يصلى البرىء
بالسقيم ويؤخذ البر بالاثيم ما كل طالب حق يعطاه ولا كل شائم مزن يسقاه ﴿ملح وظرف من
ألفاظه﴾ أخبرنى عن سفرتك وما حصل بها فى سفرتك وجدت حرا يشبه قلب الصب ويذيب دماغ
الضب لا اعتراض بين الشمس والقمر والروض والمطر مرحبا بزائر لباسه حرير وأنفاسه عبير زائر
وجهه وسيم وريحه نسيم وفضله جسيم فقر كما جيدت الرياض وفصول كما تغامزت المقل المراض
ألفاظ كما تورت الاشجار ومعان كما تنفست الاسحار نثر كنثر الورد ونظم كنظم العقد كتابك رقية
السليم وغرة العيش البهيم عشرته ألطف من نسيم الشمال على أديم الماء الزلال وألصق بالقلب من
علائق الحب شكره شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه أثنى عليه ثناء العطشان الوارد على
الزلال البارد ﴿رقعة استزارة﴾ هذا اليوم ياسيدى طاروني يعجبنى جوه الفاختى واذ قد غابت شمس
السماء عنا فلابد أن تدنو شمس الارض منا فان نشطت للحضور شاركتنا فى السرور والافلا إكراه
ولا إجبار ولك متى شئت الخيار ﴿رقعة أخرى﴾ غدا ياسيدى ينحسر الصيام وتطيب المدام فلابد أن
تقيم أسواق الانس نافقه وتنشر أعلام السرور خافقه فبالفتوة فانها قسم الظراف تنرض حسن
الاسعاف ولو رأى المروءة حاجة بجناح بادرتها ولو على جناح الرياح ﴿أخرى﴾ نحن ياسيدى فى مجلس
غنى الا عنك شاكر الا منك قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت
مجامر الاترج وفتقت فارات النارنج وأنطقت ألسنة العيدان وقام خطباء الاوتار وهبت رياح
الاقداح ونفقت سوق الانس وقام منادى الطرب وطلعت كواكب الندما وامتدت سماء الند
فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد وتتصل الواسطة بالعقد ﴿أخرى﴾ نحن وحياتك فى مجلس
راحه ياقوت ونوره در ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زبرجد وألسنة العيدان تخاطب
الظراف بهلم الى الاقداح لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته وعباب أخذت جدته فأحب أن تكون
الينا أسرع من الماء فى انحداره والقمر فى مداره ﴿تهنئة ببنت﴾ أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء
وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار ومبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون

ولو كان النساء كمثل هذى * لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبا * ولا التذكير فخرا للهلال

فادرع ياسيدى بها اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها
والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت
بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وبها قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف
الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيأ هنيأ ما أوليت
وأوزعك الله شكر ما أعطيت وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد وما بقى الابد وما عمر لبد ﴿رقعة فى
مداعبة﴾ خبر سيدى عندى وان كتمه عنى واستأثر به دونى وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه

الى السجن فرفع اليه وسيق
سوقا عنيفا فلما وصل بابه
طلب ورقة من كاتب
وكتب فيها وأنفذها الى
مظفر مع العون الذى
أوصله الى السجن فكان
ما كتب
ارشوا الزناتى الفقيه ببيضة
يشهد بان مظفرا ذا بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم
ما نال عبد الله عرس أبى
الحسين
(وأخبرنى) الشيخان تاج
الدين العلامة أبو اليمن
الكندى والشيخ جمال الدين
أبو القاسم بن الحرستانى
اجازة عن الشيخ الحافظ أبى
القاسم ابن عساكر قراءة
عليه قال بلغنى أن علقمة بن
عبد الرزاق العليمى لما قصد
بدرا الجمالى بمصر رأى على
بابه أشراف الناس وكبراءهم
وشعراءهم فسألهم عن
حالهم فكل أخبره عن
طول مقامه ببابه وتعذر

وغناء الضيف الطارق وعرسه (وكان ما كان مما لست أذكره) وجرى ما جرى مما لست أنشره وأقول أن مولاى امتطى الاشهب فكيف وجد ظهره وركب الطيار فكيف شاهد جريه وهل سلم على حزونة الطريق وكيف تصرف فى سعة أم مضيق وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمره وقال فى الجملة بالكره فليتفضل بتعريفى الخبر فلا يسعه الانكار ولا يغنى عنه الا الاقرار وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مره كما ساعده فنصلى للقبلة التى صلى اليها ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق الى ذلك الميدان الكثير الفرسان * وله ديوان شعر ومن محاسنه قوله

وشادن جماله * تقصر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى * فقلت لا بل شفتى

وقوله

رشأ غدا وجدى عليه كردفه * وغدا اصطبارى فى هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه * وكأن ليلة هجره من شعره
ان ذقت خمرا خلتها من ريقه * أو رمت مسكا نلته من ثغره

وقوله

ياخاطرا يخطر فى تيهه * ذكرك موقوف على خاطرى
ان لم تكن أشرف من ناظرى * عندى فلا متعت بالناظر

وقوله

قل لابى القاسم الحسين * يانور قلبى ونور عينى
البدر زين السماء حسنا * وأنت زين لكل زين

وقوله

دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له * أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

وقوله فى مليح ألثغ

وشادن قلت له ما اسمه * فقال لى بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا * وقلت أين الكاث والطاث

وقوله فى حبة عنب وحبة من عنب * من المنى متخذه كأنها اللؤلؤة * فى وسطها زمرذه

وقوله

بعثنا من النارنج ما طاب عرفه * وظل على الاغصان منه نوافح
كرات من العقيان أحكم خرطها * وأيدى الندامى حولهن صوالح

وقوله

لو فتشوا قلبى رأوا وسطه * سطرا قد امتد بلا كاتب
حب على بن أبى طالب * وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى

يصد الفضل عنا أى صد * وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلت له جعلت الواو عينا * فان الضعف أجمع فى المودّه

وقوله

قولوا الاخوان اناجميعا * من كلهم سيد مرزا
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد المعزى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى

انى اعتللت علة * سقطت منها فى يدى
وكان فى الاخوان من * لم أرهم فى العود
فقلت فيهم كلهم * قول امرئ مقتصد
ابر الذى قد عادنا * فى است الذى لم يعد

ومثل قول الصاحب قول الآخر

قل للذى لم يعد سقامى * وقلبه مشرب حزازه
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضا

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل رد الطرف فى العين
لا تبرمن مريضا فى مسائلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

(وقال الثعالبى) سمعت أبا الفتح البستى يقول لم أسمع فى انفاذ الحلوى الى الاصدقاء أحسن من قول الصاحب

لقائه له وسألوه عن حاله فأخبرهم بقدومه قاصدا له فكل أيسه من لقائه فبيناهم كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فلما رآه مقبلا على لاتشرا من الارض ثم جعل فى عمامته ريشة نعام ليشهر بها نفسه فلما قرب اليه أومأ برقعة كانت معه وأنشأ يقول

نحن التجار وهذه أعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هى جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع
فأتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا * من دونها السمسار والبياع
فوهبت مالم يعطه فى دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا * فالناس بعدك كلهم أتباع

حلاوة حبك ياسيدى * تسوغ بعثى اليك الحلاوه

فقلت له وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك

ولو كنت أنثر ماتستحق * نثرت عليك سعود الفلك

وللصاحب فى الهجاء والمجون

قال ابن مثوى لغلمانه * وقد حشوه بابور العبيد

لئن شكرتم لأزيدنكم * وان كفرتم فعذابى شديد

وقال فى الغوبرى

ان الغوبرى له نكهة * بنتها أربت على الكنف

ياليته كان بلا نكهة * أوليتنى كنت بلا أنف

وقال فيمن زوج أمه

زوجت أمك يافتى * وكسوتنى ثوب القلق

والحر لايهدى الحو * م الى الرجال على الطبق

وقال

أبو العباس قد أضحى فقيها * يتيه بفقهه فى الناس تيها

وذلك أن لحيتــــه أتتنى * تناظر فقحتى نخربت فيها

وقال

حب على بن أبى طالب * هو الذى يهدى الى الجنه

ان كان تفضيلى له بدعة * فلعنة الله على الســـنه

وقال فى شهر رمضان قد تعدوا على الصيام وقالوا * حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا فى الصيام للمرء مهما * كان مستيقظا أتم الفوائد

موقف بالنهار غير مريب * واجتماع بالليل عند المساجد

وقال

راسلت من أهواه أطلب زورة * فأجابنى أولست فى رمضان

فأجبته والقلب يخفق صبوة * أتصوم عن برّ وعن احسان

صم ان أردت تحرجا وتعففا * عن أن تكد الصب بالهجران

أولا فزرنى والظلام مجلل * واحبسه يوما مر من شعبان

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد

يقولون لى أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل

فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الرجال قليل

(وقال الثعالبى) سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول أنشدنى الصاحب لنفسه من تنفه هذا البيت

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه * فقولوا له يسمح بدرياق ثغره

فاستحسنته جدا حتى حمت من حسدى له عليه ووددت لو أنه بألف بيت من شعرى قال الثعالبى فأنشدت الامير أبا الفضل عبيد الله هــذا البيت وحكيت له هذه الحكاية فى المذاكرة فقال أتعرف من أين سرق الصاحب معنى البيت فقلت لا والله فقال انما سرقه من قول القائر ونقل ذكر العين الى ذكر الصدغ

لدغت عينك قلبى * انما عينك عقرب لكن المصة من ريـ * ـقك درياق مجرب

فقلت لله در الامــير لقد أوتى حظا كبيرا من التخصص بمعرفة التلصص وبما هجى به الصاحب (وماز الت الاملاك تهجى وتمدح) قول أبى العلاء الأسدى

اذا ظفـــرت يحيى فى مرقعـــة * يأوى المساجد حر اضره بادى

فاعلم بان الفتى المسكين قد قذفت * به الخطوب الى لؤم ابن عبـــاد

وقول السلامى

يا ابن عبـــاد بن عبا * س بن عبد الله جرها

تنكر الجبر وأخرجــــت الى العالم كرها

وقول غيره

صاحبنا أحواله عاليه * لكنما غرفته خاليه

يابدر أقسم لو بك اعتصم اورى

ولجوا اليك جميعهم ماضاعوا

(قال) وكان على يد بدر باز فدفعه الى البازدار فضرب على يده وانفرد به عن الجيش وجعل يستعيده الابيات وهو ينشدها الى أن استقر فى مجلســـه ثم التفت الى جماعـــة غلمانه وخاصتـــه وأصحابه وقال من أحبنى فليخلع على هذا الشاعر قال علقمة فوالله لقد خرجت من عنده ومعى سبعون بغلا تحمل الخلع وأمر لى بعشرة آلاف درهـــم فخـــرجت فقلت لمن بيابه الحقونى يامتخلفين فلحقونى بأجمعهم فما فيهم الا من خلعت عليه ووهبت له من جائزتى (وذكر) القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين الآمدى النائب كان فى الحكم بالاسكنـــدرية قال دخلت الى الامير السعيد

وان عرفت السر من دائه * لم تسأل الله سوى العافيه

والجروح قصاص فانه قال يهجو قاضيا

لنا قاض له رأس * من الخفة مملوء وفى أسفله داء * بعيد منكم السوء

(ذكر آخر أمره) لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكلال وانتابته أمراض الكبر وجعل ينشد قوله

أناخ الشيب ضيفا لم أوده * ولكن لا أطيق له مردّا

رداء الردى فيه دليل * تردّى من به يوما تردّى

ولما حكى المنجمون عن عرضه فى سنة موته ما يفيد ذلك قال

ياما لك الارواح والاجسام * وخالق النجوم والأحكام

مدبر الضياء والظلام * لا المشترى أرجوه للانعام

ولا أخاف الضر من بهرام * وانما النجوم كالأعلام

والعلم عند الملك العلام * يارب فاحفظنى من الاسقام

ووقنى حوادث الايام * وهجنة الاوزار والآثام

هبنى لحب المصطفى المقتام * وصنوه وآله الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الابيات

أرى سنتى قد آذنت بعجائب * وربى يكفينى جميع النوائب

ويدفع عنى ما أخاف بمنه * وآمن ماقد خوفوا من عواقب

اذا كان من أجرى الكواكب أمره * معينى فما أخشى صروف الكواكب

عليك أيا رب الأنام توكلى * فخطنى من شر الخطوب الحوازب

فكم سنة حذرتها فتزحزحت * بخير واقبال وجد مصاحب

ومن أضمر اللهم سوءا لمهجتى * فردّ عليه الكيد أخيب خائب

فلست أريد السوء بالناس انما * أريد بهم خيرا مريع الجوانب

وأدفع عن أموالهم ونفوسهم * بجدى وجهدى باذلا للمواهب

ومن لم يسعه ذاك منى فانتى * سأكفاه ان الله أغلب غالب

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة فقال

وكم شامت بى بعد موتى جاهل * بظلم يسل السيف بعد وفاتى

ولو علم المسكين ماذا يناله * من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحد بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب فانه لما توفى أغلقت مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الامراء والقواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة أمام النعش وقعد للعزاء أياما ورثاه الناس بمراث كثيرة منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الاصفهانى من قصيدة

هذى نواعى العلا مذمت نادبة * من بعد ما ندبتك الخرّد العين

تبكى عليك العطايا والصلات كما * تبكى عليك الرعايا والسلاطين

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم * واستيقظوا بعد مامات الملاعين

لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا * مضى سليمان فانحل الشياطين

ومن قصيدة لابى سعيد الرستمى

أبعد ابن عباد يهش الى السرى * أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله الا أن يموتا بموته * فما لهما حتى المعاد معاد

ابن مظفر فى أيام ولايته بالثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأى قطع حلقته قبل أن يتفاقم الامر فيه فقال اختر من يصلح لذلك فاستدعيت أبا منصور ظافر ابن القاسم الحداد فقطع الحلقة وأنشد بديها

قصر فى أوصافك العالم * وأكثر الناثر والناظم

من يكن البحر له راحة * يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الامير ووهبه الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدى الامير غزال مستأنس قد ربض وجعل رأسه فى حجره فقال ظافر

عجبت لجرأة هذا الغزال * وأمر تخطى له واعتمد

وأعجب به اذ غدا جاثما * وكيف اطمأن وأنت الاسد

فزاد الامير والحاضرون

ومن قصيدة لابى الفياض الطبرى

خليلى كيف يقبلك المقيل * ودهرك لا يقيل ولا يقيل
ينادى كل يوم فى بنيه * ألا هبوا فقد جد الرحيل
وهم رجلان منتظر غفول * ومبتدر اذا يدعى عجول
كأن مثال من يفنى ويبقى * رعيل سوف يتلوه رعيل
فهم سفر وليس لهم ركاب * وهم ركب وليس لهم قفول
تدور عليهم كأس المنايا * كما دارت على الشرب الشمول
ويحدوهم الى الميعاد حاد * ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أولينا * وغالتهم من الايام غول
قد احتالوا فما نفع الحويل * وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوال تزول * وأحوال تحول ولا تئول
لنا منه وان عفنا وخفنا * رسول لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلق * الى تبديله أبدا سبيل
لعمرك انه أمد قصير * ولكن دونه أمل طويل
أرى الاسلام أسلمه بنوه * وأسلمهم الى وله يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو * كأن شعاعها الطرف كليل
أرى القمر المنير بدا ضئيلا * بلا نور فأضناه النحول
أرى زهر النجوم محدقات * كأن سراتها عور وحول
أرى وجه الزمان وكل وجه * به مما تكاده فلول
أرى شم الجبال لها وجيب * تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجو أكلف مقشعر * كأن الجو من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم * اذا هبت وأعذبها بليل
وللسحب الغزار بكل فج * دموع لا يذادبها المحول
نعى الناعى الى الدنيا فتاها * أمين الله فالدنيا ثكول
نعى كافى الكفاة فكل عين * بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها

أأحيى بعده وأقر عينا * حياتى بعده غدر غلول
حياتى بعده موت وحى * وعيشى بعده سم قتول

ومن قصيدة الشريف الرضى الموسوى

أكذا المنون تقطر الأبطالا * أكذا الزمان يضعضع الأجبالا
أكذا تصاب الاسد وهى مدلة * تحمى الشبول وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت * لجحا وأوردت الظماء زلالا
يا طالب المعروف حلق نجمه * حط الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى * كان الأنام على نداه عيالا

ولابى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل

والله والله لا أفلحتمو أبدا * بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان جاء منكم جليل فاجلبوا جلبى * أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها (وقال ابن أبى العلاء الاصفهانى) رأيت فى المنام قائلا يقول

فى الاستحسان وتأمل ظافر شبا كا على باب المجلس تمنع الطير من دخولها فقال

رأيت ببابك هذا المنيف * شبا كا فأدخلنى بعض شك
وفكرت فيما رأى خاطرى * فقلت البحار مكان الشبك

(وأنبأنى العماد بن حامد) قال وفد أبو الصقر الواسطى على نظام الملك رحمه الله فحجب عنه فكتب اليه بديها

لله درك ان دارك جنة * لكن خلف الباب منها مالكا
هذا نظام الملك ضد المقتضى * قد كان يروى عن جهنم ذلكا
أنعم بتيسير الحجاب فاننى * لاقيت أنواع النكال هنالكا
مالى أصادف فى رحابك جفوة * وأنا غنى راغب عن مالكا

(قال) فلما أذن له قال له اذا كنت غنيا عن مالنا فأنت كف عنا فقال كلا أنت شافعى المذهب وقد جئتك المذهبك لا لذهبك (وأنبأنى العماد أيضا) قال ذكر عمارة فى

يقول لى لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك فقلت أجتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها فقال أجزها أقول

ثوى الجود والكافى معافى حفيرة فقلت ليأنس كل منهما بأخيه

فقال هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت ضجيعين فى لحد بباب دريه

فقال اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت أقاما الى يوم القيامة فيه

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل الى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه قال ابن خلكان وهى عامرة الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض رحمه الله وعفى عنه

﴿لئن أخطأت فى مدحك * فما أخطأت فى منعى﴾

﴿لقد أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع﴾

البيتان من الهزج وينسبان لابن الرومى لكن رأيت فى الاغانى نسبتهما الى اسمعيل القراطيسى ولفظه حدثنى أحمد بن بشر المرثدى قال مدح اسمعيل القراطيسى الفضل بن الربيع فحرمه فقال فيه وذكر البيتين وذكر قبلهما بيتا آخر وهو ألا قل للذى لم يهـده الله الى نفعى

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الاول بيتين وهما

لسانى فيك محتاج * الى التخليع والقطع وأنيابى وأضراسى * الى التكسير والقلع

(والشاهد فيهما) الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الاصلى فان معناه فى القرآن واد لا ماء فيه وهنا نقله الى جناب لا خير فيه ولا نفع ومثله قول الخباز البلدى

ألا ان اخوانى الذين عهدتهم * أفاعى رمال لا تقصر عن لسعى

ظننت بهم خيرا فلما أتيتهم * نزلت بواد منهم غير ذى زرع

وقول الآخر

جميع ما يفعله كلفة * الا أذاه فهو بالطبع

من حل منا بفناه له * حل بواد غير ذى زرع

وللمؤلف وقد نقله الى المدح

عجبت لمطلبى أنى * يقابل منك بالمنع

وما أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

﴿والقراطيسى﴾ هو اسمعيل بن معمر الكوفى مولى الاشاعثة وكان مألفا للشعراء وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ويساعدهم واياهم يعنى أبو العتاهية بقوله

لقد أمسى القراطيسى رأسا فى الكساجنة يعنى الكشاخنة ومن شعره

ويلى على ساكن شط الصراه * مرزحبيه على الحياه

ماتنقضى من عجب فكرتى * من خصلة فرّط فيها الولاه

ترك المحبين بلا حاكم * لم يقعد للعاشقين القضاه

يقول فيها

وقد أتانى خبر ساءنى * مقالها فى السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغى وصلنا * أما يرى ذا وجهه فى المراه

قال القراطيسى قال لى العباس بن الاحنف هل قلت فى معنى قولى هذا شيأ فقال نعم ثم أنشدنى

جارية أعجبها حسنها * ومثلها فى الناس لم يخلق

خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطق

والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق

قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(وحدث) أبو هفان عن الجماز قال اجتمع يوما أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية فى الحمام وهم مخمورون

كتابه فى أشعار أهل اليمن قال وهب الداعى محمد بن سبا لابن سلمان رجل من قومه ألف دينار والقاضى يحيى بن أحمد بن يحيى حاضر وبنو يحيى بيت كبير بصنعاء فارتجل القاضى لوقته لا تخر الا اذا أقبلت مستلما كف المكين ظهير الدين مولانا هى التى تهب الآلاف وافية ان كنت غرا فسل عنها ابن سلمانا فقال الداعى أنا أبو عبد الله أما ابن سلمان فهو ابن عمى وانما المسؤل عنها أنت ثم أمر له بألف دينار فقبضها فى الحال (وذكر) عبد الرحمن بن نصر الدمشقى فى كتابه المسمى بالتحفة والطرفة أن الوزير المزدقانى ٣ خرج المتنزه فرأى امرأة فى بعض القصور فأعجبته فوقف متأملا لها فأشارت اليه فآنس منها قبولا فأرسل

٣ قوله المزدقانى بالزاى وفى نسخة بالراء اهـ

فقالوا أين نجتمع اليوم فقال القراطيسي

ألا قوموا بأجمعكم * الى بيت القراطيسي   فقد هيأ لنا نزلا * غلام فاره طوسي
وقد هيأ زجاجات * لنا من أرض بلقيس   وألوانا من الطير * وألوانا من العيس
وقينات من الحور * كأمثال الطواويس   فنيكوهن في ذا كم * نقم في طاعة ابليس

(قد كان ماخفت أن يكونا * إنا الى الله راجعونا)

البيت من مخلع البسيط وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل في الرئيس أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر وقال شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكي ملء عينيه ويقلب على مافاته كفيه وينادي بأعلى صوته أسفا على فوته   كان الذي خفت أن يكونا * إنا الى الله راجعونا

(والشاهد فيه) الاقتباس مع تغيير يسير في التقفية ومن الامثلة الشعرية في الاقتباس قول الاحوص

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا * سرائر ود يوم تبلى السرائر

وقول البديع الهمذاني   لآل فريغون في المكرمات * يد أولا واعتذار أخيرا
اذا ما حللت بمغناهم * رأيت نعيما وملكا كبيرا

وقول الأبيوردي   وقصائد مثل الرياض أضعتها * في باخل ضاعت به الاحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ * ـممدوح قالوا ساحر كذاب

وقول محمد الشجاعي   لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى * فسواء أقبلوا أم أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم * والذي يخفون منها أكثر

وقول القاضي منصور الهروي

ومنتقب بالورد قبلت خده * وما للفؤادي من هواه خلاص
فأعرض عني مغضبا قلت لا تجر * وقبل في ان الجروح قصاص

وقول أبي الفضل عبد الله بن محمد الحبري

أشكو الأقارب لا يغب جفاهم * يبغي أذاي صغيرهم وكبيرهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتي * والله يعلم ما تكن صدورهم

وقول أبي منصور عبد الرحمن بن سعيد

خلة الغانيات خلة سوء * فاتقوا الله يا أولي الالباب
واذا ما سألتموهن شيأ * فاسألوهن من وراء حجاب

وقول الحكيم   سبقت العالمين الى المعالي * بصائب فكرة وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في * ليال للضلالة مدلهمه
يريد الجاهلون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

وقول أبي عبد الله الأبيوردي

أردت زيارة الملك المفدى * لأمدحه وآخذ منه رفدا
فعبس حاجبا فرأت أما * من استغنى فأنت له تصدى

وقول الخباز البلدي   كأن عيني حين حاولت بسطها * لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى
وقائلة هل عملك الصبر بعدهم * فقلت لها لا والذي أخرج المرعى

وقوله   سار الحبيب وخلف القلبا * يبدي العزاء ويظهر الكربا

اليها رسولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشيء فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك فقال له ابنه أحمد قد فهمت ما أرادت ونظمه في الحال في بيتين وأنشد

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي اللحام
فالزر في العنبر معناهما * زر هكذا مختفيا في الظلام

(وأنبأني الفقيه) أبو الحسن ابن المفضل المقدسي قال أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري قال عمل والذي محملا للكتب من قضبان شبه تشبه سلما فدخل عليه أبو عبد الله محمد ابن مفيد فرآه فقال ارتجالا مخبرا عن لسان حال السلم

أيها السيد الذكي الجنان
لا تقسني بسلم البنيان

قدقلت اذسار السفين به * والشوق ينهب مهجتى نهبا
لوأن لى عزا أصول به * لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الاستاذ أبى محمد العبدلكانى

اذا كنت متخذا ضيعة * فاياك والشركاء الوجوها
ودار الملوك فان الملوك * اذا دخلوا قرية أفسدوها

وقول الامير نصر الدين أحمد الميكالى

ياقومنا لاتضيعوا * نمام كل جسيم ولاتخلوا وجودا * بحق خل قديم
وذكروا النفس حقا * بقول رب رحيم انى أخاف عليكم * عذاب يوم عظيم

وقول بعضهم يهجو بخيلا رأى ضيفك فى الدار * وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوبا * سيكفيكهم الله

وقول محمد بن نصر الباخرزى

وفتاة ألبستها من ثيابى * ملبسا فيه نزهة ونعيم
غدرت بى وغادرتنى وحيدا * ان ربى بكيدهن عليم

وقول المطوعى
انظر الى وجه صديق لنا * كيف محا الشوك به النقشا
قد كتب الدهر على خده * بالشعر والليل اذا يغشى

وقول الاديب شهاب الدين أحمد الامشاطى

وفتاك اللواحظ بعد هجر * حبى كرما وأنعم بالمزار
وطل نهاره يرمى بقلبى * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ماجرحتم بالنهار

وقول شيخ شيوخ حماة

ياناظرة ماجلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقوله أيضا
أدمعت عينى فمن أجل ذا * بكى على حالى من لا بكى
أوقعنى انسانها فى الهوى * ياأيها الانسان ماغرك

وقول ابن نباتة المصرى

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه * وأسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقول ابن قرناص
ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
أسكنتهم فى مقلتى * فاذا هم بالساهره

وقول ابن الوردى
رب فلاح مليح * قال ياأهل الفتوه
كفلى أضعف خصرى * فأعينونى بقوه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقد سبق الى هذا الاقتباس الفقيه الواعظ ابراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله

خالل اذا خاللت خلا خيرا * وبه تمسك تقتبس من خيره

فضل شكلى على السلالم أنى
محمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفى
واصفرارى ودقة الابدان
فادع للصانع المفيد بفوز
ثم وال الدعاء للاخوان
(ثم محمل أيضا)
أيها السيد الكريم المساعى
اتقنت صنعتى وحسن
ابتداعى
أنا لكتب محمل خف حملى
أنا فى الشكل سلم الاطلاع
(وأنبأنى الفقيه) أبو محمد
عبد الخالق السبكى قال
أنشدنى تاج الدين المسعودى
أبو سعيد عبد الرحمن قال
أنشدنى ظهير الدين أبو
النجيب الحسن بن
شهراسوب القاضى أبو بكر
الارجانى وقد دخل عليه
من طمع فى طيلسانه فقال
ارتجالا
حسبك منى يافتى خلعة
أمسك عن نشرمساويكا

واهجرا ناساهجرين أولى جفا * فالهجر سامعه رديئة ضيره
واذا رأيتهم فاعرض عنهم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه

أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فتسل عنه ولاتسل عن خيره
واسكت اذا خاض الورى فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقول الآخر

دخلت على كافر داره * وأشجار بستانه زاهره
وقد وافق الزهر نقش البساط * فعينى لما أبصرت حائره
جنان تزخرف للكافرين * ونحن نحال على الآخره
فان يك فى الحشر حالى كذا * فتلك اذا كرة خاسره

وأحسن ابن سناء الملك فى بعض مطالعه بقوله

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * أنا باخع نفسى على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر فى معشوقه نسيم

ان كانت العشاق فى أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو عليهم ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقول المعمار

ابن الجمالى مات حقا * برح بى موته وآذى
ورحت أقرا عليه جهرا * ياليتنى مت قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه ادراج المتخشين من الشعراء الآيات الشريفة فى أشعارهم على طريق المجون والسخف كقول القائل

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبى نواس

خط فى الارداف سطر * فى عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى * تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمسانى

ياعاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر مذ * شككتم فى أمره
يريد أن يخرجكم * من أرضكم بسحره

والتهاون فى مثل ذلك يجر الى الانسلال من الدين والعياذ بالله تعالى ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح القاضى الفاضل

قم ليل الصدود الاقليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمع مل من سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوع * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كأنه ما رأى غصنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ريق * حين أمسى مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى أثر العيس ارحمونى وأمهلونى قليلا
أنا عبد للفاضل ابن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لاتسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا
جل عن سائر الخلائق قدرا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط اغراقه فان مذهبه فى ذلك مشهور ومنه قول البهاء زهير

فى طيلسانى لاتكن طامعا
طى لسانى عنك يكفيكا

(وقد أخبرنى) العماد أبو حامد أنه سمع جميع شعر القاضى أبى بكر على ابنه عنه وطلب منى قراءته عليه فلم أتفرغ له وأجازنيه فى جملة ما أجازنى روايته عنه (وأخبرنى) القاضى الوجيه الحسين بن أبى منصور بن حران الواسطى قال كنت مع خالى نجم الدين بن أبى الغنائم بن المعلم الهرثى على طعام فأنهى اليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن برد امسيا ضامن بلاد واسط قد طرح على قرى كانت فى ملكه عدة اكرار أرز فناولنى درجا ثم قال لى اكتب فكتبت

أيه ظهير الدين انك فى ندى
وغنى كثيث جدا وليث عرين
واذا امرؤ ضاقت عليه أموره
وكأنه فى حلقة التسعين

وسقاني من ريقه البارد العذ * ب كؤسا حوت شرابا طهورا
بقوارير فضة من ثنايا * قدروها بلؤلؤ تقديرا
وغيوم مثل الجمان فما تنـ * ـظر فيها شمسا ولا زمهريرا
نصب روض وشى النسيم عليه * فانبرى سعيه به مشكورا
أيها الحاسد المفنـد إما * أن تكن شاكرا وإما كفورا
كيف تجفو التي يطير بها الهم وان كان شره مستطيرا

وهذا النوع محظور وقد تجاوز فيه بعض العلماء وتجنبه أولى بالادب ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب ابن عباد أقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت عزاليها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي
ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

وقول أبي جعفر الاندلسي الغرناطي
لا تعادى الناس في أوطانهم * قلما يرعى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق حسن

وقول أبي الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر
يا حادي العيس رفقا بالقوارير * وقف فليس بعار وقفة العير
واحلب ما في عين طلا ما قطرت * حمر الدموع على البيض المقاصير

اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة وكان يحدو بالابل التي عليها نساء النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يا أنجشة رويدك بسوقك بالقوارير شبه النساء بها لضعف عزائمهن وقلة دوامهن على العهد لان القوارير يسرع اليها الانكسار ولا تقبل الجبر ومن الاقتباس في صناعة الحديث قول ابن جابر

أرادت على دعوى المحبة شاهدا * فقلت لها هذى دموعى فاسألى
فقالت لها جرح بخدك بين * فتلك شهود عندنا لم تعدل
وان حديث الدمع عندى مرسل * وليس على ما أرسلوا من معول
فيا عجبا من حسنها وهو مالك * ومرسل دمعى عنده غير معمل

ومن الاقتباس في علم الخلاف قول ابن جابر أيضا
عرض الحب دون جوهر ذاك الثغر من أعظم المحال بجودى
أجمع الناظرون في ذاك أن لا * عرض دون جوهر في الوجود

وقوله أيضا في الاقتباس من الاصول
جئتها طالبا لسالف وعد * فأجابت لقد جهلت الطريقه
انما موعدى مجاز وقالت الأصل في سائر الكلام الحقيقه

ومن الاقتباس في الفقه قول المتنبي
بليت بلى الأطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
ففي تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

وقول بعضهم أيضا أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأذكاة منظرك البهى
فقال أبو حنيفة لى إمام * يرى أن لا زكاة على الصبى

ودعابك انفرجت سحون صعابها
عنه بابلج شامخ العرنين
ثم أتبعها رسالة أملاها في اليه وأرسلها (وأنبأنا) العماد الاصفهاني اجازة قال اجتمعت أنا والمرتضى بن أبي المؤيد الجعفرى الاصفهاني فجرى بيننا في المحاورة ذكر رجل يقال له ابن عمرو وكان ينسب الى كبر فنظم الجعفرى بديهة يخاطب جمال الدين ابن الخجندي فقال
أيها الصدر كم تشيع فينا
من تخيرته بما ليس فيه
واذا ما عددت أبناء فضل
فابن عمرو وكمل واو أبيه
(وأنبأنا أيضا) قال أخبرني أكرم الدين أبو سهيل خازن دار الكتب بالنظامية قال دخل على عزيز بن محمد [3] الشملكي دار الكتب وبيده عصا فقلت ان العصا للشيخ رجل ثالثة فقال بديها

[3] قوله الشملكي في نسخة بتقديم الميم على اللام اهـ

فان تك مالكى الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعى
فلا تك طالبا منى زكاة * فاخراج الزكاة على الوصى

وقول ابن جابر الاندلسى
طلبت زكاة الحسن منها بجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

وقول القاضى عبد الوهاب المالكى
بزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتى قطفه * والحكم أن الزرع للزارع

وقوله أيضا
ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى فديتك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها وكفى عن أثيم ظلامة * وان أنت لم ترضى فألف على عد
فقالت قصاص يشهد العقل أنه * على كبد الجانى ألذ من الشهد
فباتت يمينى وهى هميان خصرها * وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت ألم أخبر بأنك زاهد * فقلت بلى مازلت أزهد فى الزهد

وقول صدر الدين ابن الوكيل
ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

وقول الصاحب ابن عباد
ومهفهف يغنى عن القمر * قمر الفؤاد بفاتر النظر
خالسته تفاح وجنته * من غير ابقاء ولا حذر
فأخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كثر

وقول أبى الفتح البكتمرى
ردوا الهدو كما عهدت الى الحشا * والمقلتين الى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكى رمتم أن تغدروا * مابعد فرقة بيعين تخيير

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف
للمنطقيين أشتكى أبدا * عين رقيبى فليته هجعا
حاذرها من أحبه فأبى * أن نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما اتصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وقول ابن جابر الاندلسى
مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

وقوله أيضا
قياس غرامى صادق مع أنه * تركب من تلك العيون السوالب
وقد حكموا أن السوالب كلما * تركب منها لايرى غير كاذب

وقول نجم الدين الدارمينى
لاتخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أولست تنظر فى النتيجة أنها * تبع الاخس من المقدمتين

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى
اذا كان ماتنويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

ضعف جسمى لمشيبى
لم يضع منى وقارا
صار حالى عبرة للعا
قل ان رام اعتبارا
العصا صارت حمارى
ولها صرت حمارا

(قال على بن ظافر) وأخبرنى بعض أصحابنا ان أبا القاسم بن هانئ الشاعر المحدث قد هجا الاجل الموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشاء والمكاتبات هجاء اتصل به وأضمر له الحقد بسببه مع افراط جلالة الرجل وفرط رياسته وحسن معاشرته للناس وسياسته واتفق بعض المواسم التى جرت عادة ملوك مصر بالجلوس فيه لاستماع المدائح وبذل المنائح وزف بنات القرائح لمجالس الحافظ لذلك وحضر خواصه فى ظاهر الرواق على مراتبهم فانتهت

وقول

وقول نجم الدين القحفازي الحنفي

أضمرت في القلب هوى شادن * مشتغل في النحو لا ينصف

وصفت ما أضمرت يوما له * فقال لي المضمر لا يوصف

وقول أبي اسحق الاندلسي الاشبيلي

ليتني نلت منه وصلا وأجلت * ليلة الوصل عن صباح المتون

وقرأنا باب العناق مضافا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقول ابن نباتة

وأهيف أحدث لي نحوه * تعجبا يعرب عن ظرفه

علامة التأنيث في لحظه * وأحرف العلة في طرفه

وقول ابن جابر الاندلسي

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شيء لا تجوز المسأله

بالله قل لي أين نحوك يا فتى * أرأيت موصولا يجيء بلا صله

وقوله أيضا

ماللنوى مدت بغير ضرورة * ولقبل معرفتي بها مقصوره

ان الخليل وان دعته ضرورة * لم يرض ذلك فكيف دون ضروره

وقول أبي جعفر الاندلسي

قد كان لي أنس بطيب حديثكم * والآن صار حديثكم برسول

ولقد مددت من النوى مقصوره * ان الخليل يراه غير جميل

وقوله أيضا

ماللنوى مدت وأنت خليلها * ولقبل قد قصرت برغم الكاشح

أتبعت في ذا مذهبا لا يرتضى * نقدا وليس الرأي فيه بصالح

وقال محاسن الشواء

أرى الصفعور دمنه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا

وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي راقت وفاقت جمالا

لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى

فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

وقول ابن الوردي

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

وقول ابن أبي الاصبع

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

جعلتك بالتمييز نصبا لناظري * فهل لارتفاع الهجر والهجر فاعل

ومن الاقتباس في علم العروض قول ابن جابر الاندلسي

ان صد عني فاني لا أعاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيس

شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وقوله أيضا

سبب خفيف خصرها وورائها * من ردفها سبب ثقيل ظاهر

لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

ومن الاقتباس في علم الحساب قول ابن جابر أيضا

قسم القلب في الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه

هذه في هواه يا قوم حالي * ضاع قلبي ما بين ضرب وقسمه

ومن الاقتباس في علم الخط قول بعضهم

بوجه معذبي آيات حسن * فقل ما شئت فيه ولا تحاشي

النوبة في الانشاد الى أبي القاسم بن هانئ فأنشد ما اهتزت له المعاطف وفض ختام روضة ليس لها الا القلب والسمع جان وقاطف فمال الحافظ الى القاضي الموفق متعجبا وقال له كيف تسمع فاستحسن واستجاد حتى نسبه الى الاعجاز أو كاد وهو في خلال ذلك يصنع صنع المخاتل ويحاول فرطة المقاتل فسأله الحافظ عن الرجل فأثنى على أدبه وثنى بنسبه حتى أوهمه الاعتناء به ثم قال ولو لم يكن له مما يمت به الا انتسابه الى أبي القاسم ابن هانئ شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لكفى فكيف وفيه هذا الادب الغض النضير والشعر الذي لا ندله ولا نظير ولا بيت أظهره منه الضجر عند دخوله هذه البلاد فقال

فنعنة وجهه قرثت فحصت * وهاخط الكمال على الحواشي
وهذا القدر كاف في الاقتباس ان شاء الله تعالى

نفحة

(على أني سأنشد عند بيعي * أضاعوني وأي فتى أضاعوا)

البيت للحريري من قصيدة من الوافر أولها

لحاك الله هل مثلي يباع * لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الانصاف أني * أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع * ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني * نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركا لصيد * فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الايام جرما * فيكشف عن مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني * على عيب يكتم أو يذاع
فأني ساغ عندك نبذ عهدي * كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني * وان أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني * حديثك حين جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا * سكاب فلا يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع

وبعده البيت (والشاهد فيه) التضمين وهو أن يضمن الشاعر شيأ من شعر الغير مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهورا عند البلغاء وان كان مشهورا فلا حاجة الى التنبيه فالمصراع الثاني من البيت للعرجي من أبيات قالها في حبسه وهي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا * وقد شرعت أسنتها بنحري
أجرر في الجوامع كل يوم * فيا لله مظلمتي وصبري
كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو

والكريهة من أسماء الحرب وسداد الثغر هو بكسر السين فقط وقد ضمنه النميري الغرناطي فقال

لهشفة أضاعوا النشر منها * بلثم حين سدت ثغر بدري
فما أشهى لقلبي ما أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه الى القاضي ليحجر عليه فقال الابن كيف تحجر علي وأنا أحفظ القرآن فقال الاب أصلحك الله ان كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه فقال له القاضي اقرأ فقال

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الاب أصلحك الله ان قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه فحجر عليهما معا وقد تقدمت ترجمة كل من الحريري والعرجي في هذا الفن الثالث ولله الحمد

(اذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق)
(ويذكرني من قدها ومدامعي * مجر عوالينا ومجرى السوابق)

البيتان لابن أبي الاصبع من الطويل والعذيب ماء من مياه العرب وبارق من دياراتها (والشاهد فيهما) التضمين فان المصراعين الاخيرين منهما مطلع قصيدة لابي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة ويذكر وقعته ببني عقيل فنقلهما ابن أبي الاصبع من الحماسة الى الغزل والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها

له الحافظ ماهو فخرج من انشاده وامتنع من ايراده فأبى الحافظ الآن يورده ففي أثناء ذلك صنع هذا البيت وأنشده
تما المصر فقد صارت خلافتها عظماء تنقل من كلب الى كلب
فعظم ذلك على الحافظ وأمر بقطع صلته وكاد أن يفرط في عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته طول مدته (قال علي بن ظافر) وأخبرني الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي قال أخبرنا تاج الدين أبو سعيد وهو أبو عبد الله أيضا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي قال جاء رجل الى أبي نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر الصغديهي وكان قاضي بلد تعرف بخمس القرى وكان من العلماء الفضلاء فقال له في معرض الدعابة والمزاح اشهد على انني قد وقفت

أعر مقلتي ان كنت خير موافق * دموعا لتبكي فقد حب مفارق
فقد نضبت يوم الوداع مدامعي * وشابت لتشتيت الفراق مفارقي

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله

اذا ما سقاني ريقه وهو باسم * تذكرت ما بين العذيب وبارق

وابن أبي الاصبع سمى هذا النوع ايداعا وفرق بينه وبين التضمين والاستعانة والعنوان باب التضمين يقع في النظم والنثر ولا يكون الا بالنثر ويكون من المحاسن والعيوب لكنه لا يكون من العيوب الا اذا وقع في النظم بالنظم وأما الايداع والاستعانة وان وقعا معا في النظم والنثر فلا يكونان الا بالنظم دون النثر وأما العنوان فانه يقع في النظم والنثر ولا يقع بالنثر ولا يكون الا من المحاسن دون العيوب فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمى ايداعا لا تضمينا وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شيء من شواهدهما تتميما للفائدة ثم نرجع الى ما نحن بصدده فالاستعانة أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته وخصوصا أبيات التوطئة وكذلك الناثر الا أن يكون البيت لنفسه فيسمى تشهيرا فمن أمثلة الاستعانة في الشعر قول الحارثي

وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالماء منها المحاجر
وقد أبصرت نعمان من بعد أنسها * بنا وهي منا موحشات دوائر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما * يقلبه بين الجوانح طائر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العوائر

فاستعان ببيتي خرقة بنت تبع وقول ابن أبي الاصبع يهجو يهوديا طبيبا

رأيت أبا الخير اليهودي ماسكا * بقارورة كالورس راق حليبها
وقد رش منها فوق صفحة خده * وقال لقد أحيا فؤادي طيبها
فقلت له ما هذه قال بولة * لأسود يشفي الداء مني قضيبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

قال ابن أبي الاصبع ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة كما فعلت ببيت من الحماسة حين قالت

اذا ما خليل صدّ عنك ملالة * وأصبح من بعد الوفا وهو غادر
فلا تحتفل واستغن بالله انه * على أن ترى عنه غنيا لقادر
وهبه كشيء لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

فان هذا البيت كان نسيبا وكان أوله فهبها فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل في معناي (قلت) تقدم ذكر هذا البيت في شواهد التقسيم وانه لعمر بن أبي ربيعة المخزومي وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبي نواس

يا هاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم في اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
وقد أصاب شراحيلا أبو حنش * يوم الكلاب فما دافعتم بيد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت بالولد
ويوم كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

معدقي على سائر ألوان الطعام فقال قد شهدت فقال سجل لي فأمر كاتبا فكتب كتاب وقف فلما قدم اليه كتب في موضع الشهادة هذه الابيات قال وكان ارتجلها ما بين ابتداء الكتاب وفراغه وهي

يقول أبو نصر المبتلي
بأمر القضاء بخمس القرى
أقر بمضمونه طائعا
أبو الا كل ملتقم بن القرى
وحليته صاحب الطيلسان
مديد الحوايا قصير القرى

(وأخبرني) الفقيه الحافظ ابن دحية قال دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم أدركني سماحا
فلمثلي يحق منك السماح
ان تراني اذا نطقت عييا
فبناني اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو في نظام ونثر
ثم أثني وفي العنان جماح

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النوى والوتد

فاشتملت هذه الابيات على عدة عنوانات منها قصة قتل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقتل حجر بن امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعرة المهجو بما أشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم ومثل ذلك قول أبي تمام لاحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك في زياد

فأرث بين حي بني جلاح * لظى حرب وحي بني مصاد

وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان وماجرى في ذلك من السعي المحروب التي انطوت عليها قطعة من أيام العرب وهذا القدر كاف فلنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه أو بمصراع فما دونه فمن انشادات ابن المعتز فيه

عوذ لما بت ضيفا له * أقراصه مني بياسين

وعوذ الماء بسمر القنا * وبالأفاعي والثعابين

فبت والارض فراشي وقد * غنت قفا نبك مصاريني

والاحسن في هذا النوع صرفه عن معناه الاول فمن ذلك قول أبي الحسن حازم في تضمين قصيدة امرئ القيس وقد صرف معانيها الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومن أبدع ماله فيها نبي هدى قد قال للكفر نوره * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

تلا سوراما قولها بعارض * اذا هي نصته ولا بمعطل

لقد نزلت في الارض حلة هديه * نزول اليماني ذي العياب المحول

أتت مغربا من بعد شرق وتعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

ففازت بلاد الشرق من زينتها * بشق وشق عندنا لم يحول

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة فمن ذلك قول أبي منصور العبدوني

أكتاب ديوان الرسائل مالكم * تحملتم بل متم بالتحمل

وأرزاقكم لا تستبين رسومها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

اذا ماشكي الافلاس والضر بعضكم * تقولون لا تهلك أسى وتجمل

خلقتم على باب الامير كأنكم * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومما كتب به الصلاح الصفدي الى ابن نباتة

أفي كل يوم منك عتب يسوءني * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وترمي على طول المدى متجنيا * بسهميك في اعشار قلب مقتل

فأمسي بليل طال جنح ظلامه * علي بأنواع الهموم ليبتلي

وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل

تطير شظاياه بصدري كأنها * بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

وسالت دموعي من هوى وولوعتي * على النحر حتى بل دمعي محملي

ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول

في أبيات فأجابه ابن نباتة متهكما في المطلع بقوله

قطعت ولائي ثم أقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

فهزل كانا أو دغصن

ويجد كانسل الصفاح

(وأخبرني) أيضا قال دخلت عليه منزله بعد بنفشاطية في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم

أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بأديمي

تركوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

(وأخبرني) القاضي الاعز ابن المؤيد المقدم ذكره عن أبيه بما معناه قال كنت بمجلس الصالح في يوم أسدل الجو به ستور الغمام واختفت الشمس فيه اختفاء النور في الكمام ونثرت السماء درر البرد بتراغم الربا والآكام حتى وصل الى أطراف بسط المجلس فصنع القاضي الموفق ابن قادوس قطعة شذت عني لبعدي عنها الا قوله منها

بروحى ألفاظ تعترض عتبها * تعرض أثناء الوشاح المفصل
فأحييت ودّا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح العذل منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
نعم قوضت منك المودّة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
أمولاى لا تسلك من الظلم والجفا * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل
ولا تنس منى صحبة تصدع الدجى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وهى طويلة يقول فى آخرها

فدونك عتبى اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن أشهر فيك من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الانف وهو

تأنف عن وصف الغزال تغزلى * بلحية أنف ذى عقاص ومرسل
من البق فيها جملة قد تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
فيا قبح شعر فوق أنف معرقف * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
وقالوا اختبى فى شعره فكأنه * كبير أناس فى بجاد مزمل
ترى القمل والصئبان فى عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل

الى أن قال

وكم قلت اذ أرخى ذوائب أنفه * علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
كأن الفسا ان قيس مع ريح أنفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ترى شعرات الانف سدّت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد دوست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معوّل
كأنى بمولانا على وصف أنفه * تولى بأعجاز وناء بكلكل
وجرّد شعر الأنف منا وجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومن ظريف التضمين قول أبى الحسين الجزار مضمنا قصيدة امرئ القيس المذكورة

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال * ودرّاعة لى قد عفا رسمها البالى
وما أنا من يبكى لأسماء ان نأت * ولكننى أبكى على فقد أسمالى
لو ان امرأ القيس بن حجر رأى الذى * أكابده من فرط همّ وبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزة * ولا بات الا وهو عن حبها سالى
ولى من هوى سكنى القياس عن هوى * بتوضح فالمقراة أعظم أشغالى
ولا سيما والبرد وافى بريده * وحالى على ما اعتدت من عسرة حالى
ترى هل يرانى الناس فى فرجية * أجرّ بها تيها على الارض أذيالى
ويمسى عدوّى غير خال من الاسى * اذا بات عن أمثالها بيته خالى
ولو أننى أسعى لتفصيل جبة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمحد بجوخة * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ومنها

وكم ليلة أستغفر الله تهتها * بخند وريق بين ورد وجريال
تبيانت فيها بدر تم مشنف * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة

ولكن أتتك ثغور السحاب
تقبل بين يديك البساطا
(وأخبرنى) أيضا رحمه الله
قال أخبرنى أبى بما معناه
قال كنت فى مجلس فارس
المسلمين أخى الصالح وقد
نصب سماط بمجلسه
لخواصه ونصب سماط آخر
فى بعض المجالس لجماعة من
أمراء العرب وفى جملتهم
الامير ابراهيم بن شادى
ابن مرجان وهو يومئذ
يهتز كالغصن الممطور
ويابز كالظبى المذعور قبل
أن يصير أحد الامراء
الامجاد والكرماء الانجاد
قال فبصرت أنا والامير علاء
الدولة حاتم بن العسقلانى
به وقد كشف عن معصمه
وهو ينشف عن مخه ودمه
فكأنه عمود بلور تبدى
وقد حشى وردا ووجهه
تحت لثامه كالبدر خلف
غمامه قال فصنع بديها

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

وقوله
تصدّى الى ايرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى
أقول وقد أبى عن أخذ ايرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى
قال وقد قصرت فى نيكه * سدّ فضا مبعرى الواسع
فقلت يا مولاى عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هربته التى قتل فيها يا مولانا أين ذلك التدبير وتلك السياسات فأنشد
الثوب ان أسرع فيه البلى * أعيا على ذى الحيلة الصانع
كنا نداريها وقد مزقت * واتسع الخرق على الراقع

وقد أبدع ابن نباتة بقوله لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد فى مسائله * هل بالطلول لسائل ردّ

وما أحسن قول بعض المغاربة
وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الحيص بيص الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كاغدا وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من عنقها وأدخلت على الوزير فاذا فيها مكتوب يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بخزية أورثته العار فى البلد
أبدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها فقالتهما تسلية لنفسها وما أحسن قول ابراهيم ابن العباس الصولى أولى البرية طرّا أن تواسيه * عند السرور الذى واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

البيت الاخير لابى تمام وقد أحسن تضمينه الصاحب ابن عباد بقوله
أشكو اليك زمانا ظل يعركنى * عرك الاديم ومن يعدو على الزمن
وصاحبا كنت مغبوطا بصحبته * دهرا فغادرنى فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها * الى السرور وألجانى الى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى * مع الاسى ودواعى الشوق فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا فى السر والعلن
وكان غالى به حينا فأرخصه * يا من رأى صفو ودّ بيع بالغبن
كأنه كان مطويا على إحن * ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى

سلت من فتنة العيون
فارحم فتى هام بالفتون
قلبى بلى من بلى بظبى
يختلس الليث فى العرين
مذ عقد القاف حل منى
عقدة عزمى وعقد دينى
يقول والقلب فى هواه
بلا مجير ولا معين
ان كنت فردا بحسن وجه
وكنت من ذا على يقين
فاخلع ثيابى وانظر تشاهد
عساكر الحسن فى الكمين
(وأنشدنى) العماد أبو حامد قال أنشدنى أبو السعادات على بن بختيار لنفسه فى البرغوث والبق وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء فقال بديها
ولما أنحى البرغوث والبق مضجعى
ولم يك من أيديهما لى مخاص
صفقت بكفى اذ مدامتها دمى

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وذكرت بهذه الابيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة وكان يقاسى منها قذى عينيه وشجا صدره فبيناهو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب الا أنه من أهل الادب اذلق من سفره نصبا واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه

اذا أبصرت قبرا من بعيد * وددت لو اننى فيما يليه

ألا رحم المهيمن روح عبد * تصدق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قرمه وتحفظ الابيات وتفارقا وضرب الدهر ضربانه فترقت حال المهلبى الى أعظم درجة من الوزارة حتى قال

رق الزمان لفاقتى * ورثى لطول تحرقى وأنالنى ما أشتهى * وأقالنى ما أتقى

فلأغفرن له الكثير من الذنوب السبق حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقى

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر وثقل عليه بركه وهاضه عركه فقصد حضرته وتوصل الى ايصال رقعة تتضمن أبياتا منها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالة مذكر ما قد نسيه

أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان اليه ورعاية حق الصحبة فيه والجرى على حكم من قال

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فأمر له فى عاجل الحال بسبعمائة درهم ووقع فى رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ويرتزق منه * ونظير ذلك ما حكى أن الامير بدر الدين بيليك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو فى رقه فلما باعه تنقلت به الاحوال الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه الى مصر وكتب اليه رقعة فيها

كنا جميعا فى كد نكابده * والقلب والطرف منا فى أذى وقذى

والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسى ان الكرام اذا

فأعطاه عشرة آلاف درهم وما أحسن قول بعضهم

قد قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس

أعذاره السارى العجول ترفقا * ما فى وقوفك ساعة من باس

وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسى فقال

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفى الورد منه بآس

ناديته قف كى أودع ورده * ما فى وقوفك ساعة من باس

ولابى بكر الخوارزمى فى ابن العميد

لئن كنت أضحى من عطاياك شاعرا * لقد صرت أمسى من عطاياك مفحما

أبيت اذا أجريت ذكراك منشدا * وان تمتب الايام فيها فاسر بعا

ومالى من الاصوات مقترح سوى * أعالج وجدا فى الضمير مكتما

وله فى شمس المعالى قابوس

شموس لهن الخدر والبيت مغرب * فطالعها بالبين والهجر غارب

فزمر هذا وابتدا ذاك برقص

(قال العماد) وقد كنت عملت أبياتا ارتجالا أصف بها ليلة بتها بنهر دفلا فقلت

يالحى الله ليلة قرصتنى * فى دياجيرها البراغيث قرصا

شربت بقيا مى فنغصت * وبراغيثها تواجدن رقصا

قد تعريت من ثيابى لقرصى * غير أنى لبست منهن قمصا

كلما زدت منهن محرص * عن فراشى شمرن فازددن حرصا

من براغيث خلتها طافرات * طائرات جناحها قد قصا

عرضت جيشها الفريقان حولى * وهى أوفى من أن تعد وتحصى

لو غزا سنجر بهم الغز يوما * لم يدع منهم على الارض شخصا

ولكنما شمس المعالى خلافها * مشارقه ليست لهن مغارب

فالقبوه الشمس الاوقدروا * فانك شمس والملوك كواكب

ومن ظريف التضمين قول القاضى أبى عمر القابسى وقد أهديت اليه جارية فوجدها ابنة سرية له كان قد تسرى بها فردها وكتب الى مهديها

يامهدى الرشا الذى ألحاظه * تركت فؤادى نصب تلك الاسهم

ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن واجتناب المحرم

ماعن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم

ان الغزالة قد عرفنا قبلها * سر المهاة وليتنا لم نعلم

ياويح عنترة الذى قد شفه * ماشفنى فشدا ولم يتكلم

ياشاة ماقنص ان حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

فضمن بيت عنترة والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية فكنى بها عن المرأة تشبيها لها بها ويقال ان التى عناها كانت زوجة أبيه فلذلك حرمت عليه ومن بديع التضمين قول أبى فراس الحمدانى يتغزل فى غلام من الفرس

قاتلى شادن رخيم الدلال * كسروى الاعمام والاخوال

كيف أرجو ممن يرى الثار عندى * فرجا من تعطف أو وصال

مادرت أسرتى بذى قار أنى * بعض من جندلوا من الابطال

أيها الملزمى جرائر قومى * بعدما قد مضت عليها الليالى

لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

والمعنى الذى أراد أن بنى شيبان وهم من ربيعة قوم أبى فراس كانوا قد هزموا الفرس يوم ذى قار وهو يوم مشهور فنزع أبو فراس فى هذه الابيات منزعا ظريفا وذهب مذهبا غريبا اذ كر فيه ان هذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة ذهب الى الاخذ بثار قومه من أبى فراس وان لم يكن أبو فراس من جناة تلك الحرب وأما البيت المضمن فهو من شعر الحرث بن عبادة البكرى يقوله فى حرب البسوس بعد ان كان اعتزل الحرب فلم يدخل فيها الى أن قتل ابنه بجير فلما بلغه قتله ظن أن مهلهلا يقنع به فى دم أخيه كليب وقال نعم القتيل قتيلا أصلح الله به بين ابنى وائل يريد بكرا وتغلب وعزم على أن لا يطلب بثاره الى أن بلغه أن مهلهلا قال له حين قتل بؤ بشسع نعل كليب يريد انه لا يفى دمه بشئ من دم كليب فعند ذلك حمى الحرث وغضب وعزم على الدخول فى الحرب وقال فى ذلك

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

الى أن قال

لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى وأجاد بقوله

وعيون أمرضن جسمى وأضرمـ * ـن بقلبى لواعج البلبال

وخدود مثل الرياض زواه * مالأيام حسنها من زوال

لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

فصرف لفظ جناتها عن معنى الجناية الى معنى الجنى ومن ذلك قول بعض المجان من أهل تونس فى معذر

لاعذر لى ان لم أهم بعذر * فى وجنتيه فتنة المتأمل

خط على خد قويم مثل ما * دبت على الكافور أرجل أنمل

انى من القوم الذين اذا هووا * لا يسألون عن السواد المقبل

ولديهم أن العذار اذا بدا * مما يعد من الطراز الاول

ضمن أعجاز بيتى حسان فى آل جفنة

ومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية المصرى

ضاقت بانسية بى * وذادعنى غموضى

رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وما أنشدنيه أيضا للسميسير

بعوض شربن دمى قهوة * وغنيننى بضروب الاغانى

كأن عروقى أوتارهن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيروانى

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

وأسبق من هؤلاء الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء التيمة فى قوله

لا أعزل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص

يغشون

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الاول

فنقله من معنى المدح الى ذكر العذار فأبدع ولاسيما البيت الثالث فهو نهاية فى الابداع ومنه قول ابن الجفان الشاطبى

لله قوم يعشقون ذوى اللحى * لايسألون عن السواد المقبل
وبمهجتى نفر وانى منهمو * جبلوا على حب الطراز الاول

وقول الصلاح الصفدى

دب العذار فظن فيه عواذلى * أنى أكون عن الغرام بمعزل
لا كان ذلك فاننى من معشر * لايسألون عن السواد المقبل

ومن التضمين البديع ما أنشده القاضى الخطيب أبو البركات لنفسه وكتبه على جزء فيه كلام لابن سبعين

ألا فدعوا ما قال عنكم فانما * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

أراد أن أصحاب ابن سبعين كانوا يعبرون عنه بابن دارة لان شكل سبعين فى رسوم الحساب الرومية هكذا ٥ وكان ابن سبعين اذا كتب اسمه يكتب عبد الحق بن ٥ ويرسم دائرة فغاص الخطيب وأتى بتضمين بديع لانظير له وهو عجز بيت من قول الشاعر

ولا تكثروا فيها الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وهو مما جرى عندهم مثلا وله قصة شهيرة ومن التضمين البديع قول ابن الرومى فى مأبون

ياسائلى عن خالد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فصرف قول النابغة فى وصف الثغر الى المعنى الذى أراد وما أحسن قول كشاجم

ياخاضب الشيب والايام تظهره * هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتنى قول ذى لب وتجربة * فى مثله لك تأديب وتقريع
ان الجديد اذا مازيد فى خلق * تبين الناس أن الثوب مرقوع

وقول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فى الرشيد عمر الفوى وكان به داء الثعلب وأسنانه بارزة

أقول لمعشر جهلوا وغضوا * من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا * متى يضع العمامة تعرفوه

هو تضمين قول سحيم المار فى شواهد الايجاز

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقد ضمنه صدر الدين بن غنوم فقال

جلا مسواك ثغرك خير در * فجل بذاك واكتسب المزايا
وأنشد صحبه تيها وفخرا * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وقال شمس الدين الحلبى فيه

جلا ثغرا وأطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
فأنشد ثغره يبغى افتخارا * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وضمنه الارجانى فقال

تغنم صحبتى ياصاح انى * نزعت عن الصبا الا بقايا
وخالف من تنسك من رجال * لقولك بأكبد الابل الأبايا
ولا تسلك سوى طرقى فانى * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه

ومذ تاه الدليل وقد ضللنا * بليل ليس يهدى سالكوه

اذا تغنى بعوضه طربا
أطرب برغوثه الغنا فرقص
(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن
على بن الطوسى المعروف
بابن السيورى قال دخلت
على الاديب الاعز أبى الفرج
ابن قلاقس وهو مريض
فقال قد صنعت بيتين بديها
فى الحمى وصفتها بأحسن
من صفة أبى الطيب
فاستنشدته اياهما فأنشدهما
وبغيضة تدنو وما دعيت
فتبيت بين الجلد والكبد
يصبو الفؤاد لبينها فاذا
ولت بكاها سائر الجسد
(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن
على بن المقدسى قال كنت
معه يعنى ابن قلاقس فمر بنا
صبى صبيح معروف الاسم
فى ثوب أحمر وعمامة زرقاء

فأشرق وجه من أهوى ونادى * أنا ابن جلا ألا لا تنكروه
ووجه الصبح وافانا سريعا * وقال وقد حكاه أنا أخوه
فقلت لصاحبي أنعم صباحا * لعمرك قد تعارفت الوجوه

ومن محاسن السراج الوراق في التضمين قوله

توارى من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليه شعره بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله ابن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت بحرا في الظلام فلم أجد * ومن يك مثلي حية دأبه الجحر
فدلاني البدر الاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله

عاينت في الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله في الفانوس

يقول لي الفانوس حين أتوا به * وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدي لكنني أتستر

وقوله أيضا

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

وقوله أيضا

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواجها لألاء
لرأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله أيضا

لو كنت في الحمام والحناء على * أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله وهو من تضامينه البديعة

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة راقت فطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقوله وأجاد

وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ما بت أنفر
وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وقوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله

من حاتم عد عنه والطرح فبه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني

قالوا غدا تتندم عن لثمه * في خده اذ يغلب السكر
فقال لي مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وما أحسن قول العز الموصلي

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا انهاني السرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقول ابن نباتة

ومذ كلمت قلبي سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتي وهي تبسم

فاستحسنه الحاضرون وصنع في الحال

هذا أبو الفضل بدر الارض قد شهدت * صفاته أنه كالبدر في الافق
لما تعمم تيها بالسماء بدا * وفوق أعطافه ثوب من الشفق
ولا تقل لاح في خديه عارضه * فانما هو تأثير من الغسق

(وأخبرني) أبو عبد الله المنعم ابن الصواف قال دخل منزلي الاديب الاعز أبو الفتوح بن قلاقس وجماعة من أصحابنا فأحضرت لهم بطيخة صفراء وشققتها وفرقتها عليهم فارتجل الاعز

أتانا الفقيه ببطيخة * وسكينة قد أجيدت صقالا
فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالا

فلم أر بدراضاحكاقبل وجهها * ولم ترقبلى ميتابتكلم

وقول ابن تميم

ان تاه ثغرالاقاحى اذ نشبهه * بثغرحبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وهذا المصراع الاخير لابن الخيمى من قصيدة طنانة مطلعها

يامطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب
وما طمعت لمرأى أولمستمع * الالمعنى الى علياك ينتسب
وما أرانى أهلا أن تواصلنى * حسبى علوا بأنى فيك مكتئب
لكن ينازع شوقى تارة أدبى * وأطلب الوصل لما يضعف الادب
ولست أبرح فى الحالين ذاقلق * نام وشوق له فى أضلعى لهب
ومدمع كلما كفكفت أدمعه * صونالذكرك يعصينى وينسكب

الى أن قال

والهف نفسى لو يجدى تلهفها * غوثا واحربالو ينفع الحرب
يفنى الزمان وأشواقى مضاعفة * ياللرجال ولا وصل ولا سبب
يابارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة وأوما بيده ليضعها فى جيبه فسقطت فمر ابن اسرائيل على أثره فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره وامتنع قراره وجد فى استرجاع ابن اسرائيل عن ادعائها وهو مصر على ذلك فتراضيا على تحكيم ابن الفارض والتسليم اليه من غير معارض فلما رضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها فذهبا ثم أتياه فانشده ابن الخيمى أبياتا منها

من منصفى من لطيف منهم غنج * لدن القوام لاسرائيل ينتسب
مبدّل القول ظلما لا يفى بعوا * عيد الرجال ومنه الذنب والغضب
فى لثغة الراء منه صدق نسبته * والمين فيه بزور الوعد والكذب
فمن عجائبه حدث ولا حرج * ماينتهى فى المليح المنطق العجب

وأنشده ابن اسرائيل أبياتا منها

يابارقا ببراق الحزن لاح لنا * أأنت أم أرسلت أقارها النقب
ويانسيما سرى والمسك يصحبه * أجزت حيث مشين الخرّد العرب
أقسمت بالقسمات الزهر تصحبها * زهر العوالى والخطية القضب
لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يادر دمعى لولا الظلم والشنب

فنظر ابن الفارض الى ابن اسرائيل نظر الازدراء وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء وقال له لقد حكيت ولكن فاتك الشنب فقضى له عليه وتركه نادما يعض يديه وقد ضمنه بعضهم أيضا بقوله

ويا غزالا حكى معنى جآذرهم * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وألم به أبو الثناء محمود الحلبى فقال

يابارق الثغر لولاحت ثغورهم * وشمت بارقها مافاتك الشنب

وما أحسن قوله بعده

ويا جآذرهم ان لم تكن كلفا * مابال عينيك منها الماء ينسكب
ويا قضيب النقالولم تجد خبرا * عند الصبا منهم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله

يابرق لا تبتسم من ثغره عجبا * قد فاتك منه الظلم والشنب

(وأخبرنى) القاضى الاعز ابن الوليد عن أبيه قال كنت عند الامير شمس الملك نبهان بن عين الزمان وعنده الاعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه وعنده مغن يقال له الحسام وهو ابن صاحب بع المشهور فجعل يغنى ببليقة لحسام الدين الاسكندرانى فى هجاء ابن قلاقس أولها

اسألواعنى فتوح ابن قلاقس
كيف رأى ضرب الشاوح بالدرافس

فعز على ابن قلاقس ما فعله وأوهم أنه يمضى الى بيت الخلاء فقام ثم عاد سريعا فوقف على باب المجلس وقال

وابن فضل الله بقوله يابرق واحك وميضا من ثغورهم * وماعليك اذا مافاتك الشنب

﴿رجعنا الى التضمين﴾ ومنه قول ابراهيم الاشبيلي المهتدي

تأمل لظى شوقي وموسى يشبه * تجد خير نار عندها خير موقد

ولطيف قول ابن عبد ربه

ان الغواني ان رأينك طاويا * برد الشباب طوين عنك وصالا

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

وقول بعضهم كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستبدلت سيرة مجمل

وقعدت أنتظر الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل

وقد ضمنه بعضهم مجونا فقال

قالوا وقد بصروا بابري نائما * عند الدبيب اليه رخو المفصل

ماذا عراه فقلت سارى ليلة * عرف المحل فبات دون المنزل

ولابن نباتة فيه يارب ليل بت فيه منعما * برشيقة تعى بردف مثقل

ابرى بجانب كسها في حجرها * عرف المحل فبات دون المنزل

وقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤوسا من ألذ مقبل

بلثم شفاهي بعد تقبيل مبسمي * تنقل فلذات الهوى في التنقل

وهذا المصراع الاخير لابي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي من أبيات وهي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

وان سار من تهوى فسر عن جنابه * ولا تسكبن دمعا على مترحل

ولا تعتبر قول امرئ القيس أنه * ضليل ومن ذا يقتدي بالمضلل

ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن ظريف التضمين قول البدري المنجبي

ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فينا على الشرب

تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب

وقول السراج الوراق يجو بخيلا

وباخل يشنأ الاضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم

سألته ما الذي تشكو فأنشدني * ضيف ألم برأسي غير محتشم

وقول الصلاح الصفدي

قل للرقيب يسترح من رصدي * ما أصبح المعشوق عندي مشتهى

وارتدقلبي عن سيوف لحظه * وكل شيء بلغ الحد انتهى

وقول ابن نباتة ألا فاسقني من خمرة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر

وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقد أخذ الصلاح الصفدي هذا التضمين من ابن نباتة وان كان في معنى آخر

فقال لقد كنت في لذات ثغر لثمتها * ليالي لم ينبع على عاشق شعر

فأما وستر دونها من شوارب * فلا خير في اللذات من دونها ستر

وما أحلى قول الصلاح الصفدي مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ليس الحسام حساما وانما هو محمد يشدوفكم من فؤاد تحت السياط يشد قد قلت اذ تاه فينا تبطر ما لا يحد نواعليك ولوان معبد لك عبد فكأنما ألقم حجرا

(وأخبرني) الانجب السخاوي الساكن بالاسكندرية قال لما وصل الاديب الاعز بن قلاقس من صقلية وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر فانبجس بعيون العطاء وانفجر خرج للسلام عليه جميع معارفه وخرجت في جملتهم فلما نزل من المركب وأخذنا في السلام عليه اذ بأبي العباس

ومن

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة الى السيف الآمدي وهو

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن عله فرعا لعلمهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق أنباء من الكتب

وقول البدر بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقول البرهان القيراطي

قل في اخضرار عذار رقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانثمر من الاغزال في أردافه * حملا فواضلها على الكثبان

وقوله في باذهنج
بروحي أفدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما نلقاه من حرق الجوى
اذا فتحت في الحزمنه طرائق * أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقوله فيه أيضا
أيا باذهنجا صح فيه لنا الهوى * صفاتك ما وفى بهن خطاب
وما شئت الا أن أذل عواذلي * على أن رأيي في هواك صواب

وقال ابن أبي حجلة فيه وأجاد

هجا الشعراء جهلا باذهنجي * لان نسيمه أبدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

وما أحسن قول القيراطي في موسوس

وموسوس عند الطهارة لم يزل * أبدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

وقول ابن أبي حجلة غاية هنا

قل للهلال وصب الجو تستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقول العلاء بن أيبك الدمشقي

أقول وقد ظمئت ووجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

وما أحسن قول البدر الزغاري

وبي ساهري مر بي في عمامة * فقد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
مورّدة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمسي في المسرة راكبا
ومتى طرقت عشي أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

وقوله في الفانوس غاية هنا

أنا في الدجا ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأنني والليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

وقوله أيضا فيه
يحكي سنا الفانوس حين بدا لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

احمد بن محمد بن أبي الصلاح قد خرج لحين وقعت عينه عليه أي على الأعز أنشد مرتجلا
أظل هلال الفاسقين فلا أهلا
ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
ثم انصرف وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه (وأنبأني) العماد أبو حامد رحمه الله قال جرى بين يدي القاضي الفاضل رحمه الله يوما ذكر حب الصغير فارتجل هذه الابيات
طفل كفاه القلب دارا له
كأنما القلب له قالب
كيوسف الحسن وقلبي له
سجن وما ثم له صاحب
أصبح والقلب لباس له
لا قاصر عنه ولا ساحب

وقوله أيضاوهو بديع

ياصاحبي حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموي

أفديه أغيدزارني تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجي
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشي في الدجا بسراج

ومن غاياته هنا قوله في كاحل يسمى بالشمس

دعوا الشمس من كحل العيون فكفه * يسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم أذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وماقيا

وما أملح قول ابن الوردي

لوجنة صيادكم نسخة * حريرية ملحة في الملح تقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سخ

ومثله لابن أبي حجلة ونقله الى معنى آخر

غدا طير أفراخنا ساتحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلنا الدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سخ

وقد تضمن هذا الكتاب من فن التضمين ماهو ضامن لكل أديب الاستغناء به ان شاء الله تعالى (وابن أبي الاصبع) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الاصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الامام في الادب صاحب التصانيف الحسنة فيه منها تحرير التحبير في البديع وكتاب بديع القرآن وكتاب الجواهر السوانح في سرائر القرائح وغير ذلك وله شعر رائق منه

ولما اعتنقنا ردّدمعي لنحرها * ودیعتها فهي اللآلي التي ترى
بكت ورنت نحوي بجرد لحظها * من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا

ومنه من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف موسى

فضحت الحيا والبحرجودا فقد بكى الـ * حيا من حياء منك والتطم البحر
ومنها عيون معانيها صحاح وأعين الـ * ملاح مراض في لواحظها كسر
هي السحر فاعجب لامرئ جاء يبتني * عواطف من موسى وصنعته السحر
ومنه انتخب القريض لفظا رقيقا * كنسيم الرياض في الاسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المعنى فأبداه مثل ضوء النهار
مثل ماشفت الزجاجة جسما * فاختفى في لونها باون العقار
ومنه في ذم قيم حمام وقيم كلت جسمي أنامله * بغير ألسنة تكليم خرصان
ان أمسك اليد مني كاد يكسرها * أو سرح الشعر من فودي أدماني
فليس يمسك امساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

ومنه في وصف فرس أدهم محجل

وأدهم جاري الشمس في مثل لونه * من المغرب الاقصى الى جانب الشرق
فوافى اليه قبلها متمهلا * فأعطاه من أنواره قصب السبق
ومنه رأيت بفيه اذ تبسم أدمعا * فقلت رثى لي اذ بكى فيه حزنا
أجاد له في النظم شاعر ثغره * ولكنه من مقلتي سرق المعنى

ومحاسنه كثيرة وعاش نيفا وستين سنة وكانت وفاته بمصر في الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمساني بن عدلان وأبي الحسين الجزار قبر الزكي المذكور

وكانا

وهو بعيني وهو انسانها
وهي له من خارج حاجب
ضاق به ضيق عناقي له
فلم يسع ماقاله العائب
(قال) وجرى بين يديه يوما ذكر سيوف السلطان الملك الناصر رحمه الله فارتجل قطعة علق بحفظي منها ماضيات على الدوام دواهي في النصر نجدة الاسلام
في عين السلطان اذ جردتها أشبهتها صواعق في غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشبه هذي السيوف بالاقلام
في محاريب حربه البيض حلت
وركوع الظبا سجود الهام
(وأخبرني) السعيد أبو القاسم بن سنا الملك رحمه الله قال خرجنا للقاء القاضي

وكانا قد كتماه أن ذلك اليوم مأتمه وكتماه قصيدتين فى رثائه فقال السراج الوراق

ماذا أقول وقد أتانا راثيا * ملك النحاة وسيد الشعراء
رثياك بالدر النظيم فهذه * للدال قافية وتلك لراء
وتوخيا نثر العقيق مدامعا * اذ كنت لم تنصف بنظم رثاء
يامن طوى بفضائل وفواضل * ذكرين للطائى بعد الطائى
غادرتنى وأنا الحبيب مودة * صبا قد استعذبت ماء بكائى
فسقاك فضل الله فيض عطائه * فلقد أقمت قيامة الشعراء

(العقد)

(مابال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر)

البيت لابى العتاهية من قصيدة من السريع أولها

واعجبا للناس لو فكروا * وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها * فانما الدنيا لهم معبر
الخير مما ليس يخفى هو الـ * معروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الـ * حشر فذاك الموعد الأكبر
لا فخر الا فخر أهل التقى * غدا اذا ضمهم محشر
ليعلمن الناس أن التقى * والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للانسان فى فخره * وهو غدا فى قبره يقبر

وبعده البيت وبعده

أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر الى غيره * فى كل ما يقضى وما يقدر

(والشاهد فيه العقد) وهو أن ينظم الشاعر نثرا قرآنا كان أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس فهذا البيت هو عقد قول على كرم الله وجهه وما لابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة (ويروى) أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر الى يزيد بن المهلب وهو يمشى فى حلة يسحبها فقال له ماهذه المشية التى يبغضها الله تعالى ورسوله فقال يزيد أما تعرفنى قال بلى أولك نطفة مذره وآخرك جيفة قذره وأنت بين ذلك حامل العذره وقد نظم هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمى فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفى غد بعد حسن صورته * يصير فى الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * مابين ثوبيه يحمل العذره

ومثله قول الفقيه منصور المصرى

تتيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

وقول المؤتمن الأدفوى

هل النفس الا نطفة من مشيمة * نمت بدم الاحشاء شر نماء
وهل هو الا ظرف بول وغائط * ولو أنه يطلى بكل طلاء
كنيف ولكن سدت جدراته * بظل قميص واستتار رداء

وقول الآخر

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم منى * اذا افتخروا وآخرهم منيه

وقول الفقيه منصور المصرى قلت للمعجب لما * قال مثلى لا يراجع
ياقريب العهد بالمخـ * ـرج لم لا تتواضع

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه

الفاضل رحمه الله تعالى فى بعض قدماته من الشام فلقيناه وعدنا فلما كنا فى سطح الخشى عن ظنى للموكب فركض خلفه المكين ابن حيون طامعا أن يلحقه وكان مثل هذا الفعل لا يليق به لانه ليس من أهله ولان الصدر المتلق لا ينبغى أن يغلط بين يديه مثله فعجب الفاضل منه واتفق أن فاته الصيد الذى طلبه وسقطت مقرعته من يده ورجع الى الموكب وعليه انكسار الفوات وخجل الغلط فارتجل الاجل الفاضل

ياعاديا عدو السفيـ * ـه وعائدا عود الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت ميمها من غير ميم

أيها الشامخ الذى لايرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نواس

بروحى غزال كان للناس قبلة * وقد زرت فى بعض الليالى مصلاه
ويقرأ فى المحراب والناس خلفه * ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
فقلت تأمل ماتقول فانها * فعالك يامن تقتل الناس عيناه

وقول الآخر

أنلنى بالذى استقرضت خطا * وأشهد معشرا قد شاهدوه
فان الله خلاق البرايا * عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول اذا تداينتم بدين * الى أجل مسمى فاكتبوه

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان

لا تجزعن من كل خطب عرى * ولا ترى الاعداء مايشمت
أما سمعت الله فى قوله * اذا لقيتم فئة فاثبتوا

وقول أبى محمد العبدلكانى

لا تكرهن خلقا على مذهب * لست من الارشاد فى شئ
ألم ترالرحمن سبحانه * يخرج الميت من الحى
يقول لا اكراه فى الدين قد * تبين الرشد من الغى

وقول المطوعى

غدا منذ الضحى لبلابها * وكان كأنه البدر المنير
فقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرأ وجاءكم النذير

وقوله

تكبر لما رأى نفسه * على صورة الشمس قد صورت
سيندم ألفاعلى كبره * اذا الشمس فى خده كورت

وقول ابن الصابونى الاشبيلى

رأيت فى خده عذارا * خلعت فى حبه عذارى
قد كتب الحسن فيه سطرا * ويولج الليل فى النهار

وقول ابن يعمور

خطب أتى مسرعا فآذى * أصبح جسمى به جذاذا
خصص قلبى وعم غيرى * ياليتنى مت قبل هذا

وقول أبى الحسين الجزار

أصبحت جزارا وفى البيت لا * أعرف ماراتحة اللحم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

والمؤلفه فى غرض عرض

أرى الفضل اقسمت فى الورى * وضاع فيما بينهم قسمى
وكل من يعلم حالى فقد * أضله الله على علم

وقول ابن جابر الاندلسى

ياصاحب المال ألم تستمع * لقوله ماعندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت له تخلد

وقوله أيضا

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك فى قوله * ومن يتق الله يجعل له

وقول أبى جعفر الاندلسى

اذا ظالم المرء فامهل له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن العقد فى الحديث قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه

عمدة الخير عندنا كلمات * أربع قالهن خير البريه

(قال) وأخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد الأبى وكان كثير الصحبة للاجل الفاضل فى صدر عمره أيام كونه بالاسكندرية قال كان يصحبه رجل يعرف بابن بلية ولا يكاد يفارقه وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر يعرف بشهاب وكان يغنى الموشحات فغنى ليلة واتفق أن نعس ابن بلية فأنبه فضرط فضحك الاجل الفاضل فارتجل

تغنى شهاب لنا ليلة
غناء له هيج السمر
فأعجب هذا ابن بلية
فأقبل من دبره ينعر

(وأخبرنى) الفقيه شجاع الغزالى المقدم ذكره قال مضيت أنا ونشو الملك على

اتق المشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

فهو عقد قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات وقوله ازهد في الدنيا يحبك الله وقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله انما الاعمال بالنيات ومنه قول بعضهم وهو عبد المحسن بن محمد الصوري

وأخ مسه نزولي بقرح * مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي انه جواد كريم * والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من السكـ * ـرة سكران طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا
قلت فالصوم لا يصح بليل * قال ان الوصال فيه يصح

وقول ابن خلكان

انظر الى عارضه فوقه * لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنة في وجهه * لكنها تحت ظلال السيوف

وقول ابن نباتة المصري

أقول لمن يشتكي الخطوب * ويحذر من موبقات الصروف
عليك بأبواب سيف العلا * ملاذ الفقير وأمن الخوف
تجد ظله جنة والجنان * بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلي

مت شهيدا في غزال ألوف * لين الاعطاف غير عطوف
خده دون ظبا مقلتيه * جنة تحت ظلال السيوف

وقول ابن جابر

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبي جعفر

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك في سنده

وقول ابن عبد القدوس

اذا وترت أمرا فاحذر عواقبه * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام تعملون السيئة وترجون أن تجازوا انما يجازى بها أهل الحسنات أجل لا يجتنى من الشوك العنب وقول أبي تمام

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

فهو عقد قول علي رضي الله عنه في كلام عزى به الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو البهائم ومن عقد الحكم قول أبي العتاهية

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك عن يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها في مرثيه علي بن ثابت الانصاري أولها

ألا من لي بأنسك يا أخيا * ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا
فلو سمعت بردك لي الليالي * شكوت اليك ما اجترمت اليا

ابن مفرج بن المنجم المقدم ذكره الى دار الكامل شجاع ابن أمير الجيوش ابن شاور آخر وزراء الدولة المصرية ومن كان انقضاؤها بموته ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بهما في بعض الاعياد فرأينا رماحا قد حملت برسم الموكب وجعل عليها سكاك اللهازم أهلة من ذهب فقال نشو الملك قد وقع لي في هذه الرماح معنى فصنع في الحال

فعال الكامل الملك المرجى * على ما فيه من فضل أدله
تخابر ماحه نحو الاعادي * فكل قد سقاه بها وعله
ولم يرض النجوم لها نصالا * فنصلها هنالك بالاهله

ثم كتبها وبعث بها الى الكامل

بكيتك ياعلى بدر عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا

وبعده البيتان والاخير منهما عقد قول ارسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى بميتا فى تابوت قد كان هذا الشخص واعظا بليغا وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته وقول أبى العتاهية أيضا فى المرثى أولا ياعلى بن ثابت بان منى * صاحب جل فقده يوم بنتا

قد لعمرى حلبت لى غصص الموت * وحركتنى لها وسكنتا

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر فانه لما مات بكى من حضره فقال مؤدبه حركتنا بسكونك وقول بعضهم

أصلى وفرعى فارقانى معا * واجتث من حبلهما حبلى

فما بقاء الغصن فى ساقه * بعد ذهاب الفرع والاصل

فهو عقد قول حكيم لقد مات أبوك وهو أصلك وابنك وهو فرعك فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ومثله قول عبد الله بن عبد الاعلى النحوى

صحبتك قبل الروح اذ أنا نطفة * مصان فلا يبدو لخلق مصونها

فما ذا بقاء الفرع من بعد أصله * ستلقى الذى لاقى الاصول غصونها

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك فمنه قوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

عقد قول أرسطاطاليس اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها وقوله

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

عقد قول أرسطاطاليس الزمان ينشى ويلاشى ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين وقوله

والهجر أقتل لى مما أحاذره * أنا الغريق فما خوفى من البلل

عقد قول أرسطاطاليس من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب وقوله

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى لفظه والخلائق

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوما الى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علما فقال نعم البيت لو كان فيه ساكن وقوله من يهن يسهل الهوان عليه * مالجرح بميت ايلام

عقد قول أرسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام وقوله

واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تموت جبانا

عقد قول أرسطاطاليس خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خور فى الطبيعة وقوله

ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

عقد قول أرسطاطاليس أعجز العجزة من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل وقوله

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

عقد قول أرسطاطاليس من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم وفى هذا القدر كفاية

(اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم) (الجل)

هو للمتنبى من قصيدة من الطويل قالها فى كافور الاخشيدى وكان قد دخل عليه يوما فلما نظر اليه والى قلته فى نفسه وخسة أصله ونقص عقله ولؤم كفه وقبح فعله ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه وبادر وخرج فأحس كافور بذلك فبعث اليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله وقال له يا أبا الطيب مالى أراك متغير اللون فقال أصاب فرسى جرح خفته عليه وماله خلف ان تلف فعاد الى كافور فأخبره فحمل اليه مهرا أدهم فقال هذه القصيدة وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة وأولها

فراق ومن فارقت غير مذمم * وأم ومن يممت خير ميمم

وما منزل اللذات عندى بمنزل * اذا لم أبجل عنده وأكرم

ثم خرجت جائزته فى الحال (وأخبرنى) الفقيه الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموى المقدم ذكره قال كان بمصر صبى مستحسن وضىء الوجه اسمه أسد قد شغف به رجل اسمه الغار ووقع بينهما ما أدى الرجل الى أن قتل الصبى وهرب وخاض الناس فى أمره وأكثروا الحديث فيه فجلست يوما بسوق الكتب اذا بابن المنجم قد مر راكبا فخبر أنى ثنى رجله على معرفة فرسه ووقف للحديث فمر علينا فى أثناء ذلك شاب مشهور بجمال وانتماء الى أهل الادب فأنشدنا مرثية زعم أنه رثى بها الصبى القتيل فصنع ابن المنجم فى الوقت

مصيبـة نفس ماتزال مليحـة * من الضيم مرميا بها كل مخرم
رحلت فكم باك بأجفان شادن * علي وكم باك بأجفان ضيغم
وما ربة القرط المليح مكانه * بأجزع من رب الحسام المصمم
فلو كان مابي من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى * هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي

وبعده البيت وبعده

وعادى محبيه بقول عداته * وأصبح في ليل من الشك مظلم

الى ان يقول فيها وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم

فدى لابي المسك الكرام فانها * سوابق خيل يهتدين بأدهم
أغر بمجد قد شخصن وراءه * الى خلق رحب وخلق مطهم
اذا منعت منك السياسة نفسها * فقف وقفة قدامه تتعلم
يضيق على من راءه العذر أن يرى * ضعيف المساعي أو قليل التكرم
ومن مثل كافور اذا الخيل أحجمت * وكان قليلا من يقول لها اقدمي
شديد ثبات الطرف والنقع واصل * الى لهوات الفارس المتلثم
أبا المسك أرجو منك نصرا على العدى * وآمل عزا يخضب البيض بالدم
ويوما يغيظ الحاسدين وحالة * أقيم الشقا فيها مقام التنعم
ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

قال أبو الفتح بن جني أومأ الي أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم في قصده كافورا

فلو لم يكن في مصر ما سرت نحوها * بقلب المشوق المستهام المتيم
ولا نبحت خيلي كلاب قبائل * كأن بها في الليل حملات ديلم
ولا اتبعت آثارنا عين قائف * فلم تر الا حافرا فوق منسم
وسمنا بها البيداء حين تغمرت * من النيل واستذرت بظل المقطم
وأبلج يعصي باختصاصي مشيره * عصيت بقصديه مشيري ولومي
فساق الي العرف غير مكدر * وسقت اليه الشكر غير مجمجم
قد اخترتك الاملاك فاختر لهم بنا * حديثا فقد حكمت رأيك فاحكم
فأحسن وجه في الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * وأكثر اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو مساءة مجرم

ثم لما خرج من عنده بعد انشاده القصيدة بكمالها قال يهجوه

أنوك من عبد ومن عرسه * من حكم العبد على نفسه
وانما يظهر تحكيمه * ليحكم الافساد في حسه
ما من يرى أنك في وعده * كمن يرى انك في حبسه
العبد لا تفضل أخلاقه * عن فرجه المنتن أو ضرسه
لا ينجز الميعاد في يومه * ولا يعي ما قال في أمسه
وانما تحتال في جذبه * كأنك الملاح في قلسه
فلا ترج الخير عند امرئ * مرت يد النخاس في رأسه
وان عراك الشك في نفسه * بحالة فانظر الى جنسه

ولم أر قبله أسدا قتيلا
لقا أرطل يرثيه غزال
(وأخبرني) بعض أصحابنا قال قال لي نشو الملك بن المنجم ما رأيت أوقع ولا أحضر جوابا من أبي الحسن بن الذروي يعني المقدم ذكره رحمه الله مر بي يوما وهو راكب بغلا وبين يديه عبد له فصنعت في الحال
قل لمن تاه حين مر * علينا ببغله
بعد ان كان ليس يمـ * ـلك شسعا لنعله
سقت قدامك الغلا * م جزاء بفعله
هكذا كل شاعر * بغله خلف بغله
ثم كررت مسرعا لالحقه فتأخر غلامي عني لاجل

فقلما يلــوم فى ثوبه * الا الذى يلؤم فى غرسه
من وجد المذهب عن قدره * لم يجد المذهب عن قنسه

ومعنى البيت اذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه فيسيء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم (والشاهد فيه الحل) وهو نثر النظم وقد استشهد به على ما حله بعض المغاربة بقوله فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده وذكرت بقوله حنظلت نخلاته قول الشريف أبى الحسن الموسوى من قصيدة يفتخر فيها وهو

بنو هاشم عين ونحن سوادها * على رغم من يأبى وأنتم قذاتها
وأعجب ما يأتى به الدهر أنكم * طلبتم علا ما فيكم أدواتها
وأملتم أن تدركوها طوالعا * دعوها تسعى للمعالى سعاتها
غرست غروسا كنت أرجو لقاحها * وآمل يوما أن تطيب جناتها
فان أثمرت لى نلت ما كنت آملا * ولا ذنب لى ان حنظلت نخلاتها

﴿وروى﴾ عن ابراهيم بن العباس الصولى أنه قال ما اتكلت قط فى مكاتباتى الا على ما يجلبه خاطرى أو يجيش به صدرى الا قولى فأبدلوا آجالا من آمال فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقولى قد صار ما يحرزهم يبرزهم وما يعقلهم يعقلهم فانى حللت فيه قول أبى تمام

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا * قراه وأحواض المنايا مناهله
وان يبن حيطانا عليه فانما * أولئك عقالاته لا معاقله

قال ابن أبى الاصبع ومن ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى وقدور راسيات فان ذلك حل قول امرئ القيس

وقدور راسيات * وجفان كالجوابى

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة وان امرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به ﴿قلت﴾ وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رواته فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى والله تعالى اعلم

﴿التلميح﴾ ﴿فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع﴾

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى أولها

أما أنه لولا الخليط المودع * وربع عفا منه مصيف ومربع
لردت على أعقابها أريحية * من الشوق واديها من الدمع مترع
لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى * قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

وبعده البيت وبعده

وعهدى بها تحيى الهوى وتميته * وتشعب أعشار القلوب وتصدع
وأقرع بالعتبى حميا عتابها * وقد تستقيد الراح حين تشعشع
وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

(والشاهد فيه التلميح) وهو أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام الى قصة أو شعر أو مثل سائر فههنا أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس فانه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم *وخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم

اسرائى واستوقفته وجعلت أنشده وهو يحسن الاستماع حتى انتهيت فقال ليس كل شاعر كذلك ها أنت شاعر وبعلك خلف بغلك فكلمت والله وانصرفت (وأخبرنى) الفقيه القاضى أبو موسى عمران الخندقى رحمه الله قال دخلت أنا وجماعة من أصحابنا على الوجيه الذروى المذكور وهو وجماعة من أصحابنا يشربون فزحناوداعبناهم فصنع بديها

ويوم قاسمتنا اللهو فيه * أناس ليس يدرون الوقار
أدرنا الصفع والكاسات فيه * نعربدت الصحاة على السكارى

(وأخبرنى) الفقيه العفيف شجاع العربى المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه

وسلم قال غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها قال فغزا القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبست حتى فتح الله عليه وقد تطرق الرصافي البلنسي بتلميحه بهذه القصة فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات أولها

مامثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

يقول فيها

وعشية لبست رداء شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا أمد السرور تألقا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولو علك نده لرددتها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقد قال ابن مرج الكحل فيها بنحو هذا المنحى وأشار الى قصة الرصافي هذه

حفل المساء وللنسيم تضوع * والانس ينظم شملنا ويجمع
والزهر يضحك عن بكاء غمامة * ربعت بشيم سيوف برق تلمع
فانعم أبا عمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
يا شادن البان الذي دون النقا * حيث التقى وادي النقا والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يطلع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعري حيث قال

فلو صح التناسخ كنت موسى * وكان أبوك اسحاق الذبيحا
ويوشع رد يوحا بعض يوم * وأنت متى سفرت رددت يوحا

ويوح ويوحى بياءين مثناتين من أسفل من أسماء الشمس وقال كثير من اللغويين انما هو بالباء الموحدة وكذا رواه أبو علي البغدادي والصحيح الاول ويروى أن المعري اعترض عليه في هذه اللفظة ببغداد في حلقة ابن المحسن فاحتج عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب فقال هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال وقد لمح ابن قلاقس الى هذه القصة أيضا بقوله

ومنتصر في منع مقلوب عقرب * بما تحته من لسع مقلوب برقع
أبت شمسه الا الغروب وقد سما * بها كلفي من كل عضو بيوشع

وابن مطروح بقوله

وما أنس لا أنس المليحة اذ بدت * دجى فأضاء الافق من كل موضع
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت * وأني قد أوتيت آية يوشع

والملك الناصر داود بقوله يرثي الامام المنتصر بالله ويمدح المعتصم من قصيدة طويلة

أقام منار الدين بعد اعوجاجه * وشيدوا هي الدين بعد التضعضع
باقدام منصور وعزمة قادر * وسيرة مهدي واخبات طيع
بمرجعت شمس المكارم والعلا * كما رجعت شمس النهار ليوشع

ونصر بن أحمد الخبزارزي بقوله من قصيدة

ولي فأقبلت الارداف لاعبة * كما تلاعبت الامواج في اللجج
ثم انثنى بانعطاف منه ملتفتا * كأنني نفسا خوف الرقيب شجي
كأن يوشع رد الشمس ثانية * عند التفاته نحوي بمنعرج

أبي الحسن بن الذروي والاديب نشو الملك بن المنجم وجعفر القرشي المنبوز بشلعلع المقدم ذكر الجميع عند القاضي الاسعد بن الخطير بن مماتي في بستانه فمدحته بقطعة لاحسان كان منه الي وكتبتها في ورقة كرم فحين وقف عليها صنع بديها

أطربنا شعر الضيف الذي
قد فاق في النبل وفي الفهم
لو لم يكن يسكر ناشره
ما صاغه في ورق الكرم

(قال علي بن ظافر) وكنت يوما عند الامير عضد الدين أبي الصوارم مرهف بن الامير مجد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ فدخل عليه

وابن اللبانة بقوله بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب

تابع بها سرب وإني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

لئن وقفت شمس النهار ليوشع * لقد وقفت شمس الهوى لي والشهب

وقد ألم اليها حازم في مقصورته فقال

وكم رأت عيني نقيض ما رأت * من اطلاع نورها تحت الدجى

فيا لها من آية مبصرة * أبصرها طرف الرقيب فامترى

واعتورته شبهة فضل عن * تحقيق ما أبصره وما اهتدى

وظن أن الشمس قد عادت له * فانجاب جنح الليل عنها وانجلى

والشمس ما ردت لغير يوشع * لما غزا ولعلي اذ غفا

فلمح الى قصة يوشع بن نون عليه السلام ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخبر ذلك ما رواه الطحاوي عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض * ومن ظريف ما يحكى هنا ما روي أن المظفر المروزي الواعظ جلس يوما بالتاجية ببغداد بعد العصر وأورد حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه وأخذ في ذكر فضائله فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت فأومأ اليها وارتجل

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لأجله

ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الابيات فلا يدرى ذلك اليوم ما رمي عليه من الاموال والثياب ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا أنني مقيم وقلبي * راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القو * م ولا يعلمون ما في الرحال

ما أعز المعشوق ما أهون العا * شق ما أقتل الهوى للرجال

أشار الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه واخوته لم يشعروا بذلك وقول أبي نصر محمد الاصفهاني في ذم مملوك

بليت بمملوك اذا ما بعثته * لأمر أعيرت رجله مشية النمل

بليد كأن الله خالق القناعني * به المثل المضروب في سورة النحل

يشير الى قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير الآيات ومنه ما ذكره أبو بكر بن الابار في تحفة القادم أن أبا بكر الشبلي جلس يوما على نهر شبل بالجسر فتعرضه بعض الجواري للجواز فلما أبصرته رجعت وجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها فقال أبو بكر المذكور وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس طالعة لدى آفاقها

فكأنها بلقيس وافت صرحها * لو أنها كشفت لنا عن ساقها

حورية قسرية بدوية * لبس الجفا والصد من أخلاقها

قال التيجاني في كتابه تحفة العروس ويمكن تغيير البيتين الاولين بأن يقال

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس تتلو في المشارق صبحها

رجل من بقايا جند مصر يعلم الرمي بالنشاب واسمه الليث بن دوس وهو معبس الوجه كالحه ثاني العطف جامحه فقال الامير يداعبه بديها

أصبح الليث يوافي * بتعبيس وتيه

فمتى أنطق يا * فوخه اسم أبيه

فاستحسنت البيتين ثم صنعت في معناهما بعد ذلك بحين وزدت عليه

قد جاءنا الليث بن دوس على * عادته في الانقباض ورسمه

فمتى أرى اسم أبيه في يافوخه * ومتى أرى ناب اسمه في جسمه

وهذه طريقة بديعة ومن أحسن ما سمعت فيها قول السلامي في صبي يعرف بابن برغوث

لو أنها كشفت لنا عن ساقها * لحسبتها بلقيس وافت صرحها

يشير الى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها الآية ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى

يسر بالعيد أقوام لهم سعة * من الثراء وأما المقترون فلا
هل سرنى وثيابى فيه قوم سبا * أوراقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يشير الى قوله تعالى عن قوم سبا ومزقناهم كل ممزق والى قول الرياحى

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم

يابدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى
فليفعلوا ماشاؤا * فانهم أهل بدر

يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ومنه قول السراج الوراق

ومن فرط فقرى واحتياجى بعدكم * وبذل محيا بالحياء مستتر
أكلت حمارا طال ماقد ركبته * كأنى لم أسمع بأخبار خيبر

يشير الى تحريم لحوم الحمر الاهلية فى غزوة خيبر

(لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل والرمضاء الارض الشديدة الحر وأحفى من حفى بفلان اذا بالغ فى اكرامه وأظهر السرور والفرح وأكثر السؤال عن حاله (والشاهد فيه) التلميح الى البيت المشهور وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو من البسيط ولا أعرف قائله وعمرو هو ابن الحرث ولهذا البيت قصة وهى أن البسوس بنت سعد خالة جساس بن مرة كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شمس وكانت له ناقة يقال لها سراب وكان كليب بن وائل قد حمى أرضا من أرض العالية فى مستقبل الربيع فلم يكن يرعاها أحد الا جساس لمصاهرة بينهما لان حليلة بنت مرة أخت جساس كانت تحت كليب فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع ابل جساس فأبصرها كليب فأنكرها فرماها بسهم فأصاب ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبنا ودما فلما نظر اليها صاح واذلاه وذل جاراه فخرجت جارته البسوس فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت واذلاه وقالت

لعمرى لو أصبحت فى دار منقذ * لما ضيم سعد وهو جار لابياتى
ولكننى أصبحت فى دار غربة * متى يعد فيها الذئب يعدو على شاتى
فياسعد لا تغرر بنفسك وارتحل * فانك فى قوم عن الجار أموات

فسمعها جساس فقال اسكتى أيتها المرأة فليقتلن جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك ولم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيأ فتباعد عن الحى وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحرث فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ثم أدركه عمرو بن الحرث فقال يا عمرو أغثنى بشربة ماء فقال تجاوزت شبيثا والاحص يعنى موضع الماء وأجهز عليه فقيل المستجير بعمرو البيت ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة حتى قتل أكثر بكر وكانت الغلبة لتغلب عليهم قال ابن اسحق كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر

ولى شفيع اليك شرفنى * ايجابه لى وزاد فى قدرى
نبهت منه لحاجتى عمرا * ولم أعول فيه على عمرو

بليت ولا أقول بمن لأنى
اذا ما قلت من هو يعشقوه
غزال قدنى عن رقادى
فان غمضت أيقظنى أبوه
وللصاحب بن عباد فى مغن
يعرف بابن عذاب
أقول قولا بلا احتشام
يفهمه كل من يعيه
ابن عذاب اذا تغنى
فاننى منه فى أبيه
ولابى الوليد الفضلى الاندلسى
خبر يدخل فى بدائع البدائه
قال ابن طوفان دعا أبى
أبا الوليد فلما قضوا وطرهم
من الطعام جلست أسقيهم
وجعلت أترع له الكاسات
فلما مشت فيه سورة الحيا
ارتجل قائلا
لابن طوفان أياد
قل فيها مشبهوه

يريد بالشطر الاول قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم

و بالثانى البيت المار ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائدا من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف بن أبى دلف هرب الى عمرو بن الليث وهو يومئذ بخراسان فتم ذلك أحمد وأقلقه فدخل عليه أبو نجدة وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى فأنشده يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم * فجللوا وجهه قارا بذى قار

دوّخ خراسان بالجرد العتاق وبالـ * ـبيض الرقاق بأيدى كل مسعار

يا من تيمم عمرا يستجير به * أما سمعت ببيت فيه سيار

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

فسرّ أحمد بذلك وسرّى عنه وأمر لابى نجدة بجائزة وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان اذا فرغ من صلاته وضع خده على الارض وقال

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار وأنشد المبرّد لابى كريعة البصرى يقول لعمرو الجاحظ

لم يظلم الله عمرا حين صيره * من كل شئ سوى آدابه عار

بنت حبال وصالى كفه قطعت * لما استعنت به فى بعض أوطارى

فكنت فى طلبى من عنده فرجا * كالمستجير من الرمضاء بالنار

انى أعيذك والمعاذ محترس * من شؤم عمرو بعز الخالق البارى

فان فعلت فخط قد ظفرت به * وان أبيت فقد أعلنت أسرارى

وما أحسن قول السراج الورّاق مشيرا الى ذلك

مالى أرى عمرا أنى استجرت به * قد صار عمرا وأوفيه وانصرفا

ونام عن حاجة نبهته غلطا * لها فألقيت منه السهد والأسفا

والمستجير بعمرو قد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا

وقوله أيضا

أقت المطامع من نومها * وغث فمن ذا بهذا حكم

وحاشاك تسمع فى مثلها * فنبه لها عمرا ثم نم

وقوله أيضا لاعدمتك حاجة * حملت على كلها قد نام عنها عمر * وأنت يقظان لها

ومن لطيف مجونه فى تضمين هذا المعنى قوله

نشطت لسرّيتى فانثنى * متاعى من بعدما قد عزم

فقلت تنام ولى مقلة * مسهدة من هذا حكم

فقال أما قال بشاركم * فنبه لها عمرا ثم نم

ومنه قول الصفىّ الحلى فى رجل اسمه أحمد كان يرمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر

توالت على أحمد أبنة * فأقبل يشكو الىّ الالم فقلت له انها فتنة * فنبه لها عمرا ثم نم

وقد عكس هذا المعنى بقوله

أنا الذى خالفت كلّ الورى * فى خبر أثبته الوقت لما أتانى عمر زائرا * أغمته ثم تنبهت

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة

بينى وبين الحظ داجية * عمياء لا نجم ولا شجر

لا يهتدى فيها ولو طلعت * فى أفقها أخلاقك الغرر

وأرى وحاشاك الكرام وما * لى عندهم ظل ولا ثمر

لو أننى نبهت فى وطر * عمر المات من الكرى عمر

ملأ الكاسات حتى قيل فى البيت أبوه

وللعقيل من شعراء كتاب الذخيرة لابن بسام فى شاعر يعرف بابن القزاز فاذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه

(أخبرنى الفقيه) تقىّ الدين الدين البونىّ الشاعر المعزىّ الى ميافارقين سنة ثلاث وستمائة قال اقترح صاحب قرقيسيا الملك المظفر محمود بن عماد الدين زنكى علىّ وعلى جماعة كانوا على بابه من الشعراء أن يعمل له فى سرج ما يكتب عليه فصنعوا وصنعت بديها

فقت السروج فسكى المسك رائحة * بغير شك كأعودى هو العود

تحتى البراق متى رمت اللحاق ومن * فوقى خليفة هذا العصر محمود

ومن التلميح قول بشار اليوم خمر ويبدو فى غد خبر * والدهر ما بين انعام وابآس
يشير الى قصة امرئ القيس وقد بلغه ان أباه قتل وكان يشرب فقال اليوم خمر وغدا أمر ومن مجون التلميح
قول ابن حجاج غضبت صباح وقد رأتنى قابضا * أيرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر
يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه
وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح
وعندى من لواحظها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفى أعطافها النشوى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
يشير الى قول النابغة زعم الهمام بأن فاها بارد * عذب مقبله شهى المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنه * عذب اذا ما ذقته قلت ازدد
وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور فقد
روى أنه وعده بجائزة ثم نسى فحجا معا ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة فقال الهذلى يا أمير المؤمنين هذا بيت
عاتكة الذى يقول فيه الاحوص
يا بيت عاتكة التى أتغزل * حذر العدى وبه الفؤاد موكل
فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ثم انه أمر القصيدة على باله ليعلم ما أراد فاذا فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل
فعلم أنه أشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ما وعده به فأنجزه له ومثله ما حكى أن أبا العلاء المعرى
كان يتعصب للمتنبى وشرح ديوانه وسماه معجز أحمد فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر
المتنبى فهضم المرتضى من جانبه فقال المعرى لو لم يكن له من الشعر الا قوله * لك يا منازل فى القلوب منازل
لكفاه فغضب المرتضى وأمر بسحبه واخراجه وقال للحاضرين أتدرون ما عنى بذكر هذا البيت قالوا
لا قال عنى به قول المتنبى واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى فاضل
ومن التلميح بهذا البيت بعينه ما حكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى
بقلائد العقيان فقال فيه رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا
ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ فى غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل لا يتطهر من جنابه ولا
يظهر مخائل انابه فبلغ ابن الصائغ انتقاصه له فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة فسلم على القوم وضرب
على كتف الفتح وقال له شهادة يا فتح ومضى فلم يدر أحد ما قال الا الفتح فتغير لونه فقيل ما قال لك فقال انى
وصفته بما تعلمون فى كتابى فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو منى بهذه الكلمة انه يشير بها الى قول المتنبى
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى فاضل
ومن هذا القبيل قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبب المتنبى أيضا فانهما كانا من مداحه
فجرى ذكر المتنبى يوما فى مجلس سيف الدولة فبالغ فى الثناء عليه فقال السرى أشتهى أن الامير ينتخب
لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ويتحقق بذلك أنه أركبه فى غير سرجه فقال له سيف الدولة عارض
لنا قصيدته القافية التى مطلعها
لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى * وللحب ما لم يبق منى وما بقى
قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته لكن رأيته يقول فيها
اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق
فعلمت أن سيف الدولة انما أشار الى هذا البيت فأحجمت عن معارضته ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى

قال فاستحسنه وأجازنى
(وأخبرنى) موفق الدين
أبو العباس أحمد بن محمد بن
عمر بن عبيد الله البغدادى
بحران قال أنشدنى أبو عبد
الله محمد بن جلى صاحب
الجرمى لنفسه ارتجالا
وعروس خدر حين نبرزها
تسطو كأن فؤاده الحب
خلع المزاج على معاطفها
ثوبا كأن شعاعه ذهب
وأراد يجلوها فصاغ لها
تاجا ورصع تاجها الحبب
(وأخبرنى) موفق الدين
أبو الحسن على بن محمد

العباس بن أبي طالب رحمه الله تعالى

وكم ليلة تلت فيها المنى * وبات لي الحب فيها نجيا
اذاضل لحظي في جنحها * هدت وجنتاه الصراط السويا
أراع فأسأل عن صبحها * فيرجع لي جنحها ثم هنيا
الى أن بدا الحسن رحانها * يحاول للجدي فيها رقيا
فيالك من ليلة بتها * أنادم بدر دجاها البهيا
حكت ليلة السفح في حسنها * فأصبحت أحكي الشريف الرضيا

يشير الى قول الشريف الرضي رحمه الله تعالى في قصيدته البديعة المشهورة وهو

ياليلة السفح هلا عدت ثانية * سقى زمانك هطال من الديم
وأمست الريح كالغيرا تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
يشو بنا الطيب أحيانا وآونة * يضيئنا البرق مجتازا على اضم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي * مواقع اللثم في داج من الظلم
وبيننا عفة بايعتها بيدي * على الوفاء بها والرعي للذمم
وبلل الطل بردينا وقد نسمت * رويحة الفجر بين الضال والسلم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة * حتى ترنم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ماتعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم
وألمستني وقد جد الوداع بنا * كفا تشير بقضبان من العنم
وألثمتني ثغرا ما عدلت به * أرى الجنى ببنات الوابل الردم
ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا * وفي بواطننا بعد عن التهم

ومن لطائف التلميح قول أبي فراس من أبيات

وقال أصيحابي الفرار أو الردى * فقلت هما أمران أحلاهما امر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني * وحسبك من أمرين خيرهما الاسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة * كما ردها يوما بسوءته عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضربه علي رضي الله عنه يوم صفين فالتقاء بسوءته كاشفا عنها فأعرض وقال عورة المرء حمى وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع علي رضي الله عنه كما وقع لعمرو وكان مع معاوية بصفين أيضا فأمره أن يلقى عليا وقال له سمعتك تتمنى لقاءه فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه فقصده في الحرب والتقيا فصرعه علي فكشف عن سوءته فتركه وفي ذلك يقول الحرث ابن النضر السهمي وكان عدوا لعمرو وبشر

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه * ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بشر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بشر ألا انظرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجيا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تدرك القنا * نحور كان التجارب كافيه

ومن التلميح البديع قول أبي فراس أيضا

البغدادي الساكن برأس العين قال كنت في خدمة السلطان الملك الاشرف أبقاه الله بدمشق فدخل عليه الرشيد عبد الرحمن النابلسي الشاعر الملقب مدلويه وعلى عينه خرقة بجرت بيني وبينه معاتبة فقلت بديها
ان أظلمت عين مدلويه فمن * كثرة نقض العهود والذمم
يقسم أن لا يخون صاحبه * وهو يصر الفجور في القسم
لو خلق الشعر قيل مسترق * واللص يعني بكثرة التهم

وقد علمت أمي بأن منيتي * بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها * بمهلكه في الماء أم شبيب

يشير الى ما رأته أم شبيب الخارجي في منامها وهي حامل به من أن نارا خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في ماء فانطفأت فلما كان من أمره ما كان ونعي اليها غير مرة لم تصدق حتى قيل لها انه قد غرق فصدقت وأقامت المناحة عليه (ومن بديع التلميح) ما حكى أن عبد الرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضي الله عنه الشأم وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص فوجهه أخوه وقال له القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه فلما قدم دخل عليه وهو يعشي الناس فأنشأ يقول

أتتك العيس تنفخ في براها * تكشف عن مناكبها القطوع
بأبيض من أمية مضرحي * كأن جبينه سيف صنيع

فقال له معاوية أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا فقال أي ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك شيأ وأراد معاوية رضي الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذي عن له فقال على أي الظهر أتيتنا قال على فرس قال ما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي له

ونجى ابن حرب سابح ذو غلالة * أجش هزيم والرماح دواني
اذا خلت أطراف الرماح تناله * مرته به الساقان والقدمان

فغضب معاوية رضي الله عنه وقال أما انه لا يركبه صاحبه في الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ألخيانة أوجبت سخطا أم لرأي رأيته وتدبير استصلحته قال لتدبير استصلحته قال فلا بأس بذلك وخرج من عنده فلقي أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية فاستشاط غيظا وقال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصر منك أحجمت عنه ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضي الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا اليك قال لاها الله ما زرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقا قاطعا والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص بصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الامر اليكم أبيتم الا أثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين وانما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوءى بالمرصاد فقال له معاوية رضي الله عنه عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك احداها أني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفي منه والثانية كراهتك لأمر زياد والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان رضي الله عنهما فلم تعدها فقال له مروان أما ابن عامر فاني لا أنتصر منه في سلطاني ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقفه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه وجعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انه لتأتي على سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان رضي الله عنه فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رملة انما تستعدي عليه طلبا للنكاح فقال له معاوية رضي الله عنه يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان هو ذاك الآن والله اني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة يعني أربعين ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل معاوية رضي الله عنه ثم قال مروان

فان أك في شراركم قليلا * فاني في خياركم كثير
بغاث الطير أكثرهم فراخا * وأم الصقر مقلات نزور

فما فرغ من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع وقال لك العتبى وأنا رادك الى عملك فوثب مروان

أو شرب المسكرين في حلب
كرسمه بعض ليله لعمى
ولو يكون الجبير بعدبها
حيار مي بالعمى وبالصمم

(قال علي بن ظافر) المسكران المشار اليهما النبيذ والصفع والجبير رجل من ندماء الملك الظاهر كان كثير العبث بالمذكور في مجلس الملك الظاهر وهو الذي غناه الاديب شرف الدين الحلي صاحبنا بيتين من قوله وكتب بهما الى الرشيد المذكور الى دمشق أنشدنيهما الموفق عنه

وقال كلا وعيشك لا رأيتني عائدا اليه أبدا وخرج فقال الاحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ماهذا الخضوع لمروان وأى شئ يكون منه ومن بنى أبيه اذا بلغوا أربعين وأى شئ تخشاه منهم فقال له ادن منى أخبرك بذلك فدنا منه فقال له ان الحكم بن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أم حبيبة لما زفت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحد النظر اليه فلما خرج من عنده قيل له يارسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم فقال ابن المخزومية ذاك رجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الامر بعدى فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال له الاحنف لا يسمعن هذا منك أحد فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وعلا أمرا يكن فقال له معاوية رضى الله عنه فاكتمها على يا أبا بحر اذا فقد لعمرى صدقت ونصحت (ومن ظريف التلميح) أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بردة وكان كثير المزاح معه فقال لحاجبه استأذن لحمزة بن بيض الحنفى فدخل الحاجب فأخبره به فقال اخرج فقل له حمزة بن بيض ابن من فقال له ادخل فقل له الذى جئت اليه بنيار الحمام وأنت أمرد تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر فشتمه الحاجب فقال له ما أنت وذاك بعثك برسالة فأخبره بالجواب فدخل الحاجب وهو مغضب فلما رآه بلال ضحك وقال ما قال لك قبحه الله فقال ما كنت أخبر الامير بما قال فقال ياهذا أنت رسول فأدّ الجواب فأبى فأقسم عليه حتى أخبره فضحك حتى فحص برجليه وقال قل له قد عرفنا العلامة فادخل فدخل فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته وأراد بلال بقوله بيض ابن من قول القائل

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره * فقد صدقت ولكن من أبو بيض

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان وكان يعبث به كثيرا فوجه اليه رسوله ليلة وقال ائتنى به على أى حالة وجدته فهجم الرسول عليه فوجده داخلا الى الخلاء فقال أجب الامير فقال ويحك أكلت كثيرا وشربت نبيذا حلوا وقد أخذنى بطنى فقال لا سبيل الى مفارقتك فأخذه وأتى به اليه فوجده قاعدا فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور وجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه فعرضت له ريح فسيها ظننا أن البخور يسترها قال حمزة فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند فقال ماهذا يا حمزة فقلت على عهد الله والمشى والهدى ان كنت فعلتها وما فعلها الا الجارية فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ثم جاءتنى أخرى فسرحتها وسطع والله ريحها فقال ماهذا ويلك أنت والله الآفة فقلت امرأتى طالق ان كنت فعلتها وهذه اليمين تلزمنى ان كنت فعلتها ماهو الا عمل هذه الجارية فقال ويلك ماقصتك قومى الى الخلاء ان كنت تجدين شيأ فأطرقت وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال يا حمزة خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت على ليلتى فأخذت بيدها وخرجت فلقينى خادم فقال لى ماتريد أن تصنع فقلت أمضى بها فقال والله لئن فعلت ليبغضنك بغضا لا تنتفع به بعده وهذه ثلثمائة دينار فخذها ودع الجارية فقلت والله لا نقصتك عن خمسمائة دينار فقال ليس الا ماقلت لك قال فأخذتها وأخذ الجارية فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال هذه مائة دينار أخرى وتقول مالا يضرك ولعله ينفعك فقلت وماهو وقال تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك فقلت هاتها ودخلت فلما وقفت بين يديه قلت لى الأمان أيها الامير فقال قل فقلت أرأيت تلك الليلة وماجرى من الفسوات قال نعم قلت على وعلى ان كان فساهن غيرى فضحك حتى سقط على قفاه قال فلم ويلك ما أخبرتنى فقلت أردت خصالا منها أنى قمت وقضيت حاجتى ومنها أنى أخذت جاريتك ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعتنى رسولك من دفع أذاى قال وأين الجارية قلت ماخرجت من دارك وأخبرته الخبر فسر به وأمر لى بمائتى دينار أخرى وقال هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى

لئن فخرت يوما تميم بقوسها * فخارا على ماوطدت من مناقب

وهما قوله

قدم العزم يارشيد وبادر
فلقد آن من نوالك الحضور

ماتبق على قذالك نطع
تاب سلطانا نا ومات المجير

(وأخبرنى) الشهاب ابن أخت نجم الدين بن المجاور المقدم ذكره قال حضر ابن عنين الشاعر الدمشقى وابن الروى البسام عند خالى فتذاكرت معه فى تشبيه الثغر بالثريا فاذكر قليلا ثم أنشد

ياغزالا أرى الغواية رشدا
فى هواه والرشد فى الحب غيا

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير الى قصة حاجب بن زرارة حين أتى كسرى فى جدب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال انكم معاشر العرب ذو وغدر وحرص فان أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد فقال حاجب انى ضامن للملك أن لا يفعلوا فقال ومن لى بأن تفى فقال أرهنك قوسى فضحك من حوله فقال كسرى ما كان ليسلمها أبدا فقبلها منه وأذن لهم ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم وقد مات حاجب فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه الى كسرى يطلب قوس أبيه فردها وكساه حلة فلما رجع أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم ويشير فيه أيضا الى وقعة ذى قار المشهورة وكانت بين الفرس والعرب وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولما بلغه خبرها قال هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا وعن ابن عباس قال ذكرت وقعة ذى قار عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا (ويروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعى لبنى شيبان وجماعة ربيعة بالنصر ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس (ويروى) أنه قال ايها بنى ربيعة فهم الى الآن اذا حاربوا دعوا بشعار النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم وقال قائلهم يارسول الله وعدك فاذا دعوا بذلك نصروا وقد لمح الى ذلك المطرانى بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * زهو تميم بقوس حاجبها

وقد لمح الى ذلك الصفدى فقال مورياً فى مليح قلندرى حلق حاجبيه

بدا لى فى حلق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذاهل فيه مذاهب

حبيبى بحق الله قل لى ما الذى * دعاك الى هذا فقال مجاوبى

وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية

رأى صاحبى عمراً فكاف وصفه * وحملنى من ذلك ما ليس فى الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن شب عمرو عن الطوق

يشير الى قصة عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرش وكانت الجن قد استهوته صغيرا ثم قدم وقد التحى فى خبر طويل فأدخلته أمه رقاش الى الحمام وألبسته ثياب الملك ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له وازارته خاله فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال شب عمرو عن الطوق فذهب مثلا والى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات

بطوق سمورة كادت محاسنه * تكون للورق فى أفنانهن سمر

ان شب عمرو عن الطوق الذى زعموا * فقل وقد شب فى الطوق الوزير عمر

وأشار الى ذلك بقوله أيضا مثل ما قد شب عمرو * هكذا شاب عمر

(ومن غريب التلميح) ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال فتبعت المرأة وقلت لها ان لم تخبرينى بما أراد ابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحت فقالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن التلميح أيضا قوله شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور

ما رأيته أقبل ابتسامك بدر الـ
ـتم يفتر عن نجوم الثريا
(وأخبرنى) القاضى الاعز ابن المؤيد المقدم ذكره عن العماد بن ناصر الدولة رحمه الله قال اجتمعنا ليلة بدمشق فى دعوة غناء ومعنا ابن عنين وعمر غلام الحكيم ابن المطران فأخذنا فى الحديث باستحسانه واستعظام أمره فى الحسن وشانه وتمنى الوصول الى وصاله وتشهى الاستمتاع بجماله فقال له بعض الحاضرين نبه لها عمر

أراد به قول الآخر وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى لقعقاع جليس
ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس

عسكر من جماله * بطل ليس يدفع قام عن قوس حاجبيـ * ـه بعينيه ينزع
أسهم كيف ما انحرفـ * ـن الى القلب تنبع هكذا كنت عن أبي * حية قبل أسمع

يشير الى ما حدث به أبو حية النميري عن نفسه قال عنّ لى ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبارات (وأبو حية هذا) اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع وقيل انه كان يصرع ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق (قال ابن قتيبة) فحدثني جاره قال دخل ليلة الى بيته كلب فظنه لصا فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك انى والله ان أدع قيسا علىك لا تقم لها قيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبينا هو كذلك اذ خرج الكلب فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفاني حربا (وقال) مسلمة بن عياش لأبي حية أتدري ما يقول الناس قال وما يقولون قال يقولون انى أشعر منك قال انا لله ذهب والله الناس (وحدث) عبد الله بن مسلم قال كان أبو حية النميري من أكذب الناس فحدث يوما أنه يخرج الى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء فقيل له يا أبا حية أفرأيت ان أخرجناك الى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فاذا تصنع بها قال أبعدها الله اذا وقال يوما رميت والله ظبية فلما بعد سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها * وقد لمح الصلاح الصفدى الى قصة أبي حية أيضا فقال

وشادن ان هبّ عرف الصبا * شممت منه عرفه طيبه
أميل عنه خوف عشقى له * وجفنه يتبعنى غيبه
كأننى قدامه ظبية * وطرفه سهم أبي حيه

وقد تبع الصلاح الصفدى في ذلك ابن نباتة على عادته المشهورة حيث قال

وبديع الجمال لم ير طرفي * مثل أعطافه ولا طرف غيرى
كلما حدت عن هواه أتاني * سهم ألحاظه كسهم النميرى

ومما عد من هذا النوع وهو بالتعريض أشبه قول محمد بن مغيث وفد أتى عبد المجيد بن مهذب زائرا فحجبه وهو

زرت عبد المجيد زورة مشتا * ق اليه فصدّعني صدودا
فكأنى أتيته انزع العمة عن رأسه وأخصى سعيدا

وكان برأس المذكور قروح وله عبد يؤثره وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفى في قولها

ان ابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

ومثله قول أبي الحسن بن نقادة ان ابن زيد برام * له مرام بعبده
يريشنى بسهام * تجيء غير سديده والله ان لم يدعنى * لأخصين عبيده
وما أحسن قول أبي نواس فأعرض هيثم لما رآني * كأنى قد هجوت الادعياء
فعرض بكونه دعيا ثم تهكم به فقال

فقد آليت لا أهجو دعيا * ولو بلغت مروته السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميري ساير يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري يوما فبرزت

فأطرق ثم أنشد بديها
وحاجة بت أشكوها الى ثقة
وقد تزاحمت الأشجان والفكر
فقال لى مشفقا انبه لها عمرا
فقلت واخيبتي ان لم ينم عمر
وعمر هذا هو الذى يشير اليه ابن عنين في قصيدته المسماة مقراض الاعراض التي عم فيها أهل دمشق بالهجاء وأولها
أضالع تنطوي على كرب
ومقلة مستهلة الغرب
ومنها يعنى الحكيم بن المطران

بغلة شريك فقال يزيد غض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة أصلح الله الامير فقال له يزيد ماذهبت حيث أردت ويزيد أشار الى قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فعرض له شريك بقول ابن دارة

لاتأمنن فزاريا نزلت به * على قلوصك واكتبها باسيار

وكان بنو فزارة يرمون باتيان الابل ومثله ماحكى أن تميميا نزل بفزارى فقال له قلوصك ياأخا تميم لاتنفر القطا فقال انها مكتوبة أشار الفزارى الى قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولوسلكت سبل المكارم ضلت

وأشار التميمي الى بيت ابن دارة المار وبيت الطرماح هذا يقول بعده

ولوأن برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الاول فقال

تعستم جميعا من وجوه لئيمة * تكنفكم لؤم وجهل فأفرطا

أراكم تعيبون اللئام واننى * أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

(ومثله ماحكى) أن تميميا قال لشريك النميرى مافى الجوارح أحب الى من البازى فقال النميرى خاصة اذا كان يصيد القطا أشار التميمي الى قول جرير

أنا البازى المطل على نمير * أتيح من السماء له انصبابا

وأشار النميرى الى بيت الطرماح المار قبله (ومن ذلك ماروى) أن رجلا من بنى محارب دخل على عبدالله ابن يزيد الهلالى فقال عبدالله ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب ماتركونا ننام فقال المحاربى أصلحك الله أضلوا البارحة برقعا فكانوا فى طلبه أراد الهلالى قول الاخطل

تنق بلاشئ شيوخ محارب * وماخلتها كانت تريش ولاتبرى

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربى قول الآخر لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وجلال

ومنه ماذكره صاحب البيان قال دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلى ومعه ابنه الافوه وكان مبغضا فتخطى الناس حتى بلغ الى عمر بن فرج الرخجى فلما قرب منه قال له من هذا فقال ابنى أصلحك الله وهل يخفى القمر فقال ان كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار أراد قول بشار بن برد

اذا أعيتك نسبة باهلى * فرفع عنه حاشية الازار على استاه سادتهم كتاب * موالى عامر وسم بنار

ومن ظريف التلميح ماحكى أن الحيص بيص حضر ليلة عند الوزير فى شهر رمضان على السماط فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يامولانا هذا الرجل يؤذينى فقال الوزير وكيف ذلك قال لانه يشير الى قول الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولوسلكت سبل المكارم ضلت

وكان الحيص بيص تميميا وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد وكان ابنه لقب هرج مرج وابنته دخل خرج * ومما يستطرف لابى القاسم المذكور وهو مما نحن فيه أنه لما ولى الزينبى الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قولهم ارقص للقرد فى دولته وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى وكتبه الى بعض الرؤساء

يا كمال الدين الذى * هو شخص متخص زالرئيس الذى به * ذنب دهرى يحص

كلما قلت قد تبغ * دد قومى تحمصوا وغواش على الرؤ * س عليها المقرنص

ترى أرى سيدى الموفق يختال لنا فى عراصها الرحب يمشى الهوينا وخلفه عمر يختال مثل المهاة فى السرب وسيدى قلما يشاكله فى الناس الا تبظرم الرحبى المدعى انه بحكمته علم بقراط صنعة الطب (وأخبرنى) الاعز بن المؤيد رحمه الله انه حضر عند بعض الرؤساء فناوله ثمامة ريحان و ورد فصنع فى الحال

والرواشـ بن والمنا * ظروالحيل تقمص وأنا القـرد كل يو * م لكلب أبصبص
كل من صفق الزما * ن له قمت أرقص محن لا يفيـدذا الشـنون منها التبرصص
فتى أسمع النـدا * وقـدجاء مخاص

وفي معناه قول ابن عتبة الاشبيلي وكان قد فارق الاندلس وهي مضطربة بدولة ابن هود وقدم مصر فلما سئل عن حاله أنشد

أصبحت في مصر مستضاما * أرقص في دولة القـرود
واضيعة العمر في أخير * من النصارى أو اليهود
بالجد رزق الشام فيهم * لا بذوات ولا جـدود
لا تبصر الدهـر من براعى * معنى قصيد ولا قصود
أود من لؤمهم رجـوعا * للغرب في دولة ابن هود

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبي الحسن الاهوازي

قلت لمن لام لا تلمني * كل امرئ عالم بشانه * لاذنب فيما فعلت اني
رقصت للقرد في زمانه * من كرم النفس أن تراها * تحتمل الذل في أوانه

ومنه قول علي بن بسام لا يتأنفن من سجود * في زمن القرد للقـرود
وقوله أيضا سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرود
فما آلت أناملنا بشيء * علمناه سوى ذل السجود

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الاشراف وكان ينسب الى البخل وكان في شهر رمضان والحر شديد فقال له أين كنت قال في مطبخ سيدي النقيب فقال الوزير ويلك في شهر رمضان في المطبخ قال وحياة مولانا كسرت فيه الحر فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب * وهجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بقصيدة كافية أولها

يا أخي الشرط أملك * لست للثلب أترك

وهي تزيد على مائة بيت فسير اليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فطال حبسه فكتب الى مجد الدين استادار الخليفة

اليك أظل مجد الدين أشكو * بلاء حـل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عـني محالا * الى قاضي القضاة الندب سيقا
فأحضرني بباب الحكم شخص * غليظ جرني كما وزيقا
وأخفق نعله بالصفع رأسي * الى أن أوجس القلب الخفوقا
على الخصم الاداء وقد صفعنا * الى أن ما تهـدينا الطريقا
فيا مولاي هب ذا الافك حقا * أيحبس بعد ما استوفى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس فقال

عنـد الذي طرقني أنه * قد غض من قدري وآذاني
والحبس ما غير لي خاطرا * والصـفع مالين آذاني

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير وكان قد بلغ ابن سـنا الملك أنه قد هجاه فأدبه بالصفع وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر

قل للسعيد أدام الله دولتـه * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صفعته اذ غدا يهجوك منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع ما يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عنـده أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل حباها با كرام وقام مبادرا * الى وتد البيقار علق خفها

سيدا قد أسدى لنا من أياديـ
ـه فعالا تنزه الابصارا
قرنت راحتاك بالورد يحا
نا فأهـدت الى الخـدود عذارا

(قال علي بن ظافر) دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله يجري في مجلسه من فنون المذاكرة ما أداه الى أن قال كان الرشيد أحمد ابن الزبير قد اجتمعت فيه صفات وأخـلاق تقتضي أن تجود معاني الهجاء فيه من ذلك انه كان أسود ولا يزال يدعي الذكاء وان

وكان

وكان اذا مارابه بسوء فعلها ❊ يبل قضاءه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله فكتب الى صديق لقاضى القضاة

يا أبا الفضل الهباء اذا ❊ ضاق صدر منه يتسع
وقوافى الشعر وانية ❊ ولها الشيطان متبع
فاحذروا كافات مقصدر ❊ مالكم فى صفعه طمع

فاتصلت الابيات بالزينبى فأجاز ابن السوادى وأرضاه ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الاكابر فى بعض الايام فلم يؤذن له فعز عليه فأخرجوا من الدار طعاما للكلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس لعن الله شجرة لا تظل أهلها ❊ ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر يوما فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففترق بينهما وصلى ركعتين فلما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك وقال أبو الحسين وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك

انا فى مقعد صدق ❊ بين قواد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق

ومهفهف راض الابى فقاده ❊ سلس القياد لما توسط بيننا ❊ جرت الامور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة والله تعالى أعلم

حسن الابتداء

﴿قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ❊ بسقط اللوى بين الدخول فحومل﴾

البيت من الطويل وهو مطلع قصيدة امرئ القيس السابقة فى شواهد المقدمة والسقط حيث انقطع معظم الرمل ورق واللوى ما التوى من الرمل أو مسترقه والدخول وحومل موضعان (والشاهد فيه حسن الابتداء) ويسمى براعة المطلع وبراعة الاستهلال فبيت امرئ القيس هذا أبدع فيه لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى وأحسن منه فى التناسب وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى قول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب ❊ وليل أقاسيه بطىء الكواكب

فان قسميه متناسبان والفاظه متلائمة وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جبل فى قوله

الا أيها النوام ويحكم هبوا ❊ أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد اما المفضل الضبى أو غيره هل تعرف بيتا نصفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بذلة فأنشده البيت فاستحسن فكره

﴿قصر عليه تحية وسلام ❊ خلعت عليه جمالها الايام﴾

البيت لاشجع السلمى من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد والرواية نشرت بدل خلعت وبعده

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقى ❊ للملك فيه سلامة وسلام
قصر سقوف المزن دون سقوفه ❊ فيه لاعلام الهدى اعلام
نشرت عليه الارض كسوتها التى ❊ نسج الربيع وزخرف الارهام
أدنتك من ظل النبى وصية ❊ وقرابة وشجت بها الارحام
برقت سماؤك فى العدو فأمطرت ❊ هاما لها ظل السيوف غمام
واذا سيوفك صافحت هام العدا ❊ طارت لهن عن الرؤس الهام
يثنى على أيامك الاسلام ❊ والشاهدان الحل والاحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد ❊ رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا ❊ سلت عليه سيوفك الاحلام

خاطره من نار فقال فيه ابن قادوس

ان قلت من نار خلقـ ـت وفقت كل الناس فهما
قلنا صدقت فما الذى أطفاك حتى صرت فحما

وأرسل الى اليمن ولقب علم المهتدين فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة

بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم أسود

يعنى ان الاعلام السود انما تكون للعباسيين وأعلام تلك الدولة بيض

(حـدثت) عبد الله بن العباس الربيعي أن أول من أدخل أشجع الى الرشيد الفضل بن الربيع فانه مدحه فوصفه للرشيد وقال هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة فأمر باحضاره وايصاله مع الشعراء فلما وصل اليه أنشده هذه القصيدة فاستحسنها وأمر له بعشرين ألف درهم فمدح الفضل بن الربيع وشكره لايصاله الى الخليفة فقال فيه قصيدته التي أولها

غلب الرقاد على جفون المسهد * وغرقت في سهر وليل سرمد
قد جد بي سهر فلم أرقد له * والنوم يغلب في جفون الرقد
ولطالما سهرت بحبي أعين * أهدى السهاد لها ولما أسهد

ويقول فيها

أأقيم محتملا لضيم حوادث * مع همة موصولة بالفرقد
وأرى مخايل ليس يخلف نوءها * للفضل ان رعدن وان لم ترعد
للفضل أموال أطاف بها الندى * حتى جهدن وجوده لم يجهد
يا ابن الربيع حسرت شكري بالذي * أوليتني في عود أمرك والبد
أوصلتني ورفدتني وكلاهما * شرف فقأت به عيون الحسد
وكفيتني منن الرجال بنائل * أغنى يدي عن أن تمد الى يد

(والشاهد في البيت حسن الابتداء) وقد ضمنه الصلاح الصفدي في مرثية فقال

صلى وراءك كل من عاصرته * علما بأنك في البيان امام
وكأن قبرك للعيون اذا بدا * قصر عليه تحية وسلام

ومن محاسن الابتداء قول أبي نواس

خليلي هذا موقف من متيم * فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله أيضا

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقول البحتري

بودي لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وقول أبي تمام

لا أنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

وقول المتنبي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وقوله

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم أدر أي الظاعنين أشيع

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين

أخذت من شبابي الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وقول أبي العلاء المعري

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقول ابن هانئ مع بديع الاستعارة

بسم الصباح لأعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقول الشريف أبي جعفر البياضي مشيرا الى الرفق بالابل عند السرى

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

وقول ابن قاضي ميلة

يذيل الهوى دمعي وقلبي المعنف * وتجني جفوني الوجد وهو المكلف

وقول التهامي

حازك البين حين أصبحت بدرا * ان للبدر في التنقل عذرا

وما أرشق قوله بعده

فارحلي ان أردت أو فأقيمي * أعظم الله للهوى في أجرا
لا تقولي لقاؤنا بعد عشر * لست ممن يعيش بعدك عشرا

وقول علي الشطرنجي الحلبي من قصيدة نظامية

وتولى مطابخ الخليفة فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة

تولى على الشئ أشكاله * فيصبح هذا لهذا أخا
تولى على المطبخ ابن الزبير * تولى على مطبخ مطبخا

وكان ينافر في سوق الشعر ويسرق المعاني فقال فيه ابن قادوس

سلخت أشعار الورى جملة * حتى دعوك الاسود السالخا

فأخذ الاسعد بن الخطير يستحسن هذه القطعة

أما علاك فدونها الجوزاء * قدرا فماذا ينظم الشعراء

وما أبدع ما قال بعده يرتد عنك الفكر وهو مهند * ويضيق فيك القول وهو فضاء

شرف أناف على السماك وهمة * ضاقت بسرح عزمها الدهناء

وفضائل جاءت أخير زمانها * فخشت على ما سطر القدماء

وقول سعيد بن علي من تطامية

أبى الضيم قلب بين جنبي قلب * وعزم من الشهب الثواقب أثقب

وبديع قوله بعده وكلفني خوض الدجى طلب العلا * ولولا المعالى ما طباني مركب

فمالى وللاحى يطيل ملامتي * كأني لغير المجد أسعى وأدأب

وقول ابن العواذلي من تطامية

لو كان للدهر حس أوله كلم * أثنى عليك بما يثنى به الخدم

(قبح الابتداء)

﴿موعد أحبابك بالفرقة غد﴾

قائله ابن مقاتل الضرير أحد شعراء الجبال فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها الداعى الى الحق العلوى الثائر بطبرستان فقال له بل موعد أحبابك ولك المثل السوء (والشاهد فيه قبح الابتداء) وروى أيضا أنه دخل عليه فى يوم مهرجانه وأنشده

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فتطير منه الداعى وقال أعمى يبتدئ بهذا يوم المهرجان وأمر ببطحه وضربه خمسين عصا وقال اصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه (ومن الابتداآت القبيحة) قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان أتصحو أم فؤادك غير صاح فانه لما أنشده قال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة * ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أولها ما بال عينك منها الماء ينسكب وكانت عين عبد الملك تدمع داعما فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ومقته وأمر باخراجه ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها فى الافق عين الاحول

فأمر بوجء عنقه واخراجه من الرصافة (ومن قبيح الابتداء) قول البحترى وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها لك الويل من ليل تقاصر آخره فقال له بل لك الويل والحرب ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيى البرمكى بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لباد * عليك وانى لم أخنك ودادى

فتطير الفضل من هذا الابتداء فلما انتهى الى قوله فيها

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغاد

استحكم تطيره فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة ومنه قصة اسحق بن ابراهيم الموصلى مع المعتصم فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع فى انشاد قصيدة أولها

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء وأمر بهدم القصر على الفور وهذا مع يقظة اسحق وشهرته بحسن المحاضرة وطول خدمته للخلفاء ولكن قد يخبو الزناد ويكبو الجواد مع أنه قيل أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلى هل الى أن تنام عينى سبيل * ان عهدى بالنوم عهد طويل

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه حيث قال

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار

فقلت له كما تقول الا أنه لحن فى قوله الاسود السالخ فانما يقال أسود سالخ وسام أبرص فاللحن يقيم الوزن والصواب يكسره فهو بين خطئى خسف فأخذ فى المشاغبة الى أن قال من أين نقلت هذا فقلت أحضر شاهدى عندك الساعة كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ فقال الجاحظ ليس من أهل اللغة ونقله فى هذا الموضع لا يسمع فقال الاجل الفاضل دع هذا فالصواب

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هي ماتت كان في يدك النشر

كيف تفاءل له دوحه بنشر يده وكذلك قوله يتغزل

في صدرها حجر وتحت صدارها * ماء يشف وبانة تتعطف

فقوله في صدرها حجر أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وكذلك ابن قلاقس في قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

حيث جعل الوضح بوجهه ولا يخفى ما في كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجري حين أنشده

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

عسى هذا الخد كان مسلخا وهذا أمر يطول استقصاؤه وفيما أوردناه مقنع ان شاء الله تعالى

(بشراك قد أنجز الاقبال ما وعدا)

هو من البسيط وقائله أبو محمد الخازن من قصيدة يهنئ بها الصاحب بن عباد بسبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني وتمام المطلع وكوكب المجد في أفق العلا صعدا وبعده

وقد تفرع في روض الوزارة عن * دوح الرسالة غصن مورق رشدا

لله آية شمس للعلا ولدت * نجما وغابة عز أطلعت أسدا

وعنصر من رسول الله واشجه * كريم عنصل اسمعيل فاتحدا

وبضعة من أمير المؤمنين زكت * أصلا وفرعا وصحت لحمة وسدى

ومثل هذي السعادات القوية لا * يحوزها غيره دامت له أبدا

يا دهره حق أن تزهى بمولده * فمثله منذ كان الدهر ما ولدا

تعجبوا من هلال العيد يطلع في * شعبان أمر عجيب قط ما عهدا

فمن موال يوالي الحمد مبتهلا * ومخلص يستديم الشكر مجتهدا

وكادت الغادة الهيفاء من طرب * تعطي مبشرها الاهياف والغيدا

فلا رعى الله نفسا لا تسر به * ولا وقاها وغشاها رداء ردى

وذي ضغائن طارت روحه شفقا * منه وطاحت شظايا نفسه قددا

علما بأن الحسام الصاحبي غدا * مجردا والشهاب الفاطمي بدا

وأنه انسد شعب كان منصدعا * به وأمرع شعب كان مختضدا

وأرفع المجد أغصانا وأسمقه * مجد يناسب فيه الوالد الولدا

فليهنئ الصاحب المولود ولتردا * لسعود تجلو عليه الشارس النجدا

لم يتخذ ولدا الا مبالغة * في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه ومنها

وخذ اليك عروسا بنت ليلتها * من خادم مخلص ودا ومعتقدا

أهديتها عفو طبعي وانتصبت لها * سحرا وان كنت لم أنفث لها عقدا

وازنت ما قلته شكرا لربك اذ * جاء المبشر يتاسار واطردا

الحمد لله شكرا دائما أبدا * اذ صار سبط رسول الله لي ولدا

وكان الصاحب بن عباد قد قال هذا البيت حين جاءته البشارة وقال أيضا

أحمد الله لبشرى * أقبلت عند العشي اذ حباني الله سبطا * هو سبط للنبي

مرحبا ثمت أهلا * بغلام هاشمي نبوي علوي * حسني صاحبي

وكان ابن عباد اذا ذكر عبادا هذا يقول

معه وهذا مجمع عليه ولكن عرّفنا كيف كان يصنع حتى ينظم المعنى فقلت يترك هذا الوزن وينظمه في وزن يستقيم عليه الصواب فقال أنظمه لنا فقلت ارتجالا

وسلمت أشعار البرية كلها حتى دعيت لذاك أسود سالخا

فقال مثلك يقول لذاك فقلت حتى دعاك الناس فقال انما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله فلما سكن

يارب لا تخلني من صنعك الحسن * يارب حطني في عباد الحسني

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد

فطمت أباعباد يا ابن الفواطم * فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه * لما فطموه عن رضاع المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك من قصيدة

كسالك الصوم أعمار الليالي * وأعقبك الغنيمة في المآب
ولا زالت سعودك في خلود * تباري بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب بردتيه * على ميثاء حالية التراب
ببدر من بني الزهراء سار * تعرى عنه جلباب السحاب
تفرع في النبوة ثم ألقى * بضبعيه الى خير النصاب
تلاقت لابن عباد فروع الـ * نبوة والوزارة في نصاب
فلا تغرر برقدته الليالي * ولا تسمد له الهمم النوابي
فمن خضعت له الاسد الضواري * ترفع عن مغاورة الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة قال اسمعيل الشاشي قصيدة أولها

المجد ما حرست أولاه أخراه * والفخر ما التف أقصاه بأدناه
والسعي أجلبه للحمد أصعبه * والذكر أعلاه في الاسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجو أنضره * والاصل أرسخه في الارض أنقاه
اليوم أنجزت الآمال ماوعدت * وأدرك المجد أقصى ماتمناه

يقول فيها

اليوم أسفر وجه الملك مبتسما * وأقبلت ببريد السعد بشراه

يقول فيها أيضا

قد زف من جده كافي الكفاة الى * من خاله ملك الدنيا شهنشاه

(والشاهد في البيت براعة الاستهلال) وهو أن يكون في الابتداء اشارة الى ماسيق الكلام لاجله فمن ذلك وهو مما يشعر بالتهنئة بزوال المرض قول أبو الطيب المتنبي

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك السقم

وقول لسان الدين الخطيب المشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء

الحق يعلو والاباطل تسفل * والله عن أحكامه لا يسئل

وقول مهيار الديلمي المشعر بالاعتذار

أماوهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليها وأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

وقول الباخرزي المشعر بالتهنئة

وفت السعود بوعدها المضمون * وترادفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين وشافهوا * تحقيق آمال لهم وظنون

وقول أبي نصر أحمد بن ابراهيم الكاتب في التهنئة ببناء دار

أهلا بدار أبان بانيها * دلائل المجد في مغانيها دار حكت صدر ربها سعة * تسافر العين في نواحيها

وقول محمد بن أبي العباس المسكاني في التهنئة بالوزارة

يبشرني علوك بالوزاره * وذاك الملك أولى بالبشاره

وقول أبي محمد المطراني المشعر بذم المشيب ومدح الشباب

ألم المشيب برأسي نذيرا * وولى الشباب بعيشي نضيرا

المجلس قال تعرف له وجها يذهب النقد عنه ويخلصه من الطعن عليه قلت مولانا أعلم فقال انه حكى عن الناس تلقيبهم اياه بالاسود السالخ فكأنه لحن على الحكاية لا لانه حكى عنه هذا فاستحسناه وان لم يكن صحيحا من الاعذار ثم خرجت فلقيت الاسعد بن عبد الرحمن بن شيث فحكيت له الحكاية فقال لما طلب منك اختصاره كنت تقول وقال على الفور

وأصبح ضوء صباح المشيب * لغربان ليل شبابي مطيرا
كذلك اذا لاح نور البكور * لسود الطيور هجرن الوكورا

﴿وأبو محمد الخازن﴾ هو عبد الله بن أحمد الخازن قال فيه صاحب اليتيمة هو من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه وذوى السبق في قديم خدمته وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ويقتبس من نور آدابه ويستضئ بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه كالعادات في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة فلما كان ذلك بعود بتأديبه اياه وعزله ذهب مغاضبا أوهاربا وترامت به بلدان العراق والشأم والحجاز في بضع سنين ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان الى ما يقصه ويحكيه في كتاب كتبه الى صديقه أبي بكر الخوارزمي وذكر فيه عجره وبجره وقد ذكرته تنبيها على بلاغته وبراعته واختصار الطريق الى معرفة قصته (وهذه نسخته) كتابي أطال الله بقاء الاستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختيارا ونرجع اليها اضطرارا ونسير عن فنائها اذا أبطرتنا النعمه ثم نعود الى أرجائها اذا أدبتنا الغربه ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار وما الشأن في هذا ولكن الشأن في عشر سنين فاتت بين علم ينسى وغم لا يحصى وانفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل ولم تغن عنى بريش طائر وبعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر أتلو والعصر ان الانسان لفى خسر وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار لكنني قد كنت قدمت تطهير نفسي فحججت حتى عججت وعدت بغبار الاحرام وبركة الشهر الحرام وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الاستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبرى الى الحضرة حرس الله بهاها وسناها والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكرم الرتب أم أسخط فيتحاموني كالبعير الاجرب وورد توقيع مولانا الصاحب كافي الكفاة أطال الله مدته وكبت أعداءه وحسدته بعالى خطه وقد نسخته على لفظه ليعلم مولانا الاستاذ أدام الله عزه ان الكرم صاحبي لا برمكي وعبادي لا حاتمي وانا نجترم ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ثم لا نروى الا من الماء الزلال والتوقيع ذكر مولاى أدام الله عزه عود أبي محمد عبد الله الخازن أيده الله للفناء الذي فيه درج والوكر الذي منه خرج وقد علم الله أن اشفاقي عليه في إيابه لم يكن بأقل منه عند اغترابه فان أحب أن يقيم مدة يقضى فيها وطر الغائب ويضع معها أوزار الآيب فليكن في ظل من مولانا ظليل ورأى منه جميل وبر من ديواننا جزيل وان حفزه الشوق فمرحبا بمن قربته التربية لدينا فأفسدته العزة علينا وردته التجربة الينا وسبيله أن يرفد بعاز يل شغل قلبه بعياله ويعينه على كل قبل ارتحاله ان شاء الله تعالى لا جرم انى أخذت مالا وأغنيت عيالا وقلت ليس الا الجازه والمفازه وصحبت جرجان عاشرة أهدى من القطا الكدرى كأني دعيميص الرمل أستاف اختلاف الطرق وأنا مع ذلك أحسب العفو عنى حلما ولا أقدر ما جنيت يعقب حلما وكأني ما خطوت الا في التماس قربة ولا أخطأت الا لتأثيل حرمة وكأني لم أفارق الظل الظليل وأخذني بقول الله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقد ورد في التفسير أنه عفو من غير عتب وعدنا للقرب في المجلس وكرم اللقاء والمشهد وراجعت أيدينا نقل الصرد وجلودنا لين الحبر وركبنا صهوات الخيل وسحبنا الى دورنا بفضلات الخير وأقبلنا على العلم وصافحنا يد النثر والنظم وراجع الطبع شئ كان يدعى الشعر كذلك آدم عليه السلام أسكن الجنة بمن الله وفضله ثم خرج منها بما كان من جرمه وهو عائد اليها بعفو الله وطوله وحسبي الله ونعم الوكيل (قال الثعالبى) فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة وحسن التصرف في لطائف الصنعة ويملك رق الاتقان والابداع والاحسان ويعبر عما وراءه من أدب كثير وحفظ غزير وطبع غير طبيع وقريحة غير

وسلخت أشعار الورى
فدعوك أسود سالخا
(قال على بن ظافر) بت ليلة أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج بسكانه وقطانه والبدر قد محا خطاب الظلماء وجلا محياه في زورقه قناع السماء وكسا الجدران

قريحة (وأما شعره) فجار مجرى عقد السحر مرتفع الحسن عن الوصف وهو من نظراء الخوارزمى والرستمى وما أصدق قوله

لا يحسن الشعر مالم يسترق له * حر الكلام وتستخدم له الفكر
انظر تجد صور الاشعار واحدة * وانما المعان تعشق الصور
والمدعون من الابداع قد كثروا * وهم قليلون ان عدوا وان حصروا
قوم لو انهم ارتاضوا لما قرضوا * أو انهم شعروا بالنقص ماشعروا

قال وكان أبو بكر الخوارزمى أنشدنى لعامن شعره كقوله فى وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع فى معناه أملح منه

ان هذا الغبار ألبس عطفى * سوادا وديني التوحيد
وكساعارضى ثوب مشيب * ورداء الشباب غض جديد

وقوله أو هو لابيه أحمد

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيى بن زياد فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

(رجع الى شعر الخازن) وله أيضا فى الغزل

حث المطى فهذه نجد * بلغ المدى وتزايد الوجد
ياحبذا نجد وساكنها * لو كان ينفع حبذا نجد
وبحضنى الوادى لنا رشأ * قد ضل حيث الضال والرند
هند ترى بسيوف مقلتها * مالا ترى بسيوفها الهند

وله أيضا من قصيدة يعتذر فيها الى الصاحب

لنار الهم فى قلبى لهيب * فعفوا أيها الملك المهيب
فقد جاز العقاب عقاب ذنبى * وضج الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهج القوافى * وغصصها التذلل والنحيب
وقد فصمت عراها واعتراها * لسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى * لنا وسماء مجدك لا تصوب
ومن يك شوط همته بعيدا * فثنى عطفه سهل قريب
تجاوزت العقوبة منتهاها * فهب ذنبى لعفوك ياوهوب
وأحسن اننى أحسنت ظنى * وأرجو أن ظنى لا يخيب
أترضى أن أكون لقى مقيما * على خسف أذوب ولا تذوب
أبيت ومقلتى أبق كراها * وفى ألحاظها اصاب صبيب
وقيذ الايلا تغنى طعامى * ولا ينساغ لى الماء الشروب
صببت على سوطا من عذاب * يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقنى نكيرك لى صعودا * من الأشجان ليس له صبوب
وماعونى عتلى بلواى الا * رجائى فيك والدمع السكوب
فان تعطف على رجل غريب * فانى ذلك الرجل الغريب
عليك أنيخ آمالى فرحب * بها واليك من ذنبى أتوب

ثيابا من فضه ونثر كافوره على وجه الثرى بعدان سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت باسرار محاسنه رباه والنسيم قد عانق قامات الغصون فميلها وغصبها مباسم نورها وقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعه وان شدا فالورقاء ساجعه تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه

وأحظو مايريب اذا دهتني * قوامضه الى مالا يريب
فأية طربة للعفو ان الشكريم وأنت معناه طروب
فاني نشو دارك والمغذى * بسيبك والصنيعة والربيب
وأبت اليك من عفو مدلا * بما يقضي علاك لمن يؤوب
ولذت ببابك المعمور علما * بأن ذراك لي مرعى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب * اليها يلجأ الرجل الاديب
وسقت بنات آمالي اليها * وقد حفيت وأنضاها الدؤوب
فبوّئني اختصاصك حيث تجنى * ثمار العز والعيش الرطيب
ولكن كا نى خب حقود * لعقرب كيده نحوى دبيب
وما لجروح القته جنيب * ولا اشمال فرقته جنوب
ولا يشفيه منى لو رآنى * وقد أخذت بمقوى شعوب
بلوت الناس من ناء ودان * وخالطني القبائل والشعوب
فكل عنده مغمز وكيك * وكل عندمشربه مشوب
فجدلى بالرضا واقبل متابى * وعذرى انني أسف كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة

مازلت أعتسف المهامه والفلا * وأواصل الاغوار بالانجاد
حتى نأيت عن الخواطر ملقيا * رحلى بوادفى تخوم بوادى
فاذا بسعدى وهى بدر طالع * من فوق غصن فى نقى مهاد
وطرقتها وعداوها رقباؤها * فى صورة المرتاب لا المرتاد
فخلت منها حيث كان وشاحها * درعى وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها * سيفى وفاحمها الاثيث نجادى
وعقاصها الموصول زهرة روضتى * ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصباح الحواشى مونق * يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف * والطل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة وفيما أوردناه كفاية

(هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشى وفتكى)

البيت لأبى الفرج الساوى من قصيدة من الوافر يرثى بها فخر الدولة بن بويه وكان من خبر وفاته كما حكاه العتبى أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك [3] نزل بها من تاحا فاشتهى طرائح من لحم البقر فحضرت بين يديه واحدة وطفق أصحابه يطهون له من أطايبها وهو ينال منها وأتبعها بعناقيد كرم ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء فلم يلبث أن لوى عليه جوفه واتصل على الالم صوته الى أن جثم عليه موته فرثاه الساوى بهذه القصيدة وبعد البيت

ولا يغرركم حسن ابتسامى * فقولى مضحك والفعل مبكى
بفخر الدولة اعتبروا فانى * أخذت الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البرايا * ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما * لقال لها عتوا أف منك
ولو زهر النجوم أتت رضاه * تأبى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعدما قرع البرايا * أسير القبر فى ضيق وضنك

تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستحرش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم لمراقبة حوزته سهده ويبذل فى ألطافه طاقته وجهده فتارة يضمنه بخلاوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها فى المجلس وكتبت

[3] قوله على جبل طبرك فى بعض النسخ على نم طبرك والذى فى القاموس طبرك محركة قلعة بالرى وقلعة بأصبهان اهـ

أقــدر أنه لوعاد يوما * الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعى يانفس فكرك فى ماولى * مضوابك فى انقراض وبك فابكى
فلا يغنى هلاك الميت شيأ * عن الظبى السليب قميص نسك
هى الدنيا أشبهها بشهد * يسم وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل بينا * يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قوم انتم وانا * نحاسب فى القيامة دون شك

(والشاهد فيه) براعة الاستهلال أيضا فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثى ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده وهى من غرر القصائد

حكم المنية فى البرية جارى * ماهــذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاكدار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا ماربكم عجالا انما * أعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا * أن تسترد فانهن عوارى
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

ومنهـــا

ولد المعزى ببعضه فاذا مضى * بعض الفتى فالكل فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذرا له * وفقت حين تركت ألأم دار
جاورت أعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه سرارى
والشرق نحو الغرب أقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار

ومنهـــا

وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وماحسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
نزداد همّا كلما ازددنا غنى * فالفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائع * فى حادث أو وارث أو عار
انى لأرحم حاسدىّ لحرّ ما * ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت * أعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال مجاهل ومعالم * ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاوت الاقوام فى الاصدار

وهى طويلة وانما أثبت منها ما أثبت ليكون غرة لهذا الكتاب وتذكرة لأولى الالباب ومن القصائد المشعرة بالرثى قول الشريف الموسوى يرثى أبا منصور الشيرازى الكاتب

أىّ دموع عليك لم تصب * وأىّ قلب عليك لم يجب
مالى وما للزمان يسلبنى * فى كل يوم غرائب السلب
أمافتى ناضر الصبا كأخى * عندى أوزائد المدى كأبى

عجا صنعت الى الاعز بن المؤيد رحمه الله أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الأجياد بل فضلت على ليالى الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر فقلت
غبت عنى يا ابن المؤيد فى وقت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد وان ثوبا مفضضا موموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو را فيعلو مسك التراب السحيقا

وانى للشـــقاء أحسبنى * ألعب بالدهر وهو يلعب بى

وقول ابن نباتة يهنئ الملك الافضل صاحب حماه ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهى من غرر القصائد

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما

ترد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

والفاتح لهذا الباب أبو نواس وقيل أبو الشيص حيث قال يهنئ الامين بالخلافة ويعزيه بالرشيد

جرت جوار بالسعد والنحس * فالناس فى وحشة وفى أنس

والعين تبكى والسن ضاحكة * فنحن فى مأتم وفى عرس

يضحكها القائم الامين ويبكيها وفاة الرشيد بالامس

بدران بدر أضحى ببغداد فى الـخلد وبدر بطوس فى الرمس

ومنه قول صالح بن عبد القدوس

رب مغروس يعاش به * فقدته كف مغترسه وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقول يعقوب بن الربيع أتت البشارة والنعى معا * بأقرب مأتمها من العرس

ولابى دلامة يعزى بالمنصور ويهنئ بالمهدى

عيناى واحدة ترى مسرورة * بأميرها جذلا وأخرى تذرف

تبكى وتضحك تارة ويسوءها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الارأف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أرجله وآخر ينتف

هلك الخليفة يالأمة أحمد * وأتاكم من بعده من يخلف

أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبى الجنوب يرثى المعتصم ويهنئ الواثق

أبو اسحق مات ضحى فهنا * وأمسينا بهارون حيينا

لئن جاء الخميس بما كرهنا * فقد جاء الخميس بما هوينا

وبديع قول ابن قلاقس

خلف السعيد به الشهيد فأدمع * منهلة فى أوجه تتهلل

ملكان هذا راحل وثناؤه * باق وذا باق ثناه يرحل

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين ما يزرى بمطالع البدور ويبهر بنظمه محاسن الدر المنثور فمن ذلك قول القاضى الفاضل زار الصباح فكيف حالك يا دجى * قم فاستتر بفرعه أو فانجا

وقوله أيضا يخاطب العاذل

أخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا ترم بالقول سهما رب ما قتلا

وما ألطف ما قال بعده ولا يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

وقوله سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا يقول وكم لا يعى * يقول وما عنده أننى

بغير فؤاد ولا أضلع * أمامع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يافتى مامعى

وقول ابن النبيه ياساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد قد نزحت

وقوله رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

وقول ابن قلاقس كم مقلة للسقيق الغض رمداء * ابسامها ساهج فى دمع أنداء

وقوله قفا فالاسى منى زفيرا وأدمعا * أكانا لهم الا مصيفا ومربعا

وتبدى النسيم يعتنق الاغصان لما سرى عناقا رفيقا

بت فيها اسناد ما الصديق ظل بين الانام خلاصة وقا

هو مثل الهلال وجها وصبحا ومثال النسيم ذهنا رقيقا

وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا

مظهر للعيون ردفا مهيلا وحشى ناحلا وقدا رشيقا

ان تغنى سمعت داود أولا ح تأملت يوسف الصديقا

واذا قابل السراج رأينا منه بدرا يقابل العيوقا

وقول الظاهير البارزى يذكرنى وجدى الحمام اذا غنى * لا انا كلانا فى الهوى نعشق الغصنا

وقول ابن العفيف أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون

وما أظرف ما قال بعده وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون

وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدبه هيف الغصون

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى

وأسبغ ظل أعطاف التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال

ولا زالت ثمار الوصل فيها * تزيد لطافة فى كل حال

ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

وقول شيخ شيوخ حماه حروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض أفعال أسماء

وقوله أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

وقوله ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملى المبدد

وقول ابن عنين ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى

وقول ابن نباتة المصرى

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذى المدام وهاتيك العناقيد

وقوله بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أهى الغزالة والغزالا

وقوله أيضا سلبت عقلى بأحداق وأقداح * ياساجى الطرف أو ياساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين ياصاح

وقوله انسان عينى بتعجيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله نفس عن الحب ماحادت وماغفلت * بأى ذنب وقاك الله قد قتلت

وقوله لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كأنها فى الغرامى حرف توكيد

وقول الصفى الحلى فى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى

وقول الوداعى بدر اذا ما بدا محياه * أقول ربى وربك الله

وقول ابن نباتة معارضا له اذا اغار لمك عيناه * سهم لحاظ أجارك الله

وقول الحاجرى لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلى أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب قلدت يوم البين جيد مودعى * دررا نظمت عقودها من أدمعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع وعنان البنان عن الركض مع فرسان هذه المجامع

(يقول فى قوس قوس قوى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود)

(أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود)

البيتان من البسيط وقائلهما أبو تمام فى عبد الله بن طاهر ولهما خبر يذكر (حدث) محمد بن العباس اليزيدى قال حدثنى عمى الفضل قال لما شخص أبو تمام الى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك فاستثقل البلد وقد كان عبد الله وجد عليه وأبطأ بجائزته لانه نثر عليه ألف دينار فلم يمسها بيده ترفعا عنها فأغضبه وقال يحتقر فعلى ويترفع على فكان يبعث اليه بالشئ بعد الشئ كالقوت فقال أبو تمام

وأظن الصباح هام بعرآ * فابدى قلبا حريقا خفوقا
ذاك نجم ما لاح فى الجدر كالنو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام فى قومه يريناشقيقا
واذا ما بدت جواهرها فى الـ * جو أبدوا فى الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا بحاتنا طيب ذكرا * ك فخلناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

غفر له

لم يبق للضيف لا رسم ولا طلل * ولا قشيب فيستكسى ولا سمل
عدل من الدمع أن يبكى المضيف كما * يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزل
عنى الزمان انقضى معروفها وغدت * يسراه وهى لنا من بعده بدل

فبلغت الابيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله وضمن له ما يحبه ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال أيها الامير أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقى من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته فكيف له بنزوعه اليك عن الوطن وفراقه للسكن قاصدا اليك أمله معملا اليك ركابه متعبا فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله وأنشد البيتين المستشهد بهما فقال له عبد الله لقد نبهت فأحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولابى تمام العتبى ادع يا غلام فدعا به فنادمه يومه وأمر له بألفى دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر بمذرقته الى آخر عمره وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول

تقول صحبى وقد جدوا على عجل * والخيل تستن بالركبان فى اللجم
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو اسحق الغزى فقال

تقول اذا حثثناها فظلت * تناجينا بألسنة الكلال
الى أفق الهلال مسير ركبى * فقلنا بل الى أفق النوال

وقومس بضم القاف وآخرها سين مهملة صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل والمهرية بفتح الميم الابل المنسوبة الى مهر بن حيدان والقود الطوال الظهور والاعناق واحدها أقود (والشاهد فيهما) حسن التخلص وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما وهو قليل فى كلام المتقدمين وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على علاته هرم

ومنه قول الفرزدق وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر

تقول التى من بيتها خف محملى * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى اثرهن عبير
دعينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير
اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

وقوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا انتزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد أجدك هل تدرين كم رب ليلة * كأن دجاها من قرونك تنشر

فأجاب عنها على الوزن دون الروى

قد أتتنى من الجمال قصيد
بالمعانى قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ
ـمسك فى سبكها وصفو الماء
فأرتنا طباعه وشذاه
والذى حازه ذهنه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها اللآلى
يا أخا المجد أم نجوم السماء
أفحمتنى حسنا وحق أياديـ
ـك التى لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا
فابسط العذر فيه يا مولائى

لهوت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبي تمام من قصيدة

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا

أحبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

وما أحسن قول البحترى رياض تردت بالنبات مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد

اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها * أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدى بني عمران في جبهاتها

وقوله يمدح ابن عامر ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته من قصيدة

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة

خليلى مالى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبي العلاء من قصيدة ولو أن المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انفصالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

وقول النامى وليل له نجم كليل عن السرى * تحير لا يهدى لقصد ولا يهدى

كأنى وابن الغمد والطرف أنجم * على قصدها والنجم ليس على قصد

الى أن رأيت الفجر والنسر خاضب * جناحيه ورساعل بالعنبر الوردى

وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها * ازاء الثريا وهى مقطوعة العقد

فقلت أخيل التغلبى مغيرة * أم الفجر يرمى الليل سدا على سد

ومما استحسن لابن حجاج من التخالص قوله من قصيدة

ألا يا ماء دجلة لست تدرى * بأنى حاسد لك طول عمرى

ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى

فقال الماء قل لى كل هذا * بما استوجبته ياليت شعرى

فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبي الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن تخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله

وقد بادلتها فبالها لى * بشورة استها ولها قذالى

هل يسامى الثرى الثريا وأنى
يبلغ النجم فرط نورذكاء
﴿وقال على بن ظافر﴾ وقد
ضمنت هذا الكتاب البديع
النظم الغريب الاسم ما وقع
لى الى هذا التاريخ من
حكايات البدائه وكل ما فيه
من الحكايات المسجوعة
لخاطرى جالب دره وحالب
دره وساكب قطره الا
ما استثبت به وقد جاء علالة
السائر وأنس السامر
وملهاة الساهر ولولا ضيق
الصدر بازدحام وفود الهموم
ومارانء على شمس البصيرة

كما لابن العميد جميع مدحي * ودنيا ابن العميد جميع مالي

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمي يمدح سيف الدولة بن مزيد

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب فستلب

كأنما قولنا للساقي أدر * سلافة قولنا للمزيدي هب

وقوله يمدح فخر الملك أرى كبدي وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور

أم الايام خافقني لأني * بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادي يوم كاظمة معي

ان شاء بعدهم الحيا فلينسكب * أو شاء ظل غمامه فليقلع

يقول فيها فقبيل جسمي في ظلال ربوعهم * كاف وشربي من فواضل أدمعي

لزمت جفوني في الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وأرتعي

فكأن دمعي مد من أيدي بني * عبد الرحيم وماؤها المتتبع

وكأن ليلي من تفاوت طوله * أسبابهم موصولة بالاذرع

وقول الارجاني يمدح ولي الدين الكاتب من قصيدة

تركتني معانيا لمعاني * وأعادت أعاديا أصدقائي

كدرت مشربي وقد كان عين الشمس والماء دونه في الصفاء

بعد عهدي به شتي وهي خضراء * تنثني كالبانة الغناء

وأموري كأنها ألفات * خطهن الولي في الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الانباري مترسل الخلافة من قصيدة

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادي على ما شمت صبار

الا لنائمة في اليوم نازلة * بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائي من قصيدة مطلعها

اذا لم يخن صب ففيم عتاب * وان لم يكن ذنب فمم يتاب

أجل مالنا الا هواكم جناية * فهل عندكم غير الصدود عقاب

يقول في مخلصها فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل في الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبي نصر محمد الاصفهاني

بتنا نطارق الليل ما اكتسب الدجى * حتى نماه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها * بدد اللآلي نضدت لنظام

والصبح قد صدع الظلام كراية * بيضاء في سود من الأعلام

أو رأي مولانا الوزير اذا احتبى * يمحو ظلام الشك في الاحكام

وقال بعده مع الزيادة في الغلو

وذا الهلال لو أنه لجواده * نعل وحافره أوان تمام

تالله لو أصغي هواه مشرك * لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبي القاسم بن هانئ الاندلسي في قصيدته البديعة

التي منها بعثنا له كأسه وجفونه * فقد نبه الابريق من بعد ما أغفى

وقد فككت الظلماء بعض قيودها * وقد قام جيش الليل للصبح واصطفا

من تكاثف غيوم الغموم لتكلفت مشقة الحث وأنضيت ركائب البحث فلا أزال في الطلب موضعا حتى لا أرى للزيادة موضعا الا ماتنتجه الخواطر في الازمان الآنفه وتولده الفكر في الاعصار الرادفه وقد عقدته عقد الابد فسخ ونظمته نظما محكما لا يعتريه نسخ فهو ما اطلعت عليه بعد ذلك من البدائع الواقعة في الازمنة الخاليه أو مما تجدد في الازمنة الآتيه جمعته وجعلته كالتتمة له حتى لا أفض ختامه ولا أفتق كمامه والله تعالى يوقعه عند الجناب المحمول اليه موقع الرضا عنه والقبول له والاقبال عليه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد زين الملاح وعلى آله وصحبه أولي الوجوه السماح وسلم تسليما كثيرا آمين

وولت نجوم الثريا كأنها * خواتيم تبدو فى بنان يد تخفى
ومر على آثارها دبرانها * كصاحب ردء كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية * بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضلان فى مهمه خشفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن الهزيع الآبنوسى وهنه * سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا * على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له * لواآن مركوزان قد كره الزحفا
كأن قدامى النسر والنسر واقع * ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوم طائرا * أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدل مرقب * يقنش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمودا الصبح خاقان عسكر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خشفا * فانا لمحنا فى مراتعها ظلفا
وقولا لخوط البان فليمسك الصبا * علينا فانا قد عرفنا ابها عرفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة * فطاهرت الا وقد كادأن يخفى
عليلة أنفاس تداوى بها الجوى * وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفا
وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا
أجارتنا أذكرت من كان ناسيا * وأضرمت نار الصبابة لا تطفى
وفى جانب الماء الذى تردينه * مواعيد ما ينكرن ليا ولا خلفا
ومهزوزة للبان فيها شمائل * جعلن له فى كل قافية وصفا
لبثنا عليها بالثنية ليلة * من السود لم يطو الصباح لها سجفا
لعمرى ان طالت علينا فاننا * بحكم الثريا قد قطعنا لها كفا
رميناها فى الغرب وهى رميمة * ولم نبق للجوزاء عقدا ولا شنفا
كأن الدجى لما تولت نجومه * مدبر حرب قد هزمنا له صفا
كأن عليه للمجرة روضة * مفتحة الانوار أونثرة زغفا
كأنا وقد ألقى الينا هلاله * سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا
كأن السها انسان عين غريقة * من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى * ففر ولم يشهد طرادا ولا زحفا
كأن سنا المريخ شعلة قابس * تخطفها عجلان يقذفها قذفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت * به سنة ما هب منها ولا أغفى

تاريخ الطبعة الاولى للعلامة الشيخ محمد قطة العدوى رحمه الله

هذى جمان أم لآل * جيد الزمان بهن حال
أم ذى بدور أسفرت * محيت بها ظلم الليال
أم ذى عرائس أقبلت * تختال فى حلل الجمال
أم ذى بدائع مثلت * بالطبع ليس لها مثال
جمعت محاسن جمة * عن حصرها عجز المقال
سحرت بها ألبابنا * لكنه السحر الحلال
جادت بهن بدائه * عرفت بها قيم الرجال

كأن نصير الملك سل حسامه * على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

وللحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو وهي بديعة فأحببت أن أعزز بها القصيدتين بها ومطلعها

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الابارق فالسقطا

(يقول فيها بعد أبيات)

وكم ليلة قاسيتها بابغية * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبت أظن الشهب مثلي لها هوى * وأغبطها في طول الفتها غبطا
على أنها مثلي عزيزة مطلب * ومن ذا الذي ما شاء من دهره يعطى
كأن الثريا كاعب أزمعت نوى * وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا
كأن نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا
كأن رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط في مهرها شرطا
كأن السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما قد دقق الكاتب النقطا
كأن سهيلا اذ تناءت وأنجدت * غدا يائسا منها فأتهم وانحطا
كأن خفوق البرق قلب متيم * تعدى عليه الدهر في البين واشتطا
كأن كلا النسرين قد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا ماطا
كأن الذي ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أو قص أو قطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناحين وارثطا

ومثلها في الحسن قول علي بن محمد الكوفي من قصيدة

متى أرتجي يوما شفاء من الضنا * اذا كان جانيه علي طبيبي
ولي عائدات شقتهن بجثن في * لباس سواد في الظلام قشيب
نجوم أراعي طول ليلي بروجها * وهن لبعد السير ذات لغوب
خوافق في جنح الظلام كأنها * فؤاد معناه بطول وجيب
ترى حوتها في الشرق ذات سباحة * وعقربها في الغرب ذات دبيب
اذا ما هوى الاكليل منها حسبته * تهدل غصن في الرياض رطيب
كأن التي حول المجرة أوردت * لتكرع في ماء هناك صبيب
كأن رسول الصبح يخلط في الدجى * شجاعة مقدام بجبن هيوب
كأن اخضرار الفجر صرح ممرد * وفيه لآل لم تشن بثقوب
كأن سواد الليل في ضوء صبحه * سواد شباب في بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكي ببشره * علي بن داود أخي ونسيبي
ولولا اتقائي عتبه قلت سيدي * ولكن يراها من أجل ذنوبي
نسيب اخاء وهو غير مناسب * قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضي الفاضل من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين في ذلك العصر مطلعها

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعي دموع الغمائم

وما أحلى قوله بعده وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم
تأخر في حمل السلام عليكم * لديها ما قد حملت من سمائم
فلا تسمعوا الا حديثا لناظري * يعاد بألفاظ الدموع السواجم

وبها ابن ظافر اعتنى
فامتاز في هذا المجال
أدنى لنا منه البعيـ
ـد وكان قد عز المنال
بمؤلف سهل بديـ
ـع رائق الاسلوب حال
فلذاك عذوا طبعه
يا صاح من أسنى الخلال
لاسيما في مصر ذا
ت الفضل في ماض وحال
وطن المعارف أمرها
لا شك فيه ولا جدال
فبطبعه فيها حوى
فخرا وللقلب استمال
فلاجل ذا لما انتهى
قالت انا بلسان حال
قد تم طبعا أرخوا
ببهاى قد بلغ الكمال
٢٠ ١٠٤ ١٠٣٢ ١٢٢
سنة ١٢٧٨

فان

فان فؤادى بعدكم قد فطمته * عن الشعر الامدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماه من قصيدة دالية نبوية مطلعها

ويلاه من نوى المشرد * وآه من ثمل المبدد

ولم يزل يديرعلى خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة الى أن قال

أكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الـ صائم صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل الى أن قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأسمر تنظرة أسرت فؤادى * كما نشأ اللهيب من الشراره

وفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

كنت فى ذلك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محمودا عين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما انتقاضاها المواعيدا

رد الركاب لأمر عن فى خلدى * وسمه فى بديع الحسن ترديدا

وقف أبثك مالان الحديد له * فان صدقت فقل لى كنت داودا

حلت عرى النوم من أجفان ساهرة * رد الهوى هدبها بالحسن معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضربها * فأذكرتنى موسى والجلاميدا

يا ثعلب الهجر يا سرحان أوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر در هذا النظم الى أن قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقصد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس النظم مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا ونائله * يقول لى قد وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى

سقى مصر اوساكنها وبل * صليل البرق صخاب الرعود

موارد من له ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سنا الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنا

يا عاذلين جهلتم قدر الهوى * فعذلتم فيه ولكنى أنا

اني رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا
وسألت من أي المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم
وباتت يدي في طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر أو سوارا لمعصم
سعدت ببدر خده برج عقرب * فكذب عندي قول كل منجم
وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * بأوضح منه حجة عند لومي
ولا سيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر في فؤاد متيم
وما بان لي الا بعود أراكة * تعلق في أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم * شهي لقلبي لثم آثار منسم
ولم يرطرفي قط شملا مبددا * فقابله الا بدمع منظم
ولم يسل قلبي أو فني عن غزالة * وعن غزل الا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الامير ناصر الدين الملطي مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلى اذا نامت بليل أزورها
من الغيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق مني حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها
وان الذى أبقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بزورة فتملا
وافى الرسول ولم أجد في وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائما في طريقته الغرامية الى أن قال

آه القلب ما خلا من لوعة * أبدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لو لم تبادره الدموع لأشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين أن أتذللا
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوح أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى في مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصه الموسوية من قصيدة مطلعها

يا نار أشواقي لا تخمدي * لعل ضيف الطيف أن يهتدي

الى أن قال

عازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور أقاح ندي

وقام يلوى صدغه قائلا * لا تغتر ربى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه
ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه
بتنا وقد لف العناق جسومنا * فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل * راياته وتك الامير الاشرف

وقوله فيه من قصيدة
يذود شبا القنا عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجنىّ
اذا مارمت أقطفه بعينى * يقول حذار من مرعى ربىّ
لسان السيف من أدنى وشاتى * ومن رقباى طرف السمهرىّ
كأن بجفنها فى كل قلب * فعال المشرفىّ الاشرفىّ

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها
روح بعينيك عما أنت معتقل * أمضى الاسنة ما فولاذه الكحل
يا من يرينا المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضى واسمها مقل
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس * من دونها قضب من دونها أسل
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم * حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا * كأن ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيبها من غبار الحرب متصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وقول أبى الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة
وهيفاء تحكى الظبى جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر
جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر
فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فى بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة
وكم ليلة قد بتها معسرا ولى * بزخرف آمالى كنوز من اليسر
أقول لقلبى كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يد الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد غاية هنا وهو
كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل فى تعريسهم ساعة * وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذى الرمة
ونشوان من طول النعاس كأنه * بحبلين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكراك والعيس المراسيل جنح

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله
فى ذمة الله وفى حفظه * مسراك والعود بعزم نجيح
لو جاز أن تسلك أجفاننا * اذن فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول السراج الورّاق

صدقوا قد نظروا الورد مسيج * هل رأوه فى عذار من بنفسج
عشق الناس ولا مثل الذى * همت وجدا فيه فانظر وتفرج
من رأى بدرا وغصنا ونقا * قد تجلى وتثنى وترجرج
وجهه نسخة حسن حررت * ولها من عارض سطر مخرج
ذو وشاح مثل قلبى قلق * وازار مثل صدرى منه محرج
وأصم فتحت أسماعه * بقواف كم بها يفتح مرتج
قال شعرك أم درّ على * أنه أبهى من الدرّ وأبهج
قلت تاج الدين فيه وصفه * قال هذا ملك الشعر المتوج

وقول ابن نباتة يمدح قاضى القضاة تاج الدين السبكى من قصيدة

قد أسرج الحسن حديه فدونك ذا * سراج خد على الاكباد وهاج
وألجم العذل فاركب فى محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذر القلائد واهد الدرّ للتاج

وقول القيراطى يمدح سيف الدين الكريمى من قصيدة

فوعده وناظره وجسمى * سقيم فى سقيم فى سقيم
كريم مال بخلا عن ودادى * فقلت أنصو مخدوم كريم

وقول ابن حجلة فى ممدوحه صدقة

طرقت باب الحبيب والرقبا * عليه من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت ابتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية

حاولت زورتى فنم عليها * قرطها فى الدجى ومسك الغلاله
ثم لما أن سلمت اذكرتنى * مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المخالص البديعة الى غيرها فالشرح قد طال وربما يحدث منه الملال

الاطراد

(لو رأى الله أن فى الشيب خيرا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا)
(كل يوم تبدى صروف الليالى * خلقا من أبى سعيد غريبا)

البيتان لابى تمام من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها

من سجايا الطلول أن لا تجيبا * فصواب من مقلتى أن تصوبا
اسألنها واجعل بكاك جوابا * تجد الشوق سائلا ومجيبا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ * للصبا تزدهيك حسنا وطيبا
أكثر الارض زائرا ومزورا * وصعودا من الهوى وصبوبا
وكعابا كأنما ألبستها * غفلات الشباب بردا قشيبا
بين البين فقدها قلما تعرف فقدا للشمس حتى تغيبا
لعب الشيب بالمفارق بل جد فأبكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما أن رأت شواتى خضيبا
كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيم التغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا وعبن معيبا

أو تصدّ عن قلبي فكفي بالشيب بيني وبينهن حسيبا

وبعده البيتان والرواية في الديوان فضلا بدل خيرا والقصيدة طويلة والشيب بكسر الشين المعجمة جمع شائب والرغيب الواسع (والشاهد فيه الاقتضاب) ويسمى الاقتطاع والارتجال وهو أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام الى ما لا يلائمه وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام مثل لبيد وحسان والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم في ذلك ويجرون على مذهبهم كأبي تمام هنا والبحتري بقوله من غير ارتباط بما قبله

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * أعم ندى منكم وأيسر مطلبا

وهو كثير في شعره حتى ان السليماني الشاعر عرّض به في قوله

يغتابني فاذا التفت أبان عن محض صحيح وثبا كوثب البحتري من النسيب الى المديح

وكأبي نواس وهو الغالب على شعره كقوله يمدح الامين بن الرشيد

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكن سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ظن بي من قد كلفت به * فهو يجفوني على الظنن قام لا يعنيه ما لقيت * عين ممنوع من الوسن
رشأ لولا ملاحته * خلت الدنيا من الفتن ما بدا الا استرق له * حسنه عبدا بلا ثمن
فاسقني كأسا على عذل * كرهت مسموعه أذني من كميت اللون صافية * خير ما سلسلت في بدن
ما استقرت في فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن مزجت من صوب غادية * حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل الى المديح من غير تخلص

﴿وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت لما أملت منك جدير﴾
﴿فان تولني منك الجميل فأهله * والا فاني عاذر وشكور﴾

البيتان لابي نواس من قصيدة من الطويل يمدح بها الخصيب صاحب مصر أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير
فان كنت لا خلما ولا أنت زوجة * فلا برحت دوني عليك ستور
وجاورت قوما لا تجاور بينهم * ولا وصل الا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربة لازب * ولا كل سلطان على قدير
واني لطرف العين بالعين زاجر * فقد كدت لا يخفى علي ضمير

وهي طويلة وتقدم ذكر شيء منها في حسن التخلص وقد عارضها أحمد بن دراج القسطلي بقصيدة طنانة منها

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى * وأن بيوت العاجزين قبور
تخوفني طول السفار وانه * لتقبيل كف العامري سفير
دعيني أرد ماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات نمير
فان خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا * بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى * وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولحظه * بموقع أهواء النفوس خبير
فكل مفداة الترائب مرضع * وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادني * رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها * جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيورا فانني * على عزمتي من شجوها لغيور

ولو شاهدتني والهواجر تلتظي * عليّ ورقراق السراب يمور
أسالط حرّ الهاجرات اذا سطا * على حرّ وجهي والاصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي لوافح * وأستوطئ الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلوّن * وللذعر في سمع الجريء صفير
لبان لها أني من الضيم جازع * وأني على مضّ الخطوب صبور
ولو أبصرتني والسرى جلّ عزمتي * وجوبي لجنات الفلاة سمير
وأعتسف الموماة في غسق الدجى * وللاسد في غيل الغياض زئير
وقد حوّمت زهر النجوم كأنها * كواعب في خضر الحدائق حور
ودارت نجوم القطب حتى كأنها * كؤوس مها والى بهن مدير
وقد خيلت طرق المجرة أنها * على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمي والظلام مروّع * وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتي * وأني بعطف العامري جدير

قال ابن فضل الله ومن وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبي نواس عرف فضل قائلها على من تقدم وشهد له أنه سبق وان تأخر وجزم بأن الرجال معادن وأن لكل زمان محاسن ولم يشك أن الخواطر موارد لا تنزح وأن الافكار مصابيح لا تطفى وأن الافهام مرائي لا تتناهى صورها وأن العقول سحائب لا ينفد مطرها وعلم أن المعاني غير متناهية والفضائل غير متوارية وأن أم الليالي لولود وأن الفضل في كل حين مشهود وأن هذا الشاعر في قصيدته هذه التي عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ولا عارضة تذكر وأنه لحقيق أن ينشد

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(يروى) أن أبا نواس لما قدم الى الخصيب صادف في مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه فلما فرغوا قال الخصيب ألا تنشدنا يا أبا علي فقال أنشدك أيها الامير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون فأنشده هذه القصيدة فاهتز لها وأمر له بجائزة سنية (وفي كتاب آداب الغرباء) أن أبا نواس كان قادما من الشأم الى بغداد قال فاني على ظهر فرسي اذ ترنمت بهذه الابيات تقول التي من بيتها خف محملي الابيات السائرة في حسن التخلص قال فسمعت ورائي شهقة فالتفت فاذا شيخ عليه أطمار رثة يقود فرسا أعجف وهو متجدد سيفه فقال لي أعد يا أبا نواس هذه الابيات فأعدتها فقال ان هذه قلت لي امتدحت بها الخصيب أمير مصر قال ما أرفدك قلت انه ملأ فمي جوهرا بعته بمائة ألف درهم قال أتعرفه قلت نعم قال أنا والله الخصيب فلما عرفته نزلت عن دابتي وقبلت يده ورجله فقال لا تفعل ثم سألته عن حاله وسبب تغيير أمره فقال لي وللك الدائرات تدور قال فدفعت اليه جميع ما كان معي من مركوب ونفقة وثياب وسألته قبول ذلك فأبى وقال والله لا آخذت من يد أرفدتها ثم ركب دابته وتركني ومضى (وحدث) معاوية بن صالح الطبراني قال ماج الناس في مصر بسبب السعر فبلغ الخصيب وهو يشرب مع أبي نواس فقال دعني أيها الامير أسكنهم فقال ذلك اليك فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر واعتمد على عضادتيه وحول وجهه للناس وعليه ثياب مشهرات فقال

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي * ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا * على ظهر عاري الظهر غير ركوب
فان يك باق افك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده (وحدث) مطيع خادم البرامكة قال كنت واقفا على رأس الرشيد اذ دخل أبو نواس فقال أنشدني قولك في الخصيب

فان

فان يك باق افك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده فقال الرشيد ألا قلت فباق عصا موسى بكف خصيب فقال أبو نواس هذا أحسن والله ولكنه لم يقع لى (وحكى) اسمعيل بن اسباط قال لما قال أبو نواس منحتكم يا أهل مصر نصيحتى رأى الخصيب فى المنام قائلا يقول يا خصيب ما فوق هذا المدح مدح قال فما جزاؤه قال نجعة كلب قال وما نجعة كلب قال ألف قال من أى الجرين قال من الصفر فلما أصبح صبح أبا نواس بألف دينار فقال أبو نواس

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

(وقال ابن قتيبة) لما قال أبو نواس فان يك باق افك فرعون فيكم وبلغ الرشيد فقال يا ابن اللخناء أنت المستخف بنبى الله موسى عليه السلام وقال لابراهيم بن نهيك لا يأوين أبو نواس عسكرى من ليلته فقال له ياسيدى فأجل ثمود فضحك وقال اجله ثلاثا فبعث الامين الى ابراهيم فقال والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك فأقام عند ابراهيم حتى مات الرشيد وأخرجه محمد الامين سنة تسع وتسعين ومائة وهو ابن اثنتين وخمسين سنة قال أبو عبد الله حمزة قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الامين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة والجدير الخليق بالشئ (والشاهد فيهما الانتهاء) ويسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة لانه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس ومثل البيت الاول قول بعضهم

وانى خليق من نداك بمثلها * وأنت بما أمّلت منك خليق

وقول الآخر

جدير أنا بالشكر كما * أنت بالطول وبالحسنى جدير

وقول ابن شداد

جدير بالشكر أنت فشكرى * لك والحمد دائما والثناء

(بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله * وهذا دعاء للبرية شامل)

البيت من الطويل ونسب لأبى العلاء المعرى ونسبه ابن فضل الله لابى الطيب المتنبى ولم أره فى ديوان واحد منهما (والشاهد فيه حسن الانتهاء) ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عنّ أو تلك هفوة * على خطأ منى فعذرى على عمد

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقول أبى العلاء المعرى

ولا تزال لك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

وقول الأرّجانى

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد

علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقول ابراهيم الغزى

بقيت بقاء الدهر ماذرّ شارق * وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى

بقيت لما تجود مدى الليالى * فانك ما بقيت لنا بقينا

وقول الرستمى

بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ * وظلك ممدود وبابك عامر

يودّ سناك البدر والبدر زاهر * ويقفو نداك البحر والبحر زاخر

وهنئت أياما أتتك سعودها * كما تتوالى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه

دمتم بنى أيوب فى نعمة * تجوز فى التخليد حدّ الزمان

والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلىّ الضمان

وقول شيخ شيوخ حماه

فلا زلت فى ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى

ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سنا الملك

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة
فايق عالى المقام دانى القطائف * قاهر البأس ظاهر الانباء
يغنى عدوك العيش حتى * أغنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجيا حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام

لازال من سطر ذا باسمه * يبقى بقاء الفلك الدائر
ومن يساويه يعش بائسا * يسحب ذيل الخاسئ الخاسر

﴿قال مؤلفه رحمه الله تعالى﴾ وكان الفراغ من تأليفه وتوشيته وتفويفه بالقاهرة المعزية عام واحد وتسعمائة ومن زبره وتحريره يوم الاربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته عام أربعة وثلاثين وتسعمائة وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وان تطرفيه ودعا له بالمغفرة والرحمة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمدا لمن كمل الادباء بمحاسن اللطائف فأفصحوا عن بديع المعانى بأحاسن الالفاظ وطرائف النتائف والصلاة والسلام على النبى الكريم المخصوص بأشرف السجايا المتميز بأعظم العطايا وعلى آله أولى الفضائل وأصحابه الذين لهم أحسن الشمائل ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص تأليف الاديب العلامه الاريب الفهامه الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه * وكان تمام طبعه الباهر الباهى وتمثيله الزاهر الزاهى بالمطبعة البهيه التى بحارة حوش قدم بمصر المحميه ادارة الراجى من الله حسن الوفا حضرة محمد أفندى مصطفى فى أوائل شهر القعدة الحرام من سنة ١٣١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وصحابته الفخام آمين

